

# الْأُوْبَسَةُ

ترجمة أمين سلامة

هوميروس



# الأوديسة

تأليف  
هوميروس

ترجمة  
أمين سلامة



الناشر مؤسسة هنداوي

الشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: +٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

التقييم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٩٥٦٠

صدر أصل هذا الكتاب باللغة اليونانية القديمة في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه الترجمة عام ١٩٦١.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ أمين سلامة.

## المحتويات

١١	كلمة لا بد منها
٣٣	مولد هوميروس
٣٩	القيمة الأدبية للملاحم الهومرية
٤٣	أدب ما قبل العصر الهومري
٤٧	تحليل الإلياذة
٥٩	الأوديسة
٦١	تحليل الأوديسة
٧٩	الأنشودة الأولى
٩٩	الأنشودة الثانية
١١٥	الأنشودة الثالثة
١٣٣	الأنشودة الرابعة
١٦١	الأنشودة الخامسة
١٧٩	الأنشودة السادسة
١٩١	الأنشودة السابعة
٢٠٥	الأنشودة الثامنة
٢٢٥	الأنشودة التاسعة
٢٤٥	الأنشودة العاشرة
٢٦٥	الأنشودة الحادية عشرة
٢٨٧	الأنشودة الثانية عشرة
٣٠٥	الأنشودة الثالثة عشرة

الأدبيّة

٣٢١	الأنشودة الرابعة عشرة
٣٣٩	الأنشودة الخامسة عشرة
٣٥٧	الأنشودة السادسة عشرة
٣٧٣	الأنشودة السابعة عشرة
٣٩٣	الأنشودة الثامنة عشرة
٤٠٩	الأنشودة التاسعة عشرة
٤٢٩	الأنشودة العشرون
٤٤٣	الأنشودة الحادية والعشرون
٤٥٩	الأنشودة الثانية والعشرون
٤٧٧	الأنشودة الثالثة والعشرون
٤٩١	الأنشودة الرابعة والعشرون

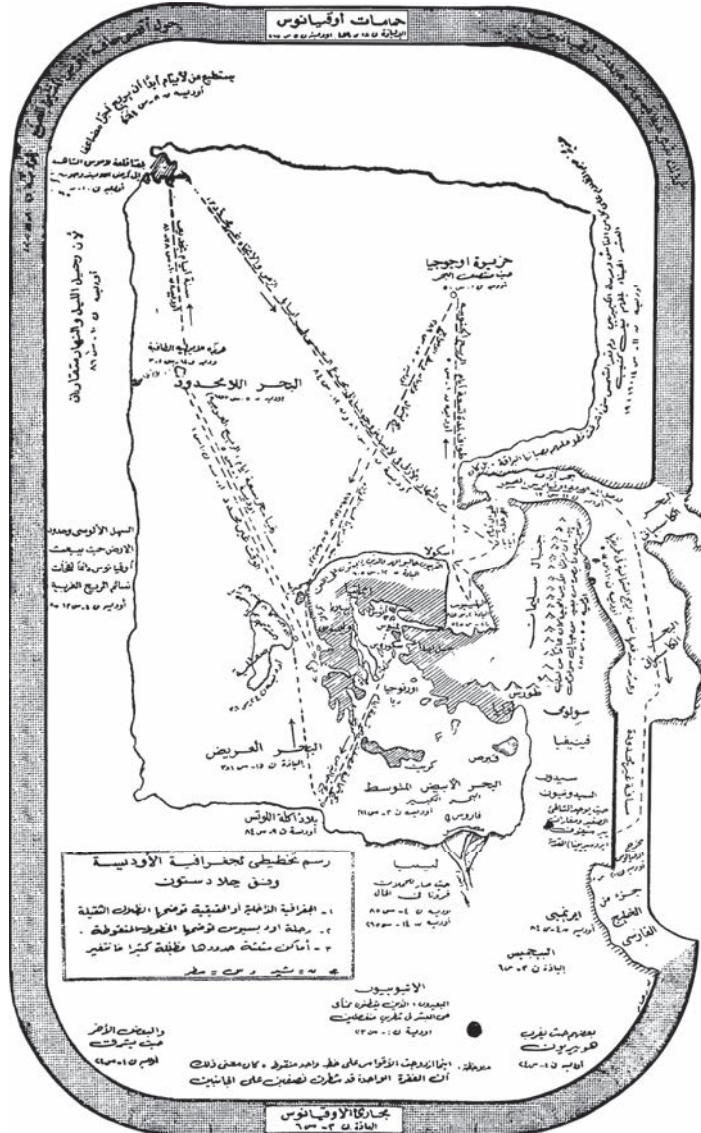




شمس «أبُولُو» تُشْرِق بأشعّتها على أناشيد الأوديسيّة.

حاماٽ اور قیانوس

بریتانیا ۱۹۵۰-۱۹۵۱ اور پاکستان ۱۹۵۰





## كلمة لا بد منها

لأول مرة أحِسْ بأنني أُقدِّم شيئاً نفيساً للقارئ العربي.

ولأول مرة أجُدُّني فخوراً بتقديم هذا السُّفُر الثمين الرائع.

ولعل القارئ يُدرِك لأول وهلة مقدار الجهد الذي بذلته في نقل هذا التراث الخالد من لغته الأصلية نقلًا لا يرقى إليه الشك، في ثوبٍ لا يقل عن ثوبه الأصيل جمالاً وروعة.

ولكم يُسْعِدُني أن أكون أول مصري، بل أول عربي، قد أُوفِي هوميروس، ذلك الشاعر الفريد، حقَّه علينا، بأن ترجمتُ له ملحمتي الأزليتين السرمديتين!

ومما لا شك فيه أن كُلَّ من سَبَق له أن قرأ «إلياذة» مترجمةً عن النص اليوناني ضمن «مطبوعات كتابي» المشهورة، ليتحرَّق شوقاً إلى قراءة «الأوديسة» أيضاً مترجمة عن مصادرها الأصلية وعن اللغة التي كتبها بها هوميروس، فلْتُ زمانه وكلُّ زمان حتى هذا الأوان.

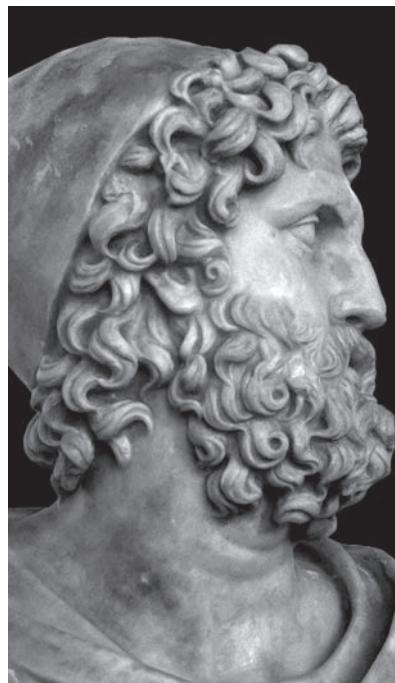
ولستُ مُكِبِّراً أو مُعظِّماً هذا المجهود بدون وجه حقٍّ أو استحقاق، ولكنني أُدرِك ما أقول، وأستبين خطورة ما أجاهر به من أن ترجمتي لإلياذة هوميروس فيما مضى، ثم ترجمتي اليوم للأوديسة لنفس هذا الشاعر الجبار لتُعد في حد ذاتها ووحدتها، في تاريخ المكتبة العربية والنهضة الفكرية الشرقية، حدثاً جللاً خطيرًا لا يمكن لأحد أن يُغَضِّ الطرف عنه أو أن يَدَعَه يُمْرَأ عليه مَرَّ الكرام.

وليس هوميروس الشاعر، كسائر الشعراء، ولا هو كأيٍّ من الأدباء أو القصصيين، بل يفوقهم الكثير، ويفوقهم بما هو أكثر من الكثير.

ولئن كان هوميروس يحتل بين الشعراء المكانة الأولى منذ الأزل حتى اليوم، فإن ملحمتيه «الإلياذة» و«الأوديسة» لتحتلان كذلك الصدارة من دون ما وصلنا حتى عصرنا من ملحمٍ وقصصٍ رائعة.

هذه إذن «أوديسة» هوميروس، ملحمة هذا الشاعر الفطحل، وهي قصةٌ شعريةٌ بل ملحمةٌ قصصيةٌ راسخةٌ متينةٌ البناء، مكينةٌ الأركان، تُصوّر لنا أموراً لها العجب العجاب، وترسم لنا أحداثاً يشيب لهولها الولدان، وتحمل إلينا أجواءً مفعمةً بالعجبائب والغرائب تبهرنا بروعتها، فتُزهق أرواحنا حيناً، وتبعث الأنفاس فيينا طوراً.

البطل أوديسيوس



أوديسيوس.

طوفان من الوقائع والروائع في خضم من الأحداث الممتعة الشيقة يقوم بها بطل من أمجد أبطال الإغريق، ومن أكثرهم براءة في الأعمال وجسارة في القتال ومهارة في الخداع والاحتيال.

هذا هو «أوديسيوس» Odysseus أو «أولوسيس» Ulysses أو «أوليكسيس» Ulyxes أو «أوليكسيس» Ulixes، ابن لايرتيس Laertes ملك إيثاكا و«أنتيكليا» Anticlea الذي تزوج بينيلوبى Penelope وأنجب منها ابنًا اسمه تيليماخوس Telemachus.

نعم، هذا هو أوديسيوس — كما كان يُحب الأغارقة أن يُسمُّوه — أشهر أبطال الإغريق الصناديد؛ لأنَّه كان يفوقُهم في الصيت وبعد الشهادة.

## إصابة أوديسيوس

ولأوديسيوس هذا — في شبابه — حكاية؛ فقد حدث أن التقى بخنزير بري أثناء الصيد الذي اشترك فيه ذات يوم عند زيارة جديه في بارناسوس Parnassus فجرحه الخنزير في ركبته أثناء صراعه معه، فترك هذا أثراً في جسمه.

## قوس أوديسيوس

واشتهر أوديسيوس أيضًا بقوس له قصة، كان أبوه قد أرسله إلى لاكيديامون في سفارة، فأهداه صديقه المضيف «إيفيتوس» Iphitus قوس «يوروتوس» Eurytus المشهور الذي ساعدَه في مناسبات طيبة. وبعد مُضي عدة سنوات قام أوديسيوس برحلة ثانية ليحصل من ورائتها على سُم لسهامه، طاف فيها حتى وصل «بافوس» Paphos لأنَّ صديقاً له يُدعى «إلوس» Ilus كان يسكن عن قرب، رفض الظعن خوفاً من الآلهة.

## دور أوديسيوس في زواج هيلينا

وكان أدوسيوس في ذلك الحين، أو قُبيل ذلك، قد انضم إلى جماعة خطاب «هيلينا» Helen الذين وافقوا جميعاً على فكرة أوديسيوس بأن يتركوا لهيلينا، أفتَن نساء عصرها، حرية اختيار زوجها، وأن يَحْمُوها في المستقبل وقت الحاجة.



أوديسيوس يحمل قوسه المشهور.

ولكم تمنَّى أوديسيوس أن يتزوج هيلينا هذه؛ فقد كانت في عيونه حلوة كالشهد،  
بيد أنه لم يُوفَّق كما لم يُوفَّق غيره من المتقدمين للزواج منها، ولكنه عزَّى نفسه بزواجه  
السابق من بينيلوبي اللبيبة الغنية. وإلى هذا كان عليه أن يجتهد إلى حياة سهلة خالية من  
الهموم، فكان سعيداً وملقاً قادراً شهيراً معروفاً بكرمه واحترامه للآلهة وخاصة زوس،  
كبير الآلهة، وأثينا، ربة الحكمة.

### زوجة أوديسيوس

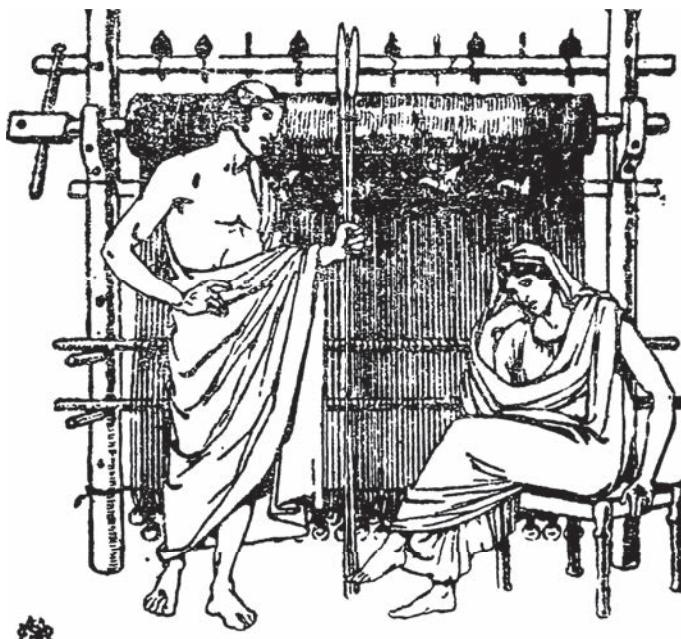
كانت بينيلوبي، إذن زوجة أوديسيوس بطل الأبطال، فمن هي بينيلوبي هذه؟!  
كانت بينيلوبي ابنة «إيكاريوس» Icarius والحوالية «بيريبويا» Periboea، أنجبت  
بعد زواجهما من أوديسيوس ولدًا اسمه «تيليماخوس».

كان قد تقدم الكثيرون إلى بينيلوبي وهي عذراء يطلبون يدها، ولكن والدها رفض  
أن يُزوجها إلا من يفوز في سباق على الأقدام، ففاز أوديسيوس إلا أن إيكاريوس أراد أن

يحدث في وعده، فاقتصر أوديسيوس أن يُترك الأمر لبينيلوبى تفصل فيه، فأبدت رغبتها في أن تذهب معه بعد أن أخذت حُمرة الخجل تحت النصف. وعندما سافر أوديسيوس إلى الحرب الطروادية كانت بينيلوبى لا تزال فتاة في ريعان الصبا، كما كان تيليماخوس طفلاً، فانتظرتْه عشرين عاماً استغرقت الحرب منها عشر سنين، وكان يتجول أوديسيوس في العشر سنين الأخرى.

### العشاق ينهاون وبينيلوبى تخدعهم

وليس غريباً أن يكون قد التفَ حول منزل بينيلوبى، إبان غياب بعلها، كثيرٌ من طالبي يدها وراغبي الزواج منها، ثم راحوا يُجذبونها من أملاكمها، وينجذبون إليها عيشتها، قائمين في منزلها ليل نهار آكلين وشاربين، ينتظرون كلمتها ورضوخها للزواج من أحدهم.



تيليماخوس مع أمه بينيلوبى بجوار المنسج.

وقد أفلحت بينيلوبى، المخلصة في مراوغتهم ثلاثة سنوات بأن احتجت بأنها لا بد وأن تنسرج كفناً للایرتيس والد أوديسىوس العجوز، ثم تَفْصِلُ في الأمر بعد أن يتم، ولكنها كانت تحُلُّ بالليل ما تنسجُه بالنهار. وأخيراً وشى بها خدامها وأطلعوا راغبى الزواج على حيلاتها، وتحرَّجَت الحال لآخر درجة، حتى عاد أوديسىوس في ثوب سائلٍ، فتعرَّفَت عليه زوجته مستعينةً بعدة علامات، وابتھجَت بعودته أوديسىوس ورجوع سعادتها وهنائها.

## كيف صَرَّ الشاعر زوجة البطل؟

كانت بينيلوبى إذن تُعتبر مثال الزوجة المخلصة التقية، الصالحة الوفية التي صورَها هوميروس في الأوديسة كامرأة رائعة الجمال حميدة الخصال، كريمة ذكية فطنة وفية، محبة لزوجها وابنها مُحترمة في بيتها، ماهرة في الفنون التربيبية، تتحمل المصائب بجلد وروية، رقيقة الإحساس مُوّقرة بين الناس.

## أوديسىوس يتظاهر بالجنون

نعود الآن إلى المغوار أوديسىوس لنذكر لك شيئاً عن مغامراته وأحابيله. لما خطف «باريس» Paris «هيلينا» من زوجها «مينيلاؤس» Menelaus، قامت الحرب الطرادية. وبالرغم من محاولات أوديسىوس السابقة لحماية مصالح هيلينا وزوجها، كان غير راغب في الذهاب إلى الحرب، فتتظاهر بالجنون وصار يحرث مع الحيوانات التي لا يمكن وضع النَّيْر فوق أعناقها، وأخذ يبذر الملح كأنه يبذر بذوراً، ولكن «بالميديس» Palamedes أحد أبطال الإغريق، أدرك هذه الحيلة واتهم أوديسىوس بادعاء الجنون، وبرهن على صحة قوله بأن وضع تيليماخوس - ابنه الوحيد - في طريق المحراث ليرى هل سيتفادى أوديسىوس ابنه. وترتب على ذلك أن ذهب أوديسىوس إلى الحرب تطْنُّ في آذانه النبوءة المحزنة القائلة بأنه سوف لا يرجع إلى بلده إلا بعد عشرين عاماً، ويكون وحيداً مُعوزاً مجهول الشخصية فاقداً جميع سُفنه ورفاقه.

## حرب طروادة

والآن، ما الدور الذي لعبه أوديسىوس في تلك الحرب الضروس التي قامت في «طروادة» Troy واستمرت عشر سنواتٍ من أجل الملعونة هيلينا؟!



هيلينا وبارييس.

عندما احتشدَت السفن بالقرب من طروادة كانت سُفنُ أوديسيوس الائتلا عشرة في وسط الصف عند الشاطئ حيث كان مركز القيادة العامة. وكان أوديسيوس أحد الرؤساء العظام في هذه الحرب الذين اتصفوا بالقوة والإقدام وسرعة العَدُو. وكان أشهرَ رجلٍ في استخدام القوس بعد «فيليوكتيتيس» Philoetetes، وكان هو المسئول عن النصر والدفاع العنيف ساعة اليأس، وبالاَخص في المشورة؛ إذ كان أحْكَم الجميع في وضع الخطط، وأكثُرهم فصاحةً وقوه إقناع؛ ولذا كان سفِيرًا جديراً ورجلاً عظيماً يقضى على الخلافات ويسُوئي الأمور التي تتشَبَّه بين الإغريق بدهائه وقوه تفكيره؛ فهو الذي أعاد خروسياس Chryseis ثانيةً إلى أبيها بناءً على رغبة «أجاممنون» Agamemnon أكبر قادة الإغريق.

### أوديسيوس يتَدَثَّر في ملابس النساء

و قبل أن ينضم «أخيل» Achilles إلى قوات طروادة كان من مهام أوديسيوس البحث عن أخيل وحثه على المجيء بعد أن كان مخفياً في قصر «اللوكميديس» Lycomedes متذمراً

في ملابس النساء تبعاً للخطة التي دبرتها أمه كي تحول بينه وبين الموت الذي ينتظره في طروادة، فاخترق أوديسيوس باب القصر في زيٍّ باهٍ وعرض على السيدات أسلحةً بين السلع الأخرى التي تجذب رغبة النساء، فأعجب أخيل بالأسلحة، وبذا كشف عن شخصه، واضطربَ إلى مصاحبة أوديسيوس مع «أجاكس التلاموني» Ajax the Telamonian للحصول على درع أخيل ففاز به.



البطل هرقل.

كما أحضر «نيوبتوليموس» Neoptolemus بن أخيل إلى الحرب ليعمل محل أبيه، وأقنع «فيلوكتيتيس» أن يدخل الحرب بعد أن صار معلوماً أنه لا يمكن الاستيلاء على طروادة إلا بسهام هرقل Hercules التي في حوزته، فتنгр أوديسيوس في ثوبٍ باٍ لأحد

كلمة لا بد منها

العيّد، ودخل طروادة مع ديوميديس Diomedes كجاسوس، ونجح في حمل البالاديوم Palladium، وكان تمثلاً لأثينا.

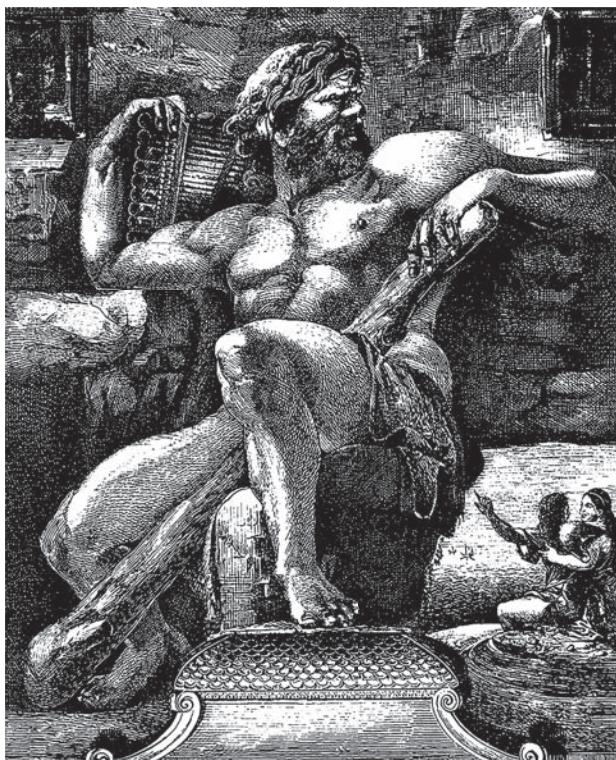
## حصان طروادة



حصان طروادة.

وإلى أوديسيوس يرجع الفضل في بقاء المدينة يُخْيِّم عليها السلام طُول مدة إقامته فيها. كما يرجع إليه الفضل أيضاً في سقوط المدينة أخيراً؛ إذ هو الذي وضع خطة الحصان الخشبي، وقاد بنفسه جماعة المارببين المختبئين داخله، وساعد في الاستيلاء على هيلينا وأفلح في إرجاعها دون أن يلحقها أدنى ضرر، إلى مينيلاوس.

## عودة أوديسيوس من حرب طروادة



بولوفيموس العملاق وحيد العين.

وهكذا انقضت عشر سنين على غياب أوديسيوس عن وطنه، وبعد ذلك ابتدأت العودة إلى إيثاكا Ithaka التي اتخذها هوميروس موضوعاً لأوديسيته Odyssey، فكانت أعظم وأول الأشعار الحماسية مكانة.

رسا أسطول أوديسيوس في أول الأمر تكتنفه الرياح والأعاصير عند «إسماروس» Ismarus مدينة «الكيكونيين» Ciconians الذين قتلوا عدداً من رجاله دفاعاً عن أنفسهم من النهب والسلب. وبعد ذلك هبّت ريحٌ شمالية عاتية استمرّت عدة أيام، فدفعت الأسطول بعيداً إلى بلاد قومٍ يأكلون اللوتّس، وبمجرد رسوّهم أرسل أوديسيوس إلى السكان ثلاثة



أوديسيوس أسفل الكبش.

سفراء من رجاله. فاستقبلوهم بكل حفاوة وقدّموا إليهم طعاماً من اللوتس كان تأثيره عليهم أن أفقدّهم كل حنين إلى الأهل والوطن، فلما لاحظ أوديسيوس الخطر المحدق به وببرجاله أمرهم أن يتعلّقوا بالسفن ثانية، فأبحروا حيث وصلوا إلى بلاد «الكوكلوبيس» Cyclopes، وهم عمالقة ليس لهم إلا عينٌ واحدة، يقطنون المغارات ويرعون الأغنام، فرسأ على شاطئهم وخرج هو واثنا عشر رجلاً من زملائه الأشداء يجوسون خلال البلاد، فوجدوا كهفاً لأحد الكوكلوبيس يُدعى بولوفيموس Polyphemus الذي عندما رأهم في كهفه أمسك باثنين منهم، وطرحهما أرضاً وابتلعهما، وحبس البقية في الكهف، ووضع حجرًا ضخماً على مدخله ليمنع خروجهم، ولكن أوديسيوس تغلّب عليه بدهائه، فأعطاه جرعاتٍ كبيرة من خمر شديدة التأثير كان قد أحضرها معه. ولما نام من فعل الخمر وضع أوديسيوس قضيّاً هائلاً في النار حتى استعر، وفقاً به عين بولوفيموس الذي هام على وجهه يصرخ داخل الكهف وهو في سكرة الموت منادياً زملاءه لنجاته، فلما لبّوا نداءه وسألوه عما أصابه أجابهم أن نومان Noman يقتله (ويعنى نومان «لا أحد») إذ كان أوديسيوس أخبره بأن اسمه «نومان» فتركوه وانصرفوا قاتلين إذا كان لا أحد يقتلك فلا بُد وأن يكون ذلك فعل الآلهة، وهذه هي النهاية آتية من عند زوس.

ولما قاد بولوفيموس الأعمى أغنامه في الصباح، ربط أوديسيوس زملاءه تحت بطونها وهرب هو شخصياً بأن اختباً تحت جسم كبش كبير، وبذلك أفلت هو وزملاؤه من العملاق الذي كان يتحسّس ظهور جميع الأغنام وهي خارجة من باب الكهف.

ولما ركبوا سفنهما أخذوا يُجدّدون بسرعة، ولكن أوديسيوس لم يُطِق كتمان شخصيته عن العملاق فنادى بأعلى صوته وأعلن اسمه الحقيقي للعملاق، فتميّز الكوكلوب من شدة الغيظ، وألقى بصخرةٍ هائلة نحو السفينة فأخطأها.

### لعنة الكوكلوب تنزل على أوديسيوس



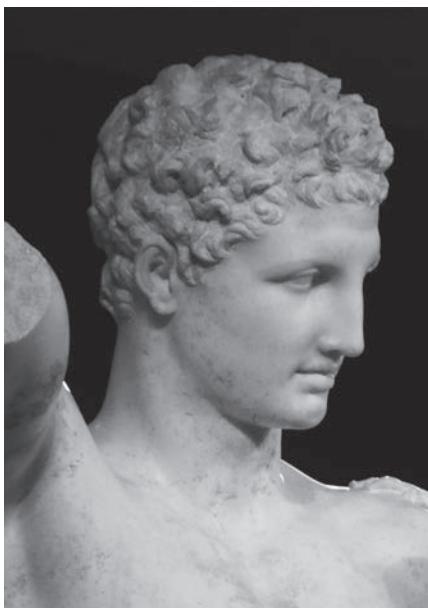
بوسايدون (إله البحر).

فصلَ الكوكلوب الأعمى إلى أبيه بوسايدون Poseidon، رب البحر، أن يعاقب أوديسيوس فلا يعيده إلى وطنه، وإن سمح له بالرجوع إلى وطنه، فليَصِل وحده وبعد كل مشقةٍ وعناء، وتلاقيه صعابٌ هناك.



الساحرة كيركي والخنازير.

اقرب أوديساوس بأسطوله من جزيرة أيلوس Aeolus، ملك الرياح، الذي أكرمه عند شهرًا. وعند رحيلهم سلط عليهم ريحًا مواتية لتشق طريقهم إلى الوطن، بينما حجز جميع الرياح والزوايا المضادة في حقيبة من الجلد، وأعطتها لأوديساوس ليحتفظ بها حتى يصل إلى وطنه. ولما صاروا قاب قوسين أو أدنى من أرض الوطن فتح البحارة الحقيبة في أثناء نوم أوديساوس، فجرفُتهم الأعاصير إلى أيلوس ثانية، فلم يستقبلهم هذه المرات. فأبحروا بصعوبة حتى وصلوا إلى بلاد اللاستروجونيّين Laestrygonians التي جذب ميناها إحدى عشرة سفينةً فولجتها. أما أوديساوس فقد ظل خارج الميناء، وكان حرصه هذا سببًا في نجاته؛ لأن السكان المتوحشين أكلوا لحوم البشر أغرقوا جميع السفن الأخرى، وقتلوا رجالها، فنجا أوديساوس بسفينته.



هيرميس (رسول الآلهة).

فَلَمَا وَصَلَ إِلَى جَزِيرَةِ إِيَايَا Aeaea حَيْثُ كَانَتْ تَحْكُمُ السَّاحِرَةُ كِيرْكِي Circe أَرْسَلَ أُودِيْسِيُوسَ رَجَالَهُ لِاِسْتِكْشَافِ الْجَزِيرَةِ، فَحَوَّلَتْهُمْ كِيرْكِي إِلَى خَنَازِيرٍ، وَلَكِنْ قَائِدَهُمْ يُورُولُوكُوس Eurolochus شَكَ فِي أَمْرِهَا فَلَمْ يُذْقِ طَعَامَهَا السُّحْرِيِّ، وَبِذَلِكَ نَجَّا وَأَخْبَرَ أُودِيْسِيُوسَ بِالْأَمْرِ، فَخَفَّ فِي الْحَالِ لِنَجْدَةِ رَفَقَائِهِ، فَقَابَلَهُ هِيرَمِيسَ Hermes، رَسُولُ الْآلَهَةِ، فِي الْطَّرِيقِ وَأَعْطَاهُ نَبَاتًا وَاقِيًّا مِنَ السُّحْرِ، فَتَحَصَّنَ بِهِ وَذَهَبَ لِمُقَابَلَةِ كِيرْكِي شَاهِرًا سِيفَهُ وَهَدَّدَهَا بِالْمَوْتِ إِنْ لَمْ تُطْلِقْ سَرَاجَ رَجَالَهُ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ وَمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ إِذَاً اسْتَقْبَلَتْهُمْ جَمِيعًا. وَبِهَذَا اسْتَمْنَتْ أُودِيْسِيُوسَ فَظَلَّ بِجَوَارِهَا عَامًّا.

وَأَخِيرًا حَضَّهُ زَمَلَاؤُهُ عَلَى الرِّحْيلِ أَوَّلًا لِزِيَارَةِ بَلَادِ الْكِيمِبِرِيِّينَ Cimbri وَهِيَ جَزْءٌ مِنْ مُكْلَةِ بُلُوْتُوَ Pluto، رَبِّ الْجَحِيمِ، لِاِسْتِشَارَةِ النَّبِيِّ تِيرِيسِيَّاسَ Teirisias عَنْ مُسْتَقْبَلِهِ. وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكِبَ الْبَحْرَ كَيْ يَقُولَ بِهَذَا، وَأَنْ يَتَرَكَ سَفِيَّتَهُ تَحْتَ رَحْمَةِ الْرِّيَاحِ تَسْوُقُهَا أَيْنَمَا شَاءَتْ.



السيرينيس.

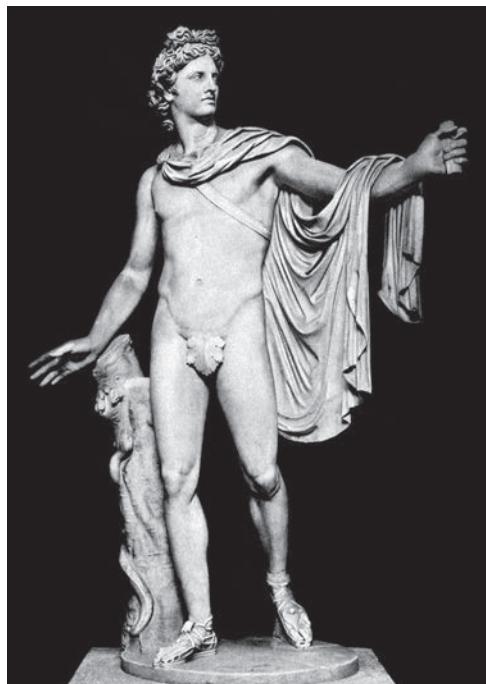
فعل ذلك وحَطَّ رحاله، وحفر خندقًا يجري فيه دم الحيوانات التي تَحررها ذبيحةً للآلهة، فتجمَّعت أرواح الموتى لتشرب من الماء، فسمح أوديسيوس لتيسيسياس أن يشرب فاسترجع قدرته على الحديث وتفوه بالنصائح وال المعلومات المطلوبة، ثم شربت والدة أوديسيوس حتى صارت قادرةً على إطلاعه على حالة الوطن السيئة، كما تكلم معه كثيرٌ من أولئك القُوَاد الأبطال الذين ماتوا في حرب طروادة؛ ومن ثُمَّ عاد أوديسيوس إلى كيركي، وأقلع إلى وطنه هو وجميع رفقاءه، فسار بمركبته حِذاء الساحل حيث غنت السيرينيس *Serines* تُخوِي الرجال إلى هلاكهم، فأراد أن يستمع إلى أغانياتهن رغم تحذير كيركي جميع رجاله، إلا أن أوديسيوس أغلق آذانهم بالشمع وأمرهم أن يُجذّفوا عبر السيرينيس، ورغم أنها جذَبَته كثيرًا كما جذَبَت الرجال الآخرين إلا أنه نجا.

## أوديسيوس وسط وحوش البحر



أوديسيوس وسکولا.

أما المغامرة التالية فقد أودت به خلال مضيق يقام على أحد جانبيه حيوانٌ مخيفٌ يُسمى خاروبديس Charybdes، غاطسًا في البحر ثلاثة أيامٍ بالقرب منه وفوق ظهره جميع السفن. كما تقوم على الجانب الآخر سكولا Scylla التي لا تقلُّ بشاعةً عن الوحش، وكانت تبتلُّ كل من يصل إليها برعوسها الكثيرة، فتتبع أوديسيوس تعليمات كيركي، وبذلك صان مركبته من خاروبديس، ولكنه أبحر بالقرب من سكولا كثيراً، ففقد ستةً من رجاله استطاع الوحش أن يمسك بهم أمام عيني رأسه. ووصلوا بعد ذلك إلى ثرييناكيا Thrinacia حيث كانت تحجز ماشية هيليوس Helius الشمس. وكان أوديسيوس على وشك الرحيل لو لم تُحدِّره كيركي وتيريسياس بأنه إذا قتل هذه الحيوانات المقدسة يجلب على نفسه عقاباً قاسياً، ولكن رجاله طلبوا أن يستريحوا فترةً؛ إذ كانوا في حالة يُرثى لها من شدة الإعياء



هيليوس (إله الشمس).

والتعب، ووعدهم ألا يمسُّوا شيئاً منها، فوافق أوديسيوس. غير أن الرياح المضادة حالت بينهم وبين الإبحار مدةً طويلة حتى نفدت مئونتهم، فانتهزوا فرصة نوم أوديسيوس ذات يومٍ وذبحوا بعضًا من الماشية وأقاموا وليمة، فتَّالَمْ هيليوس من هذا التصرُّف واشتكى إلى زوس أمام الآلهة وطلب إزالة العقوبة بهم، فلما ظعن أوديسيوس في النهاية، أرسل زوس عليهم ريحًا صريراً عاتية حطَّمت المركب، وأغرقت جميع الرجال ما خلا أوديسيوس لبراءته، فأمسك بحطام السفينة وحملته الأمواج إلى خاروبديس مرةً ثانية، غير أنه استطاع النجاة من شره بصعوبةٍ بأن تعلق بشجرة عند حافة الماء ثم جدَّف بيديه مستنداً إلى كتلةٍ خشبية، وبعد أيامٍ قذفت الأمواج إلى ساحل أوجوجيا Ogygia جزيرة كالوبسو Calypso، فاستقبلته الحورية بكل ترحاب، ثم هامت بحبه وأبقيته معها مدةً تزيد على سبع سنوات، ثم اشتق إلى وطنه وكانت تقصصه السفينة والملاحون، فحاولت هي أن تثنّيه عن عزمه بأن



بلوتو (رب الجحيم).

وعدته الخلود والشباب الأبدي إن بقي معها، ولكن لم يُجد ذلك فتيلاً. وأخيراً تشفقت له أثينا عند زوس فأرسل هيرميس يأمر كالوبسو بمساعدته في الرحيل، فاشتركت معه في بناء زورقٍ سطحي، وأمدَّته بالمؤن الازمة للرحلة، فظل يُبحر عدة أيام حتى لمحه بوسايدون من بعيد وأحدث زوبعة هشمت زورقه. وفي هذه المحلة قدَّمت إليه ليوكوثيا *Leocothea* حورية البحر، وشاحَا لفَّه حول وسطه فساعدته كثيراً؛ إذ استطاع أن يسبح به ثلاثة أيام تقريرياً حتى وصل أخيراً إلى شواطئ سخوريا *Schyria*، أرض الفياكييس *Phaeaces*. وكان هذا الشعب المسالم القريب الوصول إلى الآلهة، شعباً مهنته الإبحار ودينه فنون البحر، وكانت لسفنه سرعة الطيور ولا تحتاج إلى مُرشِّد يقودها؛ إذ إن السفن نفسها لم تنقصها الفطنة.

## ناوسيكا تنقذ أوديسيوس

استلقى أوديسيوس منهوك القوى من جرّاء كفاحه العنيف مع الأمواج، فوق كومةٍ من أوراق الأشجار بين الأعشاب، فجاءت في ذلك الوقت ناوسيكا Nausicaa ابنة الملك إلى الشاطئ تصبحها خادمتها كي تغسل ملابسها، وكانت أثينا قد أمرتها في حُلمٍ أن تذهب هناك؛ لأنها أرادت منها مساعدة أوديسيوس، فأقلق حديثهن أوديسيوس وتقديم إليهن يطلب المساعدة، فأزعجهن منظره، ولكن توصلاته حرّكت ناوسيكا فوعدهته بحماية والدها، وأعطته ملابس جديدة استقبله بها الملك ألكينوس Alcinous، وبعد أن عرض أمام الملك شجاعته الرياضية في المباريات، عاد إلى القصر ثانيةً واستمع إلى أنشودة ديمودوكوس Demodocus المغنّي الأعمى الذي ظل يتغنى بحصان طروادة الخشبي، فحرّكت الأفنية مشاعر أوديسيوس، فبكى أوديسيوس وأطلاعهم على اسمه الذي كان معروفاً لهم منذ زمن طوويل، وبناءً على رغبة الملك أعاد أوديسيوس على مسامعه ذكريات مغامراته، وتحقيقاً لتوصلاته الملحّة أرسل إلى وطنه على ظهر سفينة وقفّت به عند إيثاكا ثم أبحرت، ولكن بوسايدون في ثورة غضبه حوّلها إلى حجرٍ وثبتّها في البحر كجزيرةٍ صخريةٍ.

## عودة أوديسيوس إلى وطنه

وهكذا بعد مرور عشرين عاماً عاد أوديسيوس ثانيةً إلى وطنه الأصلي، بيد أن مخاطراته لم تكن قد انتهت بعد، فلما استيقظ جاءت إليه أثينا وحذّرته بأن كثيراً من شبان الوطن المتقدمين للزواج من بينيلوبى، يقومون بإدارة الوطن في بيته بدلاً من بينيلوبى نفسها وابنها تيليماخوس، ثم حوّلت الربيبة شكله إلى شحّاذ يلبس أسمالاً بالية لكي تحميه، فذهب في زيه هذا إلى كوخ يومايسوس Eumeaus راعي خنازيره الأمين، فاستقبله ولو أنه لم يتعرف عليه. وعند ذلك جاء تيليماخوس عائداً من رحلته الطويلة التي كان يبحث فيها عن معلوماتٍ عن والده، فكشف أوديسيوس النقانع عن حقيقة شخصه، ووضعاً معًا الخطة التي يمكن بها استرجاع الحكم. وفي اليوم التالي ذهب في حُلّته البالية إلى بيته حيث لم يتعرّف عليه أحد غير كلبه العجوز «أرجوس» Argos الذي مات من الفرح عند مقابلة سيده. أما المتقدّمون للزواج من بينيلوبى فسخروا منه، ولكن بينيلوبى أحسنت استقباله، وأمرت خادمتها المسنة يوروكليا Euryclia أن تغسل قدمي الغريب. وفي أثناء قيامها بغسل قدّميها اكتشفت العلامة القديمة التي كان الخنزير الوحشي قد تركها فيه منذ عدة سنوات، وبذلك تعرّفت عليه.



يوروكليا تغسل قدمي أوديسسيوس.

### مباراة تنقلب إلى مذبحة

وباءِرٍ من أثينا اقتربت بيئلوبى إقامة مباراة بين طالبى الزواج منها، وجعلت من حق الفائز أن يتزوجها؛ لأنها ظنت كما ظن الناس جميعاً أن أوديسسيوس قد لقي حتفه؛ لأنها حتى هذه الآونة كانت تتحبّهم بنسيجها؛ إذ اتفقت أن تتزوج بعد أن تنتهي من ذلك النسيج. وكانت تنسج بالنهار قليلاً ثم تعود بالليل فتحلّ ما نسجته. وفي النهاية اكتشف المتقدمون للزواج منها حيلتها، فاقتربت عليهم أخيراً أن يحاول كل واحدٍ منهم شد وتر قوس أوديسسيوس الشهير ثم يطلق به سهماً خلال اثنى عشرة حلقة متراصة في صفٍ واحد، فوافق الجميع إلا أنه لم يتمكّن أحد من تركيب الوتر للقوس، فأعطى تيليماخوس الشحاذ فرصةً كي يُجرب حظه وسط ضحك وسخرية المتقدمين للزواج، فإذا بأوديسسيوس يُرّكب الوتر بمنتهى السهولة إلى قوسه ويقذف بالسهم خلال الحلقات، ثم انتقى سريعاً هدفاً آخر وسدّ سهماً إلى أكثر المتقدمين للزواج سفاهةً فأرداه قتيلاً، فأسرع الجميع يبحثون عن أقواسهم وعدّتهم التي سبق أن أخفاها تيليماخوس، ثم حاولوا الهروب، بيد



يوروكليا تتعرف على أوديسبيوس.

أن الأبواب كانت مُغلقة. وبذلك تمكّن أوديسبيوس وتيليماخوس وراعي الخنازير بمساعدة أثينا من قتل جميع المتقدمين للزواج، ولكن بينيلوبى حتى هذه اللحظة لم تكن تدقّ بأنه هو أوديسبيوس حتى تبيّنَت شخصيته تماماً عندما قَصَّ عليها أسراراً كانت تعرفها هي وحدها. وواجهه أوديسبيوس حرباً أخرى عندما جاء أقارب المتقدمين للزواج كي ينتقموا منه ففهمهم وأقام صرح السلام. ولو كان لنا أن نؤمن بقول تيريسياس فإن أوديسبيوس عُمر طويلاً، ومات أخيراً في هدوء وسلام.

هذه كلمة جامعة لهذا العمل الذي بين يديك، وعُجالة تكشف لك دعامتين القصة التي أنت بصدّ قراءتها، مع تصوير لأبرز أحداثها.

بيد أنه لا تثريب علىَّ لو وجدتني أنتقل من هذه العُجالَة إلى موضوع آخر، إلى هوميروس نفسه، إلى الشاعر الذي ترجمنا لك أشعاره في لذة تفوق الوصف؛ فمما لا شك فيه أنه جدير بعنايتنا وبالغ اهتمامنا.

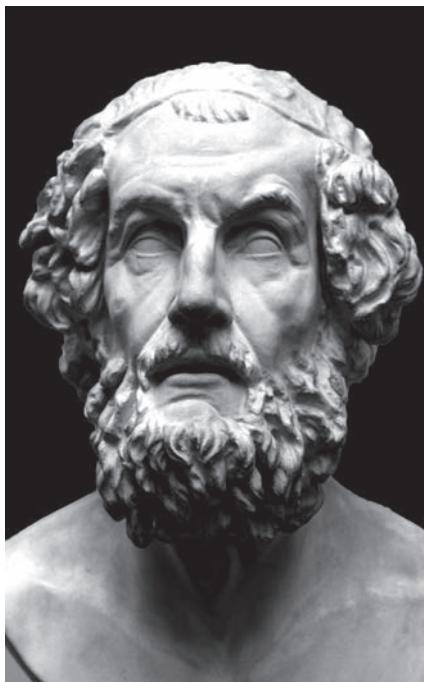


## مولد هوهوميروس

تُواجهنا صعوبةً في تحديد التاريخ والعصر اللذين عاش فيما بينهما هوهوميروس. وفي الواقع ليست هناك أية تواريَخ محدَدة لموالده أو لماته. والسبب في ذلك يرجع إلى افتقارنا الشديد إلى تاريخ ثابت حقيقي جاء ذكره في أيٍ من ملحمتيه أو في أي مؤلَفٍ من مؤلَفات معاصريه، ولأنَّ باحثي الآثار كذلك لم يتركوا لنا ما يشير إلى هذه التواريَخ؛ إذ أغفلوا ذكر البيانات الزمنية التي يمكننا أن نستند إليها؛ ولذا فَأيَّةً محاولةً منا لتحديد العصر الذي عاش فيه هوهوميروس لا بد وأن تكون محاولةً قائمة على عنصر التخمين والحدس لا تعطي القارئ نتيجةً حتميةً بل نتيجةً تقريبيةً.

ومع ذلك فهناك حقيقةً سافرة وهي أنَّ تاريخ هوهوميروس يمكننا أن نربطه بتاريخ شاعرٍ آخر يُدعى هسيود Hesiod يقول البعض إنه عاش قبل هوهوميروس، كما يقول فريقٌ آخر مثل هيرودوتس Herodotus المؤرخ اليوناني الشهير إنه وهوهوميروس عاشا في عصرٍ واحد؛ أي إنَّهما معاصران. بيد أنَّ هناك من يقول إنَّ هسيود عاش في عصر يلي عصر هوهوميروس. وأصحاب هذا الرأي الأخير من أمثال فيلوكوروس Philochorus وإكسينيفون Xenophon وبوسيدونيوس Posidonius يؤيدون رأي النقاد الإسكندريين، فـأيَّهم يحق لنا أن نُصدِّق؟

أما الذين يعتقدون بأنَّ هسيود عاش في عصرٍ سابقٍ لعصر هوهوميروس فيؤيدون وجهة نظرهم قائلين إنَّ هسيود عاش في بداية حكم الملك أركسيبوبوس Arxippos في حين أنَّ هوهوميروس عاش في نهاية حكم هذا الملك، وبذال يضعون هسيود قبل هوهوميروس بثلاثين عاماً تقريباً، ولكنَّ هناك دليلاً قاطعاً يُثبت خطأ رأي هذا الفريق؛ إذ كيف يُحدِّثنا هسيود في منظومته «الأعمال والأيام» Works and Days عن عصر الأبطال، ذلك العصر الذي



هوميروس.

جاء ذكره فقط في منظومتي هوميروس؟ كيف تأتى له أن يذكُر لنا ذلك العصر بالتفصيل فيُشَوَّهُ بذلك حلقة العصور كما حاول أن يُصوِّرها هو لنا، فـيُحَدِّثنا عن عصر الأبطال الذي أبدع هوميروس في الحديث عنه؟

أما الذين يميلون إلى الاعتقاد بأن هوميروس عاش في عصرٍ سبق عصر هسيود فممنهم من يرى أنه عاش قبله بقرنٍ واحدٍ من الزمان، وبذا يُحدَّد له عام ٨٥٠ إلى ٨٣٥ ق.م.، ويفيد هذا الرأي العالم كروازيه Croiset بقوله: إنه من المستحيل أن يكون هوميروس قد عاش بعد عام ٨٥٠ ق.م. ويدعم رأيه قائلاً: إن أثر الأشعار الهومرية كان واسعاً شاسعاً، وشهرتها كانت قد وصلت إلى الأفاق البعيدة في الوقت الذي كانت فيه المنظومات الهسيودية لا تزال في دور الوضع أو قد شارفت النهاية؛ ولذا لا يمكن إزاء هذا أن يكون هسيود قد عاش بأية حالٍ قبل نهاية العصر الهومري.

ولئن أخذنا برأي الذين يُخبرون بمعاصرة هسيود لهوميروس، لاستطعنا أن نُحدّد لكليهما تاريخاً معيناً، فهيرودتس أحد الذين يدينون بهذا الرأي يقول: إن هوميروس وهسيود عاشا في عصرٍ يسبق عصره بأربعين سنة تماماً. ولما كان هيرودتس قد ولد عام ٤٤٨٤ ق.م.، ومات عام ٤٣٠ ق.م.، إذن فلا بد وأن شاعرَيْنا قد عاشا في الفترة بين ٨٤٨٤ و٨٣٠ ق.م؛ أي ما يمكن لنا أن نُحدّد به عام ٨٥٠ ق.م. تقريباً. وهذا تاريخ يُنسَب عادة إلى هوميروس ويُعُضَّده الأديبان الإنجليزيان ألن Allen وبرين Burn.

## موقف هوميروس الأدبي

لعب هوميروس دوراً عظيماً في تسجيل أحداث زمانه، والتزمُّ بشجاعة رجاله وأبطاله، والإشادة بجسارة المحاربين الذين تفانوا في الدفاع عن سمعة وطنهم وشرف نسائهم. وكان هوميروس يُعتبر معلمًا ولكنه – بخلاف هسيود، وريث عرش الشعر من بعده – معلمٌ غير مباشر؛ إذ كان دائمًا خيالياً في فنه وتصويره، حتى لنصدق إن قلنا إنه عالمُ الشعراء الآخرين كيف يُتقنون فن الأكاذيب كما يجب، فضلاً عن أنه راح يُعلمُ بني جنسه الشتون الحربية.

إذن كان الإغريق القدماء يعتبرون هوميروس شاعرهم التربوي، وملقنهما الأول، ورائدhem الأعظم؛ ولذلك انتشرت أشعاره في نطاقٍ واسع.

ورغم اعتبار كلٍّ من هوميروس وهسيود مُعلَّمي العصور القديمة، ورغم استعمالهما لهجةً واحدة وأسلوبًا واحدًا، إلا أن هوميروس غير هسيود، ومعلومات الأول غير معلومات الثاني، فالفرق بينهما شاسع بلا شك؛ إذ لا يخاطب هوميروس غير الأشراف وطبقة الأرستقراطيين، ولا يكتثر بطبقات العوام ولا يلتفت إليها، بينما لم يهتم هسيود لغير طبقة العوام، فالأخير بلا شك لسان حال هذه الطبقة.

فلا تُكِرِّمُ إلِياذة هوميروس وأوديسته غير طبقة الأشراف ولم يُوجِّه صاحبها نظره قط إلى طبقة العامة؛ إذ يرى المرء أن هذه الطبقة لا تتطلب من المرء أي اهتمام لما يصدر منها من نشاط، فلم يحفل بها ولم يعبأ بشؤونها، فليس من شئون الفلاح أو الجندي العادي الذي حارب أمام أسوار طروادة أن يتدخل في العلاقة بين الآلهة والبشر.

كان هوميروس فوق ذلك أشبه بالخيال أو الطيف، يكتنفه الغموض وتتضاربُ حول شخصه الأقوال، لا يُحاول قط أن يُحدِّثك عن أية شخصية، ولا حتى عن شخصيته هو، فلم يذكر اسمه إطلاقاً في أي سطرٍ من سطور منظومتيه الشهيرتين.



الصخرة التي لم تستطع أمواج الزمان أن تحطمها.

ويتناول هوميروس في أشعاره الروايات التاريخية والمعامرات والمواضيع المسلّية، كما أنه يتغلغل في نفوس النساء فيحاول أن يُصوّر ما ينتابهن من مشاعر وإحساسات، فبدت أشعاره صورةً رائعة تعج فيها الجاذبية ويسجّب بين سطورها الغرام. كان هوميروس مغرّماً بالأبطال، فأمراؤه أبطال وكذا زعماؤه وقُواده وإلا لما ابتكر عصر الأبطال الذي تشبه أبطاله أنصاف الآلهة.

ونلمس في هوميروس إحساساتٍ مملوءة بالعاطفة واحتلالاتٍ مفعمة بالمشاعر، هي سندنا في حكمنا عليه بأنه شاعرٌ متفاصل.

وتتجلى عظمة هوميروس فيما بلغ إليه من صيّت عريض، لدرجة أن سبع مدن كانت تتنازع عليه كلُّ ترید أن تستأثر به لنفسها دون غيرها. ومن أشهر المدن التي تنافست على شخصية هوميروس هما مدينتا خيوس Chios وسمورنا Smyrna؛ إذ دأبت كلتا هما على الادعاء بأن هوميروس هذا ملكها، وقد ولد في ربوعها ونشأ في أحضانها وتربى على خيراتها.

أما المدن الأخرى التي أدعَّت بانتفاء هوميروس إليها فهي رودوس Rhodus وكولوفون Salamis وأرجوس Argos وأثينا Athenae .Colophon ومما لا يرقى إليه الشك أن أشعار هوميروس كانت الأساس المكين الذي نهضت عليه الآداب وال تعاليم الإغريقية.

ويرجع الفضل أيضًا إلى المنشدين في المحافظة على أشعار هذا الشاعر الفطحل؛ فمن المعروف أن هوميروس عاش في عصر لم تكن الكتابة تراوَل فيه إلا قليلاً جدًا إن لم يكن نادرًا.

وصولون Solon هو أول من لفت نظر مواطنه إلى ما في ملحمتي هوميروس من وحدة وترابط، أما بيزيستراتوس Peisistratus فأول من جمع أشعار هوميروس المشتتة وأمر بتدوينها كتابة.

هذا وينسبُ الأقدمون إلى هوميروس أشعاراً أخرى — عدا الإلياذة والأوديسة. ولعل أشهر هذه المنظومات الهوميرية المنظومة المسمّاة «معركة الضفادع والفيران» Batrachom yomachia وهي موجودة، وكذلك «المارجيتيس» Margites وهذه مفقودة، وتتسخَّر من رجلٍ قيل إنه يُعرف أشياءً كثيرةً ولكن بطريقةٍ سيئة لا تُدلُّ على أنه يُعرف شيئاً.

وكما حاول الكثيرون الطعن في هوميروس كمؤلف للحملتي الإلياذة والأوديسة، طعنوا فيه أيضًا كمؤلفٍ لأي منظوماتٍ شعرية أخرى.

فقد بدت هذه الأعمال الأدبية في نظرهم فوق مقدور رجلٍ واحدٍ وعقلٍ واحدٍ، ولكن مما لا شك فيه أن هوميروس بن مايون Maeon، الشاعر الضرير هو ذلك العملاق الذي كتب بملحمتيه صفحاتٍ الخلود بحروفٍ من نارٍ ونورٍ، فكان الشاعر الخالد والصخرة التي لم تستطع أمواج الزمان أن تُحطِّمها ولا معاولُ القدر أن تُفْتَّها، ولا حتى عقول البشر أن تسمو إليها، أو إلى سماكها الأعلى.



# القيمة الأدبية للصالح الهومرية

## نفوذ الإلياذة والأوديسة

يبدأ الأدب اليوناني بالإلياذة والأوديسة للشاعر هوميروس الذي كان له تأثير بالغ في التربية والتعليم عند اليونانيين جمِيعاً، والذي استمر أثره حتى العصر البيزنطي، فكان الأغارقة المثقفون يحفظون أجزاءً كثيرة من الإلياذة والأوديسة، ثم انتقل الميل إلى الرومان ومنهم إلى بلاد الغرب في أوروبا. وبذلك لا تزال المسألة الهومرية باقيةً على حالها حتى الوقت الحاضر، ونعني بها أصل هذه القصائد الهومرية وتكوينها بحيث تُعد من أعقد المسائل التي يهتم المثقفون بحلها والإحاطة بها، والصوت الذي انبعث ليؤدي رسالة حصارة البحر الأبيض المتوسط هو صوت الشاعر هوميروس؛ لأن الشعوب التي تسكن وادي النيل وما بين النهرين لم تكن شعوبًا بحرية، أما كريت فلدينا عنها نصوص كثيرة لم تُحل طلاسمها بعد، وكذلك لم يُترك لنا أي أثر يدل على رحلات الإغريق التي قاموا بها في البحر الأبيض أو في خارجه، إلا إذا اعتقدنا أنه كان للأوديسة أساس يرتكز على قصيدة روت وقائمة رحلة فينيقية، كما يفترض هذا الفرض العالمُ الفرنسي فكتور بيرار Victor Berard. يبدأ أن هذا الفرض بعيد الاحتمال، وحتى في هذه الحالة تكون أخبار هذه الرحلة قد وصلتنا عن الشعر القصصي عند الأغارقة.

تُعتبر القصائد الهومرية قصائد قومية لها الصبغة القومية عند اليونان؛ القدماء منهم والمحديثون، ولكنها لا تذكر لفظ «الإغريق» ولا نعثر على كلمة تدل عليها، وبصفة خاصة لا نجد كلمة Hellas التي تسمى بها اليونان إلا في القصائد التي يعتبرها النقاد الحديثون مضافةً إلى الإلياذة والأوديسة. أما هوميروس فلا يتحدث إلا عن أجداد اليونان وأسلافهم وهم الآخيون، فهي بذلك تغوص بأصولها في الماضي البعيد؛ لذلك يجب أن ننظر

إليها كأنها بداية للأدب اليوناني، كما يجب اعتبارها نهايةً لتقاليد مجيدة وختمةً لجهود عظيم يرمي إلى التغيير والتحوير والتنظيم.

## أسلوب الإلياذة والأوديسة

واللغة هي التي تُوقِّفنا على ما تُتميّز به هذه القصائد. إن أهم صفةٍ لهذه القصائد هي كونها على جانبٍ كبيرٍ من الروعة في الفن والجمال والأسلوب؛ فهي ليست قصائد بدائية أو أولية وإنما اللغة فيها لغة الأدباء والمتقدّفين أو من أخذوا بجانبٍ كبيرٍ من الأدب والثقافة، هذا فضلاً عن أنه لا يمكن لأحد أن يكتب بهذه اللغة إلا العلماء أو الأدباء أو الشعراء؛ فهي لغة الخاصة لا لغة العامة. إنها مزيجٌ من لهجاتٍ مختلفةٍ تغلب عليها اللهجة الأيونية التي ترتكز على أساس من اللهجة الأيونية. كما أن الوزن فيها هو المسمى بالوزن السداسي Hexameter Dactylic طويلة وحركتان قصيرتان. وليس هذا الوزن من مستلزمات اللغة اليونانية كما برهن على ذلك العلامة اللغوي الفرنسي المشهور ميلي Meillee في كتابه عن تاريخ اللغة اليونانية. وليس هذا الوزن أيضًا من مستلزمات اللغة اللاتينية؛ فقد استعاره الرومان أنفسهم من اليونان، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد. ومن المحتمل أن يكون اليونان أنفسهم قد أخذوه عن لغةٍ تُسمى اللغة الإيجية التي كانت سائدة في بحر إيجة.

لهذا السبب احتفظت اللهجة الأيونية التي استعملها هوميروس في قصائده بالحرف «ديجاما Z» الذي زال من اللغة اليونانية فيما بعد، ولكن بقي لهذا الحرف تأثيره على بقية بيت الشعر الذي كان يستعمل فيه من حيث الوزن، فوجوده مثلاً يؤدي إلى حذف آخر حرفٍ أخرى أو إدغام حروفٍ أخرى غيرها.

ولقد احتفظت هذه القصائد أيضًا بأشكالٍ عتيقةٍ وكلماتٍ قديمة افتقدنا معناها الأصلي، وكذلك احتفظت بها الأسلوب الذي يغلب عليه ميله إلى استعمال الألفاظ الفخمة والرنانة. وكان هناك ميل في القرن التاسع عشر في أوروبا؛ أي في الوقت الذي ساد فيه المذهب الرومانتيكي في الأدب الأوروبي إلى إيجاد نوعٍ من المقارنة بين هذه القصائد وبين القصائد الشعبية герمانية أو الاسكندنافية. وقد ظهر هذا الرأي على الأخص عند علماء اللغة من الألمان. وتبع الألمان بعض العلماء من الفرنسيين، وعلى الأخص العالم الفرنسي فكتور بيرار. ونلاحظ نفس الملاحظة عندما نُقبل على دراسة الواقع والحوادث التي تشتمل عليها هذه القصائد وعلى الأخص الإلياذة كالأدوات التي يستعملها الإنسان أو المساكن التي

يقطن فيها، وبالجملة مظاهر الحياة أو الحياة نفسها. وإذا كان علماء اليونان الذين قاموا بحفائر في موكييناي وكورينث وطروادة قد كشفوا عن آثار دلت على أنه كانت هناك حضارة ميسينية Missenian Civilization قبل الغزوات التي قامت بها القبائل الدورية Darians؛ من أجل ذلك مال الناس في ذلك الوقت؛ أي في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، وهو الوقت الذي عملت فيه هذه الحفائر، إلى الأخذ بالرأي القائل بأن هذه القصائد احتوت على وصف شامل لظاهر تلك الحضارة الميسينية الباهرة. ويبدو هذا الرأي واضحًا جدًا فيما كتبه العالمان الألمانيان هلبنج Helbing وولف Wolf. وفي كتب هذين المؤلفين ملاحظات هامة دقيقة. أما في الوقت الحاضر فقد قل أتباع هذا الرأي، وأصبح المؤرخون لا يميلون إليه كليًّا، كما يدل على ذلك ما كتبه المؤرخ الألماني شميدت. وبالرغم من هذا الرأي الذي ينكر كل أثرٍ من آثار الحضارة الميسينية في قصائد هوميروس، فما زال هناك نفرٌ من المؤرخين يقول بأنه في الإمكان العثور على آثارٍ كثيرة تدل على هذه الحضارة في قصائد هوميروس. وهي تلك الحضارة التي كانت مزدهرةً قبلها بوقتٍ طويل أو قصير.

أما المؤرخ الألماني إدوارد ماير Edward Meyer فيقول في كتابه «عن تاريخ العالم القديم» Histoire de l'Antiquité إن هوميروس حينما يتكلّم في قصائده عن مدينة طيبة Thebes إنما يعني بها تلك المدينة التي كانت مزدهرة في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، ولا يقصد بها في رأيه تلك المدينة التي كانت في عهد الملك شيشونج Scheshong وهي التي كانت تُعاصر هوميروس، والتي قال عنها هوميروس في الإلياذة في الأنشودة التاسعة في الأبيات ٣٨٢-٣٨١ ما يأتي:

طيبة ذات الأبواب المائة التي يهجم من كل بابٍ منها مائتاً محاربٍ بالجیاد  
والعربات.

وهذا الوصف في رأي ماير وصفٌ لمدينة طيبة في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وهي التي عرَفَها أحد اليونان وهم الآخين. وكان بين هؤلاء الآخين وبين ملوك هاتين الأسرتين صلاتٌ وعلاقاتٌ وثيقةً جدًا، كما دلت على ذلك الهدايا المختلفة التي تبادلت بين ملوك مصر وملوك الميسينيين أو الآخين. وحقيقة الأمر أن أحدًا لم يذكر شيئاً عن حفر السور العظيم المحيط بمدينة طيبة الذي به مائة باب؛ لذلك فإن الأبيات التي أوردَها هوميروس عن طيبة لا تدل على شيءٍ، ولا تدل على أنه يقصد بها طيبة في الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين أو في عهد شيشونج، وإنما هي من نوع أدب اليونان، فيُقال طيبة ذات الأبواب المائة، دون تحديدٍ على وجه الدقة.



## أدب ما قبل العصر الهومري

ولا تشمل القصائد الهومرية على الناحية المادية فقط، وإنما تتحددّ بما ورثته من الحضارة الإنسانية عن الآخرين؛ فهي تُحدّثنا مثلاً عن العادات والأخلاق التي كانت سائدة بين أجداد اليونان، كالعادات المتبعة في حفلات عقد الزواج. ومن كلّ هذا نستنتج أنّ هذا الشعر الهومري قد سبّقه شعر آخر؛ لذلك يجب أن نفترض وجود أدب سابق على الأدب الهومري، ولكن ما هو هذا الأدب؟ من العسير علينا معرفة ماهية هذا الأدب من الناحية الإيجابية، ولكن من السهل معرفته من الناحية السلبية؛ فقد تصور العالم القديم وجود أدب قبل العصر الهومري. وليس هذا التصور من التاريخ في شيء وإنما يدخل في باب الخرافات؛ فمثلاً الخرافة التي حيّكت حول الشاعر أورفيوس Orpheus إنما نبتّ في عهدٍ متأخر وظهرت في أثينا في القرن السادس قبل الميلاد في عهد بيزستراتوس، وهي تمثّل ردّ الفعل الذي حدث في ذلك العهد ضدّ شعر هومريوس الذي كان يرى الأثينيون في ذلك الوقت أنّه شعرٌ مخالف للأخلاق لسبب بسيط جدّاً، وهو أن الآلهة التي ورد ذكرها في الإلياذة والأوديسة لم تهتم كثيراً بالأخلاق؛ لذلك تصوروا هذه الخرافة التي ترتكز على أساسٍ كبير من الأخلاق. وكان أول من بدأ ذلك الميل الأخلاقي هو الشاعر الإغريقي هسيود الذي عاش في ذلك الوقت تقريباً أو بعده بقليل. وقد كان حول الطاغية بيزستراتوس طائفة كبيرة من الشعراء والأدباء منهم الشاعر المشهور أونوما كريت Onomacrite الذي قام بدور يشبه الدور الذي يقوم به وزير الثقافة أو وزير التربية والتعليم في عصرنا الحاضر، في الإشراف على الأدب والثقافة العامة وكل ما يمثّل إلى الأدب بصلةٍ قريبة أو بعيدة. إذن فقد انتشرت الخرافة التي حيّكت حول أورفيوس، وكثير أتباع هذا المذهب الأخلاقي. وكان هذا الانتشار عظيماً جدّاً في القرن السادس في جنوب إيطاليا وببلاد اليونان، وكان له تأثير عظيم جدّاً في شعراء القرن الخامس قبل الميلاد.

نعود فنتساءل عن ماهية الأدب الذي كان يسبق أدب هوميروس. يُحدّثنا هوميروس عن الشعراء «المنشدين» الذين يُنشدون الأشعار في قصور الملوك وهم يقطنون فيها، ويُغنوون على الموائد التي تقيمها تلك الشخصيات الكبيرة، منشدين لهم الكثير من أعمال البطولة التي قام بها أبطال اليونان السابقون، وذلك على نغمات القياثة. ومن هؤلاء الشعراء المنشدين الذين اتخذوا قصور الملوك مسكنًا لهم الشاعر الذي تركه وراءه الملك أجاممنون كي يرفة عن زوجته كلومينيسترا Clymenestra، ويوحي إليها بالعواطف السامية إبان غياب زوجها، وكذلك الشاعر الذي كان في جزيرة إيثاكا ويدعى فيميوس Phemius، والذي كان يُنشد أشعارًا جميلة يُطّيب بها خاطر الشخص الذي كان يُطّالب بعرش هذه الجزيرة، والذي عفا عنه أوديسيوس عند عودته من رحلته التي ضلَّ فيها. ومن هؤلاء الشعراء من كان يهيم على وجهه متنقلاً من قصر إلى آخر يُنشد في المناسبات والفرص والأعياد. ومنهم من جمع بين هذا وذاك كالشاعر ديمودوكوس Demodocus الذي كان يُعني في قصر الملك ألكينوس، ولكن هذا الشاعر لم يقطن في هذا القصر دائمًا، بل كان يخرج من قصر ألكينوس ليتنقل من مكان إلى مكان؛ ومن ثُمَّ فهو وسط بين الشاعر المقيم والشاعر الرحَّال.

## الشعر الغنائي

ما الذي كان يُعنيه هؤلاء الشعراء؟ كانوا يُغنوون شعرًا غنائيًا شعبيًا. ولا شك في هذا لأن جميع الأداب القديمة ابتدأت أولاً بهذا الشعر الغنائي الذي يُغنى للشعب ويفهمه الشعب. كانوا يُغنوون بصفة خاصة أشعارًا تُمجّد أعمال الفروسية التي قام بها أبطال اليونان، فالشاعر ديمودوكوس كان يبدأ إنشاده عادةً بالأشعار التي تُقصّ الحب الذي كان بين أries وأفرو狄تي Aphrodite وتفاصيل هذا الحب، من تدخل الإله هيفايسوس Hephaestus بينهما وإخضاعه لهما وحبسه إياهما وتقييدهما بالأغلال. وكان تغلب على هذه الأشعار روح السخرية والتهكم كما كان ذلك غالباً على جميع القصص الواردة في الأدب الأيوني، كما ورد ذلك في كلام هيرودتس في القرن الخامس.

ومن المحق أيضًا أن هذه الأشعار لم تكن طويلة كالإلياذة والأوديسة؛ لأنها لو كانت طويلة لما اتسعت لها تلك المآدب التي كانت تُنشد فيها. وهنا يخطر على بالنا السؤال: «هل كانت القصائد مستقلة، أو تكون وحدة خاصة بذاتها، أو تكون جزءًا من كلٍّ يُقطع ويُغنى

ويُنشَدُ في الفرص والمناسبات المختلفة، كما كان يفعل أولئك المُغنُون المُسَمَّون Rhapsodes والذين كانوا يُغفُّون أجزاءً من الإلياذة والأوديسة؟»

### أدب بلاد ما بين النهرين

وللإجابة على هذا السؤال، يجب أولاً أن نلقي نظرةً على الآداب القديمة الأخرى التي أنتجت هي الأخرى أشعاراً قصصيةً طويلةً كالقصائد التي وصلتنا مما أنتجته بلاد ما بين النهرين. ومن بين هذه قصيدة تُشبه الإلياذة تُسمى الجلجانيش Gilganesch ويرجع عهد هذه الخرافة إلى ألف الثالث قبل الميلاد، ولكنها تضخّمت بمرور الزمن بإضافة قصصٍ جديدة عليها تُقصّ حوادث جديدة؛ لذلك كانت هناك ثلاثة أنواع: النوع الأول وينتمي إلى ألف الثالث قبل الميلاد. والنوع الثاني وينتمي إلى العهد السومري. والنوع الثالث وينتمي إلى عهد آشور بانيبال وهو ملك آشور من 667-626 ق.م. وهذا النوع الثالث أحدثها، وكان في مكتبة هذا الملك منقوشاً على اثنتي عشرة لوحة، فهل حدث شيء يقارب ذلك فيما يتعلق بالعهد الذي سبق عصر الإلياذة والأوديسة.

وللإجابة على هذا السؤال يجب تحقيق مسائلتين هامتين؛ أولاهما، ما هذا الذي نسميه الإلياذة والأوديسة، أو ما هي ماهية هذه القصائد وما طبيعتها، ومن أي شيء تتكون؟ فإذا أوضحنا هذه النقطة وحدّدنا طبيعتها وعرفنا ما هي، تعرّضنا للمسألة الثانية وهي كيف نقلت إلينا هذه القصائد.

وللإجابة على هاتين المسائلتين أيضًا يجب الرجوع إلى الإلياذة والأوديسة كما نقلتا إلينا كي نُحَلّلُهما ونفهم أولاً مضمونهما.



## تحليل الإليةادة

### الأنشودة الأولى

تدور الأشعار فيها حول فكرة معينة وثيقة الاتصال بغضب أخيل، وهذه الفكرة هي التي تكون وحدة هذه الأنشودة وترتبط بين أجزائها؛ ذلك أنه كان قد عرض أجاممنون أن يعطي ابنته خروسيس إلى كاهن أبولو Apolo ويدعى خروسيس Chryses غير أنه في مقابل ذلك يطالب أجاممنون بأن يعطي بريسياس Briseis إحدى أسيرات أخيل، إلا أن أخيل يعتبر هذا الطلب مسبباً وعاراً له فيغضب ويرفض الاشتراك في القتال، ثم يذهب إلى خيمته ويقع فيها، يؤيده في ذلك الربُّ زوس الذي كان يشجّعه على هذا المسلك.

### الأنشودة الثانية

وفيها يأتي زوس إلى أجاممنون في نومه، ويخبره بأن هناك أحاداً جساماً ستقع؛ ومن ثم يعقد أجاممنون العزم على القتال ويجمع الملوك والرؤساء للتشاور في هذا الأمر. وبعد هذا المجلس الصغير يعقد المجلس الكبير الذي هو مجلس الشعب المكون من جميع المحاربين البالغين سنًا معينة لا تقل عن العشرين.

يتظاهر أجاممنون بادئ ذي بدء برغبته في الرحيل، ويؤيده الجميع في هذه الرغبة وينبئون استعدادهم لذلك ويندون العدة للرحيل. وبينما هم على هذا العزم إذ يجيئهم أوديسيوس فيشد من عزائمهم ويُشجّعهم ويُقدم لهم النصائح، ويحثّهم على القتال فيغير من رأيهم ويحملهم على مواصلة القتال. وفي هذه الأنشودة يسردُ الشاعر أسماء الزعماء والملوك والرؤساء من اليونان، وكذلك الشعوب اليونانية المختلفة. كما أنه يسردُ أسماء ملوك الطرف الثاني الذي مع طروادة.

## الأنشودة الثالثة

وفيها يستفز باريس الآخرين ويحملُهم على القتال، ولكنه يفر أمام مينيلاوس ملك إسبرطة فيؤتّه هكتور Hector ويُوجّه إليه اللوم على هروبه، فيتقان على أن تكون هيلينا من نصيب المنتصر، وتتقدّم هيلينا على حصون طروادة، وهو ميروس في وصفه لها وهي تتقدّم فوق الحصون قد وصفها وصفاً بليغاً بلغ في ذلك آيةً كبيرة من الفن، وتشرع هيلينا في عد أسماء الملوك والزعماء والرؤساء اليونانيين لبريام Priam والد باريس وهكتور. ويبدأ القتال، ولكن ربّة الجمال أفروديت تأتي وتخطّف باريس من بين براثن الموت مؤنّبةً امرأته هيلينا على ذلك. غير أنها من فرط حبها له تنسى هذا التوبّخ وترضى عنه، وتعود إلى الوفاق معه. أما أجاممنون فيطالب بتنفيذ العاهدة.

## الأنشودة الرابعة

وفيها يذكر الشاعر أن الربة هيرا Hera تحصل على موافقة زوجها زوس برجوع حالة الحرب بين اليونان وطروادة، وتقترح الربّة أثينا على بنداروس Pendarus أن يصوب سهماً نحو ديوميديس Diomedes ملك إسبرطة، فيصيّبه السهم ويجرّه ولكنه لا يموت من آثار الجرح. أما أجاممنون فيُحُضّ جنوده على القتال الذي يعود إلى ما كان عليه.

## الأنشودة الخامسة

يقص الشاعر فيها أعمال البطولة التي قام بها ديوميديس بن توديوس Tydeus، وبالرغم من جراحه التي أصيّب بها فإنه يواصل القتال في حماس عظيم بفضل مساعدة أثينا، ويتمكن من قتل بنداروس ويجرّح إنيوس Eneus فتأتي أفروديت وتنقذ ابنها إنيوس، بيد أنها تُجرح هي الأخرى فتصعد إلى جبل أوليمبوس، وعندئذٍ يظهر أبوّلو وينقذ إنيوس ويُشفّيه من جراحه.

أما ديوميديس فإن أثينا تَحْثُه على القتال حتى يتمكّن من جرح أريين.

## الأنشودة السادسة

فيها يأخذ أهل طروادة في التقهّر والتراجع، ويترك هكتور ميدان القتال بعد أن ينصحه بذلك هيلينوس Hellenus، ثم يذهب هيكتور لينصح أمه هيوكوبي Hecuope ويتوسل إليها

أن تذهب إلى الربة أثينا للحصول على مساعدتها، ثم يُحرّض هيكتور باريس ويدفعه إلى ميدان القتال ليحارب هناك، ثم يُودع هيكتور زوجته أندروماخي Andromache الوداع الأخير. وفي هذه الأنشودة فضلاً عن ذلك قطع جميلة جداً منها وصف المحادثات التي دارت بين هيكتور وأمه هيكتوبى، وكذلك بين هيكتور وباريص، ثم بينه وبين زوجته أندروماخي.

### الأنشودة السابعة

فيها يستفز هيكتور أشجع شجعان اليونان ويدعى أجاكس Ajax فتنشأ بينهما معركة لا تنتهي إلى النتيجة، ولكن على أثرها يعقد الطرفان هدنةً لدفن الموتى، ثم يأخذ اليونان في تحصين معسكرهم فيحصنه بسورٍ وخندق، ثم يأتي الليل مصطحبًا معه حوادث جسامًا.

### الأنشودة الثامنة

فيها يُهزم الآخيون؛ ذلك أن زوس أكبر آلهة اليونان يُحرّض الآلهة جميعًا على عدم التدخل بين الطرفين المتعاركين، ويدعوهم إلى التزام الحياد في هذا القتال. أو هو يعود إلى مكانه فوق جبل إيدا Ida ويصعد إليه ليرى من فوقه الجيشين المتعاركين. وكان القتال بينهما سجالًا في بادئ الأمر، ثم انتهى بنتيجة إيجابية وهي انتصار جيش طروادة، فاضطرّ اليونان بعد هزيمتهم إلى التراجع نحو تحصيناتهم، كما حاول أجاممنون إلى أن يُشد من أزر جنوده وتقوية روحهم المعنوية، بيد أن هيكتور ظل منتصراً؛ ومن ثمّ حاولت الربة هيرا والربة أثينا التدخل في القتال فمنعهما زوس، ولما أقبل الليل فصل بين المتعاركين وعسّر الطرواديون في السهل.

### الأنشودة التاسعة

يجمع أجاممنون الزعماء ويعقد مجلسًا ليأخذ رأيهما، ثم يقترح عليهم الرحيل ومجادرة أرض طروادة، ولكن يعارضه في هذا الرأي كلُّ من ديومنيس وأوديسسيوس، ثم يقترح نسطور Nestor أن تُبذل الجهود لعقد الصلح مع أخيل، فيقبل أجاممنون هذا الاقتراح ويعلن استعداده إلى رد بريسايس التي كان قد أخذها من أخيل على أن يعطيه بعض التعويضات لإرضائه. ويُقرّر المجلس إرسال سفراء إلى أخيل فأحسن مقابلتهم، ولكنه رفض الاشتراك في القتال في جانب الأغارقة.

## الأنشودة العاشرة

تُعتبر هذه الأنشودة عند معظم النقاد من الأناشيد المضافة إلى الإلياذة، وهناك بعض المؤرخين القدامى يأخذون بهذا الرأى أيضاً.

يظهر الخوف بصورةٍ واضحةٍ من جانب زعماء اليونان ورؤسائهم في هذه الأنشودة؛ لذلك يعقدون مجلساً جديداً ويقترح البطلان ديموديس وأوديسيوس في هذا المجلس أن يأخذوا على عاتقهما مهمة الذهاب إلى معسكر جيش الطروديين للتجسس على ما يقوم به ذلك الجيش من استعدادات حربية، ولكنَّ هذين البطلين يقابلان رجلاً من جيش طروادة اسمه دولون Dolon أرسله هكتور للتجسس على جيش اليونان ونقل أخباره إلى الطروديين، فيخاف هذا الجاسوس على حياته عند مقابلته للبطلين اليونانيين؛ ومن ثم يكشف عن أسرار جيش طروادة أملأ في النجاة بحياته من الخطر المحدق به، ومع ذلك يقتله ديموديس ثم يعود البطلان إلى معسكر اليونان.

## الأنشودة الحادية عشرة

وهي عبارة عن سرد لمحاطرات أجاممنون. وتدور كلها حول الفكرة الرئيسية المسيطرة على الإلياذة؛ لذلك فإنَّ مكانها الحقيقي بعد الغناء الأول؛ لأنَّ نقاًداً كثريين يقولون بأنَّ الأناشيد الواقعية ما بين الأنشودة الأولى والحادية عشرة كلها مضافة إلى الإلياذة. كما أنَّ موضوع هذه الأنشودة متصلٌ جدًّا الاتصال بموضوع الأنشودة الأولى، ولكنَّ لا يجب علينا أن نأخذ بهذه النظرية القائلة بأنَّ الأناشيد السابقة مضافة إلى الإلياذة.

يُحاول هوميروس في هذه الأنشودة أن يعطينا صورةً واضحةً عن الهزيمة التي مُني بها الآخيون. ولهذا نراه يسرد الهزائم المتتابعة التي لحقت بالبطل اليوناني مينيلاوس، وكذلك أجاكس ديموديس، كما يسرد لنا الهزيمة التي لحقت حالياً بالزعيم الأكبر أجاممنون.

وتدور المعركة من جديد بين الجيشين. وفي هذه المعركة يُظهر أجاممنون كثيراً من الشجاعة حتى يضطرَّ أهل طروادة إلى التراجع إلى تحصيناتهم، ولكنَّ أجاممنون يُحرج ويصبح غير قادرٍ على مواصلة القتال؛ لذلك ينتصر أهل طروادة من جديد ويُحرج أوديسيوس ديموديس. وأخيراً يرسل الملك نسطور بتروكلوس Patroclus أعزَّ أصدقاءِ أخيل إلى هذا الأخير ليوقفه على الهزائم التي نزلت باليونانيين، أملأاً من وراء ذلك أن تأخذه

الشقة باليونانيين، فيعطف عليهم ويعود إليهم ليناصرهم ويُساعدهم في هذا القتال العنيف.

### الأنشودة الثانية عشرة

وكلها عن الموقعة الحربية التي وقعت بجوار أسوار المدينة. يقترب الجيش الطروادي من تحصينات الجيش اليوناني، ويستعد لعبور الخندق، ولكنه يفشل في أول الأمر، ثم يتمكّن أخيراً من فتح ثغرة في الأسوار، بالرغم من دفاع اليونانيين المستميت، وخصوصاً دفاع البطلين أجاكس وأوديسيوس. وكان يقود الطرواديين ساربيدون Sarpedon وجلاوكوس Glaucus ثم يتمكّن البطل العظيم هكتور من اختراق معسكر اليونانيين، ويتبعه الطرواديون حتى يصلوا إلى داخل معسكر الأغارقة نفسه.

### الأنشودة الثالثة عشرة

كلها سردٌ للمعركة التي نشبت بجانب الأسطول، وفي هذه الأنشودة ينصرف الرب زوس انصرافاً مؤقتاً عن الحرب؛ لذلك ينتهز الرب بوسايدون هذه الفرصة، ويهبط من أعلى قمم جبال أوليمبوس لمساعدة اليونانيين في محنتهم هذه. وبعدئذ تدور معركة بحرية كان فيها الجناح الأيسر للأسطول اليوناني تحت قيادة إيدومينيوس Idomeneus والقلب بقيادة أجاكس. وتدور رحى موقعة بحرية عنيفة تسيل فيها دماء الطرفين. وأخيراً يتقهقر الجيش الطروادي قليلاً، ولكن هكتور يجمع الرؤساء والزعماء ويستشيرهم في هذا الموقف العصيب، ويُقرر بعد أخذ رأيهم موافصلة القتال ثم يتحدى أجاكس هكتور، وتبدأ المعركة من جديد أشدّ هولاً مما كانت عليه.

### الأنشودة الرابعة عشرة

تدور حوادثها الرئيسية حول الحب الذي بين كبير الآلهة وهيرا، ومن الجائز حذفُ هذا الغناء من الإلياذة دون أن يصيّب وحدة الموضوع أدنى ضرر. وعلى كل حال فإن وجوده لا يُضر مطلقاً. في هذه الأنشودة أيضًا يُوافق اليونانيون على رأي ديميديس القاضي بمتابعة القتال، ولكن هيرا تأخذ في تجميل نفسها؛ لأنها تُريد أن تُفتن كبير الآلهة فتستغير من أفروديتى ربة الجمال الزنار الذي تربط به خصرها وتستدعى إله النوم من جزيرة

ليمнос Lemnos، وتقترح عليه تنويم كبير الآلهة، فينام زوس ويغفل عن الحرب، فينتهز بواسيدون هذه الفرصة ويساعد اليونانيين مساعدةً جدية حتى ينقلب الموقف في صالحهم، ويتمكن أجاكس من جرح هكتور. أما الطروديون فيتقهرون ويدفعهم اليونانيون بعيداً عن الأسطول بقيادة البطل أجاكس.

### الأنشودة الخامسة عشرة

فيها يستيقظ زوس من نومه، ويحتد على هيرا، ويرسل أيريس Iris وأبولو لمساعدة جيش طروادة؛ عندئذٍ يترك الإله بواسيدون ميدان القتال فيخلو الجو أمام أبولو ويتمكن من شفاء هكتور وبئث روح الثقة بين الطروديين، وإدخال الرعب والفزع في قلوب اليونان، وتشجيع جيش طروادة حتى يتمكن من الوصول إلى داخل المعسكر اليوناني، ثم يذهب بتروكلوس لمقابلة أخيه كي يرجوه أن يساعد إخوانه في الجنس واللغة والدين، ثم يدافع اليونانيون عن معسكرهم دفاعاً المستميت، وفي هذه الأثناء يستعد هكتور لإيقاد النيران في سفينة بروتيسيلاؤس Protisilaus.

### الأنشودة السادسة عشرة

فيها يعطي أخيه بتروكلوس حلته الحربية لإدخال الرعب والفزع في قلب جيش طروادة بشرط ألا يستخدمها في المعركة، بل يكتفي بالظهور بها ليث الرعب والخوف، ولكن بتروكلوس ينسى وعده في أثناء المعركة، ويُقدم على مهاجمة الطروديين هجوماً بالغ العنف، فيتقهقر جيش طروادة على أثره، وينجح بتروكلوس في قتل ساربيدون، ثم يغريه هذا النجاح على التقدُّم في الهجوم أملاً في أن يستولي على طروادة، ولكن أبولو ينتزع منه السلاح الذي كان قد أعطاه إيهأ أخيه، فيتمكن يوفوربوس Euphorbus من جرح بتروكلوس، ثم يتقدم هكتور ويُجهز عليه تماماً.

### الأنشودة السابعة عشرة

يرغب يوفوربوس في الاستيلاء على أسلحة بتروكلوس، ولكن مينيلاوس يُدافع عن جثة بتروكلوس ويستدعي أجاكس ليساعده في هذه المهمة. يتراجع هكتور في بادئ الأمر ثم يعود بعد ذلك، وتستمر المعركة سجالاً بين الطرفين، ثم تُفزع خيول أخيه، ولكن زوس

يُهْدَى من رُوعها ويعود بها إلى ميدان القتال. وعندئِذٍ يحاول هكتور ومعه إنيوس الاستيلاء على هذه الخيول، وتستمر الحرب في صالح جيش طروادة، ثم يُضطر مينيلاوس إلى أن يبعث رسولًا إلى أخيل ليُبلغه نبأً موت صديقه بتروكلوس والهزيمة التي لحقت باليونانيين، ثم يتمكّن مينيلاوس وميريونيس Meriones من حمل الجُثَّة، ويتراجعان في حماية البطل أجاكس.

### الأنشودة الثامنة عشرة

يُبَاسُ أَخِيلُعندما يعلم بخبر موت بتروكلوس، ولكن أمه ثيتيس Thetis تُعَزِّيَهُ في مُصابه وتُعَدُّهُ أن تُحْضِرَ له أسلحةً جديدةً تُعَوِّضُهُ بها عن الأسلحة التي سبق أن أُعطاها لبتروكلوس، كما تَعِدُهُ بأنها ستُساعدهُ على خصمِهِ العنيد هكتور على أن يتم ذلك بعد يوم، ثم تذهب إلى جبل أوليمبوس وترجو هيفايسوس أن يصنع لها هذه الأسلحة، ثم يخرج أَخِيلُ من خيمته وهو يصبح عاليًا ومنظره غاية في الرُّعب حتى خاف أهل طروادة على أنفسهم فولَّوا الأدبار، ثم يقضي اليونانيون تلك الليلة في معسكرهم باكين نائحين حول جثة بتروكلوس. ويلي ذلك وصف الشاعر لدرع أَخِيلُ التي بلغت درجة عظيمة جدًا من الإتقان الفني، ثم تنتهي هذه الأنشودة بوصول ثيتيس من جبل أوليمبوس ومعها الأسلحة التي وعدَت بها ابنتها أَخِيلُ.

### الأنشودة التاسعة عشرة

تدول حول صلح أَخِيلُ مع اليونانيين، فيعتقدون مجلس الشعب وهو عبارة عن جميع رجال الجيش في ذلك الوقت، ثم يقف أمامه أَخِيلُ ويُعلن على أسماء جميع أعضاء هذا المجلس نياته الطيبة وحسن استعداده لخدمة إخوانه الآخرين، ثم يخلفه في دور الخطابة أَجاممنون الزعيم الأكبر، ويعترف الأخير علانيةً بالأخطاء والذنوب التي سبق أن ارتكبها في بادئ هذه الحملة، ثم يتقدم نحو أَخِيلُ ويربّت على كتفَيهِ، ويعرض عليه هدايا ثمينةً جدًا، ولكن أَخِيلُ يرفضها رفضًا باًتاً في إباءٍ وشمم. وعندئِذٍ يتقدَّمُ إليهِ أوديسيوس ويُلْحُ عليه بشدة في أن يقبلها، فيُضطرُ أَخِيلُ إلى أن يقبلها، ثم نرى بريسايس تعود إلى سفينته أَخِيل باكية، ويشاركها في هذا البكاء صديقها أَخِيل، وكلاهما يبكي على هذا المصاب الفادح بفقدِهما العزيز بتروكلوس، ثم تُعلن إلى أَخِيل نبؤةً بأنه سيموت قريباً غير أنه لا يهتم

بهذه النبوءة؛ لأنه كان قد صَمَمَ على الانتقام لصديقه بتروكلوس ويريد إشباع نهم هذه الرغبة وهي تُحْتَمَّ عليه أن يقتل أشد خصومه البطل هكتور، مع علمه بأنه سيموت يقينياً في القريب العاجل.

## الأنشودة العشرون

وفيها يسمح زوس للآلهة بالاشتراك في هذه الحرب فتنقسم الآلهة قسمين؛ فريق مع اليونانيين وفريق مع الطروديين. كان مع الآخرين هيرا وأثينا وهيرميس، وكان مع الطروديين أريس وأرتيميس Artemes وأبولو وأفروديتي.

يتقدّم أبوّلو بالنصيحة إلى أهل طروادة ويُشجّع إنيوس على مبارزة أخيل، كما أنه ينصح هكتور بعدم مبارزة أخيل أو مقاتلته، فيُرُك هكتور إلى نوع ما من الهدوء، ولكن أخيل يقتل أصغر إخوهه باسمه بولودوروس Polydorus أصغر أبناء بريام ملك طروادة، فيتحمّس هكتور من جديد ويريد أن يثأر لأخيه، وبينما هو يستعد يسرع إليه أبوّلو أملاً في إنقاذه من الخطر الذي يكاد يتعرض له هكتور، ثم يُمْعِنْ أخيل في قتل عدٍ كبير جدًا من جيش طروادة.

## الأنشودة الحادية والعشرون

تتجلى فيها هزيمة الطروديين، وتأخذ الربّة أثينا في تشجيع البطل أخيل غير أن الخطر يُحدِّق به، فتتقدّم هيرا وترسل هيفايستوس لإنقاذه من براثن الموت، ثم تأخذ الآلهة في محاربة بعضها البعض الآخر، وبعد ذلك تعود جميعها إلى جبل أوليمبوس، وتترك أبوّلو وحده، فيتمكّن الأخير بمكره وخداعه من مساعدة أهل طروادة وإنقاذهم من الخطر الذي أشرفوا عليه. والظاهر أن هذه الأنشودة قد أُضيّقت إلى الإلياذة؛ ومن ثمَّ فمن المستطاع حذفها دون أن يؤدي ذلك إلى الإخلال بوحدة الإلياذة أو توازنها أو إنقاوص أي شيء مهم عن الشخصيات البارزة المختلفة.

## الأنشودة الثانية والعشرون

وهي عن موت البطل هكتور. فيها يعود أخيل ويقترب من أسوار مدينة طروادة، ويتقابل مع البطل هكتور الذي يعتمل في دخيلة نفسه حُب منافسة البطل أخيل، ثم يقترب أخيل

من هكتور ويظل يقترب رويداً رويداً، إلا أن منظر أخيل كان غاية في الهول والرعب، فيخاف هكتور على نفسه عندما يرى غريميه ويهرب مسرعاً، ولكن أخيل يعود وراءه، ويستمر الاثنان في هذا العدُو حول أسوار المدينة ثلاثة مرات. وأخيراً يزن الإله زوس مصير البطل هكتور في كفة من كفتى الميزان ومصير أخيل في الكفة الأخرى ويوازن بين الكفتين. وأخيراً يُصمم زوس على التخلي عن هكتور، ويلقي به إلى الربة أثينا؛ لذلك يُفلح أخيل بعد تخلي زوس عن هكتور من قتل هذا الأخير، ونزع الملابس التي كان يرتديها، ويبداً في جرّ الجثة حتى يصل بها إلى الأسطول. أما أهل طروادة وخصوصاً أسرة هكتور وهم أبوه بريام وأمه هيوكوبا وزوجته أندروماغي فإنهم يبكون عليه بكاءً مُرّاً.

### الأنشودة الثالثة والعشرون

فيها يحتفل الآخيون بجنازة بتروكلوس، فيُشعرون النيران، ويضعون فوقها جثة بتروكلوس، ثم يذبحون الذبائح ويقدمونها للآلهة. وفي هذه الساعة المحزنة الرهيبة يتقدّم أخيل ويوُدّع جثة صديقه العزيز الوداع الأخير، وينتظر بُرْهَة حتى تنطفئ النار، فيستخرج منها بعد ذلك البقية الباقيه لصديقه العزيز، ثم يُقيم الشعب الذي ينتمي إليه بتروكلوس وهو جماعة المورميون Myrmidones مقبرةً ليتروكلوس مكان النيران المشتعلة، وبعد ذلك تُقام المباريات الرياضية وتعُيَّن الجوائز الكثيرة للفائزين في هذه الألعاب، كسباق العربات، والملائكة، والمصارعة، والعدُو على الأقدام، والنزال بين الجنود المسلحين وبين رماة السهام والأقواس والأقراص.

### الأنشودة الرابعة والعشرون

يُخَيِّم اليأس على أخيل من فرط حزنه على فقد صديقه العزيز الذي كان يُحبه حباً جماً؛ لذلك كان يريد أن يُشبع غريزة الانتقام المتولدة فيه، فلا يكتفي بقتل هكتور بل يريد أن يمثل بجثته تمثيلاً شنيعاً؛ لذلك نراه يُجر جثة هكتور ويطوف بها ماراً حول مقبرة بتروكلوس، ولكن كبير الآلهة زوس يتدخل من جديد في صالح أهل طروادة، ويأمر أخيل بإعادة جثة هكتور إلى أهله وأبناء عشيرته وإرجاعها إلى أبيه بريام، ثم يبعث الرسل إلى بريام ليُبِلِّغه الخبر ويطلب الرسل منه أن يذهب لشراء ما بقي من جثة ابنه، فيذهب بريام متذكراً إلى أخيل دون أن يعلم أهله وعشيرته شيئاً عن هذا السعي؛ إذ يذهب بريام بإرشاد

هيرميس في مقابل مع أخيه الذي يوافق أخيه على أن يُسلّم الأب جثة ابنه هكتور ويعود بها إلى طروادة. يلي هذا ذلك المنظر الحزن الذي تبكي فيه أسرة هكتور عليه بكاءً مزًّا، فإذا بالنساء وزوجته المخلصة وأمه هيلينا يبكينه بكاءً يُفْتَن الأكباد، ثم وصف جنازة هكتور والاحتفال بوفاته احتفالاً رهيباً جدًّا.

إلى هنا تنتهي الإلياذة وينتهي تحليل الإلياذة؛ ولذلك يحسن أن نقف قليلاً لنتراجع ما علق بأذهاننا من قراءة الإلياذة.

جيُّ أن الإلياذة تغلب عليها الوحدة، وأنها كُتِّبَت حسب خطٍّ موضوعة سبق للشاعر أن درسها وفكَّر فيها تفكيراً عميقاً جدًّا، ولكن هذا لا يمنع من القول بأن هناك بعض الأغاني يشعر المرء حين قرأتها بأنها أُضيَّفت إلى الإلياذة؛ مثل القائمة التي سرَّدت أسماء السفن المحاربة، ومثل الغناء الذي وصف فيه الشاعر نزع الآلهة، بحيث يمكننا أن نتصور هذه القصائد كأنها أدراج الصوان إذا أخرج درجُّ فهذا لا يؤثِّر عليه في قليل أو كثير؛ ذلك أن فكرة الإلياذة ثبَّتَت حين جال بخاطر الشاعر أن يجمع كل هذه القصص حول فكرة أساسية هي غضب البطل أخيه، ولكن من ذا الذي جال بخاطره هذه الفكرة؟ هل هو شاعر كتب في هذا الموضوع قصيدةً طويلة، ثم أُضيَّفت إليها قصصٌ أخرى فيما بعد عن أحداثٍ جديدة أم هو رجل من الأجيال المتأخرة بعد جيل الإلياذة، له موهبة التنظيم والترتيب عمل على أن يجمع قصائدً منفصلة حول فكرة واحدة؟ أم هو شاعرٌ استعار هذه الحوادث من خرافاتٍ قديمة أخرى؟ هذه كلها فروضٌ تجول بخاطر الناقد، ولكن لا يجد لها جواباً شافياً.

يجدر بنا الآن الاتجاه إلى الأوديسة لذاخذ فكرة عنها:

عندما نبدأ في قراءة الأوديسة في أولى أشعارها يتبارد إلى ذهتنا أن هذه الأشعار والقصائد لا تختلف كثيراً عن أشعار الإلياذة من حيث الأسلوب والفن الشعري؛ فكلها من مرتبة شعرية واحدة، الفن الشعري فيها واحد، وكذلك الأسلوب واحد؛ أي إن كل ما يتصل بالشعر في الأوديسة لا يختلف في أصله عن شعر الإلياذة، ولا أدلَّ على ذلك من أن القصيدة في الأوديسة تتبدئ بالتوسل إلى ربَّة الشعر كالإلياذة تماماً، ولكن بالرغم من هذه الوحدة الفنية الأدبية تلاحظ بعد مواصلة القراءة في الأوديسة أننا نجد أنفسنا في عالمٍ جديد يختلف كل الاختلاف عن عالم الإلياذة، وذلك لأن موضوع الأوديسة يختلف تماماً الاختلاف عن موضوع الإلياذة.

كانت فكرة الإلياذة الأساسية هي غضب البطل أخيل وخلافه مع كبير ملوك اليونان أجاممنون. أما الأوديسة فتدور فكرتها حول عودة البطل أوديسيوس من حرب طروادة، فهي تسرد مخاطراته التي قابلَه أثناء رحلته في عودته إلى بلاده، فالأوديسة عبارة عن قصيدةٍ طويلةٍ أنشَدت حول البحر، وما أعظم القصائد التي أُنشَدت عن البحر! ولربما كانت أهم فضائل العالم الفرنسي فكتور إبرازه لنا هذه الفكرة وتوضيحه إياها وكشفه عنها. وحقيقة الأمر أن فكتور لم يكشفها لأن أي قاريء عادي مجرّد من الثقافة الكلاسيكية يستطيع أن يلاحظ منذ البداية أن القصة تدور كلها حول البحر، ولكن فكتور بيار ترجم الأوديسة ترجمةً شائقة وعلق عليها تعليقاتٍ مهمةٍ واضحةٍ كل الوضوح. وكل ذلك بأسلوبٍ فني رائع جعلَنا نشعر معه بأن البحر هو الموضوع الأساسي الذي دارت حوله الأوديسة، والبحر المقصود هنا هو البحر الأبيض المتوسط؛ إذ لا يمكن فصل البحر الأبيض المتوسط عن الأوديسة ولا فصل الأوديسة عنه، كما فعل بعض العلماء والنقاد الذين ذهب بعضهم إلى القول بأن المقصود بالبحر هنا هو الخليج الفارسي، وبعضهم الآخر بأنه البحر الأسود. وهذا كله غير صحيح لأننا نشَّتم رائحة البحر الأبيض في ثنايا هذه الأشعار من أولها إلى آخرها ولا نستتشق غير عبيره منذ بداية الأوديسة؛ لذلك حاول بعض العلماء البحث عن الأماكن والبلاد التي تكلَّمت عنها الأوديسة وتحقيق مواضعها في الوقت الحاضر. وقد سار النقاد في هذا السبيل أثَر فكتور بيار الذي طاف حول البحر الأبيض المتوسط وأخذ يجوب أطرافه المختلفة باحثاً ومنقباً عن الطريق الذي سلكه البطل أوديسيوس في قديم الزمان. ولقد تهكَّم عليه الناس وسخروا منه كل السخرية، ولكنهم كانوا مخطئين في هذا كل الخطأ؛ إذ من الجائز أن يكون فكتور قد بالغ في تحقيقاته الجغرافية؛ فهناك من المؤرخين الألمان مثل شميدت الذي يقول بأن جغرافية الأوديسة ترتكز في كثيرٍ من الأحيان على جزءٍ عظيمٍ من الخرافات والأباطيل والخيالات والأوهام. ومن الجائز أن يكون في قولهم هذا شيءٌ من الصحة؛ لأننا نرى فكتور بيار يخطئ عندما يقول إن بلاد الكوكلوبيس (أي أصحاب العيون المستديرة) هي البلاد الواقعة عند خليج نابولي، وإن بلاد الالايستروجونيين تُوجَد في جزيرة سردينيا أو على ساحل شبه جزيرة سيبيريا، ولكن فكتور بيار لم يُخطئ دائمًا إذ نجد في كلامه وتحقيقاته الجغرافية كثيراً من الصحة؛ إذ ليس هناك شك في أن الشاعر كان يتكلَّم عن علم ودرأية، وفي أن خيال الشاعر هوميروس كان يدور حول بلادٍ حقيقةً ومراتكزٍ تاريخيًّا صحيحةً. وليس هناك شك في أن الكثير من معلوماته الجغرافية كانت دقيقةً كل الدقة بحيث تدعو إلى الإعجاب. وهذا لا ينافق القول القائل بأن في

شعره كثيراً من الخرافات التي لا تقوم على أساس صحيح. وليس هذه المناظر وحدها أو الوصف البديع لهذه المناظر الطبيعية هي التي تجعل الأوديسة تختلف كل الاختلاف عن الإلياذة في الموضوع. وليس أيضاً هذه المناظر فحسب هي التي تجعلنا نقول بأن البحر الأبيض المتوسط هو المقصود في الأوديسة. أما الخرافات الشعبية *folk-lore* الموجودة في الأوديسة فإنما هي خرافات لشعوب بحرية تسكن حول البحر الأبيض المتوسط. والأوديسة مملوءة بهذه الخرافات، كخرافة الكوكلوبيس وكاللوبسو وكيركي وسكولا. كل هذه تنتهي إلى خرافاتٍ شعبية أقدم بكثير من حرب طروادة؛ إذ تجد لها آثاراً فيما تبقى من آثار الحضارة المينوية.

وتحتال الأوديسة عن الإلياذة في العادات التي تُوصف فيها؛ ذلك أن الآراء قد تهذبْ وأصبحت تتعلق بالجنس البشري بحيث لم نعد نرى أبطالاً يتصفون بالقوة والوحشية وحب إرقة الدماء. نرى هذه التغيرات في أفكار الناس عن الآلهة؛ فالآلهة في الأوديسة تُعتبر كالبشر لها عواطف ونوازع، كما أن الناس ابتدعوا ينظرون إليهم كحُمّاة يُدافعون عن هذه القوادين السائدة في المجتمع، كما يدل على هذا الكثير من الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع.

## الأوديسة

من تحليل الأوديسة نجد أنها تتشابه مع الإلياذة في الوحدة إذا استثنينا آخر الأنشودة الثالثة والعشرين والأنشودة الرابعة والعشرين كلها. غير أن هذا لا يمنعنا من أن نقول إن هناك قطعاً كبيرة قد أضيفت إلى الأوديسة؛ لأنها في الواقع تختلف عن باقي الأوديسة. وهذه نقطة الاختلاف؛ ذلك أن القطع المضافة إلى الأوديسة أكثر منها في الإلياذة، ومن الثابت أنها أُضيفت إلى الأوديسة في زمنٍ متأخر، وبتأليف من بعض الشعراء المتوسطين الذين لا يملكون موهبة الشاعر الأصلي. وهكذا اختلط الأدب المتوسط بالأدب الرفيع الذي بالأوديسة في عدة موضعٍ مختلفة.

تبدأ الأوديسة بأربعة أناشيد تعودُ النقاد تسميتها بالأناشيد التيليماخية؛ لأن البطل الذي يرد اسمه في معظمها هو تيليماخوس بن أوديسسيوس. وهذا موضوعُ أساسي في القصة لا يمكن للشاعر أن يغفله أو يهمله؛ لأن موضوع القصة مكون من فكريتين مرتبطتين سوياً هما فكرة عودة أوديسسيوس إلى وطنه وتعرف أفراد أسرته عليه، والثانية هي فكرة الانتقام من مختلف الأبناء الذين حالوا في أثناء غيابه أن يفصلوا زوجته بيبينيلوبى عنه؛ إذ إن كلاً من هؤلاء النساء قد حاول الزواج من بيبينيلوبى، بينما كانت الأخيرة تخدع كل واحدٍ منهم. وقد نجحت في هذا إلى حدٍ كبير؛ لأنها كانت لا تزال على إخلاصها الشديد لزوجها الذي غاب عنها سنين طويلة، ولأنه كان هناك في فؤادها شيء يقول لها إن زوجها لا شك عائد إليها بعد غيابه الطويل عنها. وهذا لونٌ من القصص المعروف باسم عودة الأبطال. والأوديسة تسرد لنا الخطوات التي خطاها البطل أوديسسيوس في طريق عودته إلى بلاده؛ ومن ثمَّ فإنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسلسلة الشعر القصصي أو القصص الشعري الذي يدور حول طروادة؛ ذلك لأن هناك سلسلة أخرى من أهمها سلسلة القصص الذي يدور حول مدينة طيبة عاصمة مقاطعة بيوشيا Beotia بجوار مقاطعة أتيكا. وهذا القصص

يدور حول أُسرة حَكَّمت في طيبة تُسَمَّى «اللِّبَادِكِيُّونَ» Les Labdacedes. ولقد تناول الشعراُ الدراماُنِيكيُّونَ الأثينيُّونَ حُكَّامَ هذه الأُسرة بالنقد والتحليل في مختلف المسرحيات التي أَلْفَوها، ومن أَهمُّهم المُلُكُ أُوديسيوس Oedipus وذلك في القرن الخامس ق.م.، قبل عصر بِرْكليُّس Pericles وإِبَّان عصْرِه وبعْدِ عصْرِه بقليل.

إنَّ وجُودَ شَخْصيَّةِ تِيلِيمَاخُوسَ فِي الأُوديسيَّةِ ضُرُورِيٌّ جَدًّا؛ لأنَّ فِي الأُوديسيَّةِ أُفْكَارًا رئيسيَّةً ثلَاثًا هي:

أوَّلًا: عُودَةُ أُوديسيوس.

ثانيًا: تعرُّفُ أَفْرَادُ أُسْرَتِهِ عَلَيْهِ.

ثالثًا: انتقامُ أُوديسيوسَ مِنَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ تجَرَّءُوا عَلَىِ الاقْتَرَابِ مِنْ زَوْجَتِهِ إِبَّانِ غِيَابِهِ.

ولقد حاولَ الشاعرُ أَنْ يَرِبِّطَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الرَّئِيْسِيَّةِ رِبْطًا مَكِينًا حَتَّىَ خَرَجَتِ الأُوديسيَّةُ مَحْكَمَةً إِحْكَامًا رَائِعًا لَا يَمْكُنُ لِشَاعِرٍ أَخَرَ أَنْ يُجَارِيَهُ فِي هَذَا الْمُضْمَارِ.

يمُكِّنُ تلَخِّيصُ هَذِهِ الْأَفْكَارِ التَّلَاثِ مَرَّةً أُخْرَىَ هَكَذَا:

الفكرةُ الأولى: بحثُ تِيلِيمَاخُوسَ عَنْ أَبِيهِ ورَحْلَتِهِ إِلَىِ بِلَادِ مُخْتَلَفَةٍ لِهَذَا الغَرْبِ.

الفكرةُ الثانية: مخاطرَاتُ أُوديسيوسَ فِي أَنْتَأِ رَحْلَتِهِ فِي طَرِيقِهِ إِلَىِ بِلَادِهِ عَائِدًا بَعْدِ اِنْتِهَا حَرْبُ طَرَوَادَة، ثُمَّ عُودَتِهِ إِلَىِ وَطْنِهِ وَتَعْرُفُ أَفْرَادُ أُسْرَتِهِ عَلَيْهِ.

الفكرةُ الثالثة: هي انتقامُ هَذَا الْبَطَلِ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ نَهَبُوا مَنْزِلَهُ، وَأَرَادُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ زَوْجَتِهِ فِي أَنْتَأِ غِيَابِهِ.

## تحليل الأوديسة

### الأنشودة الأولى

حول مجلس الآلهة، فيها يجتمع الآلهة ويعقدون مجلساً فيما بينهم يُقرّرون فيه ضرورة عودة أوديسيوس إلى أهل عشيرته. وكان أوديسيوس في ذلك الوقت عند كالوبسو ربة البحر محظوظاً في جزيرتها تُرغمه على عدم مبارحة البلاد؛ لأنها كففت به وأحبّته حباً جماً؛ وبناء على هذا القرار تُرسل الآلهة الربة أثينا إلى تيليماخوس غير أنها تخافُ لو ذهبت كما هي أن يَتعرّف عليها تيليماخوس؛ ومن ثم تتنّجّر وتذهب في صورة مينتيس Mentes حاكم جزيرة تافوس وتنقابُ في الجزيرة التي كان أبوه ملّاكاً عليها وهي إيثاكا، وتتحدث معه حديثاً ودياً للغاية يُظهرُ خلاله تيليماخوس ما اتصف به من أدبٍ جمٍ ولطفٍ كثير. كانت هذه المحادثة تصطبغ بحسن الأدب والذوق والتربيّة العالية من الطرفين.

استقبل تيليماخوس الربة أثينا استقبلاً ودياً. وأشارت عليه بأن يذهب للبحث عن أبيه، ووضع حدّاً لعَبِثٍ هؤلاء الأمراء والزعماء الذين أسرفوا في النهب والسلب والذين تمادوا في جسارتهم حتى تقدّموا بطلب يد أمه بىنيلوبى، وبعدئذٍ تطير أثينا لأحد طيور البحر وتختفي.

يسْتريح تيليماخوس لهذه النصيحة ويتشجّع ويذهب إلى مجلس الأمراء وكانوا يمدون أمامهم سماطاً عظيماً عليه كلّ ما لذّ وطاب من مأكل ومشرب ويتمتعون بغناه شاعر منشد اسمه فيميوس Phemius: عندئذٍ يُوجّه إليهم تيليماخوس كلاماً شديداً بلهجة الأمر الناهي صاحب السلطة والسيادة في الجزيرة والقصر؛ لأنّه ابن البطل أوديسيوس، فيتهجّم عليه شخص اسمه أنتينوس Antinous، ويتعرّض له وينكّر عليه الحق في أن يكون ملّاكاً على

جزيرة إيثاكا، كما يُنكر عليه أية مقدرة في الاضطلاع بمهام الملك؛ لأنه طفل صغير، ولكن تيليماخوس لا يهتم بهذا الكلام الذي كله قحةٌ وخروج عن الأدب والذوق السليم، ثم ينذرهم إنذاراً فيه سلطةٌ شخصٌ يريده أن يُظهر شخصيته، ومضمون هذا الإنذار ذلك أنه سيواجههم في اليوم التالي، وسيطلب منهم مطلبًا عادلًا في نظره وذلك أمام المجلس الذي سيعقده الشعب، سيطلب منهم مغادرة قصر أبيه.

إن ذكرى أوديسيوس تملأ هذه الأنشودة من أولها إلى آخرها.

إن الشاعر هنا يتحدث عن أوديسيوس وذكراه ورحلاته، ولكنه لا يذكر اسمه. إن تركيب هذا الغناء بسيط، عبارة عن مجموعة من الصور الفنية الرائعة التي قدمَ الشاعر لنا عنها وصفاً جميلاً للغاية. ولقد أخذت هذه الصور في قصرٍ من قصور أحد الملوك الميسينيين الذي قد خيم عليه الحزن بسبب غياب الملك عنه.

## الأنشودة الثانية

عن مجلس الشعب في جزيرة إيثاكا؛ حيث يجتمع فيتقىءُ إليه تيليماخوس بشكوى ضد هؤلاء الذين يطالبون بالزواج من أمه، فيُجبيه أنتينوس إجابة فيها شيءٌ كبير من الإهانة، ثم يسرد على الحاضرين قصة بينيلوبي وقصة الثوب الذي تحكى، وفي ذلك الوقت تدور حول المجلس نسورٌ ظهرت فجأة. وإذا كان بالمجلس عراف فقد فسرَ هذه الأعجوبة بقوله بأنها تنم عن فَأَلٍ حسن، وذلك أن أوديسيوس سيعود إلى وطنه قريباً، ثم ينفضُ المجلس دون الوصول إلى نتيجةٍ معينة، ويخرج تيليماخوس من المجلس متوجهًا صوب ساحر البحر، وهو يبكي بكاءً مرَاً؛ لأن هؤلاء الأمراء قد أهانوه وأذلُوه دون أن يُمكِّنه الردُّ عليهم أو يصدُّهم كما يجب. وبينما هو حزين بهذا الشكل تنزل إليه الربَّةُ أثينا من عليائها، وتتنكر هذه المرة في زي مينتور Mentor صديق أوديسيوس الحميم. وكان تيليماخوس يعرف عنه أنه من خير أصدقاء أبيه الأوفياء، ومرشد من خير المرشدين، فتحاول أثينا في هذه المرة أن تُعزِّيه في حُزنه وتُعدِّه وعداً أكيداً بأنها ستُصحِّبه إلى مدينة بولوس Pylos كما تَعِده أياًًاً بأنها ستُعيده إلى إسبرطة. ويُعدُّ تيليماخوس كل ما سيحتاج إليه من طعام ومؤن لهذه الرحلة الطويلة المضنية دون أن يُطلع أمه على شيءٍ من هذا. وما إن يتم إعداد السفينة بالقرب من الشاطئ حتى يعتليها تيليماخوس، وأقبلت الربَّةُ أثينا في زي مينتور تُساعِده في كل هذا.

## الأنشودة الثالثة

لقد نظمت هذه الأنشودة لتمجيد ذكرى أسرة حكمت في مدينة بآسيا الصغرى هي أسرة نيلياديس Neleiades؛ لذلك تغلب على هذه الأنشودة الصبغة الخاصة بهذه المدينة. يصل تيليماخوس إلى جزيرة بولوس فيستقبله ملوكها نسطور استقبلاً حسناً.

ولنسطور هذا ابن يسمى بيزستراتوس Peisistratus على اسم طاغية أثينا في القرن السادس. ويرى بعض النقاد في ذكر هذا تحريفاً مقصوداً، كما يقولون إن هذه الأنشودة قد أضيفت إلى الأوديسة للتودد إلى بيزستراتوس الذي كان مشهوراً في القرن السادس.

في هذه الأنشودة يُولم نسطور مأدبة لضيوفه. وبعد ذلك يسأل تيليماخوس نسطور عما حدث له في أثناء عودته، فيحكي له أخباراً أخرى كثيرة، ويصور له كيف ساءت العلاقة أخيراً بين أجاممنون ومينيلاوس كما يُخبره بموت أجاممنون. وهنا يشير نسطور إلى ابن أجاممنون المسمى أوريس提س Orestes ويمدحه مدحًا عظيماً جدًا لأنه انتقم لأبيه، ثم يسرد على تيليماخوس رحلات مينيلاوس ومنها رحلته إلى مصر، وهو بذلك يُشير على تيليماخوس بالذهب إلى إسبرطة حيث يمكنه مقابلة مينيلاوس هذا وسؤاله عن أبيه، ثم يقضى تيليماخوس الليلة في القصر وعند الصباح يرحل إلى إسبرطة وفي صحبته بيزستراتوس.

## الأنشودة الرابعة

يذهب تيليماخوس إلى إسبرطة وهناك يجد مينيلاوس وقد أقام مأدبة هائلة لزواج أبنائه. كانت المأدبة غايةً في الفخامة وكذا القصر؛ لذلك ينصرف تيليماخوس عن المأدبة ليُشبع إعجابه بالتطلل إلى القصر ويُشاركه الشاعر إعجابه هذا؛ ومن ثم تَرَد أبيات كثيرة في وصف القصر الذي كان يملكه أحد ملوك ذلك الوقت، ثم يشتراك الضيوفان في المأدبة ويبدآن في تناول الطعام. وبعد أن يأكلان ملء بطينيهما يبدأ تيليماخوس بسؤال مينيلاوس عن أبيه، فيرُد عليه مينيلاوس رداً غامضاً يذكر فيه اسم أوديسوس عَرَضاً، فيبكي تيليماخوس بكاءً مرّاً ظنّاً منه أن أبيه قد مات، وعندئذٍ تدخل هيلينا زوجة مينيلاوس فتحزن لحزن تيليماخوس، وتَرَدُّ لو تُسرّي عن هذا الطفل الذي يبكي على أبيه فكيف السبيل إلى ذلك؟ تصنع هيلينا الكأس التي كان يشرب منها تيليماخوس مخدراً كانت قد أحضرته معها من مصر من سيدة مصرية اسمها بولودامي. وكان الغرض من هذا المخدر هو أن ينسى

تيليماخوس الحزن الذي يكتنف حياته، ثم تأخذ في تلاوة مغامرات أوديسيوس وتُقصُّ عليه الشجاعة الفائقة والجسارة الممتازة التي أظهرها هذا البطل عندما أُرسل في مهمَّة استكشافية في حرب طروادة للتجسُّس على الأعداء، ثم يحكي مينيلاوس بدوره قصة حصار طروادة، ويصف ليليماخوس كل ما يعرفه عن مقدرة أبيه الحربية وقدرته على تحمل النكبات والمصائب. وفي اليوم التالي يخبره بنبوءةٍ تنبأ بها عجوز البحر برويتوس بالقرب من جزيرة فاروس *pharus* عند الإسكندرية؛ إذ تنبأ بأنَّ أوديسيوس موجود عند كالوبسو التي أحبتَه وَمَنَعَتَه من مبارحة المدينة.

وفي هذه الأنشودة أيضًا يعرف الأباء في أتيكا خبر رحيل تيليماخوس للبحث عن أبيه، فتثور ثائرتهم ويفكرن في مؤامرة لقتل تيليماخوس يتزعمُهم في ذلك أنتينوس فيبحث عن سفينة لكي يذهب إلى مكانٍ يختبئ فيه في البحر حيث ينتظر عودة تيليماخوس لينقض عليه ويقتله، ثم يصل نبأ هذه المؤامرة إلى بينيلوبى فتُجذع ويتعرَّد عليها النوم الهانئ، فتتأتى لها الربة أثينا في المنام وتُواسيها كي تتحمل وتصبر.

هذه هي الأناشيد الأربع الأولى الخاصة بتيليماخوس، والتي أطلق عليها الأناشيد التيليماخية.

ينقلنا الشاعر بعد ذلك إلى الجزيرة التي تعيش فيها كالوبسو. وهنا تبدأ الأنشودة الخامسة.

### الأنشودة الخامسة

يعتقد البعض أنها أضيفَت للتذكير القارئ بالأنشودة الأولى، ويقول هذا البعض بأنَّ الأناشيد الأربع التيليماخية أُضيفَت فيما بعد للأوديسة حيث إنَّ أوائل القرن الخامس ق.م. يجعل هذا الغرض محتملاً جدًا.

في هذه الأناشيد يأمر زوس، كبير الآلهة، هيرميس بالذهاب إلى كالوبسو لِيُطَلِّعُها على رغبته في أن يعود أوديسيوس إلى وطنه. ولقد كشف زوس لهيرميس عن وجود أوديسيوس هناك عند كالوبسو، وأنه لا يزال أمامه عشرون يومًا يقاسي فيها الشيء الكثير قبل أن يصل إلى شعب الفياكيين *Phaeacians* في ألبانيا، فتستقبل كالوبسو هيرميس في احتفالٍ عظيم، ثم يُبلغها الأخير رسالة كبير الآلهة، ويرجواها أن تُطلق سراح أوديسيوس، فتغضب كالوبسو وتثور ضد ظلم الآلهة الذين يريدون أن ينتزعوا من بين أحضانها أوديسيوس حبيبها، وتدعى بأنَّ الآلهة تحقد عليها. غير أنها بالرغم من هذه الثورة تخضع لأمر كبير

الآلهة، وتذهب بعد ذلك إلى شاطئ البحر حيث يوجد أوديسوس وتخبره بأنها لم تُعد تعارض في رحيله. وهنا تُحدثه كالوبيسو حديثاً كله رقة ودعة، حديث الحبوبة إلى حبيبها؛ ولذلك يجدر أن نلاحظ ما يتصف به سيدات البحر من أدب جم، ومن هؤلاء السيدات كالوبيسو وكيركي، ثم تعود كالوبيسو إلى كهفها ومعها أوديسوس، وهناك يتبدالان من جديد عواطف الحب. وهنا يهتم الشاعر بوصف هذا المنظر فيينا كيف يتبدالان القبلات، ثم كيف يحتضن كلُّ منها الآخر. بعد ذلك يبرح أوديسوس الجزيرة فوق رمث أudeَه لهذا الغرض. بيد أن بوسايدون – عدوه – يثير عاصفةً شديدةً تُهدِّد أوديسوس بالغرق فتنقذه الآلهة من الغرق، ويصل بعد هذا إلى البر بعد جهودٍ عنيفةٍ ثم يلْجأ إلى مخيًّا قريب.

### الأنشودة السادسة

حول جزيرة الفياكين وهم شعبٌ بحَارة وأغلبهم ملحون، وكان ملکهم يسمى ألكينوس، وكانت له ابنة اسمها ناويسيكا حضرت إليها الربَّة أثينا في صورة ابنة تاجرٍ أسلحة يُسمى دوماس Dumas وأوحت إليها في نومها بأن تذهب لغسل ملابسها عند شاطئ النهر استعداداً للاحتفال بزواجهما القريب. وفي الصباح تستيقظ الفتاة وتذهب إلى النهر وهناك تجد البنات مجتمعاتٍ يغسلن ملابسهن فتشير ناويسيكا عليهن. وبينما هن كذلك إذ ترمي الربَّة أثينا بحجرٍ في النهر فتصيح البنات، ويكون هذا داعيًّا لإيقاظ أوديسوس من نومه، وكان نائماً بين الأعشاب بالقرب من النهر، فلما يرى هؤلاء الفتيات يتربَّد أولاً ولا يعرف ما هو مُقدِّم عليه، فيخرج من وسط الأعشاب وينزع عنه ملابسه وينزل إلى النهر ليستحم، فتراه البنات بهذه الصورة فيستولى عليهن الحياء، ثم ينتهي هذا المنظر الذي كله روعةٌ وجمال، ويتبعه منظرٌ آخر فيه يتقدم أوديسوس إلى البت ناويسيكا متضراً متوسلاً لتستمع إليه وترأف بحاله وتعطف عليه عطفاً كبيراً، وتقول إنها اشتمت فيه رائحة الملوك. وتُشير عليه بما يجب عمله فيتبعها متراجلاً حتى أبواب المدينة. وهناك ينتظر حتى تعود إليه، وعندئِذ يدخل أوديسوس المدينة ويسأَل عن الطريق، وتأمر ناويسيكا خادماتها بمعاملته معاملة الضيف، ثم يعرج أوديسوس إلى معبد الربَّة أثينا ويقوم بفرض العبادة لها.

### الأنشودة السابعة

تتقدم الربَّة أثينا من أوديسوس متذكرةً في ذي إحدى بنات شعب الفياكين، وتأخذ بيد أوديسوس وتقوده إلى قصر الملك الحاكم على الجزيرة، ويطلب إليه أن يستضيفه فيجيده

إلى طلبه. وبعد ذلك يُقصُّ أوديسيوس على مسامع الملك مخاطراته إبان رحلاته، فيُعده ألكينوس بالعمل على عوده إلى وطنه.

### الأنشودة الثامنة

يجتمع مجلس الشعب ويعرض الملك ألكينوس عليه موضوع أوديسيوس، ويوافق المجلس على عودته إلى جزيرة إيثاكا، ثم تُقام مأدبة عند الملك ألكينوس يُعْنِي فيها الشاعر ديمودوكوس قصة النزاع الذي وقع بين أوديسيوس وأخيل، فلما سمع أوديسيوس هذا الغناء راح يبكي، فلاحظه ألكينوس ولكنه لم يقل شيئاً، ثم يأمر الناس بالانتقال إلى سوق المدينة لإقامة الألعاب والمسابقات الرياضية المختلفة. وهنا يسأل الملك أوديسيوس عن نوع المباريات التي يميل إليها، وعندئذ يتقدّم شخص ويتهكم على أوديسيوس ويُسخر منه ويقول إنه يشك في قدرة أوديسيوس على القيام بأية لعبة. غير أن أوديسيوس يجيب في سكون أنه يُفْضِّل لعب القرص، ويتقدّم إلى الميدان ويُحرز قصب السبق. يتلو ذلك الرقص، وبعد هذا يُنشِّد ديمودوكوس قصة الحب بين أرييس وأفرو狄تي. ويتبع هذا تقديم الهدايا لأوديسيوس بمناسبة رحيله، وتتقدّم ناويسيكا إليه بهداياها العظيمة.

هذه الأنشودة مفَكَّكة وضعيفة ينتقل فيها الماء من قصة إلى قصة؛ ولذا فمن المحتمل جدًا أنها أُضيّفت إلى الأوديسة.

### الأنشودة التاسعة

فيما تُمْدُ مأدبة يُحدُث فيها ما حدث في المأدبة السابقة. وفي هذه الأنشودة يرمي أوديسيوس قطعة من اللحم إلى الشاعر المغني ديمودوكوس، ويطلب منه أن يغني قصة حصار طروادة فيجيده المنشد إلى مطلبها، وعندما يسمع أوديسيوس الغناء يأخذ في البكاء، ثم يسرد بعد ذلك قصة مخاطراته، قصة رحيله من طروادة أولاً، ثم وصولاً إلى جماعة الكوكونيس؛ حيث دارت بينه وبينهم رحى معركة فقد فيها أوديسيوس ستة أشخاص من رفاقه، ثم تهُب زوبعة تجعلهم يرسُون في أرض مجهولة ويبقون فيها يومين، ثم يذهبون بعد ذلك إلى شبه جزيرة البلوبونيز، وهناك تهُب عاصفة أخرى شديدة تجعل من المستحيل عليهم أن يُطْوِّقُوا شبه الجزيرة، فتذهب بهم الرياح إلى بلٍ يحب أهلاها أكل اللوتس. ويرحل أوديسيوس بعد

ذلك من هذه البلاد إلى بلاد الكوكلوبيس. وهناك يستولي أوديسيوس وأصدقاؤه على عددٍ من الماعز يأخذ أوديسيوس لنفسه منها عشرة ويعطي كلاً من أصدقائه تسعه ثم يقيمون مأدبة وينامون حتى الصباح. وفي الصباح يركب هو وأصحابه سفينه صغيرة لاكتشاف بلاد الكوكلوبيس. ويهتم في هذه الرحلة بأخذ النبيذ الذي أعطاهم له مارون Maron قسيس الإله أبولو، ثم يدخل بعد ذلك كهف بولوفيموس، وبعد ذلك يتمكن من الهرب من هذا الكهف هو وأصدقاؤه، ويعود إلى جزيرة قبرص حيث يقيمون مأدبة عظيمة.

### الأنشودة العاشرة

يذهب أوديسيوس إلى جزيرة تابعة لإيون Ion، ويعطي إيون أوديسيوس قرية تحتوي على رياح مختلفة ولكن أصدقاؤه يفتحون القرية لظنهم أنها تحتوي على ثروة عظيمة، فإذا بها تُجُر عليهم عاصفة هوجاء، ويُغضِّب إيون لفتح القرية غضباً شديداً ويطردهم جميعاً، فيذهبون بعد ذلك إلى بلاد الالايستروجونيين عند ساحل جزيرة سردينيا، ويُعرف أنهم يأكلون لحم البشر. ويأخذ هؤلاء في قتل عدد كبير من أصدقاء أوديسيوس، ومن تبقى منهم يذهبون إلى جزيرة كيركي. وهناك تتمكن هذه الساحرة من تغيير أصدقاء أوديسيوس وتحويلهم إلى خنازير صغيرة ما عدا أوديسيوس الذي ينجو من هذا المصير، وينجح في إقناع هذه الساحرة بإرجاع أصدقائه إلى شكلهم الأول فتجبيه إلى طلبه، وبعد ذلك تنصح أوديسيوس وأصدقاؤه بالذهاب إلى عالم الأموات.

### الأنشودة الحادية عشرة

يذهب أوديسيوس إلى بلاد الأموات عند الكيميريين Cimmerians في شمال البحر الأسود، وهناك يقوم أوديسيوس بالراسيم التي نصحته كيركي بأن يقوم بها فتظهر له أشباح مختلفة منها أشباح إلبينور Elpinor وتيريسياس، ويخبره الأخير بالحوادث التي ستحدث له في مستقبل حياته. ويظهر له أيضاً شبح أمه أنتيكليا Anticlea فيوقفه على ما حدث في جزيرة إيثاكا بعد رحيله منها، كما تظهر له أيضاً أشباح أصدقائه أجاممنون وأخيل وبتروكلوس وأنتيلوخوس وأجاكس، ثم يرى أوديسيوس القاضي مينوس والصياد أوريون Orion ويعود بعد ذلك إلى سفينته، ويعادر بلاد الأموات.

## الأنشودة الثانية عشرة

تُقدّم كيركي بعض النصائح والتوصيات لأوديسيوس، وبفضلها يفلح أوديسيوس في التخلص من السيرينيس، وكذا المرور بين خاروبديس وسکولا في سلام. يصل أوديسيوس بعد ذلك إلى جزيرة ثريناكيا Thrinacia حيث يهجم أصدقاؤه على أغنام الشمس فيعاقبهم الإله زوس على أعمالهم هذه. وفوق قطعة باقية من سفينته يُحمل أوديسيوس إلى جزيرة أوجوجيا، ثم يعود إلى خاروبديس ويصل منها إلى كالوبسو بعد تسعه أيام، وهو المكان المعروف بجبل طارق.

## الأنشودة الثالثة عشرة

بعد ذلك يصل أوديسيوس إلى جزيرة إيثاكا بمساعدة الفياكين الذين سيعاقبهم الرب بوسايدون لأن الأخير عدو أوديسيوس. ويضعونه على الساحل وهو نائم، وعندما يستيقظ يستولي عليه اليأس؛ لأنه لا يعرف في أي مكان هو، وتأتي إليه الربة أثينا وتبهه وهي مُتنّكرة بأنه موجود الآن في جزيرة إيثاكا، وأن الهدايا التي معه هي ما تبقى له من الأسلاب والمغانم التي اكتسبها في حرب طروادة. يلي ذلك منظرٌ بديع يظهر فيه الإنسان في منظرٍ كله ثقةٌ وودٌ وصداقة، ثم يتذقّن على أن يتذكر هو أيضًا في صورة شحاذ حتى لا يعرفه أصدقاؤه أنفسهم، ثم يذهب إلى راعي خنازير يُدعى يومايوس Eumeus وفي الوقت نفسه تذهب أثينا لمقابلة ابنه تيليماخوس.

## الأنشودة الرابعة عشرة

يستقبل راعي الخنازير أوديسيوس ويُعد له الطعام وينبح له خنزيرًا رغم أنه لا يعرفه. ويسأله الراعي عن شخصه فيسرد عليه أوديسيوس قصة كلها أكاذيب وخرافات، فيقول له إنه من جزيرة كريت وقد أخذَ ملكُ الجزيرة إلى طروادة ليشترك في الحرب ويعيّنه أميرًا للأسطول، ثم يعود إلى وطنه بعد انتهاء الحرب، وبينما هو كذلك يذهب على رأس حملة للنهب والسلب متوجهًا إلى مصر في صحبة رجلٍ فينيقي. ويهذهب الاثنان بعد ذلك إلى ليبيا حيث يستولي عليه الفينيقي ويبيعه كعبد، وبعدئذ تهُب عاصفةٌ هوجاء يغرق فيها البعض. وبعد هذه الحادثة يجد أوديسيوس نفسه في مكان لا يعرفه، وهناك يتحدث مع

ابن الملك فيطرده الملك بعد ذلك، ويعهد به إلى بحارة يأتون به إلى جزيرة إيثاكا، فيهرب منهم ويجيء إلى راعي الخنازير.

ولكن يومايوس لا يصدق شيئاً من هذا الذي قاله الغريب. ومع ذلك يأمر بذبح خنزير ليأكلوه، كما يُعد لأوديسيوس المتنكر فراشاً للنوم، ويخرج بعد ذلك مسلحاً لحراسة الخنازير.

### الأنشودة الخامسة عشرة

تصل أثينا إلى إسبرطة وتظهر تيليماخوس في منامه، وتأمره بأن يرجع إلى أثينا والذهاب رأساً إلى يومايوس، فما إن يستيقظ حتى يترك قصر الملك مينيلاوس محملاً بالهدايا الكثيرة التي جاد بها عليه وزوجته هيلينا. ويعود تيليماخوس إلى بولوس، ومن هناك يُبحر على سفينته مصطحبًا معه رجلاً اسمه ثيوكلومينوس Theoclymenus كان قد نُفي من أرجوس؛ لأنَّه قتل رجلاً، ثم يعود إلى إيثاكا في سرعةٍ عجيبة وقد بَيَّن العزم على تجنب رؤية المتأمرين عليه فি�تحاشهم ويسلك طريقاً آخر حتى يصل إلى إيثاكا، في الوقت الذي كادت تنتهي فيه الوليمة التي أقامها يومايوس لأوديسيوس.

### الأنشودة السادسة عشرة

يرسل تيليماخوس يومايوس كي يخبر أمه بأنه قد عاد إلى الوطن، فيبقى بمفرده مع أوديسيوس حيث يتمكَّن من التعرُّف عليه، وعندئِذٍ يتفق الأَب والابن على الخطة التي يجب عليهما اتّباعها، فينفَّذان على ألا يذُكُّر تيليماخوس شيئاً عن أبيه. وفي هذا الوقت يصل إلى المتأمرين نبأ عودة تيليماخوس إلى إسبرطة فيغضبون غضباً شديداً، ويُظْهِر أنتينوس رغبته في قتل تيليماخوس وفي إعداد مؤامرة لقتله، فيعارضه في ذلك بعض الأشخاص. ويصل خبر كل هذا إلى بينيلوبى فتنزل إلى المتأمرين، وتُوجِّه اللوم إلى أنتينوس لرغبته في قتل ابنها. أما عند يومايوس فتنتهي الوليمة وينام الجميع.

### الأنشودة السابعة عشرة

فيها يخرج تيليماخوس في صحبة الراعي، ويدهُب أوديسيوس متنكراً في هيئة شحَّاذ. وهناك يحدث نزاعٌ بينه وبين أنتينوس يُظْهِر فيه الأخير كثيراً من القسوة والعنف، ولكن

بينيلوبي تهبط من مقصورتها وتهتم بها الرجل الشحاذ، وتُبدي رغبتها في التحدث إليه حديثاً خاصاً.

### الأنشودة الثامنة عشرة

فيها يحدُث شجار بين أوديسيوس المتنكر في صورة شحاذ وبين شحاذ آخر يُدعى إيروس Irus، فيُسر المتأمرون كل السرور لهذا المنظر، ولكن الشحاذ أوديسيوس يتغلب على الشحاذ الآخر بضربة قاضية ويلقي به في الخارج. بعد ذلك ترحب بينيلوبي في النزول إلى ساحة القصر بحُجَّة التحدث إلى تيليماخوس، ولكن أثينا تجعلها تنام وتخلع عليها ثوباً من الجمال، ثم تنزل أخيراً وتُوجِّه اللوم إلى تيليماخوس للمعاملة القاسية التي عُولَ بها الضيف، وتقصد بذلك أوديسيوس.

ثم تصعد بينيلوبي إلى جناحها الخاص، ثم ينشب شجار في الدور الأول من القصر بين أوديسيوس وبين الخادمة ميلانثو Melantho تُسبُّ فيه الأخيرة أوديسيوس، وتُوجِّه إليه قارع القول، فيتدخل يورونومي Eurynome حبيب ميلانثو، ويفيد الخادمة ضد أوديسيوس ويُلُوح له بيهده.

يحدُث عقب ذلك هرج ومرج ثم منظر آخر فيه يأمر أوديسيوس ابنه تيليماخوس بإدخال الأسلحة وحبس الخادم، ثم ينتهي اليوم بسلام بالرغم من الحوادث السابقة.

### الأنشودة التاسعة عشرة

يبقى أوديسيوس في الساحة ومعه تيليماخوس، ثم يُخفي أوديسيوس الأسلحة في القصر. وتنزل بينيلوبي من جناحها للتحدث مع هذا الضيف، وتسأله عن شخصه فيجيبها إجابةً كاذبة؛ إذ يقول لها إنه شقيق الملك إيدومينيوس الذي يحُكم في جزيرة كريت، والذي استقبله في كريت وكان قد ذهب إلى هذه الجزيرة لرؤيه إيدومينيوس، وكان الأخير على وشك السفر إلى حرب طروادة. وتبكي بينيلوبي بكاءً مرّاً وتسأله عن أوديسيوس، ثم تأمر بإعداد حمامٍ ساخن لغسل قدمي هذا الشحاذ. وبينما خادمتها يوروكليا تقوم بغسل قدمي أوديسيوس، تتعثر على آثار جروح كان يُعرف بها أوديسيوس، فتتعرّف الخادمة عليه بواسطة هذه الجروح، وتُخْبِر سيدتها بأن هذا الشخص الجالس أمامها هو أوديسيوس بعينه، فتُفْرِج بينيلوبي فرحاً جمّاً، ثم يقترح أوديسيوس على زوجته الخطة الواجب اتباعها، ويعُدَّان العدة في اليوم التالي، ويتفقان على إقامة مسابقة بين المتأمرين.

## الأنشودة العشرون

فيها تُمد مأدبةً عظيمة، ويعلن العَرَاف ثيوكلومينوس نبوءةً تقول بأنه يرى أشباحًا تدور حول المطالبين بالزواج من بينيلوبي، فيضحك هؤلاء ويسخرون من النبوءة ويطردونه شرطدة.

## الأنشودة الحادية والعشرون

تظهر بينيلوبي وتَعِد بأنها ستتزوج من الشخص الذي يستطيع إحراز قصَب السبق في المسابقة التي تُؤَدَّى إقامتها، وهي رمي السهام بالقوس، وتشترط كذلك استخدام قوس أوديسيوس نفسه، ولكن لا أحد ينجح في هذه المسابقة، ولا يتمكَّن أحد من استخدام هذا القوس، فيتقىد أوديسيوس ويطلب الاشتراك في المسابقة فيسخر منه المتأمرون، ولكن تيليماخوس يعطيه القوس وينجح أوديسيوس في استخدامها نجاًّا عظيماً.

## الأنشودة الثانية والعشرون

عندئِذ يعلن أوديسيوس عن نفسه، ويقتل جميع المتأمرين، ولا يستثنى منهم غير الشاعر فيميوس والبطل ميدون.

## الأنشودة الثالثة والعشرون

تقف بينيلوبي على جميع هذه الحوادث، ويتخذ أوديسيوس جميع التدابير الالزمة.

## الأنشودة الرابعة والعشرون

هي ختام الأوديسة وهي أنشودةٌ ضعيفة، وأغلب الظن أنها أُضيَّفت إلى الأوديسة، وبذا تتم الأناشيد ويُصْبِح عدُّها معادلاً لأناشيد الإلياذة تماماً.

من هذا يتَبَيَّن أن الأوديسة عبارةٌ عن التأليف والتنسيق المحكم بين ثلاثة أفكار تتلخص في التليخالية، وفيها لا يظهر البطل أوديسيوس ولا يتحدث ولا يتكلم، وإنما يُذَكَّر عرضاً

بحيث تكون ذكراه هي السائدة في الأغاني الأربع الأوّل، وفي مخاطرات أوديسيوس، ثم في انتقام الأخير من مغازلي زوجته.

وكل ما يمكننا استنتاجه من تحليل كلٌّ من الإلياذة والأوديسة هو:

أولاً: وحدة الموضوع واحدة في المنظومتين.

ثانياً: وجود قطعٍ طويلة شديدة ممتعة أحياناً، وغير ذلك في حين آخر، ويمكن حذفها دون أن يؤثّر هذا الحذف على وحدة الموضوع في الكثير أو القليل. بل ربما كان هذا الحذف مفيداً جدّاً، ومما لا شك فيه أن عدداً من هذه القطع قد أضيف إلى الأوديسة بصورة أكثر منها في الإلياذة.

ومن ثم فإن هذه القطع غير ضرورية في الإلياذة والأوديسة.

ثالثاً: نستطيع أن نميّز في الإلياذة والأوديسة وخصوصاً في الأولى بين العصور المختلفة. وهذا التمييز يظهر جليّاً في اللغة ووصف الشخصيات والحقائق التاريخية.

إذن كيف يمكن تفسير جميع هذه الحوادث المختلفة حول الفكرة الأساسية للإلياذة، وهي فكرة غضب أخيل، وحول الفكرة الأساسية للأوديسة، وهي فكرة عودة أوديسيوس وانتقامه لنفسه؟

يفترض العلماء المحققون فرضيّن أساسيين: أحدهما يقول بوجود نواةً أولية، وهذا الفرض يُسمى Monyan Primitif، ويعني ذلك أن شاعراً عقريّاً ألف نوّعاً من الإلياذة والأوديسة، ثم حدثت بعض التغييرات، وأضيفت إليها بعض الإضافات إبان العصور التالية. ولقد ظهر هذا الفرض على الأخص منذ عام ١٨٢٤ م. ومن أخذ بهذا الفرض من العلماء هيرمون Hermonn عام ١٨٣١ م، وكايسر Kayser عام ١٨٣٥-١٨٤٥ م، وجروت Grote عام ١٨٤٩ م. والأخير يقول بوجود قصة أصلية تدور حول أخيل تُسمى L'Achilléide ثم أخذ الشاعر نفسه الذي ألف القصة البسيطة في بادئ الأمر يضيف إليها حتى أصبحت طويلةً جدّاً.

ومما يؤيّد هذا الفرض في زعم هؤلاء العلماء ما حدث في القصائد التي ظهرت فيما بين النهرين، ولكن الإضافات والتغييرات التي حدثت بالإلياذة والأوديسة أقل بكثير من التي حدثت في قصائد Gilganesch ومن المستحيل أن تكون هذه النواة الأصلية قد وُجدت قبل هجرات الآخين، ومن المستحيل أن تكون الإلياذة قد أُلفت هي والأوديسة قبل حرب طروادة.

والآن من هم أبطال حرب طروادة؟ هناك النظرية الألمانية، وهي تقول إن هؤلاء الأبطال كانوا آلهةً في أول الأمر، ثم أصبحوا بشراً بمرور الزمن. وقد عارض هذه النظرية العالم الفرنسي بول فوكار Paul Foucart في رسالةً لفَهَا عن عبادة الأبطال عند اليونان. إذن كان أجاممنون وأخيل ومينيلاوس آلهةً تُعبد في بلاد اليونان، ثم من زمانٍ طويل حتى أصبحوا بشراً جمعتُهم الخرافات حول حصار طروادة. والذي يجب أن نتذكره أن أهمية طروادة القصصية لم تَرِد إلا في أواسط آسيا الصغرى حتى جاءت إليها سلالة أولئك الأبطال يقيمون بها.

أما النظرية العكسية فهي نظرية بول فوكار التي تقول إن هؤلاء الأبطال كانوا بشراً في أول الأمر ثم ارتفعوا بعد ذلك إلى درجة الآلهة؛ فإن أجاممنون وأخيل ومينيلاوس كانوا رجالاً وربما كانوا من رجال الخرافات الذين ابتدعُتُهم الخرافات، وربما كانوا أيضاً شخصياتٍ تاريخية لها وجودٌ تاريخي صحيح.

وهذا الاعتبار الأخير أميل إلى الصحة؛ لأن مكتشفات الحفائر في البلاد الشرقية تدعونا إلى أن نأخذ بالرأي القائل بأن هذه الشخصيات وُجدت حقاً وعاشت حقاً، وكان لها ما كان من الآخر في حرب طروادة، وهم أبطال آخرون ما عدا البطل أوديسيوس الذي اسمه يوناني. كان هذا الاسم هو أوليكسيس Olixces وقد وصل هذا الاسم إلى إيطاليا بهذه الصورة قبل أن يكون هناك أوديسة ثم أصبح أوديسيوس Odysseus ومعناه «الرجل الذي يتحمّل غضب الآلهة» وهو مُشتَقٌ من الفعل اليوناني Odussomai. وكان ذلك جارياً في التقاليد بين شعوب البحر الأبيض المتوسط، ثم نُقل بعد ذلك إلى القصائد الهوميرية. ومن المحتمل جدًا أن تكون هناك قصائدٌ إيجية مينوية تابعة للحضارة الكريتية اعتمد عليها الشعراء من الآخرين، واقتبسوا منها الشيء الكثير، ولكننا لا نستطيع أن نعرف هذه القصائد الإيجية بأية حال فهي مجهولة لنا تماماً؛ لأنه لم يبق منها آثارٌ تدل عليها بالنسبة إلى أن اللهجات الآخية انعدمت، ولم يبق منها إلا بعض الكلمات البسيطة. هذا ما عندنا عن الفرض الأول.

أما الفرض الثاني فهو القائل بوجود أغانٍ بسيطة في أول الأمر منفصلة الواحدة عن الأخرى وتُسمى بالألمانية «ليدر» Lieder.

وتقول هذه النظرية الألمانية بأن هذه الأغاني المنفصلة تتحدّث كلّ منها عن حادث خاصة من حوادث الخرافات ويُبَشِّرُها الشعراء المغنون. ومن المحتمل جدًا أن يكون هناك شاعرٌ عبقرى قد حاول أن يختار من هذه الأغاني، وأن يجمع منها كلّ ما يتصل بفكرة

واحدة، كالفكرة التي تدور حول غضب أخيل أو عودة أوديسيوس وانتقامه. هذا ما أخذ به القس الفرنسي D'Aubignac في القرن السابع عشر. وجاء بعده بمدة العالم الألمانيWolf الذي أخذ بهذه النظرية أيضًا في مؤلفه المشهور المسمى Prolegomene. وقد انتهى وWolf إلى مثل ما انتهى إليه العالم الفرنسي بعد دراساته الطويلة بالحوادث التي كانت في مخطوط يُسمى Veenetus ونشرها عالم فرنسي اسمه De Villoisin عام 1788م. وقد أيد هذه النظرية مع بعض الاختلاف البسيط لأخمان Lachmann وهين Heyne وكيرشوف Kirchhoff الذي يقول إن الإلياذة والأوديسة ليستا عبارة عن أغانٍ صغيرة بسيطة، إنما قصائدٌ طويلة من الشعر القصصي. وقد أيد كيرشوف فيما يخص بالإلياذة عالم آخر مشهور جدًا اسمه Wilamowitz.

هذه بيداءً من الآراء المختلفة، من الجائز أن يضل الإنسان فيها؛ لذلك نكتفي ببعض الملاحظات لتحديد أوجه هذه المشكلة، ولكن قبل أن نبدأ في ذكره هذه الملاحظات يجب علينا أولاً أن نذكر كيف نُشرت هذه الأشعار الهومرية، ونتكلم أولاً عن كيفية انتقال هذه القصائد إلى آيونيا في آسيا الصغرى.

نستطيع أن نقول إن الشعر كانت له مكانةً عظيمة في المجتمع الآخي والأيوني والأيوبي؛ إذ كان الشعراء والمغنون يُنسدون في المآدب التي يقيمهما كبار القوم مثل فيميوس وديمودوكوس وألكينوس. كانت الأغاني التي يختارها هؤلاء الشعراء المغنون تدور حول حوادث خاصة بحياة الأبطال. يظهر لنا من أول وهلة أن هذه الأغاني كانت أغانيًّا قصيرة؛ لأنه من المستحيل على الشاعر أن يُعْنِي أغانيًّا أغانٍ طويلة كإلياذة والأوديسة، خصوصًا إذا أخذنا أن الكتابة لم تكن قد ظهرت بعد. بناءً على هذه النظرية يمكن استنتاج أن هذه القصائد لم تكن طويلة، وأنها نُقلت عن طريق الحفظ والسماع إلى آيونيا، ولكننا نُشك في هذا الكلام لوجود فكرة في هوميروس ثُبت وجود كتابة في هذه الفترة. كان من الجائز أن نأخذ بهذه الفكرة لو لم تُوجَد الحفائر. أما الآن فإننا نعرف عن طريق الحفائر أن اليونان لم يأخذوا الحروف الهجائية عن الفينيقيين في القرن الثامن أو التاسع؛ لأن الكتابة كانت معروفة منذ زمنٍ طويل في قرٍن أقدم من القرئين الثامن والتاسع، وكانت الكتابة معروفة في العالم الذي وصل إليه الآخيون؛ لذلك يمكننا أن نأخذ بالرأي القائل بأنه كان هناك نوع من الإلياذة والأوديسة موجود ومكتوب باللغة اليونانية وفي هذا العصر القديم بالذات؛ لأن علم اللغات قد أثبت لنا بطريقةٍ قاطعة أن هناك فاصلًا بين القصائد الهومرية وبين الأدب الآخي الذي سبق هذه القصائد والحروب.

ليس هناك من شكٌ في أن هذا مهمٌ من الناحية التاريخية والأدبية؛ لأنه يُثبت لنا الأهمية العظمى للشعوب المتكلمة باللغة اليونانية مثل الأيونيون والأiolيون وهم متصلون بالآخرين بصلة القرابة، وبالذين جاءوا إلى بلاد اليونان بعد هجرات الآخرين وقبل هجرات الدوريين.

ثم صارت لهم السيادة بعد أن استتبوا ببلاد اليونان أو بعد هجراتهم إلى آسيا الصغرى، وكانت هذه الهجرات نتيجة للغزوات الدورية.

ولقد سارت القصائد الهومرية في نفس الطريق الذي سارت فيه القصائد الأيونية ثم انتقلت إلى أيونيا بواسطة الكتابة. أما الآخرون فلم يقبلوا أن يكون لهم آداب، فقدلوا الأدب الفريجي المينوي، ثم كان هناك فنٌ ميسينيٌّ قلدوه من الأسلحة والأواني الفخارية. فالقصائد الهومرية إذن قصائد هومرية بحثة لا نجد فيها كلماتٍ إيجية إلا عدًّا قليلاً جًّا يكاد لا يُذكر، وهي قصائدٌ تسير على نهج القصائد الأiolية، ولكنها اتخذت الشكل الأيوني.

والآن نتحدث عن الكيفية التي نُقلت بها هذه القصائد إلى بلاد اليونان. لقد انتقلت بإحدى هاتين الطريقتين أو بالاثنتين معاً.

أولاً: بالطريقة الشفوية، وذلك بواسطة المنشدين المغندين الذين كان من عادتهم الانتقال من مدينة إلى أخرى، والتقدُّم إلى المسابقات العامة لنيل الجوائز الكبرى كتاج من الذهب مكافأةً على إنشادهم أشعار هوميروس. وكان من عادتهم أن يصعدوا فوق منبرٍ عالٍ ويأخذوا في إلقاء هذه القصائد بصوتٍ جهوري واضح النبرات. وكانوا يعقدون جلساتٍ طويلة على أيامٍ متتالية كي تكفي هذه الجلسات الطويلة لإنشاد الإلياذة والأوديسة كلها. وكان هؤلاء المنشدون يلبسون ملابسٍ فاخرة ذات ألوانٍ زاهية باهرة حمراء عندما يُنشدون الإلياذة وأخرى أرجوانية متى ينشدون الأوديسة، وذلك حسب ما قال به كل من الخطيبين سقراط وأفلاطون؛ فقد قال كلاهما إن هؤلاء المنشدين كانوا يذهبون إلى الأعياد التي تُقام فيها المسابقات العامة كالأعياد الباناثينية الكبرى Grandes Panathéneés ويحدثنا الشاعر بندار Pindar أيضاً عن وجود جماعةٍ تُسمى Les Homérides الهومريون يُنشدون هذه القصائد. والمرجح أنهم كانوا في بادئ الأمر عبارةً عن جماعةٍ تضم جميع مُغني الإلياذة والأوديسة. كانوا يدعون لأنفسهم حق الانتساب إلى هوميروس ويقولون إنهم من سلالة هوميروس. وكان من بين الهومريين كثيرون في جزيرة خيوس Chios نسب إليهم فكتور بيار جمع الأغاني المختلفة التي تتكون منها الأوديسة، وذلك

في بداية القرن السابع قبل الميلاد. وهذه الأغاني مجتمعة قد وصلت إلينا اليوم كما كانت عليه في ذلك القرن. وهذا ما يأخذ به أصحاب الأغاني المستقلة المسمة «ليدر» الذين يقولون بوجود شعراء عباقرة جمعوا هذه الأناشيد في إلياذة عامة أو أوديسة عامة.

ثانياً: بالطريقة الكتابية؛ لأنه كان بين أيدي المنشدين نسخ مكتوبة. ولقد قال المؤرخ إيفور Ephore في القرن الرابع قبل الميلاد في إحدى رواياته إن المشرع الإسبرطي لوكورجوس Lycurgus قد عمل على استحضار نسخة من جزيرة ساموس أو خيوس أو من كريت إلى إسبرطة، ولكن حقيقة الأمر أن هذا المشرع خرافي ولا وجود له في التاريخ.

ولكن هناك رواية أخرى تقول إن الطاغية بيزستراتوس الذي حكم في أثينا إبان القرن السادس قبل الميلاد قد عمل على جمع هذه الأناشيد الهومرية، وكانت حتى عصره مشتتةً بمعشرة، كما أنه يجب ألا يغيب عنا أنه في عصر بيزستراتوس هذا تقرر إنشاد القصائد الهومرية في الأعياد البانائينية الكبرى في أثينا. وقد استغل هذه الرواية أصحاب نظرية الأغاني المستقلة ابتداءً من وولف؛ ففي رأي القائلين بهذه النظرية أن أثينا لعبت دوراً مهماً في تكوين الإلياذة والأوديسة. ومن رأيهم أيضاً أن الشعراء العباقرة الذين عملوا على وضع الإلياذة والأوديسة في صورتها الأخيرة هم أعضاء اللجنة التي أَفَّها بيزستراتوس للإشراف على أمور التعليم والثقافة والعلوم المختلفة في أثينا في القرن السادس قبل الميلاد. وتتألف هذه اللجنة من الأشخاص الثلاثة الآتية أسماؤهم Zopyres d'Héraclée, Onomaci d'Athènes, Orphée de Grotone، ولكن الرواية الأخيرة بعيدة عن الصحة؛ إذ إنها لا تتعذرّى القرن الأول قبل الميلاد، والذي رواها هو أسكليبيادياس؛ Asclépiades ومن ثمّ فهي ليست قديمة.

والمؤرخون الذين ظهروا في نيجارا هم أول من نسب إلى بيزستراتوس إدخال بيته من الشعر لإثبات حقوق أثينا على جزيرة سلاميس؛ ومن هنا نشأت الخرافية القائلة بوجود اللجنة التي عينها بيزستراتوس والتي تكلّمنا عنها. وهي الخرافية التي وصلت النحوي أسكليبيادياس ومنه إلى شيشترون Cicero وعن الأخير عرفها المحدثون. وواقع الأمر أنه كانت هناك نسخ لهوميروس تُسمى «نسخ المدن» وهي النسخ الحكومية التي تضعها الدولة للمدارس والأعياد العامة. وقد وُجدَ كثيّر من هذه النسخ في أثينا وغيرها. ومن المحتمل أن تكون هذه النسخ الحكومية هي كل ما يمكن نسبته إلى صولون وبيزستراتوس. وقد تحدّث البعض فقال إن أشعار هوميروس كُتُبَت في أثينا بلهجة أتikiّية. واستندوا في ذلك على الإضافات التي رُجّت في النسخة الأصلية كالبيتين المتعلّقين بجزيرة سلاميس وكالأشعار

المتعلقة بالأبطال الأثينيين كالبطل مينيسيوس Menestheus وأريختيوس Erectheus وهم في هذا غير مُحقّين؛ لأنّه لا يوجد ما يدعو إلى افتراض وجود هذه الفروض ونسبتها إلى الساسة الأثينيين لشرح الدور الذي قام به الأبطال الإثينيون في الإلياذة؛ لأن علم الآثار أثبت لنا بطريقة قاطعة أنه كانت هناك أثينا وأتيكا أيام الحضارة الميسينية.

بيد أن هناك آخرين يقولون إن النص الأصلي كان باللهجة الأيونية ثم نُقل إلى الأتيكية القديمة وذلك بعد عام ٤٥٠ ق.م. وهذا الرأي بعيد عن الصحة؛ لأن الإلياذة والأوديسة وصلتا إلى أثينا باللهجة الأيونية، ومن غير المعقول أن تُستبعد هذه اللهجة الحسنة وتُفضل عليها اللهجة الأتيكية.

إذن فلا يتحمل العقل هذه الفروض بل ما يُصدّقُه هو أن بلاد اليونان في القرن الخامس والرابع (أي في العصر الكلاسيكي) كانت تقرأ هوميروس كما نقرؤه اليوم. ويُكاد النص يكون هو النص الذي بين أيدينا. وطبعي أن تكون الطبقات المختلفة في هوميروس متباعدة فيما بينها؛ ومن ثم لا يجب أن نُعنى بالإضافات والتغييرات إلا لمجرد حب التغيير والإضافة، أو بقصد الكسب والمنفعة.

والواقع أن الإلياذة والأوديسة اللتين وصلتا إلى علماء فقه اللغة من السكndريين لا تختلفان عن الإلياذة والأوديسة اللتين بين أيدينا، صحيح أن بين هؤلاء العلماء من غير فيهما مثل زينودوت Zenodote الذي بلغت به الجرأة فحذف الكثير من الأشعار التي لا تتفق مع الإلياذة والأوديسة.

الواقع إذن أن جميع هذه الاعتبارات لا تُحل هذه المشكلة حلاً مقنعاً؛ لأننا نتردد بين الفرض الأول القائل بوجود نواة أولية، والفرض الثاني القائل بوجود أغان بسيطة تُسمى «ليدر»، ولا ندري أيهما نُفضل على الآخر. وربما كان أفضل شيء هو أن نُبدي رأينا الشخصي بهذا الصدد.

إن الإلياذة تتناسب مع الفرض الأول؛ إذ يمكن شرح الإلياذة بهذه النظرية؛ فالإلياذة لا تخلو من قطعٍ كثيرة أُضيفت إليها، ويمكن حذفها دون أن يؤدي هذا الحذف إلى أدنى تغيير في الهيكل الأساسي الذي تتركب منه؛ مثل تعداد السفن، أو القائمة التي أنت بتعداد السفن Catalogue des Vaisseaux في الأنشودة الثانية؛ إذ واضح جدًا أن هذه القائمة بأسماء السفن قد أُضيفت إلى الإلياذة رغم أن هذه القائمة تتناسب العصر؛ إذ تعطينا فكرة عن جغرافية البلاد إبان الحضارة الميسينية. ولقد أخذ النقاد بهذا الرأي وأجمعوا عليه. كما أن الإلياذة لا تخلو من قطعٍ مكرّرة حتى تكاد تكون متشابهة، ولكن رغم هذه

إِلَضَافَةً وَهَذَا التَّشَابِهُ لَا تَزَالْ تُوجَدْ سَلْسَلَةً مِنَ الْحَوَادِثِ الْأَسَاسِيَّةِ هِيَ الَّتِي تُكُونُ الْهِيَكِلُ الْأَسَاسِيُّ لِلِّإِلَيَّادَةِ كَغَضْبِ أَخِيلِ، وَكَالْمُرْكَةِ الَّتِي خَسَرَهَا الْيُونَانِيُّونِ، وَالْوَفْدُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى أَخِيلِ لِيَعُودَ بِهِ إِلَى الْقَتَالِ، وَالْمُرْكَةِ الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا بِجَوَارِ الْأَسْطُولِ، وَكَالْأَنَشِيدِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ بَاتِرُوكَلُوسِ وَتَسْمَى Patroclice، وَمَثُلُ عُودَةِ أَخِيلِ إِلَى الْحَرْبِ، وَمَوْتِ الْبَطْلِ هَكْتُورِ فِي نِهَايَةِ الْقَصَّةِ.

أَمَا إِذَا أَخَذْنَا بِالْفَرْضِ الثَّانِي الْمُسَمَّى «لِيدِر» فَثَابَتْ أَنَّهُ يُمْكِنُ الاعتراضُ عَلَيْهِ بَعْدَ اعْتِرَاضَاتِ، مِنْهَا الاعتراضُ الْخَاصُّ بِالْتَّسَائُلِ عَنِ الزَّمِنِ الَّذِي حَدَثَ فِيهِ الْجَمْعُ وَالْتَّصْنِيفُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَغْنَانِ؛ إِذَا مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَمَّ الْجَمْعُ وَالْتَّصْنِيفُ فِي عَهْدِ الشَّعَرَاءِ الْمُنْشَدِينَ؛ لِأَنَّ طَبِيعَةَ مَهْنَتِهِمْ لَا تَسْاعِدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ قَدْ تَمَّ فِي عَهْدِ الْطَّاغِيَةِ بِيَزِسْتَرَاتُوسِ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ الْمُنْسُوبَ إِلَيْهِ يَفْتَرَضُ وَجُودَ إِلَيَّادَةِ؛ وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ بَعِيْدَ الْاحْتِمَالِ وَالصَّوَابِ.

الراجحُ إِذْنَ أَنَّهُ كَانَتْ تُوجَدْ قَبْلَ إِلَيَّادَةِ هُومِيُّوسِ إِلَيَّادَةُ أَيُولِيَّةُ أُخْرَى وَلَكِنَّهَا أَقْلَى رَقْيَاً وَتَقْدِمَاً مِنْ إِلَيَّادَةِ هُومِيُّوسِ؛ إِذَا يَغْلِبُ عَلَيْهَا نُوْعٌ مِنَ التَّأْخِرِ وَالْوَحْشِيَّةِ فِي الْعَادَاتِ تَتَنَاسَبُ مَعَ الْعَصُورِ الْبَدَائِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْلَّهَجَةُ الْأَيُولِيَّةُ إِلَى الْأَيُونِيَّةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ تَلَطَّفَتْ وَتَهَبَّتْ وَتَحْسَنَتْ وَأُضِيَّفَتْ إِلَيْهَا بَعْضُ حَوَادِثِ جَدِيدَةِ. وَالْأُودِيْسَةُ هِيَ الْأُخْرَى تَقْبِلُ مِثْلَ هَذَا التَّفْسِيرِ كَمَا تَقْبِلُ النَّظَرِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي نُفَخَّلُهَا؛ فَهَيْكِلُهَا الْأَسَاسِيُّ وَاضْعَفَ كُلَّ الْوَضُوْحِ؛ لِأَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ وَاضْحَى بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهَا مَرْتَبَطَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا بِرِبَاطٍ مُتِينٍ وَثَيِّقٍ. وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْأَنَشِيدَ الَّتِي أُضِيَّفَتْ إِلَى الْأُودِيْسَةِ أَكْثَرُ بَكْثِيرٍ مِنَ الْأَنَشِيدَ الَّتِي أُضِيَّفَتْ إِلَى إِلَيَّادَةِ. وَلَيْسَ هُنَاكَ سَبِيلٌ إِلَى الْقُولِ بِوُجُودِ أُودِيْسَةِ أَيُولِيَّةٍ كَإِلَيَّادَةِ الْأَيُولِيَّةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَطْلَ أُودِيْسِيُّوسَ لَيْسَ أَيُولِيَّاً بَلْ مِنْ أَبْطَالِ شَعُوبِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ.

وَبِالرَّلْغَمِ مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ الْغَالِبَةِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْقَصِيدَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ لَهُمَا تَارِيْخًا مَحْدُودًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَصَائِدُ تُصُورُ لَنَا سَلْسَلَةً طَوِيلَةً مَتَّصِلَةً مِنَ الْقَرْوَنِ وَالْعَصُورِ. كَمَا يَجِبُ أَنْ يَغْيِبَ عَنِ بَالِنَا أَنَّهُمَا لَيْسَا مِنَ الْأَدَابِ الشَّعُوبِيَّةِ بَلْ هُمَا مِثْلُ الشَّعْرِ الرَّاقِيِّ الرَّفِيعِ الَّذِي أَلْفَهُ شَاعِرٌ مُتَقَفِّفٌ عَلَى جَانِبِ كَبِيرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْوِقْفَةِ أَرَادَ أَنْ يُصُورَ لَنَا عَصْرَ الْأَبْطَالِ الْقَدِيمِ. وَنُسْتَطِعُ أَنْ نَقُولَ أَيْضًا إِنَّ فِي كُلِّ مِنْ إِلَيَّادَةِ وَالْأُودِيْسَةِ أَجْزَاءَ قَدِيمَةً وَأَخْرَى أَحْدَثَ مِنْهَا. وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّهُمَا اَنْتَهَتَا جَمِيعًا فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ أَوِ السَّابِعِ قَبْلِ الْمِيلَادِ فِي عَصْرِ اِنْتِقَالِ بَدَأَ فِيهِ الْمُجَتَمِعُ يَنْتَقِلُ مِنَ الْحُكْمِ الْمَلْكِيِّ إِلَى الْحُكْمِ الْأَرْسِتَقْرَاطِيِّ الَّذِي كَانَ مَظَاهِرَهُ أَخْذَةً فِي النَّمَوِ وَالْأَزْدَهَارِ بِسَرْعَةٍ.

# الأنشودة الأولى

## دعاء إلى ابنة زوس

حديني، أيتها الربّة، عن الرجل الكثير الحِيل الذي أخذ يجول في كثيرٍ من مناكب الأرض بعد أن دَمَرَ قلعة طروادة المقدسة؛ فقد شاهد بلاد رجالٍ كثرين وتعلم آراءهم. نعم، وكثيرة هي الويلات التي عانها في قلبه وسط البحار، ساعيًّا إلى النجاة ب حياته وعوده رفقاء. بيد أنه مع هذا لم يُنِقِّدْ أولئك الرفاق، رغم شدة لهفته إلى ذلك؛ إذ هلكوا بسبب حماقتهم العمياء – فما أحمق من أكلوا أبقاراً! هيليوس هوبيريون Helios Hyperion<sup>١</sup>: إذ حرّمهم سلامَة عودتهم. تحدّثي إلينا، أيتها الربّة، يا ابنة زوس<sup>٢</sup>، عن هذه الأمور، وابدئي من حيث يحلو لكِ أن تبدئي.

<sup>١</sup> يطلق عليه الرومان اسم سول Sol أي رب الشمس، يخلط بينه وبين أبوالو. كان هيليوس بتعبير أدق، إلَّا للشمس عند شروقها أكثر من أبوالو، ثم تتحرك في فلكها فتغرب عندما يكون أبوالو إلَّا للشمس عند غروبها، فكان أبوالو يختص بالشمس عندما يغيب ضوءها ولا شأن له بها أثناء رحلته اليومية عبر السموات.

كان يشرق هيليوس، ابن هوبيريون، كل صباح من أوقيانوس شرقاً، ثم يقود عربته بجيادها الأربع في طريقها خلال السموات، ويغرب في المساء عند أوقيانوس غرباً. كان له في كلٍّ من مكاني الشروق والغروب قصرٌ فخم متين يستجمُّ ويستريح فيه هو وخيوه.

<sup>٢</sup> حاكم العالم ورئيس سائر الآلهة والبشر.



قاد أثينا نفسها، وأجلسها فوق مقعد، وعند أسفله كرسي صغير للأقدام ...

### بوسايدون ثأر ضد أوديسيوس

والآن، أصبح في أوطانهم جميع الآخرين، الذين نجوا من الهاك المحقق، سالمين من أذى الحرب والبحر، ولكن أوديسيوس<sup>٣</sup> وحده، الشديد اللهفة إلى الرجوع لوطنه، وإلى زوجته،

<sup>٣</sup> ابن ملك إيثاكا، تزوج بينيلوبى وأنجب منها ابنًا اسمه تيليماخوس. وتذهب بعض الروايات إلى أنها أنجبت له أبناء آخرين، وأنها أثناء غيابه في سياحاته أنجبت كيركي وكاللويسو، وبعض نساء آخريات أنجبن له أطفالاً. كان أوديسيوس أشهر أبطال الإغريق؛ إذ فاقهم في الصيت وبعد الشهرة. وقد قتل في شبابه خنزيراً أثناء الصيد الذي اشترك فيه عند زيارة جدّيه في بارناسوس، فجرحه الخنزير في ركبته



قد احتجَزَتْ الحورية الجليلة والرَّبَّة الْبَرَّاقَة كالوبسو Calypso،<sup>٤</sup> في كهوفها الواسعة، أملاً في أن تتخذه زوجاً. غير أنه، ما إن أهل — بمرور الفصول — ذلك العام الذي حدَّته

أثناء صراعه معه، فترك أثراً في جسمه. وقد أرسله أبوه لايرتيس إلى لاكيديامون في سفاره حيث أهداه صديقه المضيف قوس يوروتوس المشهور الذي ساعدته كثيراً في مناسبات طيبة. وبعد مضي عدة سنوات قام برحلاً ثانية ليحصل من ورائها على سُمّ لسامه، طاف فيها حتى وصل بافوس؛ لأن صديقاً له يُدعى إليوس كان يسكن عن قرب، رفض الظعن خوفاً من الآلهة. وكان في ذلك الحين أو قُبْلَ ذلك أن انضم أوديسيوس إلى جماعة خطاب هيلينا الذين وافقوا جميعاً على فكرة أوديسيوس بأن يترکوا لهيلينا حرية اختيار زوجها، وأن يحموها في المستقبل وقت الحاجة. لم يكن أوديسيوس مُوْفَقاً من بين المتقدمين للزواج منها، ولكنه عزّى نفسه بزواجه السابق من بيليلوبى الليبية الغنية. وإلى هذا كان عليه أن يجنب إلى حياة سهلة خالية من الهموم. كان سعيداً وملكاً قادرًا شهيرًا معروفاً بكرمه واحترامه للآلهة وخاصة زوس وأثينا. ولقد وُلد له ابن يُدعى تيليماخوس. (انظر المقدمة).

<sup>٤</sup> عروس الماء في جزيرة أوجوجيا Ogygia حيث تحطّمت سفينة أوديسيوس. أحبّت أوديسيوس ووعده أن تمنحه الخلود إذا مكث معها، فاحتضنَتْ به سبع سنين، ثم أطلقت سراحه بأمرٍ من زوس؛ ومن ثم ساعدَتْه في بناء سفينةٍ أخرى وأمَدَّه بالمؤن وأرسلته في طريقه.

الآلهة لكي يعود فيه وأوديسيوس إلى وطنه إيثاكا Ithaca، حتى كان هناك، ولكنه لم يكن خالياً من المهام، حتى بين قومه. وقد أشفقت عليه جميع الآلهة خلا بوسايدون Poseidon، الذي مضى في ثورته المستمرة ضد أوديسيوس، شبيه الإله، حتى وصل أخيراً إلى أرضه.

بيد أن بوسايدون انطلق إلى الإثيوبيين Ethiopians البعيدين؛ الإثيوبيين، الذين يقطنون بمنأى عن البشر، في شطرين منفصلين، بعضهم حيث يغرب هوبيريون، والبعض الآخر حيث يُشرق ليتلقى ذبيحةً مثوية من التيران والكباش. وكان يتمتع هناك بملذاته، جالساً أمام الوليمة، بينما كان الآلهة الآخرون مجتمعين في ساحات زوس الأوليمبي Olympian Zous، وقد كان أبو الآلهة والبشر هو أول من تكلم بينهم؛ إذ كان يُفکر في قراره قلبه في أيجيسيثوس Aegisthus<sup>١</sup> النبيل، الذي قتله أوريستيس Orestes<sup>٢</sup>، الذائع الصيت، ابن أجاممنون Agamemnon<sup>٣</sup> فتكلم وسط الخالدين وهو يُفکر فيه، فقال:

«اسمعوا يا هؤلاء، الآن سأبين لكم كيف أن البشر مستعدون لينحوا على الآلهة باللوم، إنهم ليقولون: إن الشرور تأتي منا. غير أنهم ينالون أحزاناً تفوق ما قدر لهم، بسبب حماقتهم العمياء؛ فقد تخطى أيجيسيثوس ما قدر له، فاغتصب لنفسه زوجة ابن أتريوس Atreus<sup>٤</sup>، وقتله عند عودته، رغم أنه كان على يقين من ال�لاك المحقق؛ إذ سبق أن تحدّثنا

<sup>١</sup> رب البحر، له سلطان على العواصف والرياح، ويرسل الخراب أو يهب السلام للملاحين، ويُشرِّف على جميع العمليات البحرية كالصيد والتجارة والبحرية.

<sup>٢</sup> في أثناء غياب أجاممنون في طروادة عشق أيجيسيثوس زوجته كلوتايمينيسترا، فلما رجع أجاممنون قتلها أثناء عودته؛ ومن ثم حكم أيجيسيثوس في موكيتاني سبع سنين حتى قتله أوريستيس بن أجاممنون.

<sup>٣</sup> ابن أجاممنون وكلوتايمينيسترا، كان طفلاً عندما قُتل والده بيد كلوتايمينيسترا وعشيقها إيجيسيثوس، كما كانت أمه على وشك أن تقتل أوريستيس لو لم تخطفه الخادمة من يدها. ولما أشرف أوريستيس على العشرين نصحه أبوه بالانتقام لقتل أبيه، فعاد إلى موكيتاني وقتل أيجيسيثوس وكلوتايمينيسترا.

<sup>٤</sup> والد أوريستيس من كلوتايمينيسترا. عاد أجاممنون إلى موكيتاني بعد طرده منها، واسترجع عرشه وصار أشد ملوك بلاد اليونان بطشاً.

<sup>٥</sup> كان يملك حملأً ذهبياً يُفَسِّر بأنه دليلٌ على قوة من يملكه، وكان قد أعطاه له هيرميس، رسول الآلهة، كوسيلةٍ من وسائل الانتقام لموت ابنه الذي قتله بيلوبس.

إليه، وأرسلنا هيرميس Hermes.<sup>١٠</sup> أرجايفونتيس Argeiphontes<sup>١١</sup> الثاقب البصر، ينهاد عن قتل الرجل وعن مغازلة زوجته؛ لأن الانتقام لابن أتريوس، سوف يأتي من أوريستيس يوم يبلغ هذا مبالغ الرجال، ويتحقق إلى وطنه، فأخبره هيرميس بهذا، ولكنه رغم حسن نيته، لم يُوفق في التغلب على قلب أيجيسثوس، والآن ها هو قد دفع ثمن كل شيء.<sup>١٢</sup> عندئذ ردَّت عليه الربة، البرّاقة العينين،<sup>١٣</sup> قائلة:

«أبانا كلنا، يا ابن كرونوس،<sup>١٤</sup> يا أسمى جميع السادة. حقاً، إن ذلك الرجل ليعيش ذليلاً في تهلكة يستحقها، كما نرجو أن يلقي مثل هذا المصير، كل شخص آخر يفعل مثل تلك الفعال، ولكن قلبي يتمزق من أجل أوديسيوس الحكيم، ذلك الرجل التعيس، الذي ظل بعيداً عن أصدقائه، يقاسي الأهوال طويلاً، في جزيرة وسط البحر تحوطها المياه من كل صوب. إنها لجزيرة كثيرة الغابات، حيث تعيش ربَّة هي ابنة أطلس Atlas<sup>١٤</sup> ذي العقل الفتاك، الذي يعرف أعمق كل بحر، ويحمل هو نفسه، العمدة الطويلة التي تفصل السماء

<sup>١٠</sup> ابن زوس وأحد آلهة أوليمبوس العظام، تختلف وظائفه كثيراً عن وظائف باقي الآلهة؛ فهو إله الريح وله سرعتها، ومنادي زوس والآلهة الآخرين، ورب الألعاب الرياضية، ورب الخداع واللصوص، وإله الحظ؛ ومن ثمَّ كان إله المقامرين، ورب التجارة والسوق، ورب المسافرين في البر والبحر، وإله الحديث وطلقة اللسان، ومخترع الحروف الأبجدية والأعداد ومبتكر الذبائح وعلم الفلك، والعود والمزمار، وراعي الصحة وإخصاب الحيوانات والنباتات. كما أنه رب الرعاة وجالب النوم والأحلام، ومرشد أرواح الموتى إلى العالم السفلي.

<sup>١١</sup> من الأفضل اعتبار هذه الصفة اسم علم، للمحافظة على دقة الترجمة. ولا شك في أن الكلمة معناها «سرير الظهور». ولا يمكن استخدام المعنى «قاتل أرجوس»؛ إذ لا أثر لأسطورة أرجوس Argus في هوميروس.

<sup>١٢</sup> أو «الرمادية العينين» كما يقول فريقٌ من المحققين. بيد أنه لو كان المقصود هو لون العيون لتحتم أن يكون لونها أزرق وليس رماديًّا.

<sup>١٣</sup> كرونوس هو رب الحصاد في الأصل ويحكم العصر الذهبي في هذه الحياة الدنيا عندما كانت الأرض تعطي غلتها دون عناء للإنسان، وعندما كان السلام والعدل والبراءة تُخْيَّم على جميع أنحاء الأرض. كان من نتيجة الخلط بين الكلمة الإغريقية «خرونوس»، أي «الوقت»، أن اعتبر كرونوس شخصية تمثل الوقت. وابنه المقصود هنا هو «زوس».

<sup>١٤</sup> حارب مع التيتان Titans ضد الآلهة. ولما هُزم وضع في المغرب الأقصى، وكفَّ أن يحمل السموات فوق كتفيه.

عن الأرض. إن ابنته هذه هي التي تحفظ بذلك الرجل التعيس، الحزين، وتدأب في خداعه بمعسول الألفاظ كي ينسى إيثاكا، ولكن أوديسيوس، من فرط شوّقه إلى رؤية، ولو الدخان المتصاعد من بلاده، يتوق إلى الموت. ومع ذلك، فإن قلبك لا يهتم بهذا، أيها الأوليمبي.<sup>١٥</sup> ألم يُقدّم لك أوديسيوس ذبيحة لا حصر لها، بجوار سفن الأرجوسيين Argives، في أرض طروادة الفسيحة؟ لماذا تُكِنُ إذن، مثل هذا الغضب ضده، يا زوس؟»

## زوس يُحرّض الآلهة ضد بوسايدون

فأجاب زوس، جامع السحب، بقوله: «طفلي، ما هذه الكلمة التي فلتَّ من بين شفتيك؟ كيف أستطيع، إذن نسيان أوديسيوس، شبيه الإله، الذي يفوق سائر البشر حكمة، والذي قدَّم للآلهة الخالدين الذين يحتلُّون السماء الفسيحة، ذبيحةً أعظم مما قدَّمه الجميع؟ كلا، فإن بوسايدون، مُطْوَق الأرض، هو الذي يتملّكه على الدوام غضبٌ عنيد ضده، بسبب بولوفيموس Polypheus<sup>١٦</sup> الذي أعمى أوديسيوس عينه، ذلك الكوكلوب Cyclops.

<sup>١٥</sup> زوس.

<sup>١٦</sup> ابن بوسايدون وأحد الكوكلوبيس والعمالقة ذوي العين الواحدة الذين يقطنون الكهوف المجاورة للبحر، ويقتاتون على تربية الأغنام والماعز. وقد كان بولوفيموس أكثرهم قوة، يحسن استعمال هراوة بطول الصاري، ويستطيع إلقاء قمم الجبال في البحر. ولما رسا أوديسيوس عند جزيرته ودخل هو وزملاؤه كهف بولوفيموس، حبسهم الأخير في كهفه. وكان يضع على مدخله صخرة ضخمة لمنعهم من الهروب، وقد قُتل بعضهم وأكلهم، ثم خرج في الصباح يسوق قطعانه أمامه، وترك أوديسيوس وباقيه زملائه في الكهف بعد أن وضع الحجر الضخم على بابه، فدبر أوديسيوس خطةً يهرب بها مع زملائه. وعندما عاد بولوفيموس في المساء إلى كهفه أسركه أوديسيوس بالخمر القوية التي كان قد أحضرها معه، ثم أحمى سيّاحاً كبيراً في النار وأمسكه هو وزملاؤه وفتقوا به عين العملاق الوحيدة. وفي الصباح التالي دحرج بولوفيموس الحجر عن باب الكهف ليُسرح أغنامه، ولكنه وقف عند المدخل يتحسّس ظهور الأغنام وجوانبها وهي تُمُرُّ كي يتأنّد من أن الرجال لم يتسلّلوا معها، ولكن أوديسيوس كان قد ربط كل ثلاثة كباش مع بعضها حتى يتمكّن الرجال من التعلق تحت بطن الكبش الأوسط لكل مجموعةٍ ثلاثة، فلما هربوا جميعهم بتلك الطريقة وعادوا إلى السفينة صرخ أوديسيوس على بولوفيموس يُخنّفه، فتتبّع الآخرين الصوت، وجاء إلى الشاطئ وألقى في البحر عدة صخورٍ هائلة وراء السفينة جعلها تتأرجح وسط اللّجج التي أحذّتها الصخور وكادت تغرق.

شبيه الإله، أعظم جميع الكوكلوبيس Cyclopes قوة، والذى أنجبته ثئوسا Thoosa، ابنة فوركوس Phorcys، المسيطر على البحر الدائم الحركة؛ إذ اضطجعت هذه مع بوسايدون في الكهوف الفسيحة، فمنذ تلك اللحظة بالضبط، عوّل بوسايدون، مزلازل الأرض، على ألا يقتل أوديسيوس، بل يُشترّده عن وطنه. والآن هلّم بنا جميعاً، نحن الحاضرين هنا، نُفكّر في أمر عودته إلى وطنه، وعندئذٍ يُضطرّ بوسايدون إلى أن يصرف غضبه؛ لأنّه لن يستطيع المُضي في الصراع وحده، بأية حالٍ من الأحوال، رغم معارضة جميع الآلهة الخالدين.»



وأحضرت ربة البيت الخبز وكميّاتٍ وافرةٍ من الأطعمة اللذيذة ...

## أثينا تذهب إلى إيثاكا

فردَّت عليه الربَّة، أثينا البرَّاقة العينَين، بقولها: «أبانا جمِيعاً، يا ابن كرونوس، يا أسمى جميع السادة، إنَّ كان مما يُسر الآلهة المبارَكين الآن، أنَّ يعود أوديسيوس الحكيم إلى وطنه، فهيا نبعث هيرميس، الرسول، أرجايفونتيس، إلى جزيرة أوجوجيا، حتى يمكنه الانطلاق بأقصى سرعة، ويُعلن الحورية ذات الغدائر الفاتنة، بأنَّا قررنا نهائياً، أنَّ يعود أوديسيوس، الثابت القلب، إلى وطنه. أما أنا، فسأذهب إلى إيثاكا، عسى أنْ أتمكن من إثارة حماس ابنه، وأُبَيِّث الشجاعة في قلبه، كي يدعو الآخرين Achaeans الآخرين الطويلي الشعور إلى اجتماع، ويعلن كلمته إلى جميع العُشاق، الذين ينحرُون باستمرار، خرافه المجتمع، وأبقاره المتساء<sup>١٧</sup> ذات المشية المثاقلة. ولسوف أقوده إلى إسبرطة Sparta، وإلى بولوس Pylos الرملية ليتَسَمَّعُ أنباء عودة أبيه العزيز؛ فلو ساعدَه الحظ في أن يحظى بها، ربما كانت هناك أنباء طيبة بين الرجال.»

## أثينا تتنَّكَر في صورة قائد

هكذا تكلَّمت، ثم ربطَت في قدميها صندلَيَا الجميلَين، الحالَدين الذهبيَّين، اللذَّين اعتادا أن يحملُها فوق مياه البحر، وفوق الأرض الشاسعة، في سرعة الريح. وتناولَت رمحها القوي المدبَّ بالبرونز الحاد، الثقيل، الضخم، المتين، الذي تفني به صفوف المُحارِبين من الرجال، الجديرة بهم، بصفتها ابنة السيد الأعظم. وبعد ذلك، انقضَّت هابطةً من مرتفعتات أوليمبوس Olympus واتخذَت وقفتها في أرض إيثاكا عند باب أوديسيوس الخارجي، عند عتبة الساحة، ممسكة في يديها رمحها البرونزي، متخذة صورة أحد الغرباء، مينتيس<sup>١٨</sup> قائد التافينين Taphians، فوجَّت هناك العُشاق المتغطِّسين يتسلَّون بلعبة الضامة، وقد جلَّسوا أمام الأبواب فوق جلود الثيران التي ذبحوها هم أنفسهم. أما الرسل،<sup>١٩</sup> والأتباع المشغولون، فكان بعضُهم يمزُّج لهم الخمر بالماء في الطاسات، والبعض الآخر

<sup>١٧</sup> أو «السوداء» كما يرى بعض الأقدمين.

<sup>١٨</sup> صديق أوديسيوس. لقد تتنَّكَر أثينا في هيئته عندما ذهبت إلى بيت أوديسيوس لتشجيع تيليماخوس أثناء غياب أبيه.

<sup>١٩</sup> المقصود بهم الخدم.

يغسل من جديدِ الأخونَة بالإسفنجِ الكثيرِ المسامٌ، ويعدُّونها، بينما يُقسّمُ آخرونَ اللحم في  
كمياتٍ وافرةٍ.

## تيليماخوس يُرحب بآثينا

كان تيليماخوس Telemachus، الشبيه بالإله، هو أول من رأها؛ فقد كان جالساً وسط العُشاق، حزين القلب، يُفكِّر ملياً في أبيه النبيل، عسى أن يعود من مكان ما، بمحض الصدفة، فـيُغُرِّق أولئك العُشاق الرايدين في القصر، فيفوز هو نفسه بالمجد، ويُسوس بيته؛ في بينما كان يُفكِّر في تلك الأمور، وهو جالس بين العُشاق؛ إذ وقع بصره على آثينا Athene، فانطلق من توه إلى الباب الخارجي؛ إذ كان في قراره نفسه يَعْتَبِر من العار أن يترك الغريب ينتظر طويلاً عند الأبواب فلما اقترب منها أمسك يدها اليمني، وتناول منه الرمح البرونزي، وخطبها بكلماتٍ مُجنحةٍ<sup>٢١</sup> قائلاً:

«مرحباً بك، أيها الغريب، سوف تحظى في بيتنا بكرم الضيافة. وبعد ذلك، عندما تذوق طعامنا، تُخبرنا بما أنت في حاجة إليه.»

ما إن قال هذا حتى قاد الطريق، وتبعته بالاس آثينا Pailas Athene<sup>٢٢</sup> فلما صار داخل القصر المنيف، حمل الرمح وأسنده إلى عمودٍ مرتفع في حامل الرماح مصقول، حيث أُسندت عدة رماح حتى تلك الخاصة بأوديسيوس الجريء القلب. قاد آثينا نفسها، وأجلسها فوق مقعد، بعد أن فرش لها قطعةً من منسوج الكتان. لقد كان مقعداً جميلاً، فآخر الصنعة، وعند أسفله كرسٌ صغير للأقدام. وإلى جواره وضع مقعداً لنفسه، مُطعماً، بعيداً عن الآخرين، العُشاق، خشية أن يستاء الغريب من ضوضائهم، فيعاف الطعام

٢٠ ابن أوديسيوس وبينيلوبي الوحيد. تركه أبوه طفلاً ورحل للاشتراك في الحرب الطروادية، فقدَّمت له آثينا المساعدة؛ ومن ثم ذهب يستطلع أخبار أبيه أوديسيوس، فذهب أولأ إلى نسطور في بولوس ثم عرج إلى مينيلاوس في إسبرطة، فعلم أن أبيه موجود في جزيرة كالوبسو. وفي أثناء غيابه دبر المقدمون للزواج من بينيلوبي خطأ للغدر به.

٢١ كأنما الكلمات تُشق طريقها، طائرة، من المتكلم إلى المخاطب.

٢٢ ابنة زوس والربة العذراء، وإحدى ربَّات أوليمبوس العظيمات، كان لها مع زوس سلطانٌ على الرياح والأعاصير وكانت ترتدي الترس ميديوسا Medusa القبيح. وكانت ربة الحرب، تُحارب دائمًا حامية ومدافعة، ولرباطة جأشها انتصرت على أرييس المتهور، كما كانت دائمًا ربة النصر.

عندما يرى نفسه بين قومٍ متعرجين، وكذلك لكي يستطيع أن يسأله عن أبيه الغائب، ثم جاءت أمه بماءٍ لغسيل الأيدي، في جَرَّةٍ جميلةٍ من الذهب، وسُكْبُتُهُ لها ما فوق طسٍّ من الفضة، لكي يغسلها، وسحبت إلى جوارهما خواناً لاماً، وأحضرت ربَّةُ البيت الموقرةُ الخبر، فوضَعَتْهُ أمامها، ومعه كمياتٍ وفيرةٍ من الأطعمةُ اللذيذة، وكانت سخيةً في إخراجها من مخزونها. وكان نادلٌ<sup>٢٣</sup> يرفع الصَّحاف ويضعُ غيرها مليئةً بسائر أنواع اللحوم، ووضع إلى جوارهما كُؤوساً ذهبية، بينما كان الساقي يُذْرِعُ المكان جيئةً وذهاباً، يسُكُّ لها المخمر. بعد ذلك، دخل العشاق المغطرين، وجلسوا صفوافاً فوق الكراسي والمقاعد العالية. وراحوا الخدم يصبُّون الماء فوق أيديهم، وأخذت الإمامة يُكُونُ الخبرَ أمامهم في أسفاط، والشبان يملئون الطاسات بالشراب حتى الثمالة، فمددوا أيديهم إلى المباھج الطيبة الموضوعة أمامهم. والآن بعد أن أشبع العشاق رغبَتِهم من الطعام والشراب، تحولَتْ قلوبهم إلى أمورٍ أخرى، إلى الغناء وإلى الرقص، إذ إن هذه الأشياء هي ما يُتوَجِّحُ الوليمة. وجاء خادم فوضَع القيثارة الجميلة في يدي فيميوس<sup>٢٤</sup>، الذي راح يُغْنِي على كُرْهِ منه وسط العشاق، وأخذ يضرب الأوتنار بما يتفق ونغمة أناشيدِه وصوته العذب.

### تيليماخوس والغريب ... في حديث

أما تيليماخوس، فتحدَّثَ إلى أثينا، ذات العينين اللامعتين، وقد اقترب منها برأسه، حتى لا يسمعه الآخرون، فقال: «أيها الغريب العزيز، هل تغضب مني بسبب ما سأقوله لك؟ يهتم هؤلاء الرجال بمثل هذه الأشياء، القيثارة والغناء، اهتماماً بالغاً، طالما أنهم يلتهمون طعام غيرهم سحتاً، طعام رجل، ربما كانت عظامه البيضاء متعفنة في الأمطار، وهي ملقاء فوق اليابسة، أو تُدحرِجها الأمواج في البحر. ولو أبصروا به عائداً إلى إيثاكا، لتمنِي كل واحدٍ منهم أن يكون أكثر سرعة في الهرب، منه في الثراء بالذهب واللباس. بيد أنه ها قد هلك الآن بقدر مشئوم، ولا سبيل لنا إلى أية راحة. كلا، حتى ولو قال رجلٌ ما، على ظهر الأرض، إنه سيخضر، لقد فات يوم عودته. أما الآن، فتعال، أخبرني، وصارحنِي الصدق في القول، منِّي من الناس أنت، ومن أين قَدِمتْ؟ أين بلُدُك، وأين أبوك؟ على أية سفينةٍ حضرت، وكيف

<sup>٢٣</sup> أي «سفرجي».

<sup>٢٤</sup> مُنْشِدٌ غَنِّيًّا أمام المقدمين للزواج من بينيلوبى.

جاء بك الملاحون إلى إيثاكا؟ ماذا أخبروك عن أنفسهم؟ فما أظنك، قد أتيت إلى هنا ماشياً على قدميك بحالٍ ما. وأخبرني بالصدق عن هذا أيضاً، كي أعلم يقيناً، هل هذا هو أول مجيءٍ لك إلى هنا، أم أنك، بحق، صديقٌ قديمٌ لبيت أبي؟ فإنْ أغراًنا كثيرين قد جاءوا إلى بيتنا؛ لأنْ أبي كذلك كان قد ذهب إلى هنا وإلى هناك بين الناس». »

عندئذ ردَّت عليه الربة، أثينا ذات العينين النجلاويَن، بقولها: «إذن بالحق سأخبرك صراحةً بكل شيء. إنني مينتيس بن أنخيالوس Anchialus الحكيم، وإنني سيدٌ على التافيين Taphians محبي المجازيف. ها أنا ذا قد جئتُ الآن إلى هنا، كما ترى، بسفينةٍ وملحين، وإبان سفري عبر البحر القاتم كاللُّخْمَر، مررت بقومٍ غريبيِّ اللغة، وأنا في طريقِي إلى تيمسي Temese بحثاً عن النحاس،وها أنا ذا أحمل معِي بعض الحديد البراق. إن سفينتي راسية هناك بجانب الحقول بعيداً عن المدينة، في ميناء رايثرون Rheithron. أسفل نايون Neion الكثيفة الغابات. إننا لنعتبر أنفسنا صديقين، كما كان آباؤنا أصدقاءً منذ القدم. نعم، ولو أردت، فاذهب واسأْلَ المحارب العجوز، لايরتيس Laertes <sup>٢٠</sup> الذي يقولون إنه لن يأتي بعد الآن إلى المدينة، بل يظل بعيداً في الحقول يقاسي الآلام، وخدمه كأمة عجوزٍ شمطاء، تُقدم له الطعام والشراب، بعد أن يتملَّكَ التعب من أطرافه، وهو يحبُّ خلال أرض كرومه. والآن، ها أنا ذا قد جئت؛ إذ يقول الناس بصدق إنَّ أباك كان بين قومه، ولكن للأسف، إن الآلهة هي التي تقف في طريق عودته؛ لأنَّ أوديسيوس العظيم لم يهلك بعدُ على سطح الأرض، ولكنه، كما أعتقد، لا يزال حياً محجواً فوق البحر الفسيح في جزيرة يحوطها البحر، ويتحجزه قومٌ قساة، متوحشون، ويمعنونه من المجيء، ربما ضد رغبته الشديدة. بيد أنني أتباً لك الآن، حيث قد وضع الخالدون النبوءة في قلبي، وكما أعتقد أنه سيحدث، رغم كوني لست قطعاً بعراف ولست خيراً في التطير، أنَّ أباك لن يغيب طويلاً عن وطنه العزيز، حتى لو قُيِّدَ بأصفادٍ من الحديد. إنه سيدِّير طريق عودته؛ إذ إنه كثير الحيل، ولكن تعال، أخبرني بما سأسألك عنه، وكن صادقاً في قولك، كما أنت طويلاً هذا الطول الفارع. هل أنت حقيقةً ابن أوديسيوس نفسه؟ إن هناك شبهَا

<sup>٢٠</sup> ملك إيثاكا، والد أوديسيوس من زوجته أنتيكليا. اشترك في حملة سفينة الأرجو Argo، وعاش في أثناء غياب أبناء الطويل عيشة العدم منعزلاً في الريف تقوم زوجة دوليروس بخدمته. كان على قيد الحياة عندما عاد أوديسيوس، وهو الذي أعادت إليه أثينا شبابه فاشترك في القتال ضد أقارب المتقدمين للزواج من بينيلوبى الذين قتلهم أوديسيوس.

عجبًا بين رأسك وعينيك الجميلتين، وبين والدك؛ فقد كنا نلتقي سوياً، كثيراً، قبل رحيله إلى بلاد طروادة، التي ذهب إليها أيضًا، أشجع الأرجوسيين في سفنهم الواسعة. غير أنني لم أر أوديسوس منذ ذلك اليوم، كما أنه لم يرني أيضًا.»



فأجابها تيليماخوس الحكيم، بقوله: «إذن، بالحق سأصарحك القول بكل شيء، أيها الغريب. تقول أمي إنني ابنه، ولكنني لستُ أعرف هذا، فما من إنسان، حتى الآن، قد عرف سلسلة نسبة من تلقاء نفسه. آه، يا سيدي، ليتني كنتُ ابن رجلٍ ما مبارك، قد وافته الشيوخة ضمن ممتلكاته الخاصة، ولكن حيث إنك تسألني الآن عن نبغي، فإنني تبعًا لما يقول الناس، قد انحدرتُ من أتعس رجل بين البشر.»

فقالت الربة، أثينا ذات العينين المتألقتين: «إذن، فمن المؤكد أن الآلهة قد عينت لك نسباً غير خامل لتنحدر منه؛ إذ أرى أن بينيلوبى <sup>٢٦</sup> قد ولدتك بهذه الصورة

<sup>٢٦</sup> زوجة أوديسوس ووالدة تيليماخوس.

التي أنت عليها، ولكن تعال، أخبرني عن هذا، وكن صادقاً في قوله، أي وليمة هذه؟ وأي حشدٍ هؤلاء؟ ما حاجتك إلى هذا كله، فهو حفلٌ شراب، أم وليمة عرس؟ لأنه من الجلي أن هذه ليست وليمة قد اشتراك فيها كل فردٍ بنصيب، يبدو لي أنهم يُولّمون في ساحاتك بعربدةٍ وعجرفةٍ بالغتين. لا بد أن المرء يغضب إذ يرى كل هذه الأعمال المخجلة، وكذلك كل رجلٍ ذي شعورٍ يجد نفسه وسط هؤلاء.»

فأجابها تيليماخوس العاقل، قائلاً: «أيها الغريب، بما أنك تسألني حقيقة عن هذا الأمر، فاعلم أن منزلنا كان يوماً ما واسع الثراء والمجد، طيلة مدة وجود ذلك الرجل بين أهله. أما الآن فإن الآلهة قد أرادت شيئاً آخر بتدميرها الشرير؛ حيث قد أرغمته على الاختفاء عن الأنطمار، وحده من دون الرجال أجمعين؛ فما كنت أحزن لموته، لو أنه قُتل وسط رفاقه في بلاد الطرواديين، أو لو أنه مات بين أيدي أصدقائه، عندما أشعل نار الحرب؛Unde، كان جميع جيش الآخرين قد أقام له قبراً، وكان أيضاً قد كسب مجدًا لابنه يُشّرفه في الأيام المقبلة، ولكن الواقع، أن أرواح العاصفة<sup>٢٧</sup> قد اكتسحته بعيداً ولم تترك أية أخبار. لقد اختفى عن البصر، وعن السمع، تاركاً لي العذاب والبكاء، ولكنني لستُ، بحالٍ ما، أبكيه وحده؛ إذ جلبتُ على الآلهة متابعَ وليمةً أخرى؛ فإن جميع الأمراء الذي يتولّون مقاليد الحكم في الجزء – ودوليخيوم Dulichium وسامي Same و Zakynthos Zacynthus الكثيرة الغابات – والذين يحكمون إيثاكا الصخرية، كل هؤلاء يغازلون أمي ويعيثنون فساداً في بيتي، وإنها لا تستطيع رفض الزواج البغيض، ولا تقدِّر أن تضع حداً لهذا. أما هؤلاء فإنهم بالولائم يستهلكون مواردي، ولن يمضي وقتٌ طويلاً حتى يَجْرُوا الخراب علىَ أيضاً.»

فتارت ثائرة بالاس أثينا، وتحدّثَتُ إليه بقولها: «ويحهم! ما أحوجك، حقاً، إلى أوديسيوس الذي رحل، كي يقبض بيديه على العُشاق الصُّدقاء! ليته يأتي الآن، ويقف عند الباب الخارجي للمنزل، بخوذةٍ وترسٍ ورمّحين، بصورته التي كان عليها عندما رأيته لأول مرة في منزلنا يشرب ويمرح، عند عودته من إفوري Ephyre، من بيت إيلوس Illus، ابن ميرميروس Mermerus؛ فقد ذهب أوديسيوس إلى هناك أيضاً في سفينته السريعة، بحثاً عن عقارٍ مميت، كي يدهنَ به سهامه البرونزية الأطراف، بيد أن إيلوس لم يُعِطه ذلك العقار؛ إذ كان يخاف الآلهة الخالدين، ولكن أبي أعطاه؛ إذ كان عزيزاً لديه بصورةٍ

<sup>٢٧</sup> أي الخاطفات، أو رياح العاصفة.

عجبية. وإنني أقول، ليت أوديسوس يحضر في مثل تلك القوة، ويقف بين هؤلاء المغازلين، وعندئذ يجدون جميعاً في مغازلتهم هلاكاً سريعاً، ومرارة. وعلى أية حال، فإن هذه الأمور تقع حقاً على عاتق الآلهة، سواءً أكان سيعود ويصب جام نقمته في ساحتها، أو أنه لن يعود. أما أنت يابني، فإني أمرك أن تُفكِّر في طريقة تطرد بها أولئك العُشاق من الساحة. هيا الآن، هبني أذنك، واستمع إلى كلماتي. ادع سادة الآخرين، إلى الاجتماع غداً، وأعلن كلمتك للجميع، ودع الآلهة تكون شهودك. أما العُشاق، فمُرهم أن يتفرقوا، كل واحد إلى بيته. وأما والدتك، فإن كان قلبها يأمرها بالزواج، فدعها تعود ثانيةً إلى ساحة قصر أبيها العتيدي؛ حيث يُمكِّنهم هناك إعداد وليمة العرس، ويُجْهَزون الهدايا العديدة<sup>٢٨</sup> – كما يفعل كل من يجري وراء ابنة يهيم بها غاية الهُيام. إنني أُقدّم لك نصيحتي الحكيمية، لو أصغيت إلىَّ جَهْز خير سفينةٍ لديك بعشرين مجدفاً، واذهب وابحث عن أبناء أبيك، الذي رحل منذ أمد بعيد؛ فقد تشاء الصدف أن يستطع إنسانٌ ما أن يخبرك عنه شيئاً، أو تسمع صوتاً من زوس، الذي كثيراً ما يجلب الأنباء إلى البشر. أبداً أولاً بالذهاب إلى بولوس Pylos زوس، واستجوب نسطور<sup>٢٩</sup> Nestor العظيم، ثم اذهب من هناك إلى إسبرطة، إلى مينيلاوس<sup>٣٠</sup> الجميل الشعرا؛ لأنَّه كان آخر من وصل إلى وطن الآخرين المتذمرين بالبرونز، فلو قيض لك أن تسمع أنَّ أباك لا يزال حياً، وأنه في طريقه إلى الوطن، فعندئذ حقاً، رغم كدرك الشديد، لن تستطع احتتمال عام آخر. أما إذا سمعت أنه مات ومضى، فعد إلى وطنك العزيز، واصنع له كومة، وأقم فوقها المراسيم الجنائزية، الكثيرة كما يجب، ثم هبْ أمرك لزوج، وبعد أن تُتجز كل هذا وتنتهي منه، فَكُّر ملبياً في عقلك وقلبك في كيفية قتل أولئك المغازلين في ساحتها، سواءً بالخدية أو علىَّ لأنَّه لا يليق بك الالتجاء إلى الأعمال الصبيانية، ما دمتَ لست في سن الطفولة. ألم تسمع عن الصيَّت الذي ناله أوريستيس العظيم بين سائر البشر عندما أخذ بالثار من قاتل أبيه، أيجيسيوس الغادر، الذي قتل أباه المجيد؟ هكذا أنت أيضاً،

<sup>٢٨</sup> كانت العادة أن يُقدّم الخطيب الهدايا بانتظام إلى والدِي العروس.

<sup>٢٩</sup> ملك بولوس وأصغر أبناء نيليوس. كان الوحيد الذي نجا من بين اثنى عشر، من الموت على يد هرقل. تزوج يوروديكي فأنجبَت له سبع بنين وبنَتَن. كسب في شبابه شهرة في الحرب.

<sup>٣٠</sup> شقيق أجاممنون. أصبح ملكاً على إسبرطة حيث عاش في سعادة ورخاء مع زوجته هيلينا إلى أن جاءهم باريس، فاستقبله مينيلاوس بما فُطر عليه من كرمٍ وحسنٍ ضيافة، فكان من نتائج حُسن صنيعه معه أن سرق باريس هيلينا وهرب بها، كما سرق كثيراً من أموال مينيلاوس وفر إلى طروادة.

يا صديقي؛ لأنني أراك لطيفاً وفارع الطول. كن شجاعاً، كي يتغنى بالثناء عليك كلٌ واحدٌ من الجيل القادم. أما الآن، فإنني ذاهب إلى سفيتني السريعة وإلى زملائي، الذين — على ما أعتقد — هم غاضبون أشد الغضب من انتظارهم إياي. وأما أنت، فاهتم بما قلته لك، وأصُّغْ إِلَيْهِ جِيداً.»

عندئِذ ردَّ عليها تيليماخوس الحكيم، قائلاً: «أيها الغريب، حَقّا إنك تسدي إِلَيَّ هذا النصح بِنفْسِ طيبة، كوالِد لابنه، ولن أنساه قط، ولكن تعالَ الآن، تمَّهَلْ، رغم لهفتك إلى الانصراف حتى إذا ما استحممت وأشبعَت قلبك حتى نهاية رغبته، تستطيع أن تذهب إلى سفيتني مسرور الفؤاد، وحاملاً هديةً ثمينةً في غاية الروعة، ستكون لك مني متاتاً موروثاً، أشبه بهدية صديق عزيزٍ إلى صديقٍ عزيزٍ.»

فأجاَبَتْهُ الربَّةُ أثينا البرَّاقةُ الناظرِين، قائلةً: «لا تبقيني الآن أكثر من هذا، عندما أكون تواقاً إلى الرحيل، وأية هدية يأمرك قلبك بأن تُعطيني إياها، فأعطيها عندما أعود، كي أحملها إلى بيتي، متخيِّراً الهدية اللاقعة الجميلة، وإنها لسوف تعودُ عليك بما تستحقه قيمتها.»

## انصراف أثينا

هكذا قالت الربَّةُ أثينا ذات العينين النجلاويين، وانصرفَت طائرةً إلى أعلى كما لو كانت طائراً، وقد بثَت في قلبه القوة والجرأة، وجعلته يُفْكِر في أبيه أكثر من أي وقتٍ مضى، فلاحظها تيليماخوس في عقله، وتعجبَ إذ خالها إِلَهًا، وفي الحال انطلق بين المغازلين، رجلاً شبيهًا بالآلهة.

## أنشودة طروادة لا ترُوق بِينيلوبِي

كان المغني المشهور يُغْنِي لهم، وهم جالسون صامتين يُصْغِون إليه، وكان يغني أنشودة عودة الآخرين — العودة المؤللة من طروادة، التي فرضَتها عليهم بالاس أثينا. سَمِعَت بيَنيلوبِي العاقلة، ابنة إيكاريوس Icarius، الأغنية الرائعة من غُرفتها العليا، فهبطَت من مقصورتها، نازلةً من الدرجات المرتفعة، ولم تكن وحدها، بل كان معها أمَّتان، تخدمانها، فلما وصلَت السيدة الفتاتنة إلى العُشَّاق، وقفت بجانب مدخل الساحة المتينة البناء، وقد

أسدلت خمارها اللامع على وجهها، ووقفت أمةٌ مخلصة على كل جانبٍ من جانبِها، ثم انخرطت في البكاء، وخاطبَت المغني المقدس قائلةً:

«أي فيميوس، إنك تعرف أغانيَ أخرى كثيرةٍ تَسْحَر بها أَفْئَدَةَ البَشَر، عن أَعْمَالِ الْأَلَّاهِ والْبَشَرِ الَّتِي يَتَعْنَى بِذِكْرِهَا الْمَغْنُونُ، أَنْشَدُهُمْ إِحْدَاهَا وَأَنْتَ جَالِسٌ هُنَا، وَدِعْهُمْ يَشْرَبُونْ خَمْرَهُمْ فِي صَمْتٍ. أَمَّا هَذِهِ الْأَغْنِيَةِ الْمُحْزَنَةِ، الَّتِي تُذَبِّبُ قَلْبِي فِي صَدْرِي، فَكُفْ عَنْهَا؛ إِذْ حَلَّ بِي دُونَ سَائِرِ النَّسَاءِ حَزْنٌ لَا يَمْكُنْ نَسْيَانَهُ، إِنَّهُ لِرَأْسِ عَزِيزٍ جَدًا ذَلِكَ الَّذِي أَتَذَكَّرُ بِهِ شَوْقٌ، إِنَّهُ زَوْجِي، الَّذِي طَبَّقَتْ شَهْرَتَهُ الْوَاسِعَةَ أَرْجَاءَ هِيلَاسَ<sup>٣١</sup>، Hellas، وَخَلَالَ أَرْجُوسَ<sup>٣٢</sup>». Argos

### تيليماخوس ينهر أمه

فرَدًّا عَلَيْهَا تيليماخوس الحكيم بقوله: «أَمَّا، لَمْ تَنْهَرِينَ الْمَغْنِيَ الطَّيِّبَ عَلَى تَقْدِيمِهِ الْبَهْجَةَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَتَأثَّرُ بِهَا قَلْبِي؟ لَا يَقْعُدُ الْلَّوْمُ عَلَى الْمُغْنِينَ، وَلَكِنِي أَعْتَدْتُ أَنْ زَوْسَ هُوَ الْمَلُومُ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي يَعْطِي كُلَّ فَرِيدٍ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَعْيَشُونَ بِعِرْقِ جَبَّينِهِمْ، مَا يَشَاءُ. لَيْسَ فِي مَقْدُورٍ أَحَدٌ أَنْ يَغْضُبَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ إِذَا تَغْنَى بِمَا لَاقَهُ الدَّانِيُونَ Danaans<sup>٣٣</sup>، مِنْ مَصِيرٍ مَشْؤُمٍ؛ إِنَّ الْبَشَرَ يَتَلَدَّدُونَ أَكْثَرَ لِسَمَاعِ الْأَغْنَانِ الْجَدِيدَةِ عَلَى آذَانِهِمْ كُلَّ الْجَدَّةِ. أَمَّا أَنْتِ، فَدُعِيَ قَلْبِكِ وَرُوحُكِ تَتَحَمَّلُنَّ الْإِصْغَاءَ، فَلِيَسْ أُودِيُسِيُوسْ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فُقِدَ فِي طَرَوَادَةِ يَوْمِ عُودَتِهِ، وَإِنَّمَا هَلَّكَ كَثِيرُونَ غَيْرَهُ مُثْلِهِ، هِيَا، اذْهَبِي إِلَى مَقْصُورَتِكِ، وَأَشْغَلِي نَفْسَكِ بِأَعْمَالِكِ، الْمَنْوَالِ وَالْمَغْزُلِ. وَأَصْدَرِي أَمْرِكِ إِلَى خَادِمَتِكِ بِالْمَثَابِرَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمَا. أَمَّا الْكَلَامُ فَهُوَ مِنْ شَأْنِ الرِّجَالِ، لَهُمْ جَمِيعًا، وَبِصَفَّةِ خَاصَّةٍ لِي أَنَا، طَالِمًا لِي السُّلْطَةُ فِي الْبَيْتِ».»

### بيينابي تبكي وابنها يخاطب العُشَاقَ

أَمَّا وَقْدَ تَمَلَّكَهَا الْعَجْبُ، فَقَدْ عَادَتْ إِلَى مَقْصُورَتِهَا؛ إِذْ أَدْرَكَتْ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهَا الْقَوْلُ الْحَكِيمُ الَّذِي تَفَوَّهَ بِهِ ابْنَهَا، فَصَعَدَتْ إِلَى مَقْصُورَتِهَا الْعُلَيَا مَعَ أَمْتَيْهَا، ثُمَّ أَخْذَتْ تَبَكِي أُودِيُسِيُوسَ، زَوْجَهَا الْعَزِيزِ، إِلَى أَنْ أَلْقَتْ أَثْنَيْنِ، الْمَتَأْلِقَةِ الْعَيْنَيْنِ، النَّوْمَ الْلَّذِيدَ فَوْقَ جَفَنِهِا.

<sup>٣١</sup> أي بلاد الإغريق.

<sup>٣٢</sup> ربما كانت هذه العبارة لا تعني أكثر من «خلال بلاد الإغريق طولاً وعرضًا».

<sup>٣٣</sup> هم الإغريق.

بيد أن المغازلين انفجروا في صحبٍ خلال الساحات الظليلة، وصل كل واحدٍ منهم،  
جميعاً، أنه يرقد إلى جوار تلك السيدة، ولكن تيليماخوس العاقل كان هو البدائي بالكلام  
فقال:

«أيا عُشّاق أمي، أيها المنغمسوون في وقاحتكم، دعونا نتمتع الآن بلذة الوليمة، ولا  
حاجة إلى النزاع؛ فإن سماع مغنٍّ كهذا الرجل الشبيه بالآلهة في صوته لشيء عظيم، فإذا ما  
انجلت الصبح، هيا بنا إلى الاجتماع حيث نتبأّ مقاعدنا، كل فردٍ منا، كي أعلن لكم كلمتي،  
لترحلوا فوراً من هذه الساحات. أعدوا لأنفسكم ولائم أخرى وكلوا من أطعمةكم، وانتقلوا  
من بيت إلى بيت. أما إذا راق عيونكم، ووجدتكم من الأفضل والأعظم ربحاً لكم أن تُبددو  
موارد رجل آخر دون رادع، فأسرفوا في تبديهها، ولكنني سأستجد بالآلهة الحالدين، عسى  
أن يفضل زوس بالانتقام لهذه الأفعال، وعندئذٍ تهلكون داخل ساحتني دون كفارة.»  
هكذا تكلّم، وعَضَ الجميع على شفاههم، ودُهشوا لجرأة تيليماخوس في قوله ذاك.

### معركةُ كلاميةٍ بين تيليماخوس وعشاقِ أمه

فردٌ عليه أنتينوس Antinous، ابن يوبائيثيس Eupeithes قائلًا: «أي تيليماخوس، حقاً،  
إن الآلهة أنفسهم يعلمونك كيف تكون رجلاً سليط اللسان، وأن تتكلم بجرأة. ليت  
ابن كرونوس لا يسمح قط بأن يجعلك ملگاً على إيثاكا المحاطة بالبحر، الأمر الذي ترثه  
بحق مولدك.»

فقال تيليماخوس العاقل رداً على قوله: «أي أنتينوس، أيمكن أن تغضب مني لهذه  
الكلمة التي سأقولها؟ فإني أقبل، حتى هذا بنفسِ راضية، من يد زوس. أعتقد حقاً أن  
هذا أسوأ مصير بين البشر؟ كلا. ليس بسيئ، أن تكون ملگاً؛ فما أسرع ما يُثري بيت المرء،  
ويحظى بمجد أعظم! وعلى أية حال، هناك كثير جداً من الملوك الآخرين الآخرين، في إيثاكا  
المحاطة بالبحر، شبان وشيوخ؛ فربما نال هذا المكان أحد هؤلاء، طالما قد مات أوديسيوس  
العظيم. أما أنا فسأكون سيداً على بيتي وعلى العبيد الذين ربهم لي أوديسيوس العظيم.»  
عندئذٍ أجابه يوروماخوس Eurymachus، ابن بولوبوس Polybus، بقوله: «هيا  
تيليماخوس، حقاً، إن هذا الأمر ليقع على كاهل الآلهة؛ فهم الذين سيُقرّرون من الآخرين  
سوف يُصبح ملگاً على إيثاكا التي يُطوقها البحر. أما ممتلكاتك، فلك أن تحفظ بها لنفسك،  
ولك أن تكون سيداً في بيتك. ليته لا يأتي ذلك الرجل، الذي يغتصب منك ممتلكاتك بالقوة

ورغمًا منك، بينما لا يزال هناك رجال يعيشون في إيثاكا، ولكنني، يا سيدي العزيز، أتوق إلى سؤالك عن ذلك الغريب، ومتى أتى، وما هو البلد الذي قال إنه ينتمي إليه؟ أين يوجد أقاربه وحقول وطنه؟ هل آتي بنبياً عن مجيء أبيك، أم حضر إلى هنا لقاءً أمرٍ خاصٍ به؟ كيف نهض، وانصرف فوراً؟ إنه لم ينتظر حتى يعرفه أحد، ومع ذلك فلا يبدو عليه أنه كان رجلاً زري المنظر».

فقال تيليماخوس العاقل: «أيا يوروماخوس، لا شك أن الأمل في مجيء أبي إلى الوطن قد ضاع وانقضى. لن أصدق بعد الآن أية أخبار، مهما كان مصدرها، ولن أكتثر لآلية نبوءة قد تعلمها أمي مصادفةً من عرّاف عندما تستدعيه إلى الساحة. أما هذا الغريب، فصديقُ لبيت أبي من تافوس Taphos؛ فهو يقول إنه مينتيس، ابن أنخيالوس Anchialus الحكيم، وهو سيد على التافيين المُغرَّمين بالتجذيف».

هكذا تكلَّم تيليماخوس، ولكنه في قراره نفسه، كان يعرف الربَّة الخالدة.

## العشاق يرقصون وتيليماخوس ينام

انبرى العشاق الآن إلى الرقص وإلى الغناء المرح، وانغمسو في سرورهم منتظرين مجيء المساء، وبينما هم في مرحهم، إذ حل عليهم المساء الداجي، وعندئذ انصرف كل رجل إلى بيته، ليستريح. أما تيليماخوس، فلما كان مخدعه مشيداً في الساحة الجميلة، في مكانٍ مرتفع يُطل على موضعٍ فسيح، فقد ذهب إلى هناك، إلى فراشه، يُفَكَّر في جملة أمورٍ شغل بها عقله، وذهبَت معه يوروكليا Eurykleia<sup>٣٤</sup> المخلصة، ابنة أوبس Ops، ابن بايسينور Peisenor، تحمل مشعلًا مضيئاً. وكان لايرتيس قد اشتراها بأمواله منذ أمدٍ بعيد، وكانت وقذاك في مُقتَل شبابها، فدفع فيها ما يعادل عشرين ثوراً، ويجلُّها تماماً في الساحات كما يُبَجِّل زوجته المخلصة، ولكنه لم يضطجع معها قط في حُب؛ إذ كان يتحاشى غضب زوجته. كانت هذه هي التي تحمل المشاعل المضيئة لـ تيليماخوس؛ إذ كانت من دون سائر الإماماء، تُحبه حبًّا جمًّا، وكانت تخدمه منذ أن كان طفلاً. فتح أبواب مخدعه المتين البناء، وجلس على سريره، وخلع عنه عبأته الناعمة، ووضعها في يدي السيدة العجوز الحكيمة، فطوت

<sup>٣٤</sup> خادمة أوديسسيوس التي عرَّفته وهو متذكر في ثياب شحاذ عندما عاد بعد غياب دام عشرين عاماً.

هذه العباءة، ومررت عليها بيديها، وعلقتها على مشجب بجانب السرير المثبت بالحبار،<sup>٣٥</sup> ثم  
خرجت من الحجرة، وأغلقت الباب وراءها لأن جذبته من مقبضه الفضي، ودفعت المزلاج  
إلى موضعه بالسير، فبات الليل بطوله هناك، وهو ملتف بحرّة من الصوف، يُفگر في عقله،  
في الرحلة التي رسمتها له أثينا.

---

<sup>٣٥</sup> أو «المعشّق».



## الأنشودة الثانية

### تيليماخوس يحتل مقعد أبيه

ما إن لاح الفجر الوردي الأنامل مبكراً، حتى نهض ابن أوديسيوس العزيز من فراشه، وارتدى ملابسه، فعلق حسامه البار حول كتفه، وربط صندليه الجميلين في قدميه البراقتين، وخرج من مقصورته أشبه بالإله للناظرين. وفي الحال أمر الرسل الجهوريّي الأصوات بأن يدعوا الآخرين الطويلي الشعور إلى الاجتماع. وقام الرسل بالنداءات، وسرعان ما احتشد الآخرون، فلما اجتمعوا معاً، سار تيليماخوس في طريقه إلى مكان الاجتماع، ممسكاً في يده رمحاً من البرونز. ولم يكن بمفرده؛ إذ كان يتبعه كلبان سريعان، وكان الجمال الذي أضفتْه أثينا عليه رائعاً، فلما حضر تعجب سائر الحاضرين منه. أما هو فجلس في مقعد أبيه، وأفسح له الشيوخ مكاناً.

### أيجوبتيوس الحزين يتكلم

وعندئذٍ كان أول من تكلّم بينهم هو السيد أيجوبتيوس Aegyptius، ذلك الرجل الذي قوّست الشيخوخة ظهره وكان على مبلغٍ من الحكمة لا يمكن وصفها. قام يتكلّم الآن؛ لأن ابنه العزيز، المحارب أنتيفوس Antiphus، كان قد ذهب إلى إليوس،<sup>١</sup> المشهورة بجيادها، في السفن الواسعة مع أوديسيوس الشبيه بالإله، ولكن الكوكلوب التوحش قتلَه في

---

<sup>١</sup> هي طروادة.



فاقتربت منه أثينا في صورة مينتور، هيئة وصوتاً.

كهفه الفسيح، جاعلاً منه وجبهة الأخيرة. وكان له ثلاثة أولاد آخرون، أحدهم يورنوموس Eurynomus، تحالف مع المغازلين، والاثنان الآخران ظلاً يرعيان حقل أبيهما. بيد أنه بالرغم من هؤلاء، لم يستطع نسيان ذلك الابن، فأخذ يخاطب الجمع، وهو يبكيه وقد بخع الحزن نفسه، فقال وسطهم:

«أصغوا إلى الآن، يا رجال إيثاكا، واسمعوا الكلمة التي سأقولها منذ اليوم الذي رحل فيه أوديسيوس العظيم، في سفنه الواسعة، لم نعقد اجتماعاً قط. والآن من ذا الذي جمعنا معًا، من هذا الذي اضطرته الحاجة إلى جمعنا، فهو من الشبان أم من الأكبر سنًا؟ هل



بلغه خبرٌ ما عن عودة<sup>٢</sup> الجيش، فربما سيدعوه علينا جهاراً؛ إذ كان أول من علم به؟ أم أن هناك موضوعاً عاماً آخر يريد أن يتكلم عنه ويحاطبنا فيه؟ إنه يبدو لعيني رجلاً طيباً، رجلاً مباركاً، ليت زوس يتحقق له بعض الخير، كل ما يتغويه في قلبه.»

### تيليماخوس يبُثُّ المجتمعين شكوكاً

هكذا تكلم، فسر أوديسايوس العزيز من كلمة الفأل الحسن، ولم يُطق الجلوس بعد ذلك، بل تاق إلى الحديث، فاتخذ وقوفته بين الجمع، ووضع الرسول بايسينور Peisenor، ذو المشورة الحكيمة، الصولجان في يديه، ثم تكلم، مخاطبًا الرجل العجوز أولاً فقال: «أيها السيد العجوز، ليس ذلك الرجل الذي دعا الجميع سوياً بعيد، كما ستعلم حالاً بنفسك. إنه أنا؛ إذ قد خصني الحزن البالغ دون سائر الآخرين، فما سمعتُ خبراً

<sup>٢</sup> أو ربما «فيما يتعلق بجيش فاتح».

ما عن عودة الجيش حتى أذيعه جهاراً، بصفتي أول من علم به شخصياً، وليس ثمة أي موضوع عام أريد أن أتحدث فيه وأكتمكم عنه. كلا، ليس هناك سوى حاجتي أنا؛ فقد حل الشر بمنزلي بصورة مضاغفة؛ إذ فقدت أولاً سيدي<sup>٢</sup> الشريف الذي كان ملكاً وسطكم يوماً ما هنا، وكان لطيف كوالد. والآن يحقيق بي شُرّ أعظم بكثير، شر سينُخرب بيتي تماماً، في الوقت الحاضر، ويحطم حياتي. إن هناك عشاقاً يغازلون أمي ضد رغبتها. إنهم أبناء هؤلاء الرجال الذي هم هنا أشرف الناس. إنهم يمتنعون عن الذهاب إلى بيت أبيها إيكاريوس،<sup>٣</sup> حتى يُمكّنه أن يأخذ منهم هدايا الزواج لابنته، ويعطيها لن يشاء منهم، لمن ينال الحظوة لديه، بل يزحّمون منزلنا يوماً بعد يوم، ويدبحون ثياراتنا وخرافتنا وعنزاتنا السمينة. ويعربدون، ويحتسون الخمر الصهباء بطيش، فيحل الخراب بكل هذه الثروة؛ لأنّه لا يوجد هنا رجل، يعادل أوديسيوس، ليdra الخراب عن المنزل. أما أنا شخصياً فلست مثله كي أدرأه. كلا، قط، فلو حاولت منع الخراب لـألفيتوني ضعيفاً، وشخصاً لا يعرف الشجاعة إطلاقاً. ومع كلّ، فسأدفع عن نفسي حقاً، إن كانت لي القوة، فما عادت هذه الأعمال سهلة الاحتمال بحالٍ، وحُطّم منزلي فوق ما يُطيق المرء. ألا تخجلون من أنفسكم، وتُرّاعون جيرانكم الذين يقطنون حولكم، وتخافون غضب الآلهة، لئلا ينقلبوا عليكم، غاضبين من شروركم؟ إنني أستحلفكم بزوس الأوليمبي، وبثيميس<sup>٤</sup>، التي تُفضّل جموع البشر وتجمّعهم، احتملوا، يا أصدقائي،<sup>٥</sup> واتركوني وشأنى، أغانى أحزانى المريّرة. إلا إذا كان أبي، أوديسيوس العظيم، قد اقْرَفَ الأذى حقداً على الآخرين المدرّعين جيداً؛ ولذا أنتم تنتقمون مني، حقداً عليّ، بإغراقِ من هؤلاء الرجال. أما أنا فكنتُ أُفضل أن تأكلوا، أنتم أنفسكم، قطعاني وأموالي، فلو كنتُ أنتَ الذين أكلتموها، لطمعتُ في التعويض عنها يوماً ما، ولطّفت بالمدينة هنا وهناك، مطالباً، ومُلّحاً في الطلب بردّ ممتلكاتي، حتى أستعيد كل شيء. أما الآن، فلا سبيل إلى علاج الكوارث التي تُثقلون بها قلبي.»

<sup>٢</sup> أبي أوديسيوس.

<sup>٤</sup> والد بينيلوبى.

<sup>٥</sup> أو ربما: «خشية أنهم في غضبهم، يجعلون أعمالكم التشريرة تقع على رءوسكم.»

<sup>٦</sup> هي رمز القانون والنظام والعدالة، تزوجها زوس وأجلسها بجواره على عرشه كي ينتفع بمشورتها.

<sup>٧</sup> من الجلي أن هذه العبارات موجهة إلى جموع رجال إيثاكا كلامهم، وليس إلى المغازلين وحدهم.

## أنتينوس يواجه تيليماخوس بخدية أمه

هكذا تكلَّم في غضب، ثم ألقى عصاه على الأرض، وانخرط في البكاء، فتحرَّكت الشفقة في قلوب جميع الناس. ولزم سائر الآخرين الصمت، ولم يكن لدى أيهم الجرأة ليرد على تيليماخوس بكلماتٍ حانقة. بيد أنَّ أنتينوس Antinous وحده قام يرُدُّ عليه، فقال:

«أي تيليماخوس، أيها المتبرج، أيها المغالي في جرأته، أي شيء هذا الذي تحدثَ به، جالباً العار علينا، ومنتخيًا علينا باللائمة؟! كلا، دعني أقول لك، إن العشاق الآخرين ليسوا مخطئين بأية حال من الأحوال. إنما المخطئ أمه العزيزة؛ إذ تفوق سائر النساء دهاء؛ فهذه هي السنة الثالثة، وسرعان ما ستنقضي الرابعة، منذ أن بدأت تخدع قلوب الآخرين في صدورهم. إنها تُمني الجميع بالآمال، وتتمُّ كل رجل بالوعود وترسل لهم الرسل، بينما يهتم عقلها بأشياء أخرى. وقد حاكت تلك الخديعة أيضًا بقلبها؛ فقد أقامت في ساحاتها نسيجاً كبيرًا وانهمكت في النسج، كان النسيج من الخيط الرفيع، وكان غاية في الاتساع، وعندئذ تحدثَ إلينا قائلة:

«أيها الشبان، يا من تهيمون بي حبًّا، بما أن أوديسيوس العظيم قد مات، فاصبروا، رغم لهفتكم على الزواج بي حتى أنتهي من نسج هذا الثوب — فلست أريد أن يسفر نَسْجي عن لا شيء — إنه كفن للسيد لايرتيس، استعدادًا لليوم الذي يُوافيه فيه أجله المفجع لئلا تغضب مني في البلاد إحدى السيدات الآخريات، لو أنه رقد رقدتَه الأخيرة بدون كفن، وهو الذي كسب الممتلكات العظيمة.»

هكذا قالت، فوافقت قلوبنا المزهوة. وبعد ذلك، كانت تدأب كل يوم على نسج الرداء العظيم، حتى إذا ما أرخى الليل سدوله، انبرت تُفكُّ ما نسجته بالنهار، بعد أن تضع المشاعل إلى جوارها. وهكذا ظلت الحال ثلاثة سنوات، استطاعت خلالها، بدهائهَا، أن تحرم الآخرين معرفة جلية الأمر، وخدعَتْهم. بيد أنه ما إن تعاقدت الفصول وحلَّت السنة الرابعة، حتى أخبرتنا إحدى نسائها، وكانت على علمٍ بكل شيء، فقبضنا عليها وهي متلبسة بفك النسيج الرائع؛ ومن ثمَّ أتمَّتْه على كُرْهِ منها، بالقوة؛ لذلك يجibb عليك العشاق هكذا، كي تستطيع إدراك الأمر في نفسك، ويعلمه سائر الآخرين. اطرد أمه، ومرها بالزواج من ينشدُ لها والدها، ومن ترتاح نفسها إليه. أما إذا ظلت مدة طويلة، تثير حفيظة أبناء الآخرين، وتعلم بهذا في قلبها، حيث إن أثينا قد حبَّتها وحدها دون سائر النساء الآخريات، بمعرفة الأشغال اليدوية البدية، وبالذكاء المفرط، وبالحيل، مما لم يسبق أن عرفنا أن أية امرأة في الزمان الخالي قد علِّمته، من أولئك الآخريات الجميلات الغدائر، منذ وقت بعيد،

أمثال — تورو Tyro، وألكميني Alcmene، وموكيني Mycene، ذات التاج البديع — أولئك اللواتي لم تبلغ إداهن ما بلغته ببنيلوبى من الخديعة والدهاء. ومع كلٌّ فإنها لم تُحكم تدبير هذا على الأقل؛ إذ سيظل الرجال يتهمون زادك وممتلكاتك، ما ظلت هي في احتفاظها بالمشورة التي وضعتها الآلهة الآن في قلبها. إنها تجلب لنفسها صيتاً عظيماً، أما أنت فواًسفاً على ثروتك الطائلة! وأما نحن، فإننا لن ننصرف إلى أراضينا، ولا إلى أي مكانٍ آخر، إلا بعد أن تتزوج من الآخرين ذلك الرجل الذي سترضى به.»

### ولاء تيليماخوس لأمه

فأجابه تيليماخوس العاقل بقوله: «أي أنتينوس، لا يمكنني بأية حالٍ من الأحوال أن أطربَ من أنجَبْتني ورَبَّتني، من البيت. أما أبي، فهو في بلدٍ آخر، سواء أكان حياً أو ميتاً. إنه ليُشُّقُ على نفسي أن أدفع ذلك الثمن العظيم لإيكاريوس، كما يتحتم علىَّ لو أنني طردتُ أمي، بمحض إرادتي؛ عندئِذٍ يلْحُقُني شُرُّ بالغ على يد أبيها، وتُصْبِّ علىَ السماء لعناتٍ آخر؛ لأنَّ أمي وهي تغادر البيت ستتضرع إلى رَبَّاتِ الانتقام المفزعات، كما أنَّ البشر سوف ينحرُّن علىَّ باللائمة؛ وعلى ذلك فلن تخرُج من شفَقَتَي مثل هذه الألفاظ. أما أنت فإنَّ أغضِبُكم هذا، فلتخرجو من ساحتِي، وتُعْدُوا لأنفسِكم ولائمَ أخرى، آكلين أطعْمَتُكم، ومنتقلين من بيت إلى بيت. وإذا بدا لنظرِكم أنه من الأفضل والأجدى أن تُحَطِّمُوا حياة شخصٍ دون رادع، فدونكم وما أنت فاعلون، ولكنني سأستتجد بالآلهة الخالدين، عسى أن يواافق زوس علىَّ الأخذ بالثار ومجازاتِكم بما فعلتم. وعندئِذٍ فلا بد أنكم هالكون داخل ساحتِي بلا كفَارة.»

### زوس يغضِب تيليماخوس بطريقته الخاصة

هذا ما قاله تيليماخوس، وكرد على قوله، أرسل زوس، الذي يحمل صوته بعيداً،<sup>٨</sup> صقرَين يطيران من ارتفاعٍ شاهق، من فوق قمة جبل، فانطلقا بسرعة الريح يطيران جنباً إلى جنب، لفترة من الوقت، باسطَين أجنحتَهما، غير أنهما ما إن صارا فوق قلب الحشد الصاخب، حتى أخذَا يدوران هنا وهناك، يُرِفِّران بأجنحتَهما بعنف وسرعة، وراحَا يُحدِّجان رءوس

<sup>٨</sup> وأحياناً تُترجم «الثاقب الناظر».

الحشد بنظرات يتجلّى فيها الموت. وبعد ذلك شرع كُلُّ منها يُمْزَق وجنات وعنق الآخر بمخالفه، ثم انطلاقاً بعيداً جهة اليمين وسط البيوت ومدينة الرجال، فدُهشَ القوم من ذِينَك الطائرين بمجرد أن أبصروهما، وأخذوا يفكّرون في قلوبهم فيما يتوقّعون حدوثه، ثم نهض السيد العجوز هاليثيرسيس Halitherses، ابن ماستور Mastor، وتكلم وسطهم؛ لأنَّه كان يفوقُ رجال عصره أجمعين في معرفة الطيور، وتفسیر معانٍ الحظ، فقام ببنية حَسَنَةٍ وخاطب حشدِهم قائلاً:

«يا رجال إيثاكا، أصغوا الآن إلىَّ، واسمعوا ما سوف أقوله لكم، ولا سيماء إلى العشاق، أعلن وأذيع هذه العبارات؛ إذ ستُقبل عليهم ناثبةٌ عظمى؛ لأنَّ أوديسيوس لن يغيب طويلاً عن أصدقائه، وعلى ما أعتقد إنه الآن قريب، وسوف يبذُر الموت والقدر لهؤلاء الرجال أجمعين. نعم، وأيضاً لكتيرين منا غيرهم، ممن يقطنون في إيثاكا الواضحة المعالم، سيكون وبالاً بالغاً، ولكن قبل أن يحدث هذا بوقتٍ طويل، دعونا نفكِّر في الكيفية التي نضع بها حدًّا لهذه الأمور، أو على الأصح، ندعهم هم أنفسهم، يضعون حدًّا لها؛ إذ هذا هو أفضل طريق لهم الآن. إنني لا أتبُّأ كرجلٍ غير مُجرب، وإنما بمعرفةٍ أكيدة؛ فإنَّ جميع ما أعلنته لأوديسيوس سيتحقق تماماً كما أخبرته عندما أبَرَّ الأرجوسيون إلى إليوس يصيّبهم أوديسيوس الكثير الحيل. لقد أعلنتُ أنه بعد أن يتحمل أوديسيوس متابعَ جمّة، ويفقد جميع رفقائه، سيعود إلى الوطن في العام العشرين، مجهولاً لكل فرد، وللعجب، هذا كلَّه يتحقق الآن.»

## يوروماخوس يتحدى ويتبنّأ

وعندئذٍ أجابه يوروماخوس بن بولوبوس، قائلاً: «أيها العجوز، قم الآن، وانصرف إلى بيتك وتنبأ لأولادك، حتى لا يعانون المتابع في المستقبل. إنني في هذا المضمار أفوّقك في التنبؤ. هناك طيورٌ كثيرة، تطير تحت أشعة الشمس جيئةً وذهاباً، وليست كلها علامة نحس. أما أوديسيوس، فقد هلك في مكانٍ قصيٍّ، كما أتمنى لو أنَّك مثله هلكتَ معه، فهل لكَ ألا تُثرِّث هكذا كثيراً عند إنشادك الأغاني، أو تُثُثْ تيليماخوس وهو غاضب، علَّه يعطيك هديةً ما لبيتك. بيد أنني سأصارحك القول، وسأُنفِّذ ما أقول حقيقة. إذا كنتَ حكيمًا في حكمة الشيوخ، وخدعَتَ بقولكَ رجلاً أصغر منكَ سنًا، ودفعته إلى الغضب، فإنَّ الأمر بالنسبة له سيكون جدًّا مفجع. ولن يستطيع بحالٍ ما، أن يفعل شيئاً بسبب وجود هؤلاء الرجال هنا. أما أنتَ، أيها العجوز، فسنفرض عليك غرامَةً يؤمّك أن تدفعها، وعندئذٍ سيكون حزنك

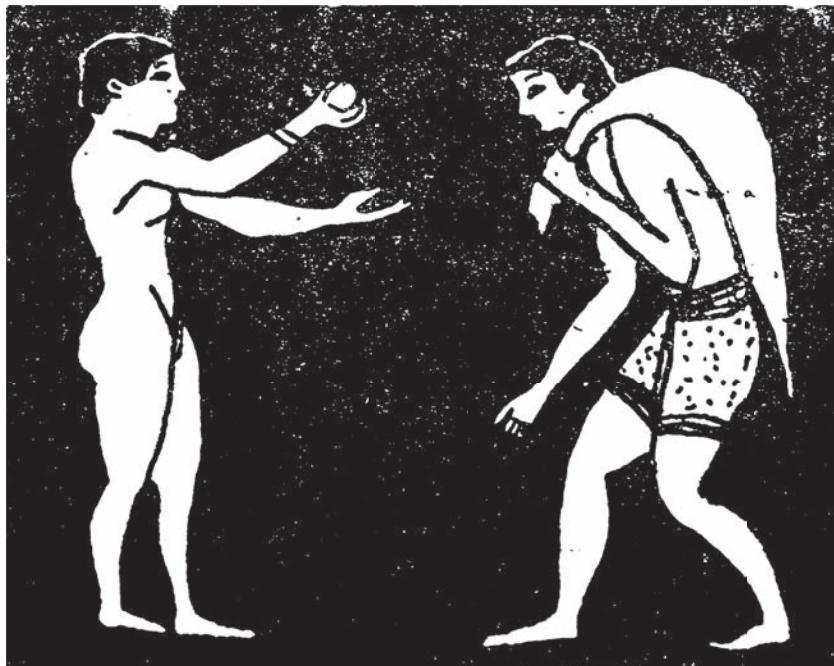
مريراً. وإنني لأنقدم بنفسي بهذه النصيحة إلى تيليماخوس، أمام سائر الجمع. عليه أن يأمر والدته بالعودة إلى منزل أبيها، حيث سوف يُعدُون وليمة زواج، ويُجْهَزون الهدايا العديدة. نعم، كل هذا يجب أن يَحْدُث من أجل ابنةٍ يهيم بها الناس غاية الهياج. وفي اعتقادي أن أبناء الآخرين، قبل هذا، لن يُكْفُوا عن مغازلهم المؤللة، طالما أننا لا نخاف أَي رجلٍ مهما كانت الظروف — كلا، ولا تيليماخوس رغم كل ما قاله — كما أننا لن نُلْقِي بالاً إلى أَي تنبُّؤٍ تُعلِّنهُ أَيَّها الرجل العجوز، فلن يتحقق منه شيء. وسوف تغدو مكروهًا أكثر من ذي قبل. نعم، وسوف تلتهم ممتكات هذا الشاب بطريقَةٍ شريرة، ولن يكون لها تعويضٌ قط، حيث إنها تقف حائلاً أمام الآخرين في موضوع الزواج من تلك السيدة. أما نحن، المنتظرین هنا، يوماً بعد يوم فنتنافس بدورنا من جراء ما هي عليه من تفوق، ولا نجري وراء سيداتٍ آخريات، من اللواتي يَلْقَنَ للزواج بنا.»

### تيليماخوس يطالب بالبحث عن أبيه

عندئِذ رد عليه تيليماخوس العاقل بقوله: «أيا يوروماخوس، ويا هؤلاء المغازلون الآخرون الأماجد، لن أتوسل إليكم بعد ذلك بخصوص هذا الأمر، ولن أحذّركم عنه بعد الآن؛ لأن الآلهة تعلَّمه الآن، وكذا جميع الآخرين. وإنما أريد منكم أن تُعطوني سفينَةً سريعةً وعشرين رفيقاً يقومون بالرحلة من أجلي، ذهاباً وإياباً؛ لأنني سأذهب إلى إسبرطة وإلى بولوس Pylos الرملية، لكي أتنسم الأخبار عن عودة أبي الذي رحل منذ أمد بعيد؛ فقد يكون هناك شخص ما يستطيع أن يُخبرني عنه شيئاً، أو قد أسمع صوتاً من زوس، الذي كثيراً جدًّا ما يجلب الأخبار للبشر، فإذا سمعتُ أن أبي لا يزال حياً، وأنه في طريقه إلى الوطن، حُق لي إذن، رغم عذابي الشديد، أن أتحمّل سنة أخرى. أما إذا بلغَني أنه لقي حتفه ومضى، عُدتُ إلى وطني العزيز، وأقمتُ له كومة، وأدَّيتُ فوقها الطقوس الجنائزية الكثيرة التي تليق به، ثم أعطيتُ والدتي لزوج».»

### مينتور يهاجم العشاق والمجلس

ما إن أتم حديثه هذا حتى جلس، ونهض في وسطهم مينتور Mentor الذي كان زميلاً لأوديسيوس النبيل، وعندما رحل بسفنه، عهد إليه بمنزله كله، لكي يطيع الجميع هذا



الرجل العجوز، وأن يُحافظ على كل شيء سليماً، فخاطب حشدَهم بحسن نية، وتكلّم وسطَهم قائلاً:

«اسمعوا الآن، يا رجال إيثاكا، وأصغوا إلى وإلى كلمتي التي سأتحدث إليكم بها. من الآن فصاعداً، إياكم أن تجعلوا أي ملك ذي صولجان، أن يكون رحيمًا ورقيقاً بقلبِ مستعد، ولا تجعلوه يهتم بالعدالة في قلبه، بل دعوه يكون صارماً باستمرار، وينشر الظلم والجور، طالما لا يوجد بينكم من يتذكر أوديسسيوس، الذي كانت تقدّسه رعيته كسيده؛ إذ كان لهم كأب رحيم. وإنني والحق يُقال، لا أُحقد على العُشاق المتغطّرين، لقياهم بالأعمال العنيفة التي تُوحّي بها عقولهم الملوءة بالشرور، فإنهم يُعرّضون أرواحهم للخطر؛ إذ يلتهمون بهم موارد بيت أوديسسيوس، الذي كما يقولون، لن يعود بعد الآن. نعم إن ما أغضبُ له أكثرُ من أي شيء آخر هو بقية القوم الذي يلزمون الصمت وهم جالسون هكذا، ولا ينطقون بكلمة لومٍ واحدة تجعل العشاق يُكفون، رغم كثراهم، وقلة عدد هؤلاء.»

## ليوكريتوس يُفُضُّ المجلس

فأجاب ليوكريتوس Leocritus، ابن يوينور Euenor، يقول: «هيا مينتور، أيها المغموس في شروره، يا من تَجول بأفكارك إلى مَدَى بعيد، هذا الذي قلت؛ لتأمر القوم بأنْ يُوقفونا؟ نعم، صعب عليك أن تخوض معركةً حول وليمةٍ مع أَنَاسٍ أكثرَ مِنْكَ عدداً، فلو جاء أوديسيوس الإيثاكِي<sup>٩</sup> نفسه، وتأقت روحه أن يطرد السادة العُشاقَ من ساحتِه، هؤلاء الذين يُولِّمون في بيته، لما أَحْسَت زوجُته بالسُرورِ لِمَقْدِيمِه، رغم لهفتها الشديدة إِلَيْهِ، ولكنه سيلاقِي هنا ميَّةً بشعةً، لو حَدَّثَته نفسه بِمَقْاتَلَةِ رجَالٍ يُفَوِّقُونَه عدداً. ما قُلْتَ صواباً يا هذا. والآن هيَا، أيها الرجال، فليتفرق كل واحدٍ منكم إلى أرضه. أما هذا الشاب فإنَّ مينتور وهاليثيسيس سيعجلان بِرِحْلَتِه؛ لأنَّهما صديقاً منزلاً أَبِيهِ من قديمِ الزَّمَانِ». غير أنَّني أعتقد أنه لن يقوم بهذه الرِّحْلة، بل سيَبِقِيُّ هذا مَدَى طَوِيلَةً، ويتلَاقِيُّ الأنْبِاءَ في إِيَثَاكا.»

هكذا تَكَلَّمَ، وَفَضَّلَ الْجَمَاعَ بِسُرْعَةٍ، فتَفَرَّقَ الْجَمَعُ، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِه، وَذَهَبَ الْعُشَاقُ إِلَى مَنْزِلِ أُودِيسِيُوسِ الْمُبَجلِ.

## أثينا تسجِّب لصلاحة تيليماخوس

أما تيليماخوس، فذهب بمفرده إلى شاطئ البحر، وما إن غسل يديه في مياه البحر السنحابية، حتى صلَّى لأثينا قائلاً: «أصغي إلىَّ، يا من جئتَ أَمْسَ إلى مَنْزِلِنَا كِيلَه، وأَمْرَتَنِي بِالإِبْحَارِ في سفينةٍ عَبْرَ الْيَمِّ الكثِيرِ الضَّبابِ بحثاً عن أخْبَارِ عُودَةِ أبيِّ، الذي رَحَلَ مِنْ ذِيْنَ بعيد. إنَّ الْأَخْيَنِ يَحُولُونَ دُونَ كُلِّ هَذَا، وَلَا سِيمَا الْمَغَازِلُونَ مِنْهُمْ فِي وَقَاحَةِ شَرِيرَةٍ». قال هذا متَوَسِّلاً، فاقتربت منهِ أثينا، في صورةِ مينتور، هَيَّةً وَصُوتَّاً، وَخَاطَبَتْهُ بِالْفَاطِحِ مُجْنَحَةً، فقالت:

«أي تيليماخوس، لن تَغُدوَّ بَعْدَ الْآنِ رجَلًا وَضِيَّعاً أوَّ خَامِلَ الْذَّهَنِ، لو أَنْ شَيْئاً مِنْ رُوحِ أَبِيكَ الْمَجِيدَةِ قدْ غُرِّسَ فِي دَمِكَ؛ إِذَا كَانَ رَجَلٌ قَوِيلٌ وَعَمَلٌ؛ وَعَلَى ذَلِكَ، لَنْ تَكُونَ رِحْلَتَكَ هَذِهِ دُونَ جَدَوِيِّ، وَلَا دُونَ أَنْ تَتَحَقَّقَ». أَمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ أَبَنَهُ، وَلَا ابْنَ بِيْنِيلُوبِيِّ، فَلَا أَمْلَ

<sup>٩</sup> نسبة إلى إيثاكا.



إنني من أوفي أصدقاء بيت أبيك، وسأجّهز لك بنفسي سفينَة سريعة، كما سأذهب معك أنا بنفسي.

قط في أنك ستحقّق رغبتك. حقاً، إن القليل من الأبناء يُشبّهون آباءهم. كثيرون هم الأسوأ من آبائهم، أما الأفضل فقليلون، ولكن بما أنك، من الآن فصاعداً، لن تكون رجلاً وضيئاً أو خامل الذهن، كما أنه لن تنقصك حكمة أوديسيوس كُلية، فلا بد أن يكون هناك أمل في إنجازك هذا العمل. والآن، فلتُكُن إرادة ومشورة العشاق، أولئك الحمقى؛ لأنهم ليسوا، بحالٍ ما، حُكماء أو عادلين، كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن الموت أو الحتف القاتم، القريب منهم حقاً، ولا عن أنهم سيهلكون جميعاً في يوم واحد. أما أنت، فإن الرحلة التي تنوی القيام بها، لن تتأخر طويلاً. إنني من أوفي أصدقاء بيت أبيك، وسأجّهز لك بنفسي سفينَة سريعة، كما سأذهب معك أنا نفسي. أما الآن فانطلق إلى بيتك، وانضم إلى زمرة المغازلين،

ووجهُّ الخزین، وضع كل شيءٍ في أوعيةٍ — الخمر في قدور، ودقيق الشعير، الذي هو أهم شيءٍ للبشر في أكياسٍ متينةٍ من الجلد — أما أنا، فسأجوس خلال المدينة، وأجمع بسرعةٍ الرفاق الذين يصاحبونك بمحض إرادتهم. وأما السفن فهي كثيرةٌ جدًا في إيثاكا المحاطة بالبحر، جديدةٌ وعتيقة، وسأنتقي لك أحسنها، ولسوف تُعدها بسرعة، وتنزلها إلى الخضم الفسيح.»

### أنتينوس يسخر من تيليماخوس

ما إن أتمَّت أثينا، ابنة زوس، حديثها، حتى هُرِع تيليماخوس، بعد أن سمع صوت الربَّة، وسار في طريقه إلى البيت وقد أثقلَت الهموم قلبه في صدره، فألفى المغازلين المتعجرفين هناك، يملئون الساحات، يسلخون الماعز ويُشّوون الخنازير في القاعة. وما هي إلا هنيهةٌ حتى أقبل أنتينوس، يضحك إلى تيليماخوس، وأمسك بيده، وتحدَّث إليه مخاطبًا إياه قائلاً:

«هيا تيليماخوس، أيها المُتَجَّح، أيها المنطلق في جسارتِه، اصرف من قلبك كل عملٍ أو كلامٍ شرير، وإنني لآمرك أن تأكل وتشرب كما كنتَ قبلاً تماماً. إن الآخرين سوف يُمْدُونك، حقاً، بكل هذه الأشياء — السفينة، والمجدُّفين المتنَّقين — كي تستطيع الإبحار إلى بولوس المقدَّسة، ل تستطلع أخبار والدك النبيل.»

### تيليماخوس يتَوَعَّد العشاَق

عندئِنْ أجابه تيليماخوس العاقل بقوله: «أي أنتينوس، لا تُظْنَنْ أنني سأجلس بحالٍ إلى المائدة وسط زمرتك السُّكَاع، كي أتناول الطعام بهدوء، وأبتهج مرتاح البال. ألا يكفيك، أيها المغازلون، أنكم بددتم فيما مضى ممتلكاتي الكثيرة العظيمة، وقت أن كنتُ صبيًّا؟ أما الآن، وقد بلغتُ مبالغ الرجال، واكتسبتُ المعرفة من وصايا ونصائح غيري، ونمَّت روحي في داخل جسدي، فإنني سأحاول أن أُلْقِي عليكم حُتُوفًا شريرة، سواءً ذهبتُ إلى بولوس، أو بقيتُ هنا في هذه الأرضي، فها أنا ذا راحل، ولن تكون الرحلة التي أتحدَّث عنها عثباً، رغم إبحاري في سفينة رجلٍ آخر، فلا يمكنني أن أكون صاحب سفينةٍ أو مجَّدفين. وهكذا، أعتقد أنه بدا لك أن الأمر قد أصبح في صالحك أكثر.»

## العشاق يُولِّمون ويتهَّمُون

قال تيليماخوس هذا، وجَدَّب يَدَهُ من يَدِ أنتينوس دون كَبِيرٍ عناء، بينما كان العُشاقُ مشغولين بالوليمة في شتى أنحاء القاعة، كانوا يَسْخَرون منه ويتهَّمُون عليه في حديثهم، فقد كان أحد الشبان المتعطشين يقول:

«حَقّاً، إن تيليماخوس ليضع الخطط لِقتْلِنَا. إنه سُيُّحضر رجلاً من بولوس الرملية، أو حتى من إسبرطة، لمساعدته. إنه يُصْرِّ على ذلك إصراراً، أو لعله يُزِّمِّع الذهاب إلى إفوري، Ephyre، تلك الأرض الغنية، ليُحْضِر العاقاقير القاتلة من هناك؛ ليضعها في طاس الخمر، فيقضي علينا جميعاً.»

ثم انبرى شابٌ غُرْ آخر يقول: «لا يدرى أحدُ سواه، أنه ربما وهو في سفينته الواسعة، يُمْخِر عُبَابَ اليم، يَهْلِكُ في تجواله بعيداً عن أصدقائه، كما فعل أوديسيوس تماماً؛ ومن ثم يُسْبِّب لنا متابَّعَ أكثر؛ إذ سيَكُون علينا القيام بِتقسيم جميع ممتلكاته، فنعطي بيته لأمه ليُصْبِح ملِّكاً لها ولن سِيَّزَّ وجهها.»

## تيليماخوس يتَّقد خزائِن أبيه

هكذا كانوا يقولون، أما تيليماخوس فهبط إلى خزانة أبيه العالية السقف، وهي حجرة فسيحة بها أكواًم من الذهب والبرونز، وصناديق مملوقة بالثياب، وخرزٌ من الزيت ذي النكهة العطرة. كما كانت بها قدورٌ ضخمة من الخمر، المعنقة الحلوة، بها شرابٌ مقدس غير ممزوج، ومرتبة في نظام بطول الحائط، مُعدَّة لِقدِّم أوديسيوس؛ إذ قُيُّضَ له أن يعود إلى بيته بعد إنجاز مهماته العديدة المُحرِّزَة. وقد كانت الأبواب المزدوجة، مَقْفَلَةً بإحكام، وكانت تقيِّم هناك، ليل نهار، خادمةٌ تحرس كل شيء بِحِكْمَة عقلها، هي يوروكليا، ابنة أوبس بن بايسينور Peisenor، فاستدعاها تيليماخوس في الحال إلى الخزانة، وكلَّمها قائلاً:

«يا مُرْبِّيَّتي، أَخْرِجي لي خمراً في قدور، خمراً حلوة منتقاة، من أَفْضَل صنفٍ يلي ما تحفظينه، وأَنْتِ دائمة التفكير، لِقدِّم ذلك الرجل المنكود الحظ، عسى أن يأتِي أوديسيوس، سليل زوس، ولِسْت أدرِي متى، ناجياً من الموت والأقدار. املئي اثنَيْ عشرة قفراً، وأَحْكِمي سُدَّها، جميعاً، بالاعْطِيَّة وعَبَّئِي لي دقيقَ الشعير، في أكياسٍ من الجلد مخيطٍ جيداً، ولِتَكُنْ عشرين مكيالاً من طحينَ الشعير، ولِيَكُنْ عِلْمُ ذلك لكِ وحدك. وأَعْدِي هذه الأشياء كلها

سوياً؛ لأنني سأتي لأخذها عندما يُقبل المساء، عندما تذهب أمي إلى مقصورتها العلية، وتُفگر في الراحة، فإنني ذاهب إلى إسبرطة وإلى بولوس الرملية؛ لأبحث عن أخبار عودة والدي العزيز، عسى أن أتمكن من سماع أيٍّ نبأ.»

### محاولة يورووكليا إثناء سيدها عن الرحيل

هكذا تكلّم، وأرسلت المربية العزيزة يورووكليا، صرخةً حادة، وتحدّثت إليه بكلماتٍ مُجنحة، والدموع تنحدر من مقلتيها، فقالت: «آه يا طفلي العزيز، كيف خطرت هذه الفكرة إلى بالك؟ إلى أين تُزمع الذهاب عَبْر الأرض الفسيحة، يا من لست غير ابن وحيدِ محبوبٍ غاية الحب؟ لقد هلك أوديسيوس، سليل زوس بعيداً عن وطنه في أرضٍ غريبة، وبمجرد أن ترحل، سيَحِيكُ هؤلاء الرجال الشر لك، كي تهلك بالخديعة، ويُقسّمون كل هذه الممتلكات فيما بينهم. كلا، لا تذهب. أبق هنا وارعَ ما هو لك؛ لا حاجة بك إلى احتمال المشاق بالتجول عَبْر البحر المضطرب.»

### والدة تيليماخوس لن تعلم

فرد عليها تيليماخوس الحكيم بقوله: «تَشَجَّعِي يا مُرْبِّيتي؛ فليست خطّتي هذه بغير إذن إله. والآن أَقْسِمي ألا تتفوّهي بشيءٍ من هذا إلى والدتي العزيزة، حتى يأتيالي اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر، أو بعد أن تفتقدني هي شخصياً وتعلم أنني رحلت؛ لئلا تُشوه بشرتها الجميلة بالبكاء.»

قال هذا، فأقسمت السيدة العجوز بالآلهة، قسماً لا جنث فيه، ألا تقول شيئاً. وبعد أن أقسمت وانتهت من القسم أخرجت له في الحال خمراً في جرار، وعبأت دقيق الشعير في أكياسٍ من الجلد ممحكمة الخياطة، وبعد ذلك، ذهب تيليماخوس إلى الساحة وانضم إلى جماعة المغازلين.

### أثينا تنمسخ تيليماخوس

بعد ذلك، قامت الربة، أثينا ذات العينين النجلاويين، بعملٍ آخر، فذهبت في صورة تيليماخوس، إلى كل مكان بالمدينة، وأخذت تقترب من كل رجلٍ وتقول كلمتها، فتأمره بالاجتماع مع غيره في هدوء بجانب السفينة السريعة. وزيادةً على ذلك فقد طلبت من

نويمون Noemon ابن فرونيوس Phronius المجيد، سفينة سريعة، فوعدها بها بنفسه راضية.

والآن غربت الشمس، وخيم الظلام على جميع الطرق، فسحبت السفينة السريعة إلى البحر، ووضعت فيها سائر المعدات التي تحملها السفن المؤثثة جيداً بالمقاعد، وربطتها عند مدخل الميناء، فاحتشد حولها الجمع العظيم، وراحت الربة تشجع كل رجل.

### ثم مينتور أيضًا

بعد ذلك قامت الربة، أثينا اللامعة العينين، بعمل آخر، انطلقت في طريقها إلى بيت أوديسيوس المقدس حيث بدأت تسكب النوم اللذيد على عيون المغازلين، وجعلتهم يتغطّون في سكرهم، ثم راحت تُسقط الكثوس من أيديهم، فلم يسعهم إلا أن ينهضوا وينصرفوا إلى مضاجعهم في أنحاء المدينة، ولم يستطعوا البقاء هناك مدة طويلة؛ إذ كان النعاس يُداعب جفونهم. وعندئذ تكلّمت أثينا اللامعة العينين إلى تيليماخوس، واستدعاه إلى القاعة الملكية، بعد أن اتّخذت صورة مينتور، هيئة وصوّتاً، فقالت له:

«أي تيليماخوس، إن زملاءك المدرّعين جيداً، لـجـلـسـون بـجـانـبـ المـجـاذـيفـ، اـنتـظـارـاً لـإـقـلاـعـ. هـلـم بـنـا نـذـهـبـ إـلـيـهـمـ، حـتـى لـا نـؤـخـرـ رـحـلـتـهـمـ كـثـيرـاًـ». ما إن قالت بالاس أثينا هذا حتى قادت الطريق بسرعة، وتبعها تيليماخوس خطوة خطوة، فلما هبطا إلى السفينة وإلى البحر، وجدا الرفاق الطويلي الشعور، عند الشاطئ، فتحدث إليهم تيليماخوس القوي<sup>١٠</sup> العتيد قائلاً: «هيا بنا، أيها الأصدقاء، نُحضر المؤن؛ إذ كلها مُعدّة الآن في الساحة. وإن والدتي لا تعلم عنها شيئاً، ولا حتى الخادمات، ما عدا واحدة فقط هي التي سمعت كلامي.»

### تيليماخوس يركب البحر في رحلته الغامضة

ما إن قال هذا، حتى قاد الطريق، وذهب الجميع معه، فأحضروا المؤن، وخرّبوا كل شيء في السفينة المكينة المقاعد، كما أمرهم ابن أوديسيوس العزيز، ثم اعتلى تيليماخوس ظهر السفينة، وذهبت أثينا أمامه وجلست في كوئل المركب. وجلس تيليماخوس إلى جانبيها،

<sup>١٠</sup> لا يمكن الجزم تماماً بالمعنى الأصلي المقصود بالصفة «قوى».

بينما انبرى الرجال يحلون الحبال عن كوثل السفينة، ثم ذهبوا إلى ظهرها، وجلسوا فوق مقاعدها. وعندئذٍ أرسلت لهم أثينا البرأقة العينَين، ريشًا مواتية، أرسلت ريشًا غريبة شديدة الهبوب، راحت تزمر فوق البحر القاتم كالخمر. ونادى تيليماخوس رجاله، وأمرهم بأن يُمسكوا حبال السفينة، فلَبِوا أمره، فرفعوا الصاري المصنوع من خشب الصفاصاف، وثبتُوه في الفتحة الواسعة، بدعاماتٍ أمامية، وعلَّقُوا الشراع الأبيض بحبالٍ مجدولة من جلود الثيران، فملأت الرياح بطن الشراع، وزمرت اللجة القائمة عاليًا حول جوؤ السفينة وهي تمضي، فأسرعت السفينة تشق طريقها. وبعد أن انتهوا من تثبيت الحبال في السفينة السوداء السريعة، وضعوا الطاسات مملوقة حتى حفافتها بالصهباء، وسكبوا السكائب للآلهة الخالدين السرمديين، وفي مقدمتهم ابنة زوس النجلاء العينَين؛ ومن ثم أخذت السفينة تسير في طريقها الليل ببطوله، وطول الفجر.

## الأنشودة الثالثة

### تيليماخوس يصل إلى بولوس

ما إن تركت الشمس الأفق البديع، حتى ارتفعت في السماء البرونزية، لتهب الضوء للخالدين والبشر على سطح الأرض، مانحة الحب، فوصلوا إلى بولوس، قلعة نيليوس Neleus المتينة البناء. وهنا كان القوم فوق شاطئ البحر يُقدّمون ذبيحةً من الثيران السوداء إلى مُزيلزل الأرض<sup>١</sup> الأدكّن الشعور. كان هناك تُسْعَ جماعات، يجلس في كل جماعة خمسة رجل، وتمسك كلّ منها بتسعة ثيَرَانْ مُعدّة للذبح. وعندما فرغوا من تذوق الأجزاء الداخلية، وكانوا يحرقون قطع الأفخاذ للإله، نزل الآخرون فوراً إلى البر، ورفعوا شراع السفينة الجميلة وطُوّوه، وأرسواها، ثم غادروها. كذلك خرج تيليماخوس من السفينة، وقادت أثينا الطريق، وتكلّمتُ إليه الربة، أثينا ذات العينين البراقتين، أولاً، فقالت:

«أي تيليماخوس، لا داعي بعد الآن إلى الخجل قط؛ فقد أفلعتَ عَبْر البحر بقصد البحث عن أخبار أبيك، أين طوته الأرض، وأي مصيرٍ لaci. هُلُّ الآن، وانطلق فوراً إلى نسطور مستأنس الجياد. دعنا نسألة عن الأخبار التي يحتفظ بها في مكنون صدره. عليك أن تتوسل إليه بنفسك كي يُخبرك عن الحقيقة كلها. إنه لا يقول كذباً على الإطلاق؛ لأنَّه رجلٌ عاقل حقاً.»

فأجابها تيليماخوس بقوله: «أي مينتور، كيف أذهب إليه، وكيف أذهب إليه، وأبيه بالتحية؟ إنني ما زلتُ حتى الآن غير فصيحٍ في عذب الألفاظ. وفضلاً عن هذا، فإنَّ الشاب اليافع ليخرج من سؤال من يكبره.»

<sup>١</sup> أي بوسايدون، رب البحر.



وألبسَتْه بولوكاستي عباءةً جميلةً ومعطفاً.

عندئِذٍ ردَّتْ عليه الربة أثينا ذات العينَين المتألقَتَين، قائلةً: «يا تيليماخوس، إن بعض الكلام ستتدَّبره أنت بنفسك، والبعض الآخر ستُلْقِنَك إِيَاه السماء؛ لأنك، كما أعتقد لم تُولدْ وتتنشأ بغير مساعدة الآلهة».

### ابن نسطور يُرْحَب بالغربيين

هكذا تكلَّمَت بالاس أثينا، وقادت الطريق بسرعة، ومشي تيليماخوس في أعقاب الربة، حتى بلغا حشد رجال بولوس، وكان نسطور جالساً هناك مع أبناءه، وشعبه حوله يُعدُّون الوليمة، فيَشُوون بعض قطع اللحم، بينما يضعون قطعاً آخرَ في السفُود. بيد أنهم ما إن أبصروا الغربيين، حتى التفوا جميعاً حولهما وأمسكوا أيديهما يُحيِّنُهما، وطلبوا إليهما أن يجلسا، فقد اقترب أولاً بيساستراتوس Pelsistratus، ابن نسطور، وأخذ كلاًّ منهما من يديه،



وأجلسهما إلى المائدة، فوق الفراء الناعمة على رمال البحر، بجانب شقيقه ثراسوميديس Thrasymedes وأبيه، وقدم لهما قطعاً من اللحم الداخلي، وسكب خمراً في كأس ذهبية، وبعد أن شرب نخب بالاس أثينا ابنة زوس، حاملة الترس، تكلم بقوله:

«والآن، هيا، صلّ أليها الغريب، للسيد بوسايدون؛ فهذا عيده الذي تصادف وقدمت فيه إلى هنا. وبعد أن تسكب السكائب، وتُصلّي، كما يجب، أعطِ صديقك أيضاً كأس الخمر التي في حلاوة الشهد، حتى يستطيع أن يُقدم سكيبة للخالدين؛ إذ إنه كما أعتقد، يُصلّي لهم أيضاً؛ لأن جميع البشر محتاجون إلى الآلهة. ومع كلّ فهو أصغر مثك سنّاً، نظيري في العمر، وعلى ذلك سأقدم لك الكأس الذهبية أولاً.»

### أثينا تصلي لبوسايدون

هكذا تكلّم، ثم وضع في يدها كأس الخمر العذبة، أما بالاس أثينا، فقد سرّت من حكمة الرجل وحسن حكمته، وفي الحال قدم لها الكأس الذهبية أولاً، فقامت من فورها وصّلت بحماس للسيد بوسايدون، قائلة:

«أصلح إلىّي، يا بوسايدون، يا مُطْوِق الأرض، ولا تتذمّر من أن تُجِيب على صلاتنا بأن تخرج هذه الأعمال إلى حيز التنفيذ. امنح الشهرة لنسطور أولاً، ولأبنائه، ثم امنح الباقين

جزاءً حسناً من أجل هذه الذبيحة المديدة، لسائر رجال بولوس، ولتفضل أيضاً فتسماح بعودتي مع تيليماخوس، بعد أن تنجز جميع الأمور التي جئنا إلى هنا من أجلها بسفينتنا السوداء السريعة.»

### وتيليماخوس أيضاً ي يصل

هكذا صلت أثينا، وكانت تتحقق كل شيء بنفسها، ثم قدّمت الكأس الجميلة ذات المقاييس، إلى تيليماخوس، فقام ابن أوديسيوس العزيز هذا وصلّى مثلاها. وبعد أن انتهى الرجال من شواء اللحم الخارجي، وأخرجوه من السفود، قسموا الأنثى، ثم أدوا ما دبة فاخرة. وما إن فرغوا من تناول الطعام والشراب، حتى نهض الفارس، نسطور الجيريني Nestor of Gerenia<sup>٢</sup>، وتكلم وسطهم أولاً، فقال:

«الآن ولا شك أنسُب وقتٍ يحق لنا فيه أن نسأل الغريبين عن يكونان، طالما أنهم الآن قد نالا كفايتهم من الطعام، فمن أنتما إذن، أيهما الغريبان؟ ومن أين قدّمتُما عَبر ذلك الخضم الواسع؟ أجهتما بمهمة معينة، أم أنكم تهيمان عَبر البحر كيما اتفق؟ أكقرصانَين تتوجّلان مغامرين بحياتِكما، ومُحدثين الأذى لأقوامِ البلاد الأخرى؟»

### تيليماخوس يرُدُّ على أسئلة نسطور

عندئذٍ تَشَجَّع تيليماخوس العاقل، وأجاب على أسئلة نسطور؛ لأن أثينا نفتَ الشجاعة في قلبه بنفسها، كي يسأل عن أبيه، الذي رحل، عسى أن يجد خبراً ساراً لدى أولئك القوم، فقال:

«أي نسطور، يا ابن نيليوس، يا مجد الآخرين العظيم، إنكَ تَسأَلنا من أين قدمنا، ولا شك في أننا مخبروك. لقد جئنا من إيثاكا الواقعة خلف نايون Neion، ولكن الأمر الذي سأتكَّل عنه، يعنيني دون سواي ولا علاقة للناس به. لقد أتيتُ أتتَّبع صيت أبي الواسع الانتشار، عَلَّني أسمع شيئاً عن أوديسيوس العظيم الثابت القلب، الذي كما يقول القوم، قاتل إلى جانبك يوماً ما، ونهب مدينة الطرواديين Trojans؛ لأننا نعلم أين مات كل رجلٍ من حاربوا الطرواديين، ميتته التعيسة، كلهم، ما عدا أوديسيوس، الذي جعل

<sup>٢</sup> المعنى الدقيق لهذه الصفة غير معروف تماماً بعد.

ابن كرونوس ميته وراء العلم؛ إذ ما من شخص يستطيع أن يُحَدِّد بالتأكيد أين مات، هل قهره الأعداء فوق اليابسة، أم في البحر وسط أمواج أمفيتريتي Amphitrite؟<sup>٣</sup> ومن ثم أجيء أنا الآن، عند ركبتيك، عسى أن تتفضَّل بإخباري عن ميته التعيسة، سواءً كنت قد شاهدتها عياناً، أو سَمِعْتَ من شخص آخر عن قصة تجواته؛ فإنه دون سائر الرجال قد أنجبته أمه للأحزان. كما أرجو لا تأخذنَّ الشفقة بي، بحالٍ ما، فتُطْمِئنَّني ببعض الألفاظ، بل أريد أن تُخْبِنِي بالحقيقة، كيف تصادَفَ لك أن شاهدَتَه. إنني أتوَسَّلُ إليك، لو أن أبي أوديسيوس النبيل، كان قد عهد إليك ببعض الكلام أو العمل وحقَّقْتَه في أرض الطرواديين، حيث قد قاسيتَ الآلام، أيها الآخيون، فلتَذَكَّرْه بربك الآن. وقل لي الحقيقة بعينها.»

## نسطور يستعيد ذكرى ويلات حرب طروادة

عندئِذْ أَجَابَهُ الْفَارَسُ، نَسْطُورُ الْجِيرِينِيَّ، قَائِلًاً:  
 «أَيُّ صَدِيقٍ، لَقِدْ أَعْدَتْ إِلَى ذَهْنِي الْهُمُومُ وَالآلَامُ الَّتِي كَابَدَنَا هُنَّا، نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَخْيَنِ، فِي تِلْكَ الْبَلَادِ، مَعَ قَرْطَجَرَاتِنَا — كُلُّ ذَلِكَ قَاسِينَا هُنْ عَلَى ظَهَرِ السَّفِينَةِ وَنَحْنُ نَسْعِي وَرَاءِ الْغَنَائِمِ عَبْرَ الْيَمِ الْكَثِيفِ الْضَّبَابِ، حِيثُ كَانَ يَقُوْدُنَا أَخِيلٌ، وَجَمِيعُ مَعَارِكَنَا حَوْلَ مَدِينَةِ الْمَلَكِ بَرِيَامٌ<sup>٤</sup> الْعَظِيمَةِ — إِنَّ الْأَسْفَ لِيَمْلأُ الْفَوَادِ؛ فَهُنَّا كُلُّ أَفْضَلِنَا كُلُّنَا. هُنَّا كُلُّ يَرْقَدِ أَيَّاسٍ Aias<sup>٥</sup> الْمَحَارِبِ، وَهُنَّا كُلُّ أَخِيلٍ<sup>٦</sup> وَبَاتِرُوكَلُوس<sup>٧</sup> Patroclus نَظِيرُ الْأَلَهَةِ فِي الْمَشُورَةِ، وَهُنَّا كُلُّ بَنِيِّ الْعَزِيزِ، الَّذِي يَعَادِلُهُ فِي الْقُوَّةِ، وَالْمَنْقُطُعُ النَّظِيرِ، أَنْتِيلوْخُوس<sup>٨</sup> Antilochus<sup>٨</sup> الْمُبَرِّزُ فِي سُرْعَةِ الْقُدْمِ وَكَمَقَاْلِ، كَمَا قَاسِينَا شَرَوْرًا أَخْرَى عَلَوَّاً عَلَى هَذِهِ، مَنِّ مِنْ الْبَشَرِ الْفَانِينِ

<sup>٣</sup> زوجة بوسايدون، أي ملكة البحر.

<sup>٤</sup> ملك طروادة العجوز إِبَانْ الحرب الطروادية.

<sup>٥</sup> أحد المحاربين الإغريق عند طروادة.

<sup>٦</sup> كان أول أبطال الحرب الطروادية، غُطَّسَتْهُ أمه وهو طفل في مياه نهر الستوكس Styx ليكون غير قابل للجرح، ولكن المياه لم تصل إلى عقبيه إذ كانت تُمسِّكه أمه منهما.

<sup>٧</sup> نشأ مع أخيل فتوَّلَتْ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةً كَانَتْ مُضْرِبَ الْأَمْثَالِ.

<sup>٨</sup> ابن نسطور، استطاع أن يشهر نفسه في الحرب الطروادية بما أبداه من شجاعة وسرعة ودهاء وجمال. كان من أنصار أخيل المحبوبين الذي حمل إليه نباً وفاة باتروكلوس والذي شاركه في النحيب والعويل.



تقدّمت بولوكاستي الفاتنة، وغسّلت تيليماخوس ودهنت جسمه بزيت الزيتون.

يستطيع أن يرويها كلها؟ لا أحد؛ فلو بقيت هنا خمس سنوات أو ستّاً، وسألتَ عن جميع الآلام التي عانها الأخيون الأمجاد هناك، لستمَّت قبل أن تنتهي من سردها، ورجعتَ ثانية إلى وطنك. ظللنا مدة تسع سنواتٍ مشغولين في تدبير خطط خرابهم بشتى الوان الحيل، ولكن ابن كرونوس لم يكتب لها التوفيق. ولم يجرؤ أي رجلٍ على أن يتحداه في الرأي؛ إذ كان أوديسيوس العظيم يُبُدُّ الجميع في شتى صنوف الحيل – إنه أبوك، لو كنتَ ابنه حقاً. إن الدهشة لتملكني وأنا أنظر إليك؛ لأن حديثك، والحق يُقال، يشبه حديثه، وما كان أحد يتصور أن شاباً قد يتكلم أمام المجلس هكذا مثله. وإن طيلة المدة التي كنا فيها هناك، لم يتكلم أوديسيوس العظيم بكلامٍ يُخالف ما تكلّمتَ به، كما أنه لم يختلف عني في

الرأي أو في المشورة؛ إذ كنا ذوي عقلٍ واحد، وكنا ننصح الأرجوسيين Argives بالحكمة والمشورة الحازمة، في الكيفية التي يتم بها كل شيء على خير وجه. بيد أنه بعد أن خربنا مدينة بريام الشامخة، ورحلنا في سفتنا بعيداً، وجاء إله وشتت شمل الآخرين؛ عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، دبَّر زوس في قلبه عودةً مؤللة للأرجوسيين؛ لأن الجميع لم يكونوا كلهم حازمين ولا عادلين؛ ولذلك لقي كثيرون منهم مصيرًا مشئومًا من جراء غضب الربة، ذات العينين البراقتين، ابنة السيد<sup>٩</sup> القوي؛ لأنها تسبَّبت في الشجار بين ولدي أتريوس Atreus. وعندئذٍ طلب هذان الانتنان اجتماع سائر الآخرين، دون رؤية ولا نظام، وقت غروب الشمس — فجاء أبناء الآخرين مثقلين بالخمر — وقالوا كلمتهم، وقالوا لماذا جمعوا الجيش سوياً. بعد ذلك أمر مينيلاوس جميع الآخرين أن يُفكروا في عودتهم عبر ظهر البحر الفسيح، بيد أنه لم يسرَّ أجاممنون بأيه حال من الأحوال؛ لأنه كان يتوق إلى تأخير الجيش كي يُقدِّم الذبائح المئوية المقدسة، حتى يُهْدَى من غضب أثينا البالغ، فما أحمقه! إذ لم يكن يعلم أنها لن تتنازل عن غضبها؛ فليس من السهل تحويل عقل الآلهة الخالدين بسرعة؛ ومن ثمَّ وقف هذان يتراشقان بالألفاظ الجافة. غير أن الآخرين المدرَّعين جيداً قفزوا بصلبٍ عجيب، وراهمَا خططٍ مزدوجة الفعل، فخلدنا تلك الليلة إلى الراحة، وأخذ كل فريق يفكِّر بدهاء في أذى الفريق الآخر؛ لأن زوس كان يجلب علينا مصيرًا مشئومًا. ولما أصبح الصباح، أنزل بعضُنا سفتنا إلى البحر المتألق، ووضعوا فوق ظهورها الأمتعة والنساء ذوات الحزام المنخفض. والحقيقة أن نصف الجيش امتنع وبقي هناك مع أجاممنون بن أتريوس، راعي الجيش، بينما ركب النصف الآخر السفن وجَّهَ مبتعداً، فسرعان ما أبحرت السفن؛ لأن إلهًا ما هَدَّ البحر المضطرب. وعندما بلغنا تينيدوس Tenedos قدَّمنا ذبيحة للآلهة، متلهفين إلى بلوغ منازلنا، ولكن مع ذلك، لم يُزمع زوس عودتنا، فيا له من ربٌّ عنيد، ذلك الذي أثار الصراع الشرير للمرة الثانية. بعد ذلك استدار بعضهم بسفنهن المقوسة ورحلوا، وكذلك السيد أوديسيوس الراجح العقل، الحكيم، مع جماعته، أظهروا تأييدهم لأجاممنون بن أتريوس مرةً أخرى، غير أنني هربتُ مع سائر حشد السفن التي تَبعَّتني؛ إذ كنتُ أعلم أنَّ الرب يُدَبِّر شَرًّا. كذلك هرب ابن توديوس Tydeus<sup>١٠</sup> المحب للقتال وحَثَّ رجاله.

<sup>٩</sup> أي زوس، رب الأرباب والبشر.

<sup>١٠</sup> ملك كالودون، عندما بلغ سن الرشد قتل أخيه فاضطر أن يهجر وطنه.

وبعد فترة جاء مينيلاوس، الجميل الشعور، متأخراً، يقتفي أثراً، فلَحق بنا في ليسبوس Lesbos، بينما كنا نتناقش في الرحلة الطويلة، هل نرحل صوب بحر خيوس Chios الوعرة إلى جزيرة سوريا Psyria، جاعلين خيوس نفسها<sup>١١</sup> على يسارنا، أو صوب أرض خيوس عبر ميماس Mimas الكثيرة الرياح؛ ومن ثم طلبنا من رب أن يرينا علامة، فأرانا إياها، وأمرنا أن نشق طريقنا وسط البحر إلى يوبويا Euboea، حتى يمكننا النجاة بأقصى سرعة من البلاء. وبدأت ريح عاتية تهب، فجرت السفن بسرعة فوق الطرق المزدحمة، وعندما أقبل الليل، وصلت إلى جيرايستوس Geraestus. وهناك وضعنا كثيراً من أخاذ الثيران فوق مذبح بوسايدون، تعبيراً عن شكرنا لسلامة اجتيازنا البحر العظيم. ولم يكن إلا في اليوم الرابع، أن أوقف في أرجوس، جمع ديموديس Diomedes<sup>١٢</sup> ابن توديروس، مُستأنس بالجیاد، سُفَنَهُم الجميلة، ولكنني مضيت في طريقي صوب بولوس، ولم تكُفَّ الريح لحظةً واحدة منذ أن بعث بها رب أولاً.

هكذا جئت يا ولدي العزيز، بدون أبناء، بدون أن أعرف شيئاً عن الآخرين؛ أيُّ الآخرين نجا، وأيُّهم مات. غير أن هناك أبناء سمعتها وأنا في ساحتنا، سوف تسمعها مني، كما يقتضي الواجب، ولن أخفيها عنك؛ إذ يقال إن المورميون Myrmidons<sup>١٣</sup>، الذين يثورون بالرماح، جاءوا بسلام، أولئك الذين كان يقودهم البطل الشهير ابن أخيل العظيم الشجاعة، وسلاماً أيضاً جاء فيلوكتيتيس المجيد Philoctetes ابن بوياس Poias. كما أحضر إيدومينوس Idomeneus<sup>١٤</sup> جميع رفاقه إلى كريت، جميع الذين نجوا من الحرب، ولم يسلبه البحر أحداً منهم. أما ابن أتریوس، فقد سمعت بنفسك، رغم أنك بعيد جدًا، كيف جاء وكيف دبر له أيجیستوس Aegisthus مصيرًا مؤلمًا، ولكنه ولا ريب دفع الثمن فظيعاً. إنه لجميل أن يترك الرجل ابنًا عند وفاته، إذا كان ذلك الابن ينتقم لوط

<sup>١١</sup> ويحمل أيضًا: «جاعلين جزيرة سوريا على يسارنا».

<sup>١٢</sup> ابن توديروس. قاد ثمانين مركباً ضد طروادة. وهناك استطاع أن يُمْيِّز نفسه عن الباقيين كأشجع أبطال الإغريق بعد أخيل وذلك تحت حماية أثينا.

<sup>١٣</sup> شعب يسكن جزيرة أيجينا Aegina، خلقه زوس من النمل ليقطن الجزيرة تليّة لرجاء أياكوس ملك الجزيرة، ثم هاجروا من ذلك المكان إلى تساليا. ويُستعمل هذا الاسم عادةً للمحاربين الذين قاتلوا تحت قيادة أخيل في طروادة.

<sup>١٤</sup> ملك كريت. كان أحد المحاربين البواسل في طروادة.

أبيه العظيم من قاتله الغادر، أيجيسيوس. هكذا أنت أيضاً، يا صديقي فإنني أراك رجلاً  
بمعنى الكلمة، فارع الطول، فكن شجاعاً حتى يمتحنك كل من يولد من الرجال.»

### رغبة تيليماخوس في الانتقام من العشاق

فأجاب تيليماخوس الحكيم بقوله: «أي نسطور، يا ابن نيليوس، يا مجد الآخرين العظيم،  
نعم لقد انتقم ذلك الابن حقاً، ولسوف يطير الآخيون بشهرته بعيداً، كي يعلم بها من  
سيأتي من البشر، ليت الآلهة تُسرِّبُلُني بمثل هذه القوة، كي أستطيع الانتقام من أولئك  
العشاق جزاء إثمهم الشين، أولئك الذين بسبب طيشهم يُدْبِرونَ لي شرّاً، غير أن الآلهة،  
والأسف ملء الفؤاد، لم تخلي عليّ مثل هذه السعادة، ولا حتى على أبي؛ وعلى ذلك ينبغي  
لي أن أحتمل مهما كانت الظروف.»

### نسطور يشدُّ أزر تيليماخوس

فقال الفارس، نسطور الجيريني: «يا صديقي، طالما أنك تُعيد هذا إلى ذاكرتي، وتكلّم  
عنه، فإنهم يقولون إن هناك مغازلين عديدين يطلبون يد والدتك، وهؤلاء يحيكون الشرور  
في ساحاتك رغم إرادتك. أخبرني، هل تُستباح ممتلكاتك بمحض إرادتك، أم أن القوم  
يكرهونك في كل مكانٍ إطاعة لرغبة إله؟ من يدرى، إذا كان أوديسيوس سيأتي ذات يوم  
وينتقم منهم على إهانتهم القاسية إما وحده، أو من الجائز مع سائر جموع الآخرين؟  
ليت أثينا، الربة المتألقة العينين تختار أن تُوليك محبتها، كما اهتمت كثيراً، في ذلك الحين  
بأوديسيوس المجيد في بلاد الطرواديين، حيث قاسينا الآلام، نحن عشر الآخرين؛ لأنه لم  
يسبق لي أن رأيت الآلهة تُبدي حبها سافراً بتلك الصورة، كما فعلت بالاس أثينا معه؛ إذ  
وقفت إلى جانبه عليناً، فلو سرّها أن تُحبك بنفس الطريقة، واهتممت بك من كل قلبها، إذن  
لنسي كل فردٍ منهم الزواج كليّة.»

### إعجاب تيليماخوس بكلمات مضيفه

عندئٍ قال تيليماخوس العاقل: «أيها السيد العجوز، لا أعتقد بأية حال أن كلمتك هذه  
ستتحقق. إن ما تقوله لشيءٍ بالغ العظمة؛ لذا تملّكني الدهشة، ولا أمل عندي في أنه  
سيتحقق، حتى ولو أزمعت الآلهة ذلك.»

## أثينا تذكر تيليماخوس بقدرة الآلهة على كل شيء

فتكلمت الربة، أثينا ذات العينين النجلاء وقالت: «أي تيليماخوس، ما هذه العبارة التي أفلتَ من بين شفتيك؟ من السهل على الإله الذي انتوى ذلك أن يُعيَدَ شخصاً إلى وطنه سالماً، مهما كانت بعيداً. أما أنا، فإنني أُفْضِلُ شخصياً، أن أتَحَمَّلُ مشاقَ جمَّةَ عسيرة قبل أن أبلغ وطني وأتَمْتَعُ بيوم عودتي، على أن أُقتلُ إثْرَ عودتي عند الوطيس، كما قتل أجاممنون بتدبِّرِ أيجيستوس وزوجته. والحقيقة أن الآلهة أنفسهم، لا يستطيعون درء الموت، المقدَّرُ لكل فرد، عن شخصٍ يُحْبُّونه، متى حان للمنية المُفْجِعةُ أن تَصْرُّعَه.»

## تيليماخوس يستجوب مضيقه عن مقتل أجاممنون

فرَّأَهُ عليها تيليماخوس العاقل بقوله: «أيا مينتور، فلتُكُفَّ عن الحديث في هذه الأشياء رغم ما نحن عليه من حزن، فلا يمكن أن تتم له أي عودة على الإطلاق، كلا؛ فقبل هذا دَبَّرَ له الخالدون ميَّةً ومصيراً أسودين. والآن يجب أن أتحرَّى فأستخِيرُ نسطور عن أمر آخر، طالما أنه يعرف الحكمة وكيف يحكم على الشيء، أكثر من جميع الآخرين؛ لأنَّه كما يقول الناس كان ملِّكاً، ثلث مرات، على جيل من البشر، وإنَّه ليتَاءُ لِناظري أشبه بخالد. أَيْ نسطور، يا ابن نيليوس، هل تَتَفَضَّلُ بإخباري بالصدق: كيف قُتِّلَ أجاممنون الواسع السُّلطان ابن أتريوس؟ أين كان مينيلاوس؟ وأي ميَّةً دبرها أيجيستوس المخادع للملك، حيث إنه قُتِّلَ رجلاً يفوقه قوَّةً بِمَرَاحل؟ ألم يكن مينيلاوس في أرجوس الأخية، أم أنه كان يتجوَّلُ في مكانٍ آخر وسط القوم، حتى إن أيجيستوس تشَجَّعَ ونفَّذَ جريمة القتل؟»

## نسطور يرد على ضيفه رداً شافياً

فأجاب الفارس، نسطور الجيريني قائلاً: «إذن فسأُخَبِّرك بالحقيقة، يا طفلي. ها أنت ذا من تلقَّأَ نفسك تُخْمِنُ كيف حدث ذلك الأمر، فإذا كان ابن أتريوس مينيلاوس الجميل الشعور، قد وجد، عند عودته من طروادة، أيجيستوس حياً في ساحاته، إذن لَمَّا كَوَّمَا له رابيَّةً، حتى لو كان قد مات، بل كانت الكلاب والطيور قد مَرَّقتَه وهو راقد فوق السهل بعيداً عن المدينة، ولَمَّا بكته سيدةُ ما من الآخيات؛ إذ ما أبشع العمل الذي حاك خيوطه! أما نحن من جهتنا، فقد بقينا هناك في طروادة ننجز مهامنا العديدة، ولكنَّه دَأَبَ على خداع زوجة أجاممنون بِمَعْسُولِ الألفاظ، في مكانٍ منعزل في أرجوس، مرعى الخيول؛ ففي



أول الأمر تخلّصت كلوتيمنسترا<sup>١٥</sup> Clytemnestra الفاتنة، من العمل غير اللائق؛ إذ كان لها قلبٌ مدركٌ؛ وعلاوةً على ذلك، فقد كان معها أحد المغنيين، أحسن ابن أتريوس اختياره لحراسة زوجته، عندما أقْلَعَ إلى أرض طروادة. بيد أنه عندما جاء أخيراً قضاء الآلهة، أن تغلب على أمرها، صحب أيجيسثوس المُغْنِي إلى جزيرةٍ مهجورة حيث تركه ليكون فريسة للطهور. أما هي، فكما كان قد بَيَّنَتْ النية، أخذَها إلى بيته. وأحرقَ كثِيرًا من قِطْعَ لحم الأفخاذ على مذابح الآلهة المقدَّسة، كما عَلَّقَ لهم كثِيرًا من التقدّمات، من مصنوعات النسيج والأشياء الذهبيَّة، لقيامه بعملٍ جريءٍ يفوق كل ما كان يرجوه قلبه.

كنا نُبَرِّ سوياً<sup>١٦</sup> في طريقنا من طروادة، وكنتُ أنا وابن أتريوس صديقين حميمين، وعندما بلغنا سونيوم<sup>١٧</sup> Sunium المقدَّسة، رأس مدينة أثينا، هاجمنا هناك فوبيوس أبولو<sup>١٨</sup> بسهام الرقيقة،<sup>١٧</sup> وقتل حارس دَفَّةَ مينيلاوس، وهو ممسكٌ في يديه المجداف الذي يُوجَّه السفينة المسرعة، ذلك الحارس هو فرونطيس Phrontis، ابن أونيتور Onetor، الذي

<sup>١٥</sup> زوجة أجاممنون.

<sup>١٦</sup> إله الشمس.

<sup>١٧</sup> كان يُعتقد أن الميّة التي تُسبِّبُها سهام أبولو، ميّةٌ رقيقةٌ عديمة الألم.

كان يُبُدُّ سائر قبائل البشر في قيادة السفن عندما يشتد هبوب الرياح العاصفة؛ وعلى ذلك بقي مينيلاوس هناك، رغم أنه كان متلهماً للرحيل؛ لكي يستطيع أن يدفن زميله ويقوم نحوه بالطقوس الجنائزية. بيد أنه عندما وصل بدوره، وهو يخترق البحر القاتم كالخمر، في السفن الواسعة، في مجرى سريع، إلى قمة ماليا Malea المنحدرة، حاك له زوس الذي يحمل صوته بعيداً، طريقاً مقيتاً، وأرسل عليه هبّات عنيفات من الرياح العاتيات، فارتقت اللّجج كالطّلود الشامخ. وعندئذٍ قسم سُفنه إلى قسمين، وأحضر بعضها إلى كريت حيث كان الكودونيون Cydonians يعيشون حول مجاري الإيادانوس Iardanus، وحيث يُوجَد الآن جرفًّا أملس ينحدر رأساً نحو البحر، على حدود جورتون Gortyn في اليم الكثيف الضباب، حيث تدفع الريح الجنوبية الغربية الأمواج العاتية على الرأس البارز في البحر، على اليسار صوب فايستوس Phaestus، فتردُّها صخرةٌ صغيرة على أعقابها، فإلى ذلك المكان وصلت بعض سفنه، وبعد عناًءٍ كبير، نجا الرجال من الهلاك. ومع كلٍّ فقد حطمت الرياح السفن على سلسلة الصخور، وتركتها أشلاء. أما الخمس سفن الأخرى القاتمة الحيزوم، فقد حملتها الرياح، وجاءت بها الأمواج إلى مصر؛ ومن ثمَّ كان يهيم هناك بسُفنه وسط قومٍ غرباء اللسان، وجمع رزقاً عظيماً وذهباً، غير أن أيجيسيثوس دبرَ ذلك العمل المؤسف في نفس هذا الوقت، في وطنه. لقد حكم سبع سنوات على موكينياني Mycenae الغنية بالذهب بعد أن قتل ابن أتريوس، فخضع الناس لسلطانه. بيد أنه في السنة الثامنة، عاد أوريستيس Orestes العظيم من أثينا، وقتل قاتل أبيه، أيجيسيثوس المخادع، الذي قتل أباًه المجيد. وبعد أن قتله أقام وليمةً جنائزية للأرجوسيين، على أمه المقيمة وأيجيسيثوس الرعديد. وفي نفس اليوم قدم إليه مينيلاوس، الماهر في صيحة الحرب، جالباً مع كنوزاً كثيرة، بقدر ما استطاعت جميع سفنه أن تحمل.

لذلك يا صديقي، لا تُطُوف طويلاً بعيداً عن وطنك، تاركاً ثروتك خلفك، وفي بيتك رجالاً آنذاك بتلك الصورة؛ لئلا يقسموا ثروتك جميعها فيما بينهم، ويلتهموها، فتغدو رحلتك غير ذات جدوى، بيد أنني أشير عليك بالتوجه إلى مينيلاوس؛ لأنَّه جاء أخيراً من بلدٍ غريب، من لدنْ قومٍ لا يمكن لأحد أن يأمل في قلبه أن يعود من عندهم، أولئك الذين شرّدتهم الأعاصير ذات يومٍ في بحرٍ عظيم الاتساع، لا تجتازه الطيور في مدة سنة، ذلك الخضم الواسع المروع، فاذهب الآن في طريقك، بسفينتك ورفقاءك. أما إذا رغبت في الذهاب

بطريق البر، فها هي عرباتُ وجيادُ تحت أمرك، وهاك أبنائي في خدمتك، يرشدونك إلى لاكيديايمون<sup>١٨</sup> العظيمة، حيث يقطن مينيلاوس الجميل الشعور. وأنصحك أن تتوسل إليه بنفسك كي يروي لك الحقيقة بعينها. إنه لا يقول الكذب؛ لأنه عاقل حقاً.»

## أثينا طالب بتقديم الذبائح

هكذا قال، وغرَبَت الشمس، وأقبلَت جحافل الظلام، فتحدثت وسطهم الربة، أثينا ذات العينين المتألقتين، فقالت: «أيها الرجل العجوز، ما أَصْدَقَكَ في رواية هذه القصة تماماً! هلم اقطع ألسنة الذبائح، واحلط الخمر، حتى بعد أن تنتهي من سكب السكاب لبوسايدون والخالدين الآخرين، يمكننا أن ننكر في النوم؛ إذ قد حان وقته؛ فها هو النور اخْتَفَى الآن وراء الظلمة، وليس من اللائق أن نجلس طويلاً في وليمة الآلهة، بل ننطلق في طريقنا.»

## نسطور يمنع ضيفيه من الانصراف

ما إن أتمَت ابنة زوس حديثها، وأصغى الجميع إلى صوتها، حتى سكب الخدم الماء فوق أيديهم، وراح الفتيا يملئون الطاسات بالشراب إلى حافاتها، وقدَّموا لسائر الموجودين ساكبين أولاً بعض قطرات في الكثوس كسكيبة، ثم وضعوا الألسنة فوق النار، وقاموا يسكبون السكيبات فوقها، وبعد أن سكبوا السكاب، واحتَسَوا كفایتهم من الخمر، تاقت نفس كلٍّ من أثينا وتيليماخوس، الشبيه بالإله، إلى أن يعودا إلى السفينة الواسعة، بيد أن نسطور حاول أن يُيقِّيَهما، وتحدَّث إلىهما قائلاً:

«هل لزوس أن يمنع هذا، وكذا غيره من الآلهة الخالدين، أن تنصرفوا إلى سفينتكم السريعة كأنما تنصرفان من لُدُنْ شخصٍ بلا أمتعة ومُعْدِمٍ غاية العدم، شخص ليس لديه كمياتٍ وافرة من العبایات والأغطية في منزله، حيث يُسْتَطِعُ أن ينام هو وضيوفه عليها بغاية الراحة؟ كلا، إن في بيتي لعباءاتٍ وأغطيةً كثيرةً جميلة، يستحيل أن ينام ابن أوديسيوس العزيز هذا فوق سطح سفينة وأنا لا أزال على قيد الحياة، وهناك أطفال من بعدي يُرْجِبون في ساحاتي بمن يأتي من الأغراط إلى منزلي.»

<sup>١٨</sup> أي إسبرطة.

## تيليماخوس ينام في ساحة نسطور

عندئِن ردَّت عليه الربة، أثينا البَرَّاقة العينَين بقولها: «حسناً تحدَّثَ في هذا، أيها الصديق العجوز، وكان يجدر بتيليماخوس أن يُصْغِي إليك، طالما أن هذا أفضل شيء. غير أنه بينما يتبعك هو لينام في ساحاتك، سأذهب أنا إلى السفينة السوداء، كي أشجع رفافي وأقصى عليهم كل شيء؛ إذ أقر بأنني العجوز حَقّاً بينهم، ومن يتبعون في الصداقة أصغر مني، جميعهم في سن تشبه سن تيليماخوس العظيم القلب. سأرقد هناك بجوار السفينة السوداء الواسعة، هذه الليلة، حتى إذا ما أصبح الصباح ذهبت إلى الكاوكونيين Cauconians العظيمي الهمة، حيث يُوجَد لي دَيْنٌ مستحق، حيث إنه قصد منزلك، وتعطيه جياداً، من أسرع جيادك في العدو، وأفضلها في القوة؟»

## نسطور يتعرف على الربة أثينا

هكذا قالت الربة، أثينا ذات العينَين اللامعتَين، وانصرفت من الحضرة في صورة نسِّر بحري، فذُهل الجميع، ودهشوا لهذا المنظر، وتعجبَ الرجل المسنُ عندما أبصرت عيناه ما حدث، فأمسك بيدي تيليماخوس، وخطابه بقوله:

«هيا صديقي، لا أظن أنك ستُبرهن على أنك رجلٌ وضعِي أو جبان؛ إذ وأنت لا تزال في صغر سنك تتبعُ الألهة كمرشد لك. الحق يُقال، ليست هذه الربة، من سائر أولئك الذين يحتلون مواطنهم فوق أوليمبوس، غير ابنة زوس، تريتوجينيا<sup>١٩</sup> Tritogeneia، العذراء السامية للأمجاد، تلك التي بَجَّلت كذلك أباك النبيل وسط الأرجوسيين. كلا أيتها الملاكة، كوني رحيمة، وامتحني الصيت الحسن، وامتحنيه أياًًا لِأولادِي، وزوجتي المبَجلة، وفي مقابل ذلك سأذبح عجلة ملساء، عريضة الجبهة، سليمة، لم يسبق لرجلٍ أن وضع على رقبتها التّير حتى الآن. سأنحرها لك هنا، وأُزِّين قرونها بالذهب.»

<sup>١٩</sup> أي الملوودة في تريتون Triton. ويُحتمل أن تكون هذه إشارة إلى مجرى ماءٍ حقيقي يحمل هذا الاسم، ويُوجَد في بيوتنا Boeotia أو تساليا Thessaly.

## نسطور وأبناؤه يُصلُّون للربة أثينا

هكذا تكلَّم نسطور الجيرياني، في صلاته، وسِمعَته بالاس أثينا، ثم قام الفارس وقادهم إلى قصره الجميل، قاد أبناءه وأزواج بناته، إلى قصره الجميل، فلما بلغوا قصر الملك المنيف، اصطفوا فوق الكراسي والملاقيع العالية، وعند حضورهم خلط لهم الرجل المُسْنُ طاساً من الخمر الحلوة، المعتقة لمدة إحدى عشرة سنة بمعرفة ربة الدار، ففتحتُها بأن فكت الرباط المثبت للغطاء، فأمر السيد العجوز بأن يُملأ طاس من هذه الخمر، وصَلَّى بحرارة، وهو يُصْبِّ السكينة لأثينا ابنة زوس، حامل الترس.

## الضيف والمضيف ينامان

غير أنهم بعد أن صبُّوا السكائب، وشربوا قدر كفايتهم، انصرف كل واحدٍ منهم إلى بيته، ليس تاريخ. أما الفارس، نسطور الجيرياني، فطلب من تيليماخوس العزيز، ابن أوديسيوس المقدس، أن ينام هناك على سرير من الحال المجدولة أسفل البهو الفسيح، وإلى جواره بايسيساتروس، ذو الرمح الدرداري المتن، وقائد البشر، وكان هو الوحيد في القصر أعزب دون سائر أبناءه. ونام نسطور نفسه في الغرفة الداخلية من القصر السامق، بجواره السيدة زوجته، التي كانت قد أعدَّت له الفراش.

## نسطور يدلي بأوامره في الصباح

وعندما لمع الفجر، الوردي الأنامل، في أفق السماء، مبكراً، نهض الفارس، نسطور الجيرياني، من فراشه، وخرج فجلس فوق الأحجار المصقوله أمام أبواب قصره الشامخ، تلك الأحجار الناصعة البياض، والشديدة اللمعان كأنما قد طليت بالزيت.<sup>٢٠</sup> لقد اعتاد نيليوس، نظير الآلهة في المشورة، أن يجلس في قديم الزمان فوق هذه الأحجار، ولكنه قبل الآن أصبه حتفه، فذهب إلى بيت هاديس Hades.<sup>٢١</sup> فأصبح نسطور الجيرياني، حامي حمى الآخرين، يجلس الآن فوقها بدلاً منه، ممسكاً الصولجان في يده، وقد احتشد أبناؤه حوله في جماعة

<sup>٢٠</sup> يعتقد آخرون أن الأحجار كانت مُغطاة بطلاء أو بمعجون المرمر.

<sup>٢١</sup> هو الإله الذي يحكم عالم الأموات المجرد من الشفقة نحو سائر المخلوقات.

عندما خرجوا من حجراتهم، إخيفرون Echephron، وستراتيوس Stratius، وبيرسيوس Perseus، وأريتوس Aretus، وثراسوميديس Thrasymedes شبيه الإله، ثم انضم إلى هؤلاء بعد ذلك السيد بايسيستراتوس، ليكون سادسهم. وصحبوا تيليماخوس الشبيه بالإله، وأجلسوه إلى جوارهم، وكان الفارس، نسطور الجيريني، هو أول من تكلم وسطهم، فقال:

«يا أطفالى الأعزاء، هيا أسرعوا، وحققوا رغبتي، حتى يمكنني أن أسترضي أثينا قبل جميع الآلهة، هذه التي جاءت بنفسها واضحةً جلية، وجلست إلى وليمة الإله الفاخرة. هلموا الآن، ليذهب أحدكم إلى السهل، ويبحث عن عجلة، كي يحضرها بسرعة، ويسوّقها الراعي. ولি�ذهب أحدنا إلى سفينة تيليماخوس الجريء القلب، هذه السفينة السوداء، ويدع سائر رفقائه، تاركًا رجلين فقط. كما يذهب آخر إلى الصائغ لايركيس Laerces، ويأمره بالحضور إلى هنا، ليكسو قرون العجلة بالذهب. أما الآخرون فليبقوا هنا معنا، ومرروا الإماماء، داخل القصر بأن يُعدّن وليمة في ساحتنا المجيدة، ويُحضرن المقاعد، وأخشابًا لتوضع إلى جانبى المذبح، كما يُحضرن ماءً صافياً.»

### نسطور يعد عجلة ذبيحة لأثينا

ما إن أتم نسطور الجيريني كلامه، حتى أذعن الجميع، كل واحد في العمل الذي وُكل إليه، فأحضرت العجلة من السهل، وجاء زملاء تيليماخوس الجريء القلب من السفينة السريعة الجميلة، وأقبل الصائغ، يحمل في يديه عُدّته البرونزية، أدوات مهنته، وهي عبارة عن سندان ومطرقة وكتيفة متينة الصنع، وراح يصوغ بها الذهب. وأنت أثينا لتتقبل الذبيحة. وبعد ذلك جاء نسطور العجوز، سائق العربات، وأعطاه الذهب، فجهّزه الصائغ وكسا به قرون العجلة، كي تبήج الربة وهي ترى الذبيحة. وساق ستراطيوس وإخيفرون العظيم العجلة من قرونها، وأقبل أريتوس من الحجرة، وأحضر لهم الماء كي يغسلوا أيديهم، في حوض مزین بالأزهار، وكان يحمل في يده الأخرى سلةً بها حبوب الشعير، ووقف ثراسوميديس، الثابت في القتال، قريباً منهم ممسكاً في يديه فأساً حادة، لينحر العجلة، وحمل بيرسيوس الطاس لأجل الدم. بعد ذلك، بدأ الرجل العجوز، نسطور، سائق العربات، المراسم الافتتاحية لغسل الأيدي ونثر حبات الشعير، وصلى لأثينا بحرارة، وقص الشعر من الرأس، كتقدمٍ أولى، وألقاه في النار.

## ابن نسطور ينحر العِجلة

وبعد أن فرغا من الصلاة، ونثر حبوب الشعير، قام في الحال ابن نسطور، ثراسوميديس، الجريء القلب، وذبح العجلة، بضررية من الفأس قطعت عروق العنق، وأرخت قوى العجلة ثم صرخت السيدات الصرخة المقدسة، بنات نسطور، وزوجات أبنائه وزوجته المجلحة يوروديكي Eurydice، كبرى بنات كلومينوس Clymenus، ورفع الرجال رأس العجلة من فوق الأرض الفسيحة الطرقات، وحملوها، وقطع بايسيستراتوس، قائد الرجال، حلقها. وبعد أن تدفق منها الدم الأسود، وغادرت الروح العظام، أسرع الرجال بقطع جسمها، ففصلوا قطع الأفخاذ كلها في ترتيبٍ بديع، وغطّوها بطبقتين من الدهن، ووضعوا فوقها لحماً نيتاً، ثم تقدّم الرجل العجوز وأحرقها فوق قطع من الخشب، وسكب فوقها خمراً صهباء، وأمسك الفتىان حوله بشوكتات خماسية الشعاب. وعندما نضجت الأفخاذ تماماً، وتذوقوا الأجزاء الداخلية قطعوا بقية الأجزاء، ووضعوها في السفافيد وشوروها، وهم يمسكون السفافيد المدببة الأطراف بأيديهم.

## ابنة نسطور تغسل تيليماخوس وتدنهه بالزيوت

وفي نفس الوقت، تقدّمت بولوكاستي Polycaste الفاتنة، صغرى بنات نسطور بن نيليوس، وغسلت تيليماخوس ودهنت جسمه بزيت الزيتون، وألبسته عباءةً جميلةً ومعطفاً، وفي الحال خرج من الحمام في صورةٍ أشبه بالآلهتين، وذهب وجلس إلى جوار نسطور، راعي الشعب.

وبعد أن انتهوا من شواء اللحم الخارجي، وأخرجوه من السفافيد جلسوا وأولموا، فشرع رجال ذوو مكانةٍ عاليةٍ يخدمونهم، ويصبّون لهم الخمر في كؤوس من الذهب. وعندما أكلوا كفافيتهم من الطعام والشراب، قام الفارس، نسطور الجيريني، وتكلم أولاً، فقال:

«أبنائي، انهضوا الآن، وشُدُّوا إلى العربة جياداً جميلة الأعرااف، من أجل تيليماخوس،  
كي يستطيع القيام برحلته.»

## نسطور يمنح ضيفه عربة وجياداً ومؤناً

عندئذٍ أذعن الأبناء لأمر أبيهم، وفي الحال أحضروا الجياد السريعة، وشدوها إلى نير العربة. وجاءت ربة البيت فوضعت في العربة خبزاً وخرماً وطعاماً طيباً، مما يأكله

الملوك المنحدرون من زوس، ثم اعتلى تيليماخوس العربية الجميلة، وركب إلى جواره بايسيستراتوس بن نسطور، قائد الرجال، وأمسك الأعنَّة في يديه، وضرب الجوابين بالسوط، ليبدأ السير، فانطلقا يُسرعان الجري إلى السهل، تاركين قلعة بولوس الشديدة الانحدار. وهكذا ظلا اليوم كله يُجْرَان العربية وبهَّان النير الموضوع فوق رقبَيْهما.

### تيليماخوس يرحل بصحبة بايسيستراتوس

ولما آذنت الشمس بالغيب، وبدأ الليل ينسكب في جميع الطرق، وصل الركب إلى فيراي Pherae. وبلغ بيت ديوكليس Diocles ابن أروتيلوخوس Ortilochus، المنحدر من ألفيوس Alpheus، حيث أمضيا الليل، وجلسا إلى وليمةٍ تلقي بالضيوف.

وما كاد الفجر يلمع في أفق السماء، حتى وضع النير فوق عُنقَي الجوابين، وركب الفتىان العربية المزخرفة، وانطلقا بها من الأبواب والرُّواق الفسيح. وأخذ بايسيستراتوس السوط وليس به ظَهَرَى الجوابين ليَحْتُّهُما على بدء السير، فأسرعا في طريقهما. وهكذا وصلا إلى السهل الظاهر بالقمح، وبعد ذلك بلغا خاتمة الرحلة وقد حملُّهم جيادهم السريعة قدماً على أتم وجه، ثم آذنت الشمس بالغيب، وبدأ الليل ينسكب في جميع الطرق.

## الأشودة الرابعة

## وصول تيليماخوس إلى بيت مينيلاوس

وصل الفتى إلـى بلـاد لاـكـيـدـاـيـمـون Lacedaemon الفـسـيـحـةـ، ذات الـوـدـيـاـنـ العـدـيـدـ الضـيـقـةـ، وـسـاقـاـ جـوـادـيـهـمـاـ إـلـىـ قـصـرـ مـيـنـيـلـاـوـسـ المـجـيدـ فـوـجـاهـ يـقـيـمـ وـلـيـمـةـ عـرـسـ لـأـقـرـبـائـهـ الـكـثـيـرـيـنـ منـ أـجـلـ اـبـنـهـ النـبـيـلـ وـابـتـهـ، دـاـخـلـ قـصـرـهـ. أـمـاـ اـبـتـهـ فـكـانـ سـيـرـسـلـهـاـ إـلـىـ اـبـنـ أـخـيـلـ، مـحـطـمـ صـفـوفـ الرـجـالـ؛ إـذـ وـعـدـ وـأـقـسـمـ فـيـ أـرـضـ طـرـوـادـةـ، أـنـ يـعـطـيـهـاـ لـهـ، وـالـآنـ كـانـ الـأـلـهـ يـنـذـدـونـ زـوـاجـهـمـ. وـهـكـذـاـ كـانـ يـرـسـلـهـاـ بـالـجـيـادـ وـالـعـرـبـاتـ، فـيـ طـرـيـقـهـاـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ الـمـورـمـيـدـوـنـ الـعـظـيـمـةـ، الـتـيـ كـانـ سـيـدـهـاـ مـلـكـاـ عـلـيـهـاـ. وـأـمـاـ اـبـنـهـ فـكـانـ سـيـزـوـجـهـ مـنـ اـبـنـةـ أـلـيـكـتـورـ Alector، فـكـانـ يـحـضـرـهـاـ إـلـىـ بـيـتـهـ مـنـ إـسـبـرـةـ؛ لـأـجـلـ اـبـنـهـ مـيـجـاـبـيـنـثـيـسـ Megapenthes الـجـرـيـءـ، وـفـلـذـةـ كـبـدـهـ الـحـبـيـبـ الـذـيـ أـنـجـبـتـهـ أـمـهـ؛ إـذـ لـمـ تـمـنـحـ الـأـلـهـ هـيـلـيـنـاـ، ذـرـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ هـيـرـمـيـونـيـ Hermione، وـلـيـدـتـهـ الـأـلـوـيـ الـحـسـنـاءـ الـفـاتـنـةـ، التـيـ كـانـتـ فـيـ جـمـالـ أـفـرـوـدـيـتـيـ<sup>1</sup> الـذـهـبـيـةـ. وـهـكـذـاـ كـانـوـاـ يـوـلـمـونـ فـيـ الـبـهـوـ ذـيـ السـقـفـ الـمـرـفـعـ، جـيـرـانـ مـيـنـيـلـاـوـسـ المـجـيدـ، وـأـقـارـبـهـ، وـكـانـوـاـ يـمـرـحـونـ، وـيـغـنـيـ وـسـطـهـمـ مـنـشـدـ مـقـدـسـ، عـلـىـ قـيـثـارـةـ. بـيـنـمـاـ رـاحـ «ـبـهـلـوـانـانـ»ـ يـتـشـقـلـبـانـ وـسـطـ الـحـشـدـ بـمـجـرـدـ أـنـ بـدـأـ المـغـنـيـ أـنـاشـيـدـهـ.

خادم مینیلاوس یری الضیفین

عندئٰ تقدم الأمير تيليماخوس وابن نسطور المجيد، ووقفا كلاهما عند باب القصر، ومعهما جواداهما، فأقبل السيد إيتينيوس Eteoneus، الخادم النشيط لميبلاؤس المجيد، ونظر

## ١ ربة الحب والجمال عند الإغريق.

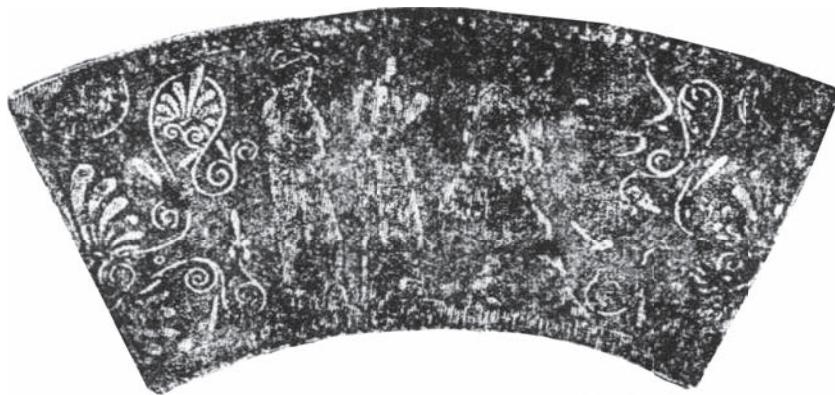


ثم قامت فاغتسلت، وصعدت إلى غرفتها تُصلِّي إلى أثينا.

إليهما، ثم دخل إلى القاعة يحمل الأنبياء إلى راعي الشعب، فاقترب منه، وتحدَّث إليه بعباراتٍ  
مُجنحة،<sup>٢</sup> قائلًا:

«أي مينيلاوس، يا ربب زوس، بالباب رجلان غريبان، يشبهان نسل زوس العظيم،  
ولكن قل لي هل تسمح بأن نُخلِّي عن جواديهما السريعين، أم نرُدُّهما ليذهبان إلى مُضيفٍ  
آخر، يستطيع إكرامهما؟»

<sup>٢</sup> أي «سريعة».



### مينيلاوس يرحب بالغربيين

استشاط مينيلاوس الجميل الشعر، غضباً، وثار في خادمه، قائلاً: «ماذا دهاك يا إيتينيونيس؟ لم تكن فيما مضى بهذا الحمق، يا ابن بويثوس Boethous. إنك لتتكلم الآن كما لو كنت طفلاً ينطق حمقاً. حقاً، لقد أكلنا معًا حتى الشبع، في ضيافة غربنا، قبل أن نجيء إلى هنا، أملاً في أن يهبتنا زوس بعد ذلك راحه من أحزاننا. نعم، فك الذي عن جوادى الغربيين، وأحضرهما بسرعة إلى القصر كي ينالا كفایتهم من الوليمة».

### مينيلاوس يبالغ في تكرييم الغربيين

هكذا تكلم مينيلاوس، فأسرع خادمه عبر القاعة، وأمر غيره من الخدم، الذين كانوا مشغولين بأعمالهم، أن يتبعوه، فخلوا عن الجوادين المتفصدين عرقاً، من تحت النير وربطوهما في حظيرة الجياد، ووضعوا أمامهما القرطم مخلوطاً بالشعر الأبيض، ثم أسدلوا العربة إلى حائط المدخل المتألق، وصحبوا الرجلين إلى القصر المقدس. وبينما كان الضياف يمران وسط قصر الملك، ربيب زوس، ذهلاً وذهشاً؛ إذ كان هناك ضوء كضوء الشمس أو نور القمر، فوق منزل مينيلاوس المجيد، المرتفع السقف، فأخذنا ينظران في عجب ويُمتنعان أنظارهما بذلك القصر البديع، ثم دخلا إلى الحمامات اللامعة، واغتسلا، وبعد أن غسلتهما الإماماء، ودهن جسميهما بالزيت، وألبستهما عيائين ورداءين من الصوف، جلسا على مقعدين بجانب مينيلاوس بن أتريوس. بعد ذلك جاءت أمّه بماء في جرة جميلة

من الذهب ليغسلأ أيديهما، وصَبَّته في طسٍّ من الفضة، وأتت بخوانٍ وضعته بجوارهما. وأحضرتْ ربة البيت المفروة الخبز ووضعته أمامهما، ومعه الكثير من أطابق الأطعمة التي أحضرتها بسخاء من خزيتها. وجاء الخادم بصحافٍ عديدة مملوءة بشتى ألوان اللحوم وحطَّها أمامهما، كما وضع جوارهما كؤوساً ذهبية، ثم حيَا مينيلاوس ذو الشَّعر الجميل، ضيفيه، بقوله:

«تناولوا الطعام، وانشروا صدراً. وبعد أن تنتهي من العشاء، سنسألكما عن شخصيتكما، من من البشر أنتما؛ فلم يَضْعْ فيكما نسل آبائكم، بل أنتم نسل قوم، ملوكٍ ذوي صوالحة، منحدرين من زوس؛ إذ لا يمكن للصعاليك أن ينجبوا أبناءً مثلكما.» قال هذا، وأمسك بيديه قطعاً من الشواء، ووضعها أمامهما، حتى قطع سلسلة الظهر الدسمة التي كانوا قد وضعوها أمامه تبجيلاً له، قدّماها لهما. وهكذا أكل الضيفان من الطعام الشهي الموضوع أمامهما. وبعد أن أكلَا وشربا كفايتهم، تكلَّم تيليماخوس، مخاطباً ابن نسطور، بعد أن قرَّبَ رأسه إليه حتى لا يسمع الآخرون حديثهما، فقال:

«أيا ابن نسطور، يا أيها العزيز على قلبي، انظر إلى البرونز المتألق في سائر أنحاء هذه القاعات الفسيحة، وإلى الألاء الذهب، والإليكتروم، واللحائن، والعااج، لا أظن أن داخل ساحة زوس الأوليمبي إلا من هذه المواد. إنني لأرى ثراءً عريضاً ليس في الإمكان وصفه. إن الدهشة والعجب ليس بطران على نفسي وأنا أقلب ناظري في هذا البذخ.»<sup>٤</sup>

### مينيلاوس يستعرض مصادر ثرائه

بيد أن مينيلاوس، ذا الشعر الجميل، سمع ذلك الحديث، فخاطبهما بكلماتٍ مجنة قائلاً:

«أي أطفال الأعزاء، حقاً لا يستطيع أي مخلوق بشري أن ينحدر من زوس؛ إذ إن ساحاته ومتلكاته خالدة. أما البشر، فليس في مقدور أحدٍ منهم أن يتحدّاني في الثروة أو قد يقدر؛ فإنني وايم الحق، ما حصلتُ على ثروتي هذه، إلا بعد رحلاتٍ وتجوالاتٍ طويلة، والألم كثيرة، ثم أحضرتُها في سفني عائداً إلى وطني في العام الثامن، عبر قبرص Cyprus وفيينيقيا Sidonians، كما وتجوَّلتُ خلال مصر، وذهبتُ إلى بلاد الإثيوبيين السيدونيين Phoenicia

<sup>٣</sup> ربما كان المعدن المقصود هنا، سبيكة من الذهب والفضة.

<sup>٤</sup> يكتفي النص اليوناني بقوله: «إن الدهشة لتملّكني وأنا أمعن النظر.»

والإيرمبيين Erembi، وإلى ليبيا Libya حيث الحملان تولد ولها قرونٌ منذ أول يوم ترى فيه الدنيا؛ إذ تلد النعاج هناك ثلاثة مراتٍ كل عام؛ وعلى ذلك فما من سيد ولا راعٍ هناك يشعر بأية حاجة إلى الجبن أو إلى اللحم، أو إلى اللبن الحلو؛ لأن القطعان تعطي ألبانها باستمرار، عندما يطلبونها خلال سائر أيام السنة. وبينما كنتُ أتجول في تلك البلاد، جامعاً الكثير من الرزق، قتل رجلٌ أخي غدراً، وعلى حين غرة، بتدبرٍ من زوجته اللعينة. وهكذا يمكنكم أن ترينا عدم بھجتي بكوني سيداً على جميع هذه الثروة، وربما تكونان قد سمعتما هذا من آبائكم، مهما كانوا؛ فقد قاسيتُ كثيراً جداً، وأنزلتُ الدمار بمنزلٍ فسيح كان مملوءاً بكنوزٍ كثيرة بالغة. كم كنتُ أتمنى أن أعيش في ساحتاتي بثلث هذه الثروة، ولم يهلك أولئك الرجال الذين ماتوا في ذلك الوقت في أرض طروادة الواسعة الغلا، والنائية كثيراً عن أرجوس، مرعى الجياد. الحق أتني كثيراً ما جلستُ في ساحتاتي هذه وبكيتهم وحزنتُ عليهم جميعاً – وفي بعض الأحيان، حقاً كنتُ أهدي من روعي بالبكاء، ثم أعود فأكُف عنه؛ لأن البشر سرعان ما سينالون نصيبهم من النحيب المثبت للعزم – ومع ذلك فإن حزني عليهم جميعاً لم يبلغ مبلغ كمدي على أحدهم؛ إذ يُقضى مرضعي ويجعلني أمقت الطعام والنوم وأنا أفكّر فيه؛ إذ ما من أحدٍ من الأخيين قد عانى ما عاناه أوديسيوس، ذلك البطل الذي لم يكن نصيبي، كما يbedo غير الهم والنصب، وإن حزني عليه لا يمكن نسيانه؛ حيث قد رحل منذ أمد بعيد، ولسنا نعرف عنه شيئاً، هل هو لا يزال على قيد الحياة، أم هو في عداد الأموات. وإنني لأعتقد أن هناك من يبكيه، العجوز لايرتيس، وبينيلوبى الوفية، وتيليماخوس الذي تركه طفلاً حديث المولد في قصره.»

### تيليماخوس يبكي ... ومينيلاوس يرممه

ما أن قال هذا، حتى أثار رغبة تيليماخوس في البكاء حزناً على أبيه، فترك العبرات تتتساقط من ماقيه إلى الأرض، عندما سمع اسم أبيه، فرفع طرف عبایته الأرجوانية بكلتا يديه ووضعه على عينيه، فلاحظ مينيلاوس ذلك، وفكّر في عقله وقلبه، ما إذا كان يجب عليه أن يتركه يتتكّم بنفسه عن أبيه، أو يبادره بالسؤال عنه. وفي كلتا الحالين لا بد له أن يعرف الحقيقة.

<sup>٥</sup> هكذا فهم أرسطو النص، بيد أن هيرودوتوس، على النقيض فسر المعنى بقوله: «سرعان ما تبدأ في إظهار القرون». ويتفق يوستاثيوس Eustathius، مع هيرودوتوس في هذا المعنى «منذ أن تولد».

## زوجة مينيلاوس تتعرف على تيليماخوس

وبينما هو يفكّر في الأمر في عقله وقلبه، خرجت هيلينا من حجرتها العجيبة العالية السقف، كأنها أرتيميس Artemis<sup>١</sup> ذات السهام الذهبية وكان بصحبتها أدراستي Adraste، فوضعت لها مقعداً جميل الصنع، وأحضرت ألكيبي Alcippe طففة من الصوف الناعم، وجاءت فولو phylo بسُفطٍ من الفضة كانت ألكاندري Alcandre قد أعطته لها، وتلك هي زوجة بولوبوس Polybus، الذي كان يعيش في طيبة بمصر حيث يوجد في منازل البشر كنوزٌ لا حصر لها، مكَّسة هناك تكديساً. لقد أهداها مينيلاوس حمامين من اللجَّين، وركيَّتين وعشرة تالنتات من الذهب. وفوق كل ذلك قدَّمت لها زوجته هدايا ثمينةً جميلة؛ قضيباً مذهبَا للغزل، وسلةً ذات عجلاتٍ من تحتها، وسلةٌ من الفضة ذات حافاتٍ مطلية بالذهب، فأحضرتُها الخادمة فولو، ووضعتُها إلى جانبها، مملوقة بالصوف الناعم المغزول، وكان بها القضيب الذهبي، ملفوف عليه الصوف البنفسجي القاتم، فجلست هيلينا فوق المبعد، تضع قدميها على مسند للأقدام، وفي الحال سألت زوجها عن كل موضوع، ثم قالت: «هل تعرف، يا مينيلاوس، يا ربِّي زوس، من يكون هذان الرجلان، هذان الضيفان اللذان شرَّفَا منزلنا؟ هل أُخفي ما يجول بخاطري أم أقول الحق؟ كلا، لن أسكُت؛ فإن قلبي ليأْمُرني بالتكلُّم. لم يحدُثْ قط أن رأيت شخصاً شديداً شبهه بأَخْر، سواء أكان رجلاً أو امرأة – إن العجب ليتمنكني، وأنا أمعن النظر – ما أعظم شبه هذا الرجل بابن أوديسيوس العظيم القلب! إنه دون شك تيليماخوس، الذي ترَّكه ذلك المحارب طفلاً حديث الولادة في بيته، عندما قَدِمْتُمْ، معشر الآخرين، من أجلِي أنا السيد غير الحية، أَسفل حوائط طروادة، وقد انتويتُم في قلوبكم إشعال نار الحرب الضروس.»

## مينيلاوس يؤيد كلام زوجته

عندئِنْ أجابها مينيلاوس الجميل الشعير، قائلاً: «وأنا نفسي أيضاً، ألاحظ هذا الأمر الآن، يا زوجتي. ألاحظ الشبه الذي لاحظته أنت؛ فهكذا كانت قدماء، وهكذا كانت يداه، ونظرات عينيه، ورأسه بشعره ذاك. وزيادةً على ذلك، فما إن ذكرتُ الآن أوديسيوس، وقصصتُ جميع المحن والمتابع التي قاساها من أجلي، حتى ذرف هذا الشابُ دموع الحزن من تحت حاجبيه، رافعاً عباءته الأرجوانية أمام عينيه.»

<sup>١</sup> هي ربَّة الصيد وعذراء الصيادين المرتدة على الغابات والتلال والسهول.

## بايسيستراتوس يكشف عن شخصية أوديسيوس

فقال بايسيستراتوس بن نسطور: «أي مينيلاوس، يا ابن أتريوس، وربيب زوس، يا قائد الجيوش، حقاً إن هذا الشاب لهو ابنه حقاً كما تقول. غير أنه شابٌ حصيف، ويُخجله أن يبدأ الكلام عن نفسه في حضرتك ولا سيما في أول مقابلة. وإننا لنُسرُّ من صوته كما لو كان صوت إله. وقد أرسلني معه، الفارس، نسطور الجيريني، لأُرشدَه في المجيء إلى هنا؛ لأنَّه كان مشتاقاً لأن يراك، عسى أن تطمئنَّه بكلمة أو بعمل؛ فما أعظم أحزان الابن في ساحاته عندما يرحل والده، وعندما لا يجد له مساعدًا آخر، كما هو الحال الآن مع تيليماخوس؛ فقد ذهب والده ولم يرجع، وليس هناك بين الناس من يمكنه أن يدفع عنه الخراب.»

## مينيلاوس يُظهر حبه لأوديسيوس

فردٌ عليه مينيلاوس، الجميل الشعير، بقوله: «يا لغرابة الصدف! فها قد شرَّف منزلي ابنَ أخي حبيب كلِّ الحب، من تحمل من أجيٍل مشاقٍ بالغة. وكنْتُ أظنَّ أنه لو عاد لأكرمنْته أكثر من سائر الأرجوسيين الآخرين، إنَّ كان زوس الأوليمبي، الذي يحمل صوته نائياً، قد منحنا نحن الاثنين في سفتنا السريعة، عَبْرَ البحر، ولأعطيته مدينةً في أرجوس يقطن فيها، ولشيدَّت له قصراً، عندما أنقله من إيثاكا، هو ومملكته وابنه وجميع شعبه، طارداً سكان إحدى المدن القريبة التي تخضع لسلطاني هنا، وللتقينا سوياً، وعشنا معًا هنا، لا يمكن لأي شيء أن يُفرِّق بيننا، وكلُّ منا يبدي محبته للآخر، ومتعنه المتبادلة، إلى أن تطويينا سحابة الموت القاتمة. ومع ذلك، فلا بد حسب اعتقادي، أن يكون ذلك إله، الذي أبى أن يمنح هذا الرجل المسكين دون سواه سلامة العودة، قد ألهَّت الغيرة فؤاده، وتَأجَّجَ الحقد في نفسه.»<sup>7</sup>

## ليس البكاء على الأموات عاراً

ما إن قال هذا حتى تحرَّكَ الرغبة في سائر الحاضرين إلى البكاء، فبكت هيلينا الأرجوسية، ابنة زوس، وبكى تيليماخوس، ومينيلاوس بن أتريوس، ولم يستطع ابن نسطور أن يحبس

<sup>7</sup> توخيَنا إضافة عبارة «وتَأجَّجَ الحقد في نفسه» رغم عدم تواجُدِها بالنص اليوناني لعدم إخلالها بالمضمون الهومري؛ فما هي إلا تكرارٌ لمدلول العبارة السابقة لها.

دمعةً ترققت في عينه؛ إذ كان يفگر في قلبه في أنتيلوخوس Antilochus، المنقطع النظير، الذي كان قد قتله ابن الفجر<sup>٨</sup> اللامع، المجيد، وبينما هو يفگر فيه، تكلم بعبارات مُجنحة، فقال:

«يا ابن أتريوس، إن نسطور العجوز يقول دائمًا إنك تسمو على سائر البشر بحكمتك، ويكبر هذا كلما ورد ذكرك بيننا في ساحاته ونحن نتحدث، كل واحد إلى الآخر، ولكن مهما كان الأمر فأاصح إلى الآخر؛ إذ لا يروقني البكاء في وقت العشاء<sup>٩</sup>، وزيادة على هذا فإن الفجر الباكر سرعان ما سيكون هنا.<sup>١٠</sup> ولئن أردت الحق، فإني لا أعتبر البكاء على من مات من الأحياء ولقي حتفه عارًا؛ لأن هذا هو الدين الوحيد الذي يجب أن ندفعه لأولئك البشر المساكين، فنقطع الشعر، وندع العبرات تتسلط من فوق الخدود؛ فقد مات أخ لي أيضًا، فبكيته رغم أنه أحقر الأرجوسيين، ولربما كنت تعرفه حق المعرفة. أما أنا فلم أقابله قط، ولم أره، غير أن الناس يقولون إن أنتيلوخوس كان يفوق كل من سواه في سرعة القدم، وفي القتال.»

### مينيلاؤس يرجو الكف عن البكاء

فأجاب مينيلاؤس، الجميل الشعير، بقوله: «حقًا يا صديقي، لقد نطق بكل ما يمكن الرجل العاقل أن يقول أو يفعل، وتكلمت بكلام من يكبرك سنًا؛ لأنك نشأت من مثل ذلك الأب؛ ولذلك أراك تتكلم بحكمة، فما أسهل علينا أن نعرف نسل ذلك الرجل الذي يغزل له ابن كرونوس خيط الحظ السعيد عند الزواج عند الميلاد! فهكذا قدر على نسطور في سائر أيام حياته وإلى الأبد، أن يصل هو نفسه إلى شيخوخة موفورة الصحة في ساحاته، وأن يصبح أبناوه، حكماء وذوي جرأة في استخدام الرمح. والآن، هلم بنا نكف عن البكاء الذي لم يبدأ سوى الآن، وهيا بنا نعود ثانيةً فنفگر في عشائنا، وندعهم يصبوون الماء على أيدينا، حتى إذا ما أصبح الصباح، أخذت أقصى على تيليماخوس كثيرًا من القصص، كما أنه سيروي لي ما فيه الكفاية.»

<sup>٨</sup> أي ميمونون Memnon، قائد الإثيوبيين.

<sup>٩</sup> يترجمها البعض: «بعد العشاء».

<sup>١٠</sup> من المحتلم أن يكون المعنى، «سيكفي لذلك».

ما إن انتهى مينيلاوس من حديثه هذا، حتى تقدم أسفاليون Asphalion، وصب الماء على أيديهم، وهو خادم نشيط من خدام مينيلاوس المجيد. وبعد ذلك مددوا أيديهم يتناولون الطعام الشهي الموضوع أمامهم.

### هيلينا تُعدّ مناقب أوديسيوس

عقب هذا، عمدت هيلينا ابنة زوس، إلى وسيلة أخرى؛ فقد قامت في الحال ووضعت عقاراً في الخمر التي كانوا يشربونها، ليهدئي أعصابهم من كل ألم وتعب، ويجعلهم ينسون جميع أحزانهم. وبعد أن يمزج هذا في الطاس، فإن كل من يشربه إلى جوفه، لن يذرف دمعةً قط على خديه طول ذلك اليوم. كلا لن يبكي حتى ولو مات أبوه وأمه، أو حتى إذا قتل الناس شقيقه أو ابنه العزيز بالسيف البثار أمام عينيه؛ فمثل هذه العاقاقير الخادعة، كانت في حوزة ابنة زوس، العاقاقير الشافية التي أعطتها إياها بولوداما Polydamna، زوجة ثون Thon، وهي سيدة مصرية؛ إذ إن أرض مصر، واهبة الحب، تُثبت أعظم كمية من العاقاقير، إذا مُزج الكثير منها كان شافياً، كما أن الكثير منها ضار، وكل رجل في مصر طبيب، حكيم يفوق سائر الجنس البشري؛ لأنهم من جنس بايون Paeeon. والآن، بعد أن وضعت العقار أصدرت أمرها بصب الخمر في الأقداح، وتكلمت ثانية، فقالت:

«أي مينيلاوس يا ابن أتريوس، يا سليل زوس، وأنتم أيها الحاضرون هنا، يا أبناء النبلاء إن زوس يهب الخير والشر، تارة لهذا وطوراً لذاك؛ لأنه يستطيع أن يفعل كل شيء. اجلسوا الآن في هذه الساحات، وأولموا، وتمتعوا برواية القصص؛ فإنني سأقص على مسامعكم ما يناسب المقام. ليس في مقدوري أن أحكى أو أروي كل شيء، جميع أعمال أوديسيوس، ذي القلب الجريء الراسخ، ولكن ما فعله ذلك الرجل العتيد وقاساه في أرض الطردائيين، حيث عانتم، أنتم أيها الآخين، الأهواه! فشوه جسمه بكماتٍ وحشية، وألقى حول كتفيه عباءةً بالية، وعلى هذه الصورة دخل مدينة الأعداء الفسحة الطرقات في هيئة عبد، ثم تنكر في صورة شخص آخر، شحاذ، ولم يكن هو بمثيل تلك الصورة في سفن الآخين. في مثل هذه الهيئة دخل مدينة الطردائيين، ولم يكونوا جميعاً سوىأطفال. وكنت أنا الوحيدة، التي عرفته في ذلك التنكر، وسألته الخبر، بيد أنه حاول أن يتحاشاني بدهائه. ومع ذلك كنت أغسل جسمه وأدهنه بالزيت، وبعد أن ألبسته الرداء، وأقسمت يميناً لا حنت فيها ألا أكشف أمره بين الطردائيين على أنه أوديسيوس، قبل أن يصل إلى السفن السريعة والأكواخ، وعندئذ أخبرني أخيراً بغرض الآخين كله. وبعد

أن قتل كثيراً من الطرواديين بسيفه الطويل، عاد إلى حشد الأرجوسين يحمل إليهم أبناءه كثيرة. وبعد ذلك شرعت السيدات الطرواديات الآخريات ينتخبن ويلولن عالياً، غير أن روحه كانت سعيدة؛ إذ كان قلبي يتأهّل إلى العودة إلى وطني، وتأوهت نادمة على العمى الذي أعطّتني أفروديتي عندما قادتني من وطني العزيز إلى طروادة، تاركة طفلي، وهاجرة حجرة عرسي، وزوجي الذي لم ينقصه شيء، سواء في الحكمة أو في الجمال.»

### مينيلاوس يُدلي بمزيدٍ من الأقوال الطيبة

عندئِن ردَّ عليها مينيلاوس، ذو الشعر الجميل، بقوله: «حقاً، إن كل ما قُلْتُه صحيح يا زوجتي؛ فمنذ حينٍ حضرتُ لاستشارة كثيرٍ من المحاربين ومعرفة أفكارهم، ثم سافرتُ خلال تلك الأرض الواسعة الفلا، ورأيتُ الكثير من الرجال، إلا أنني لم يقع بصرِي على رجلٍ قط مثل أوديسيوس، الراسخ القلب، ماذا فعل، وماذا قاسى، ذلك الرجل العتيد، في داخل الحصان المنحوت،<sup>11</sup> الذي كنا نجلس فيه، نحن جميع رؤساء الأرجوسين، حاملين الموت وسوء المصير للطرواديين! وبعد ذلك جئتُ إلينا، ولا بد أن يكون ذلك بأمرِ الله ما، ومن أرادوا أن يمنحوا المجد للطرواديين، وكان دايفوبوس<sup>12</sup> الشبيه بالإله، يتبعُك في طريقك، فدُرِّت ثلاثة مراتٍ حول الكمين الأحوف، وأخذت تُعجمين عوده بلمستك، ورحت تتدلين بصوتِ جهوري رؤساء الدانين بأسمائهم، محاكيَّة صوت زوجات جميع الأرجوسين. وكنتُ جالساً أنا وابن توديروس وأوديسيوس العظيم في الوسط، وسِمعنا نداءكِ، وكنا، نحن الاثنين، تواقين للنهوض والقدُم، أو بالأحرى لأنْ تُجيبُ عليكِ فوراً من الداخل، غير أنْ أوديسيوس منعنا وأوقفنا بالرغم من لهفتنا إلى ذلك؛ عندئِن لزم جميع الآخرين الآخرين الصمت، ما عدا أنتيكلوس<sup>Anticlus</sup> وحده؛ إذ كان يتوق إلى الكلام والرد عليكِ، ولكن أوديسيوس، أغلق فمه بشدَّةٍ بيديه القويتين، وبذا أنقذ جميع الآخرين، وظل ممسكاً به هكذا، إلى أن جاءت بالاس أثينا وأخذتَ بعيداً.»

<sup>11</sup> أي حصان طروادة الخشبي.

<sup>12</sup> أحد قادة الطرواديين، ومن المفضّلين عند هكتور. تزوج هيلينا بعد موت باريس، ولكن هيلينا قادت مينيلاوس بعد سقوط طروادة إلى حجرة دايفوبوس، وبذلك خانته ليُعذَّب ويُقتل.

## تيليماخوس يبدي رغبته في النوم

فقال تيليماخوس الحكيم: «أي مينيلاوس يا ابن أتريوس، ويا سليل زوس، وقائد الجيوش، إنه أشد إيلاماً، أن شيئاً من هذا كله لم يمنع عنه الهاك المُحزن، بحال من الأحوال، رغم أن قلبه في داخل جسمه كان من حديد. والآن، هلم، ابعث بنا إلى الفراش، حتى إذا ما داعب النوم اللذيد عيوننا، استطعنا أن نستريح ونأخذ متعتنا.»

هكذا تكلّم، فأمرت هيلينا الأرجوسية خادماتها بأن يضعن أسرّة تحت الشرفة، ويفرشنها بالملاءات الأرجوانية، ويسقطن فوقها الألحفة، ثم يضعن فوق هذه عبایات من الصوف كي يلبسها الضيوف، فانصرفت الإماء من القاعة، يحملن المشاعل في أيديهن، وأعددن الفراش، ثم قاد خادم الضيوف إلى مكان الفراش،<sup>١٢</sup> حيث ناما هناك في ساحة القصر الأمامية، الأمير تيليماخوس وابن نسطور المجيد. أما ابن أتريوس فقد رقد في الحجرة الداخلية من قصره المنيف، وإلى جواره رقدت هيلينا، ذات الرداء الطويل، والمنقطعة النظير بين النساء.

## مينيلاوس يسأل تيليماخوس عما يطلب

ما إن لمع الفجر، الوردي الأنامل، مبكراً في أفق السماء، حتى استيقظ مينيلاوس، الماهر في صيحة الحرب، ونهض من فراشه، فارتدى ملابسه، وعلق حُسامه البار على كتفه، ولبس صندلية الجمليين في قدميه البراقتين، وخرج من حجرته يتلألأً أشبه بإله للناظرين، ثم أخذ مجلسه بجانب تيليماخوس، وبدأ الحديث، مخاطباً إياه بقوله: «أيها الأمير تيليماخوس، أي حاجة جاءت بك إلى هنا، إلى لاكيديامون العظيمة، عبر ظهر البحر الفسيح؟ الموضوع عامٌ قدِّمت، أم لأميرٍ خاص بك؟ صارحنـي القول وأخبرـني بالحقيقة.»

## تيليماخوس يسأل عن أبيه

عندئـرـد عليه تيليماخوس العاقل، قائلـاً: «أي مينيلاوس؛ يا ابن أتريوس، ويا سليل زوس، وقائد الجيوش، اعلم أنـني قدـمـتـ إلىـ هناـ، عـسـىـ أنـ تستـطـيعـ إـخـبارـيـ بماـ تـعلـمـهـ منـ أـنبـاءـ

<sup>١٣</sup> يُفهم من سياق الكلام أن الخادم قاد الضيوف إلى مكان الفراش، بيد أن النص اليوناني يخلو من العبارة: «إلى مكان الفراش».»

والدي. إن بيتي ليس له، وضياعي الغنية لتخرب، وإن منزلي ليُعُجّ بجمعٍ من الرجال الأعداء لا يكُفون أبداً عن ذبح أغذامي الكثيرة، ونحر أبقاري السميّة، ذات المشية المثاقلة. إنهم يغازلون والدتي بغطرسة وعجرفة وصفاقة؛ ومن ثم جئتُ الآن إليك، متسللاً إلى ركبتك، علّك تكون على استعدادٍ لأن تُبَيِّنَّ عن مصيره المحن، والميّة المُشَوَّمة التي لاقاها، سواء رأيتها مصادفة بعيوني رأسك، أو تكون قد سمعتَ بها من شخصٍ آخر، يعرف قصة تجوالاته؛ فقد حزنَتْ عليه أمه حزناً لم تَحْزُنْهْ أَمْ على ابنتها من قبل. ولا تأخذنَّك شفقة ولا عطف فتلجأ إلى العبارات المطمئنة المهدئَة، بل قل الحقيقة كيف استطعتَ أن تراه. إنني أتوسل إليك وأستحلفك بأبي أوديسيوس النبيل، عسى أن يكون قد وعدك بشيءٍ، سواء كان قوله أو عملاً، وبِرَّ بوعده لك في أرض الطروديين حيث لقيتُ الأحزان، أيها الآخيون، إلا ما قلتَ لي الحقيقة، متذكراً ذلك الشيء الذي حَقَّ له.»

### مينيلاوس يُدلي بمعلوماته

عندئِن تحدثَ إلى مينيلاوس، الجميل الشعير، وقد انتابتَه حالة من السخط الشديد، فقال: «تبَّا لهم؛ لأنهم يتوقون إلى الرقاد في فراشِ رجلٍ جريءِ القلب حقاً، وإنهم لجبناءٍ رعاديّ، شأنهم في ذلك شأنِ الظبيبة، تذهب إلى عرينِ الأسد في الغابة، لكي تتخذ منه فراشاً لنوم صغارها الحديثي المولد، وتنطلق ترتفع فوق المنحدرات الجبلية الوديان المعشوشبة بحثاً عن المرعى، فيعود الْهَزِيرُ إلى عرينه ويفتك بصغيريَّها<sup>١٤</sup> شرَّ فتك. هكذا أيضاً سوف يفتك أوديسيوس بأولئك الرجال فتكاً ذريعاً. أتمنى، أيها الأَبُ زوس، ويا أثينا، ويا أبولُو، أن يأتي أوديسيوس بمثل القوة التي كان عليها ذات مرة في ليسيبوس البديعة التأسيس، عندما قام وصارع فيلوميلاديس Philomeleides في مبارزة، فطرحه أرضاً في عنفٍ بالغ فسُرَّ لذلك جميع الآخرين، فيقف وسط أولئك العشاق المغازلين، وعندئِن سوف يجدون هلاكاً سريعاً ومرارة في مغازلتهم. أما فيما يختص بالأمر الذي سألهُ عنده وتوسلت إلىَّ فيه، فلن أقول سوى الحق، ولن أحيط عنه، ولن أتحدث بغير الواقع، كما أنتي لن أخدعك، بل سأخبرك بكل ما أَخْبَرْتني به عجوز البحر، لا أخفى أو أخْبَرْتُكَ عنك منه شيئاً واحداً.»

<sup>١٤</sup> يوحى إليك النص اليوناني أن كان للظبيبة صغيران.



في مصر،<sup>١٥</sup> تلك البلاد التي أشتاق إلى الرحلة فيها، ولكن الآلهة منعّتني الذهاب إليها؛ لأنني لم أقدم لها ذبائح مئوية تُتحقق الغرض، بينما ترغب الآلهة في أن يتذكّر البشر مطالبهم دائمًا. هناك جزيرة في البحر الصاخب، تجاه مصر، يُطلق عليها الناس اسم فاروس Pharos، تبعُد بقدر ما تسيره السفينة السريعة في يوم كامل، عندما تُهُبُّ من خلفها ريح قوية. هناك في الداخل ميناء ذو مرسي بديع، منه يُنْزَل الرجال السفن الرائعة الصنع إلى البحر، بعد أن يكونوا قد أخذوا مئونتهم من الماء الأسود.<sup>١٦</sup> هناك احتجزتني الآلهة مدة عشرين يومًا، ولم تتحرك، بحالٍ ما، الرياح التي تهب فوق ظهر البحر العريض. والآن كان لا بد من انتهاء جميع مؤنتي، وكذا قوة رجالي، لولا أن أحد الآلهة أشفع علىَّ وأنقذني، ذلك الإله هو أيدوشا Eidothea، ابنة عجوز البحر العتيق بروتيوس<sup>١٧</sup> Proteus؛ إذ تحرّكت الشفقة في قلبها نحوّي، أكثر من أي إله آخر، فالتقت بي وأنّا أتجوّل وحدّي

<sup>١٥</sup> أو من المحتمل «نهر أيجوبتوس» Aegyptus؛ إذ لم يكن لدى هوميروس اسم آخر لنهر النيل.  
<sup>١٦</sup> تستخدم الصفة «أسود» للمياه في الأماكن العميقـة، حيث لا يستطيع الضوء أن يصل إليها، وللمياه التي تساقط فوق صخرة مغطّاة بالطحالب.

<sup>١٧</sup> رجلٌ مسن من رجال البحر خاضع لبوسايدون، وحارس لقطعانه من عجول البحر، وله موهبة التنجيم والقدرة على التشكّل بائيٍ شكّل يختاره ومن بينها النار.

بعيداً عن رفافي، الذين كانوا يهيمون على وجوهم باستمرار في الجزيرة يصطادون السمك بالصنانير المعقوفة؛ إذ يرَّح الجوع ببطونهم، فاقتربت مني، وتحدَّثت إلى قائلة: «أَسْتَ، أيها الغريب غَايَةً في الحمق، وخمول الفهم، أَمْ أَنْكَ تتكلَّماً قصَّداً، بمحض إرادتك، وتجد لذة في مقاساة الآلام؟ إِنَّ لَكَ مَدَّةً طوِيلَةً جَدًّا، وَأَنْتَ مَحْجُوزٌ في هَذِهِ الْجَزِيرَةِ لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تَجِدْ أَيْ مَخْرِجٍ لِلْخَلَاصِ،<sup>١٨</sup> بَيْنَمَا تَزَادُ قُلُوبُ أَصْحَابِكَ وَهُنَّا عَلَى وَهْنِ».»

هكذا تكلَّمت، فأجبتها قائلًا: سُوفَ أُفْصَحُ وَأُخْبِرُكَ مِمَّا كَانَتْ درجتك بين الربات؛ فإنني لست محبوساً هنا، بمحض رغبتي قَطَّ، بيد أنّي لا بد أن أكون قد أخطأت في حقِّ الْخَالِدِينَ، الذين يحتلُّونَ السَّمَاءَ الْفَسِيحةَ الْأَجْوَازَ، ولكن هل يُمْكِنُكَ أَنْ تُخْبِرِنِي؛ لأنَّ الْأَلَهَةَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَلَهَةِ يُقْدِّنِي هُنَّا، وَقَدْ مَنَعَنِي الْمُخَيَّ في طَرِيقِي؟ وَحَدَّثَنِي عَنْ عَوْدِتِي، وكيف يُمْكِنُنِي أَنْ أَعْبُرَ ذَلِكَ الْخَضْمَ الْأَخْرَى.

هكذا، قلتُ لها، وفي الحال أُجَابَتِ الْرَّبَّةُ الْفَاتِنَةُ، بقولها: إذا كانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَحَقًّا، سأُخْبِرُكَ، أيها الغريب، في صراحة، بكلِّ شَيْءٍ. هُنَاكَ رغبةٌ في أَنْ يَأْتِي إِلَيْهَا عَجُوزُ الْبَحْرِ الْمَعْصُومُ مِنَ الْخَطَأِ، الْخَالِدُ بِرُوتِيوسُ الْمَصْرِيُّ، الَّذِي يَعْرُفُ قَرَارَ كُلِّ بَحْرٍ، وَخَادِمُ بُوْسَيْدُونَ. إِنَّهُ كَمَا يَقُولُونَ، أَبِي الَّذِي أَنْجَبَنِي، فَإِنَّا مُمْكِنَّا، بِطَرِيقَةٍ مَا، أَنْ تَكُونَ لَهُ وَتَقْبِضَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سُوفَ يُخْبِرُكَ عَنْ طَرِيقِكَ، وَعَنْ طُولِ الْمَسَافَةِ الَّتِي سَتَقْطَعُهَا فِي رَحْلَتِكَ، وَعَنْ عَوْدِتِكَ، وكيف تُسْتَطِعُ الإِبْحَارَ عَبْرَ الْخَضْمَ الْأَخْرَى، كَمَا أَنَّ سُوفَ يُخْبِرُكَ، يَا سَلِيلُ زُوسَ، لَوْ شَئْتَ، عَمَّا حَدَثَ فِي سَاحَاتِكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَنْتَ غَائِبٌ فِي طَرِيقِ الْطَّوِيلِ الْمَفْجَعِ.

هكذا تكلَّمتِ الْرَّبَّةُ، فأجبتها بقولي: وهل تَتَفَضَّلُنِي الْآنَ، بِأَنْ تَضَعِي لِي خَطَّةً أَمْكُنْيَ بِهَا فِي انتظارِ ذَلِكَ الْعَجُوزِ الْمَقْدَسِ، خَشْيَةً أَنْ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ أَمْسِكَ بِهِ، أَوْ يَنْتَهِ لِغَرْضِي فِي تَحْشِاشَانِي؛ إِذْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى إِنْسَانٍ أَنْ يَسْيِطِرَ عَلَى إِلَهٍ.

ما إنْ قلتُ هَذَا، حَتَّى قَالَتِ الْرَّبَّةُ الْجَمِيلَةُ: إِذْنَ، حَقًّا، أيها الغريب، أَقُولُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ فِي صِرَاطِهِ. عَنِّدَمَا تَصِلُّ الشَّمْسُ إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ، يَتَلَهَّفُ عَجُوزُ الْبَحْرِ، الْمَعْصُومُ مِنَ الْخَطَأِ، إِلَى الْخَرْوَجِ مِنَ الْبَحْرِ عَنِّدَمَا تَهُبُّ الْرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ، مُخْتَفِيَاً وَسْطَ الْأَمْوَاجِ الْقَائِمَةِ، وَعَنِّدَمَا يَظْهُرُ، يَسْتَلِقُ فِي الْكَهْوَفِ الْخَاوِيَّةِ لِيَنَامُ، وَمِنْ حَوْلِهِ تَنَامُ عَجُولُ الْبَحْرِ، سَلَالَةُ ابْنَةِ الْبَحْرِ الْحَسَنَاءِ، فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَيَّاهِ السَّنْجَابِيَّةِ. وَمَا أَمْرَ الرَّائِحَةِ الَّتِي تَتَنَفَّسُهَا هَذِهِ

<sup>١٨</sup> الترجمة الحرافية: «نهاية محددة».

من أعمق البحر! فعندما يبزغ الفجر، سأتهيأ وأقودكم إلى هنا، وأجعلكم ترقدون جمِيعاً في صفين؛ لأنَّه يجب عليك أن تختار ثلاثةً من رفاقك، وتنقِيهم بعناء، من خيرة من تختارهم في سفنك المتنية المقاعد. وسوف أخبرك بجميع حيل ذلك العجوز السحرية. في أول نزوله إلى الجزيرة، سوف يُعد العجلول، ويُحصِّيها، وعندما يأمرها بالانصراف جمِيعاً، خمسة، ثم ينظر إليها وهي تأخذ أماكنها، يذهب وسطها ويرقد، كأنَّه راعٍ وسط قطعان الأغنام، فما إن تبصرونَه قد رقد ليستريح حتى تشجَّعوا وتملئوا قلوبكم بالقوَّة والجرأة، فتنقضُّوا عليه، وتُمسِّكوا به هناك، رغم مقاومته وما يبذله من جهُدٍ جهيدٍ للفرار؛ لأنَّه سوف يحاول الإفلات منكم، وسوف يتشكَّل بهيئة جميع الأشياء التي تتحرَّك على ظهره البسيطة، وفي الماء، وبهيئة النار المستعرة العجيبة، ولكن بالرغم من كل ذلك، يجب عليكم أن تُمسِّكوا به دون أي تراخيٍ، وتُضاعفوا من قبضتكم عليه أكثر فأكثر. وأخيراً، عندما يبدأ الكلام من تلقاء نفسه، وهو في الصورة التي رأيتها عليها وهو راقد ليستريح، ويسألك ماذا تريدين، عندئذٍ، أيها البطل، كُفُّ عن القبض عليه، وأطلِّق سراحه، واسأله عنِّي من الألهة غاضب منك، وكذا عن طريق عودتك، وكيف يمكنك أن تُبحِرَ عَبْرَ اليم الفسيح.

ما أن انتهت الربة من حديثها ذاك حتى قفَّزت تحت أمواج البحر الصاخب، أما أنا فذهبت إلى حيث كانت تقف سفني فوق الرمال، وأخذ عقلي يفكُّر في أمورٍ كثيرة غامضة، في أثناء ذهابي إلى هناك. غير أنه بعد أن هبطت إلى السفينة، وإلى البحر، وأعدتنا عشاءنا، ولفَّنا الليل السرمدي، استلقينا لستريح فوق شاطئ البحر، وما كاد الفجر المبكر الوردي الأنامل يهتك حجاب الظلام<sup>١٩</sup> حتى انطلقتُ أسيِّر بطول شاطئ البحر، الفسيح الطرقات، وأنا أُصلي إلى الألهة في حماس، وقد صحبَتْ ثلاثةً من رفافي، كنتُ أثق بهم غاية الثقة في كل مغامرة.

في ذلك الوقت قفَّزت الربة الفاتنة من تحت البحر الفسيح، وأحضرتُ من الأعماق جلود أربعة عجلول، وجميعها كانت حديثة السلح، وأحْكَمَتْ خطَّةً ضدَّ أبيها، وحفرتْ مكانَه في رمل البحر، ثم جلست في الانتظار، فذهبنا بالقرب جدًا منها، فجعلتُنا نرقد في صفين، وألقت فوق كل واحدٍ منا أحدَ الجلود، وعندئذٍ ثبت لنا أنَّ كميَّنا بالغ الروعة؛ لأنَّ الرائحة الفظيعة، رائحة عجلول البحر التي رُبِّيت في الماء الملح، راحت تُضايقنا أشد

<sup>١٩</sup> الترجمة الحرافية: «يظهر».

مضائقه — فمن يمكنه أن يرقد بجانب وحش بحري؟ — ولكنها أنقذتنا من تلك المضائقه، من تلقاء نفسها، ومنحتنا منحةً عظيمة، فقد أحضرتْ أمبروسيا<sup>٢٠</sup> ذات رائحةٍ جميلة جدًا، ووضعت جزءاً منها تحت أنف كل رجل، وبذلك قضت على رائحة الوحش البحري؛ ومن ثم ظللنا طوال الصباح ننتظر بقلبِ مكين، حتى أقبلت العجول من البحر في جماعات، ثم رقدت في صفوفٍ بحذاء ساحل البحر، وعند الظهيرة خرج الرجل العجوز من البحر، ووجد العجول السمينة ومَرَّ عليها جميًعاً وأحصى عددها. وأحصى عدتنا أولاً بين العجول، غير مدركٍ أن هناك خديعةً ما، وبعد ذلك استلقى هو أيضاً. وعندئذٍ هجمنا عليه صائحين، وطُوئنا بسواعنا القوية، ولم ينس ذلك العجوز حيلة الماكرة، فتحول أولاً إلى صورة أسدٍ ذي لبدة، ثم إلى هيئة ثعبان، وإلى نمرٍ أرقط، ودبٍّ ضخم الجثة، ثم تحول إلى ماءٍ متذبذب، وإلى شجرةٍ باسقة مورقة، ولكننا ظللنا ممسكين به بقوه دون تراخ. وأخيراً، عندما حل التعب بذلك الرجل العجوز، الماهر في أفنان السحر، سأله قائلًا:

«أيا ابن أنتريوس، من من الآلهة أشار عليك بأن تكمن في انتظاري، وتقبض علىيَّ ضد إرادتي؟ وما هي حاجتك؟»

هكذا قال عجوز البحر، فأجبته بقولي: إنك تعرف أيها العجوز — لماذا تحاول مماطلتي بهذا السؤال؟ — كم من مدةٍ طويلة بقيتْ أنا محبوساً في هذه الجزيرة، ولا أجد دليلاً قط على الخلاص، وظل قلبي يزداد ضعفاً في جوفي، فهل لك أن تخبرني — لأن الآلهة تعرف كل شيء — من من الآلهة يُؤيدني هنا، وقد حال بيني وبين طريقي؟ كذا أريد أن تُحدّثني عن عودتي، وكيف أستطيع أن أجتاز ذلك الخضم المترامي الأطراف.

قلتُ هذا، وفي الحال ردَّ عليَّ قائلًا: وكان يجبُ عليك حَقّاً أن تُقدم الذبائح الطيبة لزوس والآلهة الآخرين قبل الإقلاع بسفنك، فلو فعلتَ لكان في مقدورك أن تصل إلى بلدك بمنتهى السرعة، متخذًا طريقك عَبْر البحر القائم كالحمر؛ لأنه مكتوب لك ألا ترى أصدقاءك، أو تصل إلى منزلك المحكم البناء، أو إلى وطنك، إلا بعد أن تكون قد ذهبتَ مرةً أخرى إلى مياه أيجوبتوس، ذلك النهر السماوي الغذاء، وتكون قد نحرتَ ذبائح مئوية مقدَّسة إلى الآلهة الخالدين، الذين يحتلون السماء الفسيحة؛ فبعدئذٍ فقط، سوف تمنحك الآلهة الرحلة التي تشتتها.

٢٠ أي طعام الآلهة.

هذا ما قاله، وعندئِنْ تحطمَت روحي في داخل جسمي؛ لأنَّه أمرني بالذهاب مرهَّاً أخرى  
عَبَرَ اليم المظلم إلى أيجوبيتوس، في طريق طويل شاق. ومع كلِّ، فرغم ذلك أجبته قائلًا:  
سمعاً وطاعة، أيها العجوز، سأقوم بكلِّ هذا، كما تأمر، تماماً. والآن هل لك أنْ  
تُخْبِرَني، وتُصَارِحْني القول بصدق، هل عاد الآخيون في سفينهم، دون أنْ يصيِّبُهم أذى،  
جميع أولئك الذين تركتهم أنا ونسطور، عندما أقلعنا من طروادة؟ أمْ هل لاقى أحدُ منهم  
ميتهَ قاسية فوق ظهر سفينته، أو بين سواعد أصدقائه، بعد أنْ وضعتَ الحرب أوزارها؟  
هكذا قلتُ له، فأجاب من فوره بقوله: يا ابن أتريوس، لمْ تَسْأَلني عن هذا؟ فما ينْبغي  
بحال من الأحوال أنْ تعرف، أو تعلم مكنون صدري، وإنِّي لاعتقد، أنَّ الأحزان والبكاء  
سيُحْلَّان بك لفترةٍ طويلة، إذا أخبرتك بكلِّ شيءٍ على حقيقته؛ إذ قُتلَ كثيُّرٌ منهم وبقيَ الكثيُّر  
أيضاً، ولكن اثنَيْن من رؤسَاء الآخين المتداخِلين بالبرونز هلكا وهما في طريقهما إلى الوطن،  
أما عن القتال، فقد كنت هناك أنت نفسك، وأظنَّ أنَّ هناك واحداً، لا يزال حيًّا، ومحجوراً  
فوق سطح البحر البعيد الأجواز.

لقد هلك أياس Aias، حقاً، وسط سفنه ذات المجاذيف الطويلة، على صخور جوراي Gyrae الصخمة؛ إذ دفعه بوسايدون، في بادئ الأمر، ولكنه أنقذه من البحر، وكاد أنْ  
ينجو من حتفه، رغم كراهية أثينا له، لو أنه لم ينطق بكلمةٍ متغطرسة، لعمى قلبه البالغ.  
لقد أعلن أنه قد نجا من هوة البحر السحيقة، رغم أنف الآلهة، فسمع بوسايدون زهوه  
وعجرفته، وفي الحال، أمسك رمحه ذا الشعاب الثلاث، في يديه القويَّتين، وضرب به صخرة  
جواري، فشقَّها نصفين، فبقي جزءٌ منها في مكانه، أما الجزء المفصول فسقط في البحر،  
وكان هذا هو الجزء الذي جلس عليه أياس في بادئ الأمر عندما أُصيِّبَ قلبه بالعمى الشديد،  
فغاصت به الصخرة إلى اليم الصاخب، حيث هلك؛ إذ شرب الماء المالح.

أما أخوك فقد نجا من الهلاك حقاً واجتبه بسفنه الواسعة؛ إذ أنقذته هيرا الجليلة. بيد  
أنَّه عندما صار وشيك بلوغ قمة ماليا Malea الشديدة الانحدار، أمسكَت به الريح العاصفة،  
وطوَّحَت به فوق الخِضمِ الظاهر وهو يئن بشدة، وحملته إلى حافة البلاد،<sup>٢١</sup> التي كان يقيم

<sup>٢١</sup> إلى أنْ تقبل العرف الذي يجعل وطن ثوسيستيس (أويجيسثوس) في كوثيرا Cythera (رغم أنْ أجيستوس كان في ذلك الوقت في موكيناي Mycenae) يجب أنْ نفهم هذه العبارة على أنها تعني «الرأس الأرجولي» والرأس هنا جبل داخل في البحر.

فيها من قبل ثويستيس Thyestes، والتي يقطن فيها الآن أيجيسثوس بن ثويستيس. غير أنه لما بدا له بريق أمل في العودة بسلام، وحوّلت الآلهة مجرى الريح، فأخذت تهُبُّ في رفق، حتى بلغ الوطن. والحق يُقال، إن أجاممنون، وضع قدمه الآن فوق أرض وطنه، مسروراً، واحتضن التربة وقبلها، فانهمَّت الدموع الحارة غزيرةً من مقلتيه؛ إذ كان يتوق شغفاً إلى رؤية بلاده؛ عندئذٍ من موضع المراقبة، أبصر به الحارس الذي كان أيجيسثوس الماكر قد وضعه هناك، ووَعَدَهُ بأن يمنحه تالنتين من الذهب جائزةً له، فظل هذا الحارس في مكان المراقبة عالماً كاملاً، خشية أن يمر به أجاممنون دون أن يراه، ويتذَكَّر قسوته البالغة. وعلى ذلك أسرع إلى القصر كي يحمل النبأ إلى راعي الشعب، وفي الحال وضع أيجيسثوس خطةً غادرة، فاختار عشرين رجلاً من خيرة رجالات البلاد، وأمرهم بأن يكُنُّوا في انتظاره، بينما أمر بإعداد وليمة كبيرة في أقصى جوانب الساحة، ثم انطلق في عربةٍ تجرُّها الجياد، لكي يدعوا أجاممنون، راعي الشعب، بينما يفكّر عقله في العمل الخسيس. وهكذا استدرجه وهو غافلًّا تماماً عما يحيط به من خطر، وبعد أن تناول الطعام في تلك الوليمة، ذبحه كما يذبح المرء ثوراً في الخطيرة. ولم يترك أحداً من رفاق ابن أتريوس، من جميع أولئك الذين تبعوه، ولا واحداً قط من رجال أيجيسثوس، بل قتلهم جميعاً في الساحات.

ما إن قال ذلك القول، حتى تحطّمت روحه في داخلي، وطفقتُ أبكي وأنا جالسُ فوق الرمال، ولم تُعد لقلبي رغبة في البقاء على ظهر الدنيا ورؤية ضوء الشمس. وبعد أن بكيتُ كفائيتي، وشبعتُ نحبياً، قال لي عجوز البحر المعصوم من الخطأ:

«يا ابن أتريوس، لا تسترسلَّ في البكاء هكذا طويلاً بغير انقطاع؛ إذ هذا لا يجدي بحالٍ ما. كلا لا فائدة منه قط، بل الأجدر بك أن تُكافح بكلٍّ ما يمكنك من سرعة، إلى أن تصل إلى وطنك؛ لأنك إما أن تجد أيجيسثوس على قيد الحياة، وإما أن يكون أوريسٌ، قد سبقك إليه وقتلته، وربما أدركك وليمة جنازته.»

هكذا تحدَّث العجوز، وإذا بقلبي وروحي ينشطان من جديد في صدري رغم جميع أحزاني، فتكلّمتُ وحاطبته بكلماتٍ مُجنحة، <sup>٢٢</sup> فقلتُ:

إنني أعرف هذين الرجلين، ولكن ألا يُمكِّنُ أن تسمى الثالث، ذلك الذي لا يزال حياً، والذي هو محجوز وراء البحر العريض؟ أم أنه مات؟ إنني لأتلهَفُ إلى سماع خبره رغم أحزاني.

٢٢ أي «بعباراتٍ حازمة».

ما إن خاطبته هكذا، حتى أجاب من فوره قائلاً: إنه ابن لايرتيس، الذي موطنه إيثاكا. لقد شاهدته في جزيرة يسكن الدموع السخينة الغزيرة، في ساحات الحورية كاللوبسو، تلك التي تحتجزه عندها رغم كرهه البقاء هناك.<sup>٢٣</sup> إنه لا يستطيع الذهاب إلى وطنه؛ إذ لا يملك سفناً ذات مجازيف، ولا أي رفيق يبعث به عبر ظهر البحر الفسيح. أما أنت نفسك، يا مينيلواس، يا سليل زوس، فليس مرسوماً لك أن تموت وتلقى حتفك في أرجوس، مرعى الجياد، بل سوف يحملك الخالدون إلى السهل الإلوسي Elysian plain وإلى بطاح الأرض، حيث يقيم رادامانتوس Rhadamanthus<sup>٤٤</sup> ذو الشعر الجميل، وحيث الحياة هناك أسهلاً ما تكون للبشر، حيث لا جليد، ولا عواصف عاتية، ولا أي مطر، ولكن المحيط يرسل دائمًا لفحاتٍ عالية من هبات الريح الغربية العاتية، حتى تحمل البرد إلى البشر؛ لأنك تتخذ من هيلينا زوجة لك، وأنت في أعینهم زوج ابنة زوس.

ما إن قال هذا، حتى قفز وسط اللجاج الصاحبة، أما أنا فذهبت إلى سفني مع رفقاءٍ شبيهي الآلهة، بينما راح قلبي يفكّر في أمورٍ كثيرة، ولكن عندما نزلنا إلى السفينة وإلى البحر، وأعددنا طعام العشاء وتناولناه، وأقبل الليل السرمدي بدياجيره، رقدنا لستريح فوق شاطئ البحر. وما إن لمع الفجر الوردي الأنامل مبكّراً في دجى الظلام، حتى بدأنا ننزل سفتنا إلى البحر اللامع، وأقمنا الصواري والأشعرة في السفن الجميلة، وذهب الرجال أيضاً، فوق ظهور المراكب وجلسوا على المقاعد، واعتدلوا في أماكنهم استعداداً لأن يضربوا البحر السنجابي بمجاذيفهم، فأقلعوا عائدين من جديد إلى مياه أيجوبتوس، ذلك النهر الذي تغذّيه السماء، وهناك ألقينا مراسي السفن، وقدّمت النبائج المئوية التي كنت أرجو ثمارها. وبعد أن أرضيّت الآلهة الخالدين، واجتثت غضبهم، صنعت كومةً لأجاثمنون تخلّد شهرته خلوداً لا تخمد جذوته. وعندما انتهيت من هذا، وهبني الخالدون ريشاً مواتية، حملتني بسرعة إلى وطني العزيز. والآن، امكث عندنا في ساحاتي، إلى أن يأتي اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر، وعندئذٍ أرسلك موقراً، وأعطيك هدايا رائعة؛ ثلاثة

<sup>٢٣</sup> الترجمة الحرافية: عنوة.

<sup>٤٤</sup> ابن زوس وشقيق مينوس. يُرمز إليه في بعض القصص كمساعدٍ خاضع للملك مينوس في كريت، وفي بعضها الآخر كملكٍ على جزر البحر. ويُصوّر على الدوام كمؤسس للقوانين والإجراءات الشرعية، وكقاضٍ عادل. وقد عُين قاضياً في العالم السفلي بعد وفاته أو ربما دون أن يذوق سكرات الموت.

جياد، وعربةً بدعة الطلاء، فضلاً عن كأس جميلة تستطيع أن تسُكُّب منها السكائب  
للآلهة الخالدين، وتذُكّرني جميع أيام حياتك.»

### تيليماخوس يقبل هدايا مينيلاوس ويسأله الرحيل

عندئٰ رد عليه تيليماخوس الحكيم قائلاً:

«يا ابن أتريوس، لا تحجزني هنا مدةً طويلة؛ فإنني، والحق يُقال، أُسر للبقاء في  
قصرك عاماً دون أن أتوق إلى رؤية بيتي ووالدي؛ إذ أجد لذةً عجيبة في سماع حكاياتك  
وحيثك، ولكن رفافي ينتظرونني في بولوس المقدسة، بينما أنت تحجزني هنا مدةً طويلة.  
أما الهدايا التي تُرْمِع تقديمها لي، فلتكن كنوزاً، وأما الجياد فلن آخذها إلى إيثاكا، بل  
سأتركها لك هنا لتنتمي بها؛ فأنت سيد هذا السهل الفسيح، الراخِر باللوتس، والخلنجان  
والقمح والشوفان، والشاعر الأبيض العريض السنابل، أما في إيثاكا، فليس هناك ممرات  
ولا طرقٌ فسيحة تتسع لها، ولا أية مروج؛ فهيء مرعى المعيز أكثر منها مرعى للجياد؛ فما  
من جزيرةٍ وسط البحر تصلح ل التربية الخيول، ولا يمكن أن تكون غنية بالمروج، ولا سيما  
إيثاكا التي هي أقلها جميغاً.»

هكذا تكلّم، فابتسم مينيلاوس، الماهر في صيحة الحرب، وربّت عليه بيده، وخطبه  
 قائلاً:

«حَقّا إنك لمن دمٍ نبيل، أيها الطفل العزيز؛ إذ أراك تتكلم بهذه الطريقة؛ وعلى ذلك  
سأغير هذه الهدايا التي سأعطيكها؛ فهذا في مقدوري؛ فمن بين سائر الهدايا المخزونة في  
بيتي كنوز، سأعطيك أجملها وأغلها، أعطيك طاساً لمزج الخمر، رائع الصنع. إنه من  
الفضة الخالصة، وحافاته مطلية بالذهب، صنعة هيفايسوس<sup>٢٥</sup>، وأعطانيه  
المحارب فايديموس Phaedimus، ...Sidoniar عندما آوانى بمنزله لما جئتُ إلى هنا، والآن  
عقدت ...»

هكذا طَفِقا يتبادلان الحديث، وفي ذلك الوقت أقبل المدعون إلى قصر الملك المبَّجل،  
يسوقون أمامهم خرافاً، ويُحضرُون معهم خمراً مُقوّية، وأرسلت لهم زوجاتهم ذوات  
الخمار الجميلة، خبراً؛ وعلى ذلك كانوا ينعمون بالوليمة في ساحات القصر.

<sup>٢٥</sup> أحد آلهة أوليمبوس العظام، هو رب النار وابن زوس وهيرا.

## الْعُشَاقُ يَنْزَعُونَ لِرَحِيلِ تِيلِيمَاخُوسَ

أما **الْعُشَاقُ** المغازلون، فكانوا يمرحون أمام قصر أوديسيوس، يقذفون الجَلَّةَ والرمح في مكانٍ مُسْتَوٍ، كما اعتادوا أن يفعلوا في سماحةٍ وعجرفةٍ نابعَين من القلب. وكان بينهم أنتينوس وبيوروماخوس، شبيهاً الآلهة، وزعيمَا أولئك العشاق، اللذان يفوقانهم شجاعة وإقداماً، فاقترب منهما نويمون Noemon، ابن فروننيوس Phronius، وسأل أنتينوس بقوله:

«أيا أنتينوس، هل تعلم عن يقينِ أم تُرَاك لا تعلم أبداً متى يعود تيليماخوس من بولوس الرملية؟ لقد رحل، في إحدى سفني، وأنا أحتاج إليها الآن لأنَّاَعْبُرُ بها البحر إلى إلليس Elis الفسيحة؛ حيث لي أثنتا عشر فرساً ولواداً، تَرَضَعُ أثداءها بغالٌ قوية لم تُسْتَخدَمَ بعد، فأريد أن أحضر واحداً منها إلى هنا وأسْتَخْدِمَهُ».

ما إن قال هذا، حتى دُهش الزعيمان في فؤاديَّهما؛ إذ لم يُدْرِّ بخدهما قط، أن تيليماخوس قد ذهب إلى بولوس النيلية Neleian Pylos، بل ظنَّا أنه بمكَانٍ ما في ضياعه، وسط القطعان، أو مع راعي الخنازير.

فقال أنتينوس بن يوبابيسيس: «قل الحق يا هذا، متى رحل، وأي شبان ذهبوا معه؟ أَهُمْ من شباب إيثاكا المختارين، أم مأجورون، أم من عبيده؟ وهل استطاع أن يقوم حتى بهذا؟ وصارحني القول بصدق، كي أعرف كل شيء تماماً، هل استطاع أن يأخذ سفينتك بالقوة وعلى غير إرادتك، تلك السفينة السوداء، أم أعطيتها له طائعاً مختاراً بمحض إرادتك عندما توسل إليك؟»

فأجاب نويمون بن فروننيوس، قائلاً: «لقد أعطيتها له، ببنيتي، طائعاً مختاراً، فهل يستطيع أحدٌ أن يفعل غير ما فعلته عندما يرجوه رجلٌ مثله، قد أثقلت الهموم قلبه؟ كان من العسير رفض الهدية. وإن الشبان الذين صَحِبُوهُ في الرحلة لأَنْبَلُ مَنْ في البلاد بعدها، وقد لاحظت بينهم واحداً على ظهر السفينة، كقائد لهم، يشبه مينتور، أو كأنه إله يشبه مينتور تمام الشبه. وما أُعْجِبُ له، هو أنني رأيت مينتور العظيم هنا في فجر أمس الباكر، ولكنه في ذلك الوقت ركب سفينته قاصداً بولوس».

ما إن أتم حديثه ذاك، حتى انصرف إلى بيت أبيه. أما قلبا هذين الشامخين فقد استشاطا غضباً، وأمرا العُشَاقَ المغازلين في الحال، بأن يكُفُوا عن مبارياتهم وينجلسو،

وقام أنتينوس بن يوبابيسيس، مستاءً يتحدى وسطهم، وقد تملّك الحنق من قلبه الأسود حتى التّملّة، والشرر يتطاير من عينيه، فقال:

«ويلٌ له، الحق أن تيليماخوس يُزمع القيام بعملٍ من أعمال الواقحة، في رحلته تلك، التي ما كنا نحسب أنه سيستطيع إتمامها؛ فرغم كوننا هنا جمِيعاً، رحل ذلك الصبي في هدوء، مُنزاًً السفينة إلى الماء، ومنتقىً خير ما في البلاد من رجال. لقد بدأ شيئاً فشيئاً، يكون مجلبةً للشر، وإنني لأتمنى أن يُحطم زوس قُوَّته قبل أن يبلغ مبالغ الرجال. والآن هيّا، أعطوني سفينَة سريعة وعشرين رجلاً، حتى يُمكِّنني أن أكُمْ له وهو يمر في المضيق الواقع بين إيثاكا وساموس الْوَغْرَة، وبهذا تنتهي الرحلة التي قام بها بحثاً عن أبيه شر نهاية.»

هكذا تكلَّم، فنالت كلماته تقرير الجميع، الذين طلبوا منه أن يُنجز فوراً ما انتَواه. وفي الحال نهضوا جميعاً وذهبوا إلى منزل أوديسسيوس.

### بيينيلوبي تعلم بخطَّة العشاق ضد ابنها

لم تمض مدة طويلة حتى علمت بيينيلوبي بالخطط التي كان يحكيها العشاق في قراره قلوبهم؛ فإنّ الرسول ميدون Medon، الذي كان يسمع مؤامراتهم وهو يقف خارج الساحة، وهم في داخلها يُدبرون خطتهم، كان يُسرّ إليها بكل شيء؛ ومن ثمَّ ولج الساحة كي يحمل الأبناء إلى بيينيلوبي، فما إن خطا عتبة الباب، حتى تحدَّث إليه بقولها:

«أيها الرسول، لمَ بعث بك المغازلون الأمجاد؟ هل لتأمر خادمات أوديسسيوس الجليل بالكُفّ عن أشغالهن، وبيدان لهؤلاء بإعداد وليمة؟ لا مغازلة بعد ذلك، ولا أي زواج في مكان آخر، فهل لهم الآن أن يأدبوها هنا مأدبتهم الأخيرة، وحتى أنت يا من تحشدون هنا وتُبَدِّدون أموالاً طائلة، من ثروة تيليماخوس العاكل. لا شك أنكم لم تسمعوا أبداً، في سالف الأزمان، عندما كنتم أطفالاً، وعندما كان يحكي آباءكم أي لونٍ من الرجال كان أوديسسيوس بين أولئك الذين أنجبوكم، وأنه لم يقترف إثماً أو خطأً قط في حق أي فرد من مواطني البلاد، سواء بالقول أو بالفعل، كما كانت عادة الملوك الأجلاء، يكرهون رجلاً، ويحبون آخر، ولكنه لم يظلم أي رجل على الإطلاق، وإنما عقولكم وأفعالكم غير المشروعة، هي الواضحة كل الوضوح للعيان، ولن يُقدِّم أي فردٌ ثناءً على أية أعمالٍ حسنة لكم.»

## هدف الخطة قتل تيليماخوس

فأجابها ميدون، ذو القلب الحكيم، بقوله: «أرجو، أيتها الملة، أن يكون هذا هو أقصى ما ابتنى به من شر؛ لأن هناك أموراً أخرى أمر وأدھي وأكثراً إيلاماً من هذه، يحيكها العشاق المغازلون، أموراً أتمنّى لا يُكملها ابن كرونوس بالنجاح. لقد بَيَّنُوا النية على قتل تيليماخوس بحد السيف البatar وهو في طريق عودته إلى الوطن؛ لأنّه ذهب يستقي الأخبار عن أبيه، إلى بولوس المقدسة، وإلى لاكياديامون العظيمة».

ما إن قال هذا، حتى وهنت ركباتها وهي جالسة، وغاص قلبها، وصمتت مدة طويلة، وترقرقت الدموع في مقلتيها واحتبس صوتها، ثم تكلّمت أخيراً قائلة: «أيها الرسول، لم ذهب ابني؟ لم تكن به حاجة للسفر فوق ظهور السفن العريضة السريعة، التي يستخدمها البشر مطية البحر، وتعبر اليم المترامي الأطراف. ألم يكن لاسمها أن يظل باقياً وسط الرجال؟»

فأجابها ميدون، الحكيم القلب، يقول: «لست أعلم، يا سيدتي، ما إذا كان قد اضطره إلى ذلك إله ما، أم أنه ذهب من تلقاء نفسه إلى بولوس، ليستطلع الأنباء عن عودة أبيه، أو عن المصير الذي لاقاه».

## بينيلوبى تلوم خادماتها

هكذا تكلّم وانصرف من منزل أوديساوس، فغمّرها الحزن بلواعجه، ذلك الحزن الذي يفتك بالروح، ولم تستطع الجلوس بعد ذلك على أيّ من المقاعد الكثيرة بالحجرة، بل ارتفت خائرة القوى فوق عتبة حجرتها الجميلة البناء، وهي تتأوه كمداً، فراحت خادماتها

ينتحبن حولها، كلّ من في البيت، من فتياتٍ وعجائز، فقالت بنيلوبى وهي تبكي: «أي صديقاتي، اسمعن ما أقول؛ فقد قدر لي الأوليمبي أن أقايسى الأحزان أكثر من جميع لذائي، اللواتي ربّين ووُلّدن معي. منذ زمِن بعيد فقدت زوجي النبيل، ذا قلب الأسد، المتفوق في كل ما يرفع من قيمة المرء بين الدانين، زوجي النبيل، الذي طبّقت شهرته أنحاء هيلاس، وخلال أرجوس. وهذا هي ذي الرياح العاتية تجرف ولدي الحبيب بعيداً عن قصرنا دون أن نعلم عنه شيئاً أو عن رحيله. ما أتساكن! ألم تفكّر واحدة منكن في أن تُوْقظني من فراشي؛ حيث إنّك تعلمن حق العلم، متى رحل فوق ظهر السفينة السوداء الواسعة؟ فلو علمتُ بإذمامه الرحيل، لما غادر هذا البيت مهما كان تلهّفه إلى السفر، وإلا لتركتي فاقدة الحياة في هذا القصر. والآن، لتسرع إحداكن فتستدعي إلى دوليوس Dolius.

خادمي العجوز، الذي أعطانيه أبي يوم جئت إلى هنا، والذي يقوم بحراسة حديقتي الواقفة الأشجار، كي ينطلق من فوره إلى لايريتيس ويخبره بجميع هذه الأحداث؛ فربما استطاع لايريتيس أن يُدْبِّر في قلبه أمراً، ويتوسل باكيًا إلى الشعب الذي ينتوي أن يقضي على جنسه، وعلى جنس أوديسيوس شبيه الإله.»

### اعتراف يوروكليا بذنبها

عندئِذ أجابتها المرببة الجليلة يوروكليا بقولها: «سيدتي العزيزة، يحق لك أن تقتلني بالسيف، عديم الرحمة، أو تدعيني أبقي بالمنزل؛ فلن أُحْفِي عنك شيئاً. كنت أعرف كل هذا، وأعطيته كل ما أمرني به، من خبز وخمْر حلوة، ولكنه أخذ علىَّ عهوداً ومواثيق شديدة، ألا أخبرك حتى يحل اليوم الثاني عشر على الأقل، أو إذا افتقدته أنت من تلقاء نفسك، أو سمعت برحيله، وذلك كيلا تُشُوّهِي بشرتك الناعمة بالبكاء. والآن، هيا استحمي والبسي رداءً نظيفاً، ثم اصعدى إلى غرفتك العليا مع خادماتك وصلي لأتينا، ابنة زوس، حامل الترس، لتنقذه من الموت. ولا تُزعجي عجوزاً مثقلًا بالهموم؛ فعلى ما أظن، ليس عشر ابن أركايسيوس Arceiusis ممقوتاً لدى الآلهة المباركة، بل سيظل هناك واحد، يقبض على زمام القصور ذات السقوف المرتفعة، والحقول الغنية النائية.»

### بينيلوبي تصلي والعشاق يصخبون

ما إن قالت هذا، حتى هدأت ثائرة بينيلوبي، وكفَّت دموعها، ثم قامت فاغتسلت، وتسربَّت برداءٍ نظيف، وصَعَّدت إلى حجرتها العليا مع خادماتها، وبعد أن وضعَت بعض حبات من الشعير في سفطِ، راحت تصلي إلى أثينا بقولها:

«يا ابنة زوس، حامل الترس، أصغي إلى صلاتي، يا من لا يتطرق التعب إلى جسمك، بحقِّ ما أحرقه لك أوديسيوس الكثير الحيل، في ساحاته، من قطع أفحاذٍ عجلة أو نعجة سمينة، أتوسَّل إليك أن تذكّري هذه الأشياء الآن، وتهبّي لنجدة ولدي العزيز، وجنبّيه شر مؤامرة المغازلين.»

هكذا تكلَّمت، وأرسلت الصيحة المقدسة، فسَمِعَت الربة صلاتها. بيد أن العُشَّاق انفجروا صاخبين في سائر أنحاء القاعات الظلية، فقال أحد الشبان المتغطسين:

«حَقًا إن الملكة التي يُغازِلها الكثيرون، تتأهَّب لزواجهنا، ولا تعرف على الإطلاق أن الموت في انتظار ولدها.»

وهكذا كان أحدهم يتكلّم، غير أنهم لم يعرفوا كيف ستسير تلك الأمور، فخاطب  
أنتينوس جمعهم قائلاً:

«أيها السادة الأمجاد، كُفُوا عن عبارات الزهو، أيًّا كان نوعها، خشية أن ينقل شخصٌ  
ما حديثكم إلى داخل البيت. هلموا ننطلق في صمت، ونقوم بتنفيذ خطّتنا، التي أدخلت  
السرور إلى قلوبنا جميًعاً.»

### العشاق يُعدُّون سفينة وبيينيلوبي في حجرتها حزينة

هكذا تكلّم، واختار عشرين رجلاً، من خيرة الجمع، وانطلقوا في طريقهم إلى شاطئ البحر  
حيث السفينة السريعة؛ فأول عملٍ قاموا به، هو أن سحبوا السفينة إلى اليم العميق،  
ورفعوا الصاري، وثبتّوا الشراع في السفينة السوداء، وربّطوا المجاذيف فيها بسيور من  
الجلد، في نظامٍ بديع، ونشروا الشراع الأبيض. وأحضر لهم السادة المتغطّرسون أسلحتهم،  
وأنزلوا السفينة وربطوها في المرسى ثم تركوها هم أنفسهم، وذهبوا يتناولون طعام العشاء،  
وانتظروا حتى أقبل المساء.

أما بيينيلوبي الحكيمية، فرقدت في حجرتها العليا دون أن تذوق أي طعام، سواء أكان  
لحمًا أو شرابًا، وكان جل فكرها منحصرًا في ولدها، هل سينجو من الموت، أم سيقتله  
العشاق الوقحون، فكانت كأسدٍ وقع في وسط جمٍّ من الرجال فظل نهباً للخوف، وهم  
يُضيّقون عليه الخناق. هكذا كانت مُبللة الأفكار عندما داعب النوم اللذيد عينيَها، فارتَّمت  
إلى الوراء ونامت، وارتخت جميع أطرافها.

### أثينا تزور بيينيلوبي في صورة طيف

بعد ذلك، انتقلت الربة، أثينا ذات العينين المتألقتين، إلى خطٍّ آخر، فصنعت طيفًا في صورة  
امرأة كأنه إفثيمي Iphthime، ابنة إيكاريوس العظيم القلب، زوجة يوميلوس Eumelus  
الذي كان يسكن في فياري، ثم أرسلت ذلك الطيف إلى قصر أوديسيوس، إلى بييلوبي وسط  
بكلها ونحببها، ليأمرها بالكف عن البكاء وذرُّف الدموع، فدخل إلى الحجرة من ثقب  
المفتاح، ووقف إلى جانب رأسها، وتحدّث إليها بقوله:

«يا بيينيلوبي، أتتامين حزينة القلب؟ كلا، إن الآلهة التي تعيش في رخاء، لن تُحْمِل  
مشقة البكاء، ولن تجعلك تعيسة؛ لأن ابنك سيعود إليك؛ إذ هو بريءٌ أمام الآلهة من كل  
إثم.»

## بىنيلوبى تُبدي مخاوفها للطيف



ثم أرسلت ذلك الطيف إلى قصر أوديسسيوس، إلى بينيلوبى وسط بكائها ونحيبها.

عندئِزِ ردَّت عليه بينيلوبى الحكيمَة، وهي تنعم بنومِ لذيد جدًّا، على أبوابِ الأحلام، فقالت: «لم أتَيْت إلى هنا، يا أختاه؟ لم يسبق أن قدمت قبل الآن إلى منزلنا؛ لأنك تسُكُّن بعيًداً عنا، وإنك لتأمِّرِيني بأن أكُفَّ عن البكاء والأحزان وكلَّ ما يكدر صفو عقلي وقلبي. لقد مضت مدة طوبلة منذ أن فقدت زوجي النبيل، ذا قلبِ الأسد، المُبِّرَّز في كل عمل يزيِّن المرء وسط الدانين، زوجي النبيل الذي بلغ صيَّته هيلاس، وأنحاء أرجوس. وها هو ذا ابني الحبيب، يرحل في سفينةٍ واسعة، وهو لا يعْدُو أن يكون طفلاً، لا يعرِف شيئاً عن مشاقٍ

السفر ولا ما يقاسيه الرجال؛ لذا تجدينني حزينة، أكثر من حزني على زوجي،<sup>٢٦</sup> وإن قلبي لينفطر من أجله، وأخاف أن يصيبه مكروه، سواء في بلاد القوم الذين ذهب إليهم أو في عرض البحر؛ لأن هناك أعداءً كثيرين يحيكون المؤامرات لاغتياله، ويتحرّقون شوقاً إلى قتله قبل أن يعود إلى وطنه.»

### والطيف يُشجّعها ثم ينصرف

فأجاب الطيف القاتم، قائلاً: «تشجّعي ولا تفكّري في أي خوف، طالما أن مرشدك وبالاس أثينا، تقف إلى جانبه، تلك التي كثيراً ما توسل الرجال إليها لكي تقف إلى جانبهم، وإنها لتشفّق عليك من ذلك الحزن، فأرسلتني لأُخبرك بهذا.»

فقالت بينيلوبى الحكيمه: «إن كنت حقاً إلهة، وأصغيت إلى صوت إله، تعالى، خبريني، كذلك عن ذلك التعيس، ألا يزال حياً يرى ضوء الشمس، أم قد مات وذهب إلى بيت هاديس؟» فأجابها الطيف القاتم، بقوله: «كلا، لن أُحدّثك عن هذا بكلمة واحدة، سواء أكان حياً أم في عداد الأموات. إنه لإثمّ أن أقول كلاماً لا جدوى منه، كالريح.»

قال الطيف هذا وانسحب خارجاً من ثقب الباب إلى مهب الرياح، فاستيقظت ابنة إيكاريوس من نومها، وقد هدا قلبها مطمئناً؛ إذ رأت تلك الرؤيا الواضحة، وهي في ظلمة الليل.<sup>٢٧</sup>

### العشاق يتربصون ليتليماخوس

أما العشاق فنزلوا إلى السفن، وأقلعوا فوق البحر، وهم يُضمرون في قلبهم اغتيال تيليماخوس، فكمنوا له فوق جزيرة صخرية وسط البحر، في منتصف الطريق ما بين إيثاكا وساموس الوعرة السالك، هي جزيرة أستيريس Asteris، الصغيرة الرقعة، حيث يوجد ميناءً صالح لرسو السفن، له مدخل على كلتا ناحيتيه. في ذلك الميناء تلگاً الآخيون وكمّنوا في انتظار تيليماخوس.

<sup>٢٦</sup> الترجمة الحرافية: «على ذلك الآخر».

<sup>٢٧</sup> الكلمة هنا مشكوك في معناها وغير موثق من تركيبها اللغوي اليوناني.



## الأنشودة الخامسة

### زوس والآلهة يتشارون

لم الفجر من مرقده بجوار تيثونوس<sup>1</sup> النبيل، لكي يحمل الضوء إلى الخالدين والبشر. وكان الآلهة جالسين يتشارون فيما بينهم، وفي وسطهم زوس الذي يُرِعِّد عالياً، ذو القوة الفائقة. وكانت أثينا تُحصي لهم محن أوديسيوس العديدة، وهي تستعيدها في ذاكرتها؛ لأنَّه كان مما أزعجها، أنه يقيم في مسكن الحورية، فقالت:

«أبِي زوس، ويا أبِيَّا الآلهة الآخرون المباركون الخالدون، حذار، من الآن فصاعداً، أن تُبُثُوا الشفقة والرحمة في قلب ملِّكِ ذي صولجان، إياكم أن تجعلوه يلزم جانب العدل في فؤاده، بل اجعلوه قاسي القلب، ظالماً على الدوام؛ فما من رجل يتذكر أوديسيوس الجليل، من بين الشعب الذي كان سيداً عليه، رغم أنه كان لهم كوالِّدٍ يعطِّفُ عليهم. إنه الآن يقيم في جزيرة، يقاسي آلاماً مُبِرِّحة، في قصر الحورية كالويسو، التي تتحجزه كرهاً، وهو لا يستطيع العودة إلى وطنه؛ لأنَّه لا يملك سفناً ذات مجاذيف، ولا زملاء يرافقونه في سفره فوق ظهر البحر الفسيح. والآن قد دبَّروا أمرهم على قتل ابنه الحبيب، وهو في طريقه إلى الوطن؛ لأنَّه ذهب إلى بولوس المقدسة، وإلى لاكيديامون العظيمية، يستطلع الأخبار عن والده.»

فأجابها زوس، جامع السحب، قائلاً: «طفلتي، ما هذه الكلمة التي أفلَّتَ من بين شفتيك! ألم تتدبرَّي، أنتِ نفسك، هذه الخطة، حتى يستطيع أوديسيوس أن ينتقم من أولئك الرجال عند عودته؟ أما تيليماخوس، فِيمَكْنِكِ إرشاده بحُكمتكِ كي يصل سالماً إلى وطنه، ويعود المغازلون في سفنهم مدحورين.»

<sup>1</sup> ابن ملك طروادة. كان جميلاً «يافعاً» فأحبَّته ربة الفجر وأنجبَت منه ولدين.



وكانت تنمو حول الكهف غابةً جميلة، غنية بأشجار الحور والسرور الذكي الرائحة ...

هكذا تكلَّم ثم قال لهيرميس، ابنه العزيز: «أي هيرميس، بما أنك كنت رسولنا من قبل، فلتذهب الآن وتُعلِّن قرارنا للحورية الجميلة الجدائل، ألا وهو عودة أوديسيوس ذي القلب الثابت، ليس بمعونة الآلهة أو البشر، بل على ظهر طوفٍ متين، مقاسياً الأهوال، في يصل في اليوم العشرين إلى سخيريا Scheria الخصبة،<sup>٢</sup> أرض الفياكين Phaeacians، أقرباء الآلهة. وسيُبَدِّي هؤلاء له كل تبجيل كما لو كان إلهًا. وسوف يبعثون به في سفينة إلى وطنه العزيز، بعد أن يعطوه كثيراً من البرونز والذهب والملابس، يفوق ما كان يغنمها أوديسيوس لنفسه من طروادة لو عاد سالماً واحتفظ بنصيبيه من الغنائم؛ فهكذا قُدِّر له، أن يرى أصدقاءه، ويصل إلى بيته ذي السقف المرتفع، وإلى وطنه.»

<sup>٢</sup> الترجمة الحرافية: العميقه التربة.



### هيرميس يطير إلى كالوبيسو

ما إن قال هذا حتى لبَّيَ الرسول، أرجايفونتيس،<sup>٣</sup> أمره، فلبس في الحال في قدميه صندلَيه الجميَّين، الحالَين الذهبيَّين، اللذَّين طالما حملاه عَبْر مياه البحَر، وخلال البلاد المترامية الأطراف، في سرعة دونها هبَّات الرياح. وتناول العصا التي يُنْيِمُ بها عيونَ من يشاء، كما يُوقِّظُ بها آخرين من النوم أيضًا، فطار أرجايفونتيس القوي، وهذه في يده، فوق بييريا Pieria، هابطًا من الفضاء العلوي، وانحدَرَ هاوِيًّا إلى البحَر، مسرعًا فوق اللُّجَاج الصاخبة أشبه بُغْرَابَ البحَر، الذي يُبَلِّلُ ريشَه السميِّك بماءِ والملح وهو يبحث عن السمك فوق الدُّوَّامات الهائِلة لليمِّ الراخِر، فركب هيرميس الأمواج العديدة، في صورته هذه. ولما بلغ الجزيرة النائية، خرج لِتَوَهَّ من البحَر البنفسجي إلى البر، وانطلَقَ في سبيله حتى وصل إلى كهفٍ كبير، كانت تُقْيِمُ فيه الحورية الجميلة الغدائِر، فوجدها في داخله تشعل نارًا تتأجج في المدفأة، وكان يفوح من بعيد أريحُ نباتِ السدر والعرعر، المقطوعين وهمَا يحترقان. أما الحورية فكانت في داخل الكهف تُغْنِي بصوتٍ رخيم، وهي تذَرُّعُ المكان جيَّةً وذهابًا أمام المنول، تنسج بمكواكب ذهبي. وكانت تتمو حول الكهف غابةً جميلة، غنيةً بأشجارِ الحور والسرور الذي الرائحة، حيث اعتادت جوارحٌ الطير أن تبني عشاشها، من بوم وصقور،

<sup>٣</sup> لقب لهيرميس، رسول الآلهة.

<sup>٤</sup> يقول النص: «الطير طولية الأجنحة».

وغربان البحر ذات الألسنة الثرثارة، التي لا تنفك تعمل فوق البحر. وحول الكهف كرمٌ كثيفٌ محمل بالعناقيد الكثيرة في ريعان كبرياته. وكانت هناك أربع نافوراتٍ في صَفٍّ واحد، واحدة بقرب الأخرى، ينبعق منها الماء صافياً. كما كانت هناك مروجٌ ناضرة من النرجس والعرعر فوق ذلك الخالد، الذي تصادف مجئه في تلك الآونة، مشدوهاً مدهوشًا مبتهجاً. هناك وقف الرسول أرجاييفونتيس، يتعجب، وبعد أن أبدى تعجبه من كل شيء في قرارة نفسه خطأ في الحال داخل الكهف الفسيح، ولم تعجز الربة الجميلة، كاللوبسو عن معرفته عندما أبصرته وجهاً لوجه؛ لأن الآلهة تعرف بعضها البعض الآخر، مهما كان مسكن أحدهما قصيًّا، ولكنه لم يجد أوديسيوس، العظيم القلب بالداخل؛ لأنَّه كان جالسًا يبكي فوق الشاطئ، كما كانت عادته، مُعدًّاً روحه بالدموع والأحزان، وكان يتطلع إلى البحر الصاخب وهو يذرف الدموع السواجم. وبعد أن أجلسَت كاللوبسو، الربة الفتنة، هيرميس فوق كرسيٍّ لامع براق، سأله قائلةً:

«أي هيرميس، يا ذا الصولجان الذهبي، ما سبب مجئك، أيها الضيف النبيل الذي نُرحب بمقدمته؟ فلم يسبق أن جئتنا من قبل، هاتِ ما عندك؛ فإنني على استعداد لتنفيذه، إن كان في حدود مقدوري، وإنما كان أمراً ممكناً التنفيذ. والآن هيا معي، حتى أقدم لك وليمة.»

### اللوبسو تستضيف هيرميس

قالت الربة هذا، ثم وضعت أمامه مائدةً حافلةً بالأمبروسيا، ومزجت النكتار° الوردي. وهكذا شرب الرسول أرجاييفونتيس، وأكل. وبعد أن تناول كفاليته من الطعام، ردَّ عليها وخطابها بقوله:

«إنك أيتها الربة تسأليني، أنا إله، عن سبب مجئي إليك، وعلى ذلك سأقضي إليك بالحقيقة، وأكون صريحاً معك، طالما قد طلبت مني ذلك. إنه زوس الذي أمرني بالمجيء إلى هنا ضد رغبتي؛ فمن ذا الذي يستطيع بمحض إرادته أن يسرع عبر هذا الخضم الفسيح من ماء البحر الملح، الذي يفوق الوصف؟ كما أنه ليست هناك مدينةٌ قريبة للبشر، يُقدّمون فيها للألهة الذبائح والتذور المؤدية للمنتفقة. غير أنه ليس لأي إله آخر أن يعصي أوامر زوس أو يُخيّب رجاءه، فيقول زوس، حامل الترس، إن لديك هنا رجلاً بائساً أشد البوس وأمضه،

° شراب الآلهة.



وصل أوديسسيوس إلى كهفٍ كبيرٍ كانت تقيم فيه الحورية الجميلة الغدائر.

أكثر من أي محارِّبٍ ممن قاتلوا لمدة تسع سنين حول مدينة بريام، وفي السنة العاشرة نهبووا المدينة ورحلوا عائدين إلى الوطن. بيد أنهم في أثناء الطريق، اقترفوا إثماً ضد أثينا، فأرسلت ضدهم رياحًا صرصارًا عاتيةً، وأمواجاً صاحبة<sup>٦</sup> فهلك بقية رفقاء العظام، أما هو فقد حملته الريح والأمواج وقذفت به إلى هنا. إن زوس يأمرك الآن بأن تُخلي سبيله، وترسليه في طريقه بمنتهى السرعة؛ فليس مكتوبًا له أن يهلك هنا بعيدًا عن أصدقائه، ولكن ما زال من نصيبه أن يرى أصدقاءه، ويبلغ منزله ذا السقف المرتفع ويصل إلى وطنه.»

<sup>٦</sup> الترجمة الحرافية: رياحًا شريرة وأمواجاً طويلة.

## كالوبسو تُعَدُّ مثالب الآلهة

ما إن أفضى إليها بهذا الكلام، حتى ارتعدت، تلك الربة الفاتنة كالوبسو، وخطابُه بعباراتٍ مجنة، قائلة: «ما أقسامكم، أيها الآلهة، وما أسرع حسديكم أكثر من غيركم! حيث إنكم تحقدون على الربّات عندما يرغبن في الزواج من البشر علانية، وعندما تتخذ إداهن رجالاً كرفيق لها في فراشها العزيز، فلما اتخدت ربّة الفجر، الوردية الأنامل، أوريون<sup>7</sup> زوجاً لها، حَقَّدْتُم عليها، أنتم عشر الآلهة الذين تَحْبُّون في كامل الهناء، فهاجمته أرتيميس في أرتووجيا Ortygia، تلك الربة ذات العرش الذهبي، بساحتها الرقيقة<sup>8</sup> وقتلتُه. كذلك عندما استسلمت ديميتير Demeter<sup>9</sup> ذات الغدائر الفاتنة، لعواطفها، واضطجعت مع أياسيون Iasion<sup>10</sup> في الأرض المحرونة ثلاثة مرات، لم يَمض وقتٌ طويلاً حتى علم زوس بذلك، فضربه بصاعقته اللامعة وقتلَه. وهنا أنتم الآن، أيها الآلهة، من جديٍ تحقدون على<sup>11</sup>: لبقاء رجلٍ من البشر في جزيري. لقد أنقذتُه عندما جُرف من السفينة؛ إذ ضرب زوس سفيته السريعة بصاعقته المتألقة، فحطّمها وسط ظلمة البحر القاتم كالخمر. هناك باد جميع زملائه العظام، أما هو فقد حملته الرياح والأمواج وجاءت به إلى هنا، فرَحَّبْتُ بمقديه، وقدمتُ له الطعام، وقلتُ له إنني سأجعله خالداً، لا يعرف الشيخوخة طوال جميع أيامه. غير أنه طالما لا يستطيع قط أي إله أن يعصي أوامر زوس، الذي يحمل الترس، أو يُخيب رجاءه، فلينصرف هذا الرجل في سبيله عَبْر البحر الصاخب، إذا كان زوس قد أمر بذلك، ولكنني لست أنا، التي تقوم بحراسته؛ إذ لا أملك سفناً ذات مجاذيف، ولا رجالاً يُرسلونه في طريقه عَبْر ظهر البحر الفسيح. بيد أنني بُنْتُه خالصة، سأقدم له المشورة، ولن أُخفي عنه شيئاً، حتى يمكنه أن يعود إلى وطنه بسلام.»

عندئِـ رد عليها الرسول، أرجايفونتيس، من جديد، بقوله: «إذن، فلُتُرسليه الآن فوراً، ولتحذرِي غَضَب زوس، لئلا يستشيط غِيظاً، وينفذ غضبه فيك فيما بعد.»

<sup>7</sup> عملانُ قوي وصيادُ رائِيِّ الجمال. يُقال إنه اكتسب من والده القدرة على السير عَبْر البحر.

<sup>8</sup> المقصود هنا أن الميّة كانت بلا ألم. ولقد استُخدم هذا التراكيب في هذه الفقرة تعبيراً عن الموت المرسل من لدُن إله أو إلهة حانقة.

<sup>9</sup> هي ربة البقول والفاكهة والبذر والمحصد، بل الزراعة عامة. ولما كانت الزراعة مهد المدينة اعتُبرتُ أيضاً ربّة القانون والنظام والزواج.

<sup>10</sup> ابن زوس. أحبتُه ديميتير فأنجب منها بلوتوس، فقتلَه زوس لذلك بإحدى صواعقه.

## إفراج كالوبسو عن أوديسيوس

ما إن قال أجايفونتيس القوي هذا الكلام، حتى انصرف، فانطلقت الحورية الجليلة إلى أوديسيوس العظيم القلب، بعد أن علمت برسالة زوس، فوجدت أوديسيوس<sup>١١</sup> جالساً على الشاطئ، يذرف الدموع من عينيه بلا انقطاع، وقد أخذت حياته الحلوة تندوي؛ إذ كان يتحرق شوقاً للرجوع إلى وطنه؛ لأن الحورية، لم تكن بأية حال موضع غبطة ناظريه. وكان عليه أن ينام بالليل إلى جوار الحورية الراغبة في الكهوف الفسيحة، رغمما منه وضد إرادته، أما بالنهار فكان يجلس فوق الصخور والرمال، مُعدّباً نفسه بالعبرات والأنين والهموم، وكان يتطلع إلى البحر الصاخب، ويتحسّر<sup>١٢</sup> ذارفاً الدموع؛ عندئذٍ اقتربت منه الربة الفاتنة، وقالت له:

«يا هذا الرجل الشقي، ما عاد لك أن تغتنم بعد الآن، بربك وما عاد لحياتك أن تذوي هنا؛ لأنني سأبعث بك الآن، بقلبِ راضٍ في سبيلك. تعال الآن، واقطع بالفأس كتلًا خشبية طويلة، واصنع لك طوفاً عريضاً، وثبتْ عليه ألواحاً خشبية بعرضه، كي تكون مطية قوية تحملك عَبَر البحر الداجي.<sup>١٣</sup> ولسوف أضع لك عليه خبراً وماماً وخرماً صهباء تُشبع قلبك، وتدرأ عنك غائلاً الجوع. كما أنتي سأُمددك بالكساء، وأرسل لك ريشاً هادئة تدفع الطوف<sup>١٤</sup> من خلف، ليُمكِّنك العودة إلى وطنك سالماً، كما هي إرادة الآلهة الذين يحتلُّون السماء المترامية الأجواز؛ لأنهم أقوى مني في كُلٍّ من الغاية وتحقيقها.»

## أوديسيوس ... في شك

هكذا قالت، فارتجمت أوديسيوس العظيم، الذي يتحمل كثيراً، وخطبها بألفاظ مُجنحة، قائلاً: «لا بد أن يكون هناك شيء آخر تدبرينه، أيتها الربة، وليس رحيلي؛ إذ أراك تأمرني بُعْبورِ هوة البحر السحيق فوق طوف، ذلك الخضم الراخِر الصاخب، الذي لا تستطيع حتى

<sup>١١</sup> الترجمة الحرافية: «فوجدته».

<sup>١٢</sup> لا وجود لهذه الكلمة بالنص اليوناني.

<sup>١٣</sup> الترجمة الحرافية: عَبَر الأعماق الكثيفة الضباب.

<sup>١٤</sup> لا وجود لعبارة: «تدفع الطيف» بالنص اليوناني فأضفناها لأن المعنى يتطلب ذلك.

السفن الجميلة، السريعة السير، أن تعبره بسرور في رياح زوس، ولكنني لن أضع قدمي فوق طوفِ رغماً منك، إلا إذا أقسمت أيتها الربة بأنك لن تُدبرِي ضدي أية محنٍ جديدة.»

## وكالوبسو تطمئنه

بعد أن قال هذا، ابتسمت الربة الحسناء، كالوبسو، وربَّتْتَ علَيْهِ بيدها، وقالت: «حقاً، إنك لخبيث، ولست بحالٍ ما عاجزاً عن الفهم والإدراك؛ لأنني أراك قد فَكَرْتَ في النطق بهذه العباره. إذن فلتكن الأرض، والسماء الفسيحة في العلا، ومياه الستوكس<sup>١٥</sup> المتداقة إلى أسفل، شهيدةً على قولي، هذه التي هي أعظم وأرهبُ قسم للآلهة المباركين، بأنني لن أحيك ضدك أي سوءٍ جديدٍ فيه إيهاد لك. كلا؛ فليس في نيتِي مثل هذه الأفكار، بل على عكس، سأُمذِّك بالنصائح كما لو كانت لنفسي، إذا ما حاقت بي مثل هذه المصائب؛ إذ إنني ذات عقلٍ راجح، وقلبي الكامن في صدري زاخر بالرحمة والشفقة، ولم يُقدَّ من حديد.»

## عبارات الوداع بين الحبيبين

ما إن قالت الربَّةُ الحسناءُ هذا، حتى انطلقتُ في الطريق بسرعةٍ وراح هو يتبع خطواتها، حتى وصلَ إلى الكهف الفسيح، الربة والرجل، وجلسا فوق المقدُّع الذي غادره هيرميس، ثم وضَّعتَ الحورية أمامه جميع ألوان الطعام ليأكل ويشرب، من صنوف الأطعمة التي يأكل منها البشر. أما كالوبسو نفسها، فجلَّستْ قبالة أوديسيوس الجليل، وقدَّمت لها الإمام الأمبروسيا والنكتار. وهكذا مذَا أيديهما إلى الطعام الشهي الموضوع أمامهما، وبعد أن تناولا كفائيهما من الطعام والشراب، كانت كالوبسو، الربة الفتنة، هي البادئة بالحديث فقالت: «يا ابن لايريتيس، المنحدر من زوس، يا أوديسيوس الكثير الحيل، الآن قد آن لك أن تُبحر فوراً إلى بيتك، وإلى وطنك العزيز. وستُبحر إلى هناك سالماً. بيد أنه لو عرفَ قلبك ما ينتظرك من عذاب، مُقدَّر لك أن تقاسيه قبل بلوغ وطنك، لافتَرَتِ البقاء هنا، ولزمت كهفي هذا معِي، وأصبحتَ من الخالدين إلا أن رغبةً جامحةً ملحةً تتملَّكك، لرؤيتك زوجتك التي تتوق إليها يوماً بعد يوم. وإنني لأُعلن عن نفسي، أنني لست بحالٍ ما، دونها جمالاً ولا قواماً؛ إذ لا يليق قَط أن تتحدى نساءُ البشر الخالداتِ في الهيئة والفتنة.»

<sup>١٥</sup> نهر رئيسي في العالم السفلي. وكان اسمه مقدسًا عند الآلهة أنفسهم، حتى إنهم كانوا يستخدمونه عند حلفان اليمين.

عندئِذ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «أيتها الربة القوية، أرجو ألا تخضبي مني لأجل هذا؛ فإنني أنا نفسي أعرف تماماً أن بينيلوبى الحكيمه أقل منك فتنه وقواماً؛ لأنها من البشر وأنت خالدة لا تصيبك الشيخوخة، ولكنني بالرغم من هذا، أتوق إلى بلوغ بيتي، ويوم عودتي، لحظة بعد لحظة. وإذا حدث أن إلهًا ما، ضربتني وأنا في طريقي وسط البحر القاتم كالخمر، احتملتُ الضربة راضياً، طالما كان في صدري قلبٌ يتحمل الآلام؛ فقد سبق أن قاسيتُ الكثير، وجاهدتُ وسط اللحج وفي ساحة القتال،<sup>١٦</sup> فلنُضِف ما سيحدث إلى ما سبق حدوثه.»

بعد أن قال هذا، غَرَبَت الشمْسُ وَخَيَّمَت الظلمة، فذهب كلاهما إلى أقصى مخبأ في الكهف الفسيح، وتمتَّعاً بكؤوس الحب مترفة، فرقَد كُلُّ منهما بجانب الآخر.

### خطة رحيل أوديسيوس



ما إن هتك الفجر المبكر الوردي الأنامل حُجب الظلام، حتى أسرع أوديسيوس فارتدى قميصاً وعباءة، وتسربلت الحورية في ثوبٍ فَضَفَاضٍ أبيضٍ أنيقٍ قد أحِكَّ نسجه، وشدَّت خصرها النحيل بحزامٍ جميل من الذهب الإبريزن، ووضَعَت على وجهها خماراً. بعد ذلك شرَعَت في وضع خطة رحيل أوديسيوس، العظيم القلب، فأعطته فأساً كبيرة تُناسب

<sup>١٦</sup> الترجمة الحرافية: وفي الحرب.

يَدِيه كل المناسبة، فَأَسَاساً من البرونز، حادَةُ الطرفَيْنِ، ذات مقبضٍ جميلٍ من خشب الزيتون، قد ثُبِّتَ إِلَيْهَا وثيقاً، ثم أَعْطَتَه كذلك معزقةً مشحونَةً لامعةً. وبعدها، سارت في طريقها إلى تخوم الجزيرة، حيث تقوم الأشجار الباسقة، أشجار الحور والشربين، شامخةً برعوتها نحو السماء، طويلةً جافةً، ومجففةً من عصيرها الخلوي، وبذَا يمكنها أن تطفو بخفةً على سطح الماء<sup>١٧</sup> من أجله. وما إن دَلَّتْه كالوبيسو، الربة الجميلة على موضع الأشجار السامقة، حتى عادت أدراجها إلى بيتها، بينما أخذ أوديسيوس يقطع الأخشاب، حتى تقدَّم في عمله هذا بسرعة، فقطع عشرين شجرةً كاملةً، وشَدَّبَها وسُوَّاها بالفأس. بعد ذلك راح يصقلُها بمهارة، ويسُويها حتى غدت مستقيمةً تماماً. وفي تلك الأثناء، أحضرتُ إِلَيْهِ الربة كالوبيسو الحسناً أَزَامِيل، شرع يَحْفَرُ بها قطع الأخشاب وينثُث كل واحِدٍ منها بالآخر. كما راح يصْلِها ببعضها بواسطة الأسفافين والتعشيق، وبالطُّرقِ كان يضمُّها سوياً. وكالرجل الماهر في فن النجارة، الذي يُحدِّدُ احنانَه هِيَكِلٌ سَفِينَةٌ نقل، ذات اتساعٍ عريض، أخذ أوديسيوس يَصْنَع طَوْفَه عَرِيْضَاً، ثم ثَبَّتْ قوائِمَ ظهر الطَّوْفِ، مُعْشَقاً إِيَاهَا في الدعامات المتراسَة المتقاربة. وهكذا طَفِقَ يَشْتَغلُ بِجَدٍ، حتى انتهى من الطَّوْف الطَّويلِ الحافات. بعد ذلك ثَبَّتَ في الطَّوْفِ صارِيًّا ودُعَامَةً مُسْتَعْرَضَةً تُمْسِكُ الصاري، وزيادةً على ذلك صنع لنفسه مِجَدَافاً مُوجَّهاً يَسْتَطِيعُ بِوَاسْطِتِه أَنْ يَقُودَ الطَّوْفَ. وبعد هذا أحاط الجميع من الجُوْجُؤَ إلى المؤخرة، بحاجزٍ من أغصان الصفاصاف لتدرأً عنِه الأمواج، وفرَشَه بكميَّةٍ كبيرةٍ من أوراق الأشجار<sup>١٨</sup>. كما أحضرتُ له كالوبيسو، الربة الجميلة، منسوجاً ليَصْنَعُ لنفسه منه شراعاً، فَصَنَعَ هذا بمهارةً أَيْضَاً، وثَبَّتَ الطَّوْفَ بِالْأَرْبَطَةِ وَالْحَبَالِ وَالْأَلْوَاحِ، ثُمَّ أَنْزَلَه إلى البحَرِ الْلَّامِعِ بِوَاسْطِتِ الْرَّوَافِعِ.<sup>١٩</sup>

## أوديسيوس في البحر ثانية

أقبل اليوم الرابع، وقد أَتَمَّ أوديسيوس عمله. وفي اليوم الخامس أَرْسَلَتْه كالوبيسو الفاتنة في طريقه من الجزيرة، بعد أن غَسَّلَتْه وأَبْسَطَتْه ثوبًا عَبِقَ الرائحة، ووضَعَتْ الربة فوق

<sup>١٧</sup> الترجمة الحرافية: وبذَا يمكنها أن تطفو بخفةً.

<sup>١٨</sup> معنى هذه العبارة غير معروف بالضبط. وقد افترض المعلقون أن معناها هو: «أَلْقَى حَصَّيْكَثِيرَا»، ولكن يبدو أن هذا غير معقول. وهناك من يعتقد أن المقصود لم يكن إلا لتزويد أوديسيوس بفراشٍ وثير.

<sup>١٩</sup> من المحتمل: «أَسْطَوَانَاتٍ خَشْبِيَّةٍ مُتَدَحِّرَجَةٍ» لنقل الأثقال فوقها.

الطفو قرابةً من الخمر الصهباء القاتمة، وقرابةً أخرى كبيرةً من الماء الـقراح، وكيساً مملوءاً بالزاد، به كميةٌ وافرة من الأطعمة الشهية حتى لا يجوع، كما أرسلت خلفه ريشاً رقيقةً دافئةً. وهكذا بسط أوديسيوس العظيم شراعه للتنسيم مغططاً، فجلس يقود طوفه بمهارة بمجداف القيادة، ولم يداعب النوم جفنيه وهو يراقب البلياديسيس<sup>٢٠</sup>، وبوبيس Bootes، التي تألف متأخراً، والدب Bear الذي يطلق عليه الناس اسم الوين Wain، الدائم الدوران في مكانه وهو يراقب أوريون، والذي هو الوحيد، عديم النصيب في حمامات المحيط؛ فقد أخفقت كالوبسو، الربة الحسناء، هذا النجم، ليلزم الجانب الأيسر، وأوديسيوس يشق طريقه وسط العباب، فظل سبعة عشر يوماً يبحر فوق سطح اليم، حتى إذا كان اليوم الثامن عشر ظهرت أمامه الجبال الظلية لبلاد الفياكين؛ إذ كانت أقرب ما تكون منه، فبدأت وسط البحر الكثيف الضباب، كأنها ترس.

### بوسايدون يثير الأمواج ضده

بيد أن مزلزل الأرض المجيد، كان عائداً من لدن الإثيوبيين، فأبصره من بعيد، من جبال سولومي Solymi؛ إذ شاهد أوديسيوس وسط البحر<sup>٢١</sup>، فغلا مرجلٌ غيظه في روحه أكثر وأكثر، وهزَّ رأسه، وقال في قلبه:

«تبأ لهم، لا بد أن الآلهة قد غيَّرتْ رأيها بخصوص أوديسيوس، بينما كنتُ أنا عند الإثيوبيين، ويا للعجب! إنه قريبٌ من جزيرة الفياكين، حيث كُتب له أن ينجو من القيود الضخمة للعنة التي نزلت به. كلا، فإنني على ما أظن سوف أقوده إلى طوفان من الشر».

قال هذا وجَمَع السحب، وأمسك شوكته ذات الشعاب الثلاث في يديه، وعَكَّر بها صفو البحر، وأثار جميع هبات مختلف الرياح جميماً، وبالسحب أخفي البر والبحر على السواء، فهجمَت جحافل الليل هابطة من السماء، فانقضَت الريح الشرقية والريح الجنوبية، والريح الغربية العاصفة الهبوب والريح الشمالية، المولودة في السماء اللامعة،

٢٠ بنايات أطلس، عددهن سبع، وقد كن زميلات ربة الصيد في كل صيد، حولَهن زوس إلى يماماتٍ ثم وضعهن بين النجوم.

٢١ الترجمة الحرافية: إذ شُوهَد أوديسيوس بواسطته مبحراً وسط البحر.

وأخذت جميعها تُرسل أمامه لجأة عاتية؛ عندئذ ارتحت ركبتاً أوديسيوس وذاب قلبه، وإذ أثير حنقه إثارةً بالغة، خاطب روحه القوية، فقال:

«ويحيى، أنا التعيس! ماذا عساه يقع لي أخيراً؟ إن أخواف ما أخافه حقاً أن يكون جميع ما قالته الربة صحيحاً؛ إذ أعلنت لي أنني سألاقي ذوبابة الأهوال في البحر قبل أن أصل إلى وطني، وللعجب، يتحقق كل ذلك الآن. بمثل هذه الطريقة، ملأ زوس السماء الفسيحة بالسحب، وأثار هياج البحر،<sup>٢٢</sup> وهبّات جميع أنواع الرياح ضدي، والآن لا مفر لي من هلاك شامل. لقد بُورك الدانيون ثلاثة مرات، نعم بُوركوا أربع مرات. أولئك الذين هلكوا من قبل في أرض طروادة الفسيحة، من أجل مسيرة أبناء أتريوس. ليتني هلكت كذلك، ولقيت حتفي في ذلك اليوم الذي أمرتني فيه حشود الطرواديين وابلاً من الرماح البرونزية السنان، وهم يقاتلون حول جثة ابن بيليوس Peleus<sup>٢٣</sup>؛ عندئذ كنت قد حظيتك بالمراسيم الجنائزية، وكان الآخيون قد طيّروا صيتي في جميع الآفاق، أما الآن فقد كُتب علىي أن تكون نهايتي هذه الميّة البائسة.»

### طوف أوديسيوس يتحطم

وبينما كان يقول لنفسه هذا، ضربته الموجة الضخمة من فوق، وانقضت عليه بعنفٍ بالغ، فدار به الطوف، وارتى من فوقه، وأُسقط مجاذف القيادة من يده، ومن شدة هبّات الرياح العاصفة العديدة، تُحطم الصاري نصفين، وسقط الشراع والدعاية بعيداً في البحر. أما أوديسيوس نفسه،<sup>٢٤</sup> فقد أبْقَته اللُّجَّةُ في الأعماق طويلاً. ولم يستطع أن ينهض من فوره من تحت هجمة الموجة القوية؛ إذ كانت الملابس التي زوَّدَته بها كاللوبس الفاتنة، ثقيلة تحمله إلى أسفل. وأخيراً ظهر إلى سطح البحر، وأخرج من فمه المياه الملحة المُرّة التي كانت تتتدفق من رأسه في سيول، ولكنه مع ذلك لم ينس طوفه، رغم ما كان فيه من الأهوال، بل أسرع خلفه وسط الأمواج، وأمسك به، ووثب عليه وجلس في وسطه، محاولاً النجاة من مصير الموت، بينما كانت لجأة عاتية تحمل الطوف هنا وهناك، وكما تحمل الريح

<sup>٢٢</sup> الترجمة الحرافية: وأثار البحر.

<sup>٢٣</sup> أي أخيل.

<sup>٢٤</sup> الترجمة الحرافية: أما هو نفسه.

الشمالية، في الخريف، عناقيد الحَسَك وسط السهل، فيتعلّق بعضها بالبعض الآخر، هكذا أيضاً طِفت الرياح تحمل الطوف وتقذفُ به إلى هذا الجانب وذاك فوق رقعة البحر،<sup>٢٥</sup> فتارةً كانت الريح الجنوبية تُطُوح به إلى الريح الشمالية، قاذفةً إياه إلى الأمام، وطوراً تُسلِّمُ الريح الشرقية من جديد إلى الريح الغربية لتقذف به، وهكذا دواليك.<sup>٢٦</sup>

## أوديسيوس ينجو بخمار

ولكن إينو Ino.<sup>٢٧</sup> ابنة كاموس Cadmus،<sup>٢٨</sup> الجميلة العقَبَين، شاهدَتْ، إنها ليوكوثيا Leucothea،<sup>٢٩</sup> التي كانت فيما مضى من البشر وتنطق بكلامهم، أما الآن فقد ذهبت إلى أعماق البحر، وفازت من الآلهة بنصيب من المجد، فأحسَّت بالشفقة نحو أوديسيوس وهو ينضل وسط اللُّجُج بجهدٍ جهيد، فخرَّجت من اليم<sup>٣٠</sup> في صورة طائر النُّورس البحري باسطأ جناحَيه، وجلَّست فوق الطوف المشدود القطع بإحكام، وحاطبَته بقولها:

«أيها الرجل التعيس، كيف أضمر بوسايدون، مزلزل الأرض، لك مثل هذا الحقد الدفين؛ إذ يبذر لك بذور شُرُورٍ عديدة؟ ولكنَّه، وایم الحق، بالرغم من ذلك الحقد، لن يستطيع إهلاكك. كلا، اعمل ما سأُخْبِرُك به، وإنك على ما أظن لا ينقصك الفهم، اخلع عنك هذه الملابس، واترك طوفك تدفعه الأمواج، ثم اسْبِحْ بيديك مكافحاً وسط الأمواج حتى تبلغ

<sup>٢٥</sup> الترجمة الحرافية: فوق البحر.

<sup>٢٦</sup> أضفنا عبارة: «وهكذا دواليك» من عندنا، فالنص اليوناني لا يذكرها.

<sup>٢٧</sup> ابنة كاموس وهارمونيا من طيبة. وقد جلَّتْ على نفسها حقد وكرامَّة هيرا زوجة زوس كثير الآلهة.

<sup>٢٨</sup> عندما حمل زوس بوروبا أرسل أبوها أخاهما كاموس ليبحث عنها، وأمره لا يرجع بدونها. ولما بحث طويلاً دون جدوٍ لجأ إلى استشارة الكاهن، فأخْبَرَهُ أن يتبَعْ بقرة سيقابلها، وأن يبني مدينة في المكان الذي تقف فيه. وسرِّيغاً ما وجد كاموس البقرة، فقادته إلى بيوتيا. ولما استعد لتقديمها ذبيحة أرسل رجاله إلى نبع ماءٍ قريب فلم يرجع منهم أحد، فذهب بنفسه يستطلع الخبر فوجد أن ثعبانًا ضخماً قتل جميع الرجال. ولما كان يجهل أن الثعبان من نسل الآلهة قتل الأفعوان بعد قتال عنيف ساعدهُ فيه الربة أثينا، ثم زرع أستان الشعابن بإرشاد أثينا فبرز في الحال رجالٌ مسلحون تطاحنوا فيما بينهم حتى قُتلوا جميعاً، ما عدا خمسةً منهم ساعدوا كاموس في بناء كادميا Cadmia قلعة طيبة الحصينة الحديثة.

<sup>٢٩</sup> اسم إينو بعد أن صارت ربة البحر، ومن خصائصها أنها كانت تساعد المسافرين بحراً في أوقات الخطر. ولما أشرف أوديسيوس على الهاك بحراً، أعطته زناراً يحزمه تحت صدره كي يظل عائماً لو حدث وتحطَّمت سفينته.

أرض الفياكين، حيث كُتبت لك النجاة. هاك هذا الخمار، خذه ثم ابْسُطه تحت صدرك. إنه خالد، ولا خوف عليك من المصائب أو الهاك وهو معك. ومتى لمست البر بيديك، اخلعه عنك واقذف به في البحر القاتم كالخمر، بعيداً عن اليابسة، مُولِّياً ظهرك نحو المكان الذي تقدّفه فيه.»<sup>٣٠</sup>

قالت الربة هذا، وأعطته الخمار، ثم وثبت هي نفسها إلى البحر الصاخب في هيئة النورس البحري، فلَفَّتها الأمواج الدكناه بين طياتها،<sup>٣١</sup> فحار أوديسيوس العظيم كثيراً الاحتمال في أمره؛ إذ أثيرت روحه العتيدة بعنف، فتحدث إلى نفسه يقول:

«ويحي! لم لا يكون أحدُ الخالدين يُدْبِر لي من جَدِيدٍ مكيدةً جديدةً؟ فهي تأمرني بِمُغادرة الطوف. كلا لن أطِع قولها على الفور؛ فالبر الذي تأمرني بالسباحة إليه بعِدُ عن عيوني، قصي. وإنني لأرى أنه من الأفضل التشبث بالطوف طالما كانت أجزاءه متمسكة، حيث سأقاسي الآلام والعذاب، حتى إذا ما هشمتْ الموجة إرباً، سَبَحْتُ، طالما لا تكون ثمة طريقةً أفضل.»

### بوسايدون يمضي في المطاردة

وبينما هو في حِيرته عَقلاً وقلباً، سَلَطَ عليه بوسايدون مزلزل الأرض، موجةً عاتية، فارتَقَعَت إلى أعلى، ثم هوت مُنْقَضَةً عليه. وكما تهُبُّ الريح العاتية على كومة القش الجاف فيتَنَاثِر بعضه هنا، والبعض الآخر هناك، هكذا أياضاً، فرَقَت الموجة شمل الألواح الطوف الطويلة. بيد أن أوديسيوس اعْتَلَ ظهر أحد الألواح كما لو كان يمْتَنِي صهوة جواد، ونزَعَ عن جسده الملابس التي كانت أَعْطَتْه إياها كالوبسو الفتاتنة، وفي الحال بَسَطَ الخمار تحت صدره، وقَذَفَ بنفْسِه وَسْطَ الْلُّجُجِ، ناشرًا ذرائِعِه تأهلاً للعلوم، فأبَصَرَ به السيد مزلزل الأرض، وهَرَّ رأسه وَخَاطَبَ نفْسِه قائلاً:

«طالما قد قاسيتَ الكثير من المتابع، فلتذهب الآن هائماً وَسْطَ هذا الْخِصَمِ، حتى تصل إلى قومٍ يُبَجِّلُهم زوس. ومع ذلك فلستُ أعتقد أنك ستَسْخَرُ من آلامك بأشد حال.»

<sup>٣٠</sup> الترجمة الحرافية: «مولياً ظهرك».

<sup>٣١</sup> الترجمة الحرافية: «فأخذتها الموجة الداكنة».

ما إن قال هذا حتى ضرب بالسوط جياده ذات الأعراف الجميلة، فبلغ إيجاي Aegae، حيث يوجد قصره البانخ.

## ظهور أثينا فجأة

أما أثينا ابنة زوس، فقد دبرت خطةً أخرى، فعرقلت مسیر الرياح الأخرى، وأمرتها جميعاً بالكف عن الهبوب، وبالنوم لتسريح، ما عدا الريح الشمالية السريعة فقد أثارتها، فحطمت هذه الأمواج أمام أوديسيوس، سليل زوس كي يستطيع أن يصل إلى الفياكينين،<sup>٣٢</sup> المغermen بالتجذيف، وقد نجا من الموت ومن صروف المقادير.

ظل أوديسيوس يومين وليتئن مندفعاً فوق سطح الأمواج العالية العاتية<sup>٣٣</sup> وطالما توقع الهاك في قراره نفسه. غير أنه ما إن بزغ الفجر الجميل الجدائِل منبئاً بمولد اليوم الثالث، حتى هدأت الريح. وشَملَ البحَر سكونٌ رقيق، فوقع بَصَرُ أوديسيوس على الشاطئ قريباً، وهو يُلقي نظرةً عاجلةً أمامه. وقد ارتفعت به موجةٌ عاليةٌ إلى فوق. وكما يُرْحَب الأطفال بنجاة أبيهم، الراقد في فراش المرض<sup>٣٤</sup> يُقاسي أشد الآلام، وقد أنهك المرض جسمه لدِّ طولية بسبب مهاجمة أحد الآلهة القساة له، غير أنه إكراماً لخاطرهم تُنْقذُ الآلهة من محنته. هكذا أيضاً كانت اليابسة موضع ترحيبٍ أوديسيوس وغبطته، فأخذ يجد في السباحة متلهفاً إلى أن يطأ البر بقدمه. غير أنه ما إن صار على مدى الصوت من الشاطئ، عندما يصبح الماء، وسمع دوي البحر وهو يرتطم بالصخور – إذ كانت الموجة العظيمة تزأر فوق اليابسة، مُنْقَضَةً فوقها بصورةٌ فظيعةٌ مُرْوِعةً، ولَفَّ زَبَدُ البحر كل شيء؛ إذ لم تكن هناك موانئٌ يمكن للسفن أن تلِجُها ولا طرق، بل مرتفعاتٌ ناتئة داخل البحر، وصخور وجروف – عندئذٍ وهنت ركبنا أوديسيوس وذاب قلبه، وإن بلغت روحه التراقي، تكَلَّم مخاطبًا نفسه العتيدة بقوله:

«ويل لي، ما أتعسني! أعندهما يمن على زوس أخيراً، بأن أرى اليابسة، بعد أن فقدت كل أمل، وتغلبتُ على جميع الصعاب، فشققت طريري خارجاً من تلك الهوة، لا يبدو لي

<sup>٣٢</sup> الترجمة الحرافية: كي يستطيع أن يصل الفياكينين.

<sup>٣٣</sup> الترجمة الحرافية: الأمواج المتضخمة.

<sup>٣٤</sup> الترجمة الحرافية: الراقد في علة.

في أي مكان، سبيلٌ إلى الخروج من هذا البحر السنجابي؟ فِمَنْ الْخَارِجُ الصَّخْرَ حَادَةً صلبة، ومن حولها ترَأْ اللُّجَّةُ وَتُزْبَدُ، وَتَقْفَ الصَّخْرَ عَمْوِيَّةً شَامِخَةً وَالْمَيَاهُ قَرِيبَةً جَدًّا مِنَ الشَّاطَئِ. حَتَّى إِنَّهُ لِيَتَعَذَّرُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْفَ ثَابِتًا بِكُلَّتَا قَدَمَيْكَ نَاجِيًّا مِنَ الْهَلَكَ، فَلَوْ سَعَيْتُ قَاصِدًا إِلَيْهِ، لَأَمْسِكَتْ بِي مَوْجَةُ عَاتِيَّةٍ وَهَشَّمَتْنِي فَوْقَ الصَّخْرَ الْحَادَةِ، فَيُضَيِّعُ كَفَاحِي هَكُذا أَدْرَاجُ الْرِّيَاحِ، وَلَكِنِي إِذَا سَبَحْتُ إِلَى مَسَافَةِ أَبْعَدِ، أَمْلَأَ فِي الْعَثُورِ عَلَى شَوَاطِئِ مَنْهَدَرَةٍ،<sup>٣٥</sup> وَمَوَانِئِ بَحْرِيَّةٍ، خَشِيَّتُ أَنْ تَلْحُقَ بِي الْرِّيَاحُ الْعَاصِفَةُ ثَانِيَّةً، وَتَحْمِلَنِي وَأَنَّنِي فَوْقَ الْيَمِ الْزَّاَخِرِ أَنِّيَ شَدِيدًا، أَوْ أَنِّي مَا قَدْ يُسْلِطَ عَلَيَّ وَحْشًا ضَخْمًا مِنْ جَوْفِ الْبَحْرِ – وَإِنَّ أَمْفِيَرِيَّتِي<sup>٣٦</sup> Amphitrite المَجِيدَةَ لَتَلْدُ كَثِيرًا مِنْ أَمْتَالِ هَذِهِ الْوَحْشَ – لَأَنِّي أَعْلَمُ بِيَقِيْنِيَّ أَنْ مَزِيلَ الْأَرْضِ الْمَجِيدِ، يَحْقُدُ عَلَيَّ حَقَّدًا بِالْأَخْرَى.»

## أوديسوس يتعلّق بصخرة

وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَحَمِّرٌ هَكُذا، فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ، حَمَلَتْهُ مَوْجَةٌ هَائِلَةٌ نَحْوَ الشَّاطَئِ الْوَعْرِ. هُنَاكَ كَادَ جَلَدُهُ يَتَسَلَّخُ، وَعَظَامُهُ تَتَحَطَّمُ، لَوْلَا أَنَّ الرَّبَّةَ، أَتَيْنَا ذَاتَ الْعَيْنَيْنِ النَّجَلَوَيْنِ، وَجَهَتْ عَقْلَهُ وَأَمْلَأَتْ عَلَيْهِ خَطَّةً، فَأَسْرَعَ إِلَى الْأَمَامِ يَمْسِكُ بِالصَّخْرَةِ بِكُلَّتَا يَدِيهِ، مَتَعْلِقًا بِهَا وَهُوَ يَئِنُّ، إِلَى أَنْ مَرَّتِ الْمَوْجَةُ الْعَظِيمَةُ. وَهَكُذا نَجَا مِنْ تَلْكَ اللُّجَّةِ، وَلَكِنَّهَا وَهِيَ عَائِدَةٌ انْقَضَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَجَرَفَتْهُ بَعِيدًا إِلَى الْبَحْرِ. وَكَمَا يَحْدُثُ إِلَى سَمَكِ السَّبِيطِ عَنِّدَمَا يُجْرَفُ مِنْ جَحْرِهِ، يَتَعَلَّقُ بِمَمْصَاتِهِ كَثِيرًا مِنَ الْحَصَبَاءِ، هَكُذا أَيْضًا تَسْلَخَتْ مِنْ يَدِيهِ قِطْعَةً مِنَ الْجَلَدِ عَلَى الصَّخْرَةِ، وَغَطَّتْهُ الْمَوْجَةُ الْهَائِلَةُ. وَعَنْدَئِذٍ حَقَّا كَادَ أُودِيسِيُّوسُ يَقْضِي نَحْبَهُ قَبْلَ أَوَانِهِ، لَوْلَا مَتَعَطَّهُ أَتَيْنَا الْمَتَّالِقَةَ النَّاظِرَيْنِ سَوَاءَ الْبَصِيرَةِ، فَشَقَّ طَرِيقَهُ بَعِيدًا عَنِ الْمَوْجَةِ حِيثُ تَدَفَّقَتْ بِقُوَّةٍ عَلَى الشَّاطَئِ، سَابِحًا إِلَى الْخَارِجِ، مَتَجَهًا بِبَصَرِهِ نَحْوَ الْبَحْرِ أَمْلَأً فِي أَنْ يَجِدُ شَوَاطِئِ مَنْهَدَرَةً، وَمَوَانِئِ بَحْرِيَّةً، فَوَصَلَ إِلَى مَصَبِّ نَهْرٍ مَعْتَدِلِ الْجَرِيَانِ؛ إِذْ بَدَأَ لَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ

<sup>٣٥</sup> يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا: «شَوَاطِئَ تَلْقَى الْأَمْوَاجَ بِانْجِرَافٍ».

<sup>٣٦</sup> زَوْجَةُ بُوسَيْدُونَ أَيْ مَلِكَةُ الْبَحْرِ. وَيُقَالُ إِنَّهَا انْزَعَجَتْ مِنْ غَزْلِ بُوسَيْدُونَ وَهَرَبَتْ، وَلَكِنَّ بُوسَيْدُونَ أَرْسَلَ دَلْفِينًا يَبْحَثُ عَنْهَا وَيُحْضِرُهَا إِلَيْهِ ثَانِيَّةً كَيْ تَعِيشَ مَعَهُ كَزَوْجَةٍ.

مكانٍ يناسبه؛ لأنَّه كانْ أملس الصخور، وبمنَّى عن مهب الرياح، فعرَفَ أوديسيوس النهر  
وهو يجري مُتدفِّقاً، وصلَّى له في قلبه قائلاً:

«استمع إلَيَّ، أيها الملك، كائناً من كنتَ، فها أنا ذا أقصدك كمن أتلهَّفَ إلى لقائِه،<sup>٣٧</sup>  
ساعيًّا إلى النجاَة من جوف البحر، من عيَّد بوسايدون. وإنَّ الرجل الذي يأتِيك ضالًّا،  
لمحترمُ أيضاً في عيون الآلهة الخالدين، كما أجيءُ إلَيْكَ الآن، إلى مُجراك وإلى ركبَتِك، بعد  
أهواٍ عديدة ومشاقٍ كثيرة. هيَا، اعْطِفْ علَيَّ، أيها الملك، فها أنا ذا أُعلنُ أنتَرَرُّ إلَيْكَ.»

### البحر يهدأ ... بالصلة

هكذا قال أوديسيوس، وفي الحال أوقفَ ذلك الرب مجراه، وأمواجه، وجعلَ أمامه هدوءاً،  
وبعثَ به إلى مصب النهر في سلام. كما جعل ركبَتِه تتنشيان، ويدَيه القويَّتَين ترتخيان؛  
إذ كان البحر قد حطَّ روحه. وتوَرَّمَ جميع لحمه، وتدفَّقت مياه البحر غزيرةً من فمه  
وفتحَتْيَ أنفه. وهكذا رقد أوديسيوس مبهور الأنفاس غير قادر على الكلام، لا يكاد يجد  
القوَّة على التحرُّك؛ إذ قد حلَّ به تعبُّ رهيب. بيدَ أنه عندما أحسَّ بانتعاش روحه، وعادت  
أنفاسه إلى صدره، من جديد، خلَعَ عن صدره خمار الربة، وترَكَه يسُقطُ في النهر الذي  
كان يُزْمَجر صوب البحر، فحملَتْه الموجة العظيمة عائِدَّةَ به إلى البحر. وفي الحال، تلَقَّته  
إينو بيديها. أما أوديسيوس، فبعد أن عاد من النهر، خرج واستلقى بين عيَّان الغاب،  
وقبَّلَ التربة مانحة الغلال، وإنْ اعتَمَّتْ في نفسه العاطفة الشديدة، خاطَبَ نفسه العتيدة  
بقوله:

«ويحيٍ! ويلى! ماذا سيُحُلُّ بي بعد ذلك؟ ماذا عساه أن يُصيِّبني في آخر الأمر؟ فإذا  
كان لي أن أبقى هنا، في مجرى النهر، متيقظاً طوال الليل المُتَعبُ، فإنَّني أخشى أن يقهرني  
الصَّيقِ القارس والنَّدى الحديث، في نفس الوقت الذي استَرَدَتُ فيه روحِي من بين ذلك  
الضعف، والنَّسيم يهُبُّ بارداً من النهر، في الصَّباح الباكر. أما إذا تسلَّقتُ المنحدر إلى الغابة  
الظلِيلَة، واستلقيتُ لأشريح وسط الأَحْرَاش الكثيفة، عسى أن أُنْفَضَّ عنِي البرد والتَّعب،  
وحطَّ علىِّ النوم اللَّذِيد، فإنَّني أخافُ أن أُصبح فريسةً ولقمةً سائفةً للوحش الضارِّية.»

<sup>٣٧</sup> أو: «كمَنْ تُقدَّمْ لِهِ الصلوات الكثيرة».

## أوديسيوس يرقد ليستريح

وبينما هو في تفكيره، رأى من الأفق أن يشق طريقه إلى الغابة، فوجدها قرية من الماء في الخلاء الفسيح، فأخذ يزحف تحت شجيرتين كانتا ناميَّتين في بقعة واحدة؛ إداهما شجيرة حَسَكَ، والأخرى شجيرة زيتون. وخلال هاتَّين لم يكن في مقدور الرياح البلية أن تُهُبَ، ولا أشعة الشمس أن تُنْفُدَ بينهما، ولا الأمطار أن تَتَسَلَّ خلالهما؛ إذ كانتا متلاصقَيْن تماماً، متشابكَيَّ الأغصان، فزحف أوديسيوس تحت هاتَّين، وجمع بيده في الحال فراشاً عريضاً؛ لأن الأوراق الساقطة كانت وفيَّة هناك، تكفي لإيواء رجلَيْن أو ثلاثة، في فصل الشتاء، مهما كان الطقس قاسيّاً، فأبصر بهما أوديسيوس، الكثير الاحتمال، واغبط ورقد في الوسط، وغطَّ نفسه بالأوراق الساقطة. وكما يُغطِّي المرء جذوة نار بالرماد القاتم في حقلٍ منعزل، حيث لا يوجد حوالَيْه جيران، فيدُخُر تلك الجذوة حتى لا يُضطر إلى الحصول على النار من مصدرٍ آخر، هكذا أيضًا غطَّ أوديسيوس نفسه بالأوراق. وسَكَتَ أثينا النوم فوق جفنيَّه لكي يستطيع إقفالهما، فيتخلَّص من تعبه المُضني.

## الأنشودة السادسة

### أثينا تزور ناويسيكا في مخدعها

ومن ثمَّ رقد أوديسيوس العظيم الكثير الاحتمال، وقد أنهكه التعب وغلبه النوم. أما أثينا فذهبَت إلى أرض الفياكين<sup>١</sup> ومدينتهم. وكان هؤلاء قد استوطنوا منذ القِدَم في هوبيريا Hypereia الفسيحة، بالقرب من الكوكلوبيس، أولئك القوم الذي بلغت بهم الغطرسة نهايتها، فكانوا يغيرون باستمرار على الفياكين، ويسلبونهم أموالهم، وكانوا أعتى منهم، فقد نقلهم ناويسيثوس Nausithous<sup>٢</sup> شبيه الإله، وظل يقودهم حتى استقر بهم في سخيريا Scheria النائية عن يعيشون بعرق جبينهم، فأقام حائطاً حول المدينة، وشيد بيوتاً ومعابد للآلهة، وقسم الحقول، غير أنه لقي حتفه، قبل الآن، ورحل إلى بيت هاديس، فخلفه الملك ألكينوس Alcinous، وجعلته الآلهة حكيمًا سيد النصائح والمشورة، فذهبَت الربة أثينا ذات العينين النجلاويين إلى بيته، لتدبر أمر عودة أوديسيوس الجريء القلب،

<sup>١</sup> شعبٌ خرافي يعيش في جزيرة سخيريا، وقد هاجر إليها من بيريا عندما طرده منه الكوكلوبيس، وكان شعبًا ذا حظوة وبركة، كثير الخير يعيش في سعادة بعيدًا عن الحروب. وكانت تزوره الآلهة بأشخاصها. واشتهر هؤلاء القوم بالمهارة في الملاحة. وكانت لسفنهم سرعة الطيور ولا تحتاج إلى ربان يقودها؛ إذ تعرف الطريق من تلقاء نفسها وتقطعه بغاية السرعة حتى تصل إلى هدفها. وكان البحرارة يعتمدون على مساعدة الفياكين وقت الخطر وتحطيم السفن. وقد استقبل ملوكهم ألكينوس أوديسيوس بترحاب وأكرمه، كما قامت بالترحيب به زوجته وابنته ناويسيكا، فلما قصَّ عليه مخاطراته أعطوه مركباً حمله بسلام إلى أتيكا.

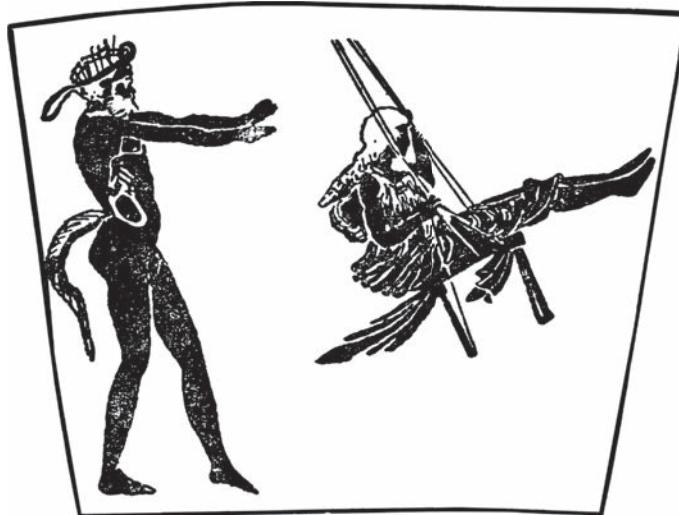
<sup>٢</sup> ابن بوسايدون. كان ملك الفياكين الذين قادهم من هوبيريا إلى سخيريا. وكان والد ألكينوس.



بيد أن ابنة ألكينوس، هي وحدها التي بقيت ثابتة في مكانها لم تهرب.

فدخلت إلى حجرة بديعة البناء، حيث كانت ترقد العذراء ناوسيكا<sup>٣</sup> ذات الجمال البارع الفتان، ابنة ألكينوس الباسل، أشبه ما تكون بالربات الخالدات، هيئة وحسناً وروعة،

<sup>٣</sup> ابنة جميلة لألكينوس ملك الفياكيين، كانت أول من قابل أوديسيوس بعد أن تحطمت سفينته على الساحل الفياكي. هبطت إلى النهر مع خادماتها لتن محلبسها، وكانت ترقص وتلعب بكرتها عندما ظهر لهن أوديسيوس فجأة من بين الأشجار، فانزعج الجميع ما عدا ناوسيكا التي سمعت حُججَه في طلب المعونة. أشارت إلى خادماتها أن يُقدمن له طعاماً وشراباً وملبسًا، ثم قادته إلى المدينة حيث أمرته أن يُشقة طريقه بنفسه إلى داخل القصر؛ إذ ليس من المعقول أن تقد فتاة صغيرة غريباً مثله إلى منزلها.



وكانت تنام بالقرب منها خادمتان فاتنتان، وهبتهما الجمال ربات الحسن<sup>Graces</sup>; كل واحدةٍ منها إلى أحد جانبي قائم باب مخدع الأميرة، وكانت الأبواب المصقوله مغلقة. بيد أن الربة نفذت إلى مخدع الأميرة العذراء، كهبة من الهواء، ووقفت إلى جانب رأسها من فوق، وتحدىت إليها في صورة ابنة دوماس<sup>Dymas</sup>،<sup>٤</sup> الذائع الصيت بسفنه، وكانت ابنته فتاة في نفس سن ناوسيكا، ومن المقربات إلى قلبها. وبعد أن اتخذت الربة صورتها، تحدّثت أثينا البرّاقة العينين، إليها بقولها:

«يا ناوسيكا، كيف أنجيتك أمك فتاة مستهترة، عديمة الاكتتراث بشيء؟ إن ثوبك البرّاق مُلقي بإهمال، مع أنك على أبواب الزواج، وستجدين نفسك مضطربة إلى ارتداء أجمل ثيابك، كما يجب أن تلّسي تبعاتك ثياباً جميلة أيضاً. إن مثل هذه الأمور، كما تعلمين، مصدر ذيوع الصيت الجميل بين الناس، كما تشرح صدر الأب والأم المجلّة. هيا يا فتاتي، تعالى، هلم بنا عند مطلع الفجر ننطلق لنغسل الملابس، وسأكون في صحبتك لأساعدك، حتى تستطعي تجهيز نفسك بسرعة؛ فإنك لن تظلي عذراء طويلاً. وها هم مغازلوك كثيرون

<sup>٤</sup> ملك فروجيا، ووالد أسيوس وهيكونا.

في طول البلاد وعُرْضها، من أشرف سائر الفيايكيين الذين تنحدر منهم سلسلة نسبك. هيا، أيقظي أباكِ النبيل مبكراً هذا الصباح، كي يُعد لك العربية والبغال، لتحمل الأحزنة والأثواب والأغطية الزاهية. كما أنه لا يليق بكِ أن تذهب ماشيةً على قدميك؛ لأن أحواض الغسيل نائية جدًا عن المدينة.»

ما إن قالت الربة، أثينا البراءة العينين، ذلك الكلام، حتى انطلقت عائدةً إلى أوليمبوس موطن الآلهة، الذي يقولون إنه راسخ في موضعه إلى الأبد، فلا تهزم الرياح، ولا تُبللُه الأمطار، ولا يسقط الثلج فوقه، بل يحيط به الهواء صافياً، خالياً من الغيوم والسحب، ويلفه سناء للاء، يمرح فيه الآلهة المباركون طيلة أيامهم، فإلى هناك ذهبت الربة المتألقة العينين بعد أن أفضت إلى الفتاة بكمال أقوالها.

### ناوسيكا تعمل بمشورة أثينا

سرعان ما انبثق الفجر الجميل العرش، وأيقظ ناوسيكا الجميلة الهنadam، فتذگرتْ حُلمها في الحال، وعَجَبَتْ منه فانطلقتْ وسط القصر لتخبر أبيها؛ والدتها العزيز وأمها، فوجَدَتهما هناك داخل البيت. كانت أمها جالسةً أمام الوطيس مع خادماتها، تغزل صوفاً أرجواني اللون. أما أبوها فقد التقى به وهو في طريقه إلى المجلس ليجتمع بالملوك الأمجاد، حيث قد استدعاه الفيايكيون، فاقتربتْ من أبيها العزيز وابتدرته بقولها:

«أبته العزيز، ألا يمكن أن تُعد لي عربة، متينة، عالية العجلات، لأذهب إلى النهر كي أغسل ثوبِي المُلْقى هنا قذراً؟ وإنه لأليق بك أيضاً وأنت بين الأمراء في المجلس أن تكون ملابسك نظيفة، كما أن لك خمسة أبناء يعيشون في ساحاتك – منها اثنان متزوجان، وثلاثة عزب أقوياء – فهو لاء يرغبون دائمًا في ارتداء أنظف الثياب المغسولة حديثاً، عندما يذهبون إلى المراقص. إذن وجب عليَّ أن أفكِر في إعداد كل ذلك.»

هكذا قالت الفتاة الحسناء؛ إذ خَجلَتْ من ذكر موضوع الزواج المفرح<sup>٦</sup> لأبيها، بيد أنه فهم كل شيء، ورد عليها بقوله: «ليست البغال بعزيزه عليك، يا طفلي، ولا أي شيء آخر. دونكِ وما أرميَتِ القيام به، فسيُعد لك الخدم عربة، متينة العجلات عاليتها، مزودة بصناديق فوقها.»

<sup>٥</sup> الترجمة الحرافية: هكذا قالت.

<sup>٦</sup> محتمل: «المثير».

## ناوسيكا تغسل الملابس مع الوصيفات

ما إن قال الملك هذا،<sup>٧</sup> حتى نادى الخدم، فلَبَّوا النداء، وَهُرَعوا إِلَى خارج القصر يُعْدُونْ عربةً تجرُّها بغالٌ سريعة الجري، وجاءوا بالغال فربطوها إلى العربية، وأحضرت الفتاة ثوبها المتألق من حجرتها، فوضعته فوق عريتها اللامعة، بينما أعدت أنها صندوقاً ملائمه بجميع صنوف الطعام حتى لا تشعر ابنتها بالجوع. لقد وضعت به أشهى وأذق الأطعمة، وملأت قربةً من جلد الماعز بالخمر، وعندئذٍ صَعَدَتْ العَذْراء إلى ظهر العربية. كما أعطتها أنها قارورةً من الذهب مليئةً بزيت الزيتون الخالص، كي تستعمله ابنتها وخدماتها في الاستحمام، فأمسكت ناوسيكا بالاعنة البراقة، وبالسوط، وألهبت به ظهور البغال، فانطلقت بالعربة، تُعدُّ بأقصى سرعتها، مُحَدَّثةً صليلاً في أثناء عدوها، وهي تُجْرِي العربية التي تحمل الثوب والعذراء. ولم تكن الفتاة وحدها، بل كانت بصحبة خدماتها.

ظلَّ الركب في طريقه حتى بلغ تيارات النهر الجميلة، حيث كانت أحواض الغسيل التي لم ينضُب معينها قط — إذ كانت المياه الصافية الرقراقة تتَدَفَّقَ غزيرةً، مندفعة إلى أعلى، فتعمل على نظافة الثياب، مهما كانت قذرة — هناك خَلَّتُ الخدامات عن البغال، وسرن بحذاء النهر ذي الدوَّامات، حيث تركتها ترعى الحشائش المائة التي كانت كالعسل حلاوة، وأخذن الثوب من العربية في أيديهن، وحملته إلى الماء القاتم، فغمَسْنَه في الأحاديد، وقد انهمكت كلُّ منهن تُنافسُ الأخرى. وبعد أن فرغن من غسل الأثواب، ونظفْنَها من جميع الأوساخ، بسَطَنْنَها في صفوف على شاطئ البحر، حيث كانت الأمواج ترطم باليلابسة فتجعل الحصى نظيفاً غاية النظافة، ثم اغتسلن وتعطَّرن جيداً بالزيت، وبعد ذلك تناولن الطعام على ضفة النهر، وانتظرن حتى تجف الملابس في أشعة الشمس الساطعة. وبعد أن ثلن قسطاً وافراً من الطعام، الأميرة وخدماتها، خلعن عذارهن، وشرعن يلعن بالكرة. وكانت ناوسيكا الناصعة الذراعين، رائتهن في الغناء.<sup>٨</sup> وكانت أرتيميس القواستة تجوس خلال الجبال، بحذاء حافات تاوجيتوس *Taygetus* الشاهقة، أو إرومانتوس *Erymanthus*، مسرورة بمطاردة الخنازير البرية والظباء السريعة، وكان يصحبها في رياضتها هذه حوريات الغابة، بنات زوس، حامل الترس، وليتتو<sup>٩</sup> مسرورة القلب — وكانت هامة أرتيميس

<sup>٧</sup> الترجمة الحرافية: ما إن قال هذا.

<sup>٨</sup> كن يُيشدُن الأغانى في أثناء تقاذُفهن بالكرة.

<sup>٩</sup> والدة أبولو وأرتيميس من زوس.

وجبينها يعلوان فوقهن جميّعاً؛ ولذا كان يمكن التعرّف عليها في سهولة، رغم فرط جمالهن كلّهن — ومن ثُمَّ وقفت العذراء، غير المتزوجة، تتلأّ بهاءً وسط خادماتها.

## أوديسيوس يستيقظ على صرخات الوصيفات

ما إن همّت الفتاة تربط البغال إلى العربية، وتطوي الثوب الرائع، لتعود إلى قصرها، حتى فكّرت الربة، أثينا ذات العينين الساطعتين، في خطّة أخرى، وهي أن تُوقظ أوديسيوس، فيرى العذراء الفاتنة المُحِيّا، التي ستقوّده إلى مدينة الفياكين. وعندئذٍ قذفت الأميرة الكرة إلى إحدى وصيفاتها، فإذا بها تُخطئ طريقها، فلا تصل إلى الوصيفة، بل إلى الدوامة العميقّة، فصرخَت الفتيات جميّعاً بصوتٍ مرتفع، فاستيقظ أوديسيوس العظيم، واعتدل جالساً، وحار في فكره وقلبه قائلاً لنفسه:

«ويحيى! إلى بلادَ من من البشر قد ساقَتْني المقادير؟ أهُم قساة، مُتوحّشون ظالمون؟ أَمْ أَنْهُمْ يُحِبُّونَ الْأَغْرَابَ وَيُخَافُونَ الْأَلَهَةَ فِي قَرَارَةِ أَنْفُسِهِمْ؟ لَقَدْ رَنَّتْ فِي أَذْنِي صِيَحةٌ، يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّهَا لِعَذَارِيِّ، أَوْ لِحُورِيَّاتِ مِنَ الْلَّوَاتِي يَسْكُنُ قَمَ الْجَبَلِ الشَّامِخَةِ، وَالْبَنَابِيعِ الَّتِي تُغَدِّي الْأَنْهَارَ بِمَائِهَا، وَالْمَرْوِجَ الْمَعْشُوبَةَ! أَمْ الْمَعْقُولُ أَنِّي فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ قَوْمٍ يَتَحدَّثُونَ كَمَا يَتَحدَّثُ الْبَشَرُ؟ كَلَا، فَلَا قَوْمٌ بِنَفْسِيِّ، وَأَحَاوَلُ اسْتَطْلَاعَ الْأَمْرِ.»

## أول حديث لأوديسيوس مع ناوسيكا

ما إن قال أوديسيوس العظيم هذا لنفسه، حتى خرج من تحت الشُّجَيرَتَيْنِ، وكسر بيده القوية غصناً من أغصان الغابة الكثيفة، غصناً كثير الأوراق، ليضعه حول وسطه ويستر به عورته، ثم خطأ إلى الأمام أشبه بأسدِ جبلي المُنْبَتِ، مُعْتَمِدٍ عَلَى قُوَّتِهِ، يَتَقدَّمُ وَسْطَ هَطْولِ الْأَمْطَارِ وَهَبَوبِ الْعَوَاصِفِ، غَيْرِ عَابِئٍ بِهَا، بل تقدح عيناه بالشرّ، فَيَهُجُّ عَلَى قَطْبِ الْأَبْقَارِ أَوِ الْأَغْنَامِ، أَوْ عَلَى الغَزَالِ الْبَرِّيِّ، ملبياً نداء بطنه، مقتحاماً حتَّى الحظيرة المتينة للبناء لِغَيْرِ عَلَى الْقَطْعَانِ. هَكَذَا كَانَتْ حَالُ أوديسيوس، وَهُوَ يُوْشِكُ عَلَى الدُّخُولِ وَسَطَ جَمَاعَةِ العَذَارِيِّ نِسَاتِ الْغَدَائِرِ الْجَمِيلَةِ، رَغْمَ عُرْيَيْهِ؛ إِذْ كَانَ مَدْفُوعاً بِيَبْاعِثِ الْحَاجَةِ. وَكَانَ مَنْظُورُهُ أَمَامَهُنَّ مُرْوِعًا، مُلْطَّخًا بِالْمَاءِ الْمَلْحِ، فَانْكَمَشُنَّ مَذْعُورَاتِ، وَاحِدَةٌ هُنَّا، وَوَاحِدَةٌ هُنَّا، بِجَوَارِ أَكْوَامِ الرِّمَالِ النَّاتِئَةِ. بِيَدِ أَنْ ابْنَةِ الْكِيْنُوسِ، هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي بَقِيَتْ ثَابِتَةً فِي مَكَانِهَا لَمْ تَهْرُبْ؛ لَأَنَّ أَثِيناً بَثَتْ الشَّجَاعَةَ فِي قَلْبِهَا، وَنَزَعَتْ الْخُوفَ مِنْ أَطْرَافِهَا، فَلَمْ تُطْلِقِ الْعَنَانِ



خرج أوديسيوس من تحت الشجيرتين ثم خطأ إلى الأمام أشبه بأسد.

لقدميها كغيرها.<sup>١</sup> بل وقفت في مواجهته، فحار أوديسيوس ماذا يفعل! أيمسك بركبتي الفتاة الحسناء، ويتسلل إليها، أم يتسلل برقيق الألفاظ وهو واقف مكانه، عسى أن تدله على المدينة وتعطيه ثواباً. وبينما هو في تفكيره، رأى من الأفضل أن يقف بعيداً، ويتضرع إليها بعباراتٍ لطيفة، لئلا يغضب عليه قلب الفتاة إذا أمسك بركبتيها، ولتوه خاطبها بعباراتٍ رقيقة خداعة، فقال:

«عفواً، سيدتي الملكة، أنتِ ربّة، أم أمن البشر؟ فإن كنتِ ربّة من اللواتي مسكنهن السماء الفسيحة، فإنني أشبعك بأرتيميس، ابنة زوس العظيم، فإنك تُشَهِّدُينها تمام الشبه،

<sup>١٠</sup> أضفناها من عندنا.

جمالاً وقدّا واعتدالاً. أما إذا كنت من البشر الذين يسكنون الأرض المترامية الأطراف، فرباركْ أبوبكْ ثلاث مرات، وكذا أملك الوقورة، ورباركْ ثلاث مراتٍ إخوتك؛ فإبني لأعتقد أن هناك على الدوام قلوبًا زاخرة بالسرور من أجلك، مغتبطة برأيتك تدخلين حلقة الرقص، زهرة يانعة باهرة. غير أن المبارك أكثر من هؤلاء، هو ذلك الذي سيغلب بهداياه من الوصول إلى قلبكِ ويأخذكِ إلى بيته؛ فلم يسبق لعيني أن رأيت إنساناً مثلك رجلاً كان أم امرأة، إن الدهشة لتملكني وأنا أنظر إلى طلعتكِ البهية. ولئن أردتِ الحق، فإبني رأيت ذات مرة، في ديلوس Delos، شيئاً كهذا، غصناً في نخلة، ينمو بجوار منبج أبوّلو – فقد ذهبتُ إلى هناك، أيضاً، وتبعني قومٌ كثير، في تلك الرحلة التي كتب لي فيها الشقاء الجم والمحن العصيبة – هكذا عندما رأيت ذلك الفن، عجبتُ في قلبي فترةً طويلة؛ إذ لم يسبق لي أن رأيت مثل ذلك النبت يخرج من الأرض. كذا يتملّكني العجب من مرأك، يا سيدتي، وأخاف غاية الخوف أن أمس ركبتيك. لقد انتابتني الأحزان والهموم البالغة؛ فأمس، في اليوم العشرين، هربت من البحر القائم بلون الخمر، وحملتني الأمواج والرياح السريعة من جزيرة أوجوجيا Ogygia، فقذف بي القدر الآن إلى هذا الشاطئ، كي أقاسي الآلام هنا أيضاً؛ فإبني لأعتقد أن متابعي لن تحفَّ بعد، بل ستُذيقُني الآلهة مزيداً منها. أشفقي عليًّا، أيتها الملكة، فقد جئتُ إليكِ الآن بعد متابعة جمِّ مرهقة؛ إذ لستُ أعرف أحداً من يملكون هذه المدينة والحقول. أريني المدينة، وأعطييني ثواباً ما، أستُر به جسدي، إذا كان لديكِ ما يتذرَّ به المرء عندما جئت إلى هذا المكان. وإنني لأتوسل إلى الآلهة أن تمنحكِ زوجاً وبيتاً، ووحدة في القلب – هدية عظيمة – فما من شيءٍ أعظم من أن يعيش الرجل وزوجته في منزل متّحدين متحابين، فيكون هذا كمداً لأعدائهما، وفرحاً لأصدقائهما، أما هما فيعرف كلُّ منها صاحبه حق المعرفة.»

## ناوسيكا تعطف على أوديسيوس

عندئِز ردَّت عليه ناوسيكا الناصعة الذراعين بقولها: «أيها الغريب، ما دُمت لا تبدو رجلاً شريراً، ولا جاهلاً، وزوس الأوليمبي نفسه هو الذي يمنحك السعادة للبشر، لكلٍّ من الأختيار والأشرار، فيمنح كل امرئٍ ما يشاء، وهكذا قد منحك أيضاً هذا الحظ، إذن فلتتحمل ما قُدِّر لك. أما الآن، فحيث إنك قد جئت إلى مدينتنا وإلى بلادنا، فلن تفتقر إلى اللباس أو إلى أي شيءٍ مما يحتاجه المترعرع الذي لاقي المحن والتجارب في طريقه إلينا؛ فسأقودك إلى المدينة، وأخبرك باسم الشعب؛ فهذه المدينة يملكونها الفياكيون، وكذا هذه البلاد. وإنني ابنة ألكينوس، العظيم القلب، الذي يتوقف عليه عُضُد وقوة الفياكيين.»

قالت ناويسيكا هذا، ونادت خادماتها الجميلات الغدائ، وأمرتُهن بقولها: «قفن يا وصيفاتي، إلى أين فراركن عند رؤية رجل؟ لا شك أنكَنَ خائفاتٌ من أن يكون عدوًا! كلا، فلا يوجد ولن يعيش، من يأتي بلاد الفياكين كعدو؛ لأننا أعزاء جدًا على الخالدين، بمنأى عن سائر الدنيا، نقطن في البحر الصاخب، في أقصى بقعة عن البشر، ولا علاقة قط لأي فرد آخر بنا. أما هذا الرجل فضالٌ مسكون، ساقته الأقدار إلى هذا المكان. علينا الآن أن نرعاه؛ لأن جميع أبناء السبيل والشحاذين، يُرسلهم زوس، ويجب الترحيب بأية هديةٍ مهما صغُرْتْ. هيا، إذن يا وصيفاتي، قدمن لهذا الغريب طعامًا وشرابًا، واغسلنْه في النهر، في بقعةٍ بها مأوى من الريح.»

### أوديسيوس يغتسل بأمر ناويسيكا

ما إن قالت هذا، حتى وقفَتُ الخادمات، ونادت كلَّ منهنَّ الأخرى، وصَحَّنْ أوديسيوس إلى مكانٍ بعيد عن مهب الريح،<sup>١١</sup> كما أمرتُهن ناويسيكا ابنة ألكينوس العظيم القلب، ووضعن إلى جواره عباءةً ورداءً ليتذرَّ بهما، وأعطَيْنَه قارورةً ذهبيةً بها زيت زيتونٍ صافٍ، وأمرنَه أن يستحم في مجرى النهر، فقال أوديسيوس العظيم وقد التفتَ حوله الخادمات:

«أيتها الوصيفات، قفن هنا بعيدًا عنِّي، حتى أستطيع أنْ أزيل بنفسي، ما علق بمنكبي من الماء المالح، وأدهن نفسي بزيت الزيتون؛ لأنه بحقِّ لم يمسَّ الزيت جلدي منذ أمدٍ بعيد. لا يمكنني أن أستحم في حضرتكن؛ إذ يُخجلني أن أتعرَّى أمام العذراوات الجميلات الجدائ.» هكذا قال، فانصرفَتُ الخادمات، وأخرين الأميرة، وعندئِذ أزال أوديسيوس العظيم من فوق الجلد بماء النهر ما علق بظهره وكتفيه العريضتين من آثار الماء المالح، وغسل عن رأسه زيدَ البحر الصاخب. وبعد أن غسل سائر جسمه، ودهن جسده بالزيت، وارتدى الملابس التي جادت بها العذراوات الفاتنة، جعلته أثينا، ابنة زوس، أطول في ناظرٍ من يتطلع إليه، وأشد قوة، وجعلتَ حُصل الشعر المتدرليَّة من رأسه، أشبه بزهرة الأقحوان. وكما يُجيد تلاميذ<sup>١٢</sup> هيفايسوس الماهرون، ومن عَلَّمْتُهم أثينا جميع أفنانِ المهن، تعليم الفضة بالذهب، فيبدو عملهم رائعاً جميلاً. هكذا أيضًا سكَّتَ الربَّة حسناً وبهاءً على رأسه وكتفيه

<sup>١١</sup> الترجمة الحرافية: إلى مكانٍ مستور.

<sup>١٢</sup> الترجمة الحرافية: «عمال».

بعد ذلك، ذهب أوديسيوس وجلس بعيداً على شاطئ البحر، يتألق حسناً وجمالاً، فدُهشت العذراء المرأة، وتحدّثت إلى وصفاتها ذات الشعور الجميلة، بقولها: «أصغين، أيتها العذراء، الناصعات الأذرع، كي أقول لكن شيئاً. لم يأتِ هذا الرجل، إلى الفياكين الشبيهي الآلهة، دون إرادة الأرباب الساكنين أوليمبوس؛ فقد كان يبدو لي أولاً ما رأيته، صعلوغاً، أما الآن فإنه يشبه الآلهة، الذين يحتلّون السماء الفسيحة. ليت رجلاً مثله يتزوّجوني، ويسكن هنا، ويُسرّه البقاء في بلادنا. هيا يا وصيفاتي، قدّمن لهذا الغريب الطعام والشراب.»

هكذا قالت، فلّبت الخادمات أمرها في الحال، وقدّمن إلى أوديسيوس طعاماً وشراباً. وعندئذٍ شرب أوديسيوس العظيم التحملُّ، ما طاب له أن يشرب، وأكل ملء بطنه؛ إذ كان قد مضى عليه وقتٌ طويل، لم يذق فيه طعاماً.

### ناوسيكا ترشد أوديسيوس

أما ناوسيكا الناصعة الساعدين، فاهتمّت بعمل آخر؛ إذ طوت الملابس، ووضعتها في العربة الجميلة، وشدّت البغال القوية الحوافر إلى النّير، واعتّلت بنفسها العربة. وبعدهنّ التفتت إلى أوديسيوس، وحيّته، وحاطبته بقولها: «انهض الآن، أيها الغريب، كي تذهب إلى المدينة، وأدّلك على بيت أبيي الحكيم، حيث أطْمئنُك بأنك ستعرف جميع أشراف الفياكين. اعمل حسب إرشادي، ولا أخالك مفتقرًا إلى الإدراك. طيلة مرورنا خلال الريف وحقول القوم المفلوحة، سرّ أنت بسرعة، مع الوصيفات خلف العربية والبغال، بينما أقود أنا الطريق، حتى إذا ما أشكنا على بلوغ المدينة، التي يحيط بها سورٌ شاهق، تخلّف عنا. هناك ميناء جميل يقع إلى جانب المدينة، به مدخلٌ ضيق، والسفن المعقوفة قد سُحبَت بحزاء الطريق؛ لأن هناك مواقف لسفن الجميع. كل رجل له موقفٌ خاصٌ بسفنه، كما أن هناك أيضًا مكانًا يحتشدون فيه حول معبد بوسايدون الجميل، الراسخ عميقاً بصخورٍ وُضعت في الأرض إلى عمقٍ كبير. هناك تجد الرجال منهمكين في حبائل سفنهم السوداء، وفي المراسي والقلاء، كما أنهم يصنعون هناك صفحات المجاذيف الرقيقة؛ إذ لا يهتم الفياكين بالقوس، ولا بجعبه السهام، بل بالصواري ومجاذيف السفن، وبالسفن الجميلة، التي يجدون فيها لذّتهم، ويعبرون بها البحر الرمادي. إنني أتحاشي انتقادهم، لئلا يُعِرّني شخصٌ ما، فيما بعد؛ إذ يوجد بالبلاد قومٌ صلفون حقاً، فلو التقى بنا رجل من السفلة لقال: «من هذا الذي يتبع ناوسيكا، إنه لرجلٌ فارع الطول، لطيف المنظر، وإنه لغريب؟ أين عثرتْ عليه؟ إنه سُيُّصبح

زوجها دون شك. ربما كان هذا أحد مَن يجوسون بسفنهم خلال البحر، من قومٍ يسكنون بلاداً نائية — فما من أحدٍ قريبٍ منا — وما من إله، طال التوسلُ إلَيْهِ، قد هَبَطَ من السماء استجابةً لتوسلاتها، ولسوف تتخذه زوجاً لها طوال حياتها. كان من الأفضل لو أنها ذهبت بنفسها إلى بلادٍ بعيدة، واختارت زوجاً من شعب آخر؛ فإنها، والحق يُقال، تحترق الفياكين هنا في هذه البلاد؛ إذ هام بها عُشاقٌ وأشرافٌ كثيرون!» هكذا سوف يقولون، ويكون هذا مَعْيِراً لي. إنني أنا نفسي، ألوم أية عذراء أخرى، تفعل مثل هذا الأمر، رغم وجود أبيها وأمها العزيزَين على قيد الحياة، أن تتصل ب الرجل آخر قبل يوم زواجهما العلني. كلامُ أيها الغريب، أصحٌ بسرعة إلى حديثي، حتى يمكنَ أن تحصل من أبي على رفيقٍ يوصلك إلى وطنك. ستجد بالقرب من الطريق كهفًا كبيراً للربة أثينا، كهفًا من أشجار الصفصاف، ينبعق بداخله ينبوع، وحوله مَرْجٌ. هناك حديقة والدي، وگرمته المثمرة، وتبعدان عن المدينة مسافة مدي صوت الإنسان عندما يصيح. اجلس هناك، وانتظر قليلاً ريثما نصل نحن إلى المدينة ونبثق قصر أبي، فإذا ما اعتقدتَ أننا نكون قد بلغنا المنزل، انهض وتووجه إلى مدينة الفياكين، واسأْل عن قصر والدي، ألكينوس، العظيم القلب. إن الاهتمام إليه من السهولة بمكان؛ إذ يستطيع صبي حتى ولو كان محض طفل، أن يرشدك عنه؛ فهو مشيدٌ بطريقة تختلف تماماً عن بقية منازل الفياكين، فإذا ما صرت بداخل القصر، والجناح الملكي، سر قدمًا عبر القائمة الكبرى، إلى أن تصل عند أمي، التي تجلس في ضوء النار بالقرب من المدفأة، تحيك منسوجاً أرجوانياً، أujeوبة للناظرين، متكئة على عمود، وتجلس وصيفاتها خلفها، ويتکئ على نفس العمود، عرش أبي، حيث يجلس ويعب الخمر، كأنه أحد الخالدين. تجاوز أبي، واتجه بسرعة نحو أمي، وضع يديك حول ركبتيها، لكي تستطيع أن ترى بسرعة يوم عودتك، رغم أنك لم تقدم من مكانٍ بعيد؛ فلو أمكنك أن تحوز رضاها، لكان لك أملٌ في أن ترى أصدقاءك وتعود إلى وطنك وإلى بيتك الراسخ البناء.»

### أوديسيوس يصل لأنثينا

ما إن قالت ناوسيكا<sup>١٣</sup> هذا، حتى ألهَت متون البغال بالسوط اللامع، وأسرعَت تاركة وراءها مجرى النهر، فأخذت البغال تتبخر بمهارة، وبمهارة راحت تعمل أقدامها السريعة،

<sup>١٣</sup> الترجمة الحرفية: ما إن قالت هذا.



وراحت الأميرة تسوق العربة بطريقة لا تُرهق الوصيفات وأوديسيوس، وهم يتبعونها سيراً على الأقدام، وكانت تستخدم السوط بحكمة. ولما غابت الشمس، وصلوا إلى الكهف المجيد، المقدس لأنثينا، فجلس أوديسيوس هناك، وراح من فوره يتسلل إلى ابنة زوس العظيم قائلًا: «أصفي إلى يا ابنة زوس، حامل الترس، ذلك الذي لا يكُل. أصفي إلى صلاتي، ما دمت لم تصغِ إلى من قبل، يوم أن ضربت، عندما ضربني مزلزل الأرض المجيد. سَهُلَي علىَ الوصول إلى أرض الفياكين، كي أُقابل بالترحيب، وألقى عطف القوم وشفقتهم.» هكذا صَلَّى أوديسيوس، فاستمعت إليه بالاس أنثينا، ولكنها لم تظهر أمامه وجهًا لوجه؛ إذ كانت تخشى غضب شقيق أبيها، الذي ثار بحمية ضد أوديسيوس، الشبيه بالإله، إلى أن وصل أخيرًا إلى وطنه.

## الأنشودة السابعة

### ناوسيكا في عقر دارها

هكذا صَلَّى هناك أوديسيوس العظيم، البالغ المعاناة، بينما كان البغلان القويان يُجْرِّان العذارى إلى المدينة، فلما بلَّغَتْ ناوسيكا قصر أبيها الباذخ، أوقفَتْ البغال أمام الباب الخارجي، واحتشدَ أشقاوْها حولها، رجال أشبه بالخالدين، فَخَلُوا عن البغال، من العربية، وحملوا الملابس إلى الداخل، فانطلقتْ هي إلى حجرتها، فأوقَدتْ النار لها وصيفتها يوروميدوسا Eurymedusa، السيدة العجوزة الأَبَيَرِيَّة، تلك التي جلبتها السفن المعقودة من أَبَيَرِي، واختارها القوم من بين الغنائم، جائزة شرف للملك أَكِينوس، الذي كان عاهل سائر الفياكين، وكان القوم يأتُّرون بأمره كما لو كانوا يأتُّرون بأمر إله. وهي التي قامَتْ ب التربية ناوسيكا الناصعة الذراغين، واضطَّلَّتْ بتنشئتها في القصر، فأوقَدتْ لها النار. وأعْدَّتْ لها عشاءَها في مقصورتها.

### أوديسيوس وسط الغمام

في ذلك الحين، نهض أوديسيوس ليذهب إلى المدينة، وألقت أثينا، حوله غمامَة كثيفة، بنية خالصة، كي لا يتحدَّث إلَيْه أحدٌ من الفياكين، العظيمي القلوب، إذا ما التفوا به، أو يسخروا منه، ويسألوه من يكون، فلما أُوشِّكَ على دخول المدينة العظيمة الجميلة، قابَلَه



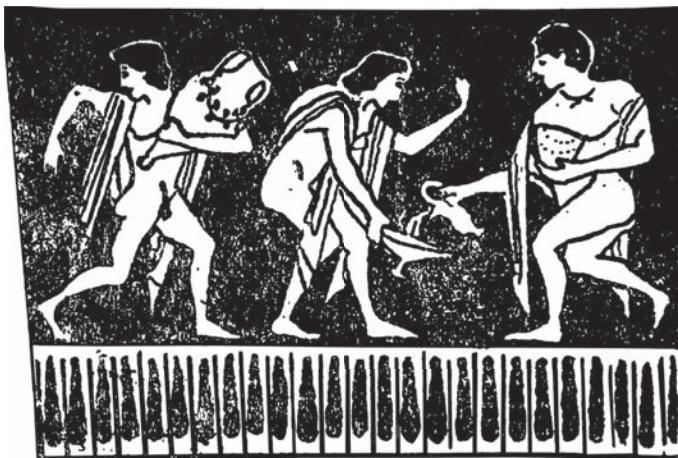
أي طفلي، ألا يمكنك أن تدلّيني على منزل من يسمونه ألكينوس؟

الربة أثينا، ذات العينين النجلاويين، متذكرةً في زي فتاة يافعة تحمل جرّة، ووقفت أمامه فسألها أوديسسيوس العظيم بقوله:

«أي طفلي، ألا يمكنك أن تدلّيني على منزل من يسمونه ألكينوس، ذلك الذي يحكم هنا كملكٍ على هذا القوم؟<sup>١</sup> لأنني قدمتُ إلى هنا، غريبًا، من بلادٍ قصية، ومُنهكًا غاية الإنهاك؛ ولذا لستُ أعلم أي قومٍ يملكون هذه المدينة، وهذه البلاد.»

عندئذٍ أجابته الربة، أثينا المتألقة الناظرين، قائلة: «إذن فسأُرِيك القصر، كما تريده، أيها الغريب. إنه قريب من بيت أبي الشريف. كلُّ ما عليك هو أن تتشي معي في هدوء بينما أرشدك إلى الطريق. بيد أنه يجب ألا تلتفت بعيونك نحو أيِّ رجل، وألا تسأله أحدًا؛ لأنَّ القوم

<sup>١</sup> الترجمة الحرافية: «الذى هو صيد القوم هنا».



هنا لا يحتملون رؤية الأغраб، ولا يُرحبون بمن يأتي من بلد آخر. إنهم والحق يُقال يثقون في سرعة سفنهم الماخرة، ويعبرون بها هوة البحر العظيمة؛ لأن هذا هو ما وَهَبُّهم إياه مزلزل الأرض، وسفنهم تسير بسرعةٍ بالغةٍ كأنها طائرٌ يُسْطِعُ جناحَيه، أو فكرة تمر في سرعةٍ.٢  
 قالت بالاس أثينا هذا، وشققت الطريق بسرعةٍ، بينما سار أوديسيوس٣ في أعقاب الربَّة. وبينما كان أوديسيوس يسير بين الفياجكين خلال المدينة، لم يُعره القوم المشهورون بسفنهم أي التفات؛ لأن أثينا الربَّة المهوية، ذات الغدائر الفاتنة، لم تكن لتحتمل هذا، وعلى ذلك أحاطَتْه بغمامةٍ عجيبة؛ إذ كان قلبه يعطُّف عليه. ودُهشَ أوديسيوس لفخامة الموانئ، والسفن الرائعة الواقفة عند مكان الاجتماع، حيث كان الأبطال أنفسهم محتشدين. كما أُعْجِب بالحوائط الطويلة الشاهقة التي تعلوها الطرق البديعة نزهَةً للرائين، فلما بلغا قصر الملك المنيف، بادَرَته أثينا، اللامعة الطرف، بقولها:

«هنا، يا سيدِي الغريب، البيت الذي طلَّبتَ مني أن أُدُلَّكَ عليه، ستجد الملوك، نسل زوس، جالسين إلى المائدة يولون، ادخلْ بقلِّي جريٍ، ولا تخشَ شيئاً؛ لأن الرجل المقادم

٢ الكلمات: «تمر في سرعة» مضافة ولا وجود لها بالنص اليوناني.

٣ الترجمة الحرافية: «هو».

٤ الترجمة الحرافية: «امرق إلى الداخل».



سأريكَ القصر، كما تريده أيها الغريب.

مُفضَّل في كل شيء، حتى ولو كان غريباً من بلد آخر. اقتربَ أولاً من الملكة أريتي<sup>°</sup>، Arete في القصر؛ فهذا اسمها الذي تُدعى به، وإنها لتنحدر من نفس سلسلة نسب الملك ألكينوس. كانت ناويسيثوس Nausithous، في البدء ابنة لبوسايدون، مزلزل الأرض وبيريبيويا Periboea، عظمى النساء فتنة وجمالاً، وصغرى بنات يوروميدون Eurymedon العظيم القلب، الذي كان فيما مضى ملكاً على العمالقة المتعطرين، ولكنه جرَّ الخراب على قومه، وتحطَّم هو نفسه، فاضطَّجَ بوسايدون مع بيريبيويا، وأنجب ابنة ناويسيثوس المقدام، الذي حكم الفياكين، وأنجب ناويسيثوس، بدوره، ريكسينور Rhexenor، وألكينوس. ولما

<sup>°</sup> زوجة ألكينوس ووالدة ناويسيكا. رحَّبَت هي وزوجها بمقدم أوديسيوس، وأكرما وفادته، ووعدا بمساعدته ليعود إلى وطنه.

لم ينجب ريكسينور، حتى الآن أية أولاد، ضربه أبوُلو ذو القوس الفضية في ساحته، رغم أنه كان حديث الزواج، وخلف ابنةً واحدةً فقط، هي أريتي، فتزوّجها ألكينوس، وأمعن في إكرامها بما لم تُكرم به امرأةٌ قط على وجه الأرض، من سائر أولئك اللواتي كن يُهيمنن، في تلك الأيام، على شئون بيوتهن ويرضخن لأزواجهن، فأكْرمت غاية الإكرام، وظلت دائِمًا مكرّمة، من أولادها، ومن ألكينوس نفسه، ومن الشعب الذي كان يعتبرها كريّة،<sup>٦</sup> ويُحبيها كلما مشت خلال المدينة؛ إذ كانت بالذات وبلا شك ذات فطنةٍ وحكمة وإدراكٍ سليم، وكانت تفصل بحكمة بين النساء المتنازعات، فتُنْصَع حَدًّا لِمَا نازعاتهن حتى ولو كانت المنازعات مع أزواجهن، فلو نلت الرضى في عينيها، لكان هناك أمل، أي أمل في أن ترى أصدقائك، وتعود إلى منزلك العالى السقف، وإلى وطنك.»

### أوديسيوس أمام قصر الملك المنيف

قالت أثينا المتألقة الطرف هذا، وانصرفت عبر البحر الصاخب، تاركة سخيريا Scheria الجميلة. ذهبت إلى ماراثون Marathon وأثينا<sup>٧</sup> الفسيحة الطرقات، ودخلت بيت إريخثيوس Erechtheus<sup>٨</sup> المتن البناء، أما أوديسيوس فاتجه نحو قصر ألكينوس الباذخ. وقف هناك يُفكّر في نفسه، وأطّال التفكير قبل أن يبلغ العتبة البرونزية؛ إذ كان يتأنّق هناك شعاعٌ كأنه من أشعة الشمس أو القمر، فوق منزل ألكينوس الباصل، ذي السقف الشامخ. أما الحوائط فكانت من البرونز، وتمتد على كلا جانبي العتبة حتى المقصورة الداخلية، بإطارٍ سفلي من الميناء الزرقاء.<sup>٩</sup> وكانت الأبواب التي تحكم إقفال ذلك المنزل المتن البناء، من الذهب الإبريز، ومثبتةً في قوائم من اللجّين فوق عتبة برونزية. كما كانت القواعد العليا للنواخذ من اللجّين كذلك. أما مقابض النوافذ والأبواب فكانت من العسجد. وتوقف على جانبي الباب كلاب من الذهب والفضة، صاغها هيفايسوس بمهارةٍ فنية، لحرس قصر

<sup>٦</sup> الترجمة الحرافية: الذي كان ينظر إليها نظرته إلى ربة.

<sup>٧</sup> أثينا المدينة.

<sup>٨</sup> في غابر الأزمان كان فوق أكروبول مدينة أثينا معبد مُكرّس للربة أثينا وإريخثيوس.

<sup>٩</sup> وُجِدَت كِسرٌ من هذه الميناء في تيرونز Tiryns.

ألكينوس المقادم. لقد كانت تلك الكلاب خالدة لا تعرف الشيخوخة طوال حياتها.<sup>١٠</sup> أما في الداخل فكانت المقاعد بطول جانبي الحائط، ابتداءً من العتبة حتى أقصى القاعة الداخلية، وقد أُقيمت فوقها أثوابٌ من المنسوج الناعم، قد حاكته النساء بأيديها بمهارة.<sup>١١</sup> واعتاد قادة الفيايكيين أن يجلسوا على هذه المقاعد ليشربوا وياكلوا؛ إذ كانوا يمتلكون خزيناً لا ينضب. كما كانت تقف هناك تماثيلٌ ذهبية لغلمانٍ تحمل المشاعل المضيئة، في أيديها لتنير المكان ليلاً للمدعّوين في القاعة، وتقف على قواعدٍ راسخة. وبالقصر خمسون أمة؛ بعضهن يطحنَ الحب الأصفر بالرحي، آخريات ينسجن الأقمشة، أو يلفن خيوط الغزل وهن جالسات، كأنهم أوراق<sup>١٢</sup> شجرة صفصاصٍ باسقة، ويتساقط من الكتان الضيق النسج، زيت الزيتون الصافي؛<sup>١٣</sup> فكما كان الرجال الفيايكيون ماهرين في قيادة السفن السريعة فوق صفحة البحر، كذلك كانت السيدات عاملاتٍ ماهرات على المنول؛ إذ وهبتهن أثينا، دون غيرهن، حِذق الأشغال اليدوية، والقلب المدرك. وخارج البهو، بقرب باب القصر مزرعة كرومٍ هائلة تبلغ مساحتها أربع مقطوعيات<sup>١٤</sup> ويحيط بها مرتفعٌ تنمو فيه أشجارٌ فاخرة باسقة، أشجار الكَمْثُرِي والرمان والتفاح، قطوفها دانية تتلأ، وأشجار التين الحلو، والزيتون الجيد. ولم تكن ثمار هذه الأشجار لتنقطع أبداً، سواء في الشتاء أو في الصيف، بل كانت دائمة الإثمار طوال العام. وتساعد الريح الغربية بهبوبها الدائم على سرعة نضج الثمار، فتنضج الكثمثري والرمان والتفاح، إثر التفاحة، وعنقود العنب بعد العنقود، والتينة وراء الأخرى. أما مزرعة الكروم للثمرة فكان بها منطقة دافئة، بأحد أجزائها تمتد على أرضٍ منبسطة، حيث يجفف العنب في الشمس، بينما يجمع الرجال العنب الطازج، ويعصرونه. كان في أول الكرمة أعنابٌ فجّة تُظللُ النوار، بينما البعض الآخر قد تحولَ لونه إلى الأرجواني. وهناك أيضاً بجانب آخر صُفٌّ للكروم، أحواضٌ لنباتات الأزهار

<sup>١٠</sup> رغم كون الكلاب من الذهب والفضة، كانوا يظلونها حية؛ إذ كان الفيايكيون يعيشون في أرض الخرافات.

<sup>١١</sup> الترجمة الحرافية: من المنسوج الناعم، المنسوج بمهارة، صنعته النساء بأيديها.

<sup>١٢</sup> هذه إشارة إلى نشاطهن المستمر.

<sup>١٣</sup> من المحتمل أن تكون الكلمة هنا إشارة إلى لمعان الكتان، ويفسّرها آخرون بأن نسج الكتان كان ضيقاً لدرجة لا تسمح للزفت أن يقطر منه.

<sup>١٤</sup> يبدو أن الكلمة هنا معناها مساحةً تستغرق في الحرج أربعة أيام.

المختلفة، من شتى الأنواع، تنمو وتزهر طول العام. وبداخل الحديقة ينبوعان، يتذقّر ماء أحدهما خلال الروض فيريويه بأكمله، بينما تتدفق مياه الآخر أسفل عتبة البهو صوب القصر المنيف. من هذا الينبوع يستقي أهل المدينة. تلك كانت هدايا الآلهة المجيدة في ألكيностس.

وقف أوديسيوس العظيم، الكثير الاحتمال، مدهوشًا أمام هذه العجائب، وبعد أن نال كل شيء إعجاب قلبه، مرًّا مسرعًا من العتبة إلى داخل القصر، فوجد قادة الفياكين ومستشارיהם يسكنون السكّائب من كثوسيهم، لأرجايفونتيس الحاد البحر، الذي اعتادوا أن يسكنوا له الخمر، بعد الانتهاء من أعمالهم، واعتزامهم الذهاب لينعموا بالراحة.

## أوديسيوس يتضرع إلى زوجة ألكينوس

«هيا أريتي، يا ابنة ريكسينور الشبيه بالإله، إنني أجيء إلى زوجك وإلى ركبتك بعد مشاقٍ عديدة. نعم، وإلى هؤلاء الضيوف، الذين أرجو أن تهفهم الآلهة السعادة في الحياة، وكلٌّ منهم يُخَلِّف لآطفاله، ثروته الموجدة بساحاته، وفروض المجد التي منحه إياها الشعب. إنني أتوسل إليك أن تعجي بـإرسالي إلى وطني، بسرعة؛ إذ ظللت مدةً طويلة أُفاسِي المحن بعيداً عن أصدقائي.»

## اُخینیوس یکرم اُودیسیوس

ما إن قال أوديسيوس هذا، حتى جلس فوق المدفأة، على الرماد بجانب النار، بينما خيم الصمت على الجميع. وأخيراً تكلم في وسطهم السيد العجوز إخينيوس Echeneus، وكان يكبر الفيakaيين سنّاً، ذا لسان لافظ، ويعرف سائر حكم القدماء، فقال بضمير خالص، مخاطباً المجلس: «أي أكينوس، للعجب أن هذه ليست طريقةً مثلّ؛ فلا يليق أن يجلس غربٌ فوق الأرض على المدفأة وسط الرماد، بينما يقف أتتاك أولاء بنتظرون كلّمتك. مُ

الغريب أن ينهض، ودَعْه يجلس فوق مقعدٍ مُطَعَّمٍ باللَّجْنَين، وَمُرُّ الْخَدْمَ أَنْ يَمْزِجُوا الْخَمْرَ، حتى يمكننا أن نُسْكِن السَّكَائِبَ لِزَوْسَ أَيْضًا، ذَلِكَ الَّذِي يَقْذِفُ بِالصَّاعِقَةِ؛ لِأَنَّهُ يَشْرَفُ دائِمًا عَلَى الْمُتَضَرِّعِينَ الْمُوَقَّرِينَ، وَعَلَى رَبَّ الْبَيْتِ أَنْ تُقْدُمَ لِهَذَا الْغَرِيبَ<sup>١٥</sup> عَشَاءً مِنْ خَزِينَ دَارَهَا».

## ظاهر الترحيب بأوديسيوس

عندما سمع ألكينوس القوي العتيد هذا، أمسك بيده أوديسيوس، العاقل والداهية، وأنهضه من فوق المدفأة وأجلسه على كرسي يتلألأ، أمر ابنه لاوداماس Laodamas الجسور<sup>١٦</sup> أن ينهض من فوقه ويُخْلِيَّه<sup>١٧</sup> له؛ إذ كان يجلس إلى جانبه، وكان خير أحبائه. بعد ذلك أحضرت إحدى الإمامِ جرَّةً بها ماء ليغسل يديه، جرة من الذهب، وأفرغت الماء في طسٍّ من الفضة، ثم أحضرت أمامه منضدةً مصقولَةً. وعندئِنْ جاءت ربة البيت الحكيمَة، ووضعت أمامه الخبز، ومعه كثيُّرَ من طيبات الطعام، لا حصر لها، وجادت بسخاء من خزينها. وهكذا شرب أوديسيوس العظيم، البالغ التحمل، وأكل، ثم خاطب ألكينوس العتيد الخادم، قائلاً:

«امْزِجْ الطَّاسَ، يَا بُونْتُونُوسَ Pontonous، وَقُدْمُ الْخَمْرَ لِجَمِيعِ مَنْ بِالْقَاعَةِ، حَتَّى يَمْكُنَنَا أَنْ نُسْكِنَ السَّكَائِبَ أَيْضًا لِزَوْسَ، الَّذِي يَقْذِفُ بِالصَّاعِقَةِ؛ لِأَنَّهُ يَهِمِنُ دائِمًا عَلَى الْمُتَوَسِّلِينَ الْوَقَرِينَ».

قال هذا، ومزج بونتونوس الخمر العسلية المذاق، وسقى الجميع، ساكِنًا أولاً بعض نقط في الكؤوس للسكنية. وبعد أن سكبوا السكائب، واحتسوا الخمر حتى الثمالة، نهض ألكينوس وسط الحشد، وتكلم مخاطبًا إياهم قائلاً:

«أَصْغِنُوكُمْ إِلَيَّ، يَا قَادَةَ وَمُسْتَشَارِي الْفِيَاكِيِّينَ، كَيْ أَتَحْدِثُ إِلَيْكُمْ بِمَا يَجُولُ فِي قَلْبِيِّ وَصَدْرِيِّ. أَمَا وَقَدْ اَنْتَهَيْتُمُ الْآنَ مِنْ وَلِيْمَتْكُمْ، فَلِيَذْهَبْ كُلُّ مِنْكُمْ إِلَى بَيْتِهِ لِيَسْتَرِّيْحَ، وَعَنْدَمَا يَطْلُبُ الصَّبَاحَ سَنَدُوْعُ مُزِيدًا مِنَ الْقَادَةِ إِلَى الْاجْتِمَاعِ، كَمَا نَدْعُو الْغَرِيبَ فِي سَاحَاتِنَا، وَنُقْدِمْ

<sup>١٥</sup> الترجمة الحرافية: للغريب.

<sup>١٦</sup> وقد يُترَجَّمُ اللفظ اليوناني المرادف بكلمة: «الطيب».

<sup>١٧</sup> أضفنا هذه العبارة من عندنا حيث لا ضرر من ذلك ولا إخلال بالنص مطلقاً.

ذبائح عظيمة للآلهة. وبعد ذلك تُفُكَّر في إرساله إلى وطنه، كي يستطيع بمعونتنا أن يصل إلى بلاده دون جهد ولا مشقة، ويبلغها بسرعة وغبطة، رغم أنه لا يأتينا من مكان قصي على الإطلاق، ولن يتبدد في نفس الوقت أي أذى أو ضرر، حتى يطأ أرض وطنه بقدميه، ولو أنه بعد ذلك سيعاني ما حاكه له القدر *Fate* والغزالت <sup>١٨</sup>Spinners المفزعات بخيطهن عند مولده، يوم أن حملت فيه أمه. أما إذا كان هذا الغريب، واحداً من الخالدين الهاهبطين من السماء، فإنه شيءٌ جديد كل الجدّة، تحكه لنا الآلهة؛ إذ كانت عادتهم فيما مضى أن يظهروا لنا في صورةٍ واضحة، عندما كانا نُفُّدْ لهم ذبائح مجيدة من مائة ثور، فيُولِّمُوا بيتنا، ويجلسوا حيث نجلس. نعم، وحتى إذا التقى بهم أحدهنا مصادفة، ما كانوا يختفون؛ لأننا مقربون جدًا منهم، قرب الكوكلوبيس <sup>١٩</sup>Cyclopes، وقبائل العمالة *Giants* المتواحشين.»

### أوديسيوس يروي قصة متابعيه

عندئذ رد عليه أوديسيوس الكثير الحيل بقوله: «لتبعد عنك هذه الفكرة، يا ألكينوس؛ فلست شبيهاً بالخالدين، الذين يحتلّون السماء الفسيحة، لا شكلاً، ولا قواماً ولكنني أشبه البشر؛ فأي فردٍ من البشر تعرف أنه قاسي أهواً جمّة، فإنتي أشبةٌ نفسي به في أحزانى. نعم ويمكنتني أن أسرد لك أطول قصة، عن جميع الويالات التي لاقيتها بمحض إرادة الآلهة.

<sup>١٨</sup> يسميهن الرومان باركاي Parcae أو فاتا Fata. ويختلفون في عددهن ولكن يقولون إن عددهن ثلاثة؛ كلوثر Clotho التي تنسج خيط الحياة، ولانيسيس Lachesis التي تحدّد طوله وأتروبوبوس Atropos التي تقطعه. وهن بنت زوس وثيميس، وشقيقات الهواري (الساعات)، ولو أنهم يقولون أحياناً إنهم بنتات نوكس (الليل) وشقيقات ربات الموت (الكيريس). كمن يراقبن القضاء المقرّ للإنسان ومتى يتم وينقضى، وليس لأي أمرٍ أن ينجو أن يغير ما فرضن عليه. ولما كان الميلاد والموت هما اللحظتان الرئيسيتان المحدّتان للحظ في الحياة، فقد كان يُعتبرن كذلك ربات الميلاد والموت خاصة، وكان من المستطاع التوصل إليهم في حالات هامة كالزواج أو القيام بمشروعٍ جديد. ولكن يُصوّرُن أحياناً كنساءٍ بشعارات الخلقة، ولكن يُصوّرُن أحياناً كعنادى سمحات الخلقة يلبسن ملابس طويلة. وكان المنسج من مستلزمات كلوثر، والكرة (أو الكرة) مستلزمات لانيسيس، أما أتروبوبوس فإن كفّي الميزان من مستلزماتها.

<sup>١٩</sup> هم أبناء أورانوس (السماء) والأرض. كانوا ثلاثة وكانت عمالقة لكل واحدٍ منهم عينٌ واحدة، وهم أقوىاء للغاية أوتوا مهارةً إلهية عظيمة.

إنك تُعذّبني الآن بأن آكل رغم حزني، فيَّ من شيءٍ أشد عاراً من البطن المقيت، الذي يُجبر  
المرء على التفكير فيه مرغماً. ليتك لا تفتنم أو تحمل ما أحمله في قلبي من غم وأحزان، ومع  
ذلك فإن أحشائي تأمرني دائمًا بأن آكل وأشرب، وتجعلني بذلك أنسى كل ما لاقيته، كما  
تأمرني بأن آكل كفايتي، فهل لك أن تُسرع عند الفجر، بأن تضعني أنا الشقي، فوق تربة  
وطني، بعد سائر ما عانيتُ من ويلاتِ جسام، فلتَهُجُر الحياة جسمي بعد أن أكون قد  
رأيتُ، مرةً أخرى، ممتلكاتي، وعبيدي، وبيتي الشاهق السقف.»

### الملكة تطأرخ أوديسيوس الأحاديث

هكذا تكلَّم، فاستحسن الجميع قوله، ووافقو على إرسال ذلك الغريب في طريقه، ما دام قد  
راعي اللياقة في حديثه، وبعد أن سكبوا السكائب، وشربوا كفاياتهم، انصرف كل رجلٍ لبيته  
ليخلُد إلى الراحة، تاركين أوديسيوس العظيم في ساحة ألكينوس، وإلى جواره جلست أريتي<sup>٢٠</sup>  
وألكينوس الشبيه بالإله، بينما أخذت الجواري يحملن الصحف من على مائدة الوليمة.  
وبعد ذلك كانت أريتي الناصعة الساعدين أول من تكلَّم؛ لأنها ما إن أبصرته، حتى عرَفت  
لتَهُوا الرداء الجميل، العباءة والمعطف، اللذين صنعتهما بيديها مع وصيفاتها، فوجَّهت  
إليه حديثها في عباراتٍ رزينة،<sup>٢٠</sup> قائلةً:

«أيها الغريب، سأوَجِّهُ إليك سؤالاً شخصياً؛ أولاً: من تكون بين البشر، ومن أي مكانٍ  
أنت؟ ومن أعطاك هذا اللباس؟ ألا تقول إنك جئت إلى هنا جائلاً فوق صفحة البحر؟»  
فأجابها أوديسيوس الكثير الدهاء، بقوله: «كان من الصعب، يا ملِيكتي، أروي خاتمة  
محنتي؛ إذ كثيرة هي المحن التي أعطَتنيها آلهة السماء، ومع ذلك فأخبرك بما تسأليني عنه  
وستجوبيني من أجله. تُوجَد في منطقةٍ نائية من البحر جزيرة أوجوجيا، التي تسكنها  
ابنة أطلس، الجميلة الغائرة، كاللبوس الملاكرة، تلك الربَّة المخوفة، التي لا شأن  
لأحدٍ من الآلهة أو البشر معها، ولكن أبي القدر إلا يزيد في تعاستي، فبعث بي، بمفردي  
إلى مدفأتها؛ إذ ضرب زوس سفينتي السريعة، بصاعقته البراقَة فحطَّمها وسط البحر  
القائم قتمة الخمر. هناك هلك سائر بقيةٍ من كنتُ أثق بهم من رفافي، أما أنا فأمسكت  
بقاع سفينتي المعقودة وتعلَّقتُ به، وهكذا بقيت طافياً على سطح البحر تسعه أيام، وفي

٢٠ يقول النص: «في كلماتٍ مجنة.»

الليلة العاشرة الداجية، قذفت بي الآلة إلى جزيرة أوجوجيا، حيث تقطن كالوبسو الفاتنة الشعرا، الربة المهوبة، فصَبَحْتُني إلى منزلها، وأكرمت وفادتي، وقدَمْتُ لي طعاماً، وقالت إنها ستجعلني خالداً، لا تطرق الشيخوخة إلى جسمي قط، بيد إنها لم تستطع إغراء قلبي وسط صدري. بقيت معها هناك سبع سنوات، أبلل ثوبِي كل يوم بدموعي، ذلك الثوب الخالد الذي أعطَتني كالوبسو. حتى إذا ما هلت السنة الثامنة، وأخذت تسير في مجريها الزمني، أُمرَّتني بالعودة إلى وطني، إما بسبب رسالة من زوس، وإما لأن عقلها قد تغير من تلقاء نفسه، فأرسلتني في طريقِي، فوق رمث من أخشاب الأشجار المربوطة إلى بعضها بإحكام، وزُوَّدتني بكمياتٍ وفيرة من الخبز والخمر الحلوة، وألبستني ثوباً خالداً، وبعثت إلى بريِّحِ رقيقة دافئة؛ ومن ثمَّ بقيت سبعة عشر يوماً أبحر فوق الخضم، وفي اليوم الثامن عشر، لاحت لي من بعد جبال بلاد الظلليلة فسُرَّ لرأها قلبي، و كنتُ سيئ الحظ؛ لأنني بحقِّ كنتُ لا أزال رفيق محنَّة هائلة، أرسلها ضدي بوسايدون، مزلزل الأرض؛ فقد أثار الرياح ضدي لتعوق طريقِي، وأهاج البحر الصاخب بصورة عجيبة، فقذفتني الموجة بعيداً عن طوفي، وأنا أئُن دون انقطاع. لقد حطمت العاصفة الطوفَ أَيَّ تحطيم، فركنتُ إلى السباحة وشققت طريقي وسط أخطارٍ<sup>٢١</sup> البحر، حتى جاءت بي الريح والأمواج، وهي تحملني إلى شواطئك، ولو أني أسرعت إلى البر هناك، لقذفت بي اللُّجَّاج على الشاطئ، فوق الصخور الضخمة في مكان شديد الخطأ، ولكنَّي عدتُ أدراجي وسبحتُ حتى بلغت نهراً، بدا لي أنه خير مكان أَلْجَأَ إليه؛ إذ كانت صخوره ملساء، وعلاوةً على ذلك فقد كان بعيداً عن مهب الريح؛ عندئِذ ظللت أتعثر سابحاً إلى الأمام، وغطستُ وأنا أشهق ولا أكاد أتنفس إلا بصعوبة، حتى خيم على الليل الخالد، وبعد ذلك خرجتُ من النهر الذي تُغذِّيه السماء، واستلقيتُ على الأرض لأنما بین الأدغال، جامعاً حولي أوراق الشجر، وسكب على أحد الآلهة نوماً بالغاً<sup>٢٢</sup>، فنمتُ هناك وسط الأوراق وقلبي متَّعبٌ غاية التعب، طوال الليل كله، وإلى الصباح، وإلى الظهر، حتى استدارت الشمس مؤذنةً بالغيب، والنوم الذي لم يزل قابعاً فوق جفني، ثم استيقظتُ فإذا بي أرى خادمات ابنتك، يلعبن على الشاطئ وفي وسطهن

<sup>٢١</sup> الترجمة الحرافية، هاوية.

<sup>٢٢</sup> الترجمة الحرافية: «لا حد له».

الأميرة ٢٣ الحسناء، أشبه بالربة، فتضررت إليها، وإذا بها، يُداراً كها السليم، لا تتوانى قط في أن تفعل ما لا يدور بخلدِكَ أن فتاةً في مثل سنها الصغيرة قد تفعله عند لقائك؛ لأنَّ الشباب الصغير عديم التفكير دائمًا. لقد أعطتني مقدارًا وافرًا من الخبر، وحمرًا صهباء، وجعلتني أستحم في النهر، وأعطتني هذا الثوب. وهكذا، أُخْبِرُ بالحقيقة، رغم جميع أحزاني».

### اشتراك ألكينوس في الحديث

فرَدَ عليه ألكينوس بدوره يقول: «أيها الغريب، حَقٌّ، إن ابنتي لم تُصبَّ تمامًا، في كونها لم تصحبك إلى بيتنا مع وصفاتها؛ لأنك توسلَ إليها أولاً». فأجابه أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «أيها الأمير، بربك، لا تُلِمُ ابنتك في هذا الأمر، لقد أمرتني فعلًا أن أتبعها مع وصفاتها، ولكنني لم أفعل، بسبب الخوف والخجل، لئلاً يستشيط قلبك غضبًا عندما ترى الأمر؛ فإننا نحن قبائل البشر، القاطنين الأرض، سريعاً الغضب».

فرَدَ عليه ألكينوس ثانية، وقال: «يا هذا الغريب، ليس على النحو، قلبي الكائن في داخل صدري، أن يملأه الغضب بدون داعٍ، وإن الواجب اللائق لأفضل في كل شيء. وبحق أبيينا زوس، وأثنينا، وأبولو، إنني لأتمنى أن مثلك، أيها الرجل العظيم، الذي يَعِدُنِي عقلاً، يَتَخَذَ ابنتي زوجة، وتُسَمَّي ابني، وتبقى هنا، ولو طاب لك البقاء هنا، لأعطيتكم بيئاً وممتلكات، ولكن لن يحتفظ بك أحدٌ من الفياكين ضد رغبتك، ولن يسمح بهذا، الأب زوس. أما عن موضوع إرسالك إلى وطنك، فلكي يطمئن قلبك وتتأكد منه، فإِنني سأُحدِد له موعدًا، ول يكن غدًا؛ عندئذٍ تنام ملء جفنيك، بينما يُجْدِف الرجال من أجلك، عَبْرَ البحر الهادئ، حتى تبلغ بلدك وبيتك، أو إلى أي مكان تريده، مهما كان نائماً، حتى ولو كان وراء يوبويا Euboea. حتى يقول من شاهدتها من قومنا، عندما حملوا رادامانتوس Rhadamanthus، <sup>٤</sup> الجميل الشعور، لزيارة تيتيوس Tityus ابن جيا Gaea، <sup>٥</sup> إنها أَحْمَى بلد. لقد ذهبوا إلى هناك،

<sup>٢٣</sup> الترجمة الحرافية: «وفي وسطهن كانت هي، حسناء أشبه بالربات».

<sup>٤</sup> ابن زوس. يُرمز إليه في بعض القصص كمساعدٍ خاضع لذلك للملك مينوس في كريت، وفي بعضها الآخر كملكٍ على جزر البحر. ويُصوَّر على الدوام كمؤسس للقوانين والإجراءات الشرعية، وكقاضٍ عادل.

<sup>٥</sup> هي الأرض والدة السماء والبحر.

وأتموا رحلتهم بغير مشقةٍ ولا نصب، ثم عادوا إلى الوطن في نفس اليوم. ولسوف تعرف  
أنت أيضًا، في قرارتك نفسك، أن سفني هي خير سفن، ورجالي خيرة الشباب في شق البحر  
بنصل المجداف.»



قال هذا، فسر أوديسيوس العظيم، البالغ التحمل وتوسل إليه قائلاً: «أبتاه زوس،  
فلتحقق كل ما قاله ألكينوس. وعلى ذلك لا تُخمد صيَّته فوق الأرض، مانحة الغلال،  
ولتجعلني أصل إلى وطني.»

### الجميع ينامون وكذا أوديسيوس

هكذا تكلَّم كلُّ منها إلى الآخر، وأمرت أريتي البيضاء الساعدين، وصيفاتها بإعداد فراش  
تحت سقف الرواق، وبأن يضعن فوقه ملاءاتٍ جميلة من الأرجوان، وفوقها أغطية، ومن  
فوق هذه عباءات من الصوف يلبسنها. وهكذا خرجن من الساحة، يحملن المشاعل في

أيديهِنْ. ولَا أَعْدَنْ الفِرَاشِ الْفَاخِرِ، اسْتَدْعَيْنَ أُودِيْسِيُوسَ وَقَلْنَ لَهُ: «انْهَضْ الْآنَ، أَيْهَا الْغَرِيبُ، كَيْ تَنْهَبْ إِلَى رَاحْتِكَ؛ فَقَدْ أَعْدَ فِرَاشَكَ». ما إنْ سَمِعَ أُودِيْسِيُوسَ كَلَمَهُنَّ، حَتَّى رَحَّبَ بِالنَّوْمِ؛ وَمِنْ ثُمَّ رَقَدْ أُودِيْسِيُوسَ الْعَظِيمُ، الْكَثِيرُ الْمَعَانِيَةُ، فَوْقَ الْفِرَاشِ الْمَكَوْنُ مِنَ الْحِبَالِ الْمَشْدُودَةِ تَحْتَ الرَّوَاقِ الْمُدُوِّيِّ. بَيْنَمَا رَقَدْ الْكِيْنُوسُ فِي مَخْدُعِهِ الدَّاخِلِيِّ بِالْقَصْرِ الْبَادِخُ، وَرَقَدَتْ إِلَى جَوَارِهِ السَّيْدَةُ زَوْجُهُ، الَّتِي أَعْدَتْ الْفِرَاشَ.

## الأنشودة الثامنة

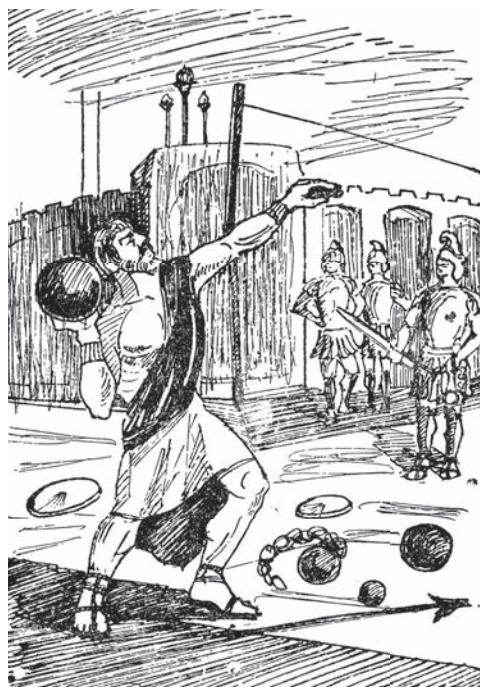
### ألكينوس يخطب في حشد الفياكين

ما إن بزغ الفجر الوردي الأنامل مبكراً في أفق السماء، حتى نهض ألكينوس القوي العتيـد من مخدعه، كما استيقظ أيضاً أوديسيوس سليل زوس، ومُخـربـ المـدنـ. وـتـقـدـمـ أـلـكـيـنـوسـ،ـ القـوـيـ العـتـيـدـ،ـ يـقـوـدـ ضـيـفـهـ إـلـىـ مـكـانـ اـجـتـمـاعـ الفـيـاـكـيـنـ،ـ الـذـيـ كـانـ قـدـ بـُـنـيـ لـهـ بـالـقـرـبـ منـ سـفـنـهـ،ـ فـبـلـغـاـ الـمـكـانـ،ـ وـجـلـسـاـ فـوـقـ الـأـحـجـارـ الـمـصـقـوـلـةـ،ـ كـلـ مـنـهـمـ بـقـرـبـ الـأـخـرـ،ـ بـيـنـمـاـ انـطـلـقـتـ بـالـأـسـ أـثـيـنـاـ،ـ تـسـيرـ خـلـالـ الـمـدـيـنـةـ،ـ فـيـ صـوـرـةـ رـسـوـلـ أـلـكـيـنـوسـ الـحـكـيمـ،ـ تـدـبـرـ أـمـرـ عـوـدـةـ أـوـدـيـسـيـوـسـ الـجـسـوـرـ،ـ فـكـانـتـ تـقـرـبـ مـنـ كـلـ رـجـلـ وـتـقـوـلـ لـهـ:

«هـيـاـ الـآنـ،ـ يـاـ قـادـةـ وـمـسـتـشـارـيـ الـفـيـاـكـيـنـ،ـ هـلـمـوـ إـلـىـ مـكـانـ الـاـجـتـمـاعـ،ـ حـتـىـ تـعـرـفـواـ خـبـرـ الغـرـبـ الـذـيـ جـاءـ حـدـيـثـاـ إـلـىـ قـصـرـ أـلـكـيـنـوسـ الـحـكـيمـ،ـ بـعـدـ تـجـوـالـهـ عـبـرـ الـبـحـرـ،ـ وـفـيـ صـوـرـ أـشـبـهـ بـالـخـالـدـيـنـ.ـ»

هـكـذـاـ كـانـتـ تـقـوـلـ،ـ فـأـتـارـتـ رـوـحـ وـقـلـبـ كـلـ رـجـلـ،ـ وـمـاـ هـيـ إـلـاـ فـتـرـةـ قـصـيـرـةـ حـتـىـ عـجـ مـكـانـ الـحـشـدـ،ـ وـأـمـتـلـأـتـ الـمـقـاعـدـ بـالـرـجـالـ الـذـيـنـ اـجـتـمـعـوـ هـنـاـكـ.ـ وـقـدـ عـجـبـ كـثـيـرـوـنـ مـنـ مـنـظـرـ ابنـ لـاـيـرـتـيـسـ الـحـكـيمـ؛ـ إـذـ سـكـبـتـ أـثـيـنـاـ عـلـىـ رـأـسـهـ وـمـنـكـيـبـهـ جـمـالـاـ رـائـعـاـ عـجـيـبـاـ،ـ كـمـاـ جـعـلـتـهـ يـبـدوـ أـطـوـلـ وـأـقـوـيـ أـمـاـمـ نـاظـرـ الرـائـيـنـ،ـ كـيـ يـرـحـبـ بـرـؤـيـتـهـ سـائـرـ الـفـيـاـكـيـنـ،ـ وـيـحـظـىـ بـاحـتـرـامـهـ وـتـوـقـيرـهـ،ـ وـكـيـ يـسـتـطـيـعـ إـنـجـازـ الـأـعـمـالـ الـجـسـيـمـةـ الـعـدـيـدـةـ الـتـيـ اـخـتـبـرـهـ بـهـاـ الـفـيـاـكـيـوـنـ.ـ وـبـعـدـ أـنـ اـحـشـدـوـاـ،ـ وـاجـتـمـعـوـاـ مـعـاـ،ـ قـامـ أـلـكـيـنـوسـ فـيـ وـسـطـهـ،ـ وـخـاطـبـ جـمـعـهـ بـقـوـلـهـ:

«أـصـغـواـ إـلـيـ،ـ يـاـ قـادـةـ وـمـسـتـشـارـيـ الـفـيـاـكـيـنـ،ـ حـتـىـ أـلـقـيـ عـلـىـ مـسـامـعـكـمـ مـاـ يـأـمـرـنـيـ بـهـ قـلـيـ مـنـ وـسـطـ صـدـريـ.ـ قـدـمـ إـلـىـ قـصـرـيـ هـذـاـ الغـرـبـ –ـ وـلـسـتـ أـدـريـ مـنـ هـوـ –ـ ضـمـنـ تـجـوـالـاتـهـ،ـ سـوـاءـ أـكـانـ مـنـ أـقـوـامـ الـشـرـقـ،ـ أـوـ مـنـ سـكـانـ الـغـرـبـ.ـ إـنـهـ يـرـجـوـنـيـ فـيـ أـنـ أـبـعـثـ بـهـ



وأمسك بجَلَّةً أَكْبَرَ وأَغْلَظَ مِنْ سَائِرِ الْجَلَّ.

إِلَى وَطْنِهِ، وَيُلْجُ فِي التَّوْسُلِ. هِيَا مِنْ جَانِبِنَا، كَمَا هِيَ عَادِتْنَا مِنْذَ غَابِرِ الْأَزْمَانِ، أَنْ نُسْرِعَ فِي إِرْسَالِهِ؛ فَمَا مِنْ رَجُلٍ، أَيّْا كَانَ، مَمْنَ يَأْتُونَ إِلَى قَصْرِي، يَبْقَى هُنَا حَزِينًا لِمَدِّ طَوِيلَةِ، مِنْ جَرَأَهُ عَدَمِ إِجَابَةِ طَلْبِهِ فِي الْعُودَةِ إِلَى بَلْدَهُ. هَلَمُوا بِنَا، نُنْزَلِ سَفِينَةً سُودَاءَ إِلَى الْبَحْرِ الْلَّامِعِ؛ لِتَقْوِيمِ بَأْوَلِ رَحْلَاتِهِ، وَلِيُنْتَخِبَ الرَّجُالُ مِنْ بَيْنِهِمْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ شَابًّا، مِنْ خِيرَةِ الْقَوْمِ نَشَاطًا وَقُوَّةً. وَبَعْدَ أَنْ تُعْدُوا الْمَجَانِيفُ كَمَا يَجِبُ فِي فَتْحَاهُا<sup>١</sup>، اذْهَبُوا إِلَى الشَّاطِئِ، ثُمَّ خَذُوا طَرِيقَكُمْ إِلَى قَصْرِي، وَأَعْدُوا وَلِيمَةً بِسْرَعَةٍ، وَلِسُوفَ أُفْدِمُ لَكُمُ الْوَلِيمَةَ بِسْخَاءَ لِلْجَمِيعِ. هَذَا هُوَ مَا أَمْرَ بِهِ الشَّبَانُ، كَمَا أَرْجُو سَائِرَ الْأَخْرَيْنِ، مِنْ الْمَلُوكِ ذُوِي الْصُّولَجَانِ، أَنْ يَتَفَضَّلُوا بِتَشْرِيفِ قَصْرِي الْجَمِيلِ، حَتَّى نُسْتَطِعَ دُعَوَةَ هَذَا الْغَرِيبِ فِي سَاحَاتِنَا، لِنَحْتَفِلَ بِمُقْدَمِهِ،

<sup>١</sup> أو: «مقاعد التجذيف».



ولستُ أقبل من أي أحد رفض دعوتي هذه، واستدعوا إلينا المنشد المقدس، ديمودوكوس Demedocus؛ إذ حباه الرب، دون سائر غيره، بالمهارة في الغناء، كي يُطرب الناس بالفن الذي تجود به روحه، وتدفع به إلى الغناء».

هكذا تكلّم، وتقدّم الجمع في الطريق، يتبعه الملوك ذوو الصولجان، بينما انطلّق أحد الرسل لاستدعاء المنشد المجلّ. وذهب اثنان وخمسون من الشباب المختار إلى شاطئ البحر الصالح كما أمر ألكينوس<sup>٢</sup> فأنزلوا السفينة السوداء، إلى المياه العميقية، وبعد أن ركبوا، والبحر، ثبّتوا الصاري في السفينة السوداء، ووضّعوا الشراع في مكانه بالسارية، وربطوا المجاذيف إلى فتحاتها بالسيور الجلدية، كلها في تنسيقٍ بديع، ونشروا الشراع الأبيض. وهكذا بمهارةٍ بالغةٍ في أفنان البحر، أنزلوا السفينة إلى اليم، ثم انطلّقوا يُشقّون طريقهم إلى قصر ألكينوس الحكيم، المنيف. لقد كانت الأروقة والساحات والقاعات زاخرةً كلها بالرجال المحتشدين؛ إذ كانوا كثيري العدد، شيوخًا وشبانًا. لقد نحر لهم ألكينوس، اثني عشر خروفًا، وثمانية خنازير ببرية، بيض الأنبياء، وثورتين سميئين متّاكي المشية، فسلخوا هذه وأعدّوها، وصنعوا منها وليمةً فاخرة.

<sup>٢</sup> الترجمة: كما أمر.

## المنشد يُغْنِي والقوم يُولِّمون

بعد ذلك اقترب الرسول بصحبة **المنشد المجيد**، الذي كانت تُحبه ربّات الشعر أعظم حُب دون سائر الرجال، ووَهْبَنَهُ الخير والشر معاً؛ إذ جرَّدَه من بصره، ومنحَنَهُ موهبة الغناء الشجي، فوضع بونتونوس Pontonous، الرسول له كرسياً مطعماً باللَّاجِينَ، وسط المدعوين، وأسندَهُ إلى عمودٍ طويل، وعلقَ قيثارته الواضحة النغمات على مشجبٍ قريبٍ فوق رأسه، وأرَاه كيف يصل إليها بيديه. كما وضع إلى جواره منضدةً جميلة، وسفطاً، وكأساً مليئة بالصهباء، كي يتناولها متى طاب له الشرب. وهكذا مُدُوا أيديهم إلى الطعام الشهي الموضوع أمامهم. حتى إذا ما انتهوا من الطعام والشراب، دفعت ربة الشعر المنشد إلى الغناء، فتقنَى بأعمال المحاربين المجيدة، تلك الأنشودة التي بلغ صيتها وقتذاك إلى عنان السماء الفسيحة، العراق بين أوديسيوس وأخيل Achilles ابن بيليوس Pejeus، وكيف تنازعَا ذات يوم بالفاظٍ ثائرة في وليمة فاخرة للآلهة، فُسُر أجاممنون، ملك البشر، في قرارة نفسه، من شجار خيرة الآخرين؛ فهكذا أخبره فوبيوس أبوُلو، أن هذا لا بد أن يحدث في بوثو Python المقدسة، عندما مر فوق العتبة الصخرية ليستفتي الوحي؛ لأن بداية المحن كانت تنصب حينئذٍ نحو الطرواديين، والدانين، تبعاً لإرادة زوس العظيم.

## أناشيد المغني تبكي أوديسيوس

تلك كانت الأغنية التي أنسدَها المغني الذاَّع الصيت، وعندئذٍ أمسك أوديسيوس بعبأته الفاخرة، الأرجوانية، بيديه القويَّتين، وجذبَها إلى أسفل فوق رأسه، مخفِّيا وجهه الجميل؛ لأنَّه أحس بالخجل أن تتساقط دموعه من تحت حاجبيه أمام الفياكين، وكلما كان المنشد المجلَّ يكُفُ عن الغناء، كان أوديسيوس يُزِّيَّح العباءة من فوق رأسه، ويسْمح دموعه، ثم يتناول الكأس ذات اليدين، ويُصْبِب السكائب للآلهة. وعندما يأمر نبلاء الفياكين المغني بالإنشاد، كان أوديسيوس يعود فِيُغْطِي رأسه ويتَّحَبُّ، مخفِّيا دموعه عن سائر غيره من الحاضرين، بيد أنَّ الكنوس وحده، هو الذي لاحظ ذلك وتنبَّأَ إليه؛ لأنَّه كان يجلس إلى جواره، وسمعه يئنُ بشدة، وفي الحال نهض وسط الفياكين، مُحِبِّي المجازيف، وتحدَّث إليهم قائلاً:

«أَصْغُوا إِلَيْيَّ، يَا قَادِهِ وَمُسْتَشَارِي الْفِيَاكِيْنِ، مُحِبِّي الْمُجَازِيفِ، لَقَدْ أَشْبَعْنَا قُلُوبَنَا بِالْوَلِيمَةِ الْطَّيِّبَةِ وَبِالْقِيَاثَةِ، رَفِيقَةِ الْوَلِيمَةِ الْمُمْتَعَةِ. دَعُونَا الآن نَخْرُجُ إِلَى الْخَلَاءِ لِنَقُومُ

بجميع صنوف المباريات، حتى إذا ما عاد هذا الغريب إلى وطنه، روى لأصدقائه، إلى أي حد نبُّ نحن غيرنا في الملاكمة والمصارعة، وفي القفز وسرعة الجري».٢

## دعوة الأبطال إلى المباريات

قال هذا ونهض يقودهم إلى الخارج، وتبعه الحاضرون، وتناول الرسول القيثارة العذبة الأنغام من على المشجب، وأمسك بيده ديمودوكوس، وقاده خارج الساحة، سائراً معه في نفس الطريق التي سار فيها الآخرون، من أشراف الفياكين، لمشاهدة المباريات. لقد انطلقا إلى مكان الاجتماع، يتبعهم حشدٌ عظيم لا يُحصيه عد، وقام كثيرٌ من شباب النبلاء؛ أكرونيوس Acroneüs، وأوكوالوس Ocyalus، وإلatriوس Elatreus، وناوتنيوس Nauteus، وبرومنيوس Prymneus، وأنخيالوس Anchialus، وإريتميوس Eretmeus، وبونتيوس Ponteus، وبوربوس Proreus، وثونون Thoon، وأنابيسينيوس Anabesineüs، وأمفاليوس Amphialus، ابن بولونيوس Polyneüs، ابن تيكتون Tecton، كما نهض أيضاً يوروالوس Euryalus، نظير أريس Ares قاهر البشر، ابن ناوبولوس Naubolus، الذي كان يفوق سائر الفياكين جمالاً وقواماً بعد لوداماس Laodamas المنقطع النظير، ونهض أبناء النبيل ألكينوس الثلاثة، لوداماس وهاليوس Halius، وكلوتونيوس Clytöneüs، الشبيه بالإله، فانطلقا هؤلاء أول من اشترك في سباق الجري بالأقدام، فحدّ لهم طريق من نقطة الدوران، فانطلقا جمِيعاً في سرعةٍ بالغة مثيرين غبار السهل، وكان النبيل كلوتونيوس أفضلاً لهم في سرعة العدو، فسبقهم جمِيعاً بمسافةٍ تبلغ طول صفينٍ من مائة بغل، واحداً وراء الآخر، فتقدمهم بهذه المسافة ووصل قبلهم إلى الحشد، تاركاً زملاءه خلفه. بعد ذلك قاموا بمبارزة المصارعة المتعبة، وفي هذه فاز يوروالوس على جميع الأمراء. وفي القفز كان أمفاليوس خير المبارزين جمِيعاً. أما في قذف الجلة فتفوق إلatrios على الجميع، وفي الملاكمة لوداماس الكريم، ابن ألكينوس، وبعد أن متّ الحاضرون أنفسهم بمشاهدة المباريات، قام لوداماس بن ألكينوس، وتكلم وسطهم، قائلاً:

«أيها الأصدقاء، لنسأل هذا الغريب، عما يعرفه من المباريات؛ فلا شك في أنه ليس ضعيف البنية، وإنه لقوى الفخذين وبطن الساق، والساعدين، وإن عنقه لغليظ، وقوته

٢ الترجمة الحرافية: وسرعة الجري بالأقدام.

هائلة، فلا يفتقر بأية حال إلى شيءٍ من قوة الشباب، ولكن أضنته المتابعة الجمة؛ فلا شيء في رأيي أسوأ من أن يُربك البحر الماء، ولا سيما إذا لم يكن جم القوة.»  
فقام يوروالوس بدوره يردد عليه بقوله: «لقد نطقَ بمنتهى الصواب، يا لوداماس، فلتذهب إليه بنفسك وتتحداه، مجاهاً بقولك أمام الجميع.»

فلما سمع ابن ألكينوس الكريم هذا، تقدمَ ووقف في الوسط وتحدّث إلى أوديسسيوس قائلاً: «وأنت سيدِي الغريب، ألا تُجرب حظك في المباريات، إن كنت تُجيد شيئاً منها؟ لا بد أنك تعرف المباريات؛ فلا شيء يزيد الماء مجدًا في حياته أكثر من ربحه بيديه وقدميه. تعال يا سيدِي، جرب واطرد الهم عن قلبك، فلن تتأخر رحلتك بعد الآن طويلاً. كلا؛ فقد أنزلت سفينتك إلى اليم، والبحارة مستعدون.»

عندئذ أجا به أوديسسيوس الكثير الحيل، بقوله: «لَمْ تسخر مني، يا لوداماس بهذا التحدي؟ إن الحزن ليملأ قلبي أكثر من المباريات؛ حيث إنني، فيما مضى عانيتُ الأهواز، وقايسْتُ الكثير، والآن أجلس في وسط هذا الملا، متلهفًا إلى عودتي لوطني، متوسلاً إلى الملك، وإلى جميع الشعب.»

فما كان من يوروالوس، الآن، إلا أن عَيَّرَه في وجهه، قائلاً: «أيها الغريب، إنني لا أُشَبِّهُك، حقًّا، بالرجل الماهر في المباريات، كمن يُشتَهِرون بين الرجال، ولكن بمن يسير جيئةً وذهابًا بسفينته ذات المقاعد، ونعتبره ربَّاً على البحارة التجار، ذلك الذي يفكر في بضائعه، ولا يهتم إلا بالسلع التي يحملها إلى وطنه، وبأرباحٍ جشعة، لا يبدو عليك أي شبه بالرجل الرياضي.»

### أوديسسيوس يشتراك في المباريات

قطب أوديسسيوس كثير الحيل ما بين حاجبيه وحدجَه بنظرةٍ غاضبة، قائلاً: «أيها الغريب، إنك لم تُحسن القول، وأشبه ما تكون بالأعمى في حماقته. لا شك أن الآلهة لا تقسم المواهب بالعدل بين الناس، لا في الهيئة، ولا العقل، ولا الفصاحة؛ فقد يكون الرجل أقل من غيره جملاً، فيُضِعُ الرب على نطقه تاجاً من الجمال، فيروق في نظر الناس، ويعلو قدره وهو

<sup>٤</sup> إن اللفظ اليوناني المستعمل ليس معناه «تاجاً»، ولكن المعنى المفهوم هنا لا يمكن التعبير عنه بغير كلمة «تاج».«

يتكلم بينهم بلا خطأ، وبتواضعٍ مقبول، فتشرئب إليه أعناق الملايين الحاضر، وكلما سار خلال المدينة تطلع إليه القوم كما يتطلّعون إلى إله. كما أن هناك رجلاً يشبه الخالدين جمالاً، ولا تتحلى ألفاظه بتاج من الجمال. هذا حالك؛ فإنك رائع الحسن، بحيث لا يستطيع أي إله أن يصلح فيه شيئاً، ولكنك خامل العقل. لقد أفزعت روحني في صدري، بعدم لياقتكم في الحديث. إنه لا تُعوزني المهارة في المباريات كما تقول. وأعتقد أنني كنت من الأوائل في أيام شبابي وقوه يدي. بيد أن الأهوال والألام قدّيَّتني الآن؛ إذ عانيت كثيراً بالاشتراك طويلاً في حروب الرجال، وبمقاومة اللُّجج العتيدة. بيد أنه رغم أنني قد تكبدتُ الكثير، فسأجرب حظي في المباريات؛ لأن كلمتك هذه قد وحَرَّتني في قلبي، وأثارني حديثك.»

### فوز أوديسيوس في رمي الجلة

ما إن قال أوديسيوس هذا، حتى وثب من مكانه، وهو ملتفٌ بعباته كما كان، وأمسك بجلةٍ أكبر وأغلظ من سائر الجلَّ، ولا تقل بحالٍ ما، عن أعظم ثقلٍ اعتاد الفياكين أن يتنافسوا بقذفه، فيما بينهم. أمسك تلك الجلة، وببرمجةٍ أرسل بها بعيداً، من يده القوية، فأحدثت الصخرة دويًّا وهي تطير فوق رءوس الجمع، حتى إنهم انبطحوا أرضاً؛ انبطح الفياكين ذنوو المجاذيف الطويلة، أولئك الرجال المشهورون بسفنهم، تحت هجمة الصخرة. وإلى أبعد من مدى الجميع، طارت مسرعةً بخفة من يده، وجاءت أثينا في صورة رجل، ووضعت علامة المدى بيدها، وخطّطتْ بقولها:

«حتى الأعمى، أيها الغريب يستطيع أن يُميّز هذه العلامة، وهو يبحث عنها، متحسّساً إياها بيديه؛ لأنها ليست بأية حالٍ قريبة من علامات الآخرين، بل هي أبعد منها جمِيعاً، بمراحل. إذن فلا أقل من أن تطّيب خاطراً بهذا الفوز؛ إذ لن يصل أي فرد من الفياكين إلى هذا المدى، أو يقذف إلى أبعد منه.»

هكذا تكلّمت، فسر أوديسيوس العظيم، الكثير التحمل، واغتبط إذ رأى لديه صديقاً صدوقاً، وعلى ذلك تكلّم وسط الفياكين بقلبٍ أخفَّ عبئاً:

«أيها الشبان، من استطاع منكم أن يقذف إلى هذا المدى فليفعل، وعندئذٍ أعتقد أنني سأرسل غيرها إلى نفس البُعد أو أبعد. إن كان هناك من بين الباقيين من يُحدّثه قلبه بمبراري، فليتقدم ويجرب – لأنكم أغضبتموني غاية الغضب – ول يكن في الملاكمة أو في المصارعة، أو في الجري؛ فأنا لا أبالي؛ ليتقدم أي واحدٍ من الفياكين أجمعين، ما عدا



وأمسك بجَلَّةً أَكْبَرَ وأَغْلَظَ مِنْ سَائِلِ الْجَلَّ.

لأوداماس فقط؛ لأنَّه مُضيَّفي، ومن ذَا الَّذِي يَتَعَارَكُ مَعَ مَنْ أَكْرَمَهُ؟ إِذْنَ لِكَانَ أَحْمَقَ وَمَنْ سَقَطَ الْمَتَاعَ، مَنْ تَحَدَّى فِي مِبَارَةٍ مُضيَّفِهِ الَّذِي رَحَّبَ بِمَقْدِمَهُ فِي أَرْضِ غَرْبِيَّةَ. إِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا بِحَظْوَظِهِ، أَمَّا سَائِرُ الْبَاقِينِ، فَلَنْ أَرْفَضَ تَحْدِيًّا أَحَدَ، وَلَا أَسْتَخْفَ بِأَحَدٍ، وَلَكِنِي أَرْحَبُ بِمَعْرِفَتِهِمْ، وَأَجْرَبُ حَظِّي مَعْهُمْ، رَجُلًا فِي مَوَاجِهَةِ رَجُلٍ؛ فَلَسْتُ ضَعِيفًا فِي أَيِّ شَيْءٍ، مِنْ شَتَّى أَلْوَانِ الْمَبَارِيَّاتِ الَّتِي يَمْارِسُهَا الْأَقْوَامُ؛ فَبِمَهَارَةٍ أَسْتَطِعُ اسْتِخْدَامَ الْقَوْسِ الْمَصْوَلَةِ، وَأَنَا الْأَوْلُ دَائِمًا فِي ضَرْبِ وَإِصَابَةِ رَجُلٍ بَيْنِ جَمْعِ الْأَعْدَاءِ، رَغْمَ أَنْ زَمَلَئِي يَقْفُونَ إِلَى جَانِبِي وَيُصُوبُونَ نَحْوَ الرَّجَالِ، وَلَمْ يَبُدُّنِي أَحَدٌ قَطَ سَوْيَ فِيلُوكَتِيَّيِّسِ Philoctetes. فِي الْقَوْسِ بِأَرْضِ الْطَّرَوَادِيَّينِ، يَوْمَ أَنْ حَارَبْنَا نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَخْيَّينِ، وَهَا أَنَا ذَا أَعْلَنَ أَنِّي الْمُبْرَزُ عَلَى سَائِرِ الْبَاقِينِ، مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ الَّذِينْ يَعِيشُونَ الْآنَ عَلَى ظَهَرِ الْبَسِيَّةِ، وَيَأْكُلُونَ الْخَبْزَ، وَلَكِنِي لَنْ أَسْعِي إِلَى مَنَافِسَةِ رَجَالَاتِ الْأَيَّامِ الْغَابِرَةِ، لَا مَعَ هَرْقَلِ Heracles، وَلَا مَعَ

يوروتوس Eurytus، أو مع أويحاليا Oechalia، الذي ناضل حتى مع الخالدين في الرماية بالقوس. وقد مات يوروتوس العظيم بسرعة، دون أن تبلغه الشيخوخة في ساحاته؛ لأن أبوه استشاط غيظاً، فقتله؛ إذ تحدّاه في مبارأة بالقوس. وفي مقدوري أن أذف الرمح أبعد من أيِّ رجلٍ يمكنه أن يصيب بالسهم، أما في سباق الجري بالأقدام. فأخشى فقط، أن يتفوق علىَّ فيه أحد من الفياكين؛ إذ أصبت بوحشية وسط الأمواج الصاخبة العديدة، حيث لم يكن بسفينتي أيةٌ مؤنة. وعلى ذلك تجدون أطرا في مرتخية.»

## ألكينوس يدعو الراقصين إلى الرقص

هكذا تكلَّم أوديسيوس، فلزم الجميع الصمت، ولكن ألكينوس وحده قال: «أيها الغريب، ما دمت لم تنطق بقبحِ وسطنا، ولكنك تعترض إظهار بسالتك التي تتمتع بها، غاضباً من أن ذلك قد ذهب إليك وعيرك بطريقَة غير لائقة، وإن من يعرف كيف يزن أقواله لا يمكن أن يستخف ببطولتك، هيا الآن، وأصغ إلى ما أقول، حتى تستطيع أن تُقصَّ لبطل آخر، عندما تكون في ساحاتك تُولم مع زوجك وأولادك، وتتذَكَّر مهارتنا، أيَّ ولائم قد جبأنا بها زوس منذ أيام آبائنا إلى يومنا هذا؛ لأننا لسنا معصومين من الخطأ في الملائكة أو المصارعة، ولكننا في سباق العَدُو نجري بسرعة، كما أننا خير بحارة في العالم، ونُغَرِّم دائمًا بالمائدة والقيثارة والرقص، وتغيير الملابس، والحمامات الدافئة، والمخابع. هيا الآن يا خيرة الراقصين الفياكين، استعرضوا رقصاتكم حتى يمكن لهذا الغريب أن يحكي لأصدقائه عندما يبلغ وطنه، كيف نفوق سائر غيرنا في أفنان البحر، وفي سرعة القدم، وفي الرقص والغناء. وليدذهب أحدكم فوراً فيحضر لديمودوكوس، القيثارة العذبة الألحان، المعلقة بأحد الأمكنة في ساحاتنا.»

## الرقص على أنغام القيثارة

هكذا تكلَّم ألكينوس، الشبيه بالإله، ونهض الرسول ليُحضر القيثارة الجوفاء من قصر الملك، بعد ذلك نهض أبطال الرقص، وكانتوا تسعه رجالٍ مختارين من بين الشعب، اعتادوا على تنظيم كل شيءٍ وسط الجموع، على أكمل وجه، فسُوّوا مكاناً للرقص، وحدّدوا حلقةً مناسبة الاتساع واقترب الرسول، يحمل إلى ديمودوكوس، قيثارته الشجية الأنغام. وبعد ذلك انتقل إلى وسط الحلبة، والتَّفَّ حوله صبيانٌ في ميزة الصبا، يجيدون الرقص بمهارةٍ



أي مهارة، وراحوا يضربون أرض الرقص العظيمة بأقدامهم، فُبُهت أوديسسيوس وهو يُحملق في ومضاتِ أقدامهم، ودُهش في قرارة نفسه.

أما المغني فأخذ يُوقّع الأنغام على أوتار القيثاراً بما يتمشى مع أنشودته العذبة، فتغنى بحب أرييس<sup>٥</sup> وأفروديتي ذات التاج الجميل، وكيف في البدء، رقداً سوياً، في بيت هيفايسوس، سرّاً، وأعطاهما أرييس هدايا عديدة، ودنس بالعار فراش السيد هيفايسوس. غير أن هيليوس طيرَ إليه النبأ في الحال؛ إذ كان قد أبصر بهما وهما يرقدان معاً في عشق، فلما بلغت الغصّة المؤللة مسامع هيفايسوس، ذهب، وهو في طريقه إلى مكان حدادته، يُدبر شرّاً في نفسه، وصنع قيوداً على السندان الهائل، قيوداً لا يمكن تحطيمها أو فكها، حتى يستطيع بها تكبيل العاشقين حيث كانوا. وبعد أن صنع، وهو في غضبه من أرييس، ذلك الفخ، ذهب إلى مقصورته حيث يُوجد الفراش، ونَثَرَ القيود في كل مكان حول قوائم الفراش، كما علّق فوقه قيوداً كثيرة، تتدلى من قوائم السقف الخشبية، وكانت دقّيقة جدّاً، أشبه بخيوط العنكبوب، كي لا يمكن لأحد، حتى من الآمة المباركين، أن يراها؛ إذ كانت مصنوعةً بمهارة تفوقُ الحد، وبعد أن نَثَرَ فخاخه كلها حول المخدع، تظاهر بالرحيل إلى ليمнос Lemnos.

<sup>٥</sup> أحد آلهة أوليمبوس وابن زوس وهيرا. وكان إله الحرب فينشرح صدره بضوضاء وضجيج القتال، وكذا برؤية الدماء والقتل.

القلعة المتينة البناء، التي كانت عزيزة على نفسه أكثر من جميع البلاد. ولم يكن أريس، ذو العنان العسجدي، أعمى في ملاحظته هيفايسستوس؛ فعندما رأى هيفايسستوس الذائع الصيت بمهارة يديه، يرحل، انطلق في طريقه إلى منزل هيفايسستوس الشهير، مشتاقاً إلى غرام كوثيريا <sup>1</sup> Cytherea، الجميلة التاج، وكانت قد حَضَرْتِ لِتَوْهَا من بيت أبيها، ابن كرونوس، العتيد، واستوت جالسة، فدخل أريس المنزل، وأمسك بيدها، وتحدى إليه بقوله:

«تعالي يا حبيبي، هيا إلى الفراش لأنأخذ متعتنا، مضطجعين معًا؛ لأن هيفايسستوس لا يوجد الآن بهذه البلاد، بل رحل منذ برهة، كما أعتقد، إلى ليمнос، لزيارة السنطين Sintians المتعجري في الحديث.»

هكذا قال، فبدا لها أن الضطجاع معه أمرٌ لذِيد مرغوب فيه؛ ومن ثُمَّ انطلقا إلى الفراش، واستلقيا ليناما، فأطبقَتْ عليهما قيود هيفايسستوس الحكيم الخادعة، ولم يستطعهما، بأية حالٍ من الأحوال أن يُحرِّكَا أطرافهم، ليفلتا منها. وعندئِذ عرفاً يقيناً أن لا منجاة منها، فاقترب منها ربُّ الذائع الصيت، ذو الساعدين المفتولين، <sup>7</sup> عائداً قبل أن يصل إلى بلاد ليمнос؛ إذ كان هيليوس يقوم بالحراسة من أجله، وأخْطَرَه في الحال بالأمر؛ ومن ثُمَّ انطلق إلى بيته، بقلبٍ مثقل بالألحان، ووقف عند الباب وقد استشاط غضباً وحَقَّا، وبقوَّةٍ صاح ينادي جميع الآلهة بقوله:

«أبْتَاه زُوس، وأنْتُمْ أَيْهَا الْآلَهَةُ الْآخِرُونَ الْمَبَارَكُونَ الْخَالِدُونَ، تَعَلَّوْا إِلَى هَذَا كَيْ تُشَاهِدُوَا أَمْرًا مَضْحَكًا مُزْرِيًّا، كَيْفَ تَسْخُرُ مِنِي أَفْرُودِيَّتِي، ابْنَةُ زُوس، بِسَبِّ عَرْجِي، وَتُغْرِمُ بَهْوِي أَرِيسَ الْمُخْرَبِ، بِسَبِّ جَمَالِهِ وَقُوَّةِ أَطْرَافِهِ، بَيْنَمَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا مُشْوَّهًا. وَمَعَ كُلِّ فَلنِ يُلَامُ عَلَى هَذَا سَوْى أَبْوَيِّ — لِيَتَهُمَا لَمْ يَنْجِبَايِّ أَبْدًا! إِنْكُمْ سَتَرُونَ بِأَنفُسِكُمْ كَيْفَ صَبَدُ هَذَا النِّتَنَانَ إِلَى فَرَاشِي، وَاضْطَجَعُوا مَعًا فِي عُشْقٍ، وَإِنَّ هَذَا الْمَنْظَرَ لِيَزْعَجِنِي. وَمَعَ كُلِّ فَلَانِهِمَا لَا يَشْتَهِيَانِ، كَمَا أَعْتَدَ أَنْ يَضْطَجِعَا هَذَا مَدَّأَطْلُوْلَ مِنْ ذَلِكَ، كَلَا، وَلَا حَتَّى لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا أَجْلَهُمَا هَذَا! سَرْعَانَ مَا سِيفَقَ كَلَاهُمَا الرَّغْبَةُ فِي النَّوْمِ، وَقَدْ أَمْسَكَ الْقِيُودُ وَالْفَخَاخِ بِتَلَابِبِهِمَا، إِلَى أَنْ يُرْدَدَ لِي أَبْوَاهَا، جَمِيعَ هَدَايَا الْغَزْلِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُ إِيَاهَا، مِنْ أَجْلِ ابْنَتِهِ عَدِيمَ الْحَيَاةِ؛ فَإِنْ ابْنَتَهُ جَمِيلَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تُمْسِكَ زِمَانَ شَهُوتِهَا.» <sup>8</sup>

٦ لقب من ألقاب أفروديتي، ربة الحب والجمال.

٧ ترجم أحياناً: «الأُنْجَر الساقين».

٨ وأحياناً تُترجم: «ولكنها تفتقر إلى الحصافة».

هكذا تكلَّم وتجمَّعت الآلهة في البيت ذي العتبة البرونزية. جاء بوسايدون مُطْوِق الأرض، وجاء المساعد هيرميس، والسيد أبوُلو، الرب القوَّاس.<sup>٩</sup> أما الربَّات فقد منعهن الحياة من المجيء، بل بقيَت كُلُّ منهن في بيتها. وأما الآلهة، مانحو الخيرات، فوقفوا عند الباب، وثارت عاصفةٌ لا تحمد من الضحك، وسط الآلهة المباركين، عندما أبصروا مهارة هيفايسوس الحكيم، فنظر أحدهم إلى جاره وتحدَّث إليه بقوله:

«لن تزدهر الأعمال الشريرة؛ فالبطيء يمسك السريع، كما تفوق هيفايسوس الآن، رغم بطئه، على أرييس، بالرغم من كونه أسرع الآلهة الذين يحتلُّون أوليمبوس؛ فمع كونه أعرج، أمسكَه بمهارته، وعلى ذلك، فإن أرييس يستحق غرامة الزاني».

هكذا راح الآلهة يتكلُّمون فيما بينهم، أما السيد أبوُلو بن زوس، فقال لهيرميس: «أي هيرميس بن زوس، أيها الرسول، يا مانح الخيرات، ألسْت بربك مستعداً، حتى ولو كنت مقيداً بالأصفاد المكينة، أن ترقد فوق فراشي، إلى جانب أفروديتِي الذهبية؟» عندئذٍ أجا به الرسول، أرجايفونتيس، بقوله: «لَيْتْ هذا يحدُث، يا سيدِي أبوُلو، أيها الرب القوَّاس. ليتني أطْوَق بثلاثةِ أمثالِ هذه الأصفاد المكينة، بينما أنت الآلهة، وجميع الإلهات أيضاً تبصرونني، لقاءَ أن أرُقد إلى جانب أفروديتِي الذهبية».

ما إن قال هذا، حتى انفجر الآلهة الخالدون ضاحكين، ولكن رغم ذلك لم يضحك بوسايدون، بل طَفِق يتتوَّل إلى هيفايسوس، الصانع الذائع الصيت، أن يُطْلِق سراح أرييس، قائلاً بعباراتٍ مجنة:<sup>١٠</sup>

«أطلق سراحه، وأعدك، كما تطلب مني، بأنه سوف يدفع لك كل ما يجب، في حضرة الآلهة الخالدين».

عندئذٍ أجا به الرب الذائع الصيت، ذو السواعد المفتولة، بقوله: «أما هذا، فلا تطلب مني، يا بوسايدون، يا مُطْوِق الأرض، يجب التأكُّد أولاً، من أن ذلك الوغد نادم حَقّاً. وكيف أضعك في القيود وسط الآلهة الخالدين، لو أن أرييس رفض سداد الدين أو العودة إلى القيود، وانصرف؟»

<sup>٩</sup> ويُحتمل أن يكون المعنى هنا «مانع الشرور» أو «الذي يعمل من بعيد».

<sup>١٠</sup> أي: حماسية.

فرَدَّ عليه بوسايدون، مزلزل الأرض، بقوله: «أيا هيفايسوس، حتى إذا امتنع أريس عن الدين وهرب، فأنا على استعداد لأدفعه لك.»  
فقال الرب، الدائم الصيت القوي الساعدين: «لا يصح، بعدئِنْ أن أرفض مطلبك، كما أن هذا لا يليق.»

قال هيفايسوس القوي هذا وفك القيود، وما أطلق سراح الاثنين، حتى قفزا في الحال، وانطلقا، فرحل أريس إلى تراقيا Thrace، أما أفروديتى، محبة المرح، فانطلقت إلى قبرص Cyprus إلى بافوس Paphos، حيث يُوجَد مذبحها الجميل العبق. وهُرَعَت رَبَّاتُ الحسن <sup>١١</sup>، يغسلنها ويدهنن جسمها بالزيت الخالد، كذلك الزيت الذي يتلألأ على الآلهة الخالدين، ودُثُرَتْها بملابس جميلة، أُعجبوبة للرائيين.  
أنشد المغني الدائم الصيت هذه الأنشودة، فُسْرُ أوديسيوس في قلبه وهو يُصْغِي. كما ابتهج أيضًا الفيakaيون ذوو المجاذيف الطويلة، أولئك الرجال المشهورون بسففهم.

### انفراد راقصين ببرقصة الكرة

بعد ذلك، أمر ألكينوس، هاليوس Halius، ولادamas أن يرقصا وحدهما؛ إذ لم يكن في استطاعة أي فرِيدٍ أن يتحداهما، فتناولا في أيديهما كأس الأرجوان، تلك الكرة الرائعة الجميلة التي كان بولوبوس Polybos العظيم قد صنعا لهما، وشرع أحدهما ينحني إلى الوراء، ويقذف بها نحو السحب الظاهر، وعندئِن ينبري الآخر، فيقفز عالياً، من فوق الأرض، ويلقها بمهارة قبل أن تلمس أقدامه الأرض ثانية. وبعد أن عرضا مهارتهما في قذف الكرة عالياً، أخذ <sup>١٢</sup> يرقصان فوق الأرض الفسيحة، بينما يقذفان بالكرة غُدوًا ورواحًا، ووقف الشبان الآخرون يُصْفِقُون لهما على الودحة فينبئون بذلك ضجيج أيُّ ضجيج.  
بعد ذلك تحدَّث أوديسيوس العظيم إلى ألكينوس، قائلاً: «سيدي ألكينوس، أيها المشهور أكثر من سائر الرجالات، <sup>١٣</sup> لقد زهوتَ بأن راقصيك أفضل راقصين، وحق لك ذلك؛ إذ تتملَّكُني الدهشة وأنا أنظر إلى روعة رقصهما.» <sup>١٤</sup>

<sup>١١</sup> كن ثلاثة.

<sup>١٢</sup> الترجمة الحرافية: أخذ الاثنين.

<sup>١٣</sup> أو: «الأناسي».

<sup>١٤</sup> يقول النص اليوناني: وأنا أنظر إليهما.

## ألكينوس يُشيد بأوديسوس

سر ألكينوس القوي العتيد، لذلك القول، فنهض وسط الفياكين، مُحبِي المذاف، وخارطُهم بقوله:

«أصغوا إلىّ، يا قادة ومستشاري الفياكين، يبدو لي، بحق، أن هذا الغريب رجلٌ سامي الإدراك، هيا إذن نُقدِّم له هدايا صدقة، تليق به. إن في بلادنا اثنتي عشر ملكاً عظيماً يقبضون على زمام الملك، وأنا الثالث عشر، فهل لكم أيها الاثنا عشر ملكاً، هل لكل واحدٍ منكم أن يُحضر عباءة ومعطفاً حديثي الغسل، وتالننا من الذهب البراق، ولنحضر هذا، كلنا معًا، حتى يمكن للغريب، بعد أن يتناول هدايانا بيديه، أن يذهب إلى عشائه مسروراً، في قراره نفسه. أما يوروالوس، فليصلح ذات البين مع هذا الغريب، بالقول وبالهديّة؛ إذ انفلتَ من بين شفتيه كلمة، لم تكن بأية حال لائقة».

هكذا تكلَّم، وأثنتي الجميع على رأيه، وقررُوا أن ذلك عين الصواب، وبعث كلُّ منهم رسولاً ليُحضر الهدايا وقام يوروالوس، وقال:

«سيدي ألكينوس، يا من يفوق صيتك، شهرة سائر الناس، إنني على أتم استعدادٍ لإصلاح ذات البين مع هذا الغريب، كما أمرت؛ فسأعطيه هذا السيف، المصنوع كله من البرونز الخالص، ومقبضه من اللجين، وغمده المحيط به، من العاج المنحوت حديثاً، وعندئذٍ سيكون له شيئاً عظيم القيمة».

## أوديسوس يتلقى هدايا كثيرة

قال هذا، وقدَّم السيف المرصَّع بالفضة، بين يدي أوديسوس العظيم، وتحدَّث إليه بعباراتٍ مجنة،<sup>١٥</sup> فقال: «مرحباً بك، أيها السيد الغريب، أرجو، إذا كان لكماتي وقعٌ عنيف، أن تذهب بها الرياح الهوج في الحال، فتطرير بها سريعاً وتحملها بعيداً، أما أنت فهل للآلهة أن تمنحك رؤية زوجك، وبلغه وطنك؛ إذ قد عانيت الأهواز مدةً طويلة بعيداً عن أصدقائك؟» فأجابه أوديسوس، الكثير الحيل، بقوله: «لك السلام، كل السلام أيضاً، أيها الصديق، وإنني لأطلب من الآلهة أن تهبك السعادة. وهل لك، من الآن فصاعداً، ألا تنسي هذه العبارة الرقيقة التي أصلحت بها الأمور بيني وبينك؟»

<sup>١٥</sup> أي: حماسية.

ما إن انتهى من حديثه هذا، حتى عَلَق السيف المرصَع بالفضة، فوق كتفيه، وعندئِذ غَرَبَت الشمس، وأحضرتُ إليه الهدايا المديدة، وهذه حملها الرسل المبَجلُون إلى قصر الْكِينُوس، فأخذ أبناء الْكِينُوس المنقطع النظير الهدايا الجميلة، ووضَعوها أمام والدتهم الموقرة. وتقدَّم الْكِينُوس القوي العتيق، الجمع إلى داره، فدخلوا واستووا فوق المقاعد العالية. وبعد ذلك تحدَّث الْكِينُوس العتيق إلى أريتي بقوله:

«أي زوجتي، أحضرني إلى هنا، صندوقاً ضخماً، أفضل صندوقٍ لديك، وضعِي فيه بنفْسِكِ عباءة ومعطفاً حديثي الغسل، وهل تتفضَّلي بأن تضعِي للغريب، قُدْرًا مملوءةً بالماء فوق النار، حتى يكون لديك ماءً ساخنًّا يستحم به، فيري، وهو مُتزيَّ بأجمل الثياب، جميع الهدايا التي جاء بها إلى هنا الفياكِيون النبلاء، وعندئِذ يَتَمُتع بالوليمة، وبسماع شُدُوِّ الأغاني العذبة. وسأقدِّم له هذه الكأس الجميلة المصنوعة من الذهب الإبريز، كي يتذَكَّر طوال أيام حياته، وهو يسُكِّن السكاكين في ساحاته، لزوس وللآلِهَة الآخرين».

### أوديسيوس يحفظ الهدايا في صندوقٍ مكين

ما إن أتم الْكِينُوس كلامه، حتى أمرت أريتي خادماتها بأن يضعن قُدْرًا ضخمةً فوق النار، بسرعة، فأذعنَت الإماء، ووضعنَ الْقُدْر فوق النار المشتعلة، ملءَ الحمام، وصَبَّنَ الماء في الْقُدْر، ووضعنَ كتلاً من الخشب في النار تحتها؛ عندئِذ انزلعتُ ألسنة اللَّهَب تلعب حول بطن الْقُدْر، وسخنَ الماء، وفي نفس الوقت أحضرتُ أريتي للغريب صندوقاً جميلاً، من حجرة النفائس ووضَعَت فيه الهدايا العظيمة، من ثيابٍ وذهب، التي قدَّمها إله الفياكِيون، كما وضَعَت داخله، بنفسها، عباءة ومعطفاً جميلاً، ثم خاطبَت أوديسيوس بكلماتٍ مجنة، قائلةً:

«تولَّ بنفْسِكِكَ الآنِ إحكام غطاء الصندوق، ويسرعة اربط حوله حبلًا متينًا لئلا يسلبك أحدُ هدایاکَ في أثناء الطريق، وأنت مستغرق، فيما بعدُ، في النوم اللذيد، وسط السفينة السوداء».

عندما سمع أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، هذه الكلمات، قام في الحال وأحكم تثبيت الغطاء، ويسرعة لَفَّ حبلًا حوله، بعْدَه خفية، كانت كيركي<sup>١٦</sup> الجليلة قد عَلِمَتْه

١٦ ساحرة تقطن جزيرة إبایا التي وصل إليها أوديسيوس في أثناء جولاته.

إياها ذات يوم. وبعد ذلك أمرته ربة البيت، أن يُسرع بالذهاب إلى الحمام ليغتسل، سُر قلبه عندما أبصرَ الحمام الدافئ؛ إذ لم يعتد مثل هذه العناية منذ أن ترك منزل كالوبسو، ذات الشعر الفتّان؛ لأنه حتى ذلك الحين، كان يلقى الرعاية باستمرار، كما لو كان إلهاً.

## ناوسيكا تُودع أوديسيوس

وبعد أن غسلَته الإماء، ودعَّنْ جسمه بالزيت، ودَثَرَنْ بعباءة ومعطفِ جميَّلين، خرج من الحمام، وذهب لينضم إلى جميع الرجال في خمرهم. ووقفت ناوسيكا، التي حبّتها الآلهة بفتنة وجمالِ رائعين بجانب قائم باب القاعة المكينة البناء، وأعجبت بأوديسيوس، وهي ترمقه بنظراتها، وخطَّبَتْ بعباراتِ مجنحة، قائلةً:

«وداعاً أيها الغريب، وأرجو أن تذكّرني، وأنت في وطنك؛ لأنك تدين لي، أولاً، بثمن حياتك.»

فأجابها أوديسوس الكثير الحيل بقوله: «هيا ناوسيكا، يا ابنة أكينوس العظيم القلب، ليت زوس، زوج هيرا، العالي الرعد، يهُبُّني بلوغ وطني، والتمتع بيوم عودتي؛ عندئذٍ سأظل هناك أصلي لك، كما أصلي لإله، طوال أيامِي؛ فإنك، أنت يا سيدتي التي أعطيتني الحياة.»

## أوديسيوس يغمر المنشد بعطفه

قال أوديسيوس هذا وجلس فوق مقعدِ بجانب الملك أكينوس. وكان المجتمعون آنئذٍ يُوزّعون قطع اللحم ويخلطون الخمر، فاقترب الرسول، يقود المنشد الكريم، ديمودوكوس الذي يُجلُّ الشعب، وأجلسه وسط المدعّين، مسندًا مقعده إلى عمودٍ مرتفع. وعندئذٍ قطع أوديسيوس الكثير الحيل، قطعة من سلسلة ظهر خنزيرٍ بريٍّ أبيض الناب، من بين كثيرٍ من القطع وكانت غزيرة الدهن من كلا جانبيها، وأعطاهما الرسول، قائلًا:

«أيها الرسول، خذ هذا الجزء وقدّمه لديمودوكوس، ليأكله، وسوف أقوم بتحيته رغم أحزاني؛ فإن المنشدين يحظون بالمجد والاحترام بين سائر الناس الذين يسكنون الغراء؛ لأن ربة الشعر علّمْتهم طرق الغناء، وتحبّ معاشر المنشدين.»

ما إن قال هذا حتى تناول الرسول القطعة ووضعها في يدي السيد ديمودوكوس، فتناولها هذا مسرور القلب. وهكذا شرع القوم يأكلون من أطابق الطعام الشهي الموضوع

أمامهم. وبعد أن نالوا كفایتهم من الطعام والشراب، خاطب أوديسیوس، الكثير الحيل،  
ديمودوكوس بقوله:

«أيا ديمودوكوس، إني والحق يُقال؛ لأنّي عليك أكثر من سائر البشر، سواء أكان  
الذى علّمك الغناء هي ربة الشعر ابنة زوس، أو أبوّلو؛ لأنك تتغنى صادقاً وحيداً، بمصير  
الآخرين، كل ما صنعوا ولاقوه، وجميع المشاق التي قاسوها، كما لو كانت حاضراً معهم  
بنفسك، بمحض الصدفة، أو سمعت القصة من شخص آخر. والآن هيأ غير أغنيتك،  
وأنشدنا عن الجواب الخشبي، الذي صنعه إبيبيوس Epeius، بمساعدة أثينا، الجواب الذي  
ساقه أوديسیوس، ذات مرة إلى داخل القلعة، كضربٍ من الخداع، بعد أن ملأه بالرجال  
الذين خرّبوا إليوس، فلو تغنىت بحقٍّ عن هذه القصة؛ لأنّلعت على الملا أنّ الرب قد منحك،  
بقلبٍ رضيٍّ، موهبةً الغناء المقدس.»

### أوديسیوس يطلب سماع قصة الحصان الخشبي

ما إن انتهى أوديسیوس من حديثه هذا، حتى شرع المغني، يدفعه الرب، يُرسل أنشودته  
لتصل إلى الأسماع، متناولاً القصة حيث كان الأرجوسيون، قد ركبوا سفنهم ذات المقاعد،  
وأبحروا بعيداً، بعد إلقاء النار على أكواخهم، بينما كان الذين يقودهم أوديسیوس المجيد  
يجلسون في مكان اجتماع الطرواديين، مختبئين داخل الحصان، الذي سحبه الطرواديون  
أنفسهم إلى القلعة، فبقي واقفاً هناك، بينما جلس القوم حوله، وشرعوا يتكلّمون طويلاً،  
ولم يستطعوا الوصول إلى قرار. لقد حظيت ثلاثة آراءً باستحسانهم؛ إما أن يشُقُّوا الخشب  
الأجوف بالبرونز القاسي، أو يرفعوا الحصان إلى علوٍ شاهق، ويلقّوا به من فوق الصخور،  
أو يتركوه حيث هو كتقدمةٍ عظيمةٍ تليق بمقام الآلهة. كما قرّ قرارهم في النهاية؛ إذ كان  
مصيرهم أن يهلكوا بعد أن تحتوي مدينتهم الحصان الخشبي الهائل، الذي كان يجلس  
بداخله أفاليل الأرجوسيين، يحملون الموت والقدر للطرواديين. كما أنشد كيف تدفق أبناء  
الآخرين من الحصان، تاركين كهينهم الأجوف، وخرّبوا المدينة. أما الآخرون فقد أنشد كيف  
انطلقوا في مختلف الطرق يُخربون المدينة الشامخة. وأما عن أوديسیوس فذكر كيف أنه  
مثل أرييس، ذهب إلى بيت دايفوبوس Deiphobus بصحبة مينيلاوس، الشبيه بالإله. هناك  
كما قال، تعرّض أوديسیوس لأقسى ضروب القتال، ولكنه تغلّب في النهاية بمعونة أثينا  
العظيمة القلب.

## بكاء أوديسيوس يثير فضول الـكينوس

أنشد المغني الذي طبّقت شهرته الآفاق، هذه الأغنية، بينما ذاب قلب أوديسيوس، وبذلك الدموع وجنتيه من تحت حاجبيه، وكما تنتصب المرأة، وتُمْرَّق نفسها حول زوجها العزيز، المجنون أمام مديتها وشعبه، ساعيًّا إلى أن يُصْدُّ عن مديتها وأطفاله يوم الكريهة القاسي، وعندما تراه يُحْتَضَر ويُلْفَظ أنفاسه، تتعلّق به ويعلو صراخها، بينما الأعداء من خلفها، يضربون ظهرها وكتفيها برماحهم، ويقودونها بعيدًا في الأسر، لتقاسي الآلام والمشاق، فتدوي وجنتها تحت وطأة الحزن المُمْض. هكذا أيضًا ترك أوديسيوس دموعه السواجم تنهمر من تحت حاجبيه، وأخفى تلك العبارات التي ذرفها، عن الجميع. بيد أن الـكينوس، وحده لاحظه والتَّفَّتَ إِلَيْهِ؛ إذ كان يجلس بجواره، وسمع أنينه العنيف، فنهض في الحال، يتكلم وسط الفياكين، محبي المجازيف، قائلاً:

«أصغوا إِلَيْهِ، يا قادة ومستشاري الفياكين، دَعُوا دِيمودوكوس يُوقِفُ الآن قياثرته الصافية للحن، فإنه لا يقسم السرور بهذه الأغنية على الجميع سواسية؛ فمنذ أن بدأنا نتعشّى، وانساب المغني في الإنشاد، لم يكُفَّ هذا الغريب عن البكاء قَطَّ. إنني لأعتقد بحقِّ، أن الحزن لا بدَّ قد بَحَّ قلبه، فليكُفُّ المغني الآن، كي نمرح جميًعا ضيوفاً ومضيفين على حَدٍّ سواء، طالما أن هذا أَفْضَلُ بكثير، فمن العجيب أننا أَعْدَدْنا كلَّ هذه الأشياء من أجل الغريب الْبَجَلِ، إِرْسَالِهِ، وهدايا الصداقة التي نُقْدِّمُها بمحض حبنا؛ فهذا الغريب المتضرع، قد أعززناه كأَخٍ، وإنه لذو إِدْرَاكٍ ليس بالقليل. لا تُخْفِيَ بعد الآن في نفسك ما سأَسْأَلُكَ عنه؛ فالصراحة أَجْدِي بكثير. خَبِّرْني عن الاسم الذي اعتاد القوم أن ينادوك به في وطنك، أَمْكَ وآبِوك وجيرانك، وأَهْل بلدتك، والسكان الحيطون بها؛ إذ لا أحد من البشر بغير اسم، سواء أَكَانَ وضيًعاً أَمْ نبيلاً؛ حيث إنه قد وُلِّدَ في يومٍ من الأيام؛ لأن الآباء يهبون الأسماء للجميع عندما يُنْجِبونهم. كذلك خَبِّرْني عن بلادك وشعبك ومدينتك، حتى تستطيع سفناً أن تحملك إلى هناك، تشق طريقها بمهارة؛ إذ ليس للفياكين بحَارَة، ولا دفَّاتٍ كما للسفن الأخرى، ولكن سفنهم تفهم آراء وعقول البشر، من تلقاء نفسها، وتعرف مدن سائر الأقوام وحقولهم الخصبة، وبمنتها السرعة تشق عُبَابَ اليم، مختفِيًّا وسط الضباب والسحب، لا تخشى الأذى أو التحطيم إِطْلَاقًا. ومع كُلِّ فقد سمعتُ، ذات مرة قصة يرويها أبي ناوسيثوس Nausithous؛ إذ اعتاد أن يقول إن بوسايدون كان غاضبًا مُنًا، لأننا نُهَيَّئ لجميع الناس سفراً مُنًاً. لقد ذكر أنه سيأتي يوم، بينما تكون إحدى سفن الفياكين المتينة البناء عائدةً من رحلة عَبْرِ الخَضْم المظلم، سيضررها بوسايدون، ويُشَقْ جبلاً شاهقًا حول

مدينتنا.<sup>١٧</sup> هذا ما قاله ذلك الرجل العجوز، ولكن الرب إما أن يُحقق ذلك الأمر، وإما أن يتركه دون أن يتحقق، تتبعاً لمشيئته الكريمة. هيا الآن، وخفّبني عن هذا صراحة إلى أين رحلت، وإلى أي بلدان البشر ذهبت، واروّ لي ما تعرفه عن أولئك الأقوام، وعن مدنهم المتينة البناء، من منهم قساةٌ ظالمون متواحشون، ومن منهم يُحبون الغرباء ويخشون الآلهة في قلوبهم؟ وأنصح لي عن سبب بكائك ونحيبك، عند سماع مصير الدانين الأرجوسيين وإليوس، هذا صُنْع الآلهة الذين حاكوا خيوط الدمار للبشر كي يمكن أن تكون هناك أغنيةٌ لمن هم على وشك الولادة. هل سقط أحد ذوي قُرباكِ أمام إليوس، رجل طيب القلب صادق القول، أو زوج ابنتك، أو حموك، فهوّلاء هم أقرب الأقرباء للمرء من أبناء جلدته ودمه؟ أو هل هو صديقٌ عزيزٌ على قلبك، كريمٌ صادقٌ؟ فلا أسوأ من أن يفقد المرء أخاً رفيقاً، ذا قلبٍ فطين.»

<sup>١٧</sup> أي لكي يفصلهم عن البحر.



## الأنشودة التاسعة

### أوديسيوس يحكي مغامراته

عندئِنْ أجا به أوديسيوس الكثير الحيل، وقال: «سيدي ألكينوس، يا من طار صيّته أسرع من صيت الناس، ما أجمل الإصغاء إلى مُنشِدٍ كهذا الرجل، الذي يشبه الآلهة صوتاً! أما عن نفسي، فإنني أعلن أن أعظم مسّرة لي هي ما تنتظم سائر الشعب، والمدعون يجلسون في الساحات يستمعون إلى المنشد، وقد انتظموا في ترتيب مناسب، وإلى جوارهم موائدٌ زاخرة بالخبز واللحم، والساقي يملأ كثوس الخمر من الطاس ويدور بها هنا وهناك. هذا أجمل شيءٍ في الوجود يرود لنظرٍ. بيد أن قلبك يميل إلى السؤال عن محنّي المفجعة، كي يزداد بكائي وأنني. ولست أدرى بأي المحن أبدأ، ولا بأيها أنتهي؛ فكثيرة هي المصائب التي حبتني بها آلهة السماء. وسأبدأ الآن بإخبارك عن اسمي، حتى تعرفه أنت أيضاً، وكي أصبح فيما بعد، عندما أنجو من يوم القدر المشئوم، مُضيّفك، رغم أنني أقطن في بلادٍ نائية. إنني أوديسيوس بن لاريتس، المشهور بين البشر بجميع طرق الحيل، وتبلغ شهرتي السماء، وموطني إيثاكا، الواضحة للعين؛ حيث يُوجَد جبل نيريتون *Neriton*، المكسو بالغابات المائحة؛ إذ يُنظر إليه من بُعد، ومن حوله جُزرٌ عدّة متقاربة، الواحدة بجانب الأخرى، دوليخيوم *Dulichium*، وسامي *Same*، وزاكونثوس *Zacynthus* الكثيرة الغابات. أما إيثاكا نفسها فبقرب الأرض الرئيسية<sup>١</sup> في أقصى الظلام،<sup>٢</sup> وأما الجزر الأخرى فتقع منفصلة

<sup>١</sup> لا يجوز استعمال كلمة «منخفض» هنا لعدم صحتها؛ فإن ترجمة الفقرة كلها تجعل وصف هوميروس متفقاً والواقع الحقيقة. إنها تتفق والرأي القائل بأن إيثاكا هوميروس لا يمكن تشبّهها بثياكى *Thiaki*.

<sup>٢</sup> بل بليوكاس *Leucas*. ومن المُسلّم به أن هذه السطور تُوصِّم الشاعر بالجهل بجغرافية غرب بلاد الإغريق. أي من وجهة نظر الملاح، جاعلاً طريقه بحذاء الساحل صوب الظلمات والمنطقة المجهولة شمالاً وغرباً.

صوب الفجر والشمس. إنها جزيرة وَغْرَة، ولكنها مربيةٌ كريمة للشباب، أما بالنسبة لي، فليس هناك ما يمكن أن أراه أحلى من وطني. حقيقة، حاولت الربة الفاتنة كالوبسو، أن تَحْجَزَني إلى جوارها في كهوفها الواسعة، تواقةً إلى أن أغدو زوجها، وكذلك كانت تتلهف كيركي إلى الاحتفاظ بي في ساحتها، كيركي سيدة أيايا Aeaea المحشلة، وكانت تتوق أيضًا إلى الزواج بي، ولكنها لم تستطع إغراء قلبي بين ضلوعي. حَقًا، إنه ما من شيءٍ أَذْ من وطن المرأة والدَّيْه، حتى ولو كان في بيت الثراء، بعيدًا قصيًّا، في بلَدٍ غريب، نائِيًّا عن والدَّيْه. دعني أُخْبِرُكَ أيضًا بخبر عودتي المؤلمة إلى الوطن، التي أَنْزَلَهَا بي زوس، وأنا عائد من طروادة.



وتحَدَّثْتُ إليه، وأنا أُمِسِكُ في يدي طاسًا من الخشب، مملوءًا بالخمر.



### مغامرة أوديسيوس مع الكيكونيس

حملتني الرياح من إليوس، وساقتني إلى الكيكونيس<sup>٣</sup>، إلى إسмарوس Cicones. هناك نهبت المدينة، وقتل رجالها، ومن المدينة أخذنا زوجاتهم، وغنمنا كميات كبيرة من الكنوز، قسمناها فيما بيننا، واضعاً نصب عيني لا يُظلم أحد، بل تكون الأنصبة عادلةً بينهم على السواء. بعد ذلك أمرت الرجال، بأن تُطلق العنان لأقدامنا هاربين، ولكنهم لفروط غبائهم لم يسمعوا أمري، فأخذوا يحتسون الكثير من الخمر، وذبحوا خرافاً جمّة بجوار الشاطئ، وأبقاراً ملساء سمينة، متناقلة المشية. وفي تلك الأثناء، انطلق الكيكونيس واستنجدوا بكيكونيس آخرين من جيرانهم، فتجمع عدد أكبر وأشجع منهم، من الرجال القاطنين بعيداً عن البحر، وكانوا ماهرين في القتال من عرباتهم، ضد الأعداء، حتى إذا ما لزم الأمر، هبّطوا منها وقاتلوا على الأقدام، فما أصبح الصباح حتى هجم علينا جمّع

<sup>٣</sup> شعب من شعوب تراقيا هاجم أوديسيوس وأنصاره؛ لأنه سلبهم بدمتهم، فقتلوا ستة من كل سفينة. وكان ذلك هو المكان الذي أخذ منه أوديسيوس الخمر التي أثمل بها العملاق بولوفيموس.

منهم<sup>٤</sup> في عِداد أوراق الأشجار أو الأزهار النابضة في موسمها، وعندئِن نزل بنا مصيرٌ مشئوم من لدن زوس، فأصابنا نحن التعباء، كي نكابد المحن العديدة. لقد قاتلوا في نظام، وحاربوا بالسفن السريعة. وراح كل جانبٍ يقذف الآخر بالرماح البرونزية الأسئنة. ولأَنَّ كان الوقت لم يزل إذ ذاك صباحاً، وكان النهار المقدس يتضاءل، ونحن نصُد هجماتهم، ونطردهم بعيداً، رغم تفوقهم علينا في العدد. غير أنه عندما أخذت الشمس تؤذن بحل النَّيْر عن الثيَّران، تفوق علينا الكيكونيس، وهزَّموا الآخرين، وهلَّ ستُّه من رفاقي، المدرَّعين جيَّداً، من كل سفينة، أما بقيتنا، فقد نجينا من الموت والقدر.

### معركة أوديسسيوس مع الأمواج والأعاصير

أسرعنا بالإبحار من هناك، محزوني القلوب، ومسرورين بنجاتنا من الموت، رغم فقدنا زملاءنا الأعزاء، ولم أسمح لسفني بأن تبتعد مسافةً كبيرة، حتى نادينا ثلاَث مرات على كل واحدٍ من الرفاق التعباء، الذين جندَهم الكيكونيس فوق أرض السهل. وعندئِن أثار زوس، جامع السحب، الريح الشمالية، ضد سُفُتنا، فهاجت بعاصفةً عجيبة، وأخفى البر والبحر معًا بالغمام، ثم هجم الليل الداجي هابطًا من السماء، فأخذت السفن تجري بسرعة، وتمَّرَّقت أوصال أشرعتها إربًا من جراء عنف الريح؛ وعلى ذلك أنزلنا الأشرعة وخَرَّناها بعيدًا خشية الموت، ورحنا نُجذَّب بالسف في سرعة بالغة صوب البر. هناك استغرقنا في الرقاد طيلة ليلتين ويومَين، وقد ذابت قلوبنا تعبًا وأسى، غير أنه ما إن أعلن الجميل الغدائر مولد اليوم الثالث، حتى رفعنا الصواري ونشرنا الأشرعة البيضاء، واتخذنا مقاعدنا، وطفق البحارة والرياح يُسَيِّرون السفن. وحيينَ كدتُ أبلغ وطني سليمًا، لولا أن الأمواج والتيار والريح الشمالية، عادت تكيل لي الضربات، وأنا أدور حول ماليا Malea، ودفعَتني خارج طريقي، بعيدًا عن كوثيرا Cythera.

### أوديسسيوس في بلاد آكلة اللوتس

بقينا مدة تسعه أيام، منذ ذلك الحين، تحملنا الرياح الهوج عبر الخضم الراهن، حتى إذا ما أقبل اليوم العاشر، وطئت أقدامنا أرض بلاد آكري اللوتس Lotus-eaters، الذين غذَّوْهم

<sup>٤</sup> الترجمة الحرافية: «وفي الصباح هجموا علينا».

الأزهار، فنزلنا إلى البر، واستقينا الماء، وفي الحال تناول رفافي طعامهم بجانب السفن السريعة. وبعد أن أكلنا وشربنا أرسلتُ بعضاً من رفقائي ليستطعوا ماهية أولئك القوم الذين أكلوا حبزاً فوق تلك اليابسة، فاخترتُ اثنين من رفقائي، وأرسلتُ معهم رجلاً ثالثاً كرسول ... وعلى ذلك انطلقا في الحال واختلطوا بأكلي اللوتس، ولم يسعَ أكلوا اللوتس إلى قتل زملائي، بل قدّموا لهم شيئاً من اللوتس ليتذوقوه، وما من واحدٍ منهم أكل ثمرة اللوتس، التي تعدل الشهد حلاوة، إلا وقد الرغبة في العودة أو إحضار نبياً عن رفيقه، بل طاب لهم البقاء هناك بين أكلي اللوتس، متذذلين اللوتس غذاءً لهم وناسين طريقهم إلى الوطن، ولكنني أرجعتُ هؤلاء الرجال بالقوة إلى السفن، وهم يبكون، وحملتهم إلى أسفل المقاعد، وأحکمتُ قيدهم إلى السفن الواسعة، أمراً بقيمة ملائي الأوفقاء، أن يُسرعوا بركوب السفن السريعة، لثلا يأكل أي فردٍ منهم اللوتس خطأ، فينسى رحلته إلى الوطن، فأخذن الرجال للأمر، واعتلو السفن من فورهم، وجلسوا فوق المقاعد، وما إن استووا في أماكنهم، حتى شرعوا يضربون البحر السنجابي بالمجاذيف.

### أوديسيوس في بلاد العمالقة

وهكذا أبحرنا من هناك، والحزن يملأ قلوبنا، وبلغنا بلاد الكوكلوبيس، أولئك القوم المتعطّرسين الذين لا يخضعون لأي قانون، بل جلُّ اعتمادهم على الآلهة الخالدين، لا يغرسون بأيديهم نبتاً، ولا يحرثون أرضاً، بل تنمو كل مزروعاتهم دون بذر ولا حرث، القمح والشعير والكرום الحاملة لعناقيد الخمر الغنية، كما يهُبُّهم زوس المزيد بأمطاره. إنهم لا يعقدون اجتماعاتٍ للتشاور، ولا يتبعون قوانين محدودة، بل يعيشون فوق ذؤابات الجبال الشامخة، في كهوفٍ واسعة، وكلُّ منهم يسُّن القوانين لأطفاله وزوجاته، ولا يسلب أحدهم الآخر شيئاً.

والجزيرة هناك مستويةٌ تمتد خارج الميناء بانحراف، وليس قريبة من أرض الكوكلوبيس، كما أنها ليست بعيدةً عنها. إنها جزيرة كثيرة الغابات، تكثر فيها المعiz

<sup>٠</sup> نظراً إلى الشك الذي يكتنف المعنى الحقيقي للكلمة اليونانية، فإن البعض يترجمها «عميقة التربة»، والبعض الآخر «جريدة».



المتوحشة التي لا حصر لها؛ إذ لا يُخيفها سير الناس ولا يُبعدها عنهم، كما أن الصيادين لا يذهبون إلى هناك، أولئك الرجال الذين يتجمّشون المتابع خلال الغابات، وهم يُشّقون طريقهم فوق قمم الجبال، وإنها غير محظة بقطعان الماشية، وليس مفلوحة، بل تظل غير مزروعة ولا مفلوحة طوال الأيام، لا تعرف شيئاً عن البشر، ولكنها تطعم المعiz الناغية؛ لأن الكوكلوبيس لا يملكون أية سُفنٍ قرمذية الخود.<sup>٦</sup> كما أن بلادهم خالية تماماً من صانعي السفن الذين يبنون السفن المكينة المقاعد، التي تُنجز لهم سائر مطالبهم، وهم ينتقلون إلى مدن أقوام آخرين، كما يحدث عندما يعبر الناس البحر على متون السفن للتزاور — الصناعُ القادرون أن يجعلوا من تلك الجزيرة موطنًا جميلاً — فإن

<sup>٦</sup> أي ذات مقدمة مطلية باللون الأحمر.

الجزيرة ليست بأي حالٍ فقيرة، ولكنها تؤتي كل شيء في أوانه؛ فيها مروجٌ بجانب شواطئ البحر السنjabي، مروجٌ جيدة الري ناعمة، حيث لا تُكُفُ الكروم عن النمو، وبها أرضٌ حرثٌ مستوية، يستطيعون منها أن يحصدوا الغلات الوفيرة من موسم إلى موسم؛ إذ إن التربة أَسفل السطح خصبةٌ كل الخصب، وكذلك بها ميناءٌ يُسْهَلُ إرساء السفن بها في أمان، دون حاجة إلى المراسي، إما بـإلقاء مرساة من البحر، أو بـتثبيت الكوثر بالحبل، فيمكن للمرء إرسال سفينته على الشاطئ وينتظر حتى ينتوي البحارة الإلقاء، وتُهُبُ الريح المعتدلة. وينبتق من الأرض عند رأس البناء عينٌ ماءٌ نمير، من تحت كهف، وتنمو حوله أشجار الحور، فأبحرنا إلى هناك. وقد أرشدنا أحد الآلهة خلال الليل الداجي؛ إذ لم يكن يُرى هناك أي ضوء، بل كانت تحُطُ على السفن غمامٌ كثيفٌ، ولم يُرسِل القمر أي نورٍ من السماء، بل بقي متحجباً خلف السحب؛ ولذلك لم تبصر عين أي رجلٍ تلك الجزيرة، ولم نشاهد اللُّجج الطويلة وهي ترتطم بالشاطئ إلا بعد أن سحبنا سفننا القوية المقادع فوق الساحل. وبعد أن أخذناها فوق الشاطئ، خفَضْنا سائر الأشرعة، ونزلنا بأنفسنا فوق شاطئ البحر، حيث استسلمنا إلى النوم وانتظرنا مقدم الفجر الالامع.

ما إن هتك الفجر المبكر الوردي الأنامل حُجُب الظلام، حتى شرعننا نجوسُ خلال الجزيرة وقد عجبنا منها، وقامت الحوريات ببنات زوس، حامل الترس، بإثارة معيز الجبل، كي يستطيع زملائي أن يأخذوا منها ما يُعِدُون به طعامهم. وفي الحال تناولنا قسيّنا المعقوفة، وسهامنا الطويلة من السفن، وبعد أن انتظمنا في ثلاثة فرق، أنشأنا نضرب، وسرعان منا وهبنا الرب فرائسٌ تُشَبِّع جوعنا. كانت السفن التي تتبعني أشتبَّه عشرة سفينٍ، فسقط لكلٍ منها تسع عنزات، قسمناها بالاقتراع، أما أنا فكان نصيبي عشر عنزاتٍ انتقوها لي.

وهكذا مكثنا اليوم بطوله حتى غربَت الشمس، جالسين هناك نُولم على لحمٍ وفيه وحمرٍ لذينه؛ إذ لم تكن الخمر الصهباء قد نفدت من سفننا بعدُ، بل كان لا يزال منها لدينا بقية؛ لأننا كنا قد وضعنا منها خزيناً وافراً في قُدُور، لكل فريقٍ من الملحين، يوم أن استولينا على قلعة الكيكونيس المقدسة، ثم اتجهنا بأبصارنا إلى بلاد الكوكلوبيس، القاطنين بقربنا، ولاحظنا الدخان، وصوت الرجال والخراف، والماعز. ولما اختفت الشمس وراء الأفق، وخَيَّمَ الظلام على الكون، استلقينا فوق شاطئ البحر طلباً للراحة. وما كاد

الفجر الباكر الوردي الأنامل يلوح في أفق السماء، حتى ناديت رجالي، وجمعتهم سوياً، وتحدثت في وسطهم جميعاً، فقلت:

«انتظروا هنا الآن، يا جميع الباقيين، يا زملائي الأوفياء، بينما أنطلق بسفينتي وبحارتي، إلى أولئك القوم، لاستطلاع من يكثون، وهل هم من الأفظاظ، المتواشين الظالمين، أم من يحبون الغرباء، ويتقون الآلهة في قرارة نفوسهم.»

وبعد أن أتممت حديثي ذاك، صعدت إلى ظهر السفينة، وأمرت رفافي بالصعود كذلك، وبحل حبال الكوثر، فاذعنوا للأمر، وامتنعوا صهوةً فوراً، واستووا في مقاعدهم. وبعد أن اعتدلا في مجالسهم بنظام، وأخذوا يضربون البحر السننجابي بالمجاذيف، فلما بلغنا المكان، وكان قريباً جداً من البحر، أبصرنا كهفاً شاهقاً، مسقوفاً بفروع أشجار الغار. ورأينا هناك كثيراً من قطعان الأغنام، والماعز، كانت نائمة معاً في حظيرة واحدة. ومن حول الكهف ساحة عالية، مشيدة في الصخور المغروسة عميقاً في الأرض، والمدعمة بأشجار الصنوبر الباسقة، وأشجار البلوط ذات القمم الشاهقة. وكان هناك رجل ضخم علماً، ينام في ذلك الكهف، وكان يرعى قطعانه بمفرده في مكان قصي، ولم يكن يختلط بغيره، بل يعيش في عزلة، يؤمن في قلبه بعصيان القانون؛ لأنه كان قد خلق وحشاً غريباً، ولم يشبه الإنسان آكل الخبز، بل كان أشبه بقمة شامخة لجبيل ضخم، كثيرة الغابات، تعلو بارزةً وحدها أمام الناظرين، ومنفصلةً عن غيرها من الذوبابات الشامخات.

عندئذٍ أمرت بقية رفافي الأوفياء، أن يبقوا بجانب السفينة لحراستها، واخترت اثنى عشر رجلاً من خير رفافي وانطلقت في طريقي، وملأت قربةً من جلد الماعز بالخمر الصبهاء الحلوة المذاق، كان قد أعطانيها مارو Maro، ابن يوانثيس Euanthes، كاهن أبولو، الرب المكلف بحراسة إسماروس Ismarus، أعطانيه لأننا قمنا بحمايته، هو وزوجه وطفله، من قبيل التجيل؛ إذ كان يعيش في كهفٍ خشبي لفويبيوس أبولو Phoebus Apollo. كذلك أهداني هدايا رائعة؛ فمن الذهب المصنوع بمهارة، قدّم لي سبع تالنتات، وأعطاني طاساً من اللجاجين، وعلاوةً على ذلك أعطاني خمراً، ملء اثنين عشرة قدرًّا، خمراً حلوًّا نقية، غير مخلوطة، شراباً مقدساً، دون علم أي فردٍ من عبيده أو خادماته، بل كان يعلم به هو نفسه وزوجه العزيزة، وإحدى خادمات المنزل، ليس غير. وكانوا كلما شربوا من تلك الخمر التي في حلاوة العسل، ملئوا كأساً واحدة، وسكبواها في عشرين كأساً من الماء، فتتبعت من

الطاس رائحة طيبة ذكية، وعندئذٍ كان يحق للمرء ألا يُكُف عن الاحتساء، فملأتُ قربةً من جلد الماعز بهذه الخمر، وكانت قربة كبيرة الحجم، وكذلك ملأت كيساً بالمؤونة؛ إذ كان يتملّكُني إحساس، في داخل نفسي، بأنه سرعان ما سيأتي إلىَّ رجلٌ عتيد القوة، مُتوحّش لا يُعرف شيئاً عن العدالة أو القانون.<sup>٧</sup>

## أوديسسيوس في كهف العملاق بولوفيموس

سرعان ما بلغنا الكهف، فلم نجد العملاق بداخله؛ إذ كان يرعى قطعانه السمينة في الحقول؛ ومن ثم دخلنا الكهف وطُفنا نتعجب من كل شيءٍ وقع عليه بصرنا هناك. كانت السلال مملوءة بالجبن، والحظائر تَجُّ بالحملان والجداء. كل نوعٍ بمفرده داخل سياج؛ الحملان غير البالغة وحدها، وكذلك الحملان البالغة في مكان آخر وحدها، وأيضاً الحديثة المولدة. وكانت الجرار الحديثة الصنع مملوءة بالشرش، وكذلك الدلاء والطسوت التي يُحلب فيها اللبن، فلما رأى رفاقتِي ذلك، أشاروا عليٍّ بأخذ بعضِ من الجبن، والانصراف، ثم أسرع في قيادة الجداء والحملان داخل الحظائر إلى السفينة السريعة؛ ومن ثم نُبَرَّ عبر الماء الملحوظ. بيد أنّي لم أستمع لنصحهم — ويا ليتني فعلت؛ إذ كان هذا خيراً لنا، أي خير — رغبةً في رؤية الرجل نفسه، وطمئناً فيما عسى أن يُعطيَنِي من هدايا التكريم. غير أن ظهوره، كما حدث، لم يكن منه أي غبطة لزملائي.

بعد ذلك أشعلنا ناراً، وقدّمنا ذبيحة، وتناولنا، نحن أنفسنا من الجبن، فأكلنا، ثم جلسنا ننتظر العملاق داخل الكهف، حتى عاد يسوق قطعانه. وكان يحمل مقداراً ضخماً من الخشب الجاف؛ ليستخدمه في إعداد عشاءه، وقدّف به من فوق ظهره، إلى داخل الكهف، مُحدّثاً صوتاً مدوياً، فاستبَدَّ بنا الفزع، وانكمشنا في إحدى زوايا الكهف، بينما كان يدفع قطعانه السمينة إلى داخل المغارة الواسعة؛ سائر الإناث التي كان يحلبها. أما الذكور — الكباش والماعز — فقد تركّها خارج صحن الكهف المترامي الأطراف. وبعد ذلك رفع صخرة الباب الضخمة، ووضعها في مكانها، ويا لها من صخرة بالغة الكبر، تنوء برفعها عن الأرض اثنان وعشرون عربةً ذات أربع عجلات، من العربات المتينة! إنها

<sup>٧</sup> يورد النص اليوناني هاتين الكلمتين في صيغة الجمع، وربما كان المعنى المقصود هو: «مراسيم العدالة وأحكام القوانين التقليدية».

كتلةٌ هائلةٌ من الصخر، تلك التي وضعها أمام المدخل. وبعد ذلك جلس يحبل النعاج والماعز التاغية، كلاً بدوره، ووضع تحت كل أثني صغيرها. وفي الحال خثر نصف اللبن الناصع البياض، ووضعه في سلال من غصون الصفصاف، وحملها بعيداً. أما النصف الآخر فوضعه في أوعية ليتمتع بأن يُعْيَّ منه في عشاءه. وهكذا شغل بإنجاز مهمه ثم عاد يُشعِّل النار، فوقع بصره علينا، فسألنا قائلاً:

### المعركة الكلامية بين العملاق وأوديسوس

«من أنتم أيها الغرباء؟ ومن أين قدمتم بحراً عَبْرَ المسلك المائية؟ أَغْرِضُ بعينه جئتم، أم مجرد تجوالٍ تقومون به فوق صفحة اليم كما يجوس القرابنة، مغامرين بحياتهم لجلب الأذى على أقوامِ البلد الأخرى؟»

قال هذا، فبلغت أرواحنا التراثي، من داخل صدورنا، فزعاً وهلعاً من صوته المنكَر وحجمه المُهُول، ولكن رغم ذلك، أجبته بقولي:

«يجب أن تعلم أننا من طروادة، وأننا من القوم الآخين، ساقتنا جميع صنوف الرياح عَبْرَ هوة البحر العظيمة، ونحن نَجُدُ في العودة إلى وطننا، فسلكنا طريقاً غير طريقنا، وأبحرنا عَبْرَ ممراتٍ غير ممراتنا، وفي اعتقادي، أن زوس كان مسروراً من خطته تلك. كما أُعلن أننا رجال أجاممنون بن أتريوس Atreus، الذي طبَّقتْ شهرته الآفاق، وغدت أقوى شهرة تحت السماء، ويا لها من مدينة عظيمة تلك التي خربها، وجنَدَ قوماً كثيرين! أما نحن، فإذا نزوركَ هكذا، قد جئناكم تضرعين إلى ركبتيك، أملأ في أن نحظى بكرمك، أو بالآخرى، أن تُقدِّمَ لنا هديةً ما عملاً بواجب ضيافة الغرباء. هيا، أيها البالغ القوة، بجل الآلهة؛ فنحن طالبو عطفك، وإن زوس هو المنتقم للمتضرعين والأغراط — زوس، إله الغرباء — الذي يتولى على الدوام خدمة الأغراط البُلْجِلِين».»

ما إن قلتُ هذا، حتى أجابني بفظاظة وغلظة قلب، فقال: «أَنْتَ أَحْمَقُ أيها الغريب، أم أَنْكَ قدمتَ من بَلْدِ قصي؛ إذ أراك تأْمُرني، إما بالخوف وإما باجتناب غضب الآلهة؟ إن الكوكلوبيس لا يهابون زوس، حامل الترس، ولا الآلهة الخالدين؛ إذ إننا أَفْضَلُ منهم بكثير؛ وعلى ذلك فلن تقلَّتْ مني، أنت ولا أَيُّ من رفاقك، لكي أتحاشي غضب زوس، إلا إذا أَمْرَنِي قلبي، ولكن خَبِّرْني: أين أَرْسَيْتَ سفينةك المتنية الصنع عندما قدمتَ إلى هنا؟ أَكَانَ ذلك مصادفةً عند مكان قصي من البلد، أم في موضعٍ قريبٍ؟ إن لي رغبة في معرفة ذلك.»

هكذا تكلّم، قاصداً إغرائي، بيد أنه لم يُوقع بي، بسبب دهائِي العظيم، فأجبتهُ ثانية،  
بألفاظٍ ماكِرة، قائلاً:

«إن سفينتي، قد حطّمها بوسايدون، مزلزل الأرض، إلى أشلاء، قاذفًا بها إلى فوق  
الصخور عند تُخوم بلادك؛ إذ دفع بها قريباً من اليابسة، وجرفتها الريح من البحر إلى  
الداخل، غير أنني نجوتُ، مع هؤلاء الرجال، من الهاك الشامل.»

### العملق يتعشّى باثنين من رجال أوديسيوس

قلتُ هذا، ولكنه لم يُجب، من قسوة قلبه، وإنما وثب، وانقضَّ على رفافي، وأمسك في الحال  
الثَّيَنْ منهم، وقدف بهما إلى الأرض كالدمى، فتدفقَ المخ خارج رأسِيهِما على الأرض فبلَّها،  
ثم قطعَهُما جزءاً جزءاً، وأعدَّ منها عشاءً. وهكذا التهمهما كما لو كان أسدًا يسكن  
الجبال، غير تاركَ منها شيئاً — فقد التهم الأحشاء، واللحم، والعظم ذات النخاع — فلما  
رأينا عمله البشع ذاك، بكينا ورفعنا أيدينا إلى زوس، واستولى الفزع<sup>٨</sup> على نفوسنا. وبعد  
أن ملأ الكوكلوب معدته الضخمة، بالتهام لحوم البشر، وَعَبَ اللبن الصافي، استلقى داخل  
الكهف، مُمددًا وسط الخراف. وعندئِن فَكَرْتُ في قراره نفسي، أن أتسلَّل إلى جواره وأستل  
سيفي البتار من جانب فخذي، وأهوي به على صدره، حيث يقع الكبد داخل عضلة الحجاب  
الجاجز، متحسِّساً الموضع بيدي، غير أن فكرةً ثانيةً منعَتني من تنفيذ هذه الخطة؛ إذ لا بد  
بعد ذلك أن نهَّاكَ نحن أيضاً؛ فليس في مقدورنا أن نُزِّيَح الصخرة الضخمة بأيدينا من أمام  
الباب، تلك الصخرة التي وضعها هناك؛ وعلى ذلك بقينا ننتَحُب منتظرين الفجر اللامع.

### العملق يفطر برجليَنَ آخرين

ما كاد الفجر الباكر، ذو الأنامل الوردية، يلوح حتى نهض العملق، وأشعل النار، وحلَّ  
قطعانه العظيمة، كلاً بدوره، ووضع صغير كل أنتَ تحتها. وبعد أن انتهى من إنجاز  
أعماله تلك، انبرى، وأمسك من جديد برجليَنَ، وأعدَّ منها وجبةً في الحال. وبعد أن فرغ  
من طعامه، ساق قطعانه السمينة إلى خارج المغارة، وأزاح صخرة الباب الضخمة في يسر،  
ثم أعادها مكانها ثانية، كما يضع المرء الغطاء فوق الجعبَة. وبصَفَرٍ مُدوٍّ، ذهب الكوكلوب

<sup>٨</sup> الترجمة الحرافية «اليأس» أو «القنوط».

بقطعانه السمينة صوب الجبل، بينما بقيت أنا هنا في الكهف، أُدبر الشر في قراره نفسي، حتى أنتقم منه بأية وسيلة، وقد منحتني أثينا المجد.

### خطة أوديسيوس للقضاء على العملاق

والآن خطرت لي فكرة، بدت لي أفضل مما عادها. كان بجانب إحدى حظائر الخراف، هراوةٌ ضخمة لذاك الكوكلوب، عبارة عن عصا غليظة من خشب الزيتون الأخضر، كان قد قطعها وحملها معه لتجف هناك، فلماً وقع بصرنا عليها: خلناها سارية سفينةٌ سوداء ذات عشرين مجدافاً، سفينة تجارية عريضة القوائم، من السفن عابرات الْهُوَّةِ السحرية. لقد كانت قضييًّا بالغ الطول والسمك، فامسكتها، وقطعت منها جزءاً في طول القامة،<sup>٩</sup> وأعطيتُه زملائي، وأمرتُهم بتسويته، وصقله. ورحتُ وأنا واقف إلى جوارهم، أُدبِّبُ الطرف، ثم حملته بسرعة، وجعلته صلباً في النار المستعرة، ثم أخفيتُه بعنابة بعيداً، تحت روث الأغنام الموجودة بكثرة في أكواام هائلة في نواحي الكهف. وطلبتُ من رفافي أن يقتربوا فيما بينهم، عَنْ يرفع معي ذلك الورت، ويديره داخل عين العملاق عندما يأخذ الكري الذي بمعاقد أجنفانه، فووَقعت القرعة على مَنْ كنتُ أتوق، أنا نفسي، إلى اختيارهم، وكانوا أربعة، وأنا خامسهم، فلما أقبل المساء عاد يسوق قطعانه العظيمة الجذات، وأسرع بإدخال قطعانه السمينة إلى الكهف الفسيح، ولم يترك واحداً منها خارج صحن المغارة المترامي الأطراف؛ إما من باب الحيطة، وإما أن يكون أحد الأرباب قد أمره بذلك، ثم رفع الصخرة عالياً، ووضعها في مكانه، صخرة الباب الضخمة. وما كاد يجلس حتى حلب نعاجه ومعيذه الثاغية، كلاً بدوره، ووضع تحت كل أثني صغيرها. وبعد أن انتهى من عمله، تناول رجلين آخرين، وأعدَّ منهما عشاءه. بعدئذ اقتربتُ من الكوكلوب، وتحدَّثتُ إليه، وأنا أُمسك في يدي طاساً من خشب الإيل، مملوءاً بالخمر القاتمة، وقلت:

### أوديسيوس يثمل العملاق

«أيها الكوكلوب، خذ هذه الخمر، واشربها بعد وجبتك من لحم البشر، لتعرف أي لونٍ من الشراب، هذا الذي احتوته سفينتنا. لقد أحضرتُ هذا الشراب، خصيصاً لك، كشراب تقدمة،

<sup>٩</sup> ستة أقدام.



أيها الكوكلوب، خذ هذه الخمر.

عسى أن تأخذك الشفقة بي، وترسلني في طريقي إلى الوطن، بيد أنك تثور بطريقك تفوق كل ما يمكن احتماله. أيها الرجل الفظ، كيف يستطيع أي رجل، من سائر جموع الناس، أن يأتيك بعد الآن؟ لأنني أراك قد صنعت ما يخالف القوانين». هكذا قلت، فأمسكَ الكأس، وأفرغَها في جوفه، وابتھجَ كثيراً؛ إذ تناول الشراب الحلو، وسألني المزيد منه مرّة أخرى، قائلاً: «زدني من هذا، ثانيةً، بقلبِ رضي، وأخبرني في الحال عن اسمك، حتى يمكنني أن أعطيك هدية ضيف؛ ليتھج بها قلبك؛ لأن أرض الكوكلوبيس، واهبة الغلال، تحمل عناقيد العنْب الغنية بالعصير، وأمطار زوس تمنحها المزيد، غير أن هذه ليست سوى جرعة من الأمبروسيا والنكتار».

ما إن قال هذا حتى ناولته الخمر المستمرة. ثلاثة مرات أصبهها له وأعطيه، وثلاث مرات يفرغ الشراب بحمق في جوفه. وبعد أن سلبت الخمر لب الكوكلوب، خاطبته بعبارات رقيقة، قائلاً:

«تسألني عن اسمي الجيد، أيها الكوكلوب، وعلى ذلك سأذكره لك، حتى تُعطيوني هدية الضيف، كما وعدتني، إن اسمي هو «لا أحد» فهكذا يُسمّيني أبي وأمي، وجميع رفقاء أيضًا».

هكذا قلت له، فأجابني في الحال بقلب لا يعرف الرحمة، قائلاً: «سوف أكل «لا أحد» بعد سائر رفقاءه، وأكلهم جميعاً قبله، وهذه ستكون هديتي».

### الخمر تلعب بعقل العملاق

ما إن قال هذا، حتى سقط مستلقاً على قفاه، وانحنى عنقه الغليظ مائلاً، وقد تملّك منه النوم، الذي يقهر الجميع، ومن حلقه تدفقت الخمر وقطع من الحم البشر؛ إذ تقىأ في نومه الثمل. عندئذٍ وضعت الوتد تحت الرماد العميق، حتى حمي الوتد وغدا شديد السخونة، وشَجَّعَتْ جميع رفافي بالفاظ مفرحة، حتى لا يرتجف أحدهم ذُعراً وهلعاً. وما كاد وتد خشب الزيتون يشتعل؛ لأنَّه كان أخضر، وببدأ يتوهَّج بعنف، حتى اقتربتْ وأخرجته من النار، ووقف زملائي إلى جانبي، وبَثَّ فينا أحد الأرباب شجاعةً بالغة. لقد أمسكوا بوتد الزيتون المدبب الطرف، ودفعوه في عينه، بينما ارتميتُ أنا بثقلِي عند طرفة، وأخذتُ أديره، وكما يثقب المرء أخشاب السفينة بالثقب، بينما يحافظَ مَن يمسكون بالثقب من أسفل بواسطة السير، على استمرار دورانه، ويظل الثقب يدور دون توقف. هكذا أمسكنا بالوتد الناري الطرف، وأدرناه في عينه، وتَدَقَّ الدم حول القضيب المحمي، وألهبت النيران جفنيه وحاجبيه من حول المقلة المُحترقة، التي طقطقت جذورها في النار. وكما يغمس الحداد فأساً ضخمة أو بلطةً في الماء البارد، وسط الفحيج العالي، ليُقْسِيَها – إذ بهذه الطريقة يسْتمَدُ الحديد قُوَّته – هكذا أيضاً راحت عينه تفُحُّ حول وتد خشب الزيتون، فأخذ العملاق يطلق الصراخ عالياً مدوياً بفظاعة، وطنَّ الصخر من كل جانب، وإذا استولى علينا الفزع والذعر، وانكمشنا في ناحية، بينما أخرج هو الوتد من عينه، وكان ملطحاً كله بالدم، وقذف به بعيداً وصار يُلْوَح بذراعيه بوحشية. وبعد ذلك أخذ ينادي الكوكلوبيس القاطنين حوله

في الكهوف وسط المرتفعات الشديدة الرياح، فسمعوا صياحه وهبوا لنجذته من كل حدب وصوب، ووقفوا حول كهفه يسألونه ماذا يؤلله بقولهم:

«ماذا يؤللك يا بولوفيموس Polyphemus، حتى تصرخ هكذا عالياً في بهيم الليل الخالد، وتُقْضَ مضاجعنا؟ أتجاسِر إنسانٌ ما على أن يسرق قطعانك، ويأخذها بعيداً ضد إرادتك، أم يقتلك بالحيلة، أو بالقوة؟»

فأجابهم بولوفيموس العتيق، من داخل المغارة، بقوله: «يا أصدقائي لا أحد يقتلني بالحيلة ولا بالقوة.»

فردُوا عليه جمِيعاً، بعباراتٍ قاسية،<sup>١٠</sup> فقالوا: «طالما لا أحد يستعمل معك القوة في وحدتك، فإن المرض الآتي من لدن زوس العظيم، لا سبيل لك إلى الفرار منه. إذن يجب أن تُصلِّي إلى أبيينا، السيد بوسايدون.»

قالوا ذلك القول وانصرفوا إلى حال سبِيلهم، بينما ضحك قلبي في داخلي؛ إذ خَدَعْهم أسمى وخطَّتي الموضوعة بمكر ودهاء، إلى ذلك الحد. بعد ذلك صار الكوكلوب يتلمس حوائط الكهف بيديه، وهو يتأنّه ويتوجّح حتى بلغ الباب، فأزاح الصخرة، وجلس بنفسه عند الباب باسطاً ذراعيه، أملاً في أن أي واحدٍ منا قد يُحاول الخروج مع الخراف – بمنتهى الغباء – لأنَّه في الحقيقة، كان يَأْمُل في قراره نفسه أن يعثر علىي، ولكني دَبَّرْت خطةً لإنجاز كل شيءٍ على أتم وجه، راجياً أن أُوفَّق إلى خطةٍ لما للهرب من الموت، أنا وزملائي، فأخذتُ أقدح الفكر سعياً وراء كل سبل الحيلة والرأي السديد، كما يفعل المرء إزاء مسألة حياة أو موت؛ لأنَّ الشر المحدق بنا كان عظيماً، فوُفِّقت إلى خطةٍ، بدت لي خير فكرة. كانت هناك كباش سمينة غليظة الجَزَّة، حيواناتٌ رائعة وكبيرة، ذات صوفٍ أدقَّن كبابنفَسْج، فربطتُ هذه مع بعضها، في سكون، بأغصان الصفصاف المجدولة، التي كان ينام عليها الكوكلوب، ذلك الوحش ذو القلب المؤمن بالتمرُّد والعصيان، فكُنْتُ أربط كل ثلاثة كباش سوياً، يحمل أوسطها رجلاً، بينما يسير الكبشان الجانبيان، كل واحدٍ منها إلى جانب، منقذين رفقائي. وهكذا حمل كل ثلاثة خرافٍ رجلاً، أما فيما يختص ببنيتي، فقد كان هناك كبشٌ ضخم، هو خيرٌ ما في القطيع كله، فامسكتُه من ظهره، وبيسطتُ نفسي أسفل بطنه الأشعث، جاعلاً وجهي إلى فوق، وبقلبٍ ثابتٍ جريء، تعلَّقتُ بشدَّةٍ بيديٍ في جزْته العجيبة، وهكذا بقينا، بالنحيب ننتظر قدوم الفجر اللامع.

<sup>١٠</sup> الترجمة الحرافية: « بكلماتٍ مجنة».

## هروب أوديسوس بخدعه الكباش

ما إن لاح الفكر الباكير، ذو الأنامل الوردية، حتى أسرعَت ذكور القطيع خارجَةً لترعى، بينما شرعت الإناث تثغو حول الحظائر دون أن يحلبها أحد؛ إذ كانت ضروعها منتفخة، وسيدها يتظَّل حزناً بالآمه المُبْرحة، فراح يتحسَّس ظهور جميع الخراف وهي تمر أمامه، ولكن لحماقته، لم ينتبه إلى أن رجالٍ كانوا مربوطين أسفل صدور كباشه الغزيرة الصوف. وأخر جميع القطيع، خرج الكبش المحمَّل بثقل جَرْته، وبشخصي الماكر، فلما تحسَّس بولوفيموس ظهره تحدَّث إليه قائلاً:

«يا هذا الكبش الكريم، لماذا بربك تخرج هكذا من الكهف آخر القطيع؟ ما كان من عادتك أن تُبْطئ في الخروج وراء سائر الخراف، بل كنت دائمًا أول من يرعى النبت الغض من الحشائش، سائراً بخطىًّا واسعة، وكنت أول من يصل إلى مجرى النهر المائي، وأسبق من كان يتقدَّم لهفة إلى العودة إلى الحظيرة في المساء. أما الآن فإنك آخر الجميع. لا شك أنك حزينٌ على عين سيدك، التي أعمامها رجلٌ شرير، هو وأعوانه الأشقياء، بعد أن تغلَّب على حصافتي بالخمر، إنه لا أحد، الذي أؤكِّد لك أنه لم ينجُ بعد من الهالك. آه! لو كنت فقط، تستطيع أن تُحس كما أحس، أو لك القدرة على الكلام لتُخبرني أين يتوارى هو من غضبي، إذن لحطمَتْ مخه، وجعلته يتذَّهَّب على الأرض في كل مكان هنا وهناك، في شتى أنحاء الكهف بعد أن أُشبعه ضرباً. وعندئِن كانت تزول المحن التي أنزلها بي هذا اللأحد، العديم النفع، وتُخْفِ عن قلبي..»

بعد أن انتهى الكوكلوب من كلامه ذاك، نَحَى عنه الكبش. وما إن ابتعدنا قليلاً عن الكهف وصَحَّنه، حتى خلَّيتُ نفسي أولاً عن الكبش، ثم فكَّكتُ زملائي وأطلقتُ سراحهم، وبسرِّعةٍ سقنا تلك الأغنام الطويلة السيقان والممتلئة بالدهن، ونحن تناولتُ كثيراً حولنا، حتى وصلنا إلى السفينة. كانت رؤيتنا موضع ترحيب من زملائنا الأعزاء الذين سَرَّهم أن يرَوْنا وقد نجَّونا من الموت، ولكنهم بِكَوْا على فقد الآخرين. غير أنني لم أدعهم طويلاً في البكاء، بل أمرتُ كل رجل، وأنا مقطَّبُ الأسarisير أن يُسْرِع بوضع الأغنام على ظهر السفينة، تلك الخراف الكثيرة العدد، ذات الجَرَّات العظيمة، حتى نُسْرِع بالإبحار عبر الماء الملحي؛ وعلى ذلك صَدِّعوا بسرعة، وبعد أن أخذوا مجالسهم في نظام، شرعوا يضربون البحر السنجابي

بمجاذيفهم. وما إن صرُّتْ على مدى سمع صوت المرء وهو يصرخ، صحتُ إلى الكوكلوب  
بألفاظ ساخرة أقول:

«أيها الكوكلوب، يبدو أن ذلك الرجل لم يكن ضعيفاً، هذا الذي كان في نيتك أن تلتهم  
رفقاءه بالقوة الغاشمة في كهف الفسيح. ما من شَكٌ في أن أعمالك الشريرة قد حاقت بك  
ونزلت فوق رأسك أيها الشقي الفظ، الذي لم تتوَّر في أن تأكل ضيوفك داخل بيتك؛ ولذلك  
فقد انتقم منك زوس والآلهة الآخرون.»

### العملاق يهاجم أوديسيوس بصخرة هائلة

هكذا قلتُ، فزاد حنقاً في قلبه، وكسر قمة جبلٍ شامخ، وطَوَّح به نجونا، فسقطَت أمام  
السفينة القاتمة الحيزوم. وماج البحر من جراء سقوط تلك الصخرة، وكان ارتداد الماء  
المزاح أشبه بفيضان من الأعماق، فحمل السفينة بسرعةٍ وجرفها نحو البر فوق الشاطئ.  
بيد أنني أمسكتُ بقضيب طويل، ودفعتُ السفينة بعيداً عن الشاطئ وبحذائه، ثم أومأتُ  
برأسِي إلى رفقاءِي، وأمرتُهم أن يُعملوا التجذيف كي نستطيع النجاة من تلك المحنَة الماحقة  
الشديدة، فانحنتوا على مجاذيفهم وجذَّفوا بعنف. وما إن صرنا فوق صفحة البحر، وابتعدنا  
عن البر بمسافةٍ ضعف الأولى، تاقت نفسي إلى أن أصرُّ إلى الكوكلوب، رغم أن زملائي،  
حولي قد حاولوا منعي، الواحد بعد الآخر، ناصحين إياي بكلماتِ رقيقة، قائلين:

«أيها الطائش، لماذا تثير حنق رجلٍ متوجه؟ لقد رمى حجراً إلى البحر العميق فدفع  
سفينتنا إلى الوراء نحو البر، حتى خلنا، أنتا حقاً قد هلكنا. ولو سمع واحداً منا يُخرج  
صوتاً أو يتكلم؛ لأمسك بصخرة مسْتَنَة الأطراف، ولرمي بها محظماً رءوسنا وأخشاب  
سفينتنا؛ إذ إنه يقذف بقوَّة هائلة.»

هكذا تَكلَّموا، ولكنهم لم يستطعوا التأثير على نفسي الجريئة، فقلتُ ثانيةً بقلٍّ  
غاضبٍ:

«أيها الكوكلوب، إن سألك سائلٌ من البشر عَمَّن سبَّ عمى عينيك المخل، فقل إنه  
أوديسيوس، مُخْرِبُ المدن، هو الذي أعماهما. إنه لابن ليرتيس، الذي موطنَه إيثاكا.»  
ما إن قلتُ هذا حتى تأوهَ وأجَابَني بقوله: «يا لها من حسْرَة بالغة! حقاً، إن نبوءةَ  
قييلت منذ زمنٍ بعيد، قد حاقت بي؛ إذ كان يعيش هنا عَرَافٌ، رجلٌ كريم فارع الطول وهو  
تيليموس Telemus ابن يوروموس Eurymus، ذلك الذي تفرَّقَ في العِرَافَة على سائر  
البشر، وبلغ من الكبر عتياً كعَرَافٍ بين قوم الكوكلوببيس. لقد أخبرني أن سائر هذه الأمور

سوف تحدث في الأيام القادمة، وقال إنني سأفقد بصرى على يدي أوديسيوس. بيد أنني كنت أتوقع على الدوام أن أرى رجلاً طويلاً مليح الوجه، يأتي إلى هنا، متسللاً في قوّة بالغة. أما الآن، فإنه شخصٌ تافه، رجل لا حول له ولا طول، ذلك الذي أعمى عيني، بعد أن سيطر على بالخمر. ومع ذلك فتعال إلى هنا يا أوديسيوس، حتى أمنحك هدايا التكريم، وكيفي أُعجل بإرسالك من هنا، ليهبك العودة مزلزل الأرض المجيد؛ فإنني ابنة، وهو يعترف بأنه أبي، ولسوف يشفيني هو نفسه، لو راق له هذا، ولكن لن يفعل ذلك أحد سواه، من الآلهة المباركين، أو من البشر».

هكذا قال الكوكلوب، فأجبته بقولي: «ليتني كنت قادرًا على أن أسلبك روحك وحياتك، وأن أرسلك إلى بيت هاديس Hades، حيث من المحقق، أن مزلزل الأرض لن يستطيع شفاء عينك إطلاقاً».

### العملاق يطالب بوسايدون الانتقام من أوديسيوس

قلتُ هذا، فصلّى الكوكلوب لبوسايدون، بساطاً ذراعيه كلّيهم، إلى السماء ذات النجوم، يقول: «استمع إلى يا بوسايدون، يا مُطْوِق الأرض، أيها الرب ذو الشعر الأدكن، فلو أنني كنتُ ابنك حقاً، وأعلنتَ أنت نفسك أنك أبي، لا تجعل أوديسيوس مُخْرِب المدن يصل أبداً إلى وطنه، أوديسيوس بن ليرتيس، الذي موطنها إيثاكا، أما إذا كان مقدراً له أن يرى أهله، ويصل إلى منزله المتين البناء، ووطنه، فليكن وصوله متّاخراً، وفي حالة يُرثى لها، بعد أن يفقد سائر رفقاءه ويعود في سفينة لرجل آخر، ولِيُعْانِ المحن في بيته».

هكذا قال في صلاته، وسمعه الرب الأدكن الشعر. أما الكوكلوب، فقد رفع إلى فوق، من جديد، صخرة أخرى، أضخم بكثير من السابقة، ولوّح بها في الهواء، ثم قذفها، واضغاً في رميته قوّة لا حد لها. لقد رمى بها خلف السفينة الدكناه الجوج، فسقطت بقربها، وأخطأ الدفة بمسافة بسيطة أو ما كادت، فهاج البحر تحت قوة سقوط الصخرة، وحملت اللجة السفينة إلى الأمام، وجرفتها إلى الشاطئ.

وصلنا عندئذ إلى الجزيرة حيث كانت ترسو جميع سفننا الأخرى، ذات المقاعد المكينة، وقد جلس حولها رفقاؤنا، ينتظرون عودتنا، وهم يبكون. وعندما وصلنا إلى هناك، أرسينا سفينتنا فوق الرمال، ونزلنا، نحن أنفسنا إلى شاطئ البحر. بعد ذلك أنزلنا من السفينة الواسعة قطuan الكوكلوب، وقسمناها، بقدر ما كان في مقدوري أن أقسم، حتى لا يُحرم أي رجل من نصيبه العادل. أما الكبش الكبير، فقد تركه لي زملائي، فأعطوه لي وحدي، كجائزة

منفصلة، عندما قسمتُ القطعان، فنحرتُه فوق الشاطئ ذبيحة لزوس بن كرونوس، رب السحب القاتمة، وسيد الجميع، وأحرقتُ قطع الأفخاذ، ولكنه مع ذلك لم يكن ليهتم بذبيحتي، بل كان يُدبر كيف تتحطم جميع سُفني المتينة المقاعد، وكذا زملائي الأعزاء الأوفياء.

ومن ثَمَّ، طفقنا طوال اليوم كله، إلى أن أغرقت الشمس، جالسين نولم على لحمٍ وفير وحمرٍ لذينة. ولما احتجَّت الشمس وراء الأفق، وخَيَّم الظلام على الكون، رقدنا لنستريح فوق شاطئ البحر، وما كاد الفجر الباكر، ذو الأنامل الوردية، يظهر في السماء، حتى أيقظتُ رفافي، وأمرتُهم بالصعود إلى السفن، وحل حبال الكوثر، فصَعَدوا في الحال، وجلسوا فوق المقاعد، وبعد أن استئوا في مقاعدهم بنظام، أخذوا يضربون البحر السنجابي بمجاذيفهم. من هناك أبحرنا بقلوبٍ مثقلة بالآحزان، ولكننا كنا مسرورين لنجاتنا من الموت، بالرغم من أننا فقدنا زملاءنا الأعزاء.



## الأنشودة العاشرة

### أوديسيوس في ضيافة حارس الرياح

بعد ذلك وصلنا إلى الجزيرة الأيوالية Aeolian، حيث كان يقيم أيوulos<sup>١</sup> ابن هيبيotas Hippotas، الذي تُعزّه الآلهة الخالدة، في جزيرة طافية، يحيط بها كلها سورٌ من البرونز لا يمكن اختراقه، ويتصاعد منها الجبل شامخاً شديداً الانحدار. وكان له من الذرية اثنا عشر، يقيمون هناك في ساحاته، ست بنات وستة أبناءٍ أشداء، وقد زوج بناته لأولاده. إذن كان هؤلاء يُولمون دائمًا إلى جانب أبيهم العزيز وأمهم الكريمة، ويُوضع أمامهم أشهى ألوان الأطعمة وأغزّرها. وكان القصر وهو مملوء برائحة الطعام، يُدوّي من كل جانب حتى الفناء الخارجي، في أثناء النهار،<sup>٢</sup> أما بالليل فكانوا ينامون بجانب زوجاتهم الفاتنات فوق بطاطين وأسرة من الحبال. إذن فقد ذهبنا إلى مدinetهم، وتوجهنا إلى قصرهم الجميل، فأكرم وقادتي وضافئي مدة شهر كامل، وسألني عن كل شيء؛ عن إليوس، وسفن الأرجوسيين، وعودة الآخرين، فأخبرته بالقصة كلها، بالترتيب اللازم. وعندما أزمعتُ الرحيل، طلبتُ منه أن يسمح لي بالعودة، وأن يبعث بي في طريقي، فلم يُنكر حقي في شيء، بل حبَّذ رحيلي، وأعطاني كيساً مصنوعاً من جلد ثور عمره تسع سنواتٍ كان قد سأله. وقَيَّد مرات الرياح الهوج، ووضعها داخل الكيس؛ لأن ابن كرونوس عينه حارساً على الرياح، له أن يُثير منها ما يشاء، ويُوقف منها ما يريده. وفي سفينتي الواسعة ربط

<sup>١</sup> ملك الرياح.

<sup>٢</sup> المقصود هنا أن رائحة وصوت الوليمة يمكن ملاحظتهما حتى قبل أن يدخل الإنسان القصر تماماً.



فصاحت كيركي صيحةً بالغة، وارتمت على الأرض تبكي.

الكيس بإحكام، بحبلٍ من الفضة اللامعة، حتى لا تستطيع نسمةً واحدة أن تهرب، مهما كانت باللغة الصغر، ولكي يساعدني في سفري، أرسل نسيم الرياح الغربية لتهب على البحر، كي تستطيع أن تحمل السفن والركاب في طريقها. ومع كلٍّ فلم يكن هذا ليتم؛ إذ أصابنا الضلال من جراء حماقتنا.

### أوديسيوس يقترب من وطنه

بقينا نبحر مدة تسعه أيام، ليلاً ونهاراً، دون انقطاع حتى إذا كان اليوم العاشر، لاح لنا الوطن أمام أبصارنا، والعجيبُ أننا كنا قريبين منه جدًا لدرجة أننا شاهدنا رجالاً يحرسون



نيران المnarة.<sup>٣</sup> وعندئذٍ كان التعب قد بلغ مني مبلغاً عظيماً، فحلَّ علىَ النوم اللذِي: إذ لم أترك حبل السفينة من يدي منذ خروجنا من هناك، ولم أسلِّمْ لأيٍ فرِيدٍ من زملائي، حتى نستطيع بلوغ وطننا بسرعةٍ أكثر. بيد أن رفقاءِي أخذوا يتحدثون فيما بينهم، قائلين إنني أُحضر معي إلى وطني كمياتٍ كبيرة من الذهب والفضة، هدية من أيوولوس بن هيبوتاس، العظيم القلب، فقال أحدهم وهو ينظر إلى جاره:

### بحارة أوديسيوس يفتحون الكيس

«ويحه! ما أعظم حب وتقدير الناس لهذا الرجل أينما ذهب! إنه يحمل معه كنزاً ضخماً من أرض طروادة، أخذه من الغنائم، بينما نحن، الذين قمنا بنفس الرحلة معه، قد عدنا بأيديٍ خالية. وهذا هو ذا أيوولوس قد أعطاه هذه الهدايا، بمحض المودة والمحبة، هيا إليها الرفاق، أسرعوا بنا لنرى ما بهذا الكيس، ماداً يحوي من الذهب والفضة.»

هكذا قال الرفاق فيما بينهم، وتمَّ لهم ما دبَّروا من خطَّةٍ شريرة، فما إن حلُّوا رباط الكيس، حتى انطلَّت سائر الرياح من عقالها، واكتسحَتْهم ثانيةً إلى البحر بعيداً عن الوطن. أما أنا فاستيقظتُ من نومي، وفكَّرتُ في قلبي العظيم هل أُلقي بنفسي من السفينة

<sup>٣</sup> أو ربما كان المقصود هنا «نيران الرعاعة».

وأهلك في البحر، أم أقاسي الويلات في صمت، وأظل باقياً على قيد الحياة. وعلى أية حال، فقد كظمتُ غيظي وبقيت، ثم غطّي رأسي وظللتُ راقداً في السفينة. بيد أنه هبَّت على السفن ريحٌ عاتية هوجاء، حملتها جميعاً وعادت بها إلى الجزيرة الأيلولية، فراح رفقاء يَعْضُون بنان الندم ويَتَنَوَّن.

## أيولوس لا يُرْحِب بأوديسيوس ثانية

سِرنا بحذاء الشاطئ هناك، وأخذنا كفايتنا من الماء، وفي الحال تناول زملائي طعامهم بجانب السفن السريعة. وبعد أن تناولنا الطعام والشراب، صحبْتُ معي رسولاً ورفيقاً واحداً، وذهبنا إلى قصر أيولوس المجيد، فوجدناه يولم بجانب زوجته وأولاده، فدخلنا القصر، وجلسنا بجانب قوائم الباب، فوق العتبة، فعَجَبُوا لرجوعنا، وبُهْتوا في قرارة نفوسهم، وسألونا قائلين:

«كيف جئتَ إلى هنا يا أوديسيوس؟ أي ربٌ شرير هاجمك؟ لا شك أننا قد بعثنا بك مُعززاً مكرماً، لكي تصل إلى وطنك ومنزلك أو إلى أي مكان تريده». قالوا هذا فأجبتهم بقلبٍ ملؤه الحزن والكمد، فقلتُ: «خطأ شرير اقترفه زملائي الأشرار في حقي، وكذلك النوم اللعين، وأرجو أن تُصلحوا أيها الأصدقاء، ما أفسد هؤلاء؛ لأن القوة معكم.»

## وصول أوديسيوس إلى بلاد الالايسترووجونيين

قلتُ هذا، وتحدّثتُ إليهم في عباراتٍ رقيقة، غير أنهم لزموا الصمت، ثم أجب أبوهم قائلاً: «ارحلوا عن جزيرتنا بسرعة، يا أشرَّ مَن على ظهر البسيطة. لا أستطيع بأي حالٍ أن أُمْدِي المساعدة لرجلٍ تُمْقِتُه الآلة المباركة، أو أُرسِلُه في طريقه. إليكم عنا؛ فإنما قد حضرتم إلى هنا، قوماً يكرههم الخالدون».

قال ذلك القول، وطردني من البيت، وأنا أكاد أنفجر من شدة الغيظ، فأبحرنا من هناك بقلوبٍ مثقلة بالأحزان، وقد أنْهَكَتْ أرواح الرجال تعباً من التجذيف الفظيع، بسبب حماقتنا؛ لأنه لم تهُبَ على السفن أية نسمةٍ قط، لتحملها في طريقها. وهكذا بقينا نبحر ستة أيام، ليلَ نهار، حتى إذا كان اليوم السابع، بلَغْنا قلعة لاموس الشاهقة، إلى تيليبولوس Telepylus أرض الالايسترووجونيين Laestrygonians، حيث ينادي الراعي

على الراعي، وهو يسوق قطيعه، ويرد عليه الآخر وهو يدفع قطيعه إلى الأمام. يستطيع من لا ينام أبداً، أن يربح هناك أجرًا مضاعفًا، من رعي الماشية، والأغنام البيضاء؛ لأن رحيل الليل والنهار متقاربان، فلما جئنا إلى هذا المكان، إلى داخل الميناء العظيم، القائم على كل جانب من جانبيه طود شامخ، ورأس من الأرض يبرز في اتجاهين متضادين ممتدًا عند المصب، جاعلاً المدخل ضيقاً، قاد جميع رجال سفنهم المعقوفة إلى الداخل، فأرسينا السفن داخل الميناء الفسيح، واحدة بجانب الأخرى؛ إذ لم تكن الأمواج لتتضخم داخل الميناء، سواء أكانت اللجة كبيرة أم صغيرة، بل كان كل شيء يحيط بنا هناك، هادئاً لاماً. أما أنا، فأرسيت بنفسي، سفينتي السوداء خارج الشفر، بجانب حدود الشاطئ، وربطتها بالحبل إلى الصخر، ثم تسلقت إلى علو شاهق وعبر المسالك، واتخذت وقفي في نقطة الاستكشاف هذه، وأخذت أسرح الطرف هنا وهناك، فلم تبصر عيناي أي عمل للثيران أو للبشر، ولكن الدخان فقط، كان يتتصاعد من الأرض هناك؛ عندئذ أرسلت بعض رفقاء، ليذهبوا ويستطلعوا من هم أولئك القوم الذين يحيون فوق تلك الأرض — منتخبًا رجلين، وأرسلت معهما ثالثاً كرسول — فلما انطلقا في طريقهم بمحاذة الساحل، ساروا في طريق ممهدة، اعتادت العربات أن تسير فيها، حاملة الأحشاب من الجبال الشاهقة إلى المدينة. وقبل بلوغهم المدينة التقاو بفتاة تستقي الماء، هي ابنة أنتيفاتيس Antiphates اللايستروجوني الطيبة،<sup>٦</sup> وكانت قد ذهبت إلى نبع أرتاكيا Artacia الجميل التدفق، الذي اعتادت الفتيات أن يستقين منه الماء ويحملنه إلى المدينة، فلما التقاو بها، تحدثوا إليها يسألونها عن ملك ذلك الشعب، ومن هم رعيته، فأشارت لهم في الحال إلى بيت أبيها المرتفع السقف، فلما دخلوا البيت المجيد، ألقوا هناك زوجة بدينة، كأنها قمة جبل، فبهتوا لرأها، فاستدعت من تؤها زوجها أنتيفاتيس المجيد، وكان بمكان الاجتماع، فدبر لهم هلاكاً فظيعاً فأسرع ممسكاً بأحد الرجال وأعدَّ منه طعامه، وعندئذ أطلق الرجلان الآخران العنان لأقدامهما، وعادا هاربين إلى السفن. بعد ذلك أطلق الملك صيحة

<sup>٤</sup> يبدو أن المقصود بالمعنى هنا، هو أن الفترة بين سقوط الليل والفجر قصيرة جدًا لدرجة أن الراعي العائد من عمل النهار يقابل زميله وهو يخرج بقطيعه في اليوم التالي. وهكذا يستطيع الشخص الذي يمكنه أن يعمل دون نوم، أن يكسب أجرًا مضاعفًا.

<sup>٥</sup> يقول النص: «يأكلون خبزاً».

<sup>٦</sup> يقول النص: «البدينة» أو «الشجاعة» ولكن المترجمين اتفقوا على «الطيبة».

مُدوِّية خلال المدينة، فلما سمعها الاليستروجونيون الأشداء، جاءوا في جموعٍ غفيرة من كل حَدِّ وصوب، وكانوا جمِّعاً لا عدَّ له، ليسوا أشبه بالرجال، بل بالعمالقة، فأخذوا يقذفوننا بِقطعٍ ضخمة من الصخور، من الجبال، بقدر ما يستطيع الإنسان أن يحمل، فارتفع في الحال، من السفن في كل مكان، طنينٌ مخيف، كأنه صادر من رجالٍ يموتون ومن سفنٍ تتحطم. وأخذوا يطعنون الرجال بالرماح ويصيرونهم كما تُصاد الأسماك، وحملوهم إلى مدinetهم، طعاماً تعافه النفس. وبينما كان هؤلاء القوم يُعملون التقتيل في أولئك الذين كانوا داخل الميناء العميق، سللتُ سيفي البatar من جوار فخذني، وقطعتُ به جبال سفينتي ذات الحيزوم القاتم، وعجلتُ باستدعاء رجالٍ، وأمرتهم بأن يُسرعوا إلى مجاذيفهم؛ كي نستطيع النجاة من الكارثة الشديدة التي حاقت بنا، فراح جميعهم يضربون البحر السنجابي بمجاذيفهم، خشية الموت، وبسرور انطلقنا نحو البحر، بعيداً عن الصخور الناتئة، فأسرعَت السفينة تمُّر العُباب، بينما فقدَت جميع السفن التي كانت بداخل الميناء هناك.

## وقوع أوديسيوس في قبضة كيركي

أبحرنا من هناك بقلوبٍ مهوممة، وإنما كنا مسرورين لنجاتنا من الموت، رغم أننا كنا قد فقدنا زملاءنا الأعزاء، ووصلنا إلى جزيرة أيايا Aeaea، حيث كانت تعيش كيركي Circe ذات الجدائِل الفاتنة، وهي ربّة مفزعة، تتكلم كلام البشر، هي شقيقة أيبتيس Aeetes، ذي العقل المؤني، وكلها أنجبه هيليوس Helius، الذي يعطي الضوء للبشر، وببرسي Perse، أمها، ابنة أوقيانوس Oceanus، فأرسينا سفينتنا على الشاطئ هناك في صمت، داخل الميناء، حيث يمكن للسفن أن ترسو، وقادنا أحد الآلهة، فهبطنا، ورقدنا هناك يومين وليلتين؛ إذ كان التعب قد أخذ منا كل مأخذ، وبخُّ الحزن نفوسنا. غير أنه عندما أُنجب الفجر الجميل الغدائر، الاليوم الثالث، امتشقتْ حسامي البatar ورمحي، وانطلقتُ بسرعة إلى مكانٍ ناءٍ من السفينة، على مدى البصر، أملاً في استطلاع أعمال البشر هناك، وسماع أصواتهم، فتسأَلْتُ مرتقعاً شديداً الانحدار، وَعْرَ المِسْلَك، ووقفتُ هناك أرى من بُعد، وأستشرف ما حولي، فرأيتُ دخانًا يتصاعد من الأرض الفسيحة الطرقات، في ساحات كيركي، خلال الأدغال الكثيفة والغابة، وأخذتُ أعمل تفكيري، هل أذهب وأبحث بعد أن رأيت الدخان المتأجج. وبينما أنا في حيرة التفكير، طرأ على بالي رأي، بدا لي أفضل الرأء،

أن أعود أولاً إلى السفينة على شاطئ البحر، وأعطي رفافي طعامهم، ثم أرسلهم إلى هناك ليقوموا هم بالبحث. وبينما أنا أشق طريقى إليهم، وكنُ على مسافة قريبة من السفينة المعقوفة، أشَقَّ علىَ أحد الآلهة، وأنا في وحدتي، فأرسل إلىَ ظبياً ضخماً طویل القرون، جاء في طریقی بالذات. لقد كان آتیاً من مرعاه في الغابة، وهابطاً إلى النهر ليشرب؛ إذ برَّحَتْ به حرارة الشمس، وبينما هو خارج هویتْ برمي على منتصف سلسلة ظهره، فنَفَدَ الرمح البرونزي في جسمه، وسقط يتَخَبَّطَ في الترى وهو يئن، وغادرتْ روحه الجسد. بعدهِ وضُعِتْ قدمي فوقه، وجذبَتْ الرمح البرونزي من الجرح، وتركتُه هناك راقداً فوق الأرض، ثم قطَّفتْ أغصاناً وعيَدان نباتاتٍ متسلقة، وصنعتْ منها حبلاً طوله ست أقدام، وفتَّلتُه جيداً حتى طرَّقَه وربطَتْ قدمي الحيوان الضخم معاً، وسرت في طریقی إلى السفينة السوداء، حاملاً الظبیي فوق ظهری ومتکئاً على رمی، إذ لم يكن في مقدوري، بأیة حال، أن أحمله على كتفی بیدٍ واحدة؛ لأنَّه كان حیواناً بالغ القوَّة، ثم أقيَتْ به عن ظهری أمام السفينة، وطفقتْ أشجع رفقاء بعباراتٍ رقيقة، ذاهباً إلى كل رجل، بدوره، فقلَّ لهم:

«أیها الأصدقاء، لم يَحنْ موعد هبوبنا إلى بيت هاديس بعد، رغم ما نحن عليه من آلام؛ إذ لم يحلَّ علينا يوم القضاء. هلموا بنا، طالما لا يزال هناك طعام وشراب في سفينتنا السريعة، نفكِّر في طعامنا، حتى لا نذوي من الجوَّع.»

هكذا قلتُ لهم، فأصغَوا بانتباهٍ إلى كلامي، وأزاحوا العباءات عن وجوههم،<sup>٧</sup> وتعجَّبُوا من الظبیي المُلْقَى فوق شاطئ البحر الصاخب؛ لأنَّه كان حیواناً ضخماً جدًا. وبعد أن أشبعوا عيونهم من النظر إليه، غسلوا أيديهم، وأعدُوا منه ولیمةً مجيدة. وهكذا ظللنا جالسين طول اليوم كله، حتى غروب الشمس، نأكل من لحمٍ وفيه، ونحتسي خمراً لذیذة. بيد أنه ما إن غرَّبتْ الشمس وشَملَتْ الظلمة الكون، حتى رقدنا فوق ساحل البحر لنسْتريح. ولما لاح الفجر الباكر، ذو الأنامل الوردية، نادى رجالي سوياً، وتحَدَّثَتْ في وسطهم جمیعاً قائلاً: «هيا اسمعوا، أیها الرفقاء، وأصغُوا إلى كلامي، لنتدبَّر كارثتنا الشیريرة. الشمس، مانحة الضوء للبشر، نحت الأرض، ولا أین تُشرق، فهيا نُفَكِّر الآن ملياً، إذا كان لا يزال لدينا أفكارٌ باقية، ونجد منفذاً للخلاص.<sup>٨</sup> أما أنا فلستُ أظن أنَّ هناك شيئاً من هذا،

<sup>٧</sup> كان الأغارقة يجُبون وجوههم تحت ضغط الحزن الميُوس منه.

<sup>٨</sup> هذه العبارة لا مقابل لها في النص اليوناني، وإنما أوردتها زيادة في الإيضاح.

فقد صَعِدْتُ إلى مكانٍ مرتفعٍ للاستطلاع، فرأيتُ الجزيرة أشبه باتجٍ يحيط بها الخضمُ اللانهائي. وتقع الجزيرة نفسها منخفضة، وأبصرتُ عيناي في وسطها، الدخان يتتصاعدُ وسط الغابة والأعشاب الكثيفة.»

هكذا تكلّمْتُ، فتحطّمتُ أرواحهم في داخل أجسادهم، وقد استعادوا في مُخْلّتهم ما فعله أنتيفاتيس الالايستروجوني، وقسوة الكوكلوب المُتحجّر القلب، من أكل لحوم البشر، فأخذوا يبكون عالياً، وذرقوا الدموع السواجم، ولكن ذلك لم يُجدُهم نفعاً.

## رجال أوديسيوس ينمسخون خنازير

عندئِن، قسمت رجالي المدرّعين جيداً، إلى فرقتين، وعيَّنتُ منهم قائداً لكل فريق، فتوَلَّتُ أنا رئاسة فريقٍ منهم، بينما رأس الفريق الآخر يورولوخوس Eurylochus شبيه الإله، ثم اقتسمنا بسرعةٍ بالأَلْزَام، في خوذةٍ برونزية، فخرج زَلَمْ يورولوخوس الباسل؛ وعلى ذلك انطلق يصاحبه اثنان وعشرون رفيقاً، وكلهم يبكون، وتركونا وراءهم، وهو ينتحبون، فعثروا على منزل كيركي، وسط وديان الغابة، مصنوعاً من الصخر المصقول، في مكانٍ فسيح مكشوف، وكان حول البيت كثيُّر من الذئاب الجبلية والأسود، كانت كيركي نفسها قد مسخَّتها، بأن أعطت الرجال عقاقيرٍ ضارة. غير أن تلك الحيوانات لم تهاجم رجالي، ولكنها زُمَجَّرْتُ نحوهم مُكْشَرَة، وهي تهُزُّ ذيولها الطويلة. وكما يحذُّث عندما تنبَحُ كلاب الصيد حول صاحبها وهو آتٍ من مأدبة، إذا لم يحضر لها أي شيء من قطع اللحم ليُهَدِّئ من غضبها، هكذا أَيْضًا عَوَّت الذئاب القوية المخالب، والأسود، حولهم، فتملَّكُهم الفزع لرؤيا تلك الوحش الكاسرة؛ ولذلك وقفوا عند باب الربة ذات الغدائر الجميلة، فسمعوا في الداخل صوت كيركي تُغْنِي بصوٍّت شجي، وهي تَذْرُعُ أرض ساحتها جيئةً وذهاباً، أمام نسيج عظيم لا يفني، نسيج أشبه ما يكون بعمل الربات، منسوج ببراعةٍ فائقة، فغدا باهراً جميلاً مجيداً؛ عندئِن تَحَدَّثُ إلىهم قائد الرجال بوليتيس Polites، أعز رفقاء على نفسي، وأخلصهم لي، فقال:

«أيها الأصدقاء، إن بالداخل شخصاً يروح ويجيء أمام نسيج فخم، يشدو بصوٍّت رخيم، لدرجة أن الأرض كلها تُدوِّي بصدى غنائه، لا بد أن يكون هذا الشخص ربّاً ما، أو سيدةً من السيدات، هلّموا بنا، نُسِّرع بالنداء عليها.»

ما إن أتم كلامه ذاك، حتى صاح الرفاق، منادين الربة، وفي الحال فُتحت الأبواب المتألقة، وخرجت الربة إليهم، وأمرتهم بالدخول، وبحماقتهم جميعاً ذهبوا معها، ما خلا يورولوخوس؛ إذ ارتاب في أن يكون في الأمر كمين. أدخلتهم، وأجلسنهم فوق مقاعد وأرائك، وأعدّت لهم جرعةً من الجبن ودقيق الشعير والعسل الذهبي، والنبيذ البرامني Pramnian، ولكنها مزجت الطعام بعاقاقير ضارة، كي ينسّوا وطنهم النسيان كله، فلما قدّمت لهم الجرعة، وشربواها، أسرعّت فضربيتهم بصلجانها، وحبسّتهم في حظائر الخنازير. وكان لهم رءوسٌ وصوتٌ وشعرٌ وهيئة الخنازير البرية، أما عقولهم فقد ظلّت كما كانت من قبل دون أن يطأ عليها أي تغيير. وهكذا حبسوا هناك وهم يبكون، وألقت كيركي أمامهم ثمار البلوط، وثمار العوسج، ليأكلوها، ومثل هذه الأشياء تتغذى بها الخنازير الصارخة.

### أوديسيوس يستمع إلى مهنة رفقائه

أسرع يورولوخوس، من فوره، بالعودة إلى السفينة السوداء السريعة، لينقل إلينا خبر رفقائه، ومصيرهم المخزي. لقد ألم الحزن لسانه فلم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة، رغم تلهّفه إلى الإفشاء بما وراءه من الأخبار. وقد اغرسوا عيناه بالدموع، وانصبت روحه على النحيب، فلما سألهما مدهوشين، قصّ علينا ما نال الآخرين من مصير، قائلاً:

«انطلقنا خلال الأدغال، كما أمرتانا أيها النبي أوديسيوس، فوجدنا في مرات الغابة مكاناً جميلاً، مشيداً من الصخور المصقولة، في مكان رحب. وكان هناك شخص يغدو ويروح أمام نسيج هائل، يغنى بصوت واضح، ربّه ما، أو امرأة، فصاحوا عالياً ونادوها، فخرجت من فورها وفتحت الأبواب اللمعة، وأمرتهم بالدخول، فدخلوا معها جميعاً بحماقتهم. أما أنا فتخلّفت وبقيت في الخارج؛ لأنني شكّت في أن يكون هناك كمين. بعد ذلك اختفوا كلهم، ولم يظهر منهم أحد ثانية، رغم أنني انتظرت جالساً في الخارج مدةً طويلة، وظللتُ أراقب.»

### أوديسيوس يهم لنجد رفقائه

عندما سمعت كلامه هذا، وضعت سيفي المرصع بالفضة حول كتفي، وكان سيفاً ضخماً من البرونز، وعلقت قوسي حول جسمي، وأمرت يورولوخوس بأن يقودني، عائداً من نفس

الطريق. بيد أنه أمسكني بكلتا يديه، وأخذ يتتوسل إليّ واصعاً يديه على ركبتي، وكلّمني وهو يبكي بكلماتٍ حماسية، فقال:

«لا تقدّني إلى هناك، بالرغم مني، يا سليل زوس، ولكن اتركتني هنا فإنني أعلم يقيناً، إما أنك لن تعود ثانية، أنت نفسك، وإما أنك لن تُحضر أي واحدٍ من الزملاء، دعنا نهرب بمن معنا هنا. بأقصى سرعة، طالما يُمكّننا أن ننجو من اليوم الشرير.»  
 هكذا تكلّم، ولكنني أجبته بقولي: (يا يورولوخوس، يمكن أن تبقى هنا في هذا المكان، تأكل وتشرب بجانب السفينة الواسعة السوداء، أما أنا فإني ذاهب؛ إذ تقع ضرورة مُلحة على عاتقي).»

## هيرميس يخفُّ لمساعدة أوديسيوس

ما إن قلتُ هذا، حتى انطلقتُ من السفينة، والبحر. بيد أنني، وأنا أجتاز المرات المقدسة، وأوشكتُ على بلوغ منزل الساحرة كيركي، المنيف، قابليني هيرميس، ذو الصولجان الذهبي، التقى بي وأنا ذاهب إلى المنزل، في صورة شابٍ يافع يتّالق وجهه كأنه الفجر الباكر، ويتجلّ في مُحِيَّاه سحر الشباب بأجمل مظاهره، فأمسك بيدي، وخطّبني بقوله:

«إلى أين أنت ذاهبٌ ثانية، أيها الرجل التعيس؟ أهكذا تسير وحدك وسط التلال، دون أن تعرف عن البلاد شيئاً؟ يُؤسفني أن رفقاءك، هناك في كيركي، محبوسون في الحظائر المقاربة القضبان، في هيئة خنازير، فهل أتيت لتخالصهم؟ إبني أُخْبرك، بأنك لن تعود ثانية، أنت نفسك، ولكنك ستبقى هناك مع الآخرين، ولكن تعال، فإني سأنقذك من الأذى وأنجّيك. دونك هذا العشب القوي، وانطلق إلى بيت كيركي، فإنه سوف يُجنب رأسك لليلوم المشئوم. هيا، استمع إلى، فسأُخْبرك بجميع حيل كيركي المؤذية. إنها ستخلط لك شراباً، وتضع في الطعام عقاقير، ولكنها بالرغم من ذلك لن تستطيع أن تَسْحرك؛ لأن العشب القوي الذي سأعطيك، لن يتَأثّر بتلك العقاقير. وسوف أُخْبرك بكل شيء، فعندما تضربك كيركي بصلجانها الطويل، استلّ سيفك الحاد من جانب فخذك، واهجُم عليها، كما لو كنت ستقتلها؛ عندئذٍ سيملّكها الخوفُ منك، وتأمرك بالرقاد معها. بعد ذلك إياك أن ترُض الرقاد في مخدع الربة، لكي تُطلق سراح زملائك، وتُقدّم لك الضيافة، ولكن مُرها بأن تقسم يميناً عظيمة بالآلهة المباركين، أنها لن تُدبر لك أى أذى من جديد، أو تَحِيك ضدك ما يؤذيك، خشية أنها — وقد جعلتك عُريان — قد صَرَّرتَ ضعيفاً عديم الرجولة.»

قال أرجايفونتيس، ذلك القول، وأعطاني العشب، وقد نزعه من الأرض، مبيتاً لي خصائصه. كان أسوداً من جهة الجذر، ولكن زهرته كانت ناصعةً كاللبن. إنه النبات الباقي من السحر؛ فهكذا يسميه الآلهة، ومن العسير على البشر أن ينزعوه من الأرض، غير أن كل شيءٍ مستطاع لدى الآلهة. بعد ذلك انصرف هيرميس إلى أوليمبوس الشامخ، خلال الجزيرة ذات الغابات، فانطلقت في طريقه إلى قصر كيركي، بينما راح قلبي يُفكّر في أمورٍ كثيرة، متشائماً وأنا ذاهب؛ ومن ثمَّ وقفت عند أبواب الربة الجميلة الجدائ، وقفّت هناك وناديت، فسمعت الربة صوتي وفي الحال أقبلت، وفتحت الأبواب اللامعة، وأمرتني بالدخول، فذهبت معها، وقلبي مضطربٌ غاية الاضطراب. أدخلتني وأجسستني فوق كرسٍ مُرّصع بالفضة، كرسي جميل، بديع الصنع، ومن أسفله كرسٌ صغير للقدمين. وأعدت لي الجرعة في كأس ذهبية، كي أشربها، ووضعت فيها عقاراً، وهي تُضمر السوء في قلبه، غير أنه عندما تناولتها منها، وشربتها، لم أُسْحَر، فضررتني بصولجانها، وهي تقولي: «انطلق الآن إلى الحظيرة، وارقد مع بقية زملائك.»

### أوديسيوس يقهر كيركي

قالت هذا، ولكنني سللت حسامي البثار من جوار فخذي، وهجمت على كيركي، كما لو كنت سأقتلها. بيد أنها صاحت صيحةً بالغة، وارتلت على الأرض، ممسكة بركبتي، وأخذت تتحدى إلى بعباراتٍ حماسية، وهي تبكي، فقالت: «من تكون يا هذا بين البشر، ومن أين قدمت؟ أين تقع مدینتك، وأين أبواك! إنني لأعجب من أنك تجرعَت تلك الكأس المسحورة، ولم تؤثر فيك بحالٍ ما؛ فما من رجل كائنٌ من كان، استطاع مقاومة هذه الرُّقْيَة بمجرد أن يشربها وتمر من بين شفتيه. كلا، إن قلبك، الكائن في صدرك، ليس من النوع الذي يُخدع. لا رَيْب أنك أوديسيوس، الحاضر الحيلة، الذي كثيراً ما أخبرني أرجايفونتيس، ذو الصولجان الذهبي، أنه سيأتي إلى هنا، وهو في طريقه إلى الوطن، قادماً من طروادة، في سفينته السريعة السوداء. خل عنك، وضع سيفك في غمده، وهياً بنا نصعد إلى فراشي، حتى إذا ما ضمّنا الفراش معًا في عشق، استطاع كلُّ منا أن يثق بالآخر.»

هكذا تكتمت الربة، ولكنني أجبتها بقولي: «أي كيركي، كيف تأمرينني بأن أكون رقيقاً معك، أنت يا من حولت رفافي إلى خنازير في ساحاتك، والآن تحتفظين بي هنا، وبنية خداعة تأمرينني بالذهاب إلى حجرتك، والصعود معك إلى فراشك، حتى إذا تجردت من



وسللتْ حسامي البتّار، وهجمتْ على كيركي.

سلاحِي وملابسي، أُمكِنِكِ أنْ تجعليني ضعيفاً مختنّاً؟ كلاً أيتها الربّة؛ فما أنا بالشخص الذي يتوق بحقّ إلى الصعود إلى فراشك، إلا إذا وافقتِ أيتها الربّة، على أنْ تُقْسِمِي يميناً لا حِنْثَ فيها، أُنِكِ لن تحِيكي ضدِي أيَّ أذى جديداً ضارّ بي».»

### كيركي تَعدُّ أوديسيوس بالأمان

هكذا قلتُ لها، فأقسّمت في الحال أنها لن تُنزل بي أي ضرر، كما أمرتُها، وبعد أن حلّفت اليّمين، وانتهت منها، صَعِدت إلى فراشها الجميل، فراش الربّة كيركي.



كانت وصيفاتها، في تلك الأثناء، مشغولات في الساحات. إنهن خادماتها الأربع، اللواتي  
كن يعشن معها في ذلك البيت. إنهن بنات الينابيع والكهوف والأنهار المقدسة التي تتدفق  
وتصب في البحر، فشرعت إداهن تضع فوق الكراسي طنافس جميلة من الأرجوان،  
وفرشت من تحتها قماشاً من الكتان، وجاءت أخرى بمناضد من الفضة وضعتها أمام  
المقاعد، ووضعت فوقها أسفاطاً من الذهب، بينما راحت ثلاثة تخلط الخمر الحلوة العسلية  
في طاسٍ من اللجين، وأخذت تُقدم كثوساً من العسجد، بينما أحضرت الرابعة ماء،  
وأوقدت ناراً عظيمة تحت قدر كبيرة، فصار الماء يسخن. ولما غلى الماء في البرونز اللامع  
أدخلتني إلى الحمام، وغسلتني بالماء من القدر الكبيرة، وكانت تمزجه بالماء البارد ليصير  
مناسباً لاحتياطي، فطفقت تُسُكِّبُه فوق رأسي وكتفي، حتى أزالت التعب المُهلك للروح، من  
أطرافي. وبعد أن انتهى الاستحمام، ودعكت جسمي جيداً بالزيت، ودثّرتني في عباءة جميلة  
ومعطف، قادتني إلى البهو، وأجلستني فوق كرسيٍّ مرصَّع بالفضة — كرسي جميل بديع  
الصنع عند أسفله كرسيٌّ صغير للقدمين. بعد ذلك جاءت إحدى الإماء بماء لغسيل الأيدي،  
في إبريقٍ بديع من الذهب، وسكتبه في طستٍ من اللجين، كي أغسل يدي، ودفعت إلى جنبي  
منضدةً لامعة، ثم جاءت ربَّة البيت القاسية، ووضعت أمامي خبزاً، ولحماً كثيراً، واهبةً  
ذلك بكرم، من خزينها. وبعدئذ أمرتني بتناول الطعام، غير أن قلبي لم يكن ميلاً إلى ذلك؛  
فبالحرى، جلستُ وقد انتابتني الأفكار، وأنذرتني روحي بشر.

لاحظَتْ كيركي ما يُخالج نفسي وأنا جالس هكذا، لا أمد يدي إلى الطعام، بل يبدو على وجهي أنني مُثقل بالحزن والغم الشديد، فاقتربت مني، وتحدثت إلى بكلماتٍ سريعة،<sup>٩</sup> قائلةً:

«لم تجلس هكذا، يا أوديسوس، أشبه بشخص أبكم، تُذيب قلبك همّاً وحزناً، دون أن تمسّ أي طعام أو شراب؟ هل تقدح ذهنك تفكيراً في حيلة أخرى؟ كلا، لست بحاجةٍ لأن تخاف شيئاً ما، بأية حال من الأحوال، طالما أنني قد أقسمت لك تلك اليمين، التي لا حِنْث فيها قط، بِالْأَوْذِيْكِ.»

هكذا قالت، ولكنني أجبت بقولي: «أيا كيركي، أي رجلٍ سليم العقل، يمكنه إجبار نفسه على تذوق الطعام أو الشراب، قبل أن يُطلق سراح زملائه، وبُيصر بهم أمام وجهه؟ فإذا كنتِ بنيّة خالصة، تأمرينني بتناول الطعام، والشراب، فهيا أطلقني سراحهم كي تُشاهد عيناي رفقاء الأوفياء.»

## الخازير تنمسخ رجالاً كما كانوا

كان هذا حديثي إليها، فانطلقت كيركي عبر البهو، تحمل في يدها صولجانها، وفتحت أبواب الحظيرة، وأخرجتُهم في صورة خازير سنُّها تسع سنوات، فوقفوا أمامها هناك على تلك الهيئة، وذهبَت هي في وسطهم، وأخذت تدهن كل رجلٍ بجرعةٍ سحرية أخرى، فطفق الشعر يتتساقط من أطرافهم، ذلك الشعر الذي نما عليها بتأثير العقار الضار، الذي كانت أعطتهم إياه كيركي الجليلة. وهكذا صاروا رجالاً من جديد، أقرب إلى الشباب مما كانوا من قبل، وأبهى منظراً وأطول قامة، للرائين. لقد عرفوني، فتعلّق كل رجلٍ منهم بيدي، وتشنّجت أطرافهم من فُرط فرّحهم، ودوّى المنزل من حولهم بالأعاجيب، حتى إن الربة نفسها، ثارت فيها عاطفة الشفقة.

بعد ذلك اقتربت الربة الفاتنة مني، وقالت: «يا ابن لايرتيس، يا سليل زوس، أي أوديسوس، الواسع الحيلة، انطلق الآن إلى سفينتك السريعة، وإلى ساحل البحر، وابداً أولاً، وقبل كل شيء، بسحب السفينة فوق الير، واحزن أمتعتك وسائر حاجياتك وحبال سفينتك في الكهوف، ثم ارجع إلى هنا، أنت نفسك، وأحضر معك زملاءك المخلصين.»

<sup>٩</sup> الترجمة الحرافية: «بكلماتٍ مجنة».

## أوديسيوس ورفاقه يقيمون لدى كيركي

ما إن قالت هذا حتى وافق قلبي العظيم، فانطلقتُ من فوري، أُشُق طريقي إلى السفينة السريعة، وشاطئ البحر، فألفيت رفقاء المخلصين هناك، بجوار السفينة السريعة، يبكون أمض البكاء والله، ذارفين الدموع الغزار. وكما يحدث عندما تعب العجول في القرية حول قطuan البقر العائدة إلى الفناء، بعد أن رعت ما شاء الله أن ترعى — فتذهب كلها سوياً، وتمرح أمامها، فلا تعود الحظائر تحتويها، ولكنها تخور خواراً مستمراً وتجري حول أمهاها — هكذا فعل أولئك الرجال، بمجرد أن أبصرتني عيونهم؛ إذ التفوا حولي يبكون، وفرحت قلوبهم، كما لو كانوا قد بلغوا أرض وطنهم، وقلب مدينة إيثاكا الوعرة، حيث نشئوا وتترعرعوا، وبالنحيب خاطبوني بكلماتٍ مجنة،<sup>١٠</sup> قائلين:

«ما أعظم سُرورَنا لعودتك، أيها المنحدر من زوس، كما لو كنا قد عدنا إلى وطننا، إيثاكا! هيا، قُص علينا ما حَدث لبقية الرفاق.»

هكذا قالوا، فأجبتهم برقيق الألفاظ، قائلًا: «هيا بنا، أولاً وقبل كل شيء نسحب السفينة فوق اليابسة، ونخزن أشياءنا وجميع الحبال في الكهوف، ثم ننطلق جمِيعاً، لكي ترُوا زملاءكم في ساحات كيركي المقدسة يشربون ويأكلون، وأمامهم خزينٌ لا ينضُب معينه.»

ما إن قلت لهم هذا، حتى صدّعوا بالأمر. وكان يورولوخوس وحده هو الذي حاول أن يمنع جميع الزملاء من تلبية أمري؛ إذ خاطبهم بعبارات حماسية، فقال:

«ويحكم أيها الرجال الأشقياء! إلى أين نحن ذاهبون؟ لماذا أنتم مُغرمون بهذه المحن هكذا؟ كأن تذهبوا إلى منزل كيركي، التي سوف تُحوّلُنا جميعاً إلى خنازير، أو إلى ذئاب أو أسود، لترغمنا على حراسة بيتها بالقوة! هكذا فعل الكوكلوب أيضاً. عندما ذهب زملاؤنا إلى كهفه، بصحبة هذا الطائش أوديسيوس؛ لأنه من جراء تهور هذا الرجل هَلَكُوا هم أيضاً.»

كان هذا قوله، فاحتار قلبي، ما أفعل، هل أستل سيفي الطويل من جانب فخذلي المسكين، فأحُرُّ به رأسه، ليتدرج على الأرض، بالرغم من أنه يمُت إلى بصلة النسب من

<sup>١٠</sup> أي سريعة أو حماسية.

ناحية الزواج؟! غير أن رفقاءِي، حاولوا، واحداً بعد آخر، أن يمنعوني، برقيق الألفاظ،  
قائلين:

«أيها المنحدر من زوس، إننا طوعُ أمرك، فلو أمرتنا لتركتنا هذا الرجل هنا بجانب السفينة، لكي يحرسها، أما نحن فلَكَ أن تقدونا إلى بيت كيركي المقدس.»  
قالوا هذا، وخرجوا من السفينة والبحر. ولم نترك يورولوخوس بجانب السفينة  
الواسعة، بل ذهب معنا؛ إذ خشي لومي اللاذع.

عندما بلغنا ساحاتِ كيركي، غسلت باقي زملائي في اهتمام بالغ، ودهنتهم جيداً  
بالزيت، ودثُرْتهم في عبایاتٍ من الصوف ومعاطف، ووجَدْنا رفاقنا جميعاً يُولمون في  
الساحات، ملء بطونهم، فلما رأوا الآخرين، وتعَرَّفَ كلُّ منهم على الآخر، وجهاً لوجه، بكموا  
وانتَحَبوا ودُوَّيَ البيت من حولهم بالبكاء، فاقترَبَت مني الربة الحسنة، وقالت:

«كُفُوا بعد الآن عن هذا النحيب المريض؛ فإنني، أنا نفسي على علمٍ بجميع المحن التي  
تکبَّدتموها وسط الخضم الراهن، وكل المصائب التي أنزلها بكم أولئك الأقوام الأفظاظُ  
فوق سطح الأرض. هُلُمْوا، إلى تناول الطعام والشراب والخمر، إلى أن تسترُّوا من جيدِ  
أرواحكم إلى داخل صدوركم، كما كنتم في البدء عند رحيلكم من وطنكم إيثاكا الوعرة؛  
فإنكم الآن قد نَوَيْتم، وخارت قواكم، من جراء تفكيركم في الرحلات الشاقة، ولم تدخل  
السعادة قلوبكم قط؛ إذ في الحقيقة، قد تکبَّدتم الكثير.»

### كيركي توافق على رحيل أوديسوس

هكذا قالت كيركي، فوافقت قلوبنا العالية؛ ومن ثمَّ بقينا هناك، يوماً بعد يوم، لمدة عامٍ  
كامل، نُولِم على لحمٍ وفيه، وخمُر لذيندة، فلما انقضت السنة ومررت الفصول، بتعاقب  
الشهور، ومرور الأيام الطويلة في مجريها، استدعاني زملائي الأوفياء، وقالوا لي:  
«أيها الرجل الغريب، أما آن لكَ أن تُفكِّر الآن، أخيراً في وطنك إذا كان مكتوبًا لكَ أن  
تنجو، وأن تصل إلى بيتك السامي السطح؟»

هكذا تكلَّموا فوافقت قلبي السامي، وبقينا اليوم ببطوله، حتى غروب الشمس، جالسين  
إلى موائدٍ زاخرة باللحم الكثير والخمُر اللذيندة، فلما اختفت الشمس وراء الأفق، وجاءت  
الظلمة، رقدوا في الساحات الظلليلة لينعموا بالنوم، بينما صَدِعْتُ أنا إلى فراش كيركي

الواخير، وتوسلتُ إليها، جاثيًّا عند ركبتيها، فسمِعَتْ الربة تضرُّعي، وتكلَّمتُ مخاطبًا إياها بعباراتٍ سريعة، فقلتُ:

«هيا كيركي، حَقّي لي الْوَعْدُ الَّذِي قَطَعْتُهُ عَلَى نَفْسِكِ، بَأْنَ تَبْعَثِي بِي إِلَى الْوَطَنِ؛ فَإِنَّ رُوحِي تَتَوَقَّعُ الْآنَ إِلَى الرَّحِيلِ، وَكَذَلِكَ أَرْوَاحُ زَمَلَائِيِّ، الَّذِينَ يُذَبِّيُونَ قُلُوبِيِّ. وَهُمْ يَجْلِسُونَ مِنْ حَوْلِي يَبْكُونُ، كَلَّا مَا تَصَادَفَ أَنْ تَكُونِي بِمَنَّائِي عَنْهُمْ.»

### أوديسيوس يذهب إلى هاديس

ما إن قلتُ لها ذلك القول، حتى أجاَبَتْنِي الربة الفاتنة في الحال، بقولها: «يا ابن لايريتيس، أيها المنحدر من زوس، أي أوديسيوس الكثير الحيل، لن تبقى بعد الْآنَ مدةً أَطْوَلَ مِنْ تِلْكَ فِي بَيْتِي ضَدَ رَغْبَتِكَ، بِيدِ أَنَّكَ أَوْلَى، أَنْ تُتَمِّمَ رَحْلَةً أُخْرَى، وَتَذَهَّبَ إِلَى بَيْتِ هَادِيَسِ، وَبِيرِسِيفُونِي<sup>١١</sup> الرَّهِيْبَيْةِ، بِحَثَّاً عَنْ عَرَافَةِ رُوحِ تَايِريسيَاسِ Teiresias الطَّبِيِّيِّ، ذَلِكَ الْعَرَافُ الضَّرِيرِ، الثَّابِتُ الْجَنَانَ؛ فَقَدْ مَنَحْتُهُ بِيرِسِيفُونِي سَدَادَ الرَّأْيِ، حَتَّى بَعْدِ مَوْتِهِ، لَكِي يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ صَاحِبُ الْإِدْرَاكِ، بَيْنَمَا يَتَخَبَّطُ الْآخْرُونَ هُنَا وَهُنَاكَ كَالْأَشْبَاحِ.»

هَذَا قَالَتِ الْرَّبَّةُ، فَتَدَعَّتِ رُوحِي دَاخِلَ صَدْرِيِّ، وَشَرَعْتُ أَبْكِي وَأَنَا اجْلَسُ فَوْقَ الْفَرَاشِ، وَلَمْ يَعُدْ لِقَلْبِي أَيْةٌ رَغْبَةٌ فِي الْحَيَاةِ وَرَؤْيَا ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَبَعْدَ أَنْ بَكَيْتُ مَا شَئْتُ أَنْ أَبْكِي وَأَوْلَوْلُ، أَجْبَتُ كِيرْكِيَّ، مَتَحَدِّثًا إِلَيْهَا بِقَوْلِي:

«أَيُّ كِيرْكِيَّ، مَنْ ذَلِكَ الَّذِي سِيَقُونَا فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ؟ فَلَمْ يَسْبِقْ لِبَشِّرٍ أَنْ ذَهَبَ قَطَ إِلَى هَادِيَسِ فِي سَفِينَةٍ سُودَاءِ.»

ما إن قلتُ هَذَا، حتى أجاَبَتْنِي الربة الجميلة، في الحال، بقولها: «يا ابن لايريتيس، يا أيها المنحدر من زوس، أي أوديسيوس البالغ الحيلة، لَا تُنْفَكِّرْنَ فِي نَفْسِكِ، بَمِنْ سِيَكُونُ الدَّلِيلُ لِيَقُودُ سَفِينَتِكَ، وَإِنَّمَا ارْفَعُ الصَّارِيِّ، وَانْثُرُ الشَّرَاعَ الْأَبْيَضَ، وَاجْلَسْ، وَعَنْدِئِذٍ سَتَدْفَعُهَا نَسْمَةُ الْرِّيحِ الشَّمَالِيَّةِ فِي طَرِيقِهَا، وَبَعْدَ أَنْ تَكُونَ قَدْ قَطَعْتَ بِسَفِينَتِكَ، مَجْرِيُ الْأَوْقِيَانُوسِ، حِيثُ يُوجَدُ سَاحِلٌ مَسْتِوٌّ، وَحِيثُ تُوجَدُ مَغَارَاتُ بِيرِسِيفُونِيِّ – تَحْيِطُ بِهَا أَشْجَارُ حُورٍ بَاسِقةٍ، وَصَفَصَافٍ دَانِيَّةُ الْقَطْوَفِ – ارْسُ بِسَفِينَتَكَ هُنَاكَ، بِجَانِبِ أَوْقِيَانُوسِ الْعَمِيقِ الدَّوَّامَاتِ، ثُمَّ انْطَلِقْ بِنَفْسِكِ إِلَى بَيْتِ هَادِيَسِ الرَّطْبِ. هُنَاكَ، إِلَى دَاخِلِ أَخْرِيَّوْنَ<sup>١٢</sup> Acheron

<sup>١١</sup> زوجة رب الحجيم.

يتدفق بيريفليجيثون Periphlegethon و kokotous Styx، المترفرع من مياه ستوكس، وهناك صخرة، ومكان اجتماع النهرتين الصالحين. اقترب من هناك، أيها الأمير، كما أمرك، واحفر حفرة طولها ذراعٌ من هنا إلى هناك، واسكب سكينةً حولها لجميع الموتى، أوّلاً من اللبن والعسل، ثم من الخمر الحلوة، وثالثًا مرةً من الماء، وانثر فوقها حفنةً من الشعير الأبيض. ويجب عليك أن تستعطف بشدةٍ رعوس الموتى، عديمة القوة، وانذر أنك عندما تبلغ إثاكا، تنحر في ساحاتك عجلةً عاقراً، تكون خير ما عندك من العجل، وأن تملأ الذبح بالهدايا القيمة، وأن تذبح لتاييريسياس وحده ك بشًا، أسود كله، أعظم ك بش في قطيعك. وبعد أن تتوسل متضرعًا إلى قبائل الموتى المجيدة، اذبح ك بشًا ونجة سوداء، مدبرًا رأسهما صوب إريبوس Erebus، بينما تتجه أنت نفسك إلى الخلف، ووجهك إلى مجرى النهر؛ عندئذ ستأتي إليك أشباح كثيرٍ من الموتى، فنادِ بعد ذلك رفقاءك، ومُرهم بأن يسلخوا ويحرقوا الخراف الملقاة هنا وهناك، مذبوحة بالبرونز القاسي، وصلوا إلى هاديس العتيق، وإلى بيرسيفوني المهوية. أما أنت فاستل حسامك البثار من جانب فخذك، واجلس هناك، لتُبعد رعوس الموتى، المجردة من القوة، عن الدم إلى أن تنتهي من استجواب تاييريسياس. سيأتيك العراف، قائد البشر، فورًا، ويخبرك بالطريق التي تسلكها وأطوالها، وعن كيفية عودتك، وكيف تستطيع الإبحار وسط اليم الصالب.»

هكذا قالت، وفي الحال، لاح الفجر الذهبي العرش، فألقت حولي عباءة ومعطفاً، وتذرت الحورية في ثوب طويل أبيض، دقيق النسيج جميل، وشدّت وسطها بزنارٍ بديع من الذهب، وألقت فوق رأسها خماراً، فسرتْ عَبر الساحات، وأيقظتْ رجالٍ برقيق الألفاظ، متوجهًا نحو كل رجلٍ بدوره أقول لهم:

«لا تناموا بعد الآن، ولا تستغرقوا في الكري اللذيد، بل هلموا بنا ننطلق؛ فللهعجب، أن كيركي الجليلة قد أفضت إلى بكل شيء!»

## إلينور يبقى مع كيركي

لما قلتُ لهم هذا، وافقت قلوبهم الشامخة. بيد أنه لم يكن في مقدوري، أن أقود رجالٍ سالحين، حتى من هنا؛ فقد كان هناك إلينور Elpenor، أصغر الجميع ولم يكن شجاعاً في

١٢ نهر الألام في العالم السفلي حيث كانت تأوي أرواح الموتى ليحملها خارون عَبر البحر.

الحرب، ولا سليم الإدراك، إنه آثر أن يتخلّف عن رفقائه في بيت كيركي المقدس، طلباً للهوا  
الرطب؛ إذ كان مُثقلًا بالخمر، فسمع الضوضاء التي أحدها زملاؤه وهم يتّحركون هنا  
وهنالك، فوثب فجأة ناسيًا أن يتجه نحو السلم الطويل ليهبط، وعندئذٍ سقط من السطح،  
فانكسر عنقه منفصلاً عن سلسلة ظهره، فهَبَطَ روحه إلى بيت هاديس.

وبينما كان رجالي في طريقهم خاطبُتُهم بقولي: «إنكم تظُنُّون أنكم ذاهبون بحقٍّ  
إلى وطنكم العزيز، ولكن كيركي قد عيَّنَتْ لنا رحلةً أخرى، إلى بيت هاديس وبيرسيفوني  
المهوية، لنستشير روح تايريسياس الطبيبي..»

ما إن أخبرتُهم بهذا حتى جزَعَتْ أرواحهم في داخلهم، ولما اعتَلَوا في مجالسهم حيث  
كانوا، أخذوا يبكون، وشدُّوا شعورهم، بيد أن بقاءهم لم يُجدهم نفعاً.

وبينما نحن في طريقنا إلى السفينة السريعة، وإلى شاطئ البحر، محزونني الفؤاد،  
نَذَرْفُ الدموع السواجم، كانت كيركي، في نفس الوقت، قد سبقَتْنا إلى هناك، ووضَعَتْ إلى  
جانب السفينة السوداء ك بشَا ونَعْجَةً سوداء؛ إذ كان من اليسير عليها أن تذهب قبلنا إلى  
هناك. ومن ذا الذي يستطيع بعيونه رؤية رب، ضد رغبته، سواء أكان غاديًا أم رائحًا؟



## الأنشودة الحادية عشرة

### وصول أوديسسيوس إلى أوقيانوس

نزلنا إلى البحر وامتطينا ظهر السفينة، بعد أن سحبناها أولاً إلى البحر اللامع، وثبتنا الصاري والشراع في السفينة السوداء، وحملنا الخراف إلى سطح السفينة، ثم صعدنا نحن أنفسنا محزوني الأفئدة، نذرف الدموع الغزار. وقد أرسلت ريح معتدلة؛ لتساعدنا في أن تمر سفينتنا الدكناه الحيزوم عباب اليم، فملأت الشراع، وكانت لنا رفيقاً عظيماً، وأرسلتها لنا كيركي الجميلة الجدائل، تلك الربة المرهوبة الجانب، التي تتكلّم لغة البشر. وهكذا بعد أن ثبّتنا سائر الحال في مختلف أجزاء السفينة، جلسنا، وتولّت الريح، وقاد الدفة، تسيرها لتشق طريقها قُدُّماً؛ فطوال اليوم كله، كان الشراع منبسطاً، وهي تجري على صفحة الماء، ثم غابت الشمس، وغدت جميع السبل مظلمة.

وصلت السفينة إلى أوقيانوس العميق المجرى، والذي يحدُّ الأرض، حيث بلاد ومدينة الكيميريين Cimmirians<sup>١</sup>، الملتقة بالضباب والغيوم، لا تُشرق عليها الشمس بأشعتها، لا عندما ترتفع في كبد السماء ذات النجوم، ولا عندما تعود ثانية إلى الأرض من السماء، وإنما ينتشر الليل الضار، بظلماته الدامس فوق رعوس البشر التعساء، فوصلنا إلى هناك، وأرسينا سفينتنا، وأنزلنا الخراف، وذهبنا نحن أنفسنا إلى جوار مجرى أوقيانوس حتى بلغنا المكان الذي حدّتنا عنه كيركي.

<sup>١</sup> شعبٌ خرافي يقيم في أقصى الغرب إلى جوار أوقيانوس، في بلاد كلها ضباب وسحاب، لا تبصر الشمس في شروقها أو غروبها.



وأخذتُ أستعطفُ بحرارةٍ رءوسَ الموتى المجردة من القوة.

## أوديسيوس ينحر الذبائح للموتى

في ذلك المكان أمسك بيريميديس Perimedes ويورولوخوس الذبائح، بينما سحبتُ أنا سيفي من جوار فخدي، وحفرتُ حفرةً طولها ذراعٌ من هنا وذراعٌ من هنا، وسكتُ حولها سكينةً لجميع الموتى، بادئًا باللبن والعسل، ثم باللحم اللذيد، وفي المرة الثالثة بالماء، ثم نثرتُ فوقها مطحون الشعر الأبيض، وأخذتُ أستعطفُ بحرارةٍ رءوسَ الموتى المجردة من القوة، وندرتُ أتنى عندما أبلغ إيثاكا، أذبح في ساحاتي عجلةً بكرًا، تكون خيرًا ما عندي من العجلول، وأكُّس الهدايا العظيمة فوق مذبحي، وأنحر لتايريسياس وحده كبشًا، أسودَ كله، يكون أعظم كبشٍ في قطعاني. وبعد أن تضرّعتُ إلى قبائل الموتى بالندور والتوصُّل، وأمسكتُ الخراف، ونحرتُ حلوتها فوق الحفرة، فتدفقَ منها الدم القاتم. بعد



ذلك، احتشدت هناك، من داخل إيريبوس<sup>٢</sup> أرواح من ماتوا، من عرسان وشبابٍ أعزب، وشيخوخ أنهكتهم المتابع، وعذاري رقيقاتٍ ذوات قلوبٍ حديثة العهد بالحزان، وكذلك أرواحٍ كثيرين من أصابتهم الرماح البرونزية الأطراف بالجراح، أولئك الرجال الذي خرُوا صرعى في القتال، وهم مُرتدون عَدَّدهم الحربية الملطخة بالدماء. أسرع هؤلاء يتهافتون في جموعٍ غفيرة حول الحفرة من كل صوب، يصيحون صيحاتٍ عجيبة، فتملَّكَني الربع المُسَبِّبُ شُحوبَ اللون. بعدئذ ناديتُ زملائي وأمرتهم بأن يسلخوا أو يحرقوا الخراف الملاقة هناك بعد أن ذبحتُ بالبرونز القاسي، وبأن يقوموا بالصلة إلى الآلهة، إلى هاديس العتيق، وإلى بيرسيفونى المرهوبة. أما أنا نفسي، فقد سللتُ حسامي البتار من جوار فخذى، وجلستُ هناك، ولم أسمح لرعوس الموتى المجردة من القوة بأن تقترب من الدم إلا بعد أن استجوبتُ تايريسياس.

<sup>٢</sup> يُمثّل الظلمة وعلى الأخص ظلمة باطن الأرض التي لا يمكن اختراقها؛ ولذلك يُستخدم اسمه عادةً إشارةً إلى العالم السفلي نفسه.



بينما سحبْتُ أنا سيفي الحادَّ وحفرْتُ حُفْرَةً طولُها ذراعٍ.

### أوديسيوس يلتقي بروح إلبينور

كان رُوحُ رفيقي إلبينور هو أَوَّلُ من جاءَ؛ فلم يَكُن قد دُفِنَ بعْدَ تَحْتَ الْأَرْضِ الفَسِيْحَةِ الطَّرِقَاتِ؛ لَأَنَّا كَنَا كَدَّ تَرَكَنَا جَثَّتَهُ وَرَأَنَا فِي سَاحَةِ كِيرْكِيِّ، دُونَ أَنْ يَبْكِيَهَا أَحَدٌ، وَدُونَ أَنْ تُدْفَنَ؛ حِيثُ قَدْ شُغَلَنَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَهْمَمَةٍ أُخْرَى كَانَتْ تَدْفَعُنَا إِلَى الإِسْرَاعِ فِي طَرِيقَنَا<sup>٢</sup>،

<sup>٢</sup> هذه العبارة الأخيرة لا وجود لها في النص اليوناني، أوردها زباداً في الإيضاح.

فما إن أبصرته حتى بكَيْتُ، وتحرَّكَ قلبي بالعطف عليه، فتحدَّثْتُ إليه وخطبُته بكلماتٍ مجنةً، <sup>٤</sup> قائلًا:

«كيف جئتَ تحت جنح الظلام الدامس، يا إلبينور؟ إن مجئك على القدمين، قد سبقَني وأنا قادم في سفينتي السوداء.»

هكذا قلتُ له، فأجابني بقوله: «يا ابن لايرتيس، أيها المنحدر من زوس، أي أوديسيوس الكبير الحيل، إن مصيرًا شريراً، من أحد الآلهة، كان فيه هلاكي، إنها الخمر الغزيرة؛ فعندما استيقنتُ لأنما في بيتي كيركي لم أفكَر في اتخاذ السلم الطويل لكي أهبط من جديد، ولكنني قفزتُ من السطح، فدُقَّت رقبتي وانفصلت عن سلسلة ظهري، فهبطت روحى إلى بيت هاديس. والآن أتوسَّل إليك بحق أولئك الذين خلَّفُناهم وراءنا، الذين ليسوا معنا هنا، وبزوجتك وبأبيك الذي ربَّاك منذ عهد الطفولة، وبابنك تيليماخوس الذي ترَكَته صبيًّاً وحيدًا في ساحاتك؛ لأنني أعلم أنك عندما تنصرف من هنا، من بيت هاديس، ستُمْرِّ بسفينتك المتينة البناء، على الجزيرة الإيالية، أطلب منك، أيها الأمير، أن تتدَّنِّرْني هناك. لا تتركني وراءك دون أن تبكيَني، ودون أن تدْفِنْني، وأنت راحلٌ من هناك، ولا تُوَلِّني ظهرك، خائفًا أن أجلب عليك غضب الآلهة، بل أحْرِقْني في حُلُّي الحربة وهي كل ما أملك، وكُوْمٌ لي رابية فوق ساحل البحر السنjabي، تخليدًا لذكرى رجلٍ شقي، كي يعلم من سوف يُولَدُون بعدُ، شيئاً عنِّي. حقٌّ لي هذا الرجاء، وأقم فوق الرابية، مجذافي الذي كنتُ أُجَدِّفُ به في حياتي، عندما كنتُ بين زملائي.»

قال هذا، فردَّتْ عليه بقولي: «سوف أفعل لك كل هذا، أيها الرجل البائس.» هكذا جلسنا، كلانا، وتحدَّثْ كلُّ منا إلى الآخر أحاديث الحزن، أنا على جانب، وسيفي قائمٌ بيدي فوق الدم، بينما هو على الجانب الآخر، وكان طيفُ رفيقي هذا يتكلم بإسهاب.

### أوديسيوس يبكي على روح أمه

بعد ذلك أقبلَت روح أمي الميتة، أنتيكليا Anticleia، ابنة أوتولوكوس Autolycus المقدام، الذي خلَّفْته ورأيَ حيًّا عندما رحلَت إلى إليوس المقدَّسة، فعندما رأيَتها بكَيْتُ، وأحسَّ قلبي

<sup>٤</sup> أي: «حارة».

بالشَّفَقَةِ نَحْوَهَا، وَلَكُنِي رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ أَدْعُهَا تَقْرَبَ مِنَ الدَّمِ، مَعَ كُلِّ مَا فِي قَلْبِي مِنْ حَزْنٍ  
بِالْعَلَمِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ اسْتَجَوْبُ تَايِرِيسِيَّاسَ.

## أُودِيسِيُّوسْ يُلْتَقِي بِرُوحِ الْعَرَافِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَتْ رُوحُ تَايِرِيسِيَّاسَ ° الطَّبِيعِيِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ صُولْجَانَهُ الْذَّهْبِيِّ فِي يَدِيهِ، فَعَرَفْنِي  
وَخَاطَبَنِي بِقَوْلِهِ: «يَا ابْنَ لَاِيرِتِيسْ، أَيَّهَا الْمَنْهَدِرُ مِنْ زُوسَ، أَيُّ أُودِيسِيُّوسْ الْكَثِيرُ الْحِيلِ، مَا  
خَطَبُكَ الْآنَ، أَيَّهَا الرَّجُلُ التَّعِيسِ؟ مَلَذَا تَرَكْتَ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَقَدِمْتَ إِلَى هَذَا، لَتَرِي الْمَوْتَ،  
وَمَنْطَقَةُ لَا مَرْحَ فِيهَا؟ لَا تَقْفَ هَكُذا، ابْتَعِدْ عَنِ الدَّمِ، وَأَدِرْ سِيفَكَ الْحَادَّ إِلَى الْوَرَاءِ، حَتَّى  
أَشْرَبَ مِنَ الدَّمِ وَأَخْبُرَكَ بِالْحَقِيقَةِ.»

هَكُذا تَكَلَّمَ، فَابْتَعَدْتُ وَأَغْمَدْتُ سِيفِيَّ الْمَرْصَعَ بِالْفَضَّةِ فِي غَمَدَهُ، وَبَعْدَ أَنْ عَبَّ مِنَ الدَّمِ  
الْقَانِيِّ، تَكَلَّمَ الْعَرَافُ الْعَدِيمُ لِلْلَّوْمِ، وَخَاطَبَنِي بِقَوْلِهِ:

## تَايِرِيسِيَّاسْ يُدْبِي بِعِرَافَتِهِ لِأُودِيسِيُّوسْ

إِنَّكَ تَسْتَفِهُمْ عَنْ عُودَتِكَ الْحَلْوَةِ كَالْعَسْلِ، يَا أُودِيسِيُّوسْ الرَّائِعِ، وَلَكُنَّ أَحَدُ الْأَلَّهَةِ سِيْجِلُ  
هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ثَقِيلًا عَلَى نَفْسِكِ، فَإِنِّي أَعْتَدْ أَنْكَ سَتُفْلِتَ مِنْ حِبَائِلِ مَزْلَلِ الْأَرْضِ، الَّذِي  
يَزَّخِرُ بِالْغَضَبِ مِنْكِ؛ إِذْ يَقِدْ غَضْبًا مِنْ أَنْكَ أَعْمَيْتَ ابْنَهُ الْعَزِيزِ، وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ  
هَذَا، قَدْ تَصِلَ إِلَى وَطَنِكِ، وَلَوْ كَانَ وَصْوَلُكَ فِي مَحْنَةٍ شَرِيرَةٍ، إِذَا مَا كَبَحْتَ جَمَاحَ نَفْسِكِ،  
وَجَمَاحَ رَفَقَائِكِ، بِمَجْرِدِ أَنْ تَصِلَ بِسَفِينَتِكَ الْمَكِينَةَ الْبَنَاءَ إِلَى جَزِيرَةِ ثَرِينَاكِيَا Thrinacia

° هُوَ ابْنُ الْحُورِيَّةِ خَارِيكُو وَوَالِدُ ابْنَتِهِ وَاحِدَةٌ تُدْعَى مَانْتُو. كَانَ تَايِرِيسِيَّاسْ طَبِيعِيًّا، وَمِنْ أَشْهَرِ الْمَنْجَمِينَ  
وَالْعَرَافِينَ الْذَّائِعِيِّ الصَّيْتِ. اكْتَسَبَ قَدْرَتَهُ عَلَى التَّنْجِيمِ بِطَرِيقَةٍ غَرَبِيَّةٍ، بِيَنْمَا كَانَ يَسِيرُ فَوْقَ جَبَلِ كِيَثَارِيونَ  
ضَرَبَ بِعَصَاهُ ثَعَبَانَيْنِ رَاهِمَا يَخْتَفِيَانِ، فَتَحَوَّلُ هُوَ فِي الْحَالِ إِلَى امْرَأَةٍ. وَبَعْدَ مُضِيِّ سَبْعِ سَنِينَ قَابِلَ هَذِهِ  
الْحَالَةِ مَرَّةً أُخْرَى فَتَحَوَّلُ إِلَى رَجُلٍ. وَيَقُولُ الْبَعْضُ إِنَّ هَذِهِ الْأَمْرُ تَمَّ بِمَسَاعِدَةِ أَبُولُو. سَأَلَهُ زُوسُ أَنْ  
يُفُضَّ نِزَاعًا نَشَأَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ هِيرَا عَنْ أَيِّهِمَا أَكْثَرُ تَمَتَّعَ بِالْحُبُّ الرَّجُلُ أَمُّ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ تَايِرِيسِيَّاسْ إِنَّهَا الْمَرْأَةُ،  
فَأَيَّدَ بِذَلِكَ رَأْيَ زُوسَ، فَاعْتَبَرَتْ هِيرَا ذَلِكَ إِهَانَةً لَهَا وَعَاقَبَتْهُ بِأَنْ سَلَبَتْهُ بَصَرَهُ، فَسَرَّى عَنْهُ زُوسُ بِأَنْ أَعْطَاهُ  
مُوْهَبَةَ التَّنْجِيمِ وَالْحَيَاةِ سَبْعَةَ أَجِيَالٍ، كَمَا وَعَدَهُ بَأَنْ يَحْتَفِظَ فِي هَادِيَسِ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ بِمَلَكَاتَهِ دُونًا عَنِ  
غَيْرِهِ.

هاربًا من البحر البنفسجي، فتجد هناك أبقار وقطعان هيليوس العظيمة، ترعى الكلأ، هيليوس الذي يرى ويسمع كل شيء، فلو تركت هذه القطعان دون أن تمسّها بأذني، واهتممت برحلتك إلى وطنك، فلا شك في أنك بالغ إيثاكا، ولو في محنٍ شريرة. أما إذا تعرّضت لها بالأذى، فإنني أتبّأ بالخراب لسفينتك ولرفقائك، حتى إذا نجوت أنت نفسك، فإنك سوف تصل متأخرًا إلى وطنك، وفي حالة مزريّة، بعد أن تفقد سائر زملائك، وتبلغه في سفينة لرجل آخر، وسوف تُقابل محناتٍ في بيتك؛ فإن في بيتك رجالًا متغطسين، يلتهمون زادك، ويغازلون زوجتك شبيهة الآلهة، ويفقدّون هدايا المغازلة، ولكنك مع ذلك، ستنتقم حقًّا، من أعمالهم التعسّفية عند وصولك، وبعد أن تقتل المغازلين في ساحاتك، سواء بالحيلة، أو علانيةً بالسيف البatar، ستطلق بمجذافٍ جميل، حتى تصل إلى قوم لا يعرفون شيئاً عن البحر، ولا يأكلون أي طعامٍ به ملحٍ،<sup>٦</sup> إنهم لا يعرفون شيئاً عن السفن القرمزية الوجنات، ولا عن المجاذيف المصوّلة، التي هي بمثابة الأجنحة للسفن، وسأخبرك بعلامةٍ واضحة كل الوضوح، لن يفوتك إدراكها، فإذا التقى بك عابرٌ سبّيلٍ آخر وسألّك عما إذا كان لديك مذراةٌ فوق كتفك القوية، فاغرس في الأرض مجاذفك الجميل، وقدّم الذبائح العظيمة للسيد بوسايدون — كبشًا، وثورًا وخنزيرًا بريًّا يكون قد لفّح إناث الخنازير — وارحل إلى وطنك حيث تقوم بتقديم الذبائح المثوية المقدسة للآلهة الخالدين الذين يحتلّون السماء الفسيحة، لكل واحدٍ بدوره ما يليق به. أما الموت فلن يأتيك أنت نفسك، إلا بعيدًا عن البحر؛ إذ تلقى ميته في غاية الرقة، تتغلّب عليك إذ تقهّر الشيخوخة الناعمة،<sup>٧</sup> وسوف يعيش قومك حولك في بحبوحةٍ من العز، بهذا أخبرتك العراف.

هكذا قال العراف، فأجبته قائلًا: «أي تايريسياس، أعتقد أن الآلهة أنفسها قد نسجت خيط مصيري من كل هذا، ولكن خبرني بهذا الذي سأطلبُه منك، وأعلن الحقيقة لي، إنني أرى هنا روح أمي الميّة، إنها تجلس في صمتٍ بالقرب من الدم، ولا تتناول بالنظر إلى وجه ابنتها أو التحدّث إليها. خبرني، أيها الأمير، كيف يمكنها أن تُلاحظ أنني ابنتها.

<sup>٦</sup> الترجمة الحرافية: ممزوج بملح.

<sup>٧</sup> أي وسط الشراء والراحة.

ما إن قلتُ له هذا، حتى أجاب في الحال، بقوله: «ما أيسِرَ الْكَلَامَ الَّذِي سَأْفَضِي إِلَيْكَ  
بِهِ، وَلَتَضَعُهُ نُصْبٌ عَيْنَيْكَ. أَيْ فَرِيدٌ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ مَاتُوا وَرَحَلُوا، سَمِحْتُ لَهُ بِالاقْرَابِ مِنْ  
الدُّمُّ، أَخْبِرْكَ بِنَبْوَةِ كُلِّ مَنْ مَنَعْتُهُ عَادَ مِنْ غَيْرِ شَكٍ».»

## أوديسيوس يتكلم مع روح أمه

ما إن أفضى الأمير تايريسياس، إلى بذلك الحديث، حتى عادت روحه إلى بيت هاديس، بعد أن أخبرني بتتبُّعاته، بيد أنني بقيتُ هناك، ثابتاً في مكاني، حتى أقبلتْ أمي، وشربت من الدم القاني، وفي الحال عرفتني، وبالنحيب كُلَّمْتُني بعباراتٍ حماسية، قائلةً:

«أَيْ بُنْيَ، كَيْفَ جَئْتَ إِلَى هَنَاكَ تَحْتَ جَنْحِ الظَّلَامِ الدَّامِسِ، وَأَنْتَ مَا زَلْتَ حَيًّا؟ إِذْ  
مِنَ الصُّعُبِ عَلَى الْأَحْيَاءِ أَنْ يَرَوْا هَذِهِ الْمَالَكَ، فَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا أَنْهَارٌ عَظِيمَةٌ وَمَجَارِي مِيَاهٌ  
مُفْزَعَةٌ، فَهُنَاكَ أَوْلَأُ أَوْقِيَانُوسٌ، الَّذِي لَا يُسْتَطِعُ أَيْ فَرِيدٌ أَنْ يَعْبُرْهُ عَلَى قَدَمِيهِ بِأَيَّةٍ حَالٍ مِنَ  
الْأَحْوَالِ، بَلْ إِذَا كَانَ يَمْلِكُ سَفِينَةً مَكِيْنَةَ الْبَنَاءِ، أَجْئَتِ الْأَنْفُسَ فَقْطَ إِلَى هَنَا مِنْ طَرْوَادَةِ بَعْدِ  
تَجَوَّلَاتِ طَوْلِيَّةِ بَسْفِينَتِكَ وَرَفَقَائِكَ؟ أَوْلَمْ تَصلِ إِلَى إِيَثَاكا، وَلَمْ تَرَ زَوْجَتَكَ فِي سَاحَاتِكَ؟»

هَذَا قَالَتْ، فَأَجْبَنَّهَا بِقَوْلِي: «أَمَاهٌ، إِنَّهَا الْمَرْوَرَةُ الَّتِي أَنْزَلَتْنِي إِلَى بَيْتِ هَادِيْسِ، بَحْثًا  
عَنْ تَتَبُّعَاتِ رُوحِ تايريسياسِ الطَّبِيِّيِّ؛ لَأَنِّي لَمْ أَصِلْ بَعْدًا إِلَى سَاحِلِ آخَايَا Achaea، وَلَمْ  
تَطَأْ قَدَمِيْيَ أَرْضَ وَطْنِيِّ، بَلْ بَقِيْتُ هَائِمًا عَلَى وَجْهِيِّ، أَكَابِدُ الْمَحْنَ، مِنْذُ أَوْلَى يَوْمٍ رَحَلْتُ  
فِيهِ مَعَ أَجَامِنُونَ الْعَظِيمِ إِلَى إِلِيُوسَ الشَّهِيرَةِ بِجِيَادِهَا، لِأَقْاتَلَ الْطَّرْوَادِيِّينَ، هِيَا خَبْرِيْنِيِّ،  
وَاصْدُقِيْنِيِّ الْقَوْلِ، فِيمَا سَأَسْأَلُكِ عَنْهُ. أَيْ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْتِ الْمُؤْسِفِ قَدْ تَنَلَّبَ عَلَيْكَ؟ كَانَ  
مَرْضًا طَوِيلًا الْأَمْدَ، أَمْ هِيَ الْقَوَاسِيَّةُ أَرْتِيمِيَّسُ،<sup>٨</sup> قَدْ أَصَابَتْكَ بِسَهَامِهَا الرَّقِيقَةِ، فَقَتَّالَكَ؟  
كَذَلِكَ أَعْلَمَنِي عَنْ أَبِيِّ، وَعَنْ أَبْنَيِّ، الَّذِينَ خَلَقْتُهُمَا وَرَأَيْتُهُمَا. أَمَا زَالَ فِي الشَّرْفِ الَّذِي كَانَ  
لِي، أَمْ يَحْظَى بِهِ الْأَنْ رَجُلٌ أَخْرَى، وَهُلْ يَعْتَقِدُونَ أَنِّي لَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمَا ثَانِيَةً؟ كَمَا أَرْجُو أَنْ  
تُخْبِرِيْنِي عَنْ زَوْجِيِّ الَّتِي اقْتَرَنْتُ بِهَا، عَنْ هَدْفَهَا وَعَنْ تَفْكِيرِهَا. أَلَا تَزَالْ باقِيَّةً مَعَ ابْنَهَا،  
وَتَحَافِظُ عَلَى سَلَامَةِ كُلِّ شَيْءٍ؟ أَمْ هَلْ تَرْزُقُهَا رَجُلٌ مَا، يَكُونُ أَفْضَلُ الْأَخْيَّينَ؟»

<sup>٨</sup> هي ديانا عند الرومان. كانت ابنة زوس ولتيتو وشقيقة تويم لأبولو، إله الشمس، كما كانت تحظى بمرتبة رفيعة بين آلهة أوليمبوس، وتُعتبر عادةً ربة الصيد، وعذراء الصيادين المترددة على الغابات والتلال والسهول.

قلتُ هذا، فأجابتنِي والدتي الموقرة، في الحال بقولها: «الحقيقة، إنها تمكث في ساحاتك بإيمانٍ ثابت، وتقضى الليالي والأيام في حزن دائم، لا تقطع عن البكاء. أما الشرف السامي الذي كان لك فلم يستحوذ عليه أحدٌ بعدُ، بل يحتل تيليماخوس أراضيك دون منازع، ويُولم على موائد مناسبة، كما يليق بالرجل الذي يتوهُ العدالة، وكل الناس يدعونه إلى الموائد. أما أبوك فإنه يعيش في الأرض المفلوحة، لا يذهب إلى المدينة، وليس عنده للنوم، فراشٌ ولا عباءاتٌ أو أغطية لامعة، بل يقضى الشتاء ينام في المنزل، حيث ينام العبيد، في الرماد بجانب النار، ويلبس على جسمه ثوباً حقيرياً. حتى إذا ما أقبل الصيف والخريف الغني، امتدتُ أسرته المنخفضة، حول منحدر مزرعة كرومته، وقد تكونت من أوراق الشجر المتتساقطة. هناك يرقد كثيراً، منطويًا على أحزان قلبه البالغة، وهو يتلهَّف شوقاً إلى عودتك، وقد حطَّت عليه الشيخوخة الثقيلة. هكذا هلكتُ أنا أيضاً، ولقيتُ حتفي. ولم تهاجمني الربة القوَّاسة الثاقبة النظر، ولم يصبني أي مرض، كما يحدُث عادةً، أن يسلبَ التعب الشديد الروح من الأطراف؛ كلا، لم يصبني شيء من ذاك، بل هو الشوق إليك، وإلى مشوراتك، يا أوديسيوس العظيم، والحنين إلى رقة قلبك، هو الذي سلبني حياتي الحلوة كالشهد».»

### أوديسيوس يفشل في احتضان أمه

هكذا قالت، فتحيرتُ في قلبي، وتأقت نفسي إلى أن تمسك بروح أمي الميتة، فوثبتُ نحوها ثلاث مرات، وأمرني قلبي بأن أمسكها، وثلاث مرات أفلتَ من ذراعي أشبه بالشبح أو الحُلم، فزاد الألم حدةً في قلبي، وتحدثتُ إليها، مخاطبًا إياها في عبارات حماسية، قائلًا: «أمامه، لم لا تتمكنين من أجلي، أنا الذي أتلهَّف إلى الإمساك بك كي نستطيع، حتى في بيت هاديس، أن يلقي كلُّ منا ذراعه حول الآخر، ونستسلم إلى البكاء العنيف. وهذا الذي أرسلته إلى بيرسيفونى الجليلة، محض طيف، كي تزيد في بكائي وأنيني؟» ما إن قلتُ هذا، حتى أسرعَت أمي المجلَّة، تجيئني بقولها: «ويل لي، يا بني، يا أكثر البشر تعاسةً وسوء حظ! إن بيرسيفونى<sup>٩</sup> ابنة زوس، لا تخدعك بحالٍ ما، ولكن هذه هي الطريقة المتبعة مع البشر عندما يموتون؛ فما عادت الأعصاب تربط اللحم بالعظام، ولكن

<sup>٩</sup> زوجة بلوتو، رب الجحيم.

قوة النار المتأججة القوية، تُحطمُ هذه، بمجرد أن تترك الحياةُ العظامَ البيضاء، وتنطلق الروح، أشبه بحلم، فتحوم هنا وهناك، ولكن أسرع الآن إلى النور بكلٍّ ما أُوتيتَ من سرعة، واحفظ كل هذا في عقلك، كي تستطيع فيما بعد، أن تُخبر به زوجتك.»

## أوديسيوس يلتقي بأرواحٍ أخرى

هكذا تحدَّث كلُّ منا إلى الآخر، وجاءت النسوة؛ إذ أرسلَتْهن بيريسيفوني المهوبة، جميع من كن زوجاتٍ وبناتٍ للرؤساء. احتشد هؤلاء جميعاً، زُرافاتٍ حول الدم القاني، وأخذتُ أفكُر كيف يمكنني أن أسأل كلَّ واحدٍ منها، فوُفقتُ إلى ما بدا لي خير طريقة، سلَّلتُ سيفي الطويل من جوار فخذي القوي، ولم أسمح لهن بأن يشربن كلُّهن، من الدم القاني مرةً واحدةً، بل اقتربن منه، واحدةً بعد أخرى، وكلَّ واحدةً منها أخبرتني بنسَبها، وهكذا أمكنَني أن أستجوبهن جميعاً.

## روح تورو تتحدث إلى أوديسيوس

كانت تورو Tyro، النبيلة المَحِتِد، هي أول من رأيتُ منها، فقالت إنها كانت ابنة سالمونيوس Salmoneus الشريف، وإنها كانت زوجة كريثيوس Cretheus، ابن أيلولوس. وقد هام بها النهر، إنيبيوس Enipeus المقدس، الذي هو أجمل الأنهر طرراً، التي تنساب مجاريها فوق الأرض، وكانت تتردد على مياه إنيبيوس الجميلة. غير أن مُطْوَقَ الأرض وُمْزِلَّها، اتخذ شكله واضطجع معها عند مصبات النهر ذي الدَّوَامات، وانتصبت اللجة الدكناه حولهما كالطود الشامخ، وانحنت فوقهما، تسترُّ الرب والمرأة البشرية، فحلَّ زنارها العذري وسَكَّ النوم فوق جفنيها. وبعد أن أنجز ذلك الرب مهمَّةَ الحب، أمسك بيدها، وتحدَّث إليها، مخاطبًا إياها بقوله:

«فلتسعدِي، أيتها المرأة، بِحُبِّنا هذا، وبمرور السنة في دورانها، ستُنجِّينِي أطفالًاً أمجادًا؛ فما أحضانَ الرب بضعيَّة ولا واهنة، وقومي برعائية هؤلاء وتربيتهم. أما الآن فانطلقي إلى منزلِكِ، وحافظي على سلامِكِ، وحذاري أن تُخْبِري أحدًا بما حدث واعلمي أنني أنا بوسايدون، مُزْلِّ الأرض.»

ما إن أتمَّتْ حديثها ذاك، حتى قَفَّزَت تحت البحر الصاخب. أما هي فقد حبَّلت وأنجبت بيلياس Pelias، ونيليوس Neleus، اللذين صارا، كلاهما، خادمَين عتيدَين لزوس

العظيم، وعاش بيلياس في إيلوكوس Iolcus الفسيحة، وكان غنياً بقطعانه، أما الآخر فعاش في بولوس Pylos الرملية. وأما أطفالها الآخرون، فقد ولدتهم تلك الملكة بين النساء، لكريثيوس، وهم أيسون Aason، وفيريس Pheres، وأموثاون Amythaon، الذي كان شغوفاً بالقتال من العribات.<sup>١</sup>

### لقاء أوديسيوس بـأنتيوبى

بعد ذلك رأيتُ أنتيوبى Antiope، ابنة أسبوبوس Asopus، التي كانت تزهو بنومها في أحضان<sup>١١</sup> زوس، فأنجبت ولدين؛ هما أمفيون Amphion، وزيثوس Zethus، الذي كان أول من شيد مقعد طيبة، ذات الأبواب السبعة، وأقام حولها سوراً؛ إذ لم يستطعوا أن يعيشوا في طيبة الفسيحة بدون سور، مهما كانوا أقوياء.

### ثم بـالكميني وميجارا وأخريات

وبعدها رأيتُ الـلكميني Alcmene، زوجة أمفيتونون Amphitryon، التي رقدت بين ساعدي زوس العظيم، وأنجبت هرقل Heracles، العتيد في القتال، قلب الأسد. وميجارا Megara، شاهدتها أيضاً، وهي ابنة كريون Creon، السامي النفس، التي اتخذها زوجة له، ابن أمفيتونون، الدائم العناد في العنف.

وأبصرت أم أوديوبديس Oedipodes، إبيكاستي Epicaste الفاتنة، التي قامت بعملٍ وحشى في جهالة من التفكير؛ إذ قد تزوجت ابنها، بعد أن قتل أباها، فتزوجها، ولكن الآلهة كشفت هذه الأمور للبشر في الحال، ولكنه مع ذلك ظل سيداً على الكادميين Cadmeans في طيبة الجميلة، يعني المحن بسبب خطط الآلهة الضارة. أما هي، فقد هبطت إلى بيت هاديس، الحارس القوى. لقد علقت أنشوطة في قضيب عالٍ، وقد استبد بها الحزن، وشنقت نفسها، وخلفت وراءها محناً لا حصر لها. كل ذلك تقوم به ربّات الانتقام Erinues من أجل أم.

<sup>١٠</sup> يترجمها البعض: «الذي كانت مسّرتَه في العribات».

<sup>١١</sup> الترجمة الحرافية: بين ساعدي زوس.

كذلك رأيتُ خلوريس Chloris الحسناء، التي تزوجها نيليوس من أجل جمالها، بعد أن قدّم لها هدايا عريّس لا عداد لها. وكانت صُغرى بنات أمفيون Amphion، وابن إياسوس Iasus، الذي قبض على زمام الحكم في أورخومينوس بمينواي Orchomenus of Minyae، بيد من حديد. وكانت هي ملكةً على يوبوس، وأنجبت لزوجها من الأطفال الأمجاد، نسطور Nestor وخروميوس Chromius، وبيريكلومينوس Periclymenus المجيد، كما أنجبت زيادة على هؤلاء، النبيل بيرو Pero، الذي كان أ Georges للناس. وكان جميع الساكنين حولها يسعون إلى الزواج منها، بيد أن نيليوس لم يكن ليُزوجها لأيِّ رجل، إلا إذا استطاع أن يسوق من فولاكِي Phylace أبقار إفِيكليس Iphicles العتيد الملساء، ذات الجبهة العريضة، وكان من العسير أن تُساق. هذه الأبقار، تعهد العرَافُ، دون سواء بأن يسوقها، بيد أن قضاءً محزناً من لدن الآلهة، أوقعَه في الشرك، في قيودٍ مكينة، مع رعاة الحقول. ومع ذلك فلماً توالَت الأيام، وتعاقبَت الشهور بمرور العام، وجاءت الفصول، أطلق سراحه إفِيكليس العتيد، بعد أن تنبأ له بكل شيء، وبذلك تحقّقت إرادة زوس.

ورأيتُ ليدي Lede زوجة تونداريوس Tyndareus، التي أنجبت له ولدين، جريئي القلب، هما كاستور Castor مُروضُ الجياد، وبولوديوكيس Polydeuces الملائم. وإن الأرض مانحة الحياة، لتُغطّي هذين كليهما، بالرغم من كونهما على قيد الحياة، وحتى في العالم السفلي؛ فإنهما يحظيان بتمجيل زوس؛ ففي يومٍ يعيشان بالتناوب، وفي يومٍ آخر ماتا، فنالا مجدًا أشبه بمجد الآلهة.

وبعدها شاهدتُ إفيميديا Iphimedea، زوجة ألويوس Aloeus، التي اعترفت باضطجاعها مع بوسايدون، فأنجبت ولدين، ولكنهما كانا قصيريَّ الأجل، هما أوتوس Otus، الشبيه بالإله، وإفيالاتيس Epbiates الدائم الصيت، وهو المُرجلان اللذان قامت الأرض بترتيبهما، هذه التي تمنَّح الغلال، فجعلتهما يفوقان الجميع طولاً، وجمالاً، بعد أوريون Orion الشهير؛ لأنهما، وهم في التاسعة من عمرهما، قد بلغا تسع أذرعٍ عرضاً وتسع قاماتٍ ارتفاعاً، وهدداً بإشعال نار الحرب الطاحنة ضدَّ الخالدين في أوليمبوس. وقد كانوا متلهفين إلى تكويم أوسا Ossea فوق أوليمبوس، وكذلك بيليون Pelion، بغرابتها المائجة، فوق أوسا، حتى يستطيعاً أن يرقيا أسباب السماء، وكانوا سيفعلان هذا، لو أنهما بلغا مبالغ الرجال، ولكن ابن زوس، الذي أنجبته ليتو Leto الجميلة الشعور، قتلتَهما، قبل أن ينجبَ الزغب تحت جبهتهما ويُعطي ذَقْنَيهما بلحيةٍ كاملة النمو.

ورأيت فايدرا Phaedra وببروكرس Procris <sup>١٢</sup> وأريادني Ariadne الفتنة، ابنة مينوس Minos، ذي العقل الشرير، تلك التي تحرق ثيسيوس Theseus، شوقاً إلى أن يأخذها ذات مرة من كريت إلى تل أثينا المقدس، بيد أنه لم يتمتع بها؛ إذ قبل أن يتم ذلك قتلتها أرتيميس في ديا Dia المحاطة بالبحر، بسبب شهادة ديونيسيوس. <sup>١٣</sup>

وشاهدت مايرا Maera وكلوميني Clymene <sup>١٤</sup>، وإريفولي Eriphyle المقوته، التي قبلت الذهب النفيس ثمناً لحياة زوجها. وإنه ليتعدد على أن أسرد أو أسمّي جميع زوجات وبنات الأبطال اللواتي رأيتُهن؛ فقبل أن أنهى من ذلك سيدركنة الليل الحالد. لقد حان الآن موعد النوم، سواء ذهبت إلى السفينة السريعة والبحارة، أو بقيت هنا. إن أمر إرسالي سيقى مع الآلهة، ومعكم.»

### أريتي تتمشدق بأوديسيوس

هذا ما قاله، فلزمو الصمت جمِيعاً، وانعقدَتْ ألسنتهم في الساحات الظلية، ولكن أريتي Arete، البيضاء الساعدين، تحدَّثَتْ أولاً في وسطهم، فقالت:

«أيها الفياكينون، كيف يبدو هذا الرجلُ أمامكم من حيث الجمال والقوام، ومن حيث روحه الداخلية المترنة؟ وزيادةً على ذلك، فهو ضيفي، رغم أن كل واحدٍ منكم له نصيب في هذا الشرف؛ ومن ثم لا تتعجلوا بإرساله في طريقه، ولا تجعلوا هداياكم لرجلٍ في مثل هذه الحاجة؛ إذ كثيرة هي الكنوز المخزونة في ساحاتكم بفضل الآلهة.»

بعد ذلك قام وسطهم السيد العجوز إخينيוס Echeneus، أكبر الفياكينين سنًا، وتحدَّثَ وسطهم بقوله: «أيها الأصدقاء، حقيقة إن كلمات ملكتنا الحكيمه لجدية بالاهتمام والتفكير، فهل لكم أن تُولوها عنایتكم؟ ومع ذلك فإن القول والتنفيذ ليتوقّفان هنا على ألكينوس.»

<sup>١٢</sup> ابنة الملك مينوس ملك كريت. أحبت ثيسيوس عندما حضر إلى كريت ومعه الفتيات والعذارى اللواتي أرسلُهن أثينا كضربيَّة لمينوس.

<sup>١٣</sup> إله الخمر أو بالأحرى إخصاب الطبيعة، كما هو ممثَّل في الگرمة.

<sup>١٤</sup> ابنة أوقيانوس وتيثوس، ووالدة أطلس.

## ألكينوس وأوديسوس يتطارحان أحاديث الود

فأجاب ألكينوس<sup>١٥</sup> قائلاً: «حَقّاً، إن كلمتها هذه، ستُنفَذ، طالما أنا حي وسيد على الفياكين، محبي المجازيف، ولكن دعوا ضيفنا، رغم عظيم تلهُفه إلى العودة، يتحمل البقاء معنا إلى غِدٍ، حتى أتحقق من أن جميع هدایاتنا كاملة. إن أمر إرساله إلى وطنه سيتولاه سائر الرجال، ولا سيما أنا نفسي، أكثر من الجميع؛ إذ لي السيادة في البلاد.»

عندئذ أجابه أوديسوس الكثير الحيل، بقوله: «سيدي ألكينوس، يا من يعلو صيتك فوق سائر البشر، إنني طوع أمرك، حتى ولو أمرتني بالبقاء هنا لمدة عام وأجلّت إرسالي إلى بلدي، وأعطيتني هدایا مجيدة، وأكون راضياً به، وأعتبر وصولي إلى وطني العزيز بيد أكثر املاةً، أفضل بكثير، لكي أحظى باحترامٍ أكثر، وحُبٌ بالغ من جميع الذين يرثوني عندما أعود إلى إيثاكا.»

فعاد ألكينوس يُحِبُّ بقوله: «أي أوديسوس، إننا ونحن ننظر إليك، لا نُقدِّر، بأية حال، أنك غشاش أو مخادع، كالكثيرين الذين ترعاهم الأرض المظلمة، وينتشرون هنا وهناك، أولئك الذين يختلفون الأكاذيب، مما لا يمكن لأحدٍ أن يراه؛ فإن لك عذب الألفاظ، وبداخلك قلبٌ حكيم، وقد رَوَيْتَ قصتك بمهارة، كما يُنْشِد المغني أناشيده، حتى المحن المؤلّة التي أصابت الأرجوسيين، وأصابتكَ أنتَ نفسك. والآن هيا أخبرني بالحقيقة، هل رأيَتَ أياً من رفاقك أشباه الآلهة، الذين رحلوا معك إلى إليوس، ولقُوا حتفهم هناك؟ ما زال الليل أمامنا طويلاً، وطويلاً جدًا، ولم يَحِن موعد النوم في الساحة بعد. استمر، بربك، في سرد قصة تلك الأعمال العجيبة. الحق أن في استطاعتي أن أبقي حتى يلوح الفجر المتألق، فعسى أن تُقصَّ علينا في الساحة، ما لاقيته من المحن.»

فأجاب أوديسوس الكثير الحيل، قائلاً: «سيدي ألكينوس، يا من طار صيتك أكثر من سائر البشر، هناك وقْتٌ للكلام الكثير، كما أن هناك وقتاً للنوم كذلك. أما إذا كنت لا تزال توافقاً لسماع قصتي، فلن أحرمك من أن أروي لك أشياء أخرى، أشد إيلاماً للنفس من تلك، محن زملائي، الذين ماتوا فيما بعد، والذين نجوا من صيحة الطرواديين في الحرب المفزعية، وإنما هلكوا عند عودتهم بإرادة امرأةٍ شريرة.»

<sup>١٥</sup> الترجمة الحرافية: فعاد ألكينوس يُحِبُّ بقوله.

## أوديسيوس يلتقي بروح أجاممنون

عندما نثرت بيرسيفوني المقدّسة، أرواح النساء، هنا وهناك، أقبلت روح أجاممنون بن أتريوس، كئيبة، ومن حوله احتشدت أرواح الذين قتلوا معه في بيت أيجيسثوس Aegisthus<sup>١٦</sup>، ولقوا حتفهم. لقد عَرَفَني لِتَوْهُ، بعد أن شرب الدم القاني، وبكى بصوت مرتفع، ساكناً الدموع الغزار فمَدَ يده نحوه يريد الوصول إلى، بيد أنه لم تكن لديه القوة أو الشدة التي كانت قدّيماً بأطراfe الرّحْصَة.

ما إن رأيته حتى غلبتني العبرات، وتحرّك قلبي بالشَّفَقة عليه، فخاطبته بكلمات مجنة،<sup>١٧</sup> وقلتُ: «هيا ابن أتريوس المجيد، أي ملك البشر، يا أجاممنون، أي مصير للموت المحن حاقدك؟ أضررك بوسايدون فوق ظهر سُفِنِك، بعد أن أثار حولك عاصفة هوجاء من الرياح العاتية؟ أم هل آذاك الأعداء فوق الأرض، بينما كنت تذبحُ ما شيتهم وقطعان أغذامهم الرائعة، أم كنت تقاتل طمعاً في الفوز بمدينتهم وبنسائهم؟»

قلتُ هذا، فأجابني في الحال بقوله: «يا ابن لايرتيس، أيها المنحدر من زوس، يا أوديسيوس الكثير الحيل، إن بوسايدون لم يضربني فوق ظهر سفينتي، بعد أن أثار زوبعة عنيفة من الرياح الصرصر، كما أن يد أعدائي لم تَمْتَّنْ نحوه بالذى فوق اليابسة، ولكن أيجيسثوس هو الذي دَبَّرَ لي الموت والقدر، وقتلني بمساعدة زوجتي اللعينة، وبعد أن دعاني إلى الحضور في بيته، وأقام لي وليمة أشبه بمن يَتَقْتَلُ ثوراً في الحظيرة، هكذا كانت ميتي في غاية الفظاعة، ومن حَوْلِي قُتل بقية زملائي، بغير انقطاع، كما تُقتل الخنافير البيض الأنبياء، التي تذبح في بيت رجل ثري عظيم القوة، في حَفْل زواج، أو في وليمة عامة، أو حفل سُكُرٍ فخم. لقد حَضَرْتُ قبل ذلك مقتل رجال عديدين، في معارك فردية، أو في صخب الحرب، ولكنكَ لو رأيت ذلك المنظر، لشعرت بمنتهى الحزن في قلبك، كيف كنا نرُّدُ في الساحة بين طاسات مَرْجُ الخمر والموائد الحافلة بالأطعمة، حتى سَبَحَت الأرض كلها في

<sup>١٦</sup> قد تخلّصت الأم منه غير أن بعض الرعاة عثر عليه، فلما عاد بعده نشأ على أنه ابن أتريوس الذي تزوجته أمه، حدث في أثناء غياب أجاممنون في طروادة أن عشق أيجيسثوس زوجته كلوتايمينيسترا، فلما رجع أجاممنون قتله أثناء عودته؛ ومن ثم حكم أيجيسثوس في موكبناي سبع سنين حتى قتله ابن أجاممنون.

<sup>١٧</sup> أي سريعة.

الدماء. وكانت أكثر الصيحات إيلاماً للنفس، هي صيحة كاساندرا Cassandra ابنة بريام Priam، التي قتلتها كلوتمنيسترا Clytemnestra الغادرة، إلى جواري،<sup>١٨</sup> وحاولت أن أرفع يدي وأضرب القاتلة رغم أنني كنتُ في عداد الأموات، مطعوناً بالسيف، ولكن عديمة الحياة تلك أشاحت بظهرها نحوي، وبالرغم من أنني كنتُ في طريقي إلى بيت هاديس، فإنها لم تُبِدْ أي عطفٍ نحوي بأَنْ تُسْبِلْ جفني بأناملها، أو بأَنْ تُعْلَقْ فمي. لا شك إطلاقاً في أنه ما من شيءٍ أكثر فظاعة، وأشد تجربةً من الحياة، من تلك المرأة التي تُفَكَّرُ في قابها بمثل هاته الأعمال، هذا إذا كانت هي أيضاً قد حاكت أمراً مفزعاً، بأن دبرت الموت لبعضها الذي تزوجته. كنتُ أحسب حقاً، أنني سأعود إلى بيتي فيرحب بي أولادي وعيادي، ولكنها، تلك التي طبَّعَ قلبها على النذالة التامة، قد لطَّحت نفسها بالعار، كما وصمت بالعار سيدات المستقبل، ومن تُقيِّم العدالة.»

هكذا تحدث إلى فأجبته بقولي: «تبأ لها! إن زوس الذي يحمل صوته بعيداً، قد حاك كراهية عجيبة ضد شعب أتریوس، منذ البدء، بسبب خطط النساء؛ فقد هلك الكثيرون من أهل هيلينا، ودبرت كلوتامنیسترا مكدةً ضدك وأنت بعد عنها.»

ما إن قلتُ هذا، حتى أجابني في الحال قائلاً: «وعلى ذلك فإني أنصحك بـألا تكون رقيقاً مع زوجتك، لا تتبع لها بكلٍّ ما يجعلُ بخاطرك، بل قل لها شيئاً ما، واكتم عنها شيئاً آخر. ومع كلٍّ فعل يائيك الموت يا أوديسيوس من فعل زوجتك؛ لأنها باللغة الحكمة، ذات قلبٍ مدرك، بينيلوبى العاقلة، ابنة إيكاريوس Icarius. لقد تركناها بـحقٍّ عروساً حديثة الزواج، عندما ذهبنا إلى الحرب، وكان على صدرها صبيٍّ، طفل، أعتقد أنه الآن قد بلغ مبالغ الرجال، وسعيد بأنه سيرى أباًه عندما يجيء، وعندئذٍ يقوم بالتحية الائقة بأبيه. أما زوجتي أنا فقد حرمته عيوني رؤية ابني، وقبل ذلك قتلتني أنا، زوجها. كذلك سأخبرك بأمرٍ آخر، عسى أن تحفظه في قلبك. عليك أن تذهب بسفينتك سراً إلى ساحل وطنك العزيز، وليس علناً؛ لأنه لم تُعد هناك ثقةٌ بعد الآن في النساء، ولكن خبرني عن هذا بالحقيقة وأصدقني القول، ألم تسمع مصادفةً عن ابني الذي ربما يكون لا يزال على قيد الحياة في أورخومينوس، أو في بولوس الرملية، أو حتى مع مينيلاوس في إسبرطة الفسيحة؟ لأن أوريستيس Orsetes العظيم لم يهلك بعدٌ فوق الأرض.»

۱۸ او: «وھی متشبھۃ بی»۔

هكذا تكلَّم، فأجبَتْه بقولي: «يا ابن أتريوس، لمَ تسألي عن هذا؟ لستُ أعرف، إطلاقاً، ما إذا كان حيًّا أو ميتاً. وإنَّه لقبيحٌ بي أنْ أتحدَّث إليكَ بعباراتٍ لا فائدة منها؛ إذ تكون باطلة كالريح..».

## أخيل يتحدث إلى أوديسسيوس

هكذا وقفنا كلانا، وتبادلنا الأحاديث المحزنة، مكتئبين نذرِ الدموع السواجم، وعندئِنْ أقبلَت روح أخيل Achilles ابن بيليوس، وأروح باتروكلوس Patroclus، وأنطيلوخوس Antilochus المنقطع النظير، وأياس Aias، الذي كان يفوق سائر الدانين جمالاً وشكلاً، بعد ابن بيليوس، الذي لا يدانيه أحد. كذلك تعرَّفتُ على روح آياكوس Aeacus السريع القدمين، وتحدَّث إلىَّه، باكيًّا، بعباراتٍ مُجنحة، فقال:

«يا ابن لابرتيس، أيها المنحدر من زوس، أيَا أوديسسيوس، الكثير الحيل، أيها المتهور، أي عملٍ أعظمٍ من هذا سوف تُدبرُه في قلبك؟ كيف بلغتُ بك الجرأة أنْ تهبط إلى هاديس حيث يسكن الموتى، غير عابئ بأشباح الناس الراة؟»<sup>١٩</sup>

هكذا تكلَّم فأجبَتْ قائلاً: «أيُّ أخيل، ابن بيليوس، يا من تفوق في عُنُوك سائر الآخرين، لقد جئتُ بسبب الحاجة إلى تايريسياس، عسى أنْ يُخبرني عن خطٍّ ما أستطيع بها الوصول إلى إيثاكا الوعرة؛ لأنني لم أقترب بعدُ من أرض أخايا، ولم تطأ قدمي، حتى الآن، أرض وطني، بل ما أزال أُقاسي الأهواز على الدوام، وإنَّه لم يكن هناك في سابق الأيام من هو أكثرُ بركةً منه، يا أخيل، ولن يأتي فيما بعدُ أبداً؛ فعندما كنتَ حيًّا فيما مضى، بِجَنَانِكَ، نحن عشر الأرجوسيين، كالآلهة تماماً، والآن وأنتَ هنا، تحكم بشدة بين الموتى؛ وعلى ذلك لا تحزن بحالٍ ما، على موتك، يا أخيل.»

قلتُ هذا، فأجابني في الحال بقوله: «كلا، يا أوديسسيوس المجيد، لا تُحاول أنْ تُحذِّن لي الموت، كنتُ أُفضل أنْ أعيش فوق الأرض، وأنْ أشتغل أجيراً في خدمة رجلٍ آخر، مهما كان حقيرًا، ضئيلَ الرزق، على أنْ أكون الآن سيداً على جميع الموتى الذين هَلَّوكوا، ولكنَّ خبرَني عن ابني ذلك الشاب المجيد، هل سار إلى الحرب ليكون قائداً، أمْ لم ينخرط في الجيش؟ كذلك خبرَني عن بيليوس النبيل، إذا كنتَ قد سمعتَ شيئاً، أما زال ذا مجِّد وسط قوم

<sup>١٩</sup> أو ربما: «الذين فَرَغُوا من مشاقِ الحياة».

المورميدون Myrmidons، أم انقطع تبجيل الناس له في سائر أنحاء هيلاس Hellas وفتيا Phthia، بسبب الشيخوخة التي شلت يديه وقدميه؟ لأنني لست هناك لأقدم له المعونة، تحت أشعة الشمس، بمثل القوة التي كانت لي ذات يوم في طروادة الفسيحة، عندما قتلت خير ما في الجيش دفاعاً عن الأرجوسيين؛ فلو كان بإمكاني، أن أذهب فقط إلى بيت أبي ولو لدّة ساعة، وأنا بمثيل تلك القوة، لأعطيكثيرين، ممن يؤذونه ويبعدونه عن مجده درساً يجعلهم يَرَهُبُونْ قُوَّتي، ويَدِيَ اللَّتَيْنَ لَا تَقْهَرُهُنَّ.»

هكذا قال، فأجبته بقولي: «الحقيقة، أنني لم أسمع شيئاً عن بيليوس النبيل، أما فيما يتعلق بابنك العزيز، نيوبيوليموس Neoptolemus فسأُخبرك عنه بكل صدق كما طلبت مني. إنني أنا نفسي الذي أحضرته من سكورس Scyros، في سفينتي الجميلة الواسعة، ليُلحق بجيشه الآخرين المدرعين جيداً. والحقيقة، أنه كلما طاب لنا أن نتشاروّر في أمر مدينة طروادة، كان هو دائمًا أول من يُبدي برأيه، ولم يخطئ في الرأي أو الحديث. إنه نسطور الشبيه بالإله، ولم يكن هناك من يُبُدُّه غيري أنا وحدي. وعندما كنا نتقاتل بالبرونز الحادّ فوق السهل الطروادي، لم يختلف هو قط عن حشود أو ضغط الرجال، بل كان يُسرع دائمًا إلى المقدمة، وفي قوته لم يكن ليستسلم لأحد، وقد جندل كثيراً من الرجال في قتالٍ مريم، ولست بحالٍ ما قادرًا على ذكر أو تسمية جميع أولئك الذين صرّعهم في دفاعه عن الأرجوسيين، وكم كان شجاعاً ذلك المحارب، الأمير يوروبولوس Eurypylus بن تيليفوس Telephus، الذي قتله بسيفه! نعم كما جندل كثيراً من رفاقه الكريتيين، من حوله بسبب هدايا اشتَهَتها<sup>٢٠</sup> امرأة. لقد كان بحق أجمل رجل وقعت عليه عيني، بعد ميمونون<sup>٢١</sup> العظيم. وفي مرّة أخرى عندما كنا نحن، خيرة الأرجوسيين، على وشك الدخول في الحصان الذي صنعه إيببيوس Epeus، وعهدوا إلى برئاسة كل شيء، أن أفتح وأغلق باب مكمننا الممتن الصنع، وكان القادة والمستشارون الآخرون، يمسحون الدموع وقطّئُ من عيونهم، وكان كل رجل يرتجف فرائص وأعضاء، ولكن لم تُبصِّر عيني وجهه يُمْتَعِّن إطلاقاً، ولا أن رأته يمسح دمعة من فوق خديه، بل كان متلهفاً في حماس، وتتوسل

<sup>٢٠</sup> يشير هنا إلى الكرمة الذهبية التي قدمها بريام الأستيويхи Astyoche، لزوجة تيليفوس، تلك الهدية التي جعلتها تُرسل ابنها يوريبيلوس لمساعدة الطرواديين.

<sup>٢١</sup> ملك إيثيوببيا. وقد اغتصب العرش منه أخوه، ولكن هرقل أعاده إليه. وقد ذهب بعد موت هكتور لمساعدة بريام.

إليَّ أنْ أسمح له بالذهاب مع الحصان، وظل ممسكًا بقائم سيفه ورممه المثقل بالبرونز؛ إذ كان تواًقاً إلى إنزال الفر بر الطرواديين. وبعد أن اقتحمنا مدينة بريام الشامخة، ركب ظهر سفينته ومعه نصيبه من الغنائم وجائزته العظيمة، سالماً تماماً، لم يُصبه رمحٌ حاد، ولم يُجرح في قتالٍ متشابك، كما يحدث كثيراً في الحرب؛ لأنَّ أَرْيَس يثُور محدثاً فوضى». ما إن قلتُ هذا، حتى رحلَت روحُ ابن أياكوسَ عَبْر حقل البروق Asphodel، مغبِطًا بأن سمع مني أن ابنه كان مُبِرَّاً.

### الأرواح تسائل أوديسيوس عن أحبابها

وأرواحُ كثيرة أخرى، لمن ماتوا ومضوا، وقفَت مكتئبة، تسألني كلُّ منها عن أعزَّائها، ومن بينهم جميعاً، وقفَت روحُ أياس بن تيلامون Telamon<sup>٢٢</sup> بعيداً، وهي لا تزال حانقة بسبب النصر الذي أحرزته عندما تفوقتُ عليه في المسابقة بالسفن على أسلحة أخيل، التي قدَّمتها أمه المبجَّلة، كجائزة للفائز، وكان الحكام في ذلك أبناء الطرواديين، وبالاس أثينا، ليتنى لم أنزل في المبارزة بمثل تلك الجائزة؛ فقد أطْبَقَت الأرضُ على مثل ذلك الرأس النبيل، بسبب تلك الأسلحة، أطْبَقَت على رأس أياس، الذي بدَّ سائر غيره من الدانين في الجمال وفي ضرب القتال، بعد ابن بيليوس المنقطع النظير، فتحَدَّثَتُ إليه بعباراتٍ ملطفة، قائلاً: «أي أياس بن تيلامون، المنقطع النظير. أما حان لك أن تنسى غضبك مني بسبب تلك الأسلحة اللعينة، حتى بعد وفاتك؟ الحقيقة، إنَّ الآلهة قدَّمتها لنجلب الأذى على الأرجوسيين. لقد فقدوا بفقدك، مثل هذا الحصن من القوة، وإنما نحن الآخرين، لا نُكْفُرُ قط عن الحزن من أجلك، بعد موتك، كما كنا نحزن تماماً على حياة أخيل بن بيليوس. ومع ذلك فليس الملوم في ذلك غير زوس، الذي حمل الكراهية الفظيعة ضد جيش الرمَّاحين الدانين، وعاجلك بمصيرك. وهلُم إليَّ هنا أيها الأمير، حتى تستطيع الإصغاء إلى حديثي، وتُخضع غضبك وروحك الشامخة».»

هكذا قلتُ، بيد أنه لم يُجبني ببنتِ شفَّة، بل انصرف في طريقه إلى إيريبيوس لينضم إلى بقية الأرواح الأخرى، أرواحَ مَنْ ماتوا ومضوا. ويا ليته، رغم ذلك، قد تحدَّثَ إليَّ، مع كل غضبه، أو تحدَّثَ أنا إليه! وكان قلبي الكائن في صدري تواًقاً لرؤيه أرواح أولئك الآخرين الذين ماتوا.

٢٢ ملك جزيرة سلاميس.

## أوديسيوس يرى أرواحاً تتذنب

ورأيتُ هناك مينوس Minos المجيد، ابن زوس، ممسكاً بالصولجان الذهبي في يده، يحكم بين الموتى وهو جالس في مقعده، بينما هم قيامٌ حول الملك وقعود، في بيت هاديس المتسع الباب يطلبون منه الحكم.

ومن بعده شاهدتُ أوريون الهائل، يسوق الوحوش الكاسرة، عبر حقل البروق، تلك الوحوش التي قتلها، هو نفسه، فوق التلال الموحشة، وهو يمسك في يديه هراوةً كلها من البرونز، غير قابلة للكسر.

كذلك أبصرتُ تيتيوس Tityos <sup>٢٣</sup> ابن جيا Gaea، المجيد، مستلقياً على الأرض، ممدداً فوق تسع نتوءاتٍ صخرية، بينما يقع نسران؛ واحد عن كل جانب، ينهشان كبده ويمدان منقاريهما في أحشائه، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه، وذلك بسبب استخدامه العنف مع ليتو، زوجة زوس المديدة، بينما كانت ذاته صوب بوتو Python خلال بانوببيوس Panopeus، ذات المروج الخلابة.

كما رأيتُ تانتالوس Tantalus <sup>٢٤</sup> يعاني أمراً العذاب وأمضاًه، واقفاً في مستنقع والمياه تبلغُ الذُّبُى. وكان بالرغم من ذلك يشكو، ولا يستطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب؛ فكلما انحني ذلك الرجل العجوز، متلهفاً إلى إطفاء ظمئته، انحر الماء واحتفى، وظهرت الأرض السوداء عند قدميه؛ إذ كان أحد الآلهة يجعل كل شيء جافاً، كما كانت الأشجار الباسقة المونقة دانية القطوف فوق رأسه، أشجار الكمنثرى والرمان والتفاح، بثمارها اليانعة اللامعة، وتيتها الحلو، وزيتونها الغزير، ولكن ذلك الكهل المسن، كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه، هبَّت عليها الرياح ودفعتها إلى السحب الظلية.

<sup>٢٣</sup> ابن جيا (الأرض). كان يعتبر أحياناً ابن زوس وإيلارا Elara. تقول الرواية إن زوس خشي حقد هيرا، فخباً إيلارا تحت الأرض فماتت قبل أن تلد تيتيوس، ولكن جيا ولدته بعد ذلك. كان تيتيوس عملاقاً ضخماً لاقى حتفه؛ إما عند محاولته سلب عرض ليتو بالقوة مدفوعاً من هيرا؛ لأن ليتو كانت إحدى عشيقات زوس. وإما بسبب محاولته هذا الأمر مع أرتميس. قتله زوس أو ربما أبولو. وصار يُصرُبُ به المثل في الأدب لكل من يستحق العقاب اللائق.

<sup>٢٤</sup> كان تانتالوس ملكاً في ليديا ذا قوة عظيمة وثروة هائلة وصاحب حظٍ كبير؛ لأنه كان يُدعى إلى مأداب مجالس الآلهة. أثبتت الأيام أن نعمه كانت أكثر من اللازم وأنها أدت إلى سقوطه.

ورأيت سيسوفوس<sup>٢٥</sup> في عذابٍ مرير، يُحاول أن يرفع صخرةً مائلة بكلتا يديه، ملقاً بها فوق قمةٍ تل، بيد أنه كلما أُوشك أن يقذف بها فوق القمة، رَدَّها التقل إلى الوراء، ثم إلى أسفل من جديد، فتسقط تلك الصخرة العاتية متدرجًة فوق السهل، فيُعاود المحاولة من جديد، ويقذف بها ثانية، والعرق يتصلب من أطرافه، والغبار يتتصاعد من رأسه.

### أوديسسيوس يرى هرقل ويُحادثه

ومن بعده أبصرت هرقل العتيد – شبحه – إذ كان هو نفسه وسط الآلهة الخالدين يحظى بالتمتع بالوليمة، وكانت زوجته هيبي<sup>٢٦</sup> الفتنة العقبين، ابنة زوس العظيم وهيرى<sup>٢٧</sup> ذات النعال الذهبية. وكان يتتصاعد من حوله ضجيج الموتى، أشبه بصلب الطيور التي تُحلق مذعورة في كل مكان، وهو أشبه بالليل الداجي، مثبتاً سهمه العاري فوق الوتر، وأخذ يتطلع حواليه بفطاعة، كما لو كان مُزمعاً التسديد. وما كان أعظم الحزام الذي تمنطق به حول وسطه، درقة من العسجد، نُقشت عليها تصاوير عجيبة، دببة وخنازير برية ضارية، وأسود براقة العيون، ومشاجرات ومعارك، وقتل ونحر للرجال! ليت الذي جادت قريحته بتصميم رسوم ذلك الحزام، لم يُصمّمه قط، كما نرجو ألا يُصمّم غيره مثله. أما هو فقد عرفني بدوره بمجرد أن أبصرتني عيناه، فتكلّم إلى بعبارات حماسية<sup>٢٨</sup> وهو يبكي فقال:

«يا ابن لايريتيس، يا سليل زوس، أي أوديسسيوس الكثير الحيل، آه لك! أيها الرجل الشقي، أكذلك أنت منحوس الطالع سيء الحظ، تعاني آلاماً كالتي كابدتها أنا تحت أشعة الشمس؟ إنني ابن زوس بن كرونوس، وقاسيت محنًا يُخطئها الحصر؛ إذ كنت عبداً لرجلٍ يفوقني سوءاً فرض علىًّا أعمالاً شاقة؛ فذات مرة أرسلني من هنا لأُحضر كلب هاديس؛ لأنَّه

<sup>٢٥</sup> يُرمز إليه في بعض القصص على أنه الوالد الشرعي لأوديسسيوس، وكان ملك كورنث وابنه أمكر البشر.  
<sup>٢٦</sup> هي ربة الشباب وابنة زوس وهيرا. كانت تعمل خادمة عند آلهة أوليمبوس، تُعد عربة هيرا، وتُضمند جراح أرليس، وتملاً أكواب الآلهة بالنكتار قبل أن يصبح جاتوميديس حامل الأكواب.

<sup>٢٧</sup> هي هيرا، زوجة زوس، كبير الآلهة.

<sup>٢٨</sup> النص اليوناني يقول: «مجنحة».

لم يستطع أن يُدْبِرْ لي عمرًا آخر أشد وعورة من ذاك، فحملت الكلب، وقدْتُه بعيديًّا عن بيت هاديس، وكان هيرميس هو قائدِي وكذلك أثينا ذات العينين النجلاءِين».

ما إن قال هذا، حتى انبرى عائِدًا في طريقه إلى بيت هاديس. أما أنا فبقيتُ هناك ثابِتاً في مكانِي، أملاً في أن تجيء قوَّةً أخرى من الأبطال المحاربين الذين ماتوا في غابر الأزمنة. كما أُنْتَي استطعتُ أن أرى آخرين من رجالات الأزمان الماضية، الذين كنُتُ أتوق إلى مشاهدتهم، ثيسيوس Theseus وبايريثوس Peirithous، وهما ابنا الآلهة المجددين، وقبل ذلك كانت ملائِيْن من قبائل الموتى قد أقبلت متَّدِّقةً في صُرَاخٍ عجِيبٍ، فالمَلَمَ بي الخوف الشاحب، خشيةً أن تُرْسَلَ إِلَيَّ بيرسيفونى الجليلة، من داخل بيت هاديس، رأس الجورجون <sup>٢٩</sup> ذلك الوحش المرهوب.

### أوديسيوس يبارح العالم السفلي

بعد ذلك انطلقتُ في الحال إلى السفينة، وأمرتُ رجالِي بأن يعتلوا ظهرها، هم أنفسُهم، ويسرعوا بحل الحبال المتينة؛ ومن ثَمَ صَعدُوا إلى ظهر السفينة في سرعة، واستَوَوا فوق المقاعد، فحمل الفيضان الضخم السفينة إلى مجرى أوقيانوس، أول الأمر بواسطة تجذيفنا، ثم فيما بعد بواسطة ريحٍ معتدلة.

<sup>٢٩</sup> هي ميدوسا أبشع الجورجونات الثلاثة منظراً، من ينظر إليها يتحول في الحال إلى حجر.

## الأنشودة الثانية عشرة

### أوديسيوس يدفن جثة إلبينور

بعد أن خرجت سفينتنا من مجرى نهر أوقيانوس، ووصلت إلى أمواج البحر الشاسع، والجزيرة الأيا比ة، حيث يسكن الفجر الباكر ومروجه الراقصة، وإشراقات الشمس، فلما بلغناها أرسينا سفينتنا فوق الرمال، ونزلنا نحن أنفسنا إلى شاطئ البحر، حيث استغرقنا في النوم، وانتظرنا مطلع الفجر اللامع.

ما إن لاح الفجر، الوردي الأنامل، حتى أرسلت رفافي إلى بيت كيركي، ليحضرروا جثة إلبينور الميت، وفي الحال احتطينا قطعاً من الخشب، ودفناه في أقصى نقطة للرأس داخل البحر، وقد استولى علينا الحزن، وذرفنا دموعاً غزاراً. وبعد أن أحرقنا جثة الميت، وكذلك حُلّته الحربية، صنعوا رابية وأقمنا فوقها عموداً، وغرسنا مجذافه الجميل على قمة الرابية. شُغلنا بهذه المهام العديدة، ولم تكن كيركي غير عالمة بعودتنا من بيت هاديس، فأعادت نفسها في الحال، وجاءت إلينا، ومعها وصيفاتها يحملن كميات كافية من الخبز واللحم، وخمراً صهباء بلون اللهب، ووقفت الربة الفاتنة وسلطنا، وتحدّثت إلينا قائلة: «أيها الرجال المتهورون، الذين هبطتم أحياءاً إلى بيت هاديس مقابلة الموت مرتين، بينما لا يموت غيركم من الرجال إلا مرةً واحدة، هيا كلوا طعاماً واشربوا خمراً هنا طوال هذا اليوم كله، حتى إذا ما أقبل الفجر، أبحرتم، بعد أن أُحدّ لكم الطرق، وأخبركم بكل



ثم ربطنوني في السفينة، يدًا وقدمًا عند أسفل السارية.

شيء، حتى لا تُعنوا أَلَّا ولا مَحَنَا من جرَاء سوء التدبير المؤسف، سواء أَكَانَ فِي الْبَحْرِ أَوْ  
عَلَى الْيَابِسَةِ.»

### أُوديسيوس يروي قصته لكيركي

هكذا تَكَلَّمَتِ الْرِّيَةُ، ووَافَقَتْ قَلْوَبُنَا الْمَزْهُوَةُ؛ وَمِنْ ثُمَّ ظَلَّلَنَا الْيَوْمُ بَطْوَلَهُ حَتَّى غَرَوبِ الشَّمْسِ،  
جَالِسِينَ نُولَمْ عَلَى لَحْمٍ وَفِيرٍ وَخَمْرٍ حَلْوَةٍ. وَمَا إِنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَخَيَّمَ الظَّلَامُ، رَقَدَ الرِّجَالُ  
لِيَسْتِرِحُوا بِجَانِبِ حَبَالِ السَّفِينَةِ الْمَكِينَةِ، أَمَا كِيرْكِي فَقَدْ أَخْذَتْنِي مِنْ يَدِي، وَقَادَتْنِي بَعِيْدًا



عن رفافي الأعزاء، وجعلتني أجلس، ورقدت هي نفسها بقربي، وطلبت مني أن أخبرها بالقصة كاملة، فرويَت لها كل شيء في ترتيبه اللائق، بعد ذلك حَدَّثَتني كيركي الجليلة، قائلة:

### المخاطر التي ستواجهه أوديسيوس

«هكذا انتهى كل شيء، والآن، أصغِ إلى ما سأُخبرك به، وسيجعلك إله تستوعبه في فكرك، ستذهب أولاً إلى السيرينيس<sup>1</sup>، اللائي يخدعن كل من يذهب إليهن من الرجال؛ فكل رجلٍ أعمى الجهل، واقترب منهن وسمع صوت أولئك السيرينيس، فلن يعود قط، لتقف زوجته وأطفاله الصغار إلى جانبه والغبطة تملؤهم؛ لأن السيرينيس يخدعنها بأناشيدهن العذبة النغمات، وهن جالسات في المرج، يحيط بهن كُوكبٌ كبير من عظام الرجال البالية، التي يرتجف الجلد من حولها. أما أنت فيجب أن تجد في التجديف مارًّا بهن، وتُسد آذان

<sup>1</sup> كان يُظن أن لهاته الأخوات الخرافيات وكن اثنتين أو ثلاثة، مركزاً فوق حاجز خطير وسط البحر حيث يَجذِّبُن البشر من المسافرين بأناشيدهن اللطيفة المدهشة الحلوة إذا ما وصلت أنغامها إلى آذانهم، وبذلك يُسْقِّفنهم إلى الموت.

زملائك بالشمع الحلو، التي تكون قد أعدّته أنت بنفسك، خشية أن يسمع أحد هؤلاء الرجال صوتهن. أما إذا رغبت أنت نفسك في أن تسمع أغنياتهن، فدع رفاقك يربطوك إلى سارية السفينة السريعة، يدًا وقدمًا، ودعهم يربطوا قيود الأطراف في الشراع نفسه، حتى يمكنك أن تصغي بسرور إلى صوت السيرينيتين كلتَيهما، ومُر رجالك، بأنه إذا توسلَ إليهم عندئذٍ أو أمرتَهم بأن يحلُوا قيودك، أن يزيدوا قيودك إحكاماً. ومتى جذَّ رفاقوك واجتازوهما، فلن أقول لك في صراحة، على أيِّ جانبٍ يقع طريقك بعد ذلك، بل يجب عليك أن تُفكِّر في عقلك أنت نفسك، وسأُخبرك بالطريقين؛ فهناك على أحد الجانبين شقوقٌ ناتئة، تَهدر عليها أمواجٌ عاتية لامفيتريتي *Amphitrite* ذات العينين السوداويين، وهذه يُطلق عليها الآلهة المباركون اسم *البلانكتاي Planctae*.<sup>٢</sup> من هناك لا يمكن لأيِّ شيء، ولا حتى الكائنات الجنحة أن تمرُّ، كلا ولا اليمام المرهوب الذي يحمل الأمبروسيا إلى الأب زوس، فإنَّ الصخرة الملساء تخطف دائمًا واحدة، حتى من هذه، فيرسل الأب واحدةً أخرى ليُتمِّم العدد. من هناك، لم يسبق أن نجت سفينة لأيِّ من البشر، تكون قد ذهبت إلى هناك، بل تدور ألواح السفن وجثث الرجال، بغير نظام، بواسطة أمواج البحر ولفحات النار المؤدية. لم تمر من هناك سوى سفينة واحدة كانت مسافرة، تلك هي الأرجو *Argo*،<sup>٣</sup> أشهر السفن قاطبة، وكانت في رحلتها من *أييتيس Aeetes*، وحتى هذه كادت اللجة أن تُنفَّذ بسرعة على الصخرة الهائلة، لو لا أن هيراً أبعَدَتْها لكي تمرق؛ إذ كان جاسون *Jason*<sup>٤</sup> عزيزاً عليها.

<sup>٢</sup> أي: «الهائمة» أو ربما كان معناها «الصخور المصطدمة».

<sup>٣</sup> سفينة سُمِّيت باسم بانيها أرجوس، أبحر بحَارتها بقيادة جاسون للبحث عن الجزء الذهبية. ويُقال إنَّ أثينا أشرفت على بناء هذه السفينة، وإنها وضعت فيها كتلة قُطعت من شجرة بلوط لها القدرة على الكلام والتَّبُّق، بعد الإبحار كَرس جاسون الأرجو إلى بوسايدون.<sup>٥</sup> زوجة زوس، كبير الآلهة.

<sup>٤</sup> ابن أيسون ملك إيلوكوس في تساليا، طُرد أبوه بواسطة صنوه بيلياس وترك جاسون في رعاية القنطرور خيرون. ولما كبر وترعرع رحل إلى إيلوكوس يطلب استرجاع مملكة أبيه، وساعد في طريقه امرأة عجوزًا اتضح فيما بعد أنها هيرا، وأراد أن يعبر مجرًا صعبًا، وفي أثناء كفاحه مع التيار فقد أحد نعليه، فلما وصل إلى إيلوكوس ظهر في حضرة بيلياس وعرض مطلبها، فلما لاحظ بيلياس أن القادر لا يرتدي في قدميه إلا نعلًا واحدًا تذَكَّر تحذير الكاهن له من رجلٍ يلبس نعلًا واحدًا، وقبل أن يجيب مطلبها لو أحضر له الجزء الذهبية من مملكة أييتيس في كولخيس. ولما كان جاسون محبًا للمغامرات فإنَّه قَبِيل الشرط وأعدَ العدة للقيام بحملة بحارة سفينة الأرجو التي اشترك فيها كثيرًا من أشهر أبطال الإغريق تحت إمرته،

أما الطريق الآخر فعلى جانبيه طُوَدَان شاهقان، يصل أحدهما بقَمَّته المدبَّبة إلى السماء الفسيحة، وتُحيط به غمامَة دكناه، هذه السحابة لا تنقشع قَطُّ، ولا يمكن للسماء الصافية أن تُحيط أبداً بتلك الغمامَة صيفاً أو في موسم الحصاد. لم يسبق لأي إنسانٍ أن يعبرُها أو يطأ القمة برجله، حتى ولو كان له عشرون يَدَا وقدماً؛ لأن الصخرة ملساء، كما لو كانت قد صُقِّلت، وفي وسط الطُّوَدَ كهفٌ مظلم ينتحي ناحية الغرب، في اتجاه إيريبوس. هناك سوف تُبَرِّجِ سفينتك الواسعة، أيها المجيد أوديسيوس وليس في مكانة أَيِّ رجلٍ بالغ القوة أن يُسْدِّد سهماً من السفينَة الواسعة، فَيُصِيب ذلك الكهف المُقْبَّي. هناك تقطُّن سكولا Scylla، التي تصيح صياحاً مفزعاً حَقّاً، إن صوتها ليشبه صوت الجرو الحديث المولد، أما هي نفسها، فوحشٌ شَرِيرٌ، لا يُسْرُ منظرها العين، حتى ولو كان المطلُّ إليها؛ فهي ذات اثنَتَي عشرة قدمَة، مُشوَّهَة الشكل كلها، وستة أعناق، بالغة الطول، وعلى كل عُنق رأسٌ مهول، بداخله ثلاثة صفوَّفٍ من الأسنان الغليظة المترَّاسَة، السوداء. تظل سكولا هذه مختفِيَةً حتى منتصفها داخل الكهف الفسيح، وتُطِلُ برأسها فيما وراء الأخدود المروع، حيث تصطاد باحثةً في شوق، حول الصخرة، عن الدلافنة وكلاب البحر أو أي حيوانٍ آخر أكبر منها تستطيع أن تقبض عليه أمثال المخلوقات التي تُرْبِّيَها أَمْفيتيرتي العميقَةَ الحزن في أعدادٍ غفيرة لا يمكن أن تُحصى. ولا يستطيع أي بَحَارٌ أن يتبااهي بأنه مَرَّ من جانبها سالماً بسفينته؛ لأنها تُمْدِ رعوتها وتخطف بكل رأسٍ رجلاً، تقبض عليه به من السفينَة السوداء الحيزوم.

أما الطُّوَدُ الآخر، يا أوديسيوس، فسوف تَتَبَيَّنُ أنه أكثر انخفاضاً من الأول – إنها متقاربان، الواحد من الآخر، بدرجة أنك تستطيع أن ترمي عَبْرَهُما سهماً – وبأعلاه شجرةٌ تينٌ باسقة، كثيفة الأوراق، بيد أن تحت هذه، خاروبديس<sup>٦</sup> المقدسة Charybdis، تمتص

---

فأبْحِروا تحت رعاية هيرا وبمساعدة أثينا في الأرجو إلى رحلةٍ ملؤها الأخطار والمخاطر، فلما وصلوا إلى ليمнос حيث قتلت النساء كثيراً من الرجال، استُقبل رجال سفينَة الأرجو كأزواج، وحملت ملكتُهم من جاسون ولدَيْن.

<sup>٦</sup> ابنة بوسايدون وجيا. وقد عاشت أسفل الصخرة الضخمة التي تحمل اسمها في الجانب الصقلي للمضائق بين صقلية وإيطاليا وفي الجهة المضادة لسكولا. ألقى بها زوس في البحر تحت الصخرة بصاعقة من صواعقه لأنها سرقت بعض ماشية هرقل. وكانت تسير على سياسة الجشع في هذا المكان حتى إنها كانت تبتلع فيضاناً هائلاً من الماء ثلاث مرات يومياً ثم تُفرغه ثانية، وبذلك سبَّبت الدَّوَامَاتُ الخطيرة على



وأما إذا رغبت في أن تسمع أغنياتهم، فدع رفاقك يربطونك إلى سارية السفينة.

الماء الأسود. ثلاثة مراتٍ تقدّفه من جوفها، وثلاث مراتٍ تبتلّعه في بطّها. وإنه ليُسعدك الحظ إذا لم تكن هناك وهي تبتلّعه؛ لأنّه عندئذٍ لن يكون في مُكّنة أحدٍ أن يُنقذك من الدمار، كلا، ولا حتى مزلزل الأرض. اقترب قدر طاقتكم من طُود سكولا<sup>٧</sup>، مسرّعاً أمامها بسفينتك؛

الملّاحين، وابتلّع سفينة أوديسيوس بعد تحطيمها، غير أنّ البطل أمسك بشجرة التين التي كانت فوقه، وظلّ معلقاً بها إلى أن ظهرت المركب من جديدٍ عندما لفظّتها فركبها بسلام.

<sup>٧</sup> كانت في الأصل حوريةً جميلة هام بحبها إله البحر جلاوكوس، فلما أخفق في اكتساب قلبها استشار كيركي كي تُخبره عن طريقةٍ ينال بها عطفها وحُبّها، ولكن كيركي نفسها هامت بحب جلاوكوس ولشدة

لأنه من الأفضل بكثير أن تبكي ستة من الرفاق بسفينتك، من أن تبكيهم جميعاً في وقت واحد.»

## نصائح كيركي لأوديسيوس

هكذا قالت الربة، فأجبتها بقولي: «تعالي، بربك، أيتها الربة، واصدقيني الخبر عن حقيقة كل شيء، وهل سأنجو، بأية حالٍ من الأحوال، من قبضة خاروبديس، وأفلت من تلك الأخرى، عندما تُنزل الأذى برفافي.»

قلتُ هذا، فأجبتني الربة الحسناء بقولها: «عجبًا لك! أيتها المتهور، ها هو ذا قلبك ينتحي من جديدٍ ناحية أعمال الحرب والنصب. لا يمكنك أن تستسلم أبداً للآلهة الخالدين. إنها ليست البشر، بل أذى خالد، مرعبة، وفظيعة، وعنيفة، وليس بالإمكان مقاتلتها؛ فما هناك سبيل للدفاع. إن أشجع عمل يقوم به المرء هو الفرار منها؛ لأنك إذا توانيت في تسليح نفسك بجانب الطَّود، أخشى أنها قد تُعيد الكَرَّة، وتهاجمك بأكبر عددٍ من الرءوس، وتقبض على أكبر عددٍ مستطاع من الرجال، كما فعلت من قبل. جَدُّف قبالتَها بكل ما لديك من قوة عنف، ونادِ على كراتايس Crataiis، أم سكولا، التي أجبتها لتكون مجلبةً للشقاء على البشر؛ فعندئِذ تمنعها أمهما من معاودة الانطلاق نحوكم من جديد.

## تحذير أوديسيوس من أغnam هيليوس

ولسوف تذهب إلى جزيرة ثريناكيا Thrinacia؛ حيث ترعى أبقار هيليوس وقطعانه العظيمة، في أعدادٍ غفيرة، سبعة قطعانٍ من الأبقار، وأكبر عددٍ ممكן من قطعان

---

مقتها لمنافستها سكولا لم تُقدم إليها شراب الحب، بل خلَّطت بعض الأعشاب القوية التأثير بالياه التي كانت تستخدم فيها سكولا فانقلبَت إلى وحش ضارٍ، وقد حدث مثل هذا الانقلاب لأمفيتريتي التي يخالقون كثيراً في تصويرها، ولكنها كانت تبدو في الغالب في جسد امرأةٍ وسيقان ثعبانٍ وذيل سمكة، وكانت تُحيط بها رءوسُ ستة كلاب فوق عنقٍ طويلة، كما تُرى أحياناً بأجنحةٍ بها روح مفترس، وكانت تقطن كهفاً عند المضيق الموجود بين إيطاليا وصقلية؛ ولذا كانت تقع وتنتظر السفن المارة فتهاجمها وتخطف الرجال. ولما مرَّ أوديسيوس من ذلك الطريق خطفت ستة من رجاله؛ إذ لم تكن لديه القوة التي تكفي للمقاومة. وكانت تُوجَد في الضفة المقابلة خاروبديس، التي هي دوامةً مخيفة تتبع السفن ابتلاغاً، وكان الإبحار بينهما والهروب منها من أشَق الأمور.

الخراف الجميلة، يضم كل قطيع خمسين رأساً. هذه لا تُنجب أَيْ صغار، ولا تموت أبداً، وتقوم الربات أنفسهن برعيها، أولئك الحوريات الحسنات الغدائِر، فايتوصا Phaethusa ولأمبيتي Lampetie، التي أنجبَتْها نيايرا Neaera الفاتنة، لهيليوس هوبيريون، فلماً أنجبت هذين أَمْهَما المجلَّة وربَّتهما، أرسلَتْهما إلى جزيرة ثريناكيا ليعيشا هناك بعيداً، ويرعيا قطعان أَبِيهِما وأَبْقارِهِ الملساء، فإذا تركتَ هذين، ولم تمسُّهُما بالأذى، مولياً اهتماماً ببطريقك إلى الوطن، فإنك ولا شك بالغ إيثاكا، رغم أنك تصلها في محنَّةٍ شريرة. أما إذا امتدَّتْ أَيْديكم إلىهما بالأذى، فإني أَتَبَّأْ بالدمار لسفينتك ولرفاقك، وحتى إذا ما نجوتَ أنَّتْ نفسك، فإنك سوف تصل إلى الوطن فيما بعد، في حالةٍ مزرية، بعد أن تفقد جميع زملائك.»

## أوديسوس يبحر عند الفجر

هكذا قالت الربة، وفي الحال أقبل الفجر ذو العرش العسجي، فانصرافت الربة الحسنة من الجزيرة. أما أنا فذهبت إلى السفينة وأيقظت رفافي أنفسهم كي يركبوا السفينة ويفكُّوا الحبال المتينة. وهكذا صعدوا إلى ظهر السفينة فوراً، واستوؤُ فوق المقاعد، وبعد أن انتظموا في أماكنهم، شرعوا يضربون البحر السننجابي بمجاذيفهم. وتعاونتنا في أن تمُرُّ سفينتنا الدكناه الحيزوم عُبَّاب اليم، أرسلت ريح معتدلة ملأت الشّرّاع، فكانت رفيقاً كريماً، بواسطة كيركي الفاتنة الجدائِر، تلك الربة المرهوبة التي تنطق بكلام البشر. وبعد أن ثبَّتْنا بسرعة جميع حبال السفينة في شتى أنحائها، جلسنا، وقد أخذت الريح ورجال المرساة يقودون السفينة.

## أوديسوس يصريح رجاله بالمخاطر المقبلة

بعدَّتْ تحدَّثُ إلى رفقاءِي، وأنا حزين القلب، فقلتُ: «أيها الرفاق، بما أنه لا يجوز أن يعرف أحدنا أو اثنان منا فقط النبوءات التي أخبرَتْني بها كيركي، الربة الجميلة، فإني سأُفضي إليكم بها، حتى إذا ما وعَيْتموها، كان لنا إما أن نموت، أو بتحاشينا الموت والقدر، ننجو؛ فأولاً أُمرتُني أن أتجنَّب صوت السيرينيس العجيبات، ومرحَّهن الظاهر. وقد أُمرتُني أنا وحدي أن أُصغي إلى صوتهن، على شرط أن تُقيِّدوني بقيودٍ ثقيلة، حتى أظلُّ مُثبَّتاً حيث أنا، إلى أسفل السارية، واربطوا أطرافِ الحبال بإحکام في الصاري نفسه، ولو توسلَتْ

إليكم وطلبتُ منكم أن تُفكُوا قيودي، فما عليكم إلا أن تربطوني عندئذ بإحكام، بمزيد من  
القيود أيضًا.»

### أوديسيوس يصل إلى جزيرة السيرينيس

هكذا أعدت كل تلك الأمور على مسامع زملائي وأخبرتهم بها. وفي الوقت عينه، كانت السفينة المكينة البناء، قد وصلت بسرعة إلى جزيرة السيرينيتين الاثنتين؛ إذ ساقتها إلى الأمام في طريقها ريح معتدلة رقيقة. بعد ذلك كفت الريح في الحال وخيم سكون لا ريح فيه، وأنام أحد الآلهة الأمواج، فنهض رفاقي ونشروا الشراع، وبسطوه في السفينة الواسعة، ثم اتخذوا أماكنهم عند المجازيف وأثاروا الزبد على وجه الماء بمجاذيفهم المصقوله، المصنوعة من خشب الشربين. أما أنا نفسي، فنهضت وأمسكت سيفي الحاد، وقطعت به قرصا من الشمع إلى قطعٍ صغيرة، وعجنت القطع بيدي القويتين، فلان الشمع في الحال من الحرارة والضغط الشديد وأشعة السيد هيليوس هوبيريون. وبعد ذلك سدت آذان رفقاءي بهذا الشمع، كل واحدٍ بدوره، ثم ربطوني في السفينة يداً وقدماً، منتصبًا عند أسفل السارية، وربطوا أطراف الحال في الصاري نفسه، ثم جلسوا، بعد ذلك، هم أنفسهم، يضربون البحر السنحابي بمجاذيفهم. ولما صرنا على مدى سماع صياح المرء إذ يصبح، نشق طريقنا بسرعة وسط الماء، لم يُفْتِ السيرينيتين رؤية السفينة السريعة وهي تقترب، فأخذتا تغنينان أغنتيهما الواضحة النغمات، قائلتين:

«تعال إلى هنا، وأنت تُحر، يا أوديسيوس الذائع الصيت، يا مجد الآخرين العظيم.  
أوقف سفينتك كي تُصغي إلى صوتنا، نحن الاثنتين؛ لأنه لم يسبق لأي رجلٍ قط، أن جذَّ  
ماراً بهذه الجزيرة في سفينته السوداء، إلا إذا سمع الصوت الرخيم من شفاهنا. إنه ليجد  
فيه لذة، ويمضي في طريقه وقد اكتسب حكمة؛ لأننا نعرف جميع المشاق التي حدثت في  
طروادة الفسيحة، والتي قاساها الأرجوسيون والطرواديون بإرادة الآلهة، كما أننا سنعرف  
كل الأمور التي سوف تحدث فوق الأرض المشرفة.»

هكذا أنشدتا، مُرسلتين صوتيهما الرخيمين، وناق قلبي إلى الإصلاح، فأمرت زملائي  
بأن يُفكُوا قيودي، مشيرًا إليهم بحاجبي، ولكنهم انهمكوا في مجاذيفهم وراحوا يُجذّفون  
بِحد. وفي الحال نهض بيريميدس Perimedes وبيورولوخوس Eurylochus، وقىَداني  
بمزيد من القيود، وأحكما ربطها. وبعد أن جَدَ الرجال في التجذيف، واجتنزا جزيرة

السيرينيس، ولم يكن في مقدورنا بعد ذلك أن نسمع صوتيهما أو غناءهما، قام زملائي الأوفياء، وفي الحال أزالوا الشمع الذي كنُت قد سدَّت به آذانهم، وفُكوا قيودي.

## سكولا تهاجم أوديسيوس ورجاله

وبعد أن تركنا الجزيرة، أبصرتُ في الحال دخاناً وموجةً هائلة، وسمعتُ صخبًا، عندئذٍ فزع الرجال، وسقطت الم giàنif من أيديهم، وهم يرتجفون ذعراً، وأحدثت رشاشاً في الدوامة، وتوقفت السفينة وثبتت في مكانها، عندما كفوا وقتنى عن استخدام الم giànif الواقية بأيديهم، ولكنني جُستُ خلال سائر أنحاء السفينة وأخذت أشجع رجالي بعباراتٍ رقيقة، متوجهًا إلى كل رجلٍ بدوره، فأقول له:

«أيها الأصدقاء، إلى هنا، لستنا بحالٍ ما جاهلين بالحزن؛ فإن هذا الشر الذي سنواجهه الآن ليس بأعظم من الشر الذي واجهناه عندما حبسنا الكوكلوب في كهفه الفسيح بقوه وحشية، ومع ذلك فقد نجينا ولا نزال ننجو بواسطة شجاعتي ومشورتي وسعة حيلتي، كذلك هذا الخطر المُحِق بنا سيُمرأ أيضًا، وسوف نتذكرة ذات يوم. والآن هيا بنا ن فعل كما أمر، هُلْ بنا جمِيعاً نُصلِّي. بعد ذلك يجب أن تلزموا أماكنكم فوق المقاعد، وتضربوا أمواج البحر الهائلة بمجاذيفكم آملين أن يتحذَّن علينا روس، فيمنحنا النجاة وتحاشي هذه الميata، وأنت يا ماسك الدفة إليك هذا الأمر، افهمه جيداً وضعه في قلبك؛ حيث إنك قابضٌ على زمام دفة السفينة الواسعة. ضع نصب عينيك أن تبتعد بالسفينة تماماً عن هذا الدخان والرشاش الكثيف، والزم جانب الصخرة، لئلا تنجرف السفينة قبل أن تعرفها، وتسحب إلى الجانب الآخر، فترمي بنا إلى التهلكة.»

هكذا تكلَّمتُ، وسرعان ما أصغوا إلى كلماتي. أما عن سكولا، فلم أُحدِّثهم شيئاً، ذلك الخطر الداهم الذي لا علاج له، خشية أن يستبد الذعر برفافي، فيُكْفوا عن التجذيف وينكمشوا في قاع السفينة. الحقيقة أنني عندئذٍ نسيت أمر كيركي الصارم؛ إذ أمرتني إلا أسلح نفسي بآية حال، ولكنني بعد أن ارتدتُ حلْتَي الحربة المجيدة، وأمسكتُ في يديَّ رمحين طويلين ذهبتُ إلى جؤجؤ السفينة حيث اعتقدتُ أن بالإمكان رؤية سكولا أولاً من الصخرة، تلك التي لا بد أن تجلب الخراب لزملائي. بيد أنني لم أتمكن بحالٍ ما، من اكتشافها في أي مكان، وقد تَعبَت عيناي من إمعان النظر في كل مكان، وأنا أحملق صوب الصخرة المظلمة.

بعد ذلك شققنا طريقنا عبر المضيق الضيق، وقد انفطرت قلوبنا نحيباً؛ إذ كانت سكولا قابعة على أحد الجانبين، وعلى الآخر خاروبديس المقدسة، غاطسةً بشكلٍ فظيع تحت ماء البحر الملح. والحق أنها كلما قذفت بالماء أشبه بقدْر تغلي فوق نار هائلة، فتعلو الفقاقع في اضطرابٍ شاملٍ، وفوق الرءوس كان يسقط الرشاش على قمم الصخرتين. وكلما غطست تحت ماء البحر الملح، كان بالإمكان رؤيتها في الداخل كلها، وهي تحدث اضطراباً شاملاً، والصخرة تُدوّي من حولها في فضاعةٍ بالغة، بينما كانت الأرض تظهر تحتها سوداء بالرمال، فامتنعت وجوه رجالٍ خوفاً وهلعاً، فتطلّعنا إليها وخفنا الهلاك، عند ذلك تماماً، التقطت سكولا، من داخل السفينة ستة من رجالٍ، وكانتوا أعظمهم قوة وبأساً. وعندما اتجهت عيناي إلى السفينة السريعة وإلى جماعة رجالٍ، أبصرت في الهواء أقدامهم وأيديهم، وقد رُفعوا إلى فوق، وكانوا يصيحون بأعلى صوتهم، ينادونني باسمي لآخر مرة والتعذيب في قلوبهم. وأشبه بصادِّ السمك الجالس فوق صخرةٍ بارزة، عندما يُلقي طعمه ليصيد الأسماء الصغيرة، فيُلقي في البحر قرن ثورٍ صلباً أجوف، يتدلّى من قصبه الطويلة. وبعد ذلك عندما يُمسك بسمكة يَجذبها فتتلوّن فوق الشاطئ، هكذا أيضاً سُحب الرجال وهم يتلوّن عالياً صوب الصخرتين. بعد ذلك ابتلعتهم وهم يصرخون ويشرون إلى بأيديهم في صراعهم المريض مع الموت. كانت عيناي تُشاهدان ذلك الأمر، الذي تحملته بشقةٍ أعظم من أي شيء آخر كابدته أثناء رحيلي خلال طرق البحار.

## وصول أوديسسيوس إلى جزيرة الأغnam المحرمة

والآن وقد نجينا من الصخرتين، وكذا من خاروبديس المفزعه ومن سكولا، بلغنا في الحال جزيرة الرب الجميلة، حيث ترعى الأبقار الرائعة، ذات الجباه العريضة، وقطعان هيليوس هوبيريون العظيمة العديدة. وبينما نحن لا نزال في البحر، في سفينتي السوداء سمعتُ خوار الماشية التي كانت داخل الحظائر، وثغاء الأغnam، فاستعدتُ في مُخيلتي أقوال العراف الأعمى، تايريسياس الطيبى، وكيركى الإيائىة؛ إذ أمراني صراحةً بأن أتحاشى جزيرة هيليوس، جالب الغبطة للبشر. الحقيقة أننى عندئذ نهضتُ وسط رجالٍ، وخاطبتهُم والحزن يحرّ في قلبي، فقلتُ:

«أيها الرفاق أصغوا إلى ما سأقوله لكم، رغم كل محنكم الشديدة، حتى أُخبركم بنبوءات تايريسياس وكيركى الإيائىة، اللذين أمراني في صراحةً أن أتجنب جزيرة هيليوس،

مانح الغبطة للبشر، قائلين إن هناك يمكنُ أعظمُ الأضرار هوًّا لنا. كلا، لا تذهبوا إليها، بل جذّفوا وأبحروا بالسفينة السوداء، مجتازين هذه الجزيرة.»  
هكذا قلتُ لهم، ولكن أرواحهم تذمّرتُ في داخلهم، فنهض في الحال يورولوخوس، وخطبني بعباراتٍ بغيضة قائلًا:

«ما أشدَّ قسوتك يا أوديسيوس! إنك لذو قوٌّ تفوق سائر غيرك من الرجال، وأطرافك لا تعرف التعب قط. حَقّا، إنك مصنوعٌ كلُّك من الحديد، حيث إنك لا تسمح لرفاقك الذين أنهكم الإعيا والإغماء، بأن تطا أقدامهم الشاطئ، حيث يمكننا مرة ثانية أن نُعدَّ عشاءً شهياً فوق أرض هذه الجزيرة التي يحيط بها البحر، بل تأمرنا بأن نُواصل السير دون انقطاع هذه الجزيرة التي يحيط بها البحر، بل تأمرنا بأن نُواصل السير دون انقطاع وسط البحر، في بهيم الليل، وأن نبتعد عن الجزيرة إلى الخضم الداجي. إنه لمن الليل تُولدُ الرياح الهوج العاتية محطمة السفن. كيف يستطيع المرء أن يهرب من الهلاك الشامل، لو حدث أن هبَّت الريح الجنوبية، فجأة، أو الريح الغربية الصاخبة، التي طالما حطَّمت السفن بالرغم من الآلهة الحاكمة؟ كلا، الحق أنه يجب عليك أن تدعنا هذه المرة نستسلم لليل البهيم، ونُعدَّ عشاءنا، جالسين بالقرب من السفينة السريعة، حتى إذا ما أصبح الصباح ركبنا ظهر السفينة، وأبحرنا وسط اليم الفسيح.»

هكذا قال يورولوخوس، وأيَّدَه بقية الرفاق؛ عندئذٍ أيقنْتُ أن أحد الآلهة لا بدَّ يحيك ضدنا شرًّا، فخاطبته بعباراتٍ مجنحة، قائلًا:

«الحق أنك تُضيقُ علىَّ يا يورولوخوس، علىَّ أنا الذي أقف بمفردي. هُلّموا الآن جمِيعاً، وأقسِموا لي قسماً لا حِنْثٍ فيه، أنه إذا تصادف ووجدنا قطبيعاً من الأبقار أو قطبيعاً كبيراً من الأغنام، لا يذبح أحدٌ بقرةً أو خروفًا في حماقة عقله الأعمى، بل يكتفي بتناول الطعام الذي أعطتنا إياه كيركي الخالدة.»

## رفاق أوديسيوس يُقسِّمون بعدم ذبح الأبقار

ما إن قلتُ هذا، حتى أقسِموا بأنهم لن يمْسُوا شيئاً شيئاً تماماً كما أمرتهم. وبعد أن أقسِموا، وانتهوا من اليمين، أرسينا سفينتنا المتينة البناء في الميناء الفسيح بالقرب من عين ماءٍ عذبة، وخرج رفاقنا من السفينة، وأعدُّوا عشاءهم بمهارة. وبعد أن تناولوا كفافتهم من الطعام والشراب انخرطوا في البكاء، عندما تذكّرُوا رفقاءهم الذين خطفُتهم سكولا من داخل السفينة الواسعة وابتاعُتهم، فَحَطَّ عليهم النوم اللذيد وهم يبكون. بيد أنه عندما

أقبلت حراسة الليل الثالثة، وحوَّلت النجوم مجرها، أثار زوس جامع السحب ضدنا ريحًا عاتية في عاصفةٍ عجيبة، وأخفى البر والبحر معاً وراء السحب، فهجم الليل من السماء. وما كاد يظهر الفجر الباكر ذو الأنامل الوردية، حتى سحبتنا سفينتنا، وربطناها في كهفٍ فسيح، حيث كانت الأرضيات الجميلة الراقصة، ومقاعد الحوريات؛ عندئذٍ ناديتُ رجالِي وتحدَّثُ وسطهم قائلاً:

«أصدقائي، إن في سفينتنا السريعة لحماً وشراباً؛ ولذا يجب أن نمسك أيدينا عن تلك الأبقار لئلا يُصيّبنا الضر. إنها أبقارٌ جسيمة وخرافٌ عظيمة يملّكها إلهٌ فظيع، هو هيليوس، الذي يرى كل شيء، ويسترق السمع إلى كل شيء». هكنا قلتُ لهم، فوافتَ قلوبهم الشماء، وظلتُ الريح الجنوبية تهب بلا انقطاع، ولم تهب أية ريحٍ أخرى سوى الريح الشرقية والريح الجنوبية.

وطالما كان لدى رجالِي غلالٌ وخرمٌ صهباء، فإنهم ظلوا ممسكين أيديهم عن الأبقار؛ إذ كانوا راغبين في النجاة بحياتهم. بيد أنه عندما كان مدَّخراً في السفينة، واضطُرُوا إلى أن يجوسوا هنا وهناك بحثاً عن الفرائس، والأسماك والطيور، وكل ما يمكن أن يقع في أيديهم – وكان يصيّدون بالصنانير المعقوفة؛ لأن الجوع كان قد بَرَح ببطونهم – عندئذٍ سرُّتْ وحدي خلال الجزيرة كي أتوسَّل إلى الآلهة عسى أن يُرشِّدَنِي أحدُهم إلى سبيلِ أسلُكه. وبينما أنا سائر خلال الجزيرة، مبتعداً عن رفافي غسلتُ يدي في مكانٍ ب茅وى من الرياح، وشرعتُ أصلِي إلى جميع الآلهة الذين يحتلُّون أوليمبوس، بيد أنهم سكبوا النوم الذي على جفني، وفي الوقت نفسه بدأ يورولوخوس يُبُثُّ في رفافي مشورته الشريرة، فقال لهم:

### رفاقُ أوديسيوس يَحثُّون بِوَعِدهِم

«أصغوا إلى حديثي أيها الزملاء، رغم كل محنكم القاسية. يمقدّم البشر المساكين جميع صور الموت، غير أن الموت جوعاً، حيث يلقى المرء حتفه جائعاً، أكثرها ألمًا. هيا بنا نسوق بعيداً خير أبقار هيليوس ونُقدِّم ذبيحةً للخلالين الذين يحتلُّون السماء الفسيحة. وإذا قُدِّر لنا أن نبلغ وطننا، إيثاكا، شيدنا في الحال معيدياً فاخراً لهيليوس هوبيريون، ووضَّعنا فيه كثيراً من التقدّمات الهاشة. ولو حدث أن هيليوس غضب بأية صورةٍ بسبب أبقاره ذات القرون المستقيمة، وصَمَّ على أن يُحْطَم سفينتنا، ووافق الآلهة الآخرون على ذلك، فإنني أُوثير أن أفقد حياتي دفعةً واحدة بالوثب في لجة البحر، على أن أذوي ببطء في جزيرةٍ موحشة».»

هكذا قال يورولوخوس، فوافقه على رأيه بقية الرفاق. وفي الحال ساقوا بعيداً خير أبقار هيليوس التي كانت قريبةً وفي متناول أيديهم؛ لأن تلك الأبقار الجميلة اللمساء، ذات الجبه العريضة، لم تكن ترعى بعيداً عن السفينة القاتمة الحيزوم، فوقفوا حول هذه وصلوا للالله، وقطفوا الأوراق الرقيقة من شجرة بلوط باسقة<sup>٨</sup> القمة؛ إذ لم يكن لديهم شعيرٌ أبيض على ظهر السفينة المكينة المقاعد، وبعد أن انتهوا من الصلاة وقطعوا عنان الأبقار وسلخها، قطعوا قطع الأفخاذ وغطّوها بطبقتين من الدهن ووضعوا فوقها حمّا نبيئاً. لم يكن لديهم حمرٌ ليسبّبُوها فوق الذبيحة المتألجة، فعملوا السكاكب بالماء، وشّوّفوا جميع الأمعاء على النار، فلما احترقت سائر الفخاذ وتدوّقوا الأجزاء الداخلية، قطعوا الباقي وسُفّدوه. بعد ذلك تصارف هروب النوم اللذين من فوق جهني، فانطلقت في طريقي إلى السفينة السريعة وإلى شاطئ البحر. غير أنني ما إن اقتربتُ وأنا ذاهب، من السفينة المقببة، حتى كانت رائحة الدهن الساخن تحوم حولي، فتأوهتُ وصرختُ عالياً للالله الخالدين قائلاً:

«أبٰاه زوس، وأنتم أيها الآلهة الآخرون المباركون الخالدون، إنه لمن أجل تحطيمي حّقاً أنكم أنعستموني في نومٍ عديم الرحمة، بينما قام رفقاءِي الذين تخلّفوا عنِي بعملٍ وحشٍ».

### إله الشمس يُصب جام غضبه على أوديسوس

عندئذ انطلقت لاميتي ذات الأثواب الطويلة، في سرعة إلى هيليوس هوبيريون، تحمل إليه نبأ ذبحنا أبقاره، فتكلّم من فوره وسط الخالدين، والحنق يملأ قلبه، فقال:

«أبٰي زوس، وأنتم أيها الآلهة الآخرون المباركون الخالدون، لتنتموا الآن من زملاء أوديسوس بن ليرتيس، الذين اعتدوا بالذبح على أبقارِي في صفقة، تلك الأبقار التي أجد فيها لذّتي باستمرار، حين أذهب إلى السماء ذات النجوم وعندما أعود من السماء ثانيةً إلى الأرض. وإذا لم يدفعوا لي كفارةً لائقة عن تلك الأبقار، فإنني سوف أهبط إلى هاديس وأُشرق هناك بين الموتى».

<sup>٨</sup> كانت أوراق الأشجار الخضراء تُستخدم عوضاً عن حبات الشعير التي كانت تُستعمل عادةً في الذبائح.

## زوس يُهدّد بنسف سفينة أوديسيوس

عندئٍ أجابه زوس، جامع السحب، بقوله: «أي هيليوس، هل لك أن تشرق حقًا وسط الحالدين، والبشر فوق الأرض، واهبة الغلال. أما أولئك الرجال فسرعان ما سأضرب سفينتهم السريعة بصاعقتي اللامعة، فامزقها إربًا وسط البحر القاتم كالخمر». سمعتُ هذا من كالوبسو ذات الشعور الفاتنة؛ إذ قالت إنها سمعتُ بمن نفسها من الرسول هيرميس.

وعندما نزلتُ إلى السفينة وإلى البحر، أتحيّت على رجالي بالتوبيخ، متوجهًا إلى كل رجل بدوره، بيد أننا لم نستطع أن نجد لذلك الأمر علاجًا – فإن الأبقار كانت قد ذبحت. وفي الحال أظهرت الآلهة علامات النحس لرجالي؛ فقد زحفت الجلود، وأما اللحم، المشوي منه والنبي، فطُفِقَ يئن فوق السفافيد، وصار هناك خوارً أشبه بخوار الأبقار. إذن فقد ظلل رفقاء المخلصون ستة أيام يُولمون على خير أبقار هيليوس التي كانوا قد ساقوها بعيدًا. غير أنه عندما جلب علينا زوس بن كرونوس، اليوم السابع، كفت الريح عن أن تهُب في إعصار، وفي الحال صعدنا إلى ظهر السفينة، وشققنا طريقنا عبر البحر الفسيح بعد أن رفعنا الصاري ونشرنا الشراع الأبيض.

## الرياح تعصف بسفينة أوديسيوس

ولكن عندما غادرنا تلك الجزيرة لم تَبُدْ لنا أي أرضٍ أخرى، بل ما كنا نرى إلا السماء والبحر ليس غير، وعندئٍ حَقًا نَشَرَ ابن كرونوس غمامَةً دكناه فوق السفينة الواسعة، فعمت الظلمة البحر من تحتها، ولم تَجِرِ السفينة بعد ذلك ملدةٌ طويلة؛ لأنَّه في الحال جاءت الريح الغربية العاتية، تهُب في إعصارٍ هائج، وإذا بهبة الريح تُطْبِح بدعامتِ الصاري الأمامية، حتى إن السارية سقطت إلى الوراء وتثأرت جميع حبالها في جوف السفينة. وفوق كوثل السفينة سقط الصاري على رأس الرَّبَّانِيَّ حفطَمْ سائر عظامِ جُمْجمته في الحال، فسقط من فوق ظهر السفينة كما لو كان غواصًا وفارقت روحه الشامخة عظامه؛ عندئٍ أرَعَدَ زوس وقدَّ صاعقَتَه فوق السفينة، فأخذَتْ تضطرب من الجُؤُجُؤ إلى الكوثل، وقد أصابَتْها صاعقة زوس، وامتلأَتْ بدخانٍ كبريتٍ، وانجرف زملائي من السفينة. وأشبه بغربان البحر حُملوا فوق اللُّجَاج حول السفينة السوداء، وسلَبَهم الرب عودَتَهم. أما أنا فقد ظللتُ أُسِير فوق السفينة هنا وهناك إلى أن فصلَتْ الموجة جانبَي السفينة عن قاعها،

وحملتها اللُّجَّة مُجَرَّدة من كل شيء وُمُفَكَّكة الأوصال وقد فُدِت بالصاري بعيداً عن القاعدة، وفوق السارية طارت الدعامة الخلفية المصنوعة من جلد الثور، فربطت الاثنين معاً بهذه، القاع والسارية معاً، وإذا جلست فوق هذين حملتني الرياح العاتية.



### أوديسيوس يقفز طلباً للنجاة

بعد ذلك كَفَت الريح الغربية حَقّا عن الهبوب في عاصفة، وسرعان ما أقبلت الريح الجنوبية، جالبةً الحزن على قلبي؛ ذلك أنه يجب عليَّ أن أجتاز من جديد الطريق إلى خاروبديس المؤدية. بقيتُ الليل بطوله مُمْحَلّاً، وعند شروق الشمس بلغت صخرة سكولا وإلى خاروبديس المُرْوَعة. لقد ابتلعتُ حَقّا مياه البحر الملح، ولكنني قفرتُ إلى فوق وتعلقتُ بشجرة التين العالية، ممسكاً بها، وبقيتُ متشبثاً بها أشبه بالخفاش، ومع ذلك لم أستطع بحالٍ ما، أن أُبْتَأَ قدميَّ أو أُتسلقُ الشجرة؛ لأن جذورها كانت متشعبَةً عميقاً إلى أسفل وأغصانها بعيدة عن متناول يديَّ من فوق، طويلة وعظيمة، وكانت تُتَلَّ خاروبديس. بقيتُ متشبثاً بالشجرة هناك حتى تُقذف خاروبديس بالصاري والقاع من جديد، وكم كان

سروري عندما أقبلًا أخيرًا! وعند الساعة التي ينهض فيها المرء من اجتماعٍ لكي يتناول  
عشاءه، ذلك المرء الذي يفصل في المنازعات العديدة بينَ من يحتمل إليه من الشبان، في تلك  
الساعة نفسها ظهر الصاري والقاع من داخل جوف خاروبديس، فأطلقتُ يديَّ وقدميَّ  
وهبطتُ من فوق وغطستُ في المياه بعيدًا إلى أبعدَ من موضع السارية والقاع الطويلين،  
وبعد أن جلستُ فوق هذين رُحْتُ أَجْذَفَ إلى الأمام بيديَّ. أما سكولا، فلم يسمح لها  
أبو الآلهة والبشر بأن تراني وإلا ما نجوتُ قَطْ من الهاك الشامل.

### عودة أوديسيوس إلى كالوبسو

«من ذلك الحين بقيتُ محمولًا تسعه أيام. وفي الليلة العاشرة جاءت بي الآلهة إلى أوجوجيا، Ogygia، حيث تقيم كالوبسو الجميلة الجدائل، تلك الربة المهولة التي تتكلم بلغة البشر، التي رَحَبْتُ بي وقدمتُ لي المعونة والرعاية، ولكن لماذا أروي لك هذه القصة؟ فقد سرَدْتُها في ساحتك بالأمس فقط، لك أنتَ نفسك ولزوجتك النبيلة. وإنه لتعْبُ حَقًّا، كما يبدو، أن أعود فأقصُّ حكايةً سبق أن رويتها».»



## الأنشودة الثالثة عشرة

ألكينوس يكرم أوديسيوس ورفاقه

هكذا تكلَّم أوديسيوس وخَيَّم الصمتُ عليهم جميعاً، وانعقدَتُ ألسنتهم في شَتَّى أنحاء الساحات الظليلية، ومن جديِّدِ رَدِّ عليه ألكينوس بقوله:

«أي أوديسيوس، ما دمتَ قد جئتَ إلى بيتي العالى السقف ذي الأرضية البرونزية، فإنَّ في اعتقادي، أنك لن تعودَ أبداً رجلاً، وترجعَ دون أن تناولَ مأربك، رغمَ كثرة المحن التي عانيتها. وإلى كلِّ رجلٍ منكم أيتها الحاضرون في ساحاتي تَوَّاقين دائمًا إلى شرب خمر الشيوخ الصهباء، وإلى سماع أناشيد المُغنِّي، أتكلَّم وأدلي بهذه الوصية. إنَّ في الصندوق البرَّاق المصنوع من الذهب بطريقَةٍ عجيبة، ملابسَ للغريب، وهداياً أخرى عديدةً أحضرها إلى هنا مستشارو الفياكين. والآن، هيا بنا، نُقدِّم له ركيزةً عظيمة، وقَدْرًا كبيرًا كلَّ رجلٍ هنا، ونحن بدورنا سوف نجمع الثمن من الناس، ونُوفِّي بذلك أنفسنا؛ فإنَّه لمن العسير على رجلٍ واحد أن يعطي بسخاء، دون تعويض.»

هكذا قال ألكينوس، فأدخلتَ كلماته السرور على نفوسهم، انصرفَ بعد ذلك كلَّ رجلٍ إلى منزله، كي يستريح، حتى إذا ما لاح الفجر الباكر، ذو الأنامل الوردية، أسرعوا إلى السفينة، وأحضرُوا البرونز الذي يُمدُّ الرجال بالقوة. وذهب ألكينوس القوي العتيid إلى السفينة، فاعتلاماً، ووزَّعَ الهدايا بعِنْيَةٍ تحت المقاعد، حتى لا تتعوق حركة أيٍّ واحدٍ من البحارَة أثناء التجذيف، عندما ينهمكون في استخدام المجازيف. وبعد ذلك انطلَّقوا إلى منزل ألكينوس، وأعدُّوا وليمة.



فاقتربت منه أشينا في صورة شابٌ يافع راعي أغنام، وكانت ترتدي عباءً وصندلاً في قدميها اللامعتين.

### أوديسيوس يُودع ألكينوس شاكرا

ذبح ألكينوس القوي العتيد من أجلهم ثوراً لزوس بن كرونوس، رب السُّحب القائمة، وسيد الجميع، فلما انتهوا، بعد ذلك، من إحراق قطع الفخاذ أذبوا مأدبةً رائعة، وطربوا، وفي وسطهم أنشد المنشد المقدس ديمودوكوس Demodocus، الذي يُجلُّ الشعب، بالتتوقيع على القيثارة. أما أوديسيوس فكان يتجه دائمًا برأسه نحو الشمس الساطعة، متلهفًا إلى أن يراها تغيب؛ إذ كان يتوق بحقٍ إلى العودة إلى وطنه. وكما يتوق المرء إلى العشاء، ذلك



الذى من أجله يظل زوجٌ من الثيران القاتمة كالخمر، طوال اليوم كُلُّه، يجُرّان المحراث ذا المفاسل خلال الأرض البور، ولأجل من يغيب ضوء الشمس، كي يتمتّع بعشائه، وتشعر ركبته بالتعب وهو ذاذهب إلى بيته، هكذا أيضًا، لأجل غبطة أوديسيوس احتجب ضوء الشمس، فنهض عندئذٍ في الحال، وتكلّم وسط الفياكين، مُحبي المجداف، وأعلن كلمته إلى أكينوس بصفةٍ خاصة، قائلًا:

«أيها السيد أكينوس، يا أشهر الخلق طُرًّا، صُبَّ السكائب الآن، وأرسلني في طريقي بسلام، وأنتم أيضًا. وداعًا! فقد تحقق الآن كل ما كان يتوق إليه قلبي؛ حراسة وهدايا صدقة، فهل لآلية السماء أن تُباركها لي، وعند عودتني أجد زوجتي المنقطعة النظير مع سائرٍ من أحبهم في بيتي سالمين؟ وهل لكم من جديد، وأنتم باقون هنا، أن تُدخلوا السرور على زوجاتكم اللواتي عُقد لكم عليهن وأطفالكم؟ وهل للآلية أن تمنحكم جميع ألوان الرخاء، ولا يتعرض شعبكم لأي أذى؟»

## ألكينوس ينادى الشعب الصلاة من أجل أوديسيوس

قال هذا أوديسيوس، فأثنى الجميع على قوله، وأمروا بإرسال الغريب في طريقه، طالما أنه قد تكلّم بلياقة؛ عندئذٍ تحدّث ألكينوس العتيق إلى الرسول، بقوله: «أي بونتونوس Pontonous، امزح الطاس، وقدم الخمر في الساحة للجميع، حتى إذا ما صلينا للأدب زوس، استطعنا أن نُرسل الغريب إلى وطنه.»

ما إن قال هذا حتى مزّج بونتونوس الخمر العسلية وسقى منها الجميع، متوجهًا إلى كل واحدٍ بدوره، وسكنّوا السكّائب للآلهة الخالدين، الذين يحتلّون السماء الفسيحة من حيث كانوا يجلسون. بيد أن أوديسيوس العظيم نهض، ووضع الكأس ذا المقبضين في يد أريتي Aerte،<sup>١</sup> وتكلّم مخاطبًا إياها بكلماتٍ حماسية، قائلًا:

«وداعًا أيتها الملائكة، طوال جميع الأعوام، إلى أن تُوافيك الشيخوخة والموت اللذان من حظ البشر. أما عن نفسي، فإنني سأنطلق في طريقي. وهل لك أن تتمتّعي في هذا المنزل بأولادك وبشعبك وبالملك ألكينوس؟»

## أوديسيوس يُحرِّر في ظروفٍ ملائمة

هكذا تكلّم أوديسيوس العظيم وخطا عبر العتبة، فأرسل ألكينوس العتيق، معه رسولًا ليرشده إلى السفينة السريعة وشاطئ البحر. وأرسلت معه أريتي، نساءً إماءً، تحمل إداهن عباءةً مغسولة حديثًا وجليابًا، كما أمرت أمّةً أخرى أيضًا بأن تتبعها لتحمل الصندوقين المتنين، وكذلك حملت أمّةً ثالثةً خبزًا وخرماً صهباءً.

فلما هبط الجميع إلى السفينة وإلى البحر، أسرع الشباب المبجل الذين سيرافقونه فحملوا من فورهم تلك الأشياء، وحزنوا في السفينة الواسعة، حتى الطعام والشراب كلّه، ثم فرّشوا بعد ذلك من أجل أوديسيوس بساطًا وملاءةً من الكتان فوق ظهر السفينة الواسعة جهة الكوثر كي يستطيع أن ينام ملء جفنيه، أما هو فذهب إلى ظهر السفينة ورقد في صمت. بعد ذلك جلس الشبان فوق المقاعد، كلّ في ترتيبه، وحلوا الحبل من الصخرة المثقوبة. وما إن انحنوا بظهورهم إلى الوراء، وضربوا الماء الملح بنصال مجاذيفهم حتى سقط النوم الهني على جفنيه، نومٌ لا يستيقظ منه، غاية في الحلاوة، أشبه ما يكون

<sup>١</sup> زوجة ألكينوس، ملك الفياكين، ووالدة ناوسيكا.

بالموت. وكما تقفز إلى الإمام فوق السهل أربعة جيادٍ مربوطة جميًعاً معًا تحت ضربات السوط، وبقفزها عاليًا تشق طريقها في سرعةٍ بالغة، هكذا أيضًا راح كوثل تلك السفينة يثب إلى فوق، وفي تقدُّمه أزبدت موجة البحر الصاحب القاتمة أيًّا إزيداد، فأسرعت السفينة تشق طريقها في سلام وثبات، لدرجة أن الصقر الطواف، الذي هو أسرع ذوات الأجنحة، لم يستطع أن يُباريها في سُرعتها. وهكذا طافت تشق طريقها إلى الإمام بسرعة وتمُّ خُباب البحر، تحمل فوق ظهرها رجلًا هو نظير الآلهة في المشورة، ذلك الذي قاسى كثيرًا من الأهوال فيما مضى في القلب يخوض غمار حروب الرجال واللُّجج العاتية، غير أنه الآن قد نام في سلام، ناسيًا كل ذلك الذي قاساه.

والآن عندما ظهرت أكثر النجوم تألقًا، تلك التي تأتي دائمًا لتعلن نور الفجر الباكر، اقتربت السفينة مآخرة البحر، الآن فقط من الجزيرة.

### وصول أوديسسيوس إلى إيثاكا وغضب بوسايدون

يُوجَد في بلاد إيثاكا ميناءً خاص لفوركوس Phorcys، عجوز البحر، عند مدخل الميناء يبرز عموديًّا من اليابسة لسانان ناتئان صوب الميناء. هذان اللسانان يصُدآن الأمواج العاتية التي تُثْثِرُها الرياح الهوج من الخارج. أما في داخل الميناء فتقف السفن ذوات المقاعد دون أن تُثْرِطْ متى بلغت المرسَى. وتُوجَد على رأس الميناء شجرة زيتونٍ طويلة الأوراق، وبالقرب منها كهفٌ جميل مقدَّس وارفُ الظلال، مُكَرَّس للحوريات الالائِي يُسمَّى التيادييس Naiads.<sup>٢</sup> وتُوجَد في داخل الكهف طاساتٌ مزج الخمر وجرازٌ من الحجر، وهناك أيضًا يدَّخِر النحل عسله. وفي الكهف أنوالٌ طولية من الصخر تنسج عليها الحوريات منسوجاتٌ أرجوانية اللون، أujeوبةً للناظرين، كما أن بداخله أيضًا ينابيع دائمة التدفق. وللكهف بابان؛ واحدٌ تجاه الريح الشمالية يدخل منه البشر، أما الآخر فتجاه الريح الجنوبية وهو مقدَّس، فلا يدخل منه الناس، إنه طريق الخالدين.

في ذلك المكان جذَّ الشباب إلى الداخل، وكانوا يعرفون الموضع من قبل، وجرت السفينة مندفعة في مجريها السريع فوق الشاطئ إلى نصف طولها؛ إذ دفعتها إلى تلك

<sup>٢</sup> بنات زوس، حوريات يُشرِّفن على الينابيع والنافورات ومجاري المياه والآبار والبُحيرات. مخلوقاتٌ مرحة دائمة البشاشة، لكثير منهن القدرة على الشفاء والتنجيم ومنح هذه البركات لكل من يشربُ من مياههن.

المسافة سواعد المجدّفين. بعد ذلك قفزوا من السفينة ذات المقاعد إلى البر، وبدعوا برفع أوديسيوس خارج السفينة الواسعة فوق الملاعة الكثانية والبساط اللامع كما كان، وأرقدوه فوق الرمل، ولا يزال النوم يغلبه على أمره. وأخرجوا الهدايا التي كان الفياكيون الأمجاد قد أعطوه إليها، وهو راحل إلى وطنه، بفضل أثينا عظيمة القلب، فوضعوا هذه كلها سوياً بالقرب من جذع شجرة الزيتون، بعيداً عن الطريق خشية أن يعثّر عليها عابر سبيل ما، قبل أن يسقط أوديسيوس، فيعيث بها. بعد ذلك رجعوا أدراجهم هم أنفسهم إلى الوطن ثانية. بيد أن مُنزلِل الأرض لم يَنْسَ التهديدات التي كان قد تَوَعَّدَ بها من قبل أوديسيوس شبيه الإله، وهكذا استَعْلَمَ عن مأرب زوس، قائلًا:

«أَبْتَاه زُوس، لَنْ أَكُون أَنَا نَفْسِي مُبْجَلاً بَعْدَ الْآن، وَسَطِ الْآلَهَةِ الْخَالِدِينَ، مَا دَامَ الْبَشَرُ لَا يُبْجِلُونِي قَطَّ – فَحَتَّى الْفِيَاكِيُونَ، الَّذِينَ هُمْ كَمَا تَعْرَفُ، مِنْ سَلْسَلَةِ نَسْبِيِّ – لَأَنِّي أَعْلَمُ بِالْآن أَنَّهُ لَا بُدَّ لِأَوْدِيسِيُوسَ أَنْ يَقَاسِي أَهْوَالًا عَدِيدَةَ قَبْلَ أَنْ يَصُلَّ إِلَى وَطْنِهِ، رَغْمَ أَنِّي لَمْ أَحْرِمْ عَلَيْهِ الْعُودَةَ كُلِّيَّةً؛ إِذْ إِنَّكَ وَعْدَتَهُ بِذَلِكَ يَوْمًا مَا وَأَكَّدَتَ الْأَمْرَ بِانْحِنَاءِ مِنْ رَأْسِكَ، وَلَكِنْ رَغْمَ ذَلِكَ قَدْ حَمَلَهُ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ نَائِمًا فِي سَفِينَةٍ سَرِيعَةٍ عَبْرِ الْبَحْرِ وَأَنْزَلُوهُ فِي إِيَّاثَكَ، وَأَعْطَوْهُ هَدَيَا تَفُوقُ الْحَصْرِ، خَزِينَةً مِنَ الْبِرُونِزِ وَالْعَسْجَدِ وَالثِّيَابِ الْمَنْسُوجَةِ، أَكْثَرُ مَا كَانَ يَسْتَطِعُ أَوْدِيسِيُوسَ أَنْ يَحْصُلَ لِنَفْسِهِ مِنْ طَرْوَادَةٍ، لَوْ كَانَ قَدْ عَادَ سَالِمًا بِنَصْبِيِّ الْقَانُونِيِّ مِنَ الْغَنِيمَةِ».

فأَجَابَهُ زُوسُ، جَامِعُ السَّحْبِ، بِقَوْلِهِ: «آهَ لِي! يَا مُنْزَلِلَ الْأَرْضِ يَا وَاسِعَ الْمَلْكِ، مَا هَذَا الَّذِي نَطَقْتَ بِهِ؟! إِنَّ الْآلَهَةَ لَا تَحْتُطُ مِنْ تَبْجِيلِكَ، وَمِنْ الصَّعْبِ حَقًا أَنْ نَهَاجِمَ بِدُونِ تَبْجِيلِ أَكْبِرِنَا سَنًّا وَأَحْسَنَنَا. أَمَا الْبَشَرُ، فَلَوْ قَصَرَ أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، مَعْتَدِلًا عَلَى قُوَّتِهِ وَجَرْبُوَتِهِ، فِي أَنْ يُؤْفِيكَ حَقُّكَ مِنَ التَّبْجِيلِ فِي أَيِّ شَيْءٍ، لَحُقُّكَ أَنْ تَنْتَقِمَ دَائِمًا، حَتَّى فِيمَا بَعْدُ. إِذْنَ فَافْعُلْ مَا يَحْلُوُ لَكَ، وَكَمَا تَجِدُ فِيهِ مُسْرَّتَكَ الْعَظِيمِ».

عَنْدَئِذٍ أَجَابَهُ بُوسَيْدُونُ، مُنْزَلِلُ الْأَرْضِ، بِقَوْلِهِ: «كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ أَفْعُلَ فِي الْحَالِ كَمَا تَقُولُ، يَا رَبِّ السَّحْبِ الْدَّكَنَاءِ، وَلَكِنِّي أَخْشَى غَضْبِكَ دَائِمًا وَأَتَحَاشَاهُ. أَمَا الْآن فَإِنِّي مُزْمِعٌ أَنْ أَضْرِبَ سَفِينَةَ الْفِيَاكِيُونَ الْجَمِيلَةَ، وَهِيَ عَائِدَةٌ مِنْ مَهْمَتِهَا عَبْرَ الْيَمِ الْكَثِيرِ الْضَّبَابِ، حَتَّى يَكُفُّوْا مِنَ الْآن فَصَاعِدًا وَيَمْتَنِعُوْا عَنْ حِرَاسَةِ النَّاسِ، وَعَلَى ذَلِكَ سَأُقِيمَ جَبَلاً ضَخْمًا حَوْلَ مَدِينَتِهِمْ».

فَرَدَّ عَلَيْهِ زُوسُ، جَامِعُ السَّحْبِ، قائلًا: «أَيُّهَا الْخَامِلُ، أَصْبِغْ إِلَى مَا أَعْتَبَهُ فِي نَظَرِي خَيْرَ الْأَمْوَالِ. عَنْدَمَا يَنْتَلِعُ النَّاسُ جَمِيعًا إِلَيْهَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ مَسْرُعَةٌ فِي طَرِيقِهَا، حَوْلَهَا إِلَى

صخرة بالقرب من الشاطئ – صخرة في صورة سفينة سريعة – كي يملأ العجب سائر الناس، وهل لك أن تُطْوِّق مدینتهم بجبل ضخم؟»

### انتقام بوسايدون

والآن عندما سمع بوسايدون مزلزل الأرض، هذا، شَقَّ طريقه إلى سخيريا Scheria، حيث كان يقطن الفياكيون، وانتظر هناك، فلما اقتربت السفينة مآخرة البحار، من الشاطئ، تجري مسرعة في طريقها؛ عندئذٍ اقترب منها مزلزل الأرض وحولها إلى صخر، وثبتّها بإحکامٍ من تحت بضربيه من راحة يده، ثم انصرف.

عندئذٍ شرع الفياكيون ذوو المجاذيف الطويلة، أولئك الرجال المشهورون بسفنهم، يتحدث بعضهم إلى الآخر بكلماتٍ مجنة، وهكذا كان الواحد منهم يقول، وهو ينظر إلى جاره:

«ويحنا الآن، من ذا الذي قَيَّد سفينتنا السريعة الآن في البحر وهي في طريقها إلى الوطن؟ العجيب أنها كانت في مدى الرؤية الواضحة!»  
هكذا كان الواحد منهم يتكلّم، ولكنهم لم يعرفوا كيف تمَّ تلك الأمور؛ عندئذٍ تكلَّم ألكينوس مخاطبًا جماعتهم بقوله:

«انظروا الآن. حَقًا إن النبوءات، التي نطق بها أبيمنذُ أمِد بعيد، قد حاقت بي الآن. كان يقول دائمًا إن بوسايدون غاضبٌ علينا لأننا نعطي الحراسة الآمنة لجميع الناس. قال إنه سيأتي يوم، بينما تعود إحدى سفن الفياكين الجميلة من رحلة حراسة عَبْر اليم الكبير الضباب؛ إذ يضربيها بوسايدون، كما أنه سوف يُقيِّم طوًدا أَشَمَّ حول مدینتنا. هكذا قال ذلك الرجل العجوز، والغريب أن كل ما قاله قد تحقَّق الآن. هلّموا بنا الآن، نفعل جميعًا ما أمرنا به ونُطِّعه. كُفُوا عن حراسة البشر، عندما يجيء أحدٌ إلى مدینتنا، ولنُقدِّم ذبحةً إلى بوسايدون من اثني عشر ثورًا مُنْتَقَى، عسى أن يعطف علينا ولا يقيِّم جبلاً شامخًا حول مدینتنا.»

### أوديسيوس غريب في وطنه

قال هذا فتملَّكَهم الخوف وأعدُوا الثيران، ثم شَرَع قادة الفياكين ومستشاروهم، يُصلُّون إلى السيد بوسايدون، وهم واقفون حول المذبح. أما أوديسيوس فقد استيقظ من نومه في وطنه، ولكنه لم يكن يدرِّي ذلك بعد غيابه الطويل؛ لأن الربة، بالاس أثينا، نَشَرْتُ حوله

سَحَابَة، أَثَيْنَا ابْنَة زُوس، حَتَّى لَا يَتَعْرَفُ عَلَيْهِ أَحَد، وَتُخْبِرُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَعْرِفُهُ زَوْجُهُ، وَلَا أَهْلُ بَلْدَهُ، وَلَا أَصْدِقَاؤُهُ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَدْفَعَ الْمَغَازِلُونَ ثُمَّ مَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ مِنْ اعْتَدَاءَتِهِ؛ وَمِنْ ثُمَّ بَدَتْ سَائِرُ الْأَمْوَارِ غَرِيبَةً عَلَى سَيِّدِهِمْ، الْمَرَّاتِ الطَّوِيلَةِ، وَالْخَلْجَانِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ كَمَرَاسِ آمِنَةِ، وَالصَّخْرَ الْحَادِهِ النَّاثِئَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُوْرَقَةِ، فَانْتَصَبَ وَاقِفًا يُطْلَعُ عَلَى وَطْنِهِ، ثُمَّ تَأَوَّهَ وَضَرَبَ فَخْدَيْهِ بِرَاحَتَيْهِ يَدِيهِ، وَقَالَ وَهُوَ يَنْتَحِبُ:



«وَيَحِيَ! إِلَى أَيِّ بَلْدٍ مِنْ بَلَادِ الْبَشَرِ قَدْ وَصَلَتُ الْآن؟ أَهَلُهَا قَسَاءُ، وَشَرْسُونُ، وَظَالِمُونُ؟ أَمْ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْغَرِيبَاءَ وَيُخَشِّشُونَ الْآلَهَةَ فِي قُلُوبِهِمْ؟ إِلَى أَيِّنْ أَحْمَلَ كُلَّ هَذِهِ الْثَّرَوَةِ، بَلْ إِلَى أَيِّنْ أَذْهَبَ أَنَا نَفْسِي هَائِمًا عَلَى وَجْهِي؟ لِيَتَنِي بَقِيَّتُ هَنَّاكَ وَسَطَ الْفَيَاكِيْنِ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى مَلَكِ آخَرَ مِنْ الْمَلُوكِ الْأَشْدَاءِ، الَّذِينَ كَانُوا يُرِّجُبُونَ بِي وَيُرِّسْلُونَنِي إِلَى وَطْنِي. أَمَا الْآن فَلَسْتُ أَدْرِي عَلَى مَنْ أَجْوَدَ بِهَذِهِ الْثَّرَوَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَنْ أَتَرْكَهَا هَنَا، لَئَلَّا تُصْبِحَ غَنِيمَةً سَائِغَةً لِلْغَيْرِ عَلَى حَسَابِي. لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ، مَا كَانَ قَادِهِ الْفَيَاكِيْنِ وَمَسْتَشَارُهُمُ الَّذِينَ جَاءُوا بِي إِلَى بَلْدِ غَرِيبٍ، كَمَا يَبْدُو، بِحَكْمَاءِ أَوْ مُنْصِفِينَ. حَقًا إِنَّهُمْ وَعَدُوا بِأَنْ يَدْهَبُوا بِي إِلَى إِيْثَاكَا

الواضحة المعالم، ولكنهم لم يُوفوا بوعدهم، فهل لزوس، رب المتضرّعين، الذي يرى ما يفعل جميع البشر، ويعاقب المذنب، أن يُجازيهم؟ ومع ذلك فسأحصي بضاعتي وأعدها، خشية أن يكون أولئك الرجال قد عادوا بشيءٍ معهم على حسابي في سفينتهم الواسعة.»

### أوديسيوس يلتقي أثينا في هيئة راعي أغنام

بعد أن أتم أوديسيوس حديثه ذاك، شرع يُعد الركائز الجميلة، والقدور، والذهب والثياب البدعية الصنع، فلم يَجِد شيئاً ناقصاً من كل هذا. بعد ذلك وقد بَرَّح به الحنين إلى وطنه، راح يسير، حزيناً، بحذاء الشاطئ البحري الصاخب، يبكي بكاءً مُرّاً، فاقتربت منه أثينا في صورة شابٍ يافع، راعي أغنام، في غاية الرقة، أشبه ما يكون بأبناء الآباء. وكانت ترتدي عباءةً جميلة الصنع، أسدلتها على كتفيها مثنيةً في طيّتين، وصنّلاً في قدميها اللامعتين، وأمسكت في يدها رمحًا، فما أن وقعت عين أوديسيوس عليها حتى انشرح صدرًا، وتقدّم لمقابلتها، وخطّابها بكلماتٍ مجنحةٍ<sup>٢</sup> قائلًا:

«أيها الصديق، مرحباً بك، يا أول من قابلتُ في هذه البلاد، أرجو أن تقابلني بقلٍ لا يُضمر أي سوء. أنقذ هذا الكنز، وأنقذني؛ فإني أتوسل إليك، توسلٌ إلى أحد الآلهة، وهذا وهذا أناذا أتقدّم إلى ركبتك العزيزتين. أخبرني بما أريد معرفته بالصدق، كي أعرف حق المعرفة، أي بلدٍ هذا، وأي شعبٍ هؤلاء؟ أي الأقوام يقطنون هنا؟ أهي جزيرةٌ تبدو للعين، أم شاطئٌ أرضٌ عميقة التربة متعدٌ إلى جانب البحر؟»

### أوديسيوس يعلم من أثينا أنه في إيثاكا

عندئٍ أجابته الربة، أثينا ذات العينين النجلاويين، بقولها: «أيها الغريب، إما أن تكون أحمق، أو قد أتيت من بلدٍ قصي، إن كنت تسأل حقاً عن هذه البلاد، لا ريب في أنها ليست بأية حالٍ من الأحوال، عديمة الاسم، ولكنَّ الكثيرين يعرفونها، كلَّ أولئك الذي يقطنون تجاه الفجر والشمس، وأولئك الذين من ورائهم يُواجهون الظلام الدامس. وإنها جزيرةٌ وَعْرة، وليس صالحة لقيادة الجياد، ولكنها مع ذلك ليست في فقرٍ مدقع رغم أنها رقعةٌ

<sup>٢</sup> أي حماسية.

صغيرة فحسب؛ فالقمح ينمو فيها مزدهراً، وكذلك أعناب الخمور، ولا ينقطع الغيثُ عنها ولا الندى الغزير. إنها بلدُ صالح لرعى الماعز والأبقار، هناك أشجارٌ من كل نوع، كما أن بها غدراً ليري لا ينضُب مَعِينُها طول العام. ومع كلِّ، أيها الغريب، فإنَّ اسم إيثاكا قد وصل حتى إلى بلاد طروادة، التي كما يُقال، تبعدُ كثيراً عن بلاد آخايا<sup>٤</sup> هذه».

### أوديسيوس يدخل الراعي بالأكاذيب

هكذا قالت، فسرُّ أوديسيوس العظيم الكثير التحملُ، واغتَبَطَ في بلده، بلد آبائه، عندما سمع قول بالاس أثينا، ابنة زوس، حامل الترس، فتحدَّثَ إليها، يُخاطبها بكلماتٍ مجنة، ولكنه مع ذلك لم يقل الحق، بل كان يزن اللفظ قبل النطق به، مُرددًا في صَدِرِه أفكارًا بالغة الدهاء، فقال:

«لقد سمعتُ عن إيثاكا، حتى وأنا في كريت الفسيحة، النائية عبر البحر، وهذا أناذا الآن قد جئتُ بذنبي إلى هنا مع بضائعي هذه. ولقد تركتُ ورائي ما يفوقها عدداً مع أطفالي، هارباً من البلاد، بعد أن قتلتُ ابن إيدومينيوس Idomeneus<sup>٥</sup> العزيز، أورسيلوخوس Orsilochus السريع القدمين، الذي تفوقَ في السرعة بكريت على سائر الرجال الذين يعيشون بعرق جبينهم. وكان سيسيلبني من كل غنائم طروادة تلك، التي من أجلها قاسيتُ الحزن في قلبي، مناضلاً في الحروب مع البشر والأمواج العاتية؛ ذلك لأنني لم أحبِّ أباه، ولم أخدمه في بلاد الطرواديين كأحد أتباعه، بل كان تحت إمرتي رجالُ آخرون؛ وعلى ذلك ضربته برمحي البرونزي الطرف وهو عائد من الحقل إلى داره، بعد أن گمنْتُ له في الطريق مع أحد رجاله. وكان الليل الداجي يحجب السماء، فلم يفطن أحد إلينا، بل سلبتُ حياته دون أن يراني أحد. وبعد أن أجهزتُ عليه برمحي الحاد، انطلقتُ في الحال إلى

<sup>٤</sup> هي الساحل الشمالي لشبه جزيرة البيلوبونيزوس Peloponnesus يحدها شماليًا الخليج الكورنثي والبحر الأيوني وجنوباً إليس Elis وأركاديا، كما يحدها غرباً البحر الأيوني وشرقاً سикиونيا Sicyonia.

<sup>٥</sup> ملك كريت، ابن ديوکاليون الكريتي، كان أحد المارعين البواسل في طروادة. وقد أقسم لبوسايدون أن يُقدم له أول شيء يقابله ذبيحة إن أعاده إلى وطنه سالماً أثناء هبوب زوبعة عاتية، فقابل ابنه، فلم يحنت بوعده، وتلت ذلك مجاعة، فطرد الكريتيون، فغَرَّ إلى إيطاليا وعاش في كالابريا.

سفينة، وتوسلتُ إلى الفينيقيين Phoenicians الأمجاد، واهبًا إياهم شيئاً من الغنائم لأشبع قلوبهم. وطلبتُ منهم أن ينقلوني بعيدًا، ويضعوني فوق اليابسة في بولوس Pylos<sup>٦</sup>، أو في إليس Elis العظيمة، حيث يحكم الإبيبيون Epaens، ولكن قوة الريح جرفتهم بعيدًا من هناك، في عنفٍ بالغ ضد رغبتهن، ولم يكونوا يقصدون الغدر بي، فوصلنا إلى هنا ليلاً بعد أن طَفِقنا هائمين من هناك تدفعنا الريح. وبسرعةٍ أخذنا نجذب بهمَّة حتى بلغنا داخل الميناء، لا نفكِّر في تناول عشاءنا، رغم حاجتنا الشديدة إليه، بل خرجنا على الطوى من السفينة ورقدنا، كلنا. وقد حَطَّ على نومٍ لذيد فنمتُ ملء جفني وأنا منهوك القوى، فحملوا بضائعي من السفينة الواسعة ووضعوها حيث كنتُ أرقد أنا نفسي فوق الرمال. أما هم فصَعدوا إلى ظهر السفينة، ورحلوا إلى بلاد سيدون Sidon<sup>٧</sup> بلاد خيرة الأقوام، وتركوني هنا، بقلبٍ منزوج غاية الانزعاج.»

### أثينا تكشف لأوديسيوس عن شخصيتها

هكذا تكلَّم أوديسيوس فابتسمت الربة، أثينا المتألقة العينين، وربَّتْ عليه بيدها، وحوَّلتْ نفسها إلى صورة امرأة، حسناء فارعة الطول، ماهرة في الأشغال اليدوية المجيدة، وخطَّابته بكلماتٍ مجنة،<sup>٨</sup> قائلة:

«لا يستطيع أن يتفوَّق عليك في كل ضروب الخداع، إلا من يكون ماكراً أو خبيثاً، رغم أن الذي التقى بك إله، أيها الرجل الجريء، ذو المشورة الماكنة، والكثير الخداع، فلن تكُف عن الخداع، حتى في وطنك، كما بيده، بل تحيك القصص الخداعة، التي تميل إليها من أعماق قلبك. والآن، لا تتكلَّم عن هذا بعد ذلك، ما دمنا كلانا ماهرين في نفس المهنة، وما دمت أنت تُبدِّي سائر الناس في المشورة وفي الحديث، وأنا مشهورة بالحكمة والمهارة بين جميع الآلهة. ورغم ذلك فإنك لم تعرفي أنا بالاس أثينا، ابنة زوس، التي أقف دائمًا إلى

<sup>٦</sup> اسم يُطلق على ثلاثة مدن في الساحل الغربي لشبه جزيرة البيلوبونيزوس. ولقد كُتب لبولوس الخلود إبان الحروب البيلوبونيزية يوم أن كانت جحافل الأثينيين تحت قيادة ديموسثينيس.

<sup>٧</sup> إحدى مدن فيينيقيا القوية. كانت لهم أفضل السفن وأجودها صنعاً ومتانة. إبان حملة إكسركسيس Xerxes ضد بلاد الإغريق.

<sup>٨</sup> حماسية.

جوارك، وأحرسُك في جميع<sup>٩</sup> متابعيك. نعم وقد جعلتُ محبوبًا لدى سائر الفياكين. والآن  
ها أنا ذا قد جئتُ إلى هنا، لأُدبر معك خطةً، ولاُخفى كل كنزك، الذي أعطاكه الفياكين  
الأمجاد بمشورتي وإرادتي، عندما رحلت إلى الوطن، ولكنني أُخبرك بسائر المحن التي يجب  
أن تُقاسيها في بيتك المkin البناء، ولكن هل لك أن تكون قويًا؟ لأنك يجب عليك أن تتحمل  
تلك الأمور، ولا تخربن أي رجلٍ منهم جميًعاً ولا أية امرأةٍ بأنك قد عُذْتَ من تجولاتك، بل  
تحمل أحزانك العديدة في صمتٍ، وارضخ لعنف البشر.»

### أوديسيوس يشيد بأفضل أثينا عليه

بعدئذٍ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «إنه ليتعذر على المرء، أن يعرفك، أيتها  
الربة، عندما يلتقي بك، مهما بلغ من الحكمة؛ لأنك تتحذين أي شكلٍ تريدين. إنني أعلم  
هذا حق العلم؛ فإنك تعطفين علىَّ منذ قديم الزمان، طوال المدة التي كنا نحارب فيها، نحن  
عشرون الأخرين، في أرض طروادة. حتى إذا ما سلينا مدينة بريام الشاهقة، ثم رحلنا عنها في  
سفتنا، وبَدَدَ إلهُ شمل الأخرين، لم أُعُدْ أراكِ أبدًا منذ ذلك الحين، يا ابنة زوس، ولم ألحظك  
آتية على ظهر سفينتي كي تبعدي الأحزان عنِّي. كلا، لقد ظللتُ أتجول دائمًا، حاملاً في  
صدرِي قلبي مصاباً، إلى أن خلصتني الآلهة من الشر، حتى أدخلتِ السرور إلى قلبي في بلاد  
الفياكين الخصيبة بكلماتك، وأرشدتني بنفسك إلى مدينتهم. أما الآن، فإنني أتوسل إليك  
بابيك — لأنني لا أصدق أنني قد جئتُ إلى إيثاكا الواضحة للعيان، كلا، لا بد أن هذا البلد  
الذي أجوس فوق أرضه، بل آخر، وأعتقد، أنك إنما تتكلمين هكذا ساخرةً مني لتخدي  
قلبي — خبرني هل بلغتُ حقيقةً وطني العزيز؟»

### أثينا المحبة تطمئن أوديسيوس بأنه في وطنه

عندما أجابته الربة، أثينا البرأقة العينين، فقالت: «هذه الفكرة دائمًا في صدرِي، وعلى ذلك  
فلا أستطيع أن أتركك إلى أحزانك؛ لأنك رقيقُ الحديث، حادُّ الفطنة وحصيف. كان ما  
يعمله أي رجلٍ آخر عند عودته من رحلاته أن يُسرع في شوقٍ ليرى زوجته وأولاده في داره،

<sup>٩</sup> جماعية.

ولكنك لم ترحب في أن تعرف أو تعلم أي شيء، إلا بعد أن تتأكد من زوجتك، وما إذا كانت لا تزال محافظةً على سابق عهدها في ساحتك، وما إذا كانت تقضي الليالي والأيام حزينةً باكية، أما أنا، فلم أشكَّ قط في عودتك، بل كنتُ أعلم تماماً في قلبي، أنكَ ستعودُ إلى وطنك بعد أن تفقدَ سائر رفقائك، ومع ذلك، فيجب أن تعرف، أنه لم يكن في نيتَّي الوقوف في وجه بوسايدون، شقيق أبي، الذي غرس الغضب ضدَّك في قلبه، حانقاً عليك لأنك أعميَّته ابنه العزيز، والآن، هيأ، لأُريكَ أرض إيثاكا، كي تتأكدَ. هذا هو ثغر فوروكوس، عجوز البحر، وهنا عند رأس الميناء تُوجَد شجرة الزيتون الطويلة الأوراق، وبالقرب منها الكهف المُبَهِّجُ  
الظليل، المقدَّس للحُوريات اللوائيَّي يُعرفن باسم النياديَّس. يجب أن تعرف، أن هذا هو الكهف المُقْبَي الذي اعتَدَّت أن تقدُّم فيه للحُوريات ذيَّات ذئبَة عديدة تُحَقِّق مأربك، وهذا هو ذا هناك جبلٌ نيريتون Neriton، الذي تكسُّوه الغابات.»

### أوديسيوس يتَوَسَّل إلى النياديَّس

قالت الربة هذا، وبَدَّدت السحابة، فطَهَرَت الأرض. إذن سُرُّ أوديسيوس العظيم، البالغ التَّحْمُلِ، سروراً أي سرور إذ غدا في وطنه، وقبلَ التربة، مانحة الغلال. وفي الحال بسَطَ  
ذراعيه يتَضَرَّع إلى الحُوريات، بقوله:

«أيتها الحُوريات النياديَّس، يا بنات زوس، لم يخُطُّ بيالي قَطْ أَنْتِي سوف أرَاكُنْ  
ثانية، أما الآن فإِنِّي أُحِبُّكُنْ بِتَوَسِّلٍ جمِيلَة. نعم سوف أُقدِّم لِكُنَّ الهدايا أَيْضًا، كسابِقِ  
عهدي، لو أن ابنة زوس، تلك التي تقدُّم الغنِيمَة، سوف تمنُّخني، مُتَحَنَّنَةً، أَنْ أُعِيشُ، حتى  
أَرْبِي أَبْنِي العزيز إلى أن يبلغ سن الرجولة.»

### أثينا تساعد أوديسيوس بالخطَّ النافعة

فردَّت عليه ثانيةً الربة، أثينا ذات العينَيَّن المتألِّفتَيَّن، بقولها: «فلتَقْرَ عيَّنَا ولا تدع هذه الأمور تُحزن قلبك. هلم بنا، الآن، نضع بضائعك في الحال، في أقصى أركان الكهف العجيب، حيث يمكن أن تبقى لك في أمان، ولنفُّحَّر نحن أنفسنا في الكيفية التي يتم بها كل شيءٍ على خير وجه.»

ما إن قالت الربة هذا حتى دخلَت إلى الكهف الظليل تبحث مخابئه. وحملَ أوديسيوس الكَنْز جميعه إلى هناك، الذهب والبرونز العنيف والثياب الجميلة الصنع، التي كان الفياكينون

قد أعطوه إياها، فأخفي كل هذه الأشياء بعناية، ووضعت بالاس أثينا، ابنة زوس، حامل الترس، صخرة عند الباب. بعد ذلك جلس كلاهما بجوار جذع شجرة الزيتون المقدسة، وأخذَا يحيكَان الموت للمغَازِلين الوقحين. وكانت الربة، أثينا النجلاء العينَين، هي أول من تكلَّم، فقالت:

«يا ابن لايريتيس، أيها المنحدر من زوس، هيَا أوديسيوس الكثير الحيل، فَكَرِّجِيَا في الطريقة التي تستطيع بها أن تضع يدك على المغَازِلين الرُّقَاعَاءِ، الذين لهم الآن ثلاثة سنوات يتَسَكَّعون في ساحاتك، وُيغَازِلُون زوجتك الشبيهة بالآلهة، ويعرضون عليها هدايا المغَازِلين. وهي إذ تنتظر مجيئك باكية، تُعلَّلُ الجميع بالأعمال، وَتُمْنِي كلَّ رجلٍ بالوعود، فترسل إليهم الرسل بينما عقلُهُ مُرْكَّزٌ في أمورٍ أُخْرَى.»

عندئِذ أجابها أوديسيوس، الكثير الحيل، قائلًا: «ويحي! لا شك أنه كان من المحتمل أنَّ أهْلَكَ في ساحاتي بسبب سوء حظ أجاممنون بن أتريوس لو لم تُفْضِي إلَيْهِ، أيتها الربة بكل شيء. هيَا الآن، وَدَبِّرِي خطَّةً ما أتمكَّنُ بها من مجازاتهم، وقفِي أنتِ نفسِكِ إلى جانبي، وامتحِنِي شجاعَةً جريئةً كتلك التي كانت لي عندما فَكَّنَا تاج طروادة اللامع، فلو وَقَفْتِ فقط إلى جواري، أيتها الْبَرَّاقَةُ العينَين، بقدر ما كُنْتِ مُتَحَمِّسةً في ذلك الحين، لقاتلْتُ حتى في مواجهةِ ثلَاثَمَائَةِ رجلٍ، معكِ، أيتها الربة العتيدة، لو أتَكِ بقلْبٍ مُسْتَعِدٍ وَهَبَّتِني المساعدة.»

### أوديسيوس يوافق أثينا على مسخه

فأجابَتْهُ عندئِذ الربة، أثينا اللامعة العينَين، بقولها: «نعم، سأكون معك حَقًّا ولن أنساك عندما تكون منهنِمَا في ذلك العمل، وإنني لأعتقد أنَّ الكثريين من أولئك المغَازِلين الذين يُبَدِّدون أموالك، سوف يُلْطِخُون التربة الفسيحة بدمائهم وأمخاهم. والآن، هيَا لِأُغْيِرَ هيئتكَ كيلا يعرِفُكَ سائرُ البشر، فسأجعَدُ الجلد الأملس فوق أطرافك اللدنَة، وأقضِي على الشعر الكَتَانِي فوق رأسك، وألْبِسُكَ ثوبًا مهلهلاً، حتى ليشْمَرُ الماء من النظر إلى أي رجلٍ يلبِّسُهُ، وسوف أُعْتِمِ عينَيكَ اللَّتَيْنِ كانتا من قبْلٍ في غايةِ الجمال، كي تبدو حقيرًا في نظر جميع المغَازِلين، ونظر زوجتك، وابنك، الذي تركته في ساحاتك. أما أنت نفسك، فلتذهب أولاً، وبادئ ذي بدء، إلى راعي الخنازير الذي يحرس خنازيرك، ويُكِنُ لكَ كلَّ عَطْفٍ وحَنَانٍ في قرارَة قلبِه، ويُحِبُّ ولدَكَ وبينيلوبي الثابتة. ستَجُدُهُ قابِعًا بجوار الخنازير

وهي ترعى بجانب صخرة كوراكس Corax وينبوع أريثوسا Arethwsa،<sup>١٠</sup> تأكل ثمار البلوط ملء بطونها وتشرب المياه السوداء، وهي الأشياء التي تُسمّن لحم الخنازير الدسم. انتظر هناك، وبعد أن تجلس إلى جواره سُلْه عن كل شيء، بينما أنطلق أنا إلى إسبرطة، أرض النساء الفاتنات، لاستدعي من هناك تيليماخوس، ابنك العزيز، يا أوديسيوس، الذي سافر إلى لاكيديايمون الفسيحة إلى بيت مينيلاوس ليستطلع أخبارك، ويعلم ما إذا كنت على قيد الحياة في أي مكان.»

### أثينا تُطمئنْ أوديسيوس على مصير ولده

فأجابها أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «لماذا لم تخبريني، إذن، بربك، يا من يعرف عقلك كل شيء؟ كلا، أكان مُقدّراً له كذلك أن يُقاسي أهواً، وهو يجوس خلال البحر الصاخب، وأن يأكل الآخرون أمواله؟»

عندئذ أجابته الربة، أثينا المتألقة العينين، وقالت: «كلا، فلن ينزعج قلبك عليه كثيراً. إنني أنا التي أرشدته، إلى السفر إلى هناك، كي يحظى بأخبار حسنة، دون أن يُعاني أي تعب، بل يجلس آمناً في قصر ابن أتريوس، مسروراً بما يفوق الوصف. حقيقةً، هناك شبان يكمنون في انتظاره، في سفينةٍ سوداء، متلهفين إلى الفتكت به قبل أن يبلغ وطنه، ولكنني أعتقد أنهم لن ينالوا بُغيتهم. قبل ذلك ستُضم الأرض كثيراً من المغازلين الذين يأكلون أموالك.»

### ثم تمسخه بصولجانها وترحل

ما إن أتمتْ أثينا حديثها ذاك حتى لستْ بصولجانها، فأدَّتْ جلده الناعم فوق أطرافه اللدنة، وأتت على الشعر الكثاني فوق رأسه، ووضعت جلد رجلٍ عجوز حول جميع أطرافه،

<sup>١٠</sup> نافورة في أورتوجيا Ortigia الجزيرة الرابضة في ميناء سيرا كوزة Syracuse. تَحْكِي الأساطير أن إله النهر ألفيوس Alpheus وقع في غرام حورية اسمها أريثوسا عندما رأها تسبح في مجرى مياهه، فولَّتْ أريثوسا الأدبار منه حتى وصلتْ أورتوجيا وهناك مسختها الربة أرتيميس نافورة. غير أن أفيوس لم ييأس، بل عدا تحت البحر إلى أن لحق بالنافورة وربط مجراه ب مجراهَا مُوحِداً بينهما؛ ومن ثمَّ كان هناك فيما مضى اعتقاد سائد بوجود رباط حقيقي بين النهر والينبوع.

وَعَنْمَتْ عَيْنَيْهِ الْلَّتَيْنِ كَانَتَا رَائِعَتِي الْجَمَالِ مِنْ قَبْلُ، وَأَلْبَسْتُهُ عَبَايَةً وَجَلَبَاهَا مُهَلَّهَيْنِ قَذَرَيْنِ،  
أَسْمَالًا بَالِيَّةً وَسَخَّةً، يُجَلِّلُهَا الدَّخَانُ الْقَدِيرُ. وَأَلْقَتْ حَوْلَهُ جَلَدًا هَائِلًا لِغَزَالَةٍ سَرِيعَةٍ، مَنْزُوعَةٍ  
الشَّعَرُ، وَأَعْطَتْهُ عُكَّازًا وَكِيسًا حَقِيرًا، كُلُّهُ ثَقَوبٌ، مَعْلَقًا بِحَبْلٍ مَفْتُولٍ.  
وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَ كَلَاهُمَا عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ، انْفَصَلَا، وَفِي الْحَالِ انْطَلَقَتِ الرَّبَّةُ إِلَى  
لَكِيدَاهُمُونَ الْعَظِيمَةِ لِإِحْضَارِ ابْنِ أُودِيُّسِيُّوسَ.

## الأنشودة الرابعة عشرة

### أوديسيوس يعثر على راعي خنازيره

ذهب أوديسيوس من الميناء خلال المـر الـوـعـر صاعـداً عـبـر الغـابـة ووـسـطـ المـرـفـعـات إـلـىـ المـكـانـ الذي أوجـبـتـ عـلـيـهـ أـثـيـنـاـ أـنـ يـبـحـثـ فـيـهـ عـنـ رـاعـيـ الخـنـازـيرـ الـعـظـيمـ،ـ والـذـيـ كـانـ يـرـعـيـ أـمـوـالـهـ دونـ سـائـرـ العـبـيدـ الـذـينـ كـانـ يـمـتـلـكـهـمـ أـودـيـسيـوـسـ الـعـظـيمـ.

وـجـدـهـ جـالـسـاـ فـيـ رـهـةـ مـنـزـلـهـ الـأـمـامـيـةـ،ـ حـيـثـ قـدـ أـقـيمـ هـنـاكـ السـوـرـ مـرـتـفـعـاـ فـيـ مـكـانـ يـُـطـلـ علىـ مـنـظـرـ مـتـسـعـ،ـ سـاحـةـ عـظـيـمـ رـائـعـةـ،ـ تـُـحـيطـ بـهـ بـقـعـةـ خـلـاءـ.ـ وـكـانـ رـاعـيـ الخـنـازـيرـ قـدـ شـيـدـ هـذـاـ السـوـرـ بـنـفـسـهـ لـخـنـازـيرـ سـيـدـهـ،ـ الـذـيـ رـحـلـ دـوـنـ عـلـمـ سـيـدـتـهـ وـالـعـجـوزـ لـاـيـرـتـيـسـ،ـ فـيـنـاهـ بـالـحـجـارـةـ الـضـخـمـةـ وـغـطـاءـ مـنـ فـوـقـ بـالـأـشـوـاـكـ.ـ وـبـطـولـهـ كـلـهـ،ـ مـنـ الـخـارـجـ،ـ دـفـعـ أـوـتـادـاـ،ـ هـنـاكـ وـهـنـاكـ،ـ أـوـتـادـاـ ضـخـمـةـ،ـ مـتـرـاـصـةـ أـحـدـهـاـ بـجـانـبـ الـأـخـرـ،ـ صـنـعـهـاـ بـأـنـ شـقـ شـجـرـةـ بـلـوـطـ حـتـىـ قـلـبـهـ الـأـسـوـدـ،ـ وـشـيـدـ خـلـفـ السـوـرـ اـثـنـيـ عـشـرـةـ حـظـيرـةـ،ـ كـلـ مـنـهـاـ بـجـانـبـ الـأـخـرـ،ـ كـفـرـاـشـ لـلـخـنـازـيرـ،ـ وـقـدـ حـجـزـ فـيـ كـلـ حـظـيرـةـ خـمـسـيـنـ خـنـزـيرـةـ تـتـمـرـغـ عـلـىـ أـرـضـهـاـ،ـ أـنـثـيـ لـلـنـسـلـ،ـ أـمـاـ ذـكـورـ الـخـنـازـيرـ فـكـانـتـ تـنـامـ خـارـجـ الـحـظـائـرـ.ـ وـكـانـتـ هـذـهـ أـقـلـ عـدـدـاـ مـنـ إـلـنـاثـ بـكـثـيرـ؛ـ إـذـ كـانـ الـمـغـازـلـوـنـ شـبـيهـوـ الـأـلـهـ يـُـلـمـونـ عـلـيـهـاـ،ـ فـقـلـلـوـاـ مـنـ عـدـدـهـاـ؛ـ لـأـنـ رـاعـيـ الخـنـازـيرـ كـانـ يـُـقـدـمـ دـائـمـاـ أـحـسـنـ جـمـيـعـ الـخـنـازـيرـ الـمـسـمـنـةـ،ـ الـتـيـ كـانـتـ تـرـبـوـ عـلـىـ الـثـلـاثـمـائـةـ وـالـسـتـينـ.ـ وـكـانـتـ تـنـامـ

<sup>١</sup> ويترجمها البعض: «بشق اللحاء الأسود».

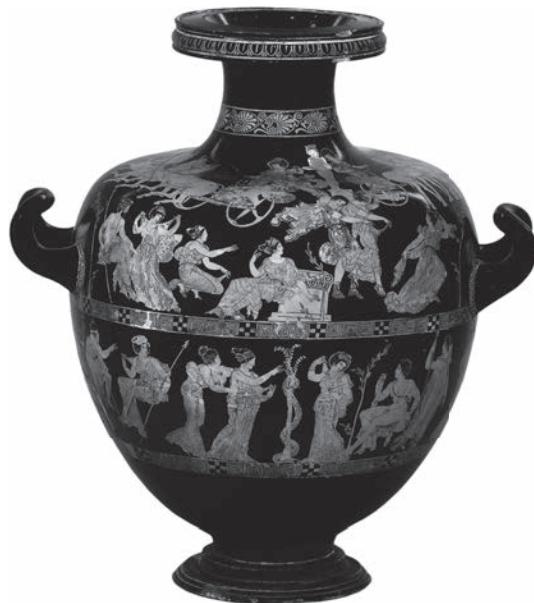
بجانب هذه باستمرار، أربعة كلاب متوجهة كالحيوانات الضاربة، كان قد ربّاها راعي الخنازير، قائد البشر. أما هو نفسه فكان يلبس حول قدميه حذاءً طويلاً، يصنعه بقطع جلد ثورٍ جميل اللون، بينما يرحل الآخرون ثلاثة؛ واحدٌ هنا، والآخر هناك، والثالث مع قطعان الخنازير. أما الرابع فيرسله إلى المدينة يسوق خنزيرًا ذكراً بالقوه، إلى المغازلين الوقحين، ليذبحوه، ويملئوا بطونهم باللحم.



وبينما أوديسيوس يسير إذ أبصرته الكلاب النابحة فجأة، فهجمت عليه ... وأسقط أوديسيوس العُكَاز من يده.

## راعي الخنازير يدفع عن أوديسيوس الكلاب النابحة

وبينما أوديسيوس يسير إذ أبصرته الكلاب النابحة فجأة، فهجمت عليه وهي تنبج نباجاً عالياً، غير أن أوديسيوس جلس بدهائه وأسقط العكاز من يده. وعندئذٍ حتى في مزرعته، كان عليه أن يقاسي جرحاً بالغاً، ولكن راعي الخنازير جرى خلفها بسرعة، وهرع خلال الباب، فسقط الجلد من يده. وصاحت في الكلاب عالياً، وطردتها بعيداً بسيلٍ من الأحجار، وحاطب سيده بقوله:



«أيها العجوز لقد كادت الكلاب، حقاً، أن تمزقك إرباً على حين غرة، وعندئذٍ كنت تتحي على باللائمة. نعم، وكانت الآلهة تبتليني بأحزان وهموم أخرى. إنني لأحزن وأبكي من أجل سيدٍ شبيه بالإلهة، طول إقامتي هنا، أرعى خنازيره السمينة ليأكلها رجال آخرون، بينما ربما كان هو في حاجة إلى الطعام وهو يطوفُ خلال أرض ومدينة قوم غريبي اللسان،

لو كان حُقاً على قيد الحياة ويرى ضوء الشمس. هيا معي، دَعْنا نذهب إلى الكوخ، أيها العجوز، حتى إذا ما ملأْتَ بطنك بالطعام والخمر، أخبرتني من أين قدِمتَ وجميع الأموال التي قاسيتها.»

### راعي الخنازير يستقبل أوديسيوس في كوخه

ما إن قال راعي الخنازير الطيب هذا الكلام حتى قاده إلى الكوخ، وأدخله، وأجلسه، وفرش له أغصاناً غليظة كانت مقطوعة، وبسط فوقها جلد ماعز بري أشعث، كبيرٌ كَثُرٌ الشعر، كان من عادته أن ينام فوقه، فسُرَّ أوديسيوس من الترحيب بهذه الطريقة، وتَكَلَّمَ قائلاً:

«أيها الغريب، إني لأطلب من زوس والآلهة الآخرين الخالدين أن يمنحوك أقصى ما تشتهي؛ حيث إنك قد رَحِبْتَ بي بقلْبِ رضي.»

فأجابه يومايوس Eumaeus راعي الخنازير بقوله: «أيها الغريب، لا يحق لي أن أستهين بغرير، مهما كان، حتى ولو كان شخصاً أكثر منك وضاعة؛ لأن جميع الغرباء والسائلين من زوس، والهدية، مهما صغرت، يُرْحَب بها أمثالنا؛ حيث إنها نصيب العبيد، الذين يعيشون في خوفِ دائم متى تَسْلَطَ عليهم سادُتهم أشباه الملوك — سادُة صغار كساذتنا — لأن الآلهة، بحقِّ قد منعت عودة ذلك الذي كان يُحبُّني ويعطف علىَ العطف كله، ويهبُّني أنا نفسي ممتلكاتٍ، منزلاً وقطعة أرض، وزوجة، تَقدَّمُ إليها كثيُّرٌ من المغازلين، ومثل تلك الأشياء التي يمنحها السيد الرحيم عبده الذي يتعب كثيراً من أجله، والذي يُكَلِّلُ الرب سائر أعماله بالفلاح، كما ينجح هذا العمل، الذي أُعيره كل اهتمامي؛ وعلى ذلك ليت سيدني قد طعن هنا في السن، في منزله، وعندئذٍ كان يكافئني بسخاء، ولكنه هلاك — كما أظن أن جميع أقارب هيلينا Helen قد هَلَكُوا في خرابٍ شامل؛ إذ إنها أرْخَتْ رُكْبَ محاربين عديدين. ولقد رحل هو أياضًا إلى إليوس لكسب التعويض لأجاممنون، ليقاتل الطرواديين في إليوس الشهيرة بجيادها.»

٢ أجمل نساء عصرها، وابنة زوس ولیدا، وزوجة مينيلاوس ملك لاكيديامون الذي أُنجبَت منه هيرميوني. وأحبتها باريس الطروادي الذي خطفها بحراً إلى طروادة، فَتَشَبَّت بسببها الحرب الطروادية المشهورة.

## يومايوس يُكرم أوديسيوس ويُحذّه عن سيده الغائب

ما إن قال هذا حتى شدَّ مدرعته بحزامه في سرعة، وذهب إلى الحظائر، حيث كانت قطعان الخنازير محبوسة. وبعد أن انتقى منها خنزيرين، أحضرهما إلى الداخل ونحرهما كليهما، وهو يُغْنِي، وقطع أجزاءهما، ووضعها في السفُود وبعد أن نضج الشواء، حمله كله ووضعه أمام أوديسيوس ساخناً فوق السفافيد، ونشر فوقها مطحون الشعير الأبيض. وبعد ذلك خلط في طاس من خشب العليق خمراً في حلاوة العسل، وجلس هو نفسه قبالة أوديسيوس، يأمره بتناول الطعام، قائلاً:

«تفَضَّل الآن، أيها الغريب بتناول هذا الطعام الذي يُقدّمه الخدم، لحم الخنازير؛ إذ إن الخنازير المسمنَة يأكلها المغازلون الذي لا يَتَّقُون غضب الآلهة في قرارة نفوسهم، وليس في قلوبهم أي عطف. حَقًا إن الآلهة المباركة لا تُحبُّ أعمال الرعونة، بل تُبْجل العدالة وأعمال البشر العادلة. أما الأعداء القساة الذين يطئون بأقدامهم أرض غيرهم، ويعطِّلهم زوس الغنيمة، فيملئون سُفنهم ويرحلون إلى أوطانهم — ولكن على قلوب هؤلاء ينزل خوفٌ عظيم من غضب الآلهة — ولكن هؤلاء الرجال هنا، يُشاهدونك ويعرفون شيئاً ما، وقد سمعوا صوت بعض الآلهة فيما يختص بميّة سيدي المؤسفة، حيث إنهم لا يغازلون بأيّ حق، ولن يعودوا إلى بيوتهم بل يُطْلِقون لأنفسهم الحبل على الغارب فُيُبَدِّدون أموالنا بطريقَةٍ وقحة، فلا يبقى هناك أي فائز. وكل يومٍ وليلةٍ يأتيان من لدن زوس، لا يُقدّمون فيهما ذبيحةً واحدة ولا اثنين فقط، بل يأخذون الخمر، ويُسْرِفون في شربها بصفةٍ وقحة. لقد كانت أموال سيدي بحقٍّ تفوق الحصر، وما كان لديه لم يكن لدى سيِّدٍ آخر، لا فوق اليابسة المظلمة، ولا في إيثاكا نفسها، كلا، فلم يملك، حتى عشرون رجلًا معاً ثروةً عظيمة كتلك. وللعجب، أتنى سوف أروي لك القصة، فكان له اثنا عشر قطيعًا من الأبقار فوق اليابسة، وقطعانٌ كثيرة من الأغنام، وقطعانٌ عديدة من الخنازير، وكثيرٌ من قطعان الماعز بقدر ما يستطيع الرعاعة أن يرَعوا، سواء أكانوا من الأجانب أو من أبناء شعبه. وهنا أيضًا ترعى قطعانٌ هائلة من الماعز فوق حدود الجزيرة، تعدادها أحد عشر قطيعًا، يقوم بحراستها رجالٌ ثقات. وكل رجل من هؤلاء يأخذ باستمرار، يومًا بعد يوم عنزًا من قطيعه إلى المغازلين، خير ما عنده من المعiz المسمَنة. أما أنا، فأحرس وأرعى هذه الخنازير، وأنتقى بعنابة خير الخنازير الذكور فأُرسِلُه إلىهم.»

## أوديسيوس يسأل الراعي مزيداً من المعلومات عن سيده

هكذا قال، بينما كان أوديسيوس يلتهم اللحم في شغف<sup>٣</sup> ويشرب الخمر، بنهم وهو صامت، يُدبر الشر للمغازلين،<sup>٤</sup> فلما فرغ من الطعام، وملأ بطنه،<sup>٥</sup> أخذ راعي الخنازير الكأس التي كان من عادته أن يشرب فيها، وملأها خمراً، وقدمها لأوديسيوس مملوقة بالخمر حتى نهايتها، فتناولها، وسر في قلبه، وتكلم، يخاطبه بعباراتٍ مجنة،<sup>٦</sup> قائلاً:

«أي صديقي، من ذا الذي اشتراك بأمواله، فهو رجل في غاية الثراء والقوه، كما تصف؟ قلت إنه مات ليكسب التعويض لأجامنون، أخبرني باسمه، فربما عرفته، إذا كان هو بذلك الوصف؛ لأنه في اعتقادي، أن زوس والآلهة الخالدين الآخرين يعلمون ما إذا كنت قد رأيته، وأستطيع أن أُخبرك عنه شيئاً؛ لأنني تجولت في بلاد بعيدة.»

## يومايوس يشيد بسيده وبشوقه إلى رؤيته

فردٌ عليه بعد ذلك راعي الخنازير، قائد البشر، فقال: «أيها العجوز، ما من جائِل قد جاء بنها عنه واستطاع أن يجعل زوجته وابنه العزيز يُصدقاً، كلا، إن أخبارهم كلامٌ عابرٌ كيما اتفق، فإذا ما احتاج أبناء السبيل إلى من يدعوه إلى داره، ويكرمه، جلسوا وليس في نيتهم أن يقولوا الحقيقة. وكل من أتى في رحلاته إلى بلاد إيثاكا، ذهب إلى سيدتي وقصَّ على مسامعها حكايةٌ خدعاً. وإذا تستقبله بكرم، تقدِّم له وليمة وتسأله عن كل شيء، فتذرف العبرات من مقلتيها، وهي تبكي كما هو سبيل المرأة، عندما يموت زوجها بعيداً، وما أسرعك أنت أيضاً، أيها العجوز، أن تحيك قصة، لو أن أحداً أعطاك عباءة وجلبأً ترتديها! أما عن سيدتي، فمن المحتمل أن تكون الكلاب والطيور السريعة قد مزقت اللحم من عظامه وفارقتْ روحه، أو أن الأسماك قد أكلته في البحر، وعظامه ملقأة على أحد الشواطئ، يُعطِّلها الرمل العميق. هكذا بادَ هو هناك، وقدر الحزن لأهله في الأيام المقلبة، للجميع، بل لي أنا بصفةٍ خاصة؛ لأنني لن أجد قط سيداً بتلك الطيبة، مهما بُعد المكان

<sup>٣</sup> وفي كل مكانٍ آخر تبدو هذه الكلمة بمعنى: «برقة»، ولكن تركيب الكلمة اليوناني غير مؤكّد.

<sup>٤</sup> الترجمة الحرافية: يبذر حبوب الشر للمغازلين.

<sup>٥</sup> حرفيًّا: بالطعام.

<sup>٦</sup> أي حماسية.

الذى أذهب إليه، ولا حتى إذا عدت ثانية إلى بيت أبي وأمي، حيث ولدت منذ البدء، وقاما أنفسهما بتنشئتي. ومع ذلك فلن أبكهما هكذا كثيراً منذ الآن، رغم اشتياقى إلى أن تراهما عيناي وإلى أن أكون في وطني، كلا، فلا يتملكني الشوق إلا إلى أوديسىوس، الراحل. إننى أذكر اسمه بالاحترام، أيها الغريب، بالرغم من غيابه؛ لأنه كان يحبنى جمماً، وكان يهتم بي في قلبه غاية الاهتمام، وإننى لأدعوه مولاي المحبوب، رغم عدم وجوده هنا.»

### أوديسىوس يُقْسِمُ للراعي بأن سيده سيعود

عندئذ أجاية أوديسىوس العظيم الكثير التحمل، قائلاً: «أيها الصديق، ما دمت تُنكر نكراناً باتاً، وتعلن أن أوديسىوس لن يعود ثانية، وقلبك دائماً عديم الإيمان، إذن فسأخبرك ليس مجرد إخبارٍ كيما اتفق ولكن بالقسم، أن أوديسىوس سيعود. ودعني أُنل جائزةً على أنني قد حملت لك نباً مفرحاً؛ فبمجرد مجئه، ووصوله إلى البيت، عليك أن تلبسني عباءةً وجلباباً، من الملابس الأنيقة، ولكنني لن أقبل شيئاً قبل ذلك، مهما كانت حاجتي شديدة؛ لأنني أُمِّقت ذلك الرجل، الذي، وقد استسلم لضغط الفقر، فأخذ يُقص حكايات خداعة، بقدر مقتني لأبواب هاديس. والآن، كن شاهدي يا زوس، يا من تعلو على جميع الآلهة، وأنت أيتها المائدةُ المضيافة، ويا مدفأة أوديسىوس النبيل التي قد جئت إليها، بأنه ستتحقق كل هذه الأشياء التي سأخبرك بها. في خلال نفس هذا اليوم،<sup>7</sup> سيأتي أوديسىوس إلى هنا، بمجرد أن يأْفَل القمر القديم ويظهر القمر الجديد. إنه سيعود وينتقم من جميع أولئك الذين هنا لا يُبِّجلون زوجته ولا ابنه المجيد.»

### يومايوس لا يُصدِّقُ كلام أوديسىوس

فردَّت عليه إذن، يا يومايوس راعي الخنازير فقلت: «أيها العجوز، يبدو أنني لن أمنحك هذه الجائزة على الإتيان بالبشرى المفرحة، كما أن أوديسىوس لن يعود قط إلى بيته، كلا يا سيدى اشرب في سلام، ودعنا نفكّر في أشياء أخرى، ولا تُعد إلى ذهني هذه الذكرى؛

<sup>7</sup> رأينا أن نأخذ برأي بعض الدارسين الذين ترجموا هذه الكلمة اليونانية: «بيوم» بدلاً من «عام»، وعلى رأسهم العلامة مونرو.

إذ يَتَمَلَّكُ الحزن قلبي الكائن في صدري كلما ذكر أحَدٌ شِيئاً عن سيدِي الطيب. أما قسمك، فلنتركه كما هو، ومع ذلك فإِنِّي أَتَمَنِي أَنْ يَجِيءَ أُودِيسِيُوسُ، كما أَشَتَّهِي أَنَا وَبِيَنِيلُوبِي، والعجوز لايريتِس، وتيليماخوس الشبيه بِالْإِلَهِ. وَهَا أَنَا ذَا الْآنَ لَا أَكُفُّ عنِ الحزن، مِنْ أَجْلِ تِيلِيماخوس الَّذِي أَنْجَبَهُ أُودِيسِيُوسُ؛ فَعِنْدَمَا جَعَلَتِهِ الْأَلَهَةُ بِنْمُوٍ فَارِعُ الطُّولِ أَشَبَهَ بِعُودِ الزَّانِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْبَشَرِ، بِأَيَّةِ حَالٍ، أَقْلَّ مِنْ أَبِيهِ الْعَزِيزِ، رَائِعِ الْمَنْظَرِ وَالْقَوْمِ، وَلَكِنَّ أَحَدُ الْخَالِدِينَ شَوَّهَ رُوحَهُ الْحَكِيمَةَ فِي دَاخِلِهِ، أَوْ رَبِّمَا كَانَ شَخْصًا مَا، فَذَهَبَ إِلَى بُولُوسِ الْمَقْدَسَةِ يَسْتَقِي الأَخْبَارَ عَنِ الْوَالِدِ، فَإِنَّ الْمَخَالِلِ الْأَمْجَادَ لِيَكْمَنُوا لَهُ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ رَحْلَتِهِ إِلَى الْوَطَنِ، كَيْ يَهْلِكَ نَسْلُ أَرْكَائِيسِيُوسُ Arceisius الشَّبِيبِ بِالْإِلَهِ وَبِيَدِهِ مِنْ إِيَّاكَ، فَلَا يَبْقَى لَهُ اسْمٌ. بِيَدِ أَنَا وَلَا رِيبٌ سَنْبُقِيهِ؛ فَقَدْ يُؤْسَرُ، أَوْ قَدْ يَهُرِبُ، وَعِنْدَئِذٍ يَمْدُدُ أَبِنَ كَرُونِوسِ يَدَهُ لِيَحْمِيَهُ، وَلَكِنَّ، هِيَا الْآنُ، أَيْهَا الرَّجُلِ الْعَجُوزِ، أَخْبَرْنِي عَنْ هُمْوَكِ، وَأَعْلَنْهَا لِي فِي صِرَاطِهِ، كَيْ أَكُونَ عَلَى عِلْمٍ تَامٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، مِنْ أَنْتَ بَيْنَ الْبَشَرِ، وَمِنْ أَيْنَ قَيَّمْتَ؟ أَيْنَ مَدِينَتَكِ، وَأَيْنَ وَالْدَّاكِ؟ عَلَى أَيِّ نَوْعٍ مِنِ السَّفَنِ أَتَيْتَ، وَكَيْفَ جَاءَ بِكِ الْبَحَارَةُ إِلَى إِيَّاكَ؟ وَمَا جَنْسِيَتِهِمُ الَّتِي أَخْبَرُوكُ بِهَا؟ لَأَنَّهُ، حَسْبَ اعْتِقَادِيِّ، لَمْ تَأْتِ، بِأَيَّةِ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، مَا شِيَّا عَلَى قَدَمَيِّكِ إِلَى هَذَا.»

### أُودِيسِيُوسُ يَصَارِحُ الرَّاعِي بِكُلِّ شَيْءٍ عَنِ نَفْسِهِ

عِنْدَئِذٍ أَجَابَهُ أُودِيسِيُوسُ، الْكَثِيرُ الْحَيْلِ، بِقَوْلِهِ: «إِذْنْ فَلَأَرْوَيْنِ لَكَ حَقًّا كُلَّ شَيْءٍ فِي صِرَاطِهِ. لِيَتَنَا الْآنَ نَحْنُ الْأَثَنَيْنِ نَتَنَاهُلُ الطَّعَامَ وَالْخَمْرَ الْعَذْبَةَ فِي الْحَالِ، كَيْ نُؤْلِمَ هَنَا فِي كَوْخَكَ فِي هَدْوَهُ بَيْنَمَا يَنْصَرِفُ الْأَخْرُونُ هَنَا وَهُنْتَكَ إِلَى أَعْمَالِهِ؛ فَعِنْدَئِذٍ يَكُونُ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكِ حَكَائِيَّتِي وَأَسْتَمِرُ فِي سَرْدَهَا سَنَةً كَامِلَةً، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَنْ أَنْتَهِي مِنْ قَصَّةِ الْمَحْنِ الَّتِي كَابَدَتْهَا رُوحِي؛ جَمِيعُ الْمَهَامِ الَّتِي تَحْمَلُّهَا بِإِرَادَةِ الْأَلَهِ.»

لَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ كَرِيَتِ الْفَسِيَحَةِ، وَإِنِّي بِالنِّسْبَةِ، ابْنُ رَجُلٍ ثَرِيٍّ. وَقَدْ وُلِدَ وَنَشَأَ لَهُ أَبْنَاءُ كَثِيرُونَ غَيْرِيِّ فِي سَاحَاتِهِ، أَبْنَاءُ حَقِيقِيَّوْنَ مِنْ زَوْجَةِ شَرِيعَةِ، وَلَكِنَّ الْأُمُّ الَّتِي أَنْجَبَتِنِي اشْتُرِيتُ، لَقَدْ كَانَتْ خَلِيلَةً. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ كَاسْتُورَ Castor، ابْنَ هُولَاكُوسَ Hylax الَّذِي أَعْلَنْتُ أَنَّنِي أَنْحَدَرَ مِنْهُ، قَدْ بَجَّانِي تَمَامًا كَأَبْنَائِهِ الْحَقِيقِيِّ الْمَوْلَدِ. وَكَانَ هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُبْجَلًا كَإِلَهٍ وَسَطِ الْكَرِيَّيَّيْنِ فِي الْبَلَادِ مِنْ أَجْلِ ضَيْعَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَثِرَوَتِهِ، وَأَبْنَائِهِ الْأَمْجَادِ. غَيْرُ أَنْ مَقَادِيرَ الْمَوْتِ حَمَلَتْهُ بَعِيدًا إِلَى بَيْتِ هَادِيَسِ، وَاقْتَسَمَ أَبْنَاؤُهُ الْمُتَغَطِّرُوْنَ ثَرَوَتَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، مَقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا. أَمَا أَنَا فَأَعْطَوْنِي حَصَّةً ضَئِيلَةً وَخُصُّونِي بِمَسْكِنٍ، فَاتَّخَذْتُ لِي

زوجة من بيت ثري واسع الممتلكات؛ إذ حظيت بها بشجاعتي؛ لأنني لم أكن آنئذ ضعيفاً، ولا رعديداً في القتال. والآن قد غادرتني كل تلك القوة، ومع ذلك فالرغم من هذا، تستطيع إذا ما نظرت إلى حطامي الباقى، أن تحكم، حسب اعتقادى، بما كان لي من قوة؛ فالمصائب تحيط بي، حقاً، بأقصى درجة. غير أن أريض وأثينا، منحاني الشجاعة وقتنى والقوة التي تحيط صفوف الرجال، وكلما نصبت كميناً لمن اختاره من خيرة المحاربين، باذراً لعدوي بذور الشر، ما كانت روحى الشامخة ترહب الردى، بل كنت البدائى بالانقضاض على العدو، وقتلته برمحي، وهو يطلق العنان لقدمه فراراً من أمامي.<sup>٨</sup> هكذا كنت أنا في الحرب، أما العمل في الحقل فلم يكن حبيباً إلى نفسي إطلاقاً، ولا الاهتمام بشئون البيت، التي تنشئ خير الأطفال، بل كنت أميل دائماً إلى السفن ذات المجاذيف، شغوفاً بالحروب، والرماح المصقوله، والسهام، أدوات الجد، التي كان من عادة غيري أن يرتعد منها، ولكن تلك الأشياء، كما أعتقد، كانت عزيزة عندي؛ إذ وضعها رب في قلبي؛ لأن مختلف الرجال يجدون متعة في شتى الأعمال؛ فقبل أن تطا أقدام أبناء الآخرين أرض طروادة، كنت تسع مراتٍ قد اضطاعت بقيادة محاربين وسفن سريعة الإبحار ضد أقوام أجانب، وسقطت في يدي الغنائم الهائلة في كل مرة، فكنت أختار منها ما يروقني، كما كنت أتال كثيراً منها بالاقتراع. بهذه الطريقة أثري منزلي بسرعة، وصرت فيما بعد رجلاً يخشى بأسهه ومُبجلاً وسط الكريبيين.

بيد أنه عندما دبر زوس، الذي يحمل صوته نائياً تلك الرحلة المقوته التي أرخت رُكُب كثيير من المحاربين؛ عندئذٍ أمروني، أنا وإيدومينوس المجيد بأن نتول قيادة السفن إلى إليوس، ولم يكن هناك سبيل لأن نرفض؛ إذ أخذ صوت الشعب يضغط علينا بشدة، فحاربنا هناك، نحن أبناء الآخرين، لمدة تسع سنوات، وفي السنة العاشرة سلَبنا مدينة بريام، ورحلنا في السفن إلى وطننا، وبدد أحد الآلهة شمل الآخرين. أما أنا الرجل الشقي، فقد دبر لي الشر، زوس، المستشار. بقيت في سرور مع أولادي، لمدة شهر واحد، ومع زوجتي الشرعية، وسط ثروتى، غير أن روحى أمرتني بعد ذلك بالسفر إلى مصر مع رفقاء الشبيهي بالآلهة، بعد أن زوَّدت سفني جيداً بالمعدات، تسع سفنٍ أعددتها، وتجمَّع الجيش في سرعة. راح زملائي الأولياء، بعد ذلك، يُولِّمون لمدة ستة أيام، وأعطيتهم كثيراً

<sup>٨</sup> أو: «كل من كان أقل مني في سرعة القدمين».

من الذبائح، كي يُقدموها للآلهة، ويُعدُّوا وليمة لأنفسهم، وفي اليوم السابع ركينا السفن وأقلعنا من كريت الفسيحة، بينما تهب الريح الشمالية رقيقةً ومتعدلة، وأخذنا نشق طريقنا في سرعة وسهولة كأننا مع التيار. ولم تُصب أية سفينة من سفني بضررٍ ما، بل كنا نجلس في مُنحني من الشر والمرض، وطفقت الريح ومدير الدفة يقودان السفن.



وصلنا في اليوم الخامس إلى أيجوبتوس Aegyptus الهدئ الجريان، فأرسى سُفني المقببة في نهر أيجوبتوس؛ عندئذٍ أمرت زملائي المخلصين بالبقاء هناك بجوار السفن، وبحراستها، وأرسلت العيون إلى أماكن الاستطلاع. غير أن رفقاءي، وقد خلعوا عذارهم للشهوة، مدفوعين بما لديهم من قوة، راحوا من فورهم يُخربون حقول رجال مصر الجميلة، وخطفوا النساء وصغار الأطفال، وقتلوا الرجال، فبلغ الصرخُ بسرعةِ المدينة، فلما سمع أهلها الصياح، هُرِع الناس مع الفجر، وامتلأ السهل كله بالأشا، وبالعربات وببريق البرونز، ولكن زوس، الذي يقذف بالصاعقة، ألقى ذعراً رهيباً على رفقاءي، ولم تُعد لدى أيٍ واحدٍ منهم الشجاعة للثبات ومواجهة العدو؛ إذ أحاط بنا الأدئ من كل ناحية؛

وعلى ذلك قتلوا منا بالبرونز الحاد نفراً كثيراً، وأسروا آخرين إلى مدينتهم، ليُسخرونهم بالقوه في أعمالهم، أما أنا فقد ألهمني زوس هذه الفكرة – وليتني مت ولقيتْ حتفي هناك في مصر؛ إذ كان الحزن يُرحب بي وقتئذ، – فأسرعتُ بخلع خوذتي الجيدة الصنع عن رأسِي، وألقيتُ بالترس عن كتفي، وتركْتُ الرمح يسقط من يدي، وانطلقْتُ نحو جياد عربة الملك، وعندئذٍ أمسكتُ ركبتيه، وقلبتُها فأعْتَقْنِي وأشْفَقْتُ علىَّ، فأركبَنِي في عربته وأخذني، وأنا أبكي إلى منزله. والحق أنَّ كثيرين منهم هجموا علىَّ برماحهم الدردارية، قاصدين قتلي؛ إذ كانوا يتميّزون حنقاً، ولكنه أبعدهم، محترماً غضب زوس، ربُّ الغرباء، الذي يحترم الأعمال الشريرة أكثر من جميع الآخرين.

بقيتُ هناك سبع سنوات، جمعتُ في خاللها ثروةً طائلةً من المصريين؛ إذ قدَّم لي الجميع الهدايا. بيد أنه عندما وافت السنة الثانية الدوّارة، أقبل رجلٌ من فينيقيا<sup>٩</sup>، علىٍ شيءٍ كثير من البراعة في الخداع، خبيث وطعام، فحاك لي الشر العظيم وسط الناس. لقد بذلني في دهائه، وصَحَّبني معه حتى بلغنا فينيقيا، حيث يُوجَد بيته وممتلكاته، ومكثت معه في هذا المكان سنةً كاملة. وما إن اكتملَ الشهور والأيام أخيراً، بمرور العام، وأقبلت الفصول، حتى وضَعَنِي على ظهر سفينةٍ عابرة للبحار متوجهة نحو ليبيا<sup>١٠</sup>؛ بعد أن ادعى كاذباً أنني سأحمل له شحنة إلى هناك، ولكنه كان يقصد أن يبيعني بشمن مرتفع؛ وعلى ذلك ركبْتُ معه السفينة، وأنا أشكُّ في نيتها وخداعها، ولكن لم تكن لي حيلة، فأخذت السفينة تمُّرْ عُباب اليم أمام الريح الشمالية التي كانت تهب علىَّ هادئة، متذكرة طريقها وسط البحر نحو ريح كريت، ودَبَّرْ زوس الهاك للرجال. وعندما غادرنا كريت، وابتعدنا عن اليابسة فلم نُدْ نراها، بل ما كنا نبصر غير السماء والبحر، أرسل ابن كرونوس غمامَةً سوداء فوق السفينة الواسعة، فشمل الظلام البحر أسفلها، وعندئذٍ أرعد زوس، وقذف صاعقته على السفينة، فترنَّحتْ من حيزومها إلى كوثلها، وقد أصابتها صاعقة زوس، فامتلأت بدخان الكبريت، ووقع جميع البحارة خارج السفينة، فحملتهم الأمواج حول السفينة السوداء، لأنهم غربان، وسلبهم الرب عودتهم. أما أنا فقد تحنَّ علىَّ زوس عندما فاض قلبي بالحنن،

<sup>٩</sup> قطاعٌ جبلي بطول شاطئ سوريا ما بين البحر الأبيض المتوسط ولبنان. من المحتمل أن يكون أصل الاسم إغريقياً بمعنى «أحمر كالدم»، وفي هذا إشارة إلى الأرجوان الذي كان الفينيقيون يُتاجرون فيه.

<sup>١٠</sup> إنها الاسم الإغريقي لقارنة أفريقيا.

فوضع في يدي صاري السفينة الدكناه المقدمة المتموج<sup>١١</sup> كي أستطيع النجاة مره أخرى من الهلاك، فتشبّثت به، وحملتني الرياح العاتية. وهكذا بقيت مهملةً تسعه أيام حتى كانت الليلة العاشرة الظلماء حملتني اللجة المتدرجة إلى بلاد الثيسبروتيس، Thesprotians، فأخذني السيد فايدون Pheidon ملك الثيسبروتيس، ولم يطلب مني فدية؛ إذ وجّهني ابنه العزيز، وقد برح بي القر والتّعب، فرفعنّي من يدي، وقدّاني حتى بلغت قصر أبيه، وألبسني معطفاً وعباءةً يسّتران جسدي<sup>١٢</sup>.

هناك سمعت عن أوديسيوس؛ لأن الملك قال إنه أكرم وفاته، ورحب به وهو في طريقه إلى وطنه، وأراني جميع الكنوز التي جمعها أوديسيوس، من البرونز والذهب والحديد، مصنوعة بمهارة، والحق يقال إنها لتكفي إطعام أطفاله حتى الجيل العاشر من بعده؛ فلقد كانت الثروة الموضوعة في ساحات الملك محفوظة له، عظيمة بالغة، ولكنه قال، إن أوديسيوس قد رحل إلى دودونا Dodona<sup>١٣</sup> ليعرف مشيئة زوس من شجرة بلوط الرب الشامخة، وكيف يستطيع العودة إلى أرض إيثاكا الخصبة بعد مثل ذلك الغياب الطويل، سواء عرف ذلك جهراً أو سراً. وزيادةً على ذلك فقد أقسم في حضوري، وهو يصب السكائب في بيته، أن السفينة قد أُنزلت إلى الماء واستعد الرجال الذين كان عليهم أن يحملوه إلى وطنه العزيز غير أنه أرسلني أنا أولًا؛ إذ تصادف أن كانت إحدى سفن الثيسبروتيس راحلة إلى دوليخيوم Dulichium، محمّلةً قمحاً، فأمرهم أن ينقلونني إلى هناك في عنايةٍ كريمة، إلى الملك أكاستوس Acastus<sup>١٤</sup>، بيد أن رأياً شريراً لقي الحظوة في قلوبهم، لكي ينالني أنا أيضاً شقاءً شامل؛ فما إن ابتعدت السفينة ماخراً البحار عن اليابسة، حتى سعوا إلى أن

<sup>١١</sup> الترجمة الحرافية «الثائر»، ولكن هناك من يترجمها «الضخم» أو «البالغ الطول».

<sup>١٢</sup> الترجمة الحرافية: «ككساء».

<sup>١٣</sup> كان زوس وهو من أقدم كهنة بلاد الإغريق. كان يعطي إجاباته بواسطة حفيظ أشجار البلوط والزان الصادر عن هبوب الريح. وكانت تعلق أوانٍ نحاسية فوق الأشجار حتى يُصبح الصوت قوياً عندما تصطدم الواحدة بالأخرى.

<sup>١٤</sup> ابن الملك بيلياس، ملك إيلوكوس. لعب دوراً خطيراً في حملة الأرجو وفي الصيد الكالدوني، وقد اتهمته زوجته عند أكاستوس بسوء السلوك وذلك لحبها لبيليوس ونجره لها، فجرد أكاستوس بيليوس من سيفه أثناء الصيد بينما كان يغط في نوم عميق حتى لا يحرك ساكناً أمام القنطرة، ولكن القنطرة خiron أنقذ حياته.

يدفعوني من فورهم إلى يوم العبودية، فجرّدوني من ملابسي، معطفي وعباءتي، وألبسوني ملابس أخرى، معطفاً وعباءة حقيرين مهلهلين، هي هذه الأسمال البالية التي تراها أمام عينيك، ولما أقبل المساء بلغوا حقول إيثاكا المفلوحة الباردة للناظرين.

فقيدوني بعد ذلك بحبل مقتول، وربطوني في السفينة ذات المقاعد، ونزلوا هم أنفسهم إلى الشاطئ، وأسرعوا يتناولون عشاءهم بجوار شاطئ البحر. أما أنا فقد حلّت الآلهة أنفسها قيودي في سهولةٍ تامة، وبعد أن لففت العباءة المهللة حول رأسي، انزلقتُ أسفل الدفة<sup>١٥</sup> للمساء، متوجهًا بصدري نحو البحر، ثم أخذتُ أضرُّ الماء بكلتا يدي، وسبحت، وبغاية السرعة كنتُ خارج اليم، بعيداً عنهم. بعد ذلك صَعِدتُ إلى مكانٍ دغل من الأشجار الكثيفة للأوراق، حيث بقيت مختبئاً.

فأخذوا يبحثون عنِي هنا وهناك وهم يُرسلون الصيحات عالية، ولكن لِمَا بدا لهم عدم جدوى التوغل في البحث، عادوا أدراجهم إلى ظهر سفينتهم الواسعة. وكانت الآلهة أنفسها قد أخفّتني في سهولة، وأحضرتني بقيادتها إلى صناعة رجلٍ حكيم؛ لأنه كان لا يزال من حظي أن أعيش.»

## يومايوس لا يُصدق رواية أوديسيوس

فأجبته إذن يا راعي الخنازير يومايوس، وقلت: «يا لك من رجلٍ غريبٍ تعيس! لقد أثّرت حّقاً في قلبي، تأثّرًا عميقاً، بسردك كل قصة متّاعبك وتجوالاتك، ولكنك في هذا، حسب اعتقادي، لم تذكر الحقيقة، كما أنك لن تجعلني بها أصدق ما رویته عن أوديسيوس، لماذا تبقى أنت، يا من عانيت مثل هذه الأهوال، بدون قصد؟ كلا، فإنني من تلقاء نفسي أعرف جيداً ما يتعلّق بعودة سيدِي، إنه كان ممقوتاً أشد المقت لدى جميع الآلهة؛ ولذلك لم يقتلوه وسط الطرواديين، أو بين سواعد أصدقائه، عندما انتهى من معمان القتال؛ عندئذٍ كان سائر جيش الآخرين قد أقاموا له قبراً، وكان ينال ابنه كذلك بالغ المجد في الأيام المقبلة، ولكن الذي حدث أن أرواح العاصفة جرفته بعيداً، ولم تترك عنه أي خبر. وأنا من

<sup>١٥</sup> هذه الكلمة مشكوك في ترجمتها، فمونرو Monro يقترح المترجمة التي أخذنا بها هنا في حين يترجمها يوستاثيوس Eustathius وأنصاره «المجنف الموجة».

ناحيتي، أعيش هنا منعزلاً مع خنازيري، لا أذهب إلى المدينة، إلا إذا تصادف أن أمرتني بينيلوبى العاقلة بالتوجه إليها، عندما يصلها نبأ من أي مكان؛ عندئذٍ يجلس الناس حول مَنْ أتى بالأخبار، ويسألونه عن قرب، أولئك الذين يحزنون من أجل سيدهم، الذي رحل منذ مدةٍ طويلة، ومن يغبطون وهم يأكلون أمواله بدون كفارة، أما أنا فلا أهتم بالسؤال أو الاستفسار، منذ أن خدعني رجل إيتوليُّ بقصة، رجل كان قد قتل شخصاً آخر، وبعد أن هام على وجهه عَبَر الأرض الفسيحة جاء إلى منزلي، فأحسنتُ استقباله والترحيب به، قال إنه رأى أوديسوس وسط الكريتيين في قصر إيدومينيوس، يُرمم سفنه التي حطمَتها الأعاصير، وأخبرنا أن أوديسوس سيجيء إما صيفاً وإما في فصل الحصاد، يحمل معه كنزاً عظيماً مع رفقائه الشبيهِي الآلهة. كذلك أنت، أيها الرجل العجوز، يا من قاسيت كثيراً من الأحزان، فطالما أن أحد الآلهة قد أحضرك إلى، فلا تُحاول أن تكسب رضاه بالأكلانيب، ولا أن تتملّقني بأية حالٍ من الأحوال، فلن أُبدي احترامي لك أو العطف نحوك بسبب تلك المختلقات، وإنما خوفاً من أوديسوس، إله الغريب، وشفقةً بك.»

## أوديسوس والراعي يعقدان ميثاق اتفاق

عندئذٍ أجا به أوديسوس ذو الحيل العديدة، قائلاً: «حَقًا يَا لَكَ مِنْ رَجُلٍ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ بَطِيءٌ إِلِيمَانٌ! إِذْ إِنِّي، وَقَدْ أَقْسَمْتُ لَكَ هَذَا، لَمْ أُقْبِلْ عَلَيْكَ وَلَمْ أُحْرِكْ فِيكَ سَاكِنًا، وَلَكِنْ هُلْمٌ بَنَا إِلَآنَ، دَعْنَا نَعْدَدْ مِيثَاقًا فِيمَا بَيْنَنَا، وَلَسْوَفْ تَكُونُ الْآلَهَةُ الَّتِي تَحْتَلُّ أُولِيمْبُوسْ شَهِيدَةً عَلَى كَلَيْنَا مُسْتَقْبِلًا. إِذَا عَادَ سِيدِكَ إِلَى هَذَا الْمَنْزِلِ، أَنْ تُلْبِسْنِي مَعْطَفًا وَعَبَاءَةً، وَتُرْسِلْنِي فِي طَرِيقِي إِلَى دُولِيَخِيُومْ، حِيثُ يَطِيبُ لِي الْمَقَامُ. أَمَا إِذَا لَمْ يَأْتِ سِيدِكَ كَمَا أَقْوَلُ، فَأَطْلِقْ الْعَبِيدَ عَلَيَّ، وَاقْذِفْ بِي مِنْ فَوْقِ صَخْرَةِ ضَخْمَةٍ، حَتَّى أَكُونْ عَبْرَةً لَشَحَّادِ آخَرَ فَلَا يَلْجَأُ إِلَى الْخَادِعِ».»

فردٌ عليه راعي الخنازير العظيم، وقال: «لِيَكْنَ هَذَا، أَيْهَا الْغَرِيبُ، وَعَنْدَئِذٍ حَقًّا أَسْتَطِعُ الْفَوْزَ بِالصَّيْتِ الْجَمِيلِ بَيْنَ الْبَشَرِ إِلَآنَ وَفِيمَا بَعْدُ؛ إِذْ إِنِّي أَنَا الَّذِي آوَيْتُكَ فِي كَوْخِي، وَقَدَمْتُ لَكَ الْقِرْيَ، قَتَلْتُكَ، وَسَلَبْتُكَ، حِيَاكَتِ الْغَالِيَةِ. إِذْنَ يَحْقِلُّ يَأْنَ أَصْلِي بِقَلْبِي مَسْتَعْدِدًا إِلَى زَوْسِ بَنِ كَرُونُوسِ. وَالْآنَ، هَا قَدْ حَانَ مَوْعِدُ الْعَشَاءِ، وَسِيَّاتِي زَمَلَائِي إِلَى هَذَا سَرِيعًا، فَيُمْكِنُنَا إِذْنَ أَنْ نُعْدِ فِي الْكَوْخِ عَشَاءً شَهِيدًاً».»

## يومايوس يقيم وليمة لأوديسيوس

هكذا قال كلُّ منها للآخر، ثم اقتربت الخنازير ورُعاتها، فأقفلوا على الخنازير حظائرها المعتادة لكي تنام، فأخذت تُطلق صيحاتٍ عجيبة، وهي تُحبس في الحظائر، ثم نادى راعي الخنازير الطيب رفقاء، قائلًا:

«إيتوني بخير ما لديكم من ذكور الخنازير كي أذبحه لهذا الضيف الغريب القادم من بلادِ نائية، كما أنتا أيضًا سوف ننال منه شيئاً، نحن الذين طالما تحملنا العناء والتعب من أجل هذه الخنازير ذات الأنبياض بينما يأكل آخرون ثمرة جهودنا بدون وجه حق.»

ما إن قال هذا حتى أخذ يُشق بعض الأَخْشَابِ بالبرونز القاسي، وجاء الآخرون بخنزيرٍ مسْمَنٍ ذي خمس سنوات، ووضعوه بجانب الوطيس. ولم ينسَ راعي الخنازير الخالدين؛ إذ كان ذا قلبٍ مدرك، فرمى في النار شعراً حشناً من رأس الخنزير الأَبْيَضِ النابين كتقدمةٍ أولى، وصلَّى لجميع الآلهة طالباً عودةً أوديسيوس العاقل إلى منزله ثم نهض، وهو على الخنزير بقطعةٍ من شعب البُلُوط، كان قد تركها وهو يُشق الأَخْشَابَ، فغادرتْ رُوحُ الخنزير جسده، فقطع الآخرون رقبة الخنزير، وفصّلواها وبسرعةٍ قطعوه إلى أجزاء، وكتقدمةٍ أولى أخذ راعي الخنازير قطعاً من اللحم النَّيَّءَ من جميع أطرافه، ولفَّها بشيءٍ كثيرٍ من الدهن. وهذه ألقاها في النار بعد أن نثر فوقها طحين الشعير، أما ما بقي من الخنزير فقطّعوه وسفدوه، وبعد أن أتقنوا شوأه<sup>١٦</sup>، أخرجوه جميعه من النار، وجعلوه أكوااماً في قصصاتٍ. بعد ذلك وقف راعي الخنازير ليقطع؛ إذ كان ماهراً في التوزيع بالعدل، فأخذ الجذع وقطعه وقسمه إلى سبعة أنصبة، وضع أحدها جانباً وهو يُصلِّي من أجل الحوريات وهيرميس بن ميا Maia<sup>١٦</sup> ثم وزَّع الباقى على كل فرد. وقد أكرم أوديسيوس فخَصَّه بالسلسلة الطويلة لظهر الخنزير ذي النابين الناصعين البياضين، فأدخل بذلك السرور إلى نفس سيده، فخاطبه أوديسيوس، ذو الحيل الكثيرة، قائلًا:

«أيا يومايوس، أرجو أن تكون عزيزاً لدى الآب زوس بقدر ما أنت عزيزٌ لدىَّ، حيث إنكَ قد خصَّستَني بنصيَّبٍ طيبٍ، رغم كوني في مثل هذه المسغبة.»

<sup>١٦</sup> ابنة أطلس وأكبر وأجمل البلياديس، ووالدة هيرميس من زوس الذي أنجبته في كهف على جبل كوليني

إذن أجبته يا يومايوس، يا راعي الخنازير، فقلت: «تفضل<sup>١٧</sup>، أيها الضيفُ الشقي، وتمتَّع بما هنا من طعام. إنه الرب الذي يُعطي رجلاً شيئاً ويمنعه آخر. كما يبدو حسناً لفؤاده؛ إذ هو قادر على كل شيء».»

هكذا قال ثم قدَّم الأطراف كتقدمةٍ للآلهة الخالدين، وبعد أن صب السكائب من الخمر الصهباء، وضع الكأس في يدي أوديسيوس، مخرب المدن، ثم استوى في مجلسه بجانب نصبيه. وقدَّم ميساوليوس Mesaulius، الذي حصل عليه راعي الخنازير لنفسه وحده، الخبز، وقد اشتري الراعي ذلك العبد من التافيين بأمواله دون علم سيده أو العجوز لايرتيس. وهكذا مدُّوا أيديَّهم إلى الخير الشهي الموضوع أمامهم. وبعد أن تناولوا من الطعام والشراب ملء بطونهم، رفع ميساوليوس الطعام، وعندئِذ رغبوا في الذهاب إلى راحتهم، بعد أن شَبِعوا من الخبز واللحم.

### أوديسيوس يُعجم عُود راعي الخنازير

عندئِذ أقبل الليل، دامسًا بدون قمر، وأمطر زوس طوال الليل كله. وهبَّ الريح الغربية، الدائمة الأمطار، في عزِّ بالغ، فتحدَّث أوديسيوس في وسطهم، عاجماً عود راعي الخنازير، ليり ما إذا كان يُمكِّنه أن يخلع عباءته ويعطيه إياها، أو إذا كان سيأمر شخصاً آخر من رفقاء بأن يفعل ذلك، حيث إنه كان يحتفي به احتفاءً بالغاً فقال:

«استمع إلىَّ الآن، يا يومايوس، وأنتم يا سائر رجاله جميعاً، فسأقص عليكم حكايةً من تلقاء نفسي؛ إذ تأمرني بذلك الخمر الدنسة، التي تدفع المرء، مهما كان حكيماً، إلى الاسترسال في الغناء والضحك، وتُزيِّن له أن ينهض فيرقص، نعم وتُخرج من بين شفتيه ألفاظاً، من الحكمة الإمساك بها. ومع ذلك، فيما أنتي قد صارتُكم القول من قبل، فلن أخفِي الآن شيئاً. ليتني كنت شاباً في قُوتي المكينة التي كانت لي عندما أعددنا الكمين، وأحكمنا إعداده تحت أسوار طروادة. كان قادة ذلك هم أوديسيوس ومينيلاوس بن أتريوس، وأنا ثالثهم؛ لأنهما هكذا ديرَا الأمر بأنفسهما. وعندئِذ لما بلغنا المدينة وحائطها الشديد الانحدار، الذي يُطُوق المدينة، فرقَدنا في الغابة الكثيفة بين القصب والأرض المُوحلة،

<sup>١٧</sup> الترجمة الحرافية: «كُلْ».»

مُتحجّبين بسواعنا، ثم أقبل الليل، داجيًّا عندما هبَّ الريح الشماليّة، وكانت شديدة البرودة، وهطلَّ الثلَّاج علينا من فوقنا، فغطاناً كأنَّه الصقيع، البالغ البرودة، وترأكم الثلَّاج فوق دروعنا. كان لدى الجميع معاطف وعباءات، فناموا في سلام، وأضعين دروعهم فوق أكتافهم، ولكنني، عندما ظعنُتُ، كنتُ قد تركتُ عباهي ورائي، مع رفافي في حماقتي؛ لأنني لم أكن أتصوّر أن سيلُّغ بي القَرْ تلك الدرجة، وجئتُ بدرعي فقط وبخوذتي اللامعة. بيد أنه عندما كان الهزيع الثالث من الليل، وقد دارت النجوم في فلكها، تحدَّثتُ إلى أوديسيوس الذي كان قريباً مني، واكراً إياه بمرفقه، فأصغى إلىَّ من فوره، وقلت له:

«يا ابن ليرتيس، يا سليل زوس، يا أوديسيوس الكثير الحيل، العجيب، إبني لن أكون الآن بين الأحياء. كلا، فإن الزمهرير ليقتلني، لعدم وجود عباءة معي، فإن أحد الآلهة قد خدَّعني فارتديتُ عباهي ليس غير، والآن ليس هناك أي مجال للنجاة.»

هكذا قلتُ، وبعد ذلك دبرَّ الخطة التالية في فؤاده؛ إذ كان داهية في وضع الخطط وفي القتال، فتكلم بصوتٍ منخفض، وقال لي: «صه الآن، خشية أن يسمعك شخصٌ آخر من الآخرين.»

بهذا رفع رأسه فوق مرفقه، وتحدَّث، قائلاً: «أصغوا إلىَّ، يا أصدقائي، لقد جاءني حلم، من لدن الآلهة، في نومي. واعجبوا! لقد وصلنا بعيداً جدًّا عن السفن، وكنت أتمنى أن يكون هناك من يحمل كلمة إلى أجاممنون بن أتريوس، قائد الجيش، عسى أن يأمر عدًّا أكبر من الرجال بأن يحضر من السفن.»

هكذا قال، فقفز ثواس <sup>١٨</sup> ابن أندرايمون Andraemon، ناهضًا في سرعة وخلع عنه عباهته الأرجوانية وشرع يجري إلى السفن، فأخذتُ رداءه، ورقدتُ فيه مسروراً بعد ذلك، ثم لاح الفجر الذهبي العرش. كم أتمنى أن يكون شاباً يافعاً كما كنتُ في ذلك الوقت، في قوتي البالغة؛ عدّيَّ كان أحد رعاة الخنازير في هذه الضيعة يُعطيوني عباهته بداع الشفقة وبدافع تمجيل محارب مقدم، ولكنهم يحتقروني، كما هو الحال؛ لأنني أرتدتِي أسمالاً بالية.»

<sup>١٨</sup> أحد العاشقين العديدين لهيلينا؛ ولذا ذهب إلى الحرب الطروادية قائداً أسطولاً مكوناً من أربعين سفينية. كانوا يرمون إليه كمحارب جسور وخطيبٍ مفوه في القتال عند طروادة. كان أحد الأبطال الذين حُبُّبوا داخل الحصان الخشبي.

## يومايوس يفوز بثقة أوديسيوس

إذن ردت عليه يا يومايوس، يا راعي الخنازير، فقلت: «ما أجمل القصة التي رويتها، أيها الرجل العجوز! وحتى الآن لم تنطق بشيءٍ خارج أو عديم الجدوى؛ ومن ثمَّ فلن يفتقر مُتضررٌ في شدة التعب، إلى ملبيٍّ أو إلى أي شيءٍ آخر، عندما يقابل امرأً – لهذه الليلة على الأقل. أما في الصباح فسوف تخلع عنك هذه الملابس الرثة؛ إذ ليس هنا عباءاتٌ كثيرة أو معاطفٌ يمكنك أن ترتديها، ولكن لكل رجل عباءةٌ واحدة فقط. وعندما يجيء ابن أوديسيوس العزيز، سيعطيك أنت نفسك معطفاً وعباءة تلبسُهما، وسيُرسِّلك إلى أي مكانٍ ي يريد قلبه وروحه أن يُرسِّل إلَيْه».»

ما إن قال هذا، حتى نهض وأعد فراشاً لأوديسيوس، بالقرب من الوطيس، ووضع فوقه جلود الأغنام والماعز، فرقد أوديسيوس هناك، وغطاه راعي الخنازير بعباءة عظيمة سميكة، كان يحتفظ بها كرداً له إذا ما هبَّ ريحُ عاتية.

وهكذا نام أوديسيوس هناك، ونام إلى جانبه الرجال الشبان. أما راعي الخنازير فلم يكن يرُوْقُه فراشٌ في ذلك المكان؛ إذ لا يَوْدُ أن يرُقد بعيداً عن الخنازير وعلى ذلك تأهب للخروج، فسر أوديسيوس أنه كان يعنيه كثيراً بأموال سيده في أثناء غيابه، فبدأ يومايوس بأن علق سيفه الحاد فوق كتفيه القويَّتين، ثم التفَّ بعباءة كثيفة، تدرأ عنه الريح، والتقط جزءاً ماعزٍ كبيرة مُسْمَنة جيداً، وتناول رمحاً حاداً ليدفع به الكلاب والرجال، ثم ذهب ليرُقد حيث كانت الخنازير ذات الأنبياض البيضاء ترُقد أسفل صخرة ضخمة، في مكانٍ لا تصل إليه الريح الشماليّة.

## الأنشودة الخامسة عشرة

### أثينا تنصح تيليماخوس بالعودة إلى الوطن

أما بالاس أثينا فتوجّهت إلى لاكيادياموس الفسيحة لتنذّر الابن المجيد لأوديسيوس العظيم القلب بأمر عودته، وتُعجل قدومه، فوجّدت تيليماخوس وابن نسطور المجيد راقدين في البهو الأمامي بقصر مينيلاوس المجيد. وكان النوم الرقيق يسيطر على ابن نسطور، بينما الكري الذي لم يتمكن من تيليماخوس، بل نفّت الأفكار القلقة المتعلّقة بأبيه النوم عن عينيه طوال الليل الحالِ كله، فووّقت أثينا ذات العينين النجلاويَن بالقرب منه، وقالت: «أي تيليماخوس، إنك لا تُحسن صنعاً بالتجوُل بعيداً عن بيتك أكثر من ذلك، تارِكاً وراءك في دارك ثروتكَ ورجالاً على أقصى ما يمكن من الصفاقة؛ فقد يُخشى أن يقتسموا جمع ممتلكاتك ويبتلاعوها؛ وعندئِن تكون رحلتك عبئاً. هيا، أنهض مينيلاوس الماهر في صيحة الحرب، بغاية السرعة ليبعث بك في طريقك، حتى تستطيع أن تجد أن أمرك النبيلة ما زالت في بيتها؛ لأن أباها الآن وإخوتها يأمرونها بالزواج من يوروماخوس Eurymachus<sup>١</sup>، الذي تفوق على سائر المغازلين في هداياه، وقد زاد في هداياه الغزلية، فلن حذراً لئلا تحمل بعيداً عن ساحاتك كنزاً ما ضد إرادتك؛ فأنت تعرف أي نوع من الروح يوجد في صدر المرأة. إنها تضع نصب عينيها أن تزيد في منزل الرجل الذي يتزوجها، ولكنها لا تفگر في أطفالها السابقين وفي سيد شبابها، إذا حدث ومات ذات يوم، ولا تهتم فيها بعد ذلك. هيا انطلق

<sup>١</sup> ابن بولوبوس الذي كان أحد المعجبين والمحبين البارزين لبينيلوبي. وهو الذي احتقر أوديسيوس عندما أتى متذمراً في زي شحاذ، واعتراه خجلًّا عظيم عندما عجز عن ثني قوس أوديسيوس، وقد قتله أوديسيوس.



كذلك أنا أُقدّم لك هذه الهدية، يا ولدي العزيز، ذكرى من يدي هيلينا.

وضع بنفسك جميع ممتلكاتك في عهدة أي خادم تراه خيرهم جميّعاً، وإلى أن تُوفّق الآلهة إلى عروسٍ نبيلة. وسأقول لك شيئاً آخر، يجب أن تضعه في قلبك. إن خير الرجال المغازلين يكمن لك مع سبق الإصرار في المضيق الواقع بين إيثاكا وساموس<sup>٢</sup> الوعرة، متلهفاً إلى اغتيالك قبل أن تصل إلى وطنك، ولكنني أعتقد أن هذا لن يحدث؛ إذ قبل ذلك سوف تُغطي الأرض الكثيرين من المغازلين الذين يُبدّدون أموالك، فابتعد دائمًا بسفينتك المكينة البناء عن الجُزر، مبحراً ليلاً ونهاراً، وهل لذلك الخالد الذي يرعاك ويحرسك، أن يرسل نسيماً معتدلاً عقب إبحار سفينتك؟ ومتى بلغت أقرب شواطئ إيثاكا، أرسل سفينتك وجميع

<sup>٢</sup> جزيرة في البحر الإيجي تقع في الجزء الذي يُسمّى بالبحر الإيكاري، بعيداً على ساحل إيونيا.



رفقاءك إلى المدينة، وأسرع أنت نفسك بالذهب إلى راعي الخنازير الذي يحرُّس الخنازير،  
ويُكِن لك في صدره كل عطف. اقض الليل هناك، ومرُّه بالذهب إلى المدينة ليحمل كلمةً إلى  
بينيلوبي الحكيمَةَ أن تُحافظ على سلامتك، وأنك قد عُدْتَ من بولوس.»

### بايسيستراتوس ينصح يتيلماخوس بالترىث

ما إن أفضَتْ إليه بذلك القول حتى انصرفت إلى أوليمبوس الشامخ. أما تيلماخوس فأيَّقَظَ  
ابن نسطور من النوم اللذِيدِ، ونبَّهَهُ بأنَّ أمسك بعقبه، وتحَدَّثَ إليه قائلاً:  
«استيقظ، يا بايسيستراتوس<sup>٢</sup>، يا ابن نسطور، وأحضر جيادك المتأهبة  
الحوافر، واربطها إلى النَّير بالعربية، كي يمكننا أن نُسرِّع في طريقنا.»

<sup>٢</sup> أصغر أبناء نسطور وأناكسيبيا. وقد رافق تيلماخوس إلى إسبرطة ليستقصي الأخبار عن أوديسيوس من مينيلاوس — ومن اسمه اشتَقَ طاغية أثينا لقبه.

<sup>٣</sup> معنى هذه الكلمة غامض، ولكن الرأي السائد الآن أن لها علاقة بالأصل «متلهف»، ومع ذلك فإن البعض يفضل المعنى «ذات الحوافر الصلبة».

فأجابه بايسيسراتوس بن نسطور، بعد ذلك بقوله: «أي تيليماخوس، لا نستطيع بأية حال من الأحوال أن نركب خلال الليل الدامس، مهما كان تلهُفنا إلى الرحيل، وسرعان ما سيأتي الفجر. إذن انتظر، إلى أن يُحضر مينيلاوس، المشهور برمحه، ابن أتريوس، الهدايا ونضعها في العربة، ويرسل بنا في طريقنا بعبارات الوداع الرقيقة؛ فإن الضيف ليذكر في جميع أيامه، ذلك الضيف الذي يُبدي له العطف.»

### مينيلاوس يُبدي استعداده لمساعدة تيليماخوس

هكذا قال، وفي الحال أقبل الفجر الذهبي العرش؛ وعندئذٍ أقبل إليهما مينيلاوس، الرائع في صيحة الحرب، ناهضاً من عربته من جانب هيلينا الجميلة الغدائر، فما إن أبصر به الأمير العزيز ابن أوديسسيوس، حتى أسرع يرتدي مدرعته البراقة، ويضع فوق كتفيه القويتين عباءته العظيمة، وذهب قُدُّماً، ثم تقدم تيليماخوس العزيز، ابن أوديسسيوس المقدس، من مينيلاوس وحاطبه بقوله:

«أي مينيلاوس، يا ابن أتريوس، يا ربب زوس، يا قائد الجيوشن هيا ابعث بي الآن ثانية إلى وطني العزيز؛ فإن قلبي يتوق الآن للعودة إلى الوطن.»

عندئذٍ أجابه مينيلاوس، الرائع في صيحة الحرب، بقوله: «هيا تيليماخوس، الحق أنني لن أحفظ بك هنا مدةً طويلة، ما دمت تواقاً إلى العودة. كلا، فلا بد أن ألم غيري، من المضيفين، الذين يتفانون في الحب والكراهية أكثر من القُدر اللازم؛ فخير الأمور أو اواسطها في كل شيء. كما أنه من الخطأ كذلك أن يعمل المرء برحيل ضيفٍ غير راغب في الانصراف، أو أن يمنع ذهاب ضيفٍ يتوق إلى الرحيل. على المرء أن يرحب بالضيف الحاضر، ويبعث بمن يريد أن يرحل، ولكن تمهل الآن حتى أجيء بالهدايا الجميلة وأضعها في عربتك، وترها عيناك، وحتى آمر النساء بإعداد وليمة في البهو من الخزين المتوفر بالداخل. إنها لنعمة مزدوجة – مجلبة للشرف والمجد، والربح كذلك – فيجب إطعام المسافر قبل إبحاره عبر اليم الفسيح المترامي الأطراف. وإذا كنت تواقاً إلى السفر عبر هيلاس وخلال أرجوس، فليكن كما تريده، على شرط أن أتمكن أنا نفسي من الذهاب في مصاحبتك، ولسوف أضع النير فوق الجياد من أجلك، وأقودك إلى مدن البشر؛ فلن يتركتنا أحد ذهب من عنده خالي الأيدي، بل يعطينا بعضهم شيئاً على الأقل لنحمله معنا، ركيزةً برونزية بدعة أو قدراً، أو زوجاً من البغال، أو كأساً ذهبية.»

بعد ذلك رد عليه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «مينيلاوس بن أتريوس، يا ربب زوس،  
ويا قائد الجيوش، إنتي لاًوثر أن أرحل الآن إلى بيتي؛ لأنني عندما انصرفتُ من هنالك، لم  
أترك ورائي أحداً يرعى ممتلكاتي. إنتي أتمنى وأنا أبحث عن أبي شبيه الإله ألاً أهلك أنا  
نفسِي، أو أن بعضًا من كنزي العظيم يضيع من ساحتِي.»

### مينيلاوس وهيلينا يعطيان تيليماخوس هدايا ثمينة

والآن إذ سمع مينيلاوس، الماهر في القتال، هذا الكلام، أمر في الحال زوجته وخدماته  
بأن يُعدِّن في الساحة وليمةً من الخزین الوفير الموجود بالدار<sup>٥</sup>. وعندئذ جاء إتيونيوس  
ابن بويثوس Boethous Eteoneus عنه، فأمره مينيلاوس الرائع في صيحة الحرب، بأن يُوقد نارًا ويُشوي لحمًا، فأطاع وآذعن  
بالأمر. ونزل مينيلاوس نفسه إلى حجرة الخزائن المقبية<sup>٦</sup>. ولم يذهب إليها وحده، بل  
كانت معه هيلينا وميجابينثيس Megapenthes، فلما بلغوا المكان الذي كانت تحفظ فيه  
الكنوز، تناول ابن أتريوس كأسًا ذات يدين، وأمر ابنه ميجابينثيس بأن يحمل طاس مزجٍ  
من الفضة. وتقدَّمت هيلينا من الصناديق التي كانت بها الثياب البديعة الوشِّي، التي كانت  
صنعتها هي نفسها، فأمسكت السيدة الجميلة هيلينا، أحد تلك الأثواب، وحملته بعيداً،  
ثوبًا كان أجمل الأثواب وشيًّا وأوسعها. كان كالنجم بريقًا، وموضوعًا أسفل سائر الثياب  
جميعًا، ثم خرجوا بعد ذلك، وساروا عَبْر المنزل إلى أن وصلوا إلى تيليماخوس، فقال له  
مينيلاوس، الجميل الشعور:

«أيا تيليماخوس، ليت زوس، زوج هيري<sup>٧</sup> Here العالِي الرعد، أن يُحقق لك عودتكَ  
بحق، كما يشتهي قلبك ويتوق. ومن بين الهدايا التي أحتفظ بها في قصري، أقدم لك  
هذه الهدية، التي هي أجمل كنوزي وأغلاها. سأعطيك طاس مزج بديع الصنعة، كله

<sup>٥</sup> الترجمة الحرافية: بالداخل.

<sup>٦</sup> يجوز أن يكون المعنى: «العقبة النكهة».

<sup>٧</sup> ابن مينيلاوس من أمة، تزوج يوم عرس أخيه هيرميوني من ابنة إليكتور الإسبرطي فُحُرِّم من أن يرث العرش لسبب ميلاده الغير الشرعي. ولما مات مينيلاوس أُجْبِرَ هو وأخوه هيلينا على الهروب إلى رودس.

<sup>٨</sup> أو هيرا. هي جونو عند الرومان شقيقة وزوجة زوس. كانت ملكة الآلهة تجلس مع زوس على العرش ويبُجَّلُها جميع آلهة أوليمبوس. من مستلزماتها الرمانة والطاووس والبقرة والصلجان ووشاح الزواج.

من الفضة، وحافاته مكسوّة بالذهب، من صنع هيفايسوس،<sup>٩</sup> كان قد أعطانيها المحارب فايمدموس Phaedimus، ملك السيدونيين، عندما آوانني منزله وأنا قادم إلى هنا، وإنني لأعتزم الآن أن أمنحك إياها.»

ما إن قال المحارب، ابن أتريوس، هذا، حتى وضع الكأس ذات المقابضين في يديه، وأحضر ميجابينثيس العتيد طاس المزج الفضي ووضعه أمامه، وأقبلت هيلينا الفاتنة الوجتنين بالثوب في يديها، وخطبته بقولها:

«كذلك أنا أقدّم لك هذه الهدية، يا ولدي العزيز، ذكرى من يدي هيلينا، كي ترتديه زوجتك، في يوم زواجك المشتهى، ولكن يجب أن تعهد به إلى والدتك العزيزة لتحفظه لك حتى ذلك اليوم. وإنني لأتمنى لك، أنت نفسك، أن تصل مغبظاً إلى منزلك المكين البناء وإلى وطنك.»

### مينيلاوس يقيم وليمةٌ فاخرة قبل رحلة الوداع

ما إن أتمّت حديثها ذاك حتى وضع الثوب بين يديه، فتناوله منها في سرور. وأخذ الأمير بايسستراتوس الهدايا، ووضعها في صندوق العربية، وأخذ ينظر إليها نظرات الإعجاب من قلبه. بعد ذاك قادهما مينيلاوس الجميل الشعور إلى المنزل، وجلس كلاهما على الكراسي والمقاعد المرتفعة. وجاءت إحدى الإمام بماءٍ للأيدي في إبريق من الذهب بديع الشكل، وصبّته لهما في طسٍ ليغتسلا، وسحبَت إلى جوارهما نضداً مصقولاً وأحضرت ربة البيت الرزينة الخبز ووضعته أمامهما، ومعه كمية وافرة من اللحوم، مانحة من خزينها بغير حساب. واقترب ابن بوبيوس، وأخذ يقطع اللحم، ويقسم الأنصبة، وصبَّ ابن مينيلاوس الجيد الخمر. وهكذا أخذوا يتناولون من الطعام الفاخر الذي أعد ووضع أمامهم. وبعد أن ملئوا بطونهم من الطعام والشراب، وضع تيليماخوس وابن نسطور الجيد النير على أعناق الجياد وركبا العربية المطعمة، وانطلقوا خارج البوابة والرواق الفسيح، فذهب وراءهما مينيلاوس الجميل الشعر، ابن أتريوس، يحمل في يده اليمني الخمر العذبة في كأس من

<sup>٩</sup> يُسمّى الرومان فولوكانوس. أحد آلهة أوليمبوس العظام. هو رب النار وابن زوس وهيري. تزوج أفروديت. كان تشخيصاً للنار نفسها ولكنه كان أيضاً حاكماً النار القوي، يستعملها سلاحاً وقت القتال ووسيلةً من وسائل التطهير وصهر المعادن؛ لذلك كان يُعتبر حداد الآلهة والفنان الأول في صناعة المعادن.

الذهب، كي يستطيعا أن يسكنبا السكائب قبل رحيلهما، فوقف أمام الجياد وتحدث إلى الشابئين، قائلاً:

«وداعا أيها الشابئان، واحملوا السلام إلى نسطور، راعي الجيوش؛ فالحق أنه كان يعطف على كوالد، بينما كنا نحارب، نحن الآخرين في أرض طروادة.»  
عندئذ أجايه تيليماخوس بقوله: «إي وعمر الحق، أيها الملك، يا ربب زوس، سُنُخْبِرْه بكل هذا عند وصلنا، كما تأمر. وإنني لأتمنى، عندما أعود إلى إيثاكا، أن أجد أوديسيوس يقيناً، في منزله، لأنّه كيف استقبلتني بالحفاوة والإكرام، قبل رحيلي، وأنني أحضر معي كنوزاً عديدة ورائعة.»

### هيلينا تُدلي بنبؤةٍ سارة عن أوديسيوس

ما إن قال هذا حتى حلّ طائر على اليمين، صقر، يحمل بين مخالبه إوزةً كبيرة ناصعة البياض، وهي طائرٌ مستأنس خطّفه من الفنان، بينما يتبعه الرجال والنساء بالصياح، فاقترب الصقر منهم، وطار بعيداً جهة اليمين أمام الجياد، فانشرحت صدورهم لرؤيتها، وأغبّطت قلوب الجميع داخل الصدور. وعندئذ تكلّم من بينهم بايسيستراتوس بن نسطور، أولاً، فقال:

«تأمل يا مينيلاوس، يا ربب زوس، وقادّي الجيوش، أنتا أظهرت الرب هذا الفأّل، أم لك أنت نفسك؟»

قال هذا، فحار مينيلاوس العزيز لدى أرييس كيف يستطيع بحكمته تفسير تلك العلامة تفسيراً صحيحاً، بيد أن هيلينا ذات الثوب الفضفاض، سبقته إلى الكلام، فقالت: «أصغوا إليّ، فسأفسّر هذا الفأّل كما يلهمني الخالدون في قلبي، كما أعتقد أنه عين ما سيحدث. بما أن هذا الصقر قد جاء من الجبل، حيث تُوجَد عشيرته وحيث ولد، وخطف الإوزة التي نشأت في المنزل، فهكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد متاعب جمة وتجوّلاتٍ عديدة، وسوف ينتقم، وربما كان الآن في داره، يبذُر بذور الشر لجميع المغازلين.»

### تيليماخوس ينطلق بجواهه مسروراً

فتكلّم تيليماخوس الحكيم ثانيةً بعد ذلك وقال: «لو أن زوس زوج هيري الذي يُرعد عالياً يمنح هذا، لصلّيتك لك هناك باستمرار كما أصلّي لإله.»

قال هذا وألهب الجوادين بالسطو، فانطلقا بسرعة صوب السهل، ينهيان الطريق بلهفةٍ باللغة عَبْر المدينة. وهكذا ظلّ طوال اليوم كله يهُزّان النير الموضوع فوق عنقيهما، ثم غابت الشمس وخَيَّم الظلام على جميع الطرق، فلما بلغ فيرياي Pherae، ذهبا إلى بيت ديوكليس Diocles، ابن أورتيلوخوس Ortilochus، الذي أنجبه أفيوس Alpheus<sup>١٠</sup>. حيث قضيا الليل وقدَّم لهما ما يليق بالغرباء من قرَّ.

### وصول تيليماخوس إلى قلعة بولوس

ما إن ظهر الفجر الباكر ذو الأنامل الوردية، حتى وضَعوا النَّير فوق عنقي الجوادين، واعتنى الشَّابَّانِ العربية المطعَّمة، وانطلقا من البوابة والرواق الفسيح. وعندئِذٍ ألهب بايسيساتراتوس الجياد بالسطو ليُحْنِّهما على الإسراع، فانطلقا لا يقف في طريقهما شيءٌ وسرعان ما بلغا قلعة بولوس الرأسية الانحدار، فتحَّدَّت تيليماخوس إلى ابن نسطور، قائلاً:

«يا ابن نسطور، هل لك أن تعااهدني الآن، وتوُّفي بالعهد، كما أطلب منك؟ أنتا نُسْمِي أنفسنا أصدقاء قدماء بسبب صدقة أبوينَا، هذا فضلاً عن أننا من نفس السن، ولسوف تُوطَّد هذه الرحلة الصدقة بيننا وترتبط بين قلبيَّنا. لا تصحبني بعد أن أركب سفينتي، يا ربِّ زوس، بل اترکني هنا، خشية أن يُبَقِّيني هذا الرجل العجوز هنا ضد إرادتي في منزله، بداعِي إظهار الشفقة نحوِي، بينما أنا في أشد الحاجة إلى الذهاب إلى الوطن.»

قال هذا فأخذ ابن نسطور يُشَاور قلبه، كيف يمكنه أن يرتبط بالعهد ويُحْقِّقه كما يجب، وبينما هو يفكُّر هدأ التفكير إلى طريقةٍ بدت له خير الطرق، فأدار جواديه ناحية السفينة السريعة وشاطئ البحر، ومكان المراقبة، ووضع الهدايا الجميلة في حيزوم السفينة، الثوب والذهب، الذي قدَّمه له مينيلاوس، وحث تيليماخوس على الإسراع، مخاطبًا إياه بكلماتٍ حماسية، فقال:

«أسرع الآن بركوب متن سفينتك، ومرِّ جميع رفاقك بأن يحدُّوا حَذْوَك، قبل أن أصل إلى الوطن وأُحْضِر كلمة إلى الرجل العجوز؛ لأنني أعلم حق العلم في قرارة نفسي وعقلي، أن روحه لتنغلَّب على كل فردٍ ولن يدعك ترحل، بل سيأتي إلى هنا بنفسه ليأمرك بالذهاب إلى منزله، وإنني لأؤكِّد لك أنه لن يعود بدونك؛ إذ سيكون غاضبًا أشد الغضب، رغم كل شيء.»

<sup>١٠</sup> إله نهر. أحب أرتيميس، حبًّا جنونيًّا، فلما صدَّته هَدَّ باستعمال القوة والعنف معها، ولكن أرتيميس استطاعت أن تتحاشاه بأن لطخت وجهها بالطين فلم تَظَهَر ملامحها.

ما إن قال هذا حتى قاد جياده الجميلة الأعرااف عائداً إلى مدينة البوليين Pylians،  
فسرعان ما بلغ القصر. أما تيليماخوس فنادى على رجاله وأصدر إليهم الأمر، قائلاً:  
«ضعوا جميع الحبال بنظام، في السفينة السوداء، وهلموا بنا نحن أنفسنا نعتلي  
ظهورها، كي يمكننا الإسراع في طريقنا.»  
ما إن قال هذا، حتى أذعنوا له وصَدَعوا في الحال بالأمر، فركبوا السفينة من فورهم،  
واستَوْا فوق المقاعد.

### تيليماخوس يُصلِّي ويُقدِّم الذبائح لأنثينا

هكذا كان تيليماخوس مشغولاً حَقّاً، وكان يُصلِّي ويُقدِّم الذبائح لأنثينا عند حيزوم السفينة،  
وعندئِنْ اقترب منه رجل من بلاِد نائية، شخصٌ جاء هاربًا من أرجوس لأنَّه قتل رجلاً آخر،  
وكان عَرَافًا، وتبَعَّا لسلسلة نسبه كان ينحدر من ميلامبُوس Melampus،<sup>١١</sup> الذي كان  
فيما مضى يُقيم في بولوس، أُمِّ القطعان. وكان واسع الشراء يملك منزلاً كثير الخيرات بين  
البوليين، بيد أنه لجأ بعد ذلك إلى بلاِد أجنبية هاربًا من بلده ومن نيليُوس Neleus العظيم  
القلب، أكبر سادة البشر الأحياء، الذي ظل مُغتصبًا ثروته البالغة لدة عامٍ كامل بالقوة.<sup>١٢</sup>  
وفي ذلك الوقت كان ميلامبُوس يرُسُف في أغلال قاسية في ساحات فولاكُوس Phylacus<sup>١٣</sup>  
يعاني آلامًا مُبرِّحة من أجل ابنة نيليُوس، وعمى القلب المفزع الذي أنزلته به الربة،

<sup>١١</sup> ابن أيدوميني، وشقيق بياس. يدين بملكة النبوة العظيمة التي يملكتها إلى ثعابين صغيرة كانت تُنظَف آذانه بأسنتها، فوهبته القدرة على أن يسمع ويفهم أصوات الطيور والحيوانات.

<sup>١٢</sup> كان لنيليُوس بن بوسايدون، ابنة تدعى بيري Pero. تفوق سائر النساء فتنة، فاعتمد ألا يُزُوجها إلا من يأتي من فولاكِي Phylace بأبقار إفيكلوس Iphiclus، فاضطُّلَع ميلامبُوس بتلك المهمة نيابةً عن أخيه بياس Bias، غير أنه وقع في الأسر وظل مسجوناً عاماً كاملاً؛ إذ أسره إفيكلوس، فوضع نيليُوس يده إبَان هذه اللدة على ممتلكات ميلامبُوس، ولكن هذا الأخير تمكَّن بعرافتِه من الفوز بحريته، فساق الأبقار إلى بولوس، ثم انتقم لنفسه بعد ذلك من نيليُوس، ونَزَّوج بيري لبياس.

<sup>١٣</sup> والد إفيكلوس وألكيميدي، من كلوميني. هدَّد مرة إفيكلوس بسكين، فلما هرب الابن غرس السكين في شجرة فطلت السكين في مكانها إلى أن وصل إفيكلوس إلى سن الرجولة، وعندما جاء النجم ميلامبُوس ليحصل على ماشية فولاكُوس لأخيه بياس، شُفي إفيكلوس من عقمه بمزيج من الخمر، وصَدَّا السكين فكافأه على ذلك بأن أعطاه ماشيته.

إرينوس<sup>١٤</sup>، جالبةُ الخراب على البيوت.<sup>١٥</sup> ولكن رغم ذلك نجا من مصيره وساق الأبقار العميقه الخوار من فولاكى إلى بولوس، وانتقم لذلك العمل القاسي من نيليوس الشبيه بـإلهه، وأحضر الفتاة إلى وطنه لتكون زوجة أخيه. أما هو فانطلق إلى بلاد قوم آخرين، إلى أرجوس Argos مرعى الخيول؛ إذ كان مُحدّداً له أن يقيم هناك، ويتولى زمام الحكم على كثيرٍ من الأرجوسيين، فاتخذ له زوجةٌ فيها وشيد لنفسه قصراً سامقاً للبنيان، وأنجب أنتيفاتيس<sup>١٦</sup>، Antiphates، ومانتيوس<sup>١٧</sup> Mantius، وكانا صبيّين بالغى القوة، ثم أنجب أنتيفاتيس أويكليس Oicles الشجاع، وأنجب أويكليس أمفياوس Amphiaraus مفزع الجيش، الذي أحبّه زوس حامل الترس، وأبولو، حبّاً أيّ حبّ من قبليهما. ومع ذلك فلم يقترب من عتبة الشيروخة، بل وافته المنية في طيبة، بسبب هدايا سيدة، فولد له الابناء ألكمايون Alcmaeon وأمفيلوخوس Amphilchus، أما مانتيوس فقد أنجب بولوفايديس Polypheides، وكلايتوس Cleitus، بيد أن الفجر ذا العرش الذهبي خطف كلايتوس لفتنته وجماله، وحمله بعدها كي يستطيع الحياة مع الحالدين، وأما بولوفايديس، ذو الهمة العالية، فقد جعله أبولو عرّافاً، يفوق بكثيرٍ سائر البشر، ثم مات أمفياوس بعد ذلك، انتقل إلى هوبيريسيا Hyperesia، وهو بالغ الغضب مع أبيه، فاستوطن هناك وراح يتبنّى لجميع الناس.

### ثيوكلومينوس يسأل وتيليماخوس يرد

كان ابنه، المسمى ثيوكلومينوس Theoclymenus، هو الذي جاء الآن ووقف بجوار تيليماخوس، وهو يُصْبِب السكاكين ويُصْلِي بجانب سفينته السريعة السوداء، فتحدّث إليه وحاطبه بكلماتٍ مجنحة،<sup>١٨</sup> قائلاً:

«أيها الصديق، طالما أنت تُقدّم الذبائح المحترقة في هذا المكان، فإني أتوسل إليك بتقدماتك وبالإله، نعم وبحياتك أنت نفسك، وحياة رفقائك الذين يتبعونك، إلا ما أخبرتني

<sup>١٤</sup> واحدة من الإيرينوي، ربّات الانتقام وعددهن ثلاثة.

<sup>١٥</sup> يترجمها البعض: «التي تضرّ بعنف».

<sup>١٦</sup> ملك العملاقة أكلة لحوم البشر في صقلية، حطم جميع سفن أوديسيوس ما عدا واحدة.

<sup>١٧</sup> أي حماسية.

بحقيقة ما أسائلك عنه ولا تُخْفِ عنِي شيءٌ، من أنت بين البشر، ومن أي مكانٍ قدمت؟ أين  
بلدك، وأين أبواك؟»

فأجابه تيليماخوس الحكيم بقوله: «إذن فسأخبرك حقاً، أيها الغريب، بكل شيءٍ في  
صراحة. إن مسقط رأسي هو إيثاكا، وأبي أوديسيوس، وإنني لأؤكّد لك تمام التأكيد أنه  
كان هناك مثل هذا الرجل، إلا أنه الآن لقي حتفه بمصير مؤسف؛ ولذلك صَحَبْتُ رفافي  
هؤلاء، وركبنا سفينَةً سوداء، وجئتُ إلى هنا لأستطلع الأخبار عن والدي، الذي رحل منذ  
أمدٍ بعيد.»

عندئِذ أجابه ثيوكلومينوس شبيه الإله، قائلاً: «كذلك أنا، أيضًا، جئتُ هاربًا من بلدي؛  
لأنني قتلتُ رجلاً من أقربائي، ويوُجد له إخوة وأقاربُ عديدون هناك في أرجوس مرعى  
الجياد، ويقطضون على زمان الحكم بقوّة على الآخرين. بيد أنني لأتقي الموت والمصير المظلم  
على أيديهم، هربتُ لأنّه حسب اعتقادي من نصبي أنّ أهيم على وجهي بين البشر، فهل  
لك أن تأخذني في سفينتك؛ إذ إنني أتضرع إليك وأنا هارب، حتى لا يقتلوني؛ لأنني أعتقد  
أنهم يقتَفُون أثري.»

فرَّ عليه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «ما دام الأمر كذلك، فلن أُنزلَك من سفينتي  
الجميلة بأية حال من الأحوال، طالما تتوق إلى المجيء معنا. هيا اتبعنا، وستلقى من التكريم  
في منزلنا مثل الذي لقيناه.»

### ثيوكلومينوس يبحر مع تيليماخوس في سفينَةٍ واحدة

ما إن قال هذا حتى تناول منه رمحه البرونزي، ووضعه أخيراً فوق ظهر السفينة المقببة،  
ثم ركب هو نفسه ظهر السفينة ماخرة البحار. وبعد ذلك جلس في كوثتها وأجلس  
ثيوكلومينوس إلى جواره، فحل رجاهه حبال مؤخرة السفينة. ونادى تيليماخوس على  
رجاله وأمرهم بأن يمسكوا بالحبال، فصدّعوا بالأمر في الحال. ورفعوا الصاري المصنوع  
من خشب الشربين وأقاموه في حفريته الواسعة، وثبتوه من الأمام بدعامات، ثم رفعوا الشراع  
الأبيض بسيورٍ مجدولة من جلد الثيران. وأرسلت إليهم أثينا ذات العينَين النجلائيَّن ريشًا  
مواتية، تهُب بشدَّةٍ وسط السماء، حتى تستطيع السفينة، وهي تسرع فوق صفحة الماء،  
أن تixer طريقها وسط ماء البحر الملح. وهكذا ساروا عبر كروني Crouni وحالكيس  
Chalcis، ذات الجداول الرائعة.

والآن غابت الشمس وراء الأفق وخيمَت الظلمة فوق جميع الطرق، واقتربت السفينة من فييالي Pheae، تعجل بها ريح زوس، ومرت على إليس Elis العظيمة حيث يحكم الإبييون Epeans، ثم سار بسفينته ثانيةً إلى الجزر الحادة<sup>١٨</sup>، وقد غلبتْ عليه الشكوك، هل سينجو من الموت أم يُقبض عليه.

### أوديسيوس ينتوي زيارة المغازلين في بيته

كان أوديسيوس وراعي الخنازير الطيب، يتناولون معًا، طعام العشاء في الكوخ، وكان يتعشّى معهما بقية الرجال الآخرين، فلما أصابوا من الطعام والشراب ملء بطونهم، تكَّم أوديسيوس في وسطهم، يجسُّ نبض راعي الخنازير ليري ما إذا كان سيلقي منه كرم الضيافة بعد ذلك فيأمره بالبقاء هناك عند الحظيرة، أم سيرسله إلى المدينة بعيدًا، فقال: «أصح إلى الآن يا يومايوس، وأنتم يا جميع الرجال الآخرين، إنني عازم على الذهاب في الصباح إلى المدينة كي أستجدي القوم، حتى لا أكون سببًا في خرابك أنت ورجالك. إذن فلتُسْدِّ إلى الآن بنصيحتك الطيبة، وأرسل معي شخصًا موثوقًا به يرشدني إلى هناك. أما عَبر المدينة، فسأتجول أنا حسب قوتي، أملأ في أن يوجد على أحدhem بكوب من الماء ورغيف. كما أنني سوف أذهب إلى بيت أوديسيوس الشبيه بالإله وأحمل الأنبياء إلى بينيلوبى الحكيمية، وأنضم إلى جماعة المغازلين البالغى الصفافة، عسى أن يُقدّموا لي وليمة، ما دام عندهم خيرٌ وفير. وفي الحال أقوم بينهم بخدمةٍ كريمة ملبيًا طلباتهم في كل ما يريدون؛ لأنني سأخبرك، فأصح إلى جيدًا؛ فبفضل هيرميس، الرسول، الذي يمنح الجمال والمجد لأعمال جميع البشر، إنني أجيد القيام بالخدمات فيما لا يستطيع امرؤ سواي أن يتحدّاني في تكويم النار جيدًا، وفي قطع الأحطاب الجافة بما يناسب النار، وفي إعداد اللحم وشوائه، وفي صب الخمر؛ في جميع الأمور التي يقوم وضعاء القوم بها لخدمة الأشراف».

### يومايوس يحذر أوديسيوس من مغبة هذه الزيارة

فلما أثَّرت فيك هذا الألفاظ تأثِّرًا بالغاً، يا يومايوس، يا راعي الخنازير أجبته بقولك: «ويحيى! أيها الغريب، لم تطرأ مثل هذه الأفكار على مُخيِّلتك؟ حقًّا إنك لتريد الهلاك هناك

<sup>١٨</sup> ليس هناك من تفسير مقبول لهذه الصفة الغامضة. ومن المحتمل أن الصفة اللاحقة بالسفينة التي تُشَق طريقها بسرعة أمام الجزر قد استُعيرت للجزر نفسها.

تماماً، إذا دخلت حشد المغازلين، الذين تصل شهوتهم وعنتهم إلى عنان السماء الحديدية. إن خدمهم لا يشبهونك في شيء، كلا بل إنهم شبانٌ يلتفون جيداً بالعباءات والجلابيب، ويحتفظون براء وسهم ووجوههم لامعة باستمرار، ويراعون دائمًا أن تكون الموائد المصوولة محملة بالخبز، وباللحم وبالخمر. امكث معنا هنا؛ فإن وجودك لا يضايق أحداً منا، لا أنا ولا أي فرد آخر من الرجال الذين معك. وعندما يأتي السيد العزيز ابن أوديسيوس، فإنه سيمنحك هو نفسه، عباءة وجلباباً تستر بهما جسمك، وسوف يبعث بك إلى أي مكانٍ يتوقد قلبك وروحك إلى الذهاب إليه.»

عندئذ أجايه أوديسيوس العظيم البالغ التحمل، قائلاً: «هيا يومايوس، أسأل الأب زوس أن تكون عزيزاً لديه كما أنت عزيزٌ لدى؛ لأنك أغتنى عن التجول وتكتُب المشاكل المفجعة، فلا شيء أكثر شرّاً للبشر من التجول، ولكن الناس يتحملون المحن الشديدة من أجل بطونهم، عندما يُضطرون إلى التطاويف والحزن والألم. أما الآن فما دمت مصمماً على الاحتفاظ بي هنا، وتأمّلني بانتظار سيدك. تعال، خبرني عن والدة أوديسيوس الشيبة بالإله، وعن أبيه، الذي تركه على حافة الشيخوخة، عندما رحل. لا يزالون على قيد الحياة يعيشان تحت أشعة الشمس؟ أم وافتهما المنية ورحلا إلى بيت هاريس؟»

### يومايوس يُقص على أوديسيوس شيئاً عن أيام الطفولة

فأجايه راعي الخنازير قائد البشر، بقوله: «إذن، فلأخبرنك بالصراحة والحقيقة، أيها الغريب. إن لايرتيس لا يزال حياً، ولكنه يُصلِي دائمًا لزوس أن تغادر روحه أطرافه داخل ساحاته؛ لأنَّه حزينٌ أشد الحزن على ابنه الذي رحل، وعلى السيدة الحكيمة، زوجته الشرعية، التي آلمَّ موتها أكثر من كل شيءٍ والتي زُجَّت به إلى الشيخوخة قبل الأوان. لقد ماتت كمداً على ابنها المجيد، ميّةً تعيسة، لا أتمنى أن يموتها أي إنسانٍ من يقطنون هنا، ويكون صديقاً لي وأحسن معاملتي. كان يُسرني دائمًا أن أسأل وأستعلم عنها، طيلة أن كانت على قيد الحياة، ولو أن حياتها كانت مليئة بالآحزان؛ لأنها هي نفسها، كانت قد ربّتني مع كتيميني Ctimene ذات الثوب الفضفاض، ابنتها الشريفة وصغرى أطفالها. لقد نشأت معها وترعرعت، وبجلّتني تلك السيدة كتبجيلها أولادها، أو أقلّ منهم بقدر ضئيل، فلما بلغنا كلانا مبالغ الشباب المنتظرة، أرسلوها إلى سامي Same لتتزوج، وحصلوا لأنفسهم على هدايا زواج لا حصر لها. أما أنا فقد أُبَسْتُني سيدتي عباءةً وجلباباً، ملابس في غاية الروعة وأعطتني نعالاً لقدمي، وأرسلتني إلى الحقل، وكانت تُكِن لي في قلباً حبّاً جمّاً. أما

الآن فإني أفتقر إلى كل هذا، رغم أن الآلهة المباركة تتولى بال توفيق ما أقوم به من عمل. كنتُ أكلُ وأشربُ من ذلك، وأعطي الأغراب المحترمين ولكنني لا أسمع أي شيءٍ سارًّا من سيدتي، سواءً أكان ذلك الشيء كلمة أو عملاً؛ إذ حلت بالمنزل كارثةً أي كارثة، عبارة عن رجال متغطسين. ومع ذلك فكثيراً ما يرغب الخدم في التحدثُ أمام سيدتهم، والوقوف على كل شيءٍ، وتناول الطعام والشراب، ثم يحملون بعد ذلك معهم شيئاً إلى الحقول، من الأشياء التي تجعل قلب الخادم يفيض بالدفء دائمًا».

عندئذ أجايه أوديسيوس الكثير الحيل، قائلًا: «يا للعجب! لا شك أنك عندما كنت محضر طفل، يا يومايوس، يا راعي الخنازير، لم تتجوّل بعيداً عن بلدك ووالديك، ولكن خبرني، الآن، وأعلن لي قولك في صراحة. ألم تسلَّب مدينة قوم فسيحة الطرقات، كان يعيش فيها أبوك وأمك المجلّة؟ أم أنه عندما كنت صبيًّا ووحيداً مع أعنامك أو ماشيت خطفَك الأعداء وحملوك في سفنهم ليبيعوك إلى بيت سيدك هذا، الذي دفع فيك سعراً طيباً؟»

فأجايه راعي الخنازير قائد الرجال، بقوله: «أيها الغريب، ما دمت تسألني و تستفهم مني عن هذا، فأاصنُع إلى الآن في صمتٍ و تمتّع بالغبطة، واحتبس الخمر، وأنت جالس هنا. إن هذه الليالي لعجبية الطول؛ فهناك وقت للنوم، كما أن هناك وقتاً للتمتع بسماع القصص، ولا حاجة بي إلى الرقاد حتى يحين الوقت، وهناك تعبٌ حتى في النوم الزائد على الحد. أما الباقيون، فإذا رغب قلبُ وروحُ أي واحدٍ منهم في الذهاب إلى النوم، فدعه يذهب لينام، حتى إذا ما لاح الفجر، فدعه يأكل، ثم يرعى خنازير سيدنا. أما نحن فنولم ونشرب كلانا في الكوخ، ويتمتع كلُّ منا بسماع قصة محن الآخر الشديدة، ونحن نستعيدها إلى الأذهان؛ فإن من قاسي الكثير من الأهوال، يجد لذة في الوقوف على محن غيره. وها أنا ذا سأروي لك ما كنت تسألني عنه.

هناك جزيرة اسمها سوريا Syria، لو تصادف أنك سمعت عنها فوق أورتوجيا Ortygia، حيث تُوجَدُ ممكناً تحُولُ الشّمس، ليست تلك الجزيرة مزدحمةً كثيراً بالسكان، ولكنها بلادٌ طيبة، حافلة بالقطعان، غنيةً بالماشية، زاخرة بالخمر، مليئة بالقمح. لا تعرف المجاعة طريقها إلى البلاد إطلاقاً، ولا يصيّب البشر التّعسّاء أي مرضٍ بغيض، بيد أنه عندما تشيخ قبائل البشر في شتى أنحاء المدينة، يأتي أبواؤ ذو القوس الفضيّة، مع أرتيميس، فيهاجّمهم بسهامه الرقيقة ويقتلهم. وجميع أرض الجزيرة مقسّمة إلى مدینتين، ويحُكمُ أبي كلتا المدینتين كملك، إنه كتيسيوس Ctesius ابن أرومينوس Ormenus الشّبيه بالحالدين.

جاء الفينيقيون إلى تلك الجزيرة، وهم قوم يُشتَهِرون بسفنهم وبأنهم أوغاد جشعون، فأحضروا معهم تحفًا لا عداد لها في سفينتهم السوداء. وكانت في بيت أبي وقتنٍ سيدةٌ فينيقية، فارعة الطول على قدرٍ كبير من الجمال، وماهرة في الأشغال اليدوية الرائعة، فخدعها الفينيقيون الماكرون؛ فعندما رأوها أولًا وهي تغسل الملابس، اضطجع معها أحدهم في عشقٍ بجوار السفينة الواسعة؛ لأن هذا الأمر يلعب بعقول النساء، مهما كانت السيدة مستقيمة، ثم سألها من تكون ومن أين جاءت، فأرشدته من تَوْهَا إلى بيت أبي العالى السقف، قائلةً:

«إنني قدِمتُ من سيدون Sidon، الغنية بالبرونز، وأنا ابنة أروباس Arybas الواسع الشراء الذي كانت تتدفقُ الأموال عليه مدرارًا. بيد أنني، وأنا قادمة من الحقول، قبضَ على قراصنةٍ من تافيا Taphia، وأحضروني إلى هنا، وباعوني إلى بيت ذلك الرجل، الذي دفع من أجلي ثمنًا بالغاً.»

عندئذٍ قال لها الرجل الذي كان قد اضطجع معها سرًّا: «أترغبين في العودة معنا ثانيةً إلى وطنك، وفي رؤية منزل والديك العالى السقف، وفي رؤيتها أيضًا؟ لأنهما يعيشان حقيقة، ويعبران بحقٍ ثريين».»

فأجابته السيدة، بقولها: «بكل سرور، إذا أخذتمُ إليها البحارة العهد على أنفسكم، وأقسمتم بأن تذهبوا بي سالمة إلى وطني.»  
قالت هذا فأقسم البحارة جميعًا كما أمرتهم. وبعد أن انتهوا من القسم، تحدَّثَت المرأة إليهم ثانيةً فقالت:

«اصمتو الآن، ولا يتحدث إلى أيٍ من رفاقتكم، إذا قابلني في الطريق أو عند البئر، خشية أن يرانا أحدٌ فيذهب إلى القصر ويخبر الملك العجوز، فيثير شكوكه وعندئذٍ يُقيدني بقيوٍ قاسية، ويُدبر أمر موتكم، فضعوا كلماتي هذه نصب عيونكم،<sup>١٩</sup> وعَجَّلُوا بالمقايضة على سلعمكم، حتى إذا ما شُحنت سفينتكم بالبضائع، أبعثوا إلى برسولٍ يجيئني بسرعة في القصر؛ لأنني سأحمل معي أيضًا أي ذهب يقع تحت يدي. وسأعطي بسرور شيئاً آخر في نظير نقلي. هناك طفل لسيدي النبيل، أعتبر أنا مُربٍّته في القصر، وهو طفلٌ على قدرٍ

<sup>١٩</sup> الترجمة الحرافية: في عقولكم.

عظيم من الدهاء، يصحبوني دائمًا إلى خارج القصر. سأحضره معي على ظهر السفينة، فيمكنكم أن تأخذوا عنه ثمنًا باهظًا، في أي مكانٍ تبيعونه فيه إلى قومٍ يتحدثون لغةً أجنبية.»

ما إن أفضت إليهم بذلك الكلام حتى انصرفت إلى القصر الجميل، وبقوا هناك في بلادنا سنة كاملة، وحصلوا من التجارة على مالٍ وفير في سفينتهم الواسعة لعودتهم، وعندئٍ بعثوا برسول إلى القصر ليحمل الأخبار إلى السيدة، فجاء إلى منزل أبي رجلٌ ماهر جدًا في الخداع، يحمل معه قلادة من الذهب تتوسطها خرزاتٌ من الكهرمان. تناولت الفتيات القلادة في أيديهن، وأخذتهن أمي المجلة، وصرن يتطلعن إليها بإعجاب، ويعرفن الأثمان على الرجل، بيد أنه هز رأسه للمرأة في صمت. وبعد أن هز رأسه لها، انصرف في طريقه إلى السفينة الواسعة، فأخذتهن من يدي، وقادتهن خارج المنزل. وعندما بلغنا ساحة القصر الأمامية وجدت الكؤوس، وموائد المدعين، الذين كانوا يقومون بخدمة أبي؛ إذ كانوا قد ذهبوا إلى المجلس، ومكان المناقشة، فأسرعت وأخفت في صدرها ثلاثَ كؤوس، وخرجت بها، فتبرعتُها وأنا خالي الذهن من كل شيء. بعد ذلك غابت الشمس، وخيمت الظلمة على جميع الطرق، فأسرعنا حتى بلغنا الميناء العظيم، حيث كانت سفينة الفينيقيين السريعة. وعندئٍ اعْتَلَوا ظهرها، وحملوا كلينا على ظهرها أيضًا، وأقلعوا مبحرين عَبْر الطرق المائة، وأرسل لهم زوس ريحًا مواتية. سارت بنا السفينة ستة أيام، ليلٌ نهار، فلما جَبَ علينا زوس بن كرونوس، اليوم السابع، ضربت أرتميس، القوَّاسة المرأة، فسقطت في جوف السفينة مُحدِثةً صوتًا، كما يغطس أي طائرٍ بحري، فلَقُوا بها في اليم لتكون فريسة لكلاب البحر والأسماك، أما أنا فتركتُ هناك، كسر القلب، وعندئٍ ذهبت بهم الريح، تحملُهم على صفة الماء، وكذا الموجة، إلى إيثاكا، حيث اشتراكي ليرتيس بأمواله. وهكذا حدث أن رأت عيناي هذه البلاد.»

فأجابه أوديسوس، نسل زوس، بقوله: «أيا يوماً يو، لقد أثْرَتْ بحق القلب الكائن في صدري بذكر قصة حُزْنَك الذي كابدَه في قلبك. وفي حالتَك هذه، إن أردت الحق فإن زوس أعطى الخير والشر جنبًا إلى جنب ما دمتَ بعد كل جهادك قد جئتَ إلى منزل رجلٍ كريم، يعطيك طعامًا وشرابًا، في عطف وحنان، وأنت تحيا حيَاً طيبةً. أما في حالي، فإني بعد تجوالي خلال مدن البشر العديدة، قد أتيتُ إلى هنا.»

## تيليماخوس يصل إلى وطنه

بهذا تحدث كلُّ منها إلى الآخر، ثم رَقَدا ليناما، ليس لوقتٍ طويل، بل لفترةٍ وجيزة؛ إذ سرعان ما أقبل الفجر الجميل العرش. أما رفقاء تيليماخوس، فما إن اقتربوا من الشاطئ حتى طَوَوا الشراع، وأسرعوا بإinzال الصاري، وأخذوا يُجذّبون بالسفينة حتى أرسوْها بمجاذيفهم إلى مرساها، ثم رمَوا أحجار المراسي وربطوا جبال الكوثر، ونزلوا هم أنفسهم إلى شاطئ البحر، وأعدوا طعامهم وخلطوا الخمر الصهباء، وما إن أشبعوا جوعهم من الطعام والشراب، حتى نهض تيليماخوس الحكيم يتحدث في وسطهم أولاً، فقال:

«هل لكم الآن أن تبحروا بالسفينة السوداء، وتتجدّفوا حتى المدينة، أما أنا فأعتزم زيارة الحقول والرعاة، وفي المساء سأذهب إلى المدينة بعد أن أكون قد أشرفت على أراضيّ. وعندما يُصبح الصباح سأقدم لكم وليمة طيبة من اللحم والخمر العذبة، جزاء تعبكم.»

عندئِن تحدث إليه شيوكلومينوس شبيه الإله، بقوله: «إلى أين أذهب أنا، يا طفلي العزيز؟ إلى بيت من ممن يحكمون في إيثاكا الصخرية، سألتَّجِئ؟ أم هل أذهب مباشرةً إلى منزل والدتك ومنزلك؟»

فأجابه تيليماخوس العاقل، وقال: «لو أن الأمور كانت على غير ذلك، لأمرتُك بالذهاب حتى إلى منزلنا، حيث لا ينقص شيء لتكريم الغرباء، ولكن الأمر بالنسبة لك أنت شخصياً قد يكون جَّاً سيئ، حيث إنني سأكون بعيداً، ولن تقابلك والدتي؛ لأنها لا تظهر كثيراً أمام المغازلين في البيت، بل تمكث بمنأى عنهم تنسج على منوالها في حُجرةٍ علياً، ولكنني سأخبرك عن رجل آخر تستطيع أن تذهب إليه، إنه يوروماخوس المجيد ابن بولوبوس Polybus الحكيم، الذي ينظر إليه رجال إيثاكا الآن كأنه إله؛ إذ هو خيرُ رجلٍ في المدينة يفوق غيره بمراحل، ويتلهم غاية التلهُّف إلى الزواج بوالدتي والفوز بمجد أوديسيوس. ومع ذلك فإن زوس الأوليمبي، الذي يقطن في السماء يعرف، هل سيتحقق لهم اليوم الشرير قبل الزواج، أو لا يتحقق.»

## شيوكلومينوس يُطمئن قلب تيليماخوس

وبينما هو يتلهم حلق طائر على اليمين، وكان صقرًا، رسول أبوُلو السريع، يمسك في مخالبه يمامه، وكان ينزع ريشها، ويلقي بالريش فوق الأرض وسط الطريق بين السفينة

وتيليماخوس نفسه؛ عندئذٍ ناداه ثيوكلومينوس بعيداً عن زملائه، وأمسك يده، وتحدّث إليه، بقوله:

«أي تيليماخوس، لا شك أن هذا الطائر لم يُحلّ على يميننا بدون إذن أحد الآلهة؛ لأنني بمجرد أن نظرت إليه عرفت أنه طائرٌ فَآل، لا بيت في أرض إيثاكا غير بيتك، هو أكثرَ مجدًا وأعظم سيادة، إنك دائمًا أبداً مُتفوقٌ.»

فرَدَّ عليه تيليماخوس الحكيم ثانية، فقال: «آه! أيها الغريب، كم أتمنى أن تتحققَ كلمتك هذه؛ عندئذٍ تناول مني في الحال شفقةً وهدايا كثيرة، كي يصفك كُلُّ من يقابلكَ بأنك مُبارك.»

### تيليماخوس يُوصي بتكريم ثيوكلومينوس

ثم تحدّث تيليماخوس إلى بايرايوس Peiraeus رفيقه الموثوق به، فقال: «أيا بايرايوس، يا ابن كلوتيس Clytius، إنك أنت الذي اعتدت أن تُصغي إلى حديثي دون سائر الرفقاء، الذين رافقوني إلى بولوس؛ ومن ثم فإنني، أتوسل إليك الآن، أن تأخذ هذا الغريب، وتكِرم وفادته في منزلك، وتبدي له التمجيد، إلى أن أجيء.»

فأجابه بايرايوس الرماح الشهير، قائلاً: «أي تيليماخوس، بالرغم من أنه لا ينبغي لك أن تبقى هنا طويلاً، فإني سأكِرمك، ولن يفتقر قَط إلى ما هو واجبٌ للغرباء.»

### تيليماخوس يسرع إلى حظيرة الخنازير

ما إن قال هذا حتى صَعِدَ إلى ظهر السفينة، وأمر زملاءه أنفسهم بالصعود وحل حبال الكوثر. وهكذا ركبا السفينة في الحال، واستووا فوق المقاعد. أما تيليماخوس فربط في قدميه صندلَه الجميل، وأخذ رُمحَه المتين، المدَبَّ بالبرونز الحاد، من فوق ظهر السفينة. بعد ذلك حل الرجال حبال الكوثر، وبعد أن ثبَّتوا السارية، أبحروا إلى المدينة، كما أمرهم تيليماخوس العزيز ابن أوديسيوس المقدس. أما تيليماخوس نفسه فقد حملته قدماه بسرعة، وهو يخطو إلى الأمام، إلى أن وصل إلى الحظيرة التي كان له بها ما لا يُحصى من الخنازير، والتي نام في وسطها راعي الخنازير التبَيل ذو القلب الحافل بالوفاء لأسياده.

## الأنشودة السادسة عشرة

### يومايوس يُرحبُ بعودته تيليماخوس

في نفس ذلك الوقت أشعل أوديسيوس وراعي الخنازير العظيم، ناراً في وسط الكوخ، وراحوا عند مطلع الفجر يُعدان طعام الإفطار، وكان قد بعثا بالرعاة مع قطعان الخنازير، ولكن الكلاب النابحة كانت تحوم حول تيليماخوس، دون أن تَهُرَّ وهو يقترب منها. ولاحظ أوديسيوس العظيم حومان الكلاب، وسمع وَقْع الأقدام يطُنُّ في أذنيه، فقال في الحال ليومايوس بعباراتٍ حماسية<sup>١</sup>:

«أيا يومايوس، لا شك أن رفيقاً من رفاقك قادم إليك، أو على الأقل هو رجل تعرفه؛ لأن الكلاب لا تَهُرَّ، بل تحوم حوله، وإنني لأسمع كذلك وَقْع أقدام.»

ما كاد أوديسيوس ينطِقُ باخْر لفظَ من كلامه، حتى كان ابنه العزيز واقفاً عند الباب، فَهَبَ راعي الخنازير واقفاً مبهوتاً، وسَقَطَتْ من يديه الآنية التي كان مشغولاً بخلط الخمر الصهباء فيها. وهرِعَ إلى لقاء سيده، فَقَبَّلَ رأسه وكلتا عينيه الجميلتين، ويديه وانحدرْتْ من عينه عَيْرَةُ كبيرة. وكما يُرحبُ الأب المحب ابنه العزيز، الذي يأتي إليه من بلد قصي في السنة العاشرة – ابنه الوحيد والمحبوب غاية الحب، الذي قاسي من أجله الحزن البالغ – هكذا أيضاً أمسك راعي الخنازير العظيم تيليماخوس الشبيه بالإله بين ساعديه، وأخذ

<sup>١</sup> الأصل: مجنحة.



بهذا، لسّته أثينا بصولجانها الذهبي. وألقت حول صدره، أولاً، عباءةً، وجلباباً مغسولين حديثاً.

يُوسّعه تقبيلًا في كل جزءٍ من جسمه كما لو كان قد نجا من هلاك، ثم تحدث إليه بكلماتٍ حماسيةٌ<sup>٢</sup> وهو يبكي، فقال:

«ها أنت ذا قد جئت يا تيليماخوس يا نور عيني الحلو. لقد خُيل إليَّ أنني لن أراك إطلاقاً بعد أن رحلت إلى بولوس في سفينتك. هياً، ادخل يا طفلي العزيز، حتى أُمتنع قلبي بالنظر إليك هنا في منزلي، يا من جئت حديثاً من بلادٍ غريبة؛ لأنك لا تزور دائمًا الحقل ولا

<sup>٢</sup> الأصل: مجنحة.

الرعاة، بل تظل باستمرار في المدينة، فأعتقد أنه هكذا تراءى لك أنه من الخير لقلبك أن تلقي نظرةً على حشد المغازلين المخربين.»

### يومايوس يُطمئن تيليماخوس على أمه

عندئِن أجا به تيليماخوس الحكيم، بقوله: «هكذا سيتم الأمر، يا أبا تاه. لقد جئتُ إلى هنا من أجلك؛ لأنك بعيوني رأسي، ولكي أستعلم منك عما إذا كانت أمي لم تزل باقية في القصر، أم قد تزوجت الآن رجلاً آخر، بينما يبقى فراش أوديسايوس متلهفاً إلى من يرقد فيه، مُغطّى بنسيج العنكبوت الفاسد.»

فأجا به راعي الخنازير قائد البشر، يقول: «كلا، فإنها ما زالت باقية في القصر بقلٍ ثابت، وفي حزنٍ لازب تقضي الليالي والأيام في بكاءٍ مستمر.»

ما إن أتم حديثه هذا حتى تناول منه الرمح البرونزي، ودخل تيليماخوس مارّا فوق العتبة الصخرية. وما إن اقترب، حتى نهض أبوه، أوديسايوس، من مقعده وأعطاه مكانه، بيد أن تيليماخوس من جانبه منعه من ذلك، قائلاً:

«اجلس أيها الغريب، وسنجد مقعداً في مكانٍ آخر في حظيرتنا؛ فها هنا رجلٌ سوف يُعد لنا مقعداً.»

### يومايوس يُقدم الطعام لأوديسايوس وتيليماخوس

هكذا تكلَّم فعاد أوديسايوس يجلس ثانيةً في مكانه، وبسط راعي الخنازير من أجل تيليماخوس حشيشاً أخضر من تحت وفوقه جزءاً من الصوف، فجلس عليها ابن أوديسايوس العزيز؛ بعدئِن وضع راعي الخنازير أمامها قصعاتٍ من اللحم المشوي، كانا قد تركاها من وجبة اليوم السابق، وبسرعة وضع الخبز في الأسفاط، وخلط في طاسٍ من خشب العlico خمراً في حلاوة العسل، ثم اتخذ هو نفسه مجلسه قبالة أوديسايوس المقدس؛ ومن ثمَّ مدوا أيديهم إلى الطعام الشهي الموضوع أمامهم مُعدّاً، فما إن تناولوا ملء بطونهم من الطعام والشراب، حتى تحدث تيليماخوس إلى راعي الخنازير العظيم، بقوله:

«أبا تاه، من أين جاءك هذا الغريب؟ كيف جاء به البحارة إلى إيثاكا؟ ومن أعلنوا أنهم يكونون؟ إذ في اعتقادي، أنه يستحيل أن هذا الغريب قد جاء سائراً على قدميه.»

إذن أجبته يا يوماس يا راعي الخنازير، فقلت: «إذن، يا ولدي، فلأخبرنك بالحقيقة كلها، إنه يعلن أنه من مواليد كريت الفسيحة، ويقول إنه جاس متوجلاً خلال الكثير من مداهن البشر، وهكذا دبر أحد الآلهة هذا النصيب. أما الآن، فقد هرب من سفينة للثيسبروتينين Thesprotians ولجا إلى حظيرتي، وسأضعه بين يديك، فافعل به ما تشاء. إنه يعلن أنه مستجير بك.»

### تيليماخوس يُطْوِّق الغريب بعطفه

عندئٍ من جديد ردَّ عليه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «أيا يومايوس، حَقّاً لقد حَرَّ قولك هذا في نفسي ووخزني في قلبي؛ إذ كيف يتَّسَّى لي أن أقوم بتكرييم هذا الغريب في منزلي؛ فإنني شخصياً لم أزل صغيراً وليس لي ثقةً بعدُ في قوتي للدفاع عن نفسي لحماية رجل، عندما يُثْير المرء المتابع من غير ما سبب. أما والدتي، فإن قلبها الكائن في صدرها ليتحقق إلى هذا الجانب وذاك، حائرةً هل تبقى معي هنا وتحافظ على المنزل، محترمةً فراش زوجها وصوت الشعب، أم مع خير رجلٍ بين الآخرين الآن الذي يُغازلها في القصر، ويُقْدِم لها أكبر عددٍ من هدايا الإعجاب. أما فيما يتعلق بها الغريب حَقّاً، فحيث إنه قد جاء إلى منزلك فسأكسوه عباءةً وجلباباً، يكونان لباساً جميلاً له، وأعطيه سيفاً ذا حدين، وصندلاً لقدميه، وأرسله إلى حيث يريد قلبه وروحه. أو لو طاب لك، أن تُبْقِيَه هنا في الحظيرة، وتعتني بأمره، فسوف أُرسل الثياب إلى هنا، وما يلزم من الطعام لأكله، حتى لا يكون سبباً في خرابك وخراب رجالك، ولكنني لن أُحْمِلَه مشقةَ الذهاب إلى هناك، لينضم إلى حشد المغازلين؛ إذ يفيضون صفاقةً وضيعة، خشية أن يسخروا منه، فيحل على حزنٍ أَي حزن. ومن الصعب على رجلٍ واحد أن يبلغ شيئاً بين قومٍ عديدين، مهما كان قوياً؛ لأنهم يتَفَوَّقُون عليه حَقّاً، أَي تفوقٌ.»

### الغريب يُبْدِي استعداده لمقاتلة المغازلين

عندئٍ أجابه أوديسيوس العظيم البالغ التحمل، فقال: «أيها الصديق، طالما يقضى الواجب على حَقّاً أن أَرَدَّ – فالحق أن قلبي ليتمزق وأنا أسمع حديثك؛ إذ تقول إن أولئك المغازلين يقترون مثل هذه العريبة في القصر بالرغم منك، أيها الرجل الطيب – خَبَرْني، أَتُقْاسِي أنت ذلك الظلم برغبتك؟ أم أن القوم في البلد يكرهونك، طاعنةً لصوت الرب؟ أم هل لديك

سبب لتنحي باللائمة على إخوتك، الذين يعتمد عليهم المرء في القتال إذا ما جد الجد. ليتني كنتُ صغيراً مثلك، وأنا في خلقي الحاضر، وكنتُ ابنَ أوديسيوس عديم اللوم، أو أوديسيوس نفسه. إذن فليقطع غريبُ ما رأسي ويفصله عن عنقي في الحال، إذا لم أُبرهن على أنني صعب المراس عليهم جميعاً إذا ما وصلتُ إلى قصر أوديسيوس بن لايرتيس. أما إذا هزموني بسبب كثرة عددهم، وأنا وحدي كما أنا، فخليقُ بي أن أموت قتيلاً في ساحاتي، ولا أرى بعيوني استمرار هذه الأعمال المخزية من أغرابٍ تُساء معاملتهم، ورجالٍ يسوقون الإماماء بطريقةٍ مخجلةٍ عَبْر الساحات الجميلة، والخمر تُبَدَّد، والرجال يلتهمون خبزي في غير ما اكتراش، وبغير حساب، وبدون أن تكون للأمر نهاية.»

### تيليماخوس يستغث بيومايوس

فردٌ عليه تيليماخوس الحكيم بقوله: «إذن أيها الغريب، لأخبرنَك بكل شيءٍ في صراحة، فلا يحمل الناس لي حَقّاً أية ضغينة أو كراهية، وليس لدى أي مُبَرِّ لكي ألومن إخوتي، الذين يعتمد عليهم المرء في القتال، إذا ما نَشَبَ صراعٌ مريء؛ لأن ابن كرونوس قد جعل منزلنا يسير على هذه الطريقة في خطٍّ منفرد. لقد أنجب أركايسيوس Arceisius لايرتيس، كابنٍ وحيد له، وكذلك أنجب لايرتيس ابنًا وحيدًا هو أوديسيوس، كما أنجبني أوديسيوس ابنًا وحيدًا له أيضاً، وتركتني في قصره، ولم تَقْرَرْ بي عيناه. وفي قصرنا الآن أعداءٌ يفوقون الحصر؛ لأن جميع الأمراء الذين يحكمون في الجزء — دوليخيوم وسامي وزاكونثوس ذات الأحراش — وأولئك الذين يتولّون الحكم على إيثاكا الصخرية، يُغازلُون جميعاً والذى ويعيرون فساداً بمنزلي. وإنها غير قادرة على رفض الزواج المقين، وليس في إمكانها وضع حد لذلك الأمر، بل هم يُبَدِّلون أموالي باللولائم، وعما قريب سيُجْرُونني أيضاً إلى الخراب. ومع ذلك فإن هذه الأمور تقع حَقّاً عند رُكْبِ الآلهة، ولكن هل لك يا أبته أن تذهب بسرعة وتخبر بينيلوبى الثابتة الجنان بأنني في أمان، وأنني قد رجعتُ من بولوس؟ أما أنا فسأبقي هنا، وهل لك أن تعود إلى هنا ثانية، بعد أن تُنْهَيْ إلَيْها وحدها بقصتي، ولا تَدْعَ أحداً آخر من بقية الأخرين يعلم بهذا الأمر؛ لأن من يُدْبِرونَ لي الشر كثيرون هناك.»

إذن أجبته، يا يومايوس يا راعي الخنازير، بقولك: «فهمتُ، وأصغيتُ، إنك لتأمر بهذا رجلاً ذا فهم. والآن هيَا خبرني بهذا، وأُعلِّنه لي بالصدق، هل أُفضِّي بذلك الأمر أيضاً إلى

لایرتبیس، ذلك الرجل البائس، الذي لحین من الدهر، رغم حزنه الشديد على أودیسیوس، ظل يأمل في إلقاء نظرة على الحقول، ويأكل ويشرب مع العبيد في المنزل، كما كان يأمره قلبه الكائن في صدره؟ أما الآن فمنذ ذلك اليوم الذي رحلت فيه إلى بولوس في سفينتك يقولون إنه لم يُعد يأكل ويشرب كسابق عهده، ولم تُبصِّر عيناه الحقول، بل يقضى وقته جالسًا يبكي ويقول، واللحم يذوّي فوق عظامه.»

فأجابه تیلیماخوس الحکیم، بقوله: «إن هذا لأدعى إلى مزيد من الحزن، ومع ذلك فلنذهب وشأنه، رغم أحزاننا؛ لأنه إذا كان في مقدور البشر، بأية حال من الأحوال أن يحصلوا على أمنياتهم لاخترنا أولاً وقبل كل شيء يوم عودة أبي. هيا انطلق ثم ارجع بعد أن تقوم برسالتك، ولا تتجول عَبْر الحقول بحثاً عن لایرتبیس، واطلب من والدتي أن تُرسل بسرعة خادمتها، مُدِّبِّرة شؤون البيت سرّاً، فتحمل كلمةً إلى الرجل العجوز.»

### أثينا تظهر لأودیسیوس وتأمره بوضع خطة مع ابنه

بهذا نهض راعي الخنازير وتناول نعليه في يديه، وربطهما إلى قدميه ثم انطلق ذاهباً إلى المدينة. ولم تكن أثينا غير عالمة بأن يومايوس راعي الخنازير قد غادر الحظيرة، فاقتربت في صورة سيدة، حسناء فارعة الطول، وماهرة في الأشغال اليدوية الرائعة. ووقفت أمام باب الكوخ، وأظهرت نفسها لأودیسیوس، بينما لم يُبصِّرها تیلیماخوس وهي أمامه، ولم يلاحظها، لأن الآلهة لا تبدو بأية حال من الأحوال في صورة يراها الجميع، ولكن أودیسیوس شاهدتها، ولم تنبَح الكلاب، بل وهي تَهَرَّ تسللت في خوف إلى أقصى بقعة في الضيعة. بعد ذلك أشارت له بحاجبِها، فلاحظ أودیسیوس الإشارة وخرج من الساحة، مارًّا بسور الفنان العظيم، ووقف أمامها، فتحدثت إليه أثينا، بقولها:

«يا ابن لایرتبیس، أيها المنحدر من زوس، يا أودیسیوس الكثير الحيل، أ Finch الآن لابنك بالكلام، ولا تُخفِّ الأمر عنه، حتى إذا ما وضعتما خطة الموت والمصير المشئوم للمغازلين، استطعت أن تذهب إلى المدينة الشهيرة. ولن أكون أنا نفسي بعيدة عنك؛ لأنني تَوَاقَة إلى خوض غمار المعركة.»

بهذا المسْتَه أثينا بصولجانها الذهبي، وألقت حول صدره، أولاً عباءةً وجلبًا مغسولين حديثاً، زادت في حجمه وفي نصرة شبابه، ومن جديداً اسمراً لونه، وامتلأت أوداجه، ونمّت اللحية السوداء حول ذقنه. وبعد أن قامت بهذا العمل، انصرفت فدخل أودیسیوس الكوخ،

فُذْهَل ابْنَهُ الْعَزِيزُ وَإِذَا سَتَوَلَ عَلَيْهِ الْذَّعْرُ، أَدَارَ عَيْنَيْهِ جَانِبًا، خَشِيَّةً أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَهًا، ثُمَّ تَحَدَّثَ إِلَيْهِ، وَخَاطَبَهُ بِكَلِمَاتٍ حَمَاسِيَّةٍ،<sup>٢</sup> قَائِلًا:

«أَيُّهَا الْفَرِيبُ، إِنَّكَ لَتَبْدُو لِي الْآنَ مِنْ لَوْنِ أَخْرٍ، غَيْرُ الَّذِي كَنْتَ عَلَيْهِ مِنْذَ لَحْظَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَابِسُ الَّتِي عَلَيْكَ غَيْرُ الْأُولَى، وَمَا عَادَ لَوْنَكَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلٍ. حَقًا إِنَّكَ إِلَهٌ، أَحَدُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْتَلُونَ السَّمَاءَ الْفَسِيحةَ. إِذْنَ رَحْمَكَ، حَتَّى نُقْدِمَ لَكَ ذَبَائِحَ مَقْبُولَةَ وَهَدَى يَا ذَهَبِيَّةَ، بَدِيعَةَ الصَّنْعِ، حَتَّى يَتَسَنَّى لَكَ أَنْ تَعْفُوْ عَنَّا».

### أُودِيُسِيُّوسُ يَمْيِطُ اللَّثَامَ عَنْ نَفْسِهِ لِابْنِهِ

عَنْدَئِنِ أَجَابَهُ أُودِيُسِيُّوسُ الْعَظِيمُ الْكَثِيرُ التَّحْمُلُ بِقَوْلِهِ: «ثُقْ بِأَنِّي لَسْتُ إِلَهًا، لَمَّا زُتْبَهَنِي بِالْخَالِدِينَ؟ إِنِّي أَبُوكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ تَحْمَلَتِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَحْزَانِ بِاِكِيَّةٍ، وَخَضَعَتِ لِأَعْمَالِ الْبَشَرِ الْعَنِيفَةِ».

قَالَ هَذَا وَقَبْلَ ابْنِهِ، فَسَقَطَتْ مِنْ وَجْنَتِهِ دَمْعَةُ فَوْقِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ كَفْكَفَتِهَا بِحَزْمٍ، تَحَدَّثَ إِلَيْهِ تِيلِيْمَاخُوسُ ثَانِيَّةً — إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ بَعْدُ أَنَّهُ أَبُوهُ — فَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ:

«الْحَقُّ أَنَّكَ لَسْتُ أَبِي أُودِيُسِيُّوسَ، وَلَكِنَّكَ أَحَدُ الْأَلَهَيْنِ يَخْدَعُنِي، كَيْ أَبْكِي وَأَنْتَبْحُ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلٍ؛ لَأَنَّهُ لَيْسُ فِي مُكْنَةٍ أَيْ رَجُلٍ، بِحَالٍ مَا، أَنْ يَفْعُلَ هَذَا بِذَكَائِهِ الْشَّخْصِيِّ إِلَّا إِذَا جَاءَهُ إِلَهٌ بِنَفْسِهِ، فَيَجْعَلُهُ شَابًاً أَوْ كَهْلًا بِسَهْوَةِ حَسْبِ إِرَادَتِهِ. لَقَدْ كَنْتَ حَقًا مِنْذَ لَحْظَةِ رَجْلًا عَجُوزًا رَثَّ الثِّيَابَ، وَلَكِنَّكَ الْآنَ أَشْبَهُ بِالْأَلَهَيْنِ الَّذِينَ يَحْتَلُونَ السَّمَاءَ الْفَسِيحةَ».

### أُودِيُسِيُّوسُ يَؤْكِدُ لِابْنِهِ أَنَّهُ أَبُوهُ

فَرَدَ عَلَيْهِ أُودِيُسِيُّوسُ الْكَثِيرُ الْحِيلِ، بِقَوْلِهِ: «أَيْ تِيلِيْمَاخُوسُ، يَجْدُرُ بِكَ أَلَا تَعْجَبَ هَذَا كَثِيرًا، وَلَا يُدْهَشَنَّكَ ذَلِكَ، أَنَّ أَبَاكَ قَدْ عَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ لَأَنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَقَرَّبَ مِنَ أَنَّهُ لَنْ يَجِيءَ إِلَى هَذَا أَيِّ أُودِيُسِيُّوسَ آخَرَ، وَلَكِنِي أَنَا هَذَا، أَنَا كَمَا تَرَانِي، قَدْ جَئْتُ إِلَى وَطَنِي بَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً، كُلُّهَا تَجَولَاتٌ عَدِيدَةٌ وَمَتَاعِبُ جَمِيعَةٍ. وَيَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ أَثِينَا الَّتِي تَسْوِقُ الْغَنَائِمَ، وَالَّتِي تَمْنَحُنِي كَمَا تَشَتَّهِي — لَأَنَّ لَهَا الْقَدْرَةَ — فَتَجْعَلُنِي الْآنَ شَحَادًا، وَمِرَّةً أُخْرَى

<sup>٢</sup> الأصل: مجنحة.

شأبًا يافعًا، وشخصًا جميلًا الهناء؛ إذ من اليسير على الآلهة، التي تحمل السماء المترامية الأجواء، أن تُمجد إنسانًا وأن تُتّحقره.»

### أوديسوس وتيليماخوس يتعانقان ويبكيان مدرارًا

ما إن قال هذا حتى جلس، فطوق تيليماخوس أباه النبيل بذراعيه وأخذ يبكي ويدرف الدموع، فتحرّك الشوق في قلبيهما للبكاء، فأعلاه بصوت مرتفع وبقوة دونها قوة الطيور، وصقور البحور أو النسور ذات المخالب المعقوفة، عندما يسلّبها أمرؤ صغارها زغب الحصول من عشاشها، بمثل هذه الكيفية المؤثرة ذرفاً الدموع السواجم من تحت حواجبهما. وكاد ضوء الشمس يغيب وهما لا يزالان يبكيان، لو لم يتكلّم تيليماخوس إلى أبيه فجأة، ويقول:

«أبي العزيز، في أي نوع من السفن أحضرك البحارة إلى هنا في إيثاكا؟ ومن أعلنوا أنهم يكونون؟ إذ أعتقد أنه من المستحيل أن تكون قد جئت إلى هنا ماشيًا على قدميك.»

### أوديسوس يسأل ابنه عن المغازلين وعددهم

فأجابه أوديسوس العظيم كثير التحمل قائلاً: «إذن يا ولدي، فلأخبرنك حقاً بجليمة الأمر. لقد جاء بي إلى هنا الفياجيون، أولئك القوم المشهورون بسفنهما، والذين يوصلون غيرهم من الأقوام إلى حيث يريدون، كل من يجيء إليهم. لقد أحضروني نائماً في سفينة سريعة عبر البحر، وأنزلوني في إيثاكا، وأعطوني هدايا رائعة، خزيناً من البرونز والذهب والثياب المنسوجة. إن هذه الكنوز موضوعة في الكهف بفضل الآلهة. وهذا أنا ذا قد جئت الآن بأمر أثينا، كي نتّشاور في موضوع مقتل أعدائنا. هيا الآن، وأخبرني عن عدد المغازلين، وقص على قصتهم، كي أعرف عددهم وأي نوع من الرجال هم، حتى أفكّر في قلبي النبيل، وأقرّ ما إذا كنا نستطيع السيطرة على ناصية الأمور، وتكون لنا الغلبة عليهم وحدنا دون مساعدة آخرين، أم يقتضي الأمر أن نبحث عن آخرين.»

### تيليماخوس يُبدي مخاوفه من قوة المغازلين وكثرتهم

عندئذ أجابه تيليماخوس العاقل، بقوله: «أبناه، لئن أردت الحق، إبني كثيراً ما سمعتُ عن شهرتك العظيمة، لقد كنتَ ذائع الصيتِ كمحاربٍ في قوة اليد وفي سداد الرأي، ولكن هذا

الذي تقول عظيمٌ للغاية، وإن العجب ليتملّكني؛ إذ كيف يتسلّنى لرجلين أن يقاتلا ضد رجال عديدين أشدّاء؛ فليس هناك من أولئك المغازلين عشرة فحسب، وليسوا عشرين، بل أكثر من ذلك بمراحل، وستعلم في الحال عددهم الآن ونحن هنا. هناك اثنان وخمسون شاباً مختاراً من دوليخيوم، وستة خدم لخدمتهم، وجاء من سامي أربعة وعشرون رجلاً، وهناك من زاكونثوس عشرون شاباً من الآخرين واثنا عشر رجلاً من إيثاكا نفسها، جميعهم من الأشراف، ومعهم ميدون، الرسول، والمنشد المقدّس، وخدمان ماهران في قطع اللحوم، فلو واجهنا كل هؤلاء داخل الساحات، فإن مجيئك، كما أخشى، سيكون مريضاً ضاراً حتى تنتقم بالعنف. كلا، هل لك أن تفَكِّر – إذا كنت تستطيع التفكير في أي مساعد – في شخص يمكنه أن يساعدنا كلينا عن طيب خاطر.»

فأجابه أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، قائلاً: «حسناً، إذن، فسأُخبرك، فأاصنِع تماماً إلى كلماتي، وفَكِّر هل يكفي أن يكون معنا نحن الاثنين، أثينا والأب زوس، أم هل لي أن أُفَكِّر في مساعدٍ ما آخر.»

عندئِذ أجابه تيليماخوس الحكيم، فقال: «حسناً، إن كنت واثقاً من اشتراك هذين المساعدين اللذين تذَكَّرُهما، رغم أنهما يقطنان عالياً في السحب ويسيطران على جميع البشر وكذا الآلهة الخالدين على حد سواء.»

### أوديسيوس يَرْسُمُ لابنه خطَّةَ العمل

فقال أوديسيوس العظيم الكثير الحيل: «من المؤكَّد أن هذين لن يكونا بعيدَين عن ميدان المعركة الطاحنة مدةً طويلاً، عندما تُوضع قوة أرييس في موضع الاختبار بيننا وبين المغازلين في ساحتاي. أما الآن، فانصرف عند مطلع الفجر إلى منزلك، وانضم إلى جماعة المغازلين الرقعاة. وأما أنا فسيأخذني راعي الخنازير بعد ذلك إلى المدينة في هيئة شحَّاذٍ بائس وكبير السن. ومهما سخروا مني في المنزل أو احتقروني، فلا تدع قلبك يثور في داخل صدرك وأنا أسوأ معاملة، حتى ولو سخبوني من قدمي خلال المنزل إلى الباب، أو قدَّفوا بي في الخارج أو ضربوني، بل يجب أن تتحمَّل رؤية ذلك. حَّقاً، إنك سوف تأمرهم بالكف عن حماقتهم، محاولاً منعهم برقيق الألفاظ، ومع ذلك فلن يكتروا لقولك بأية حال؛ إذ اقتربَ يومُ حتفهم. كذلك سأُخبرك بشيء آخر، ويجب أن تضعه في قلبك. عندما تضع أثينا العظيمة النصْح مشورتها في ذهني، سأهُزُّ لك رأسي، فيجب أن تلاحظ ذلك في الحال، فتقوم بجمع سائر أسلحة القتال الموجودة في ساحتاتك، وتُخفيها كلها في مخبئ بعيد في

المخزن الواسع. وإذا ما افتقد المغازلون الأسلحة وسائلوك عنها، فلتراوغهم بعباراتٍ رقيقة خداعة، فتقول لهم:

«لقد وضعتها بعيداً عن الدخان،<sup>٤</sup> حيث إنها لم تُعد كما تركها أوديسيوس في القدم عندما ذهب إلى طروادة، بل تراكمت عليها الأقدار بقدر ما علق بها من أنفاس النار. وزيادةً على ذلك فقد وضع ابن كرونوس في قلبي هذا الخوف الأعظم؛ إذ أخشى أنه متى لعبت الخمر برعوسكم، أقمتم الشجار فيما بينكم، وجرب بعضكم البعض الآخر، وبذل تفسدون وليمتكم ومغازلتكم؛ لأن الحديد من تلقاء نفسه يجذب إليه الإنسان.»



أما لكينا وحدنا فلتترك سيفين ورمحين، وترسین من جلد الثور لنجملها، حتى نستطيع الانقضاض بينهم وإلقاء القبض عليهم، بينما تخدع بالاس أثينا وزوس، المستشار،

<sup>٤</sup> لم يكن للبيت الهومري مدخنة، ومن الطبيعي أن الحوائط التي عُلقت عليها الأسلحة قد تلوّنت بالسنаж المتصاعد من النيران التي كانت تُشعل في وسط الساحة.

أولئك المغازلين. وسأخبرك بأمر آخر، يجب أن تضعه في قلبك. إن كنت حقاً ابني ومن دمي، فلا تجعلن أحداً يسمع بأن أوديسيوس في المنزل، ولا تدعن لايروتيس يعلم ذلك ولا راعي الخنازير، ولا أي فردٍ من خدام المنزل، ولا بينيلوبي نفسها؛ فإننا نعرف تماماً طبيعة السيدات. نعم، وكذلك سوف نبلي الكثير من الخدم، فنعرف من منهم يُكن لنا الاحترام ويخشاننا في قلبه، ومن منهم لا يكتثر بنا ويحتقر، وأنت ذلك الرجل العظيم».

فأجابه ابنه الرائع يقول: «أبتاباه، ستعرف، كما أعتقد، روحني من الآن فصاعداً؛ فما من تراجعٍ عما اعتزم عليه يسيطر على نفسي، ولكنني لا أعتقد أن هذه الخطة ستكون ذات نفعٍ للكلينا؛ ومن ثمَّ فإني أطلب منك أن تفكَّر في الأمر. ستظل مدةً طويلةً تذهب هنا وهناك دون جدوى، تختبر كل رجلٍ وأنت تزور الحقول، بينما يُنفق أولئك الآخرون أموالك حسب أهوائهم بصفاقٍ، فما تبقى هناك أي مَدَّه. ومع ذلك ففيما يتعلق بالسيدات، فإني أقترح عليك أن تعرف أيهن لا تُجْلِكُ، ومن منهن البريئة. وأما أولئك الرجال في الضياع، فلست أرى أن تُعْجِم عودهم، بل نترك معالجة ذلك إلى ما بعد، إذا كنتَ حقيقةً تعرف علامةً ما من زوس، الذي يحمل الترس».

### بينيلوبي تعلم بوصول تيليماخوس

هكذا تكلَّم كل واحدٍ منهمما إلى الآخر، وفي ذلك الوقت كانت السفينة المكينة البناء التي أفلَّت تيليماخوس وجميع رفاقه من بولوس، قد رست داخل إيثاكا، فعندما جاءوا إلى المدينة العميق، ورسوا سَجَبوا السفينة السوداء فوق الشاطئ، بينما حمل الخدم حُلَّهم الحربية مزهُوين، وفي الحال نقلوا الهدايا الجميلة إلى منزل كلوتيوس، فأرسلوا رسولاً إلى منزل أوديسيوس ليُخْبِر بينيلوبي الحكيمية بأن تيليماخوس في الحقل، وقد أمر السفينة بمواصلة الإبحار إلى المدينة، خشية أن يُساوِر القلق الملكة النبيلة فتُطلق العنان لدمعها المستديرة فتتساقط؛ وعلى ذلك التقى الاثنان، الرسول وراعي الخنازير العظيم، لنفس المهمة، مهمة حمل النبأ إلى السيدة، فلما بلغا قصر الملك الشبيه بالإله، أعلن الرسول في وسط الخادمات، قائلاً: «الآن فقط، يا ملِيكِي قد عاد ابنُك من بولوس».

اقرب راعي الخنازير من بينيلوبي وأفضى إليها بكل ما طلب منه ابنها العزيز أن يقوله. وبعد أن أخبرها بكل ما أمر به، قفل راجعاً إلى الخنازير وترك الفناء والساحة.

## المغازلون يتناقشون فيما بينهم

بيد أن المغازلين قنطوا وتخاذلَت أرواحهم، وخرجوا من الساحة عَبْر سور الفناء العظيم، وجلسو أمام الأبواب، ثم قام بعد ذلك يوروماخوس بن يولوبوس، في وسطهم وتَكَلَّم أولهم، فقال:

«أيها الأصدقاء، الحق أن عَمَلاً عظيماً قد تَم بوقاحة على يد تيليماخوس، ذلك هو الرحلة، التي كنا نظن أنه لن يُحْقِّقها. إذن هَلْمُوا بنا، نُنْزَل إلى البحر سفينةً سوداء، خير ما عندنا من السفن، ودعونا نجمع بحارةً مُجَذَّفين حتى يستطيعوا في الحال أن يحملوا الأخبار إلى أولئك الآخرين بسرعةٍ لكي يرجعوا إلى الوطن.»

ما كاد ينتهي هذا من كلماته، حتى استدار أمفينوموس *Amphinomus* في مكانه، فرأى سفينةً في الميناء العميق، ورجالاً يطُوون الشراع، وفي أيديهم المجازيف، فضحك ملء شدقيه، وقال وسط رفقائه:

«إذن فلا تبعثوا برسالة بعد الآن؛ فها هم في الوطن. إما أن أحد الآلهة قد أخبرهم بهذا، وإما أنهم رأوا بأنفسهم مركب تيليماخوس وهو مارًّ بهم، ولكنهم لم يستطيعوا اللاحق به.»

ما إن قال هذا، حتى نهضوا وذهبوا إلى ساحل البحر، وبسرعةٍ سحب الرجال السفينة السوداء فوق الشاطئ، وحمل الخدام المزهُون أسلحتهم. أما هم فذهبوا في الوقت نفسه جمِيعاً إلى مكان الاجتماع، ولم يسمحوا لأحدٍ بالجلوس معهم، سواءً أكان شاباً يافعاً أو عجوزاً كهلاً، فقام في وسطهم بعد ذلك أنتينوس *Antinous*، ابن يوبائيثيس *Eupeithes*، وخطابهم بقوله:

«ويحكم! انظروا الآن كيف خَلَصَت الآلهة هذا الرجل من الهلاك. لقد ظل المراقبون يجلسون فوق المرتفعات ذات الرياح يوماً بعد يوم، الحارس يتلوه الحارس باستمرار، ولم نذهب إلى الشاطئ قَط عند غروب الشمس، بل كنا دائمي الإبحار بسفينتنا السريعة عَبْر الخَضْم الواسع حتى مطلع الفجر الالامع، منتظرِين تيليماخوس، حتى يمكننا أن نقبض عليه ونقتله، ولكن في الوقت نفسه جاء به أحد الآلهة إلى الوطن، فلا يسعنا إذن، إلا أن نُدْبِّر له ميَّة شنيعة، ولا ندعه يُفْلِتُ من أيدينا؛ إذ حسب اعتقادِي لن ننجح في عملنا هذا طالما هو على قيد الحياة؛ لأنَّ هو نفسه سيد الرأي في المشورة والحكمة، ولن يُبْدِي القوم لنا أي رضيٍّ بعد الآن، فهيا، تعالوا قبل أن يجمع الآخرين في مكان الاجتماع؛ إذ أعتقد أنه لن يُبْطِئ في العمل بأية حالٍ من الأحوال، ولكنه وقلبه يفيض غضباً، سيقف وسطهم ويعُلِّن

لهم كيف أنتا دَبَرْنا له ال�لاك الشامل، بيد أنتا لم نتمكن من القبض عليه، فإذا ما أحبطوا  
علمًا بأعمالنا الشريرة ساءت سمعتنا لديهم، خذوا حذركم إذن، لئلا يُدْبِرُوا لنا ضررًا ما  
ويطردونا من مدینتنا، فنلجلأ إلى بلاد الأغраб. هلموا بنا، إلى العمل أولاً، لنقض عليه  
في الحقول بعيدًا عن المدينة، أو في الطريق. ولنحتفظ نحن أنفسنا بأمواله، وكذا ثروته،  
ونقتسمها بالعدل فيما بيننا، ولو أنتا سُنْعَطِي البيت لوالدته ملِكًا لها، ولمن يتزوجها. ومع  
ذلك فإن كانت لا تروقكم هذه الخطة، بل تُفْضِّلُونَ أن يظل حيًّا ويحتفظ بكل ثروة آبائه،  
فلنستمر في ازدراد حزينة من أطایب الأشياء ونحن نجتمع سوياً هنا، ولنُغَازِلُها كل رجل  
من ساحته بهدایاه ويُحاول الفوز بها، ولها بعد ذلك أن تتزوج من يُقْدِمُ أحسن شيء،  
ومن كان من حظه أن يصبح سَيِّدَها المقدَّرَ».

### أمفینوموس یعارض خطَّة قتل تیلیماخوس

هكذا تكلَّمَ وخيم الصمت عليهم أجمعين، ثم قام أمفینوموس وسطهم، وخطَّبَ حشدهم.  
لقد كان هو الابن المجيد للأمير نیسوس Nisus، ابن أريتیاس Aretias، وقاد المغاذلين الذين  
قدموه من دوليخیوم، الغنية بالقمح والحسائش، ودون سائر الجميع قد أدخل السرور  
بكلامه على نفس بینیلوبی؛ إذ كان ذا قلبٍ مدرك، فقام بنيةٍ سلیمة، وخطَّبَ حشدهم،  
وتحدَّثَ في وسطهم، قائلاً:

«أيها الأصدقاء، لا رب في أنتي لا أرى أن نقتل تیلیماخوس؛ فما أفظع أن نقتل  
شخصًا من أصلٍ ملكي. كلا هلموا بنا أولاً حاول معرفة إرادة الآلهة؛ فلو وافق على ذلك  
وحي زوس العظيم، لقتلته أنا نفسي، ولأمرتُ سائر الآخرين بعمل ذلك، أما إذا جعلتنا  
الآهله نعدل عن هذا العمل، فإني آمركم بالعدول عنه».

هكذا تكلَّمَ أمفینوموس، فُسِّرَ الجميع من كلامه؛ وعلى ذلك نهضوا من فورهم وذهبوا  
إلى بيت أودیسیوس، ما إن دخلوا، حتى جلَّسوا على المقاعد المصقوله.

### بینیلوبی تظهر أمام العاشقين

بعدئذ اتَّخذَت بینیلوبی الحکیمة رأيًا آخر، أن تُظْهِرْ نفسها للعاشقين، السُّكَعَاءُ اللُّكَعَاءُ؛  
إذ كانت قد عَلِمَت بما يُهَدِّدُ ابنها في ساحتها من ميَّة؛ فقد أخْبَرَها بذلك الرسول میدون،  
الذی كان قد سَمِعَ تَأْمِرَهُمْ؛ وَمِنْ ثُمَّ ذَهَبَتْ في طریقها إلى الساحة مع وصیفاتها. وما إن

وصلت السيدة الفاتنة إلى مكان المغازلين حتى وقفَت بجانب باب الساحة المكينة المبنية وأمسكت خمارها البراق أمام وجهها، وأنحَت باللوم على أنتينوس، وخطابته بقولها: «أيا أنتينوس، أيها الملوء بالوقاحة، ويَا مُدَبِّر الشَّرِ! يقول الناس عنك إنك تتفوق سائر أترابك في بلاد إيثاكا مشورةً وحديثاً، ولكن يبدو أنك لست ذلك الرجل، أيها المأفون! لماذا تُدَبِّر الموت والقضاء ليتيماخوس، ولا تكتثر بالمتضرِّعين، الذين يُعتبر زوس شاهدهم. ليس من التقوى أن يُدَبِّر أحدكم الشر للأخر. ألا تذَكُّر الوقت الذي جاء فيه أبوك إلى هذا المنزل مستجيراً وفي هلع من الشعب؟ الحق أن الشعب كان غاضباً عليه أشد الغضب؛ إذ انضم إلى قراصنة تافيين ونهبوا الثيسبروتين، حلفاءنا. لقد كانوا يريدون قتله وقتئذ، وسلب حياته بالقوة، وابتلاع حياته العظيمة السارّة ابتلاغاً شاملًا، ولكن أوديسيوس منعهم، وأوقفهم رغم ثورتهم. إن بيته هو هذا الذي تستهلكون ما فيه الآن بدون وجه حق، وتُغَازِّلُون زوجته، وتُحاوِلُون قتل ابنه، فتجلبون على قلبي حزناً بالغاً. كلا تريثوا، إنني آمركم، وأمر غيركم بالترثٍ.»

### يوروماخوس يُهُدِّي من رُوعٍ بينيلوبي

عندئِنْ أجابها يوروماخوس بن بولوبوس، بقوله: «يا ابنة إيكاريوس، يا بينيلوبي الحكيمَة، انتشري صدراً ولا تدعِي هذه الأمور تعَكُّر صفو قلبك. لا يعيش، ولن يعيش ولن يُولَد قط، من يضع يديه على ابنك تيليماخوس طالما أنا حي وأرى النور فوق الأرض. هكذا أقول لك، وهذا ما سوف يحدث حَقّاً: فلسوف تجري بسرعةِ دماء ذلك الرجل السوداء حول رحمي؛ لأنكِ إن أردتِ الحق، فكثيراً أَيْضًا، ما جثاً أوديسيوس مخرب المدن على ركبتيه، ووضع لحماً مشوياً في يدي، وحمل إلى شفَّتيِّ خمراً صهباء؛ لذلك كان تيليماخوس أعزَّ جميع الناس عندي، وإنني لآمره ألا يهاب الموت، على الأقل بيد المغازلين، أما إن كان من لدن الآلهة فلن يستطيع أحد أن يتحاشر». «تكلّم هكذا ليرضيها، ولكنه في الحقيقة كان يُدَبِّر قتل ذلك الابن، ومن ثمَّ صَعِدَت إلى حجرتها العليا المتألقة، وطَفِقَت تبكي أوديسيوس، زوجها العزيز، إلى أن ألقت أثينا، ذات العينين النجلاءِ، النوم الذي علَى جفنيها.

### أثينا تُحَوِّلْ أوديسيوس إلى شَحَّاذ عجوز

عندما أقبل المساء عاد راعي الخنازير الطيب إلى أوديسيوس وابنه وكانا منهملين في إعداد عشاءهما؛ إذ نحرا خنزيرًا حولياً. وبعد ذلك اقتربت أثينا من أوديسيوس بن لايرتيس،

فضربته بصولجانها فغدا من جديد رجلاً عجوزاً، ووضعت حول جسمه أسمالاً رثة، لئلا يُحْدِق فيه راعي الخنازير ببصره فيعرفه. وقد ينطلق لينقل البشري إلى بينيلوبي الثابتة الجنان، ولا يكُن السر في قلبه.

بادر تيليماخوس راعي الخنازير بقوله: «ها أنت قد جئت يا يومايوس الطيب، ما أخبار المدينة؟ أوصل المغازلون المتغطسون الآن إلى المنزل من گمینهم، أم لم يزالوا في انتظاري حيث هم؛ ليغتالوني وأنا في طريقني إلى الوطن؟»

إذن ردت عليه، يا راعي الخنازير يومايوس، فقلت: «لم أكن أُزمع التجول في المدينة، لأسأل وأستعلم عن هذا، فقد أمرني قلبي بأن أرجع إلى هنا بغاية السرعة بعد أن أبلغ رسالتي. بيد أن رسولًا، سبقني ونمى الخبر إلى والدتك، رسولًا سريعاً من رفقائك. إنني لعلى يقين من هذا الأمر؛ لأنني أبصرتُه بعيوني رأسي. و كنتُ في ذلك الوقت فوق مرتفع يُطل على المدينة، حيث يُوجَد تل هيرميس، وأنا ذاهب في طريقني، فإذا بي أرى سفيننة سريعة تدخل ميناءنا، وكان بداخلها رجال عديدون، كما كانت أيضًا محملةً بالدروع والرماح ذات الأسندة المدببة المزدوجة، فُخِيلَ إلىَّ أنهم أولئك الرجال، ولكن لم أكن ذا علم أكيد.» هكذا قال يومايوس، وابتسم تيليماخوس القوي العتيد، وحدَّج أباه بنظره ولكنه تحاشى عيني راعي الخنازير.

وبعد أن انتهوا من عملهم وأعدوا الطعام، انكبُوا يأكلون، ولم تفتقر قلوبهم إلى شيء من الوليمة الفاخرة. حتى إذا ما ملئوا بطونهم وشبعوا من الطعام والشراب، فكَرُوا في الراحة، فناموا ملء جفونهم. °

° الترجمة الحرافية: أخذوا قسطهم من هدية النوم.



## الأنشودة السابعة عشرة

### تيليماخوس يُوصي الراعي بالغريب

ما كاد يلوح الفجر الباكر، ذوا الأنامل الوردية، حتى لبس تيليماخوس العزيز، ابن أوديسيوس المقدس، صندله البديع في قدميه وتناول رمحه القوي، الذي كان يتفق وقبضة يده، وأسرع إلى المدينة، وخطب راعي الخنازير بقوله:

«أبتاه، إبني ذاهب حًقا إلى المدينة، حتى تستطيع والدتي أن تشاهدني؛ إذ أعتقد أنها لن تُكُف عن البكاء المحزن والنحيب الدامع إلا بعد أن تراني شخصياً. وإنني لأعهد إليك بهذه المهمة. أرشد هذا الغريب البائس إلى المدينة، ليمكنه أن يستجدي طعامه هناك، فيجد من يوجد عليه برغيفٍ وقدح من الماء. أما أنا شخصياً فلا يمكنني بأية حال أن أُثْقل على نفسي، بمراعاة مصالح جميع الناس؛ إذ بقلبي ما يكفي من الحزن. ولو أغضب الغريب هذا، فإنه سيكون وبالاً عليه أيًّا وبالاً. فالحقيقة أنني أحب أن أقول الصدق».

بعد ذلك أجاب أوديسيوس الكثير الحيل، قائلاً: «أي صديقي، كن واثقاً بأنني أنا نفسي غير تواقي إلى أن أترك هنا؛ إذ من الخير للسائل أن يستجدي الناس طعامه في المدينة، أكثر مما يستجديه في الحقول، فمن كان لديه شيءٍ أعطيته؛ فما عُدْتُ في السن التي تسمح لي بالبقاء في الضياع لأطیع في كل شيءٍ أوامر المتكهّنين. كلا انطلق في طريقك، فإن هذا الرجل الذي تأموره سيقودني إلى المدينة بمجرد أن أُصطلِّي النار فادفعي نفسي، وتُضحي الشمس حاميةً لأن الملابس التي تسترنِي في غاية البوس، وأخشى أن يقهerni صقيع الصباح، وإنك لـتقول إن المسافة إلى المدينة بعيدة».



اقتربا من المدينة، ووصلما إلى نافورةٍ بدعة الصنعة، رائعة التدفق.

### تيليماخوس يبلغ قصر أمه

هكذا تكلَّم، وانطلق تيليماخوس يُشْق طريقةَ عَبِرِ الضيَّعَةِ بخطىٍ واسعة، وكان يبذر بذورِ الشر للمغازلين، فما إن بلغ القصر الفسيح الأرجاء، حتى وضع رمحه في مكانه، وأسندَه إلى قائمٍ مرتفع، ثم دخل هو نفسه محتازًا العتبة الحجرية.

كانت المربية يوروكليا Eurykleia، أولَ من أبصره وهو يفرش الفراء الصوفية فوق المقاعد الفاخرة الصنع، فهُرَعَتْ إليه وهي تجهش بالبكاء، واجتمَعَتْ سائر الإماء الباقيات حولهما، إماء أوديسيوس الراسخ القلب، وأخذن يُوسِعُنَه تقبيلًا في رأسه وكتفيه مُرْحَبَاتٍ به ترحيبَ المحبة.



### بينيلوبي تستقبل ابنها بالبكاء والقبلات

عندئِ خرجت بينيلوبي الحكيمة من مقصورتها، أشبه ما تكون بأرتميس أو بأفروديتي الذهبية، وانخرطت في البكاء وطوقَت ابنها العزيز بذراعيها، وقبَّلت رأسه وكلتا عينيه الجميلتين، وتحدَّت إليه بكلماتٍ مجنة، وهي تبكي فقالت:

«ها أنت ذا قد جئت، يا تيليماخوس، يا نور عيني الحلو، لقد ظننت أنتي لن أراك إطلاقاً بعد أن رحلت في سفينتك إلى بولوس – سرّاً ورغمَا مني – ل تستقي الأخبار عن أبيك العزيز. هيا إذن خُبْرني عن الحال التي شاهدته عليها».

فأجلها تيليماخوس الحكيم، قائلًا: «لا تُثيِّرِيني إلى البكاء، يا أماه، أتوسل إليك، ولا تُهيجي قلبي في داخل صدري، ما دمت قد نجوتُ من الهلاك الشامل. هيا، استحِمي وارتدِي ثوباً نظيفاً فوق جسمِك، ثم اصعدِي إلى مقصورتك العليا مع إماثك، وأُقِسِّمي لجميع الآلهة بأنك سوف تُقدِّمين ذبيحة من مائة ثور تُحقِّق الرجاء، أملأ في أن زوس يُحَقِّق أعمالَ الآخذ بالثار العادل يوماً ما. أما أنا فسأذهب إلى مكان الاجتماع كي أدعُو إلى منزلنا غريباً حضر معِي من بولوس وأنا في طريقي إلى هنا. لقد جعلته يسبقني مع رفقاء الشبيهين بالآلهة، وطلبتُ من بايرايوس أن يصحبه إلى منزله ويُقدِّم له القرى اللاحقة، ويُظهِر له الاحترام إلى أن أجيء».

هكذا تكلَّم، ولكن كلمتها بقيَت بغير جناح،<sup>١</sup> وبعد ذلك اغتسلَت، وأخذَت لباسًا نظيفًا لجسمها، وأقسمَت لجميع الآلهة بأن تقدِّم ذبيحة من مائة ثور تُحقِّق الرجاء، على أمل أن زوس في يومٍ من الأيام يُحقِّق أعمال الانتقام العادل.

### تيليماخوس يلتقي بالغازلين

أما تيليماخوس فانطلق بعد ذلك مخترقًا الساحة وهو يحمل رمحه في يده، وتبعه كلبان سريعان. وما أعظم الجمال الذي سكبْتُه أثينا عليه! حتى إنه أثار عجب الناس جميعًا عندما أقبل، فاجتمع حوله المغازلون الرقعا، وأخذوا يتحدَّثون إليه بمعسول الألفاظ، بينما هم يفكُّرون بالشر في أعماق قلوبهم. ومع ذلك فإنه تحاشى جمع الرجال الكبير، وقصد إلى المكان الذي كان يجلس فيه مينتور Mentor، وأنتيفوس Antiphus، وهاليثيسس Halitherses، الذين كانوا أصدقاء بيت أبيه منذ الْقِدَم، حيث اتَّخذ مجلسه، فسألوه عن كل شيء. وبعد ذلك اقترب الرماح الشهير بايرايوس، يقود الغريب خلال المدينة إلى مكان الاجتماع، ولم ينأَ تيليماخوس مدةً طويلة عن ضيفه، بل تقدَّم نحوه، وعندئِذ بدأه بايرايوس بالحديث، قائلًا:

«يا تيليماخوس، أسرع بإرسال نساءٍ إلى بيتي، كي أبعث إليك بالهدايا التي قدَّمها لك مينيلاوس».

عندئِذ أجابه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «أي بايرايوس، لسنا نعرف كيف ستتطور الأمور بعد، فلو قتلني المغازلون المغطرسون سرًا في ساحتى لاقتسموا جميع ممتلكات آبائي فيما بينهم، فأرجو أن تتحفظ بهذه الأشياء؛ إذ أُفضل أن تتمتع بها أنتَ نفسك من أن يتمتع بها واحد من هؤلاء. أما إذا استطعت أن أبذر لهم بذور الموت والقدر، فاحضر عندئِذ كل شيء إلى منزلي بسرور، وعندئِذ سأكون مغتبطاً».

### تيليماخوس يُقص على أمه أخبار رحلته

ما إن قال هذا، حتى قاد الغريب الذي بلغ به التعب غايتها، إلى المنزل، فلما وصلَ إلى البيت الفسيح، وضعَ عباءَتيهما فوق الكراسي والمقاعد العالية، ودخلَ الحمامات اللامعة

<sup>١</sup> أي إنها لم تُجب، ولم تُخرج الألفاظَ من فمها.

واغسلوا. وبعد أن غسلتهما الخادمات ودهنَ جسميهما بالزيت، وألقين فوقهما جلبابين وعباءتين من الصوف، خرجا من الحمامات وجلسا فوق الكراسي. بعد ذلك أحضرت خادمة ماءً للأيدي في إبريقٍ بديع من الذهب، وسُكّبته في طستٍ من اللَّاجِن حتى يستطيعاً أن يغسلَا أيديهما، وجاءت إلى جوارهما بخوان مصقول، فأحضرت ربة البيت الصارمة خبزاً وضعته أمامهما، ومعه لحم بكميةٍ وفيرة، مانحة من خزينها بسخاء. وجلست والدة تيليماخوس قبالتَه بجوار قائم بباب الساحة، متكتئةً على كرسيٍ تَغَزِّلُ خيوطاً رفيعة من الكتان. وهكذا مَّا أيدَيهما إلى الطعام الشهي الذي أُعِدَّ وُوُضِعَ أمامها، فلما ملأ بطنيهما من الطعام والشراب، بدأتهما **بينيلوبى الحكيمية** بالحديث، فقالت:

«أي تيليماخوس، الحق أنني سأصعد إلى مقصوري العلية وأستأقي فوقِ فراشي، الذي غدا بالنسبة لي فراش البكاء، أُبَلِّه بدموعي دائمًا، منذ ذلك اليوم الذي رحل فيه أوديسيوس إلى إليوس مع أبناء أتريوس، ولكنك لا تهتم، قبل أن يدخل المغازلون السكعاء إلى هذا المنزل، أن تُخْبِرني بصراحة عن عودة أبيك، إذا كنت قد سمعت شيئاً.»

فأجابها تيليماخوس الحكيم، قائلًا: «إذن حقاً يا أماه، سأُخْبِرُك بالحقيقة كلها. لقد ذهبنا إلى بولوس عند نسطور، راعي الشعب، فأحسن استقبالي في منزله الشاهق وقدم لي الضيافة الطيبة، مُرْحِبًا بي ترحيب الأب بابنه الذي جاءه من تَوْه بعد غيابٍ طويل في مكان قصي. لقد أكرم وفادي مع أبناءِ الأَمْجَاد بمثل هذه الطيبة، ومع ذلك، فقد قال إنه لم يسمع شيئاً عن أوديسيوس الراسخ القلب، سواء أكان على قيد الحياة أم في عِداد الأموات، من أي إنسانٍ على وجه الأرض، ولكنه بعث بي في عربة ذات مفاصل تجُّرُّها الخيول إلى مينيلاوس بن أتروبوس الرماح المشهور. وهناك شاهدتْ هيلينا الأرجوسية، التي قاسي الأرجوسيون والطرواديون كثيراً من المشاقٍ من أجلها بإرادة الآلهة. وفي الحال سألني مينيلاوس الرائع في صيحة الحرب، مستعلمًا عن السبب الذي من أجله جئتُ إلى لاكيديايمون العظيمة، فأخْبَرْتُه بالحقيقة كلها. بعد ذلك أجابني، وقال:

«سُحْقاً لهم! لأنهم حقاً كانوا يتوقون إلى الاضطجاع في فراشِ رجلِ جريءِ القلب، أولئك الجناء الرعاعي. كما يحدث تماماً أن غزالة ترقد في عرين الليث لتنبِّئ صغارها الرضُّح الحديثة المولدة، ثم تخرج فتتجوّس فوق منحدرات الجبال وفي الوديان الخضراء بحثاً عن المراعي، وبعدئذ يأتي الليث إلى عرينه فيُنْزَل بالصغار مصيراً قاسياً. هكذا سوف يُنْزَل أوديسيوس مصيراً قاسياً بأولئك الرجال. وإنني لأطلب منك يا أبناه زوس، وأنت يا أثينا، ويا أبوُلو، أنه بمثل تلك القوّة كما حدث مرّة في ليسبوس Lesbos البديعة الإنسـاء

عندما نهض وتصارع في جولة مع فيلوميلاديس<sup>٢</sup> فألقاه بعنف، وابتهدج جميع الآخرين، بمثل تلك القوة أتمنى أن يهجم أوديسوس وسط المغازلين، ولি�تهم جميعاً يلاقون هلاكاً سريعاً ومرارةً في مغازلتهم. أما عن هذا الأمر الذي تتوصل إليَّ وتسألني عنه، فالحق أنني سأخبرك به ولن أخرج عنه بحرف واحد لأنكلم في أمورٍ أخرى، كما أتنى لن أغشَّك، ولكنني لن أخفي شيئاً واحداً، أو أكتُمها، مما أخبرني به عجوز البحر الذي لا يُخطئ قط. قال إنه رأى أوديسوس في جزيرة حزيناً أشدَّ الحزن وأمضَه، في ساحات الحورية كالويسو، التي تحجزُه عندها بالقوة. وإنه غير مستطيع العودة إلى وطنه؛ إذ ليس عنده سفنٌ ذات مجاذيف ولا رفاق ليأخذوه في طريقه عَبْر ظهر البحر الفسيح.»

هذا ما قاله مينيلاوس بن أتريوس، الرماح الذائع الصيت. ولما انتهيتُ من كل هذا أقلعتُ إلى وطني، ووهبني الخالدون ريحًا معتدلة وأحضروني بسرعة إلى وطني العزيز.»

### ثيوكلومينوس يتمنى بأن أوديسوس موجود في وطنه

هكذا تكلَّمَ تيليماخوس وأثار القلب في صدر أمه، ثم نهض وسطهما ثيوكلومينوس<sup>٣</sup> الشبيه بالإله وتحدَّث إليهما قائلاً:

«يا زوجة أوديسوس بن لايريتس، المجلَّة، الحق أنه ليس واضح الإدراك، ولكن هل لك أن تُصْغِي إلى كلماتي؛ لأنني سأتمنى لك بمعرفةِ أكيدة، ولن أخفي عنك شيئاً، فكن شاهدي يا زوس فوق جميع الآلهة، ولتشهد علىَّ هذه المائدة المضيافة ومدفأة أوديسوس النبيل الذي إليه جئت. إن أوديسوس موجود الآن حَقّاً في وطنه، مستريحاً، أو متحركاً على علمٍ تام بهذه الأعمال الشريرة، وإنه ليبدُّر بذور الشر للمغازلين؛ ففي غاية الوضوح أبصرتُ طائراً فَأَلْ وَأَنَا جَالِسٌ فوق السفينة ذات المقاعد، وأعلنتُ الأمر لـتيليماخوس.»

<sup>٢</sup> ملك ليسبوس الذي كان يُضطَّر المسافرين أن يقاتلوا. وقد قتله أخيراً أوديسوس.

<sup>٣</sup> مُنْجٌ عاش في العصر الهومري. ابن المنجم بولوفايديس سليل بيت ميلامبوس. اضطُر إلى الفرار من بيته في أرجوس حيث قتل أحد المواطنين، فلما ذهب إلى بولوس قابيل تيليماخوس يبحث عن أخبار والده أوديسوس وطلب حمايته. أخذه تيليماخوس معه إلى إيتاكا حيث أطلع ثيوكلومينوس ببنيلوبى بدهائه أن أوديسوس في بلده، وتنبأ مرة أخرى لغازلي ببنيلوبى عن مصيرهم، ولكنهم قابلوا نبوءته بالازدراء والسخرية.

فأجابته بينيلوبي الحكيمة، قائلة: «آه! أيها الغريب، ليت كلمتك هذه تتحقق، إذن لعرفت العطف مني بسرعة ونلت هدايا كثيرة، حتى إذا ما قابلت شخص سماك المحظوظ.»

### ميدون يدعو المغازلين إلى تناول الطعام

هكذا تحدث كل واحد إلى الآخر. أما المغازلون ففي الوقت نفسه كانوا يطربون أمام قصر أوديسيوس، يقذفون الجلة والرمح في مكان مستو، بصفاقه قلب، كما كانت عادتهم. بيد أنه عندما أقبل المساء وحان موعد العشاء، وعادت القطعان من سائر أنحاء الحقول، وجاء بها الرجال الذين كانوا يقودونها دائمًا، تحدث إليهم ميدون، الذي دون جميع الرعاة، كان محبيا إلى قلوبهم غاية الحب، وكان دائم الحضور إلى ولائهم، فقال:

«أيها الشباب، أما وقد أدخلتم الآن السرور إلى قلوبكم جميعاً بالرياضة، فهلموا بنا إلى المنزل لكي نُعد مأدبة؛ فليس من المرذول أن يتناول المرء طعامه في موعده.»

ما إن قال هذا حتى نهضوا منصرفين، وأطاعوا قوله، فلما بلغوا البيت الفسيح الأرجاء وضعوا عباءاتهم فوق الكراسي والمقاعد العالية، وشرع الرجال يذبحون الكباش الضخمة والمعيز السمينة، نعم والخنازير المسمنة، وعجلة من القطيع، حتى أعدوا الوليمة. وفي تلك الأثناء كان أوديسيوس وراعي الخنازير الطيب يُسرعان ليذهبان من الحقل إلى المدينة، وبدأ راعي الخنازير قائد الرجال، يتحدث أولاً، فقال:

«أيها الغريب، طالما أنك تتوجه إلى الذهاب إلى المدينة اليوم، كما أمر سيدي — رغم أنني شخصياً أُثير أن أترك هنا لترحُس الضياعة، غير أنني أحترمه وأحشاه، لئلا يلومني فيما بعد، وأن تعنيف السادة لبالغ القسوة — فهيا الآن، هلم بنا نذهب حيث إن اليوم قد مضى منه أكثره، وسرعان ما سيكون أشدّ برداً عندما يُقبل المساء.»

### يومايوس يقود أوديسيوس إلى قصر أمه

عندئذ أجابه أوديسيوس الكثير الحيل، قائلًا: «أرى ذلك، وأعمل حسابه، وإنك لتأمر بهذا شخصاً ذا إدراك. تعال، دعنا نذهب، ولكن مرشدك طوال الطريق، ولكن أعرني عكازةً أتوّكأً عليها، لو كان لديك عصاً مقطوعة في أيّ مكان، فإنك قلت إن الطريق حقاً مملوقة بالغدر.»

قال هذا، وألقى حول كتفيه جرابه المهاهل، الكثير الثقوب، معلقاً بحبلٍ مجدول، وأعطاه يومايوس عصاً كما أراد. وهكذا انصرفَا يسيران قدمًا في طريقهما، بينما بقيت

الكلاب والرعاة وراءهما هناك لحراسة الضَّيَعَة، فقد راعي الخنازير سَيِّدَه إلى المدينة في هيئة شَحَّاذٍ عجوز بائس، يتکَي عکارته، ويرتدي أسمالاً بالية فوق بدنَه. بعد أن مشى الاثنان بحذاء الطريق الوعُر، اقتربا من المدينة، ووصلَا إلى نافورةٍ بدعة الصنعة، رائعة التَّنفُّق، كان القوم يستقون الماء منها كان قد صنعها إيثاكوس Ithacus ونيريتوس Neritus وبولوكتور Polyctor، وكان هناك حولها غابةٌ من أشجار الصفاصاف، التي كانت تنمو بجانب المياه، تُحيط بها من كل جانب، وكانت المياه الباردة تتدفق من الصخرة أعلىها منحدرة إلى أسفل، وقد شُيدَ في القمة مذبحٌ للحوريات حيث يُقدم التَّقدِّماتِ كل مارً — فقابلَهما هناك ميلانثوس Melanthus، ابن دوليوس Dolius، بينما كان يسوق نعاجه، خير نعاجٍ كانت في سائر القطعان، ليُعِدُ منها المغازلون ولائمه، ويتبَعُه راعيان، فلما أبصرهما تَحدَّثَ إليهما وحاطبَهما، بكلماتِ التحدِي غير الائقة الفظيعة، مثيراً بذلك قلب أوديسيوس إذ قال:

«يا للعجب! ها هو ذا الآن، الشر يقود الشر حَّقا، كما هي العادة دائمًا، أن يجمع الله الشَّبيهين معًا. إلى أين، بربك، تقدُّمُ هذا البايس القَدِير،<sup>٤</sup> يا راعي الخنازير التعيس، هذا الشَّحَّاذ المقلق لِتُكَدِّر علينا صفو ولائمنا؟ إنه لرجلٌ جدير بأن يقفَ ويُحْكَ كتَيْه في كثيرٍ من الأبواب، يستجدي الناس الفتات، وليس جديراً بالسيوف والقدور،<sup>٥</sup> ولو أعطَيَتني هذا الرفيق ليحرُّس ضَيْعَتي، فَيُنْظَفُ الحظائر ويحمل الأغصان اللدنَة إلى الجداء، وعندئذٍ بشربه مصل اللبن (الشرش) يقوى فخذه، ولكن بما أنه لم يتعلَّم سوى أعمال الشر، فلن يهتمَ بأن يشغل نفسه بالعمل، بل يُؤثِّر التسُكُّع عَبْرَ البلدان، كي يستطيع بالاستجادة أن يملأ بطنه الذي لا يشبع. غير أنني سأصارِحك القول، وسوف يتحقَّق ما أقول بالفعل، لو ذهب إلى قصر أوديسيوس المقدس، لأنهالت حول رأسه مقاعدُ كثيرة، بيد أولئك الذين هم بالحق رجال، وتحظَّمُ فوق ضلوعه،<sup>٦</sup> وهو يُسلَّخ في وسط المنزل.»

قال هذا، وبينما هو يسير ركَل أوديسيوس في حقوِيه، فما أحْمَقَه! ومع ذلك فإنه لم يستطع أن يدفعه بعيداً عن الطريق، بل ثبت في مكانه. وحار أوديسيوس ماذا يفعل،

<sup>٤</sup> معنى هذه الكلمة غيرُ موثوقٍ منه، ولكنها تُترجم دائمًا: «نهم أو جشع».

<sup>٥</sup> أي لمثل تلك الهدايا التي كانت تُقدَّم عادةً للضيوف الأُمَّاء.

<sup>٦</sup> أو: «سوف تطن حول رأسه وفوق ضلوعه».

أينقضُ عليه بعصاه فِي سَلْبِه حِيَاتِه، أَم يَقْبضُ عَلَيْهِ وَيُطْوِقُه بِذِرَاعِه ثُمَّ يَرْفَعُه إِلَى فَوْقِه  
وَيَهُوَيْ بِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَيُحْطِمُ رَأْسَه. بِيدِ أَنَّهُ كَظَمَ غَيْظَه، وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنْ مَأْرِبِه. وَحَدَّجَ  
رَاعِي الْخَنَازِيرَ الرَّجُلَ بِنَظَرَةٍ فِي وَجْهِهِ، وَوَبَّخَهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدِيهِ وَصَلَّى بِصَوْتٍ مَرْتَفَعٍ قَائِلًا:  
«أَيَا حُورِيَّاتِ النَّافُورَةِ، يَا بَنَاتِ زَوْسِ، لَوْ كَانَ أُودِيُّسْيُوسْ قَدْ أَهْرَقَ فَوْقَ مَذَابِحِكَّ  
قِطْعًا مِنْ فِخَادِ الْحَمَلَانِ أَوِ الْجَدَاءِ، مَلْفَوْفَةً بِالْدَّهْنِ الْكَثِيرِ، فَحَقَّقَنِ لِي هَذَا الرَّجَاءُ، قَيِّضْنِ  
لِسَيِّدِي أَنْ يَعُودَ، وَأَنْ يُرِشدَهُ أَحَدُ الْأَلَّاهِةِ. وَعَنْدَئِذٍ يُزَيِّلُ عَنِّكَ كُلَّ هَذِهِ الْمَظَاهِرِ الَّتِي تَزَهُو  
بِهَا وَتَرْتَدِيهَا الْآنَ بِصَفَاقَةِ، هَائِمًا أَبَدًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ، بَيْنَمَا يُحْطِمُ الرَّعَاةَ الْأَشْرَارَ الْقَطِيعِ.»  
عَنْدَئِذٍ أَجَابَهُ مِيلَانْثِيُوسُ، رَاعِي الْمَعِيزِ، بِقَوْلِهِ: «تَبَّا لَكَ الْآنَ، كَيْفَ يَتَكَلَّمُ هَذَا الْقَدْرِ  
وَعَقْلُهُ زَانِرُ بِالشَّرُورِ، فَلَكَخَذَنَهُ ذَاتِ يَوْمٍ فِي سَفِينَةِ سُودَاءِ ذَاتِ مَقَاعِدَ بَعِيدَةً عَنْ إِيَّاكَ،  
لَأَنَّالَّهُ ثَرَوَةً طَائِلَةً. لَيْتَ أَبُولُوُ، ذَا الْقَوْسِ الْفَضِيلَةِ، يَضْرِبَ تِيلِيمَاخُوسَ الْيَوْمَ فِي السَّاحَاتِ،  
أَوْ أَنْ يَقْتَلَهُ الْمَغَازِلُونَ، إِنَّهُ مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنْ يَوْمَ الْعُودَةِ قَدْ ضَاعَ عَلَى أُودِيُّسْيُوسْ فِي بَلْدِ قَصِيٍّ.»

### أُودِيُّسْيُوسْ وَيُومَيُوسْ يَتَبَادَلُانِ الرَّأْيِ

قَالَ هَذَا، وَتَرَكُهُمَا هَنَاكَ يِسِيرَانِ وَتَيَّدَا بَيْنَمَا هُوَ نَفْسَهُ خَطَا إِلَى الْأَمَامِ فَبَلَغَ قَصْرَ الْمَلَكِ  
بِسُرْعَةٍ. وَدَخَلَ مِنْ فُورِهِ وَجَلَسَ وَسْطَ الْمَغَازِلِينَ فِي قِبَالَةِ يُورُومَاخُوسِ؛ إِذَا كَانَ يَمْلِي إِلَيْهِ  
أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الْبَاقِينِ. وَإِلَى جَوَارِهِ وَضَعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْدُمُونَ قَطْعَةً مِنَ الْلَّحْمِ،  
وَأَحْضَرَتْ رَبَّةُ الْبَيْتِ الصَّارِمَةُ خَبِزًا وَضَعَتْهُ أَمَامَهُ لَكِي يَأْكُلُ. أَمَا أُودِيُّسْيُوسُ وَرَاعِي  
الْخَنَازِيرِ الْطَّيْبِ فَلَمَّا اقْتَرَبَ، وَقَفَ وَمِنْ حَوْلِهِمَا كَانَ صَوْتُ الْقِيَاثَرَةِ الْجَوَافِيَّ يَمْلأُ الْجَوَّ؛ لَأَنَّ  
فِيمِيوسَ Phemiusَ كَانَ يَضْرِبُ الْأَوْتَارَ لِيُغْنِي أَمَامَ الْمَغَازِلِينَ؛ بَعْدَئِذٍ أَمْسَكَ أُودِيُّسْيُوسَ بِيدِ  
رَاعِي الْخَنَازِيرِ وَقَالَ لَهُ:

«يُومَيُوسُ، حَقًا إِنَّ هَذَا لِمَنْزِلِ أُودِيُّسْيُوسِ الْجَمِيلِ، مِنَ السَّهْلِ مَعْرِفَتِهِ، رَغْمَ وَجُودِهِ  
وَسَطِ بَيْوِتِ كَثِيرَةٍ. هَنَاكَ بَنَاءٌ فَوْقَ بَنَاءٍ، وَالْفَنَاءُ ذُو سُورٍ وَدِعَامَاتٍ، وَالْبَوَابَاتُ الْمَزَدُوجَاتُ  
مُسُوَرَّاتٌ بِإِحْكَامٍ بِحِيثَ لَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِيهِمَا عِيَّا. وَإِنِّي لَأُلْاحِظُ أَنَّ بِالْمَنْزِلِ نَفْسَهُ رَجَالًا  
كَثِيرِينَ يُولِمُونَ؛ إِذْ تَتَصَاعِدُ مِنْهُ رَائِحَةُ الشَّوَاءِ، وَيُدُوِّي مَعَهَا صَوْتُ الْقِيَاثَرَةِ، الَّتِي جَعَلَتْهَا  
الْأَلَهَةِ رَقِيقَةَ الْمَآدِبِ.»

عَنْدَئِذٍ أَجَبَتِهِ، يَا رَاعِي الْخَنَازِيرِ يُومَيُوسُ، وَقَلَّتْ: «لَقَدْ عَرَفْتَهُ بِسَهْوَةِ؛ لَأَنَّ سَرِيعَ  
الْبَدِيهَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنَّ هِيَا بَنَا نَفَّغَرُ فِيمَا سَنْفَعْلُهُ، وَكَيْفَ نُدْبِرُ أَمْوَالَنَا فَإِمَا أَنْ تَدْخُلَ

أنت أولاً إلى القصر المنيف، وتدخل على جماعة المغازلين وأبقى أنا هنا، أو تبقى أنت هنا، إذا شئت بينما أذهب أنا قبلك، بحيث ألا تتأخر مدةً طويلة، لئلا يراك شخصٌ ما في الخارج ويسلّح جلدك أو يضربك. إنني أمرك بأن تحدّر هذا الأمر.»

فأجابه أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، قائلاً: «أرى هذا وأعتبره اهتماماً. إنك تأمر بهذا أمراً ذا إدراك، فاذهب أنت قبلي، بينما أتخلف أنا هنا؛ لأنني لست بحالٍ ما غير مُتعود الشتم والسلخ. وإن قلبي لجسور؛ إذ قاسيتُ كثيراً من الشرور العظيمة وسط اللجاج وفي ميدان الوعي، فدع هذا أيسّراً يُضف إلى ما سبق أن مضى، ولكن البطن الجائع لا يمكن للمرء أن يُخفيه، ذلك الطاعون اللعين يجلب شروراً بالغة علىبني الإنسان! بسببه أعدت السفن ذات المقاعد، التي تحمل الويلات للأداء عبر البحر الصاخب.»

### أوديسيوس يبكي كلبه والكلب يراه فيموت

هكذا تكلّم كلّ منهما إلى الآخر، وكان هناك كلبٌ راقد، فرفع رأسه ومدّ أذنيه، ذلك هو أرجوس Argos، كلب أوديسيوس، الثابت الجنان، الذي كان قد ربّاه قديماً هو نفسه، ولكنه لم يتمتع به؛ إذ قبل أن تبتهج به نفسه سافر إلى إليوس المقدسة؛ ففيما مضى من الزمان كان من عادة الشبان أن يَصَبُّوا الكلاب معهم لصيد المعiz الوحشية، والغزلان، والأرانب البرية، غير أنه الآن يقع مُهملًا، بعد أن رحل سيدُه غارقاً في روث البغال والماشية العميق، المتراكم في أكواخ أمام الأبواب، إلى أن يأتي عبيد أوديسيوس فينقولوه ليُسمّدوا به حقوله الواسعة. هناك رقد الكلب أرجوس، ملوثاً كله بالآقادار، بيد أنه ما إن أبصر أوديسيوس واقفاً الآن بالقرب منه، حتى حرك ذيله وأرخى أذنيه، ولكن أتى له بالقوة التي تُمكّنه من الحركة ليقترب أكثر من سيده. وعندئذٍ أدار أوديسيوس وجهه جانبًا ومسح عَبْرَة، مُخفيًا عن يوماً يوس ما فعله في سهولة، وفي الحال سأله، بقوله:

«يا يوماً يوس، من الغريب حقاً أن يرُقد هذا الكلب هنا في الروث. إنه جميل المنظر، ولكني لستُ أعرف تماماً ما إذا كان لديه سرعة في الإقدام تتناسب وهذا الجمال أم إنه ليس سوى كلبٍ كبقية كلاب الموائد، التي يحتفظ بها سادتها من أجل منظرها.»

فردَّتَ عليه إذن، يا راعي الخنازير يوماً يوس، فقلت: «كلا في الحقيقة إن هذا كلب رجلٍ مات في بلِّ قصي، ولو كان على ما كان عليه من النشاط والمنظر الذي تركه عليهما أوديسيوس عندما رحل إلى طروادة، لذهبَتْ لِتُوك عندما ترى سرعته وقوته؛ فما من

مخلوق طارده في أعماق الغابة استطاع أن ينجو منه، كما أنه كان حادّ الشم في اقتداء الآخر. أما الآن فإنه يعاني محنّة شريرة؛ إذ مات سيده بعيداً عن وطنه، ولم تُعرّه السيدات المهملات أي اهتمام؛ فمتنى فقد السادة قوتهم، ما عادت للخدم رغبة في القيام بالخدمة بإخلاص؛ لأن زوس، الذي يحمل صوته نائياً يسلب الرجل نصف قيمته، إذا ما حل يوم استعياده.»

### يومايوس ينضم إلى حشد المغازلين

ما إن قال هذا حتى دخل المنزل الفسيح وانطلق من فوره إلى الساحة لينضم إلى حشد المغازلين الأمجاد. أما أرجوس، فقد حل به مصير الموت الأسود بمجرد أن رأى أوديسيوس بعد عشرين سنة.

وبينما كان راعي الخنازير يسير الآن خلال الساحة كان تيليماخوس شبيه الإله أولَ من رأه، فأسرع يستدعيه إلى جانبه بإيماءة من رأسه، فتطلع يومايوس حواليه وتناول مقعد أقدام بقربه، كان من عادة نادل قطع اللحوم أن يجلس فوقه عندما يقطع شرائح اللحم الوفيرة للمغازلين، وهم يُولِّمون في الساحة، فأخذ ذلك المقعد ووضعه عند مائدة تيليماخوس، قبالتَه، ثم جلس هو نفسه، فتناول أحد الخدم شريحة لحمٍ ووضعها أمامه، وكذلك خبراً من السفط.

### أوديسيوس يدخل قصر أمه في هيئة شحاذ

بعد هذا بقليل دخل أوديسيوس القصر في هيئة شحاذٍ بائس فتَّ في عضده السنون، يتوكأً على عصاً، ومرتدياً أسمالاً مهلهلةً فوق جسده، فجلس على العتبة الحافلة بالرماد من داخل الباب، مُسندًا ظهره إلى قائم الباب الخشبي، الذي صقله فيما مضى بالمسحح نجارٌ ماهر، وسواه كالخط المستقيم. بعد ذلك استدعي راعي الخنازير تيليماخوس إلى جانبه، وتناول رغيفاً كاملاً من السفط الجميل، وكل ما تستطيع يداه أن تأخذاه بقبضتيهما من اللحم، ثم تحدَّث إليه قائلاً:

«خذ هذا الطعام وأعطيه ذلك الشحاذ، ومره بأن يدور بنفسه على المغازلين ويستجديهم فرداً فرداً؛ فليس من الخجل بالصاحب الملائم لمن كان ذا مسغبة.»

## تيليماخوس يُطعم أوديسيوس والأخير يستجدي المغازلين

هكذا قال فذهب راعي الخنازير، عندما سمع ذلك الكلام، وما إن تقدّم نحو أوديسيوس، حتى خاطبه بعباراتٍ مجنحة،<sup>٧</sup> قائلًا: «أيها الغريب، إن تيليماخوس يُعطيك هذا، ويأمُرك بأن تدور على المغازلين و تستجديهم فرداً فرداً؛ فالخجل كما يقول غير جدير بابن السبيل.»



عندئِنْ أجابه أوديسيوس المتعدد الحيل، فقال: «أيها الملك زوس، هب، أتوسَل إلَيْكَ أَنْ يصبح تيليماخوس مبارِّكاً بين الناس، وينال كل ما يشتهيه قلبه.»

<sup>٧</sup> أي: «سريعة.»

قال هذا وتناول الطعام في كلتا يديه ووضعه أمام قدميه فوق جرابه الملهل، ثم طِفِق يأكل طوال أن كان النشد يُغْنِي في الساحات. وبعد أن تعشى، وكفَ المغني المقدس عن الإنشاد، انفجر المغازلون في ضجيج في شتى أنحاء الساحات، وعندئذٍ اقتربتْ أثينا من أوديسيوس بن لايرتيس، وحَتَّى على أن يذهب وسط المغازلين ويجمع قطع الخبر، ويعرف مَنْ منهم المخلص وأيهم المتمرد. ومع ذلك فإنها لم تكن تبغي إنقاذ أي واحدٍ منهم من ال�لاك؛ ومن ثُمَّ شرع أوديسيوس يستجدي كل رجل، بادئاً من اليمين، وباسطًا يده في كل جانب، كما لو كان شَحَّاداً عريقاً في التسُّول، فأشْفَقُوا عليه وأعطوه، وتعجَّبوا منه، متسائلين فيما بينهم عمن يكون هذا ومن أين جاء.

### المغازلون يتذمرون من وجود الشَّحَّاد بينهم

فنهض عندئذٍ ميلانثيوس، راعي المعiz وسطهم، وقال: «استمعوا إلَيَّ، يا مغازلي الملة المجيدة، فيما يختص بهذا الشَّحَّاد؛ لأنني رأيته حَقًّا من قبل. إن راعي الخنازير هو الذي قاده حَقًّا إلى هنا، أما الرجل نفسه فلستُ أعلم على وجه التحقيق من أي مكانٍ يعلن مولده». «

هكذا تكلَّم، وعَيْر أنتينوس راعي الخنازير، قائلاً: «يا راعي الخنازير يا سيء السمعة، لماذا بربك أحضرتَ هذا الرجل إلى المدينة؟ أليس لدينا ما يكفي من المتسكعين غيره، ومضائقات من الشحاذين لتعكُّر صفو ولائمنا؟ ألا تعتقد أنه يكفي أنهم يحتشدون هنا ويلتهمون أموال سيدك، حتى تجيء إلينا بهذا الرفيق أيضًا؟»

إذن ردَّتْ عليه يا يومايوس يا راعي الخنازير، فقلَّتْ: «أيا أنتينوس، ما هذه الكلمات التي تفوَّهَتْ بها بالعبارات الجميلة، رغم أنك نبيل؟ من ذا بربك يحاول من تلقاء نفسه ألا يُرْحَب بغريرٍ قادم من بلدٍ آخر، إلا إذا كان الغريب من السادة ذوي المهن العامة، كأن يكون نبيّاً، أو طبيباً يداوي الأمراض، أو بناءً، نعم أو منشداً مقدساً، يُدخل السرور على النفوس بغنائه؟ لأن مثل هؤلاء الرجال يُرْحَب بهم في جميع أنحاء الأرض الفسيحة. ومع ذلك فما من أحد يعتبر الشَّحَّاد عبِّا عليه، بيد أنك قايس دائمًا من دون سائر المغازلين على خدم أوديسيوس، ولا سيما عليَّ، ولكنني لن أكتثرَ لذلك، طالما تعيش سيدتي بينيلوبى الحازمة، في الساحة، وكذلك تيليماخوس شبيه الإله.»

عندئِد رَدَّ عليه تليماخوس الحكيم، بقوله: «صه، فإني أمرك بأن تلزم الصمت، ولا تردَّ على هذا الرجل بكلامٍ كثير؛ لأن أنتينوس مُتعود دائمًا أن يُثير الغضب بخث، بالألفاظ الخشنة، نعم، ويُحثُّ غيره أيضًا على ذلك.»

### تليماخوس ينادى المغازلين مساعدة الشَّحَاد الغريب

ثم خاطب أنتينوس بكلماتٍ حادة، قائلًا: «أنتينوس حَقًا إنك لتهتم تماماً، كما يهتم الوالد بولده؛ إذ تأمرني بطرد هذا الغريب من الساحة بكلماتٍ محتمة. ليت الرب لا يُحِقْ قُرْبَةً مثل هذا الشيء قَطَّ، كلا خذ وأعطيه شيئاً ما. إيني لا أحمل لك أية ضغينة، بل بالحربي أمرك شخصيًّا بأن تُقدِّم له شيئاً، ولا تعمل حساب والدتي في هذا الشأن، ولا أَيُّ واحدٍ من العبيد الموجودين بمنزل أوديسسيوس المقدَّس، ولكن ما أقصده حَقًا في دخلية نفسي يختلف تمام الاختلاف؛ لأنك تتلهَّف كثيرًا إلى أن تأكل، دون أن تعطي شيئاً ما لشخص آخر.»

فأجابه أنتينوس، يقول: «يا تليماخوس، أيها المقوال، الذي لا حد لجرأته، ما هذا الذي قلت؟! لو أعطاه سائر المغازلين بقدر ما أعطيته، لضاق هذا البيت بعد ثلاثة أشهر عما يجمعه.»

### أوديسسيوس يستجدي أنتينوس

هكذا تكلَّم، وأمسك بمقعد الأقدام الذي كان من عادته أن يريح قدميه عليه وهو جالس إلى المائدة يوم، وأخرجه من تحت الخوان، حيث كان موضوعًا. أما جميع الباقين فقدَّموا له هدايا، فملئوا الجراب بالخبز وقطع اللحم، وعندئِد كان أوديسسيوس يميل الآن إلى أن يعود إلى موضعه عند مدخل الباب، وعَجْم عود الآخرين بدون ثمن،<sup>٨</sup> فوقف إلى جوار أنتينوس، وتحدَّثَ إليه، قائلًا:

«أيها الصديق، أعطني هديةً ما؛ فإنك لا تبدو في ناظري أحط الآخرين، بل بالأحرى أعرَقَهم نبلاً؛ إذ أنت أشبه بملك؛ ومن ثُمَّ فإنه لجدير بك أن تُعطيوني على الأقل كسرة

<sup>٨</sup> أي: يختبر جودهم بمنفِّس متسامحة، ويترجمها آخرون: «كان على وشك أن يتذوقَ كرم الآخرين».

من الخبز أكثر مما يعطيه الباقيون، وبذا تجعل صيتك دائمًا في جميع أرجاء الأرض الفسيحة؛ لأنني أنا أيضًا كنتُ أسكنُ ذات مرة في مسكنٍ ملكي وسط رجال، فكنتُ امرأً واسع الثراء في منزلٍ ثري، وكثيرًا ما أعطيت هداياً لأبناء السبيل، مهما كانوا هم ومهما كانت الحاجة التي أتوا من أجلها. كما كان عندي من العبيد ما يفوق الحصر، وكذلك من جميع الأشياء الأخرى كمياتٍ وفيرة، من الأشياء التي يعيش بها الرجال عيشة البذخ ويشتهرون بها بأنهم أثرياء، ولكن زوس بن كرونوس، أنهى كل شيء إلى لا شيء<sup>١</sup> — فهكذا على ما أعتقد كانت مَسَرَّته الكبرى — فقد بعث بي بعيدًا إلى مصر مع بعض القرصنة الجوَّابين، في رحلةٍ نائية؛ كي أقابل هلاكي، فأرسلت سُفْنِي المعقوفة في نهر أيجوبتوس، ثم أمرت زملائي الأوفياء أن يبقوا هناك لحراسة السفن، وبجوارها، وأرسلتُ العيون إلى أماكن الاستطلاع هناك. بيد أن رفقاء استسلموا لشهواتهم بمحض قوتهم، فشرعوا في الحال يُخربون حقول شعب مصر الجميلة، وخطفوا النساء والأطفال الصغار، وقتلوا الرجال، وسرعان ما طار الصياح إلى المدينة، فلما سمع أهلها الصراخ هُرِع الناس عند الفجر، وعَجَ السهل كله بالمشاة والعربات والبرونز البراق. وعندئذ أُنْزَل زوس، الذي يقذف بالصاعقة، ذعراً شريراً على رفقي، فلم تكن لدى أيٍ واحدٍ منهم الشجاعة ليثبت في مكانه ويواجه العدو؛ إذ أحاطت بنا المصائب من كل جانب. وبعد ذلك قتلوا كثيراً منا بالبرونز الحاد، وأسرّوا آخرين أحياءً وقادوهم إلى مدينتهم ليُسخِّرُوهُم في أعمالهم بالقوة. أما أنا فعهدوا بي إلى صديقٍ قابلهم ليأخذني إلى قبرص إلى دميتور Dmetor ابن إياتوس<sup>٢</sup> الذي كان يُحْكِم بقوسٍ على قبرص، ومن هناك جئتُ إلى هنا، كاسف البال».

### أنتينوس يعتدي على الشحاذ بالضرب

فأجابه أنتينوس، بقوله: «أي ربٌ جلب هذا الشر إلى هنا ليُكثّر علينا صفو وليمتنا؟ ابتعد هناك إلى الوسط، وقف بعيدًا عن مائتي، لئلا تكون قد جئت إلى مصر أكثر مرارة وإلى قبرص أشد إيلاماً؛ فإنني أرى أنك شحاذٌ جريء عديم الحياة، لقد طفت بكل رجل بدوره،

<sup>١</sup> ابن زوس وإليكترا. أحبتَه ديميتير فأنجب منها بلوتوس، فقتله زوس لذلك بإحدى صواعقه.

وأعطوك بطيش؛ فما من رادعٍ يكبح المرء عندما يوجد بأموال غيره، طالما كان بجوار كل رجلٍ ما يكفيه.»

عندئٍ تراجع أوديسيوس الكثير الحيل إلى الخلف، وردَّ عليه بقوله: «عجبًا! الآن يبدو أنه ليست لديك على الأقل تلك الحصافة التي تُناسب جمالك. حقًا، ما كنت لتعطيني شيئاً من مالك الخاص، ولا حتى ذرة من الملح تجود بها على من يتضُّر إليك، أنت يا من الآن، وقد جلست إلى مائدة غيرك، لا تجد القلب لأن تُعطيَنِي شيئاً من الخبر، مع أنه يوجد هنا في متناول يدك كمياتٌ وفيرة منه.»

ما إن قال هذا، حتى استنشط أنتينوس غيظًا في قلبه، وحَدَّجَه بنظرة غضبٍ مُقطبًا حاجبَيه، ثم تحدَّثَ إليه بكلماتٍ حماسيةٍ،<sup>١٠</sup> قائلًا: «الآن، حقًا، أعتقد، أنك لن تنتصر بعد الآن من الساحة في صورةٍ لائقَة، ما دمت قد اجترأَت على النطق أيضًا بعبارات التحدِّي.»

قال هذا وتتناول مقعد القدمين فقذ به أوديسيوس فأصابه أسفل كتفه اليمنى، في موضع اتصالها بالظهر، غير أنه وقف ثابتًا في مكانه كالصخرة، ولم تُزحِّزْه قذيفة أنتينوس، بل هُزِّ رأسه في صمت، مدبرًا الشر في أعماق قلبه. بعد ذلك عاد أدراجه إلى مدخل الباب حيث اتَّخذ جلسته، ووضع جرابه المملوء لحافته بجانبه على الأرض، وتحدَّث وسط المغازلين فقال:

«أصغوا إلىَّ، يا مغازلي الملة المجيدة، كي أقول ما يأمرني به القلب الكائن في صدرِي. الحق، أن المرء ما ضُرب وهو يقاتل من أجل ممتلكاته، سواء أكان من أجل ماشيته أو من أجل أغذامه البيضاء، فإن ذلك الضرب لا يُولِّد أية ضغينةٍ في قلبه ولا حزنًا في نفسه، ولكن أنتينوس قد صَرَبَني من أجل بطني التعيس، ذلك الطاعون المقيت الذي يجلب شرورًا جمَّة على بني الإنسان، آه! لو كان الشحاذون آلهةً ومنتقمين، لتمَّيَّتْ أن ينزل بأنتينوس قضاءً الموت قبل زواجه.»

عندئٍ أجا به أنتينوس بن يوبايثيس Eupeithes، بقوله: «اجلس في صمت وتناول طعامك، أيها الغريب أو انطلق إلى مكان آخر، لئلا يُجرِّك الرجل الفتى من يدك أو من قدمك عَبْر المنزل من أجل عباراتٍ كهذه، وَيُجرِّدَك من كل جلدك.»

<sup>١٠</sup> الأصل: مجنة.

## غازل يلوم أنتينوس على تصرُّفه الأحمق

هكذا تكلَّم، فامتَّعْضوا جميًعاً غاية الامتعاض، فقام واحد من الشبان المتعطَّرسين وخطَّبه،  
 قائلاً:

«لم تُحسن صنَّعاً بضربك ابن السبيل البائس، يا أنتينوس. ملعونٌ أنت بين الرجال،  
ما زال لو تصادف أن كان هذا ربيًّا ما، هبط من السماء! نعم، فالآلهة يتذَّدون صورًا شتى،  
في زي الأغراب، ويزورون المدن ليطَّلعُوا على قسوة البشر وعَالِهم.»

هكذا كان يتحدَّث المغازلُون، بيد أن أنتينوس لم يكتُرث لحديثهم. أما تيليماخوس  
فَحزن في قرارة قلبه أشدَّ الحزن وأمضَّه بسبِّ تلك الضربة، رغم أنه لم يدع عَبَّرةً واحدة  
تسقطُ من جفنيه إلى الأرض، ولكنه هَرَّ رأسه في صمَّتٍ مدبرًا شَرًّا في أعماق قلبه.

## بيينيلوبي تخطُّب وصيفاتها

ولما سَمِعَت بيينيلوبي أن الرجل قد ضُرب في الساحة، تكلَّمَتْ وسط وصيفاتها، وقالت:  
«هكذا أيضًا، ليت أبوُلوُ، القوَّاس الشهير، يضرب روحَك نفسها». فقلَّت لها يورونومي Eurynome، مُدَبِّرة المنزل: «ليت صلواتِنا تتحقَّق، وبذلك لا  
يبلغ واحدٌ من هؤلاء الرجال الفجر ذا العرش الجميل.»

فَتحَدَّثَتْ إليها بيينيلوبي الحكيمَة وقالَتْ: «يا مُربِّيَتي، إنهم جميًعاً أعداء؛ لأنهم يَحِيُّون  
الشر، ولكن أنتينوس يُشَبِّه القضاء الأسود أكثر من الجميع. هذا غريبٌ مسْكِنٌ كان يسِير  
خلال المنزل يطلب صدقة من الرجال؛ إذ تُجْبرُه الحاجة على ذلك، وقد أعطاه سائر  
الآخرين هدايا، وملئوا جرابه، ولكن أنتينوس أخذ مَقْعَدَ قدمَين، وقدَّفَه به فأصابه أَسْفَل  
كتفه اليمني..».

## بيينيلوبي تُبدي رغبتها في الترحيب بالشَّحَّاذ الغريب

هكذا تكلَّمَتْ وسط وصيفاتها، وهي جالسة في مقصورتها، بينما كان أوديسيوس العظيم  
يأكل اللحم، ثم استدعت إليها راعي الخنازير الطيب، وقالَتْ له:  
«اذْهَب يا يومايوس الطيب، ومرُّ الغريب بالجَيْء إلى هنا لِأرْحَبْ به، واسْأَلْهُ عما إذا  
كان قد سمع شيئاً عن أوديسيوس الراسخ القلب، أو قد رأَه بعينيه؛ إذ يَبْدُوا أنه كمن جاب  
بلادًا بعيدة..».

إذن، أجبتها، يا راعي الخنازير يومايوس، فقلت: «أتمنى، أيتها الملكة أن الآخرين يلزمون الصمت؛ لأنه ينطُق بعباراتٍ تُهْجِّج نفسك. لقد حظيت به إلى جواري ثلاثة ليالٍ، واحتفظتُ به في كوخٍ ثلاثة أيام؛ إذ قدم إلىَّ أولاً عندما جاء هارباً من سفينته، ولكنه حتى هذه الساعة لم يختم قصة متابعيه؛ فكما يُحْلِقُ المرء في منشٍ يُغْنِي للبشر أغاني مُشَوْقَة قد عَلَمْتُه الآلهة إياها، وبكل جوارحهم يُصْغِفون إليه بشوقٍ لا نهاية له، كلما غنَّى، بمثل هذه الصورة سَحْرِي وَهُوَ جَالِسٌ في بهوي. أخبرني أنه صديقٌ قديم لأوديسيوس، وأنه يسكن في كريت، حيث يُقْيم شعب مينوس<sup>١١</sup>. وقد جاء من هناك الآن في هذه الرحلة إلى هنا، بعد أن قاسى كثيراً من المَحَنِ وهو يَجُولُ هنا وهناك. إنه يُؤكِّدُ أنه سمع نبأً عن أوديسيوس وأنه قرَيبٌ في أرض التيسبروتين الغنية، وأنه لا يزال على قيد الحياة، وسيُحْضُرُ معه كثيراً من الكنوز إلى وطنه.»

عندئِذ ردَّت عليه بِينِيلوبِي الحكيمَة، بقولها: «اذهَبْ، واستدِعِيَّنَه إلى هنا، كي يُخْبِرني أنا شخصياً. أما بخصوص أولئك الرجال، فدعهم يتبارأُوا وهم جلوس عند المدخل أو هنا في المنزل، طالما أن قلوبهم مرحة، فإنَّ أموالهم الشخصية باقية في بيتهم لا تُمسُّ، الخبز والخمر الحلوة، ويتغذَّى منها خَدْمُهم. أما هم أنفسهم فيملئون منزلنا يوماً بعد يوم، ويذبحون ثيранا وأغنامنا، ويعزِّزُونَ السمينة، ويَطْبُرُونَ ويُشْرِبُونَ الخمر الصهباء في نَزَق، وتحل الفوضى بِجَمِيعِ ثروتنا؛ إذ لا يُوجَدُ هنا رجلٌ مثلَ أوديسيوس ليدفعُ الخرابَ عن المنزل. أما إذا أتَى أوديسيوس وعاد إلى وطنه فسرعان ما سينتقمُ هو وابنه من أولئك الرجال بسببِ أفعالِهم العنيفة.»

هكذا قالت، وعَطَسَتْ تِيلِيماخُوسَ عُطَاسًا عالِيًا، ودَوَّتْ الحِجْرَةَ من جميع أركانها بطريقةٍ عجيبة، وضحكَتْ بِينِيلوبِي، وفي الحال كَلَمَتْ يومايوس بعباراتٍ حماسية،<sup>١٢</sup> قائلةً: «اذهب بِرِيك واستدِعِيَّ الغَرِيبَ إلى هنا أَمَامِي. ألم تلاحظُ أنَّ ابْنِي قد عَطَسَ عندما أفضَّيْتُ بكلِّ كلامِي؛ وعلى ذلك أتمنى أن يَحْيِيَ المَوْتَ الشَّامِلَ بِجَمِيعِ المَغَازِلِينَ فرداً فرداً،

<sup>١١</sup> ملك كريت وابن زوس ويلوبا. صار ملك كريت الوحيد بعد أن هزم شقيقه رادامانتوس وساربيدون. ادعى أنه حاكم عادل فتوسل إلى بوسايدون كي يرسل إليه ثوراً يُقدِّمه ذبيحة، فأجاب الإله طلبه، غير أن الثور الذي خرج من البحر كان جميلاً للغاية، فاستعراض عنه مينوس ثوراً آخر واحتفظ بثور بوسايدون، فعاقبه الإله على ذلك بأن أوقع زوجته باسيفاي في غرام الثور.

<sup>١٢</sup> الأصل: مجنحة.

ولا ينجو منهم أَي فرد، من الموت والقدر. وسأُخْبِرُكَ بشيءٍ آخر، فاحفظه في قلبك. إذا وجدتُه يقول الصدق في كل شيءٍ أَبْسَطُهُ عبَايَةً وجلباً من الثياب الجميلة.»

### أوديسيوس يُلْبِي دعوة ببنيلوبى مع الحذر

قالت هذا، فانصرف راعي الخنازير عندما سمع قولها ذاك، فلما بلغ مكان أوديسيوس، تحدَّثَ إِلَيْهِ بِكَلَمَاتٍ حِمَاسِيَّة، قائلًا:

«سيدي الغريب، إن ببنيلوبى الحكيمَة، والدة تيليماخوس، تستدعيك، ويأمرها قلبها بأن تتحرى عن زوجها، بالرغم من أنها قد عانت محنًا جمًّة. حتى إذا ما رأت أنك تقولُ الصدق في كل شيءٍ، أَبْسَطُك عبَايَةً وجلباً، وهذا ما أَنْتَ في ميسيس الحاجة إليه. أما طعامك فسوف تَسْتَجِدِيه من أنحاء البلاد، لَتُطْعَم بطنك وممن قد يُعْطِيك إِيَاه.»

فأَجاَبه أوديسيوس العظيمُ الكثيرُ التحمل، وقال: «يا يومايوس، سرعان من سأقولُ الحقيقة لابنة إيكاريوس، ببنيلوبى الحكيمَة؛ لأنني أعرف أوديسيوس حق المعرفة، وكلانا قد قاسى الأهوال. بيد أنني أخشى هذا الجمع من المغازلين الْفُسَاسَة، الذين تصل شهوتُهم وعُنُفُهم إلى السماء الحديديَّة؛ فحتى الآن، ولم أُقْتَرِفْ أَي ذنب وأنا أدور خلال الساحة، ضربَنِي ذلك الرجل وأصَابَنِي، ولم يُحرِّكْ تيليماخوس ولا أَي فردٍ آخر ساكنًا ليمنعا عنِي الضربة. والآن أَخْبَرُ ببنيلوبى أن تنتظري في الساحات، إلى أن تغيب الشمس، رغم تلهُفها، وبعدهُ فلتَسْأَلِي عن زوجها يوم عودته، ولنُعْطِنِي مَقْعِدًا أكثر قربًا من النار؛ إذ إن شبابي للأسف حقيقة، وإنك لتعرف ذلك أَنْتَ نفسك، فإِلَيْكَ تَوَسِّلُ أَوْلًا.»

هذا ما قالَه، فانطلق راعي الخنازير بعد أن سمع منه هذه الكلمات. وبينما هو يخطو فوق العتبة، قالت له ببنيلوبى: «إنك لم تأتِ به يا يومايوس. ماذا يعني الشحاذ بهذا؟ أَيْخَافُ شَخْصًا ما خوفًا لا حد له، أَم يشعر بالخجل في المنزل؟ لا يليق بالسائل أن يشعر بالخجل.»

وإليها إذن يا راعي الخنازير يومايوس، أجبَتْ، وقلَّتْ: «إن بيده الحق فيما قال، كما قد يفعل أَيْ رجلٍ آخر، ساعيًّا وراء اجتناب وقاحة الرجال المتعارفين، ولكنه يطلب منك أن تنتظري حتى مغيب الشمس. أما عنك أَنْتَ نفسك، أيضًا، فإنه لأَكْثَر لِيَاقَةً بك، أيتها الملكة، أن تتحدَّثي إلى الغريب وحده، وتنصتي إلى كلماته.»

عندَهُ أَجاَبه ببنيلوبى الحكيمَة، بقولها: «لا يخلو هذا الغريب من الحكمة؛ إنه يعمل للشيء حسابه؛ فليس هناك رجال، كما أَعْتَدْتُ، أكثر حماقةً في شهواتهم من هؤلاء.»

## يومايوس ينصرف والمغازلون يمرحون ويرقصون

هكذا تكلّمتْ، وذهب راعي الخنازير الطيب إلى حشد المغازلين بعد أن أخبرها بكل شيء. وفي الحال تحدّث إلى تيليماخوس بكلماتٍ حماسية، مقترباً منه حتى لا يسمعه الآخرون، فقال:

«أي صديقي، إنني ذاهب لأحرس الخنازير وجميع الأشياء التي هناك، ومنها معاشك ومعاشي، فلتتولّ مراقبة كل شيء هنا، مراعيًّا سلامـة نفسك قبل كل شيء، وخذ جذرَ خشية أن يُصيبك مكروه؛ لأن آخرين كثـيرين يُدبرون لك الشر، أولئك الذين أتمنى أن يُهلكـهم زوس هلاـكاً تاماً قبل أن ينزل بـنا أي أـدى».»

فرَدَ عليه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «سيكون هذا، يا أـبيـاهـ، اذهب في طـريقـك بعد أن تتناول عـشاءـكـ. حتى إذا ما أصبح الصـبـاحـ أحـضـرـ معـكـ ضـحـاياـ طـيـةـ. أما سـائـرـ الأمـورـ هنا فـستـكونـ مـوـضـعـ اهـتـمامـيـ وـاهـتـمامـ الـخـالـدـيـنـ..»

قال هذا، وجلس راعي الخنازير ثانيةً فوق المـقـعـدـ المـصـقولـ، وبعد أن تـناـولـ مـلـءـ بطـنهـ منـ اللـحـمـ وـالـشـرـابـ، انـطـلـقـ فيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الخـنـازـيرـ، تـارـگـاـ القـصـرـ وـالـسـاحـةـ يـعـجـانـ بالـمـدـعـوـيـنـ، وـكـانـواـ يـمـرـحـونـ رـقـصـاـ وـغـنـاءـ؛ إـذـ كـانـ المـسـاءـ قـدـ خـيـمـ عـلـىـ الـكـوـنـ وـقـتـدـاـكـ.

## الأنشودة الثامنة عشرة

### معركةٌ كلامية بين أوديسيوس وأرنايوس الشحاذ

والآن جاء شحاذ معروف اعتاد الاستجداء في نواحي مدينة إيثاكا، وكان مشهوراً بالبطن الجشّع، يلتهم الطعام والشراب بغير حد. ولم يكن على شيءٍ من القوة أو العافية، أما في ضخامة الجسم فكان طريراً للناظرين. ذلك هو أرنايوس Arnaeus، فهذا هو الاسم الذي منحته إياه أمه المجلة عند مولده؛ بيد أن جميع الشبان كانوا يُطلقوه عليه اسم إيروس Irus، إذ كان من عادته أن يقوم ببعض المهام،<sup>١</sup> التي يُكلّفه بها غيره. جاء الآن، وكاد يطرد أوديسيوس من منزله، وبدأ يتحداه، خاطبه بكلمات حماسية،<sup>٢</sup> قائلاً:

«ابعد، أيها الرجل العجوز، عن المدخل، لئلا أُجرجرك في الحال من قدمك. ألا ترى جميع الرجال يشرون إليّ، ويأمرونني بأن أخرجك، ولكنني، أنا شخصياً، أجد من العار أن أفعل ذلك، فهيا انهض، خشية أن يتطوّر نزاعنا إلى اللكمات.»

قطب أوديسيوس الكثيُر الحيل ما بين حاجيَّه غضباً، وقال له: «أيها الرفيق الطيب، إنني لم أتعرّض لك بالأذى، سواء بالفعل أو بالقول، ولستُ أحقدُ عليك إن أعطاك أي رجل، أيه قطعةٍ مهما كانت كبيرة. وإن هذا المدخل ليتسع لكَلينا، ولا حاجة بك لأن تغار من حاجيات غيرك. يبدو لي أنك متشرد، مثلي تماماً. أما الحظ السعيد، فإن الآلهة هي

<sup>١</sup> وعلى ذلك يُقارن بإيريس Iris، رسول أوليمبوس.

<sup>٢</sup> الأصل بِحَجَّة.



أما أوديسيوس فضربه على عُنقه أسفل أذنه، وحطّم العظام، وفي الحال تدفق الدم القاني من فيه.

التي يحلو لها أن تُعطينا إياه.<sup>٣</sup> ولكن لا تستفزني بقبضتي يديك أكثر من اللازم، لئلا تُثير غَضبي، فاللَّطخ صدرك وشفتيك بالدم؛ بالرغم من أنني قد بلغتُ من الكبر عِتِّيًّا؛ وعلى ذلك أَوْمَل في أن أحظى بالسلام الأعظم غدًا؛ إذ أعتقد أنك لن تعود مرةً أخرى إلى ساحة أوديسيوس بن لابريتس.»

<sup>٣</sup> الفكرة هي: كلانا متشرد، مهما حظي أحدهنا بمركزٍ أَسْعَد في الحياة، فهذا أمرٌ موكل للآلهة الذين يتحكّمون في الحظوظ.



المغاظلون يستمتعون بمشاهدة الشّاذين يتعاركان

وهكذا طُفِقَ كلامهما، فوق العتبة المصقولة أمام الأبواب الشاهقة، يثيران حنق بعضهما البعض الآخر بمنتهى العنف، ثم سمعاً أنتينوس القوي العتيدي، يُقْهِه ضاحكاً ملءِ شدقية طربياً، وتحدث وسط المغازلين، يقول:

«أيها الأصدقاء، لم يسبقَ قَطَّ أن رأينا أمراً مثل هذا يحدُث؛ أن قد جَلَبَ أحد الآلهة مبارأةً مثل هذه إلى هذا المنزل. إن كَلَّاً من هذا الغريب وإدروس يستفز الآخر إلى تبادل الصحرىات. هنا بنا نعمل بهما إلى ذلك.»

هكذا تكلّم، فنهضوا جميعهم وهم يضحكون واحتشدوا حول الشّحاذين الثّرثّارين.  
وتَحدَّث أنتينوس بن يوبابليس، في وسطهم؛ قائلاً:

«استمعوا إلى أيها المغازلُون المزهُون، فسأقول لكم شيئاً ما. لقد وضعنا كروش الماعز بجانب الوطيس، لنُعدها لعشائنا، بعد أن ملأناها بالدهن والدم، فأى هذين يتقوّق

على الآخر ويُبرهن على أنه أفضل، دعوه ينهض ويختار لنفسه ما يروقه منها. وزيادةً على ذلك فلنسمح له بأن يُولم معنا دائمًا، ولن نسمح لأيٍ سائلٍ آخر بأن ينضم إلى جماعتنا ويستجدينا.»

هذا ما قاله أنتينوس، فسر الجميع من كلامه. وعندئذ قام وسطهم أوديسيوس الكثير الحيل، وتكلَّم بحسب، قائلاً:

«أصدقائي، إنه لمن المستحيل على رجل عجوز بخعته النوايب أن يقاتل رجلاً أصغر منه. ومع ذلك فإن بطني، الأمر بالسوء، يحثني، على أن أهزم بكلماته. هلُّموا الآن، وأقسِموا جميعًا أمامي قسماً لا جنث فيه، ألا تمتَّد يد أحدهم على بلکمةٍ غادرة بيدٍ ثقيلة، محابيًّا إيروس، لئلا يُخضعني بالقوية لهذا الزميل.»

ما إن قال هذا، حتى أقسِموا جميعًا لا يضربوه، كما أمرهم تماماً، ولكن بعد أن حلّوا اليمين وانتهوا من القسم، قام تيليماخوس القوي العتيق، وتحدث في وسطهم ثانية، فقال:

«أيها الغريب، إذا كان قلبك وروحك الشامخة يأمرانك بضرب هذا الرجل، إذن فلا تخش أي رجلٍ من الآخرين؛ لأن من يضربك عليه أن يقاتل من هو أكثر منك. إنني مُضييفك، والأميران أنتينوس ويوروماخوس، يوافقان على هذا، وكلٌّ منهما رجلٌ حسيف.»

قال هذا، فامتدح الجميع قوله. وعندئذ ربط أوديسيوس أسماله حول عورته مظهراً فخديه، جميلين وعظيمين، وبانت كتفاه العريضتان، وكذا صدره وساعداه القويان. واقتربت أثينا فجعلت أعضاء راعي الشعب أعظم مما كانت. وعندئذ عجب سائر المغازلين غاية العجب، فقال أحدهم وهو ينظر إلى جاره:

«سرعان ما سيجنِّي إيروس، عديم التبصر، على نفسه؛ فمثل هذا الفخذ يُظهِر ذلك الرجل العجوز من تحت أسماله.»

## أنتينوس يُعيِّر الشحاذ إيروس ويُهدِّده

هكذا كانوا يتكلَّمون، وُذعر عقل إيروس بصورةٍ فظيعة؛ ومع ذلك فقد منطقه الخدم، وساقُوه بالقوة وهو مملوءٌ كله بالهلع، وارتعد فرائصَ وأعضاء. وعندئذ عَيَّرَه أنتينوس، فخاطبه، بقوله:

«خَيْرُ لك الآن، أيها الثرثار، ألا تكون حيًّا، أو أنك لم تُولَّ بعد، إذا كنتَ ترتعش إلى هذا الحد، وتخاف رجلاً عجوزاً كهذا — قَهْرَتْه المحن التي حاقت به — ولكنني سأُكلِّمك بكل

صراحة، وسيُنَذَّد كلامي حًقا. إذا غلبك هذا الرجل وبرهن على تفُوّقه عليك، فلسوف أُفذ بك في سفينٍ سوداء وأُبعث بك إلى مملكة الملك إختيوس Echetus مُشَوّه جميع الرجال، الذي سوف يُجْدِع أنفك وأذنيك بالبرونز القاسي، ويُخْرِج أعضاءك الحيوية ويُلْقِي بها نيئًةً للكلاب، لتُمْرَّقها.»

### أوديسيوس يُقْهِر إِيروس ويُلْقِي به خارج القصر

هكذا قال، وارتعدت أطراف الآخر فرقاً، وساقوه إلى الحلبة فرفع كلُّ من الرجالين يده. وعندئِذ حار أوديسيوس في عقله، هل يضربه حتى تهُجُّرُه الحياة وهو يسقط هناك، أو يكيل له ضربةً خفيفة فيطْرُحه أرضاً. وبينما هو متَحِير، رأى أنَّ من الأفضل أن يُنْزَل به ضربةً خفيفة فيلقيه على الأرض، كيلا يُجْذَب أفكار الآخرين إليه. وعندئِذ، لما رفعوا أيديهم، هو إِيروس بقبضته على كتفه اليمني، أما أوديسيوس فضربه على عنقه أَسْفَلَ أَدْنَه وحطَّمَ العظام. وفي الحال تدَّفَّقَ الدم القاني من فيه، وسَقَطَ يَتَخَبَّطُ في التراب ويئن، واصطَكَّتُ أسنانه، وركل الأرض بقدميه. وعندئِذ رفع السادة المغازلون أيديهم، وكادوا يموتون من كثرة الضحك. بعد ذلك أمسكه أوديسيوس من قدمه، وجَرَّه بعيداً خارج الباب إلى أن وصل به إلى الفناء وبوابات الرواق، ثم وَضَعَه هناك وأَسْنَدَه إلى حائط الفناء، وألقى عصاه في يده وتحَدَّثَ إليه وخطَبَه بكلماتٍ حماسية، قائلاً:

«ارْقُدْ هناك الآن، وخُوْفُ الخنازير والكلاب، ولا تكن سيد الأغراب والشحاذين، وأنت مسكين إلى هذا الحد، لثلا تلتقي بمن هو أسوأ فتجمي شرًّا من هذا أيضًا.»

### المغازلون يشكون أوديسيوس ويُحِيُّونه

قال هذا وألقى جرابه الرث المملوء بالثقوب، حول كتفيه، وعلَّقه بحبل مجدول. وبعد ذلك رجع إلى عتبة الباب فجلس، ودخل المغازلون، يضحكون مبتهجين، وحيّوه، بقولهم: «نَتَمَنِي، أيها الغريب، أن يمنحك زوس، وكذا سائر الآلهة الخالدة ما تصبو إليه وتفُضُّله على كل شيء، وأغلى أمنية يتطلع إليها قلبك؛ حيث إنك كفيت البلاد استجاءَ ذلك الرجل الذي لا يُشبع؛ لأننا سنحمله بسرعة بعد ذلك إلى مملكة الملك إختيوس، مُشَوّه جميع البشر.»

هكذا كانوا يقولون، وسرُّ أوديسيوس العظيم من ذلك الفأْل ووضع أنتينوس أمامه الكرش الضخم، مملوءاً بالدهن والدم، وتناول أمفينوموس Amphynomus رغيفين من السفط ووضعهما أمامه، ووعده بـكأسٍ من الذهب، وقال: «مرحباً، يا سيدي الغريب، أتمنى أن يكون الحظ السعيد حليفك في الأيام المقبلة، رغم أنك الآن نهُب لاحزانٍ عديدة.»

### أوديسيوس يُحذّر أمفينوموس من زوج بينيلوبى

عندئذٍ أجابه أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «أي أمفينوموس، حقاً إنك لتبدو لي رجلاً حازماً، وكذلك أيضاً، كان أبوك؛ فكثيراً ما سمعتُ عن صيته الحسن؛ إذ كان نيسوس القاطن بدوليخيوم رجلاً مقداماً ذا يسار. ويقولون، إنكَ انحدرتَ منه، ويبدو أنكَ رجلٌ رقيق الألفاظ؛ وعلى ذلك سأُخبرك بأمر، يجب أن تُعيِّرَه اهتمامك وتُصْغِي إليه. لا شيء تُغَيِّرُه الأرض أضعف من الإنسان، دون سائر المخلوقات التي تتنفس وتتحرك فوق الأرض؛ لأنَّه يعتقد أنه لن يعاني الشر قط في أيامه القادمة، طالما تَهُبُّ الآلهة الرخاء ورُبْكَتاه سريعتان. حتى إذا ما عاد الخالدون وكتباً له الحزن، احتمله أيضاً بامتعاض بالغ وهو راسخ القلب؛ لأنَّ روح البشر وهم فوق الأرض هي تماماً مثلها في اليوم الذي يجلبه عليها أبو الآلهة والبشر؛ فإنني، أيضاً، كنتُ في ذات يوم، منْ كُتب لهم الرخاء وسط الناس، غير أنني استرسلتُ كثيراً في أعمال الشهوة، معتدماً على قُوَّتي وعنفي، وعلى أبي وإخوتي؛ ومن ثم لا تدع أي رجلٍ مهما كان يخرج على القانون في أي وقت، بل يجب أن يرعى صامتاً أي نعمة تَهُبُّ الآلهة إليها. هذا حق؛ فإنني أرى المغازلين يخلعون عذارهم للشهوة، مُبْدِرين الثروة ومحقررين زوج ذلك الرجل الذي، يعني أخبارك، بأنه لن يظل بعيداً عن أصدقائه ووطنه مدةً طويلة، كلا؛ فإنه قريب جداً، ولكنني أتمنى أن يقودك أحد الآلهة بعيداً عن هنا إلى منزلك. ولتيك لا تلتقي به وهو قادم إلى بيته وإلى وطنه العزيز؛ لأنَّه، حسب اعتقادِي، لن ينفصل ذلك الرجل عن المغازلين بدون سفك دماء إذا ما عاد يوماً تحت سقف داره.»

هكذا تكلَّم، ثم سكب سكيبة، وشرب من الخمر العسلية المذاق، وأعاد الكأس إلى يدي قائد الشعب. بيد أنَّ أمفينوموس ذهب خلال الساحة بقليلٍ مثقل، مطأطئاً رأسه؛ إذ تنبَّأ روحه بالشر، ولكنه بالرغم من هذا لم يهرب من مصيره، ولكنه هو، أيضاً، قيَّدَه أثينا بالأغلال كي يُقتل في الحال على يدي تليماخوس وبرمحه؛ ولذلك جلس من جديداً فوق الكرسي الذي كان قد نهض من فوقه.

## بينيلوبي تُبدي رغبتها في الظهور أمام المغازلين

بعد ذلك حَتَّى الربة، أثينا المتألقة العينَين، قلب ابنة إيكاريوس، بينيلوبي الحكيمَة، أن تُظهر نفسها للمغازلين، كي تدفع قلوبهم إلى الخفَقان وتكتسب تمجيًداً من زوجها وابنها أكثر من ذي قبْل، فضحتَكَ ضحكةً لا معنى لها، وتكلَّمتُ، مخاطبةُ المُرَبِّية بقولها: «إن قلبي ليتَاهَفُ، يا يورونومي، ولو أنه لم يتَاهَفْ قَطْ من قبْلٍ، إلى إظهار نفسي للمغازلين، بالرغم من شَدَّة مقتِي لهم. وكذلك أرِيدُ أن أقول كلمةً لابني ذات نفعٍ له، أعني، أنه لا يجب عليه أن يختلط بالغازلين المتعجِّرين، الذين يُكَلِّمونه برقِيق الألفاظ بينما يضمرون له الشر فيما بعْد».»

فقالت لها المُرَبِّية، يورونومي: «نعم، الحق معك، يا طفلي؛ فإنني أرى، أن كل ما قُلْته صحيح. اذهبِي، إذن، وقولي كلمتكَ لابنِك ولا تخفيها؛ ولكن اغسلي جسدي أولاً وادهنِي وجهك بالزيت، ولا تذهبِي كما أنت بوجنتَين مبللَتَين بالدموع. اذهبِي؛ فلا يليق أن تسترسلي في الحزن دون انقطاع، فتأملي، الآن، ها هو ذا ابنُك قد بلغ مبالغ الرجال، وكان جل صلاتك للخالدين أن تَرِيْه رجلاً قد طرَّتْ لحيته».»

عندئِذ أجابتها بينيلوبي الحكيمَة من جديد، بقولها: «أي يورونومي، لا تخدعني هكذا من أجل رغبتكَ في أن تغسلِي جسمِي وتدهنِيني بالزيت. لقد دَمَرَتِ الآلهة جمالي كله، أولئك الذين يحتلُّون أوليمبوس، منذ ذلك اليوم الذي رحل فيه زوجي في السفن الواسعة. أخباري أتوتونوي Eutonoe وهيبوداميا Hippodameia، بالجيء إلى كي تتفقا إلى جانبي في الساحة؛ فلن أذهب وحدي وسط الرجال؛ إذ يتَمَلَّكُني الخجل».»

هكذا تكلَّمتُ، وانطلقتَ السيدة العجوز عَبْر الحُجْرة لتحمل النبأ إلى المرأةين وتأمرهما بالجيء.

## أثينا تُضفي على بينيلوبي مزيًداً من الفتنة والجمال

بعد ذلك اتَّخذَتِ الربة، أثينا البراقَة العينَين، رأياً آخر من جديد، فسَكَبَتْ نوماً لذِيَّداً على ابنة إيكاريوس؛ فانحنتَ هذه إلى الوراء واستلقتَ على سريرها، وقد ارتحت جميع مفاصلها. وفي الوقت نفسه كانت الربة الفتَّانة تمنحُها هباتِ خالدات، كي يُدَهَّشَ لرآها الآخرون، فجمَّلت

وجهها أولاً بيلسم.<sup>٤</sup> بيلسم أمبروسى.<sup>٥</sup> كالذى تدهن به كوثيريا Cytherea ذات التاج البديع، نفسها عندما تدخل إلى الرقص المحبب لدى ربّات الحسن، وجعلتها أطول قامة، وكذلك، أضخم جسماً أمام الرائين، وصيّرّتها أنصع بياضاً من العاج المقطوع حديثاً. وبعد أن أنجزت الربة الحسناء هذه الأمور. انصرفت، وجاءت الوصيقات الناصعات السواعد من المقصورة واقتربن يتحدّثن بصوت مسموع. وعندئذ ترك النوم اللذى بىنيلوبى، فدعّكت وجنتّها بيدّيها، وقالت:

«ويحيى، لقد اجتاحتني النوم الرقيق في تعاستي الشاملة. كم أتمنى الآن أن تُعطياني أرتيميس الطاهرة ميتةً رقيقة بتلك الصورة، حتى لا أبُدّ حيّاتي بعد الآن والحزن يملأ قلبي، مشوقةً إلى براعة زوجي العزيز المزدوجة؛ إذ كان مُبِرّاً وسط الآخرين.»

### بينيلوبى تلوم تيليماخوس على ما حدث للشّحاذ الغريب

قالت هذا وهبّت من المقصورة العليا المتلائمة، ولم تكن وحدها؛ إذ كانت تتبعها وصيفتان، فلما وصلّت السيدة الفاتنة الآن إلى المغازلين وقفّت بجوار قائم بباب الساحة المكينة البناء، وقد وضعّت النصيف المتألق أمام وجهها، ووقفت إلى كل جانبٍ من جانبيها وصيّفةً مخلصة، فما إن أبصرها المغازلون حتى ارتخت رُكُبُهم وابتھجَت قلوبهم بالحب، وراحوا جميعاً يتّوسلون إليها، وكل واحدٍ يتوق إلى البقاء إلى جوارها، ولكنها تحدّثت إلى تيليماخوس، ابنها العزيز، قائلةً:

«أي تيليماخوس، لم يُعد عقلك وأفكارك رزينة كما كانت من قبل؛ فعندما كنت مجرد طفلٍ كنت تُدبر في عقلك أفكاراً أكثر دهاء. أما الآن وقد گبرتَ وبلغتَ مبالغ الرجال، وإن من ينظر إلى قوامك وجمالك ليقول إنك ابن رجلٍ ثري؛ حيث إنه هو نفسه غريبٌ أتى من بلدٍ قصي، فإن عقلك وأفكارك لم تُعد صائبةً كما كانت من قبل. ماذا فعلت في هذه الساحة، حتى تسمح بإساءة معاملة هذا الغريب! وماذا الآن، لو تعرّض الغريب، وهو جالسٌ هكذا في منزلنا، لبعض الأذى من جراء المعاملة المُحزنة؟ إذن، لوقع عليك اللوم وجللُك العار بين الناس.»

<sup>٤</sup> يبدو أن هذا الاسم كان يُستعمل مجازاً، بمعنى بعض أنواع الطلعاءات أو المراهم.

<sup>٥</sup> اسم لأفرووديتى، ربة الحب والجمال.



فأجابها تيليماخوس الحكيم، قائلاً: «أماه، بخصوص ذلك الأمر لا أسيء فهم سبب خضب الجم. ومع ذلك فإنني أعرف في قلبي وأدرك كل شيء، الخير والشر، في حين أنني لم أكن من قبل إلا محض طفل. بيد أنني لست قادرًا على تدبير كل شيء بحكمة؛ لأن هؤلاء الرجال هنا يُثْبِطُون عزيمتي، ويلازموني، الواحد من هذا الجانب والآخر من الجانب الآخر، بنية سيئة، ولا أجد لي مساعداً. ومع ذلك، فإن في استطاعتي أن أُخبرك بأن هذه المعركة التي نَشَبَت بين الغريب وإيروس لم تغب عن بال المغازلين، وقد أثبتَ الغريب تفُّقه عليه. أتمنى؛ يا أبي زوس، ويا أثينا، ويا أبوالو، أن يهدا المغازلون كما فعلوا الآن في ساحاتنا، يُطْلُون برعوسهم، البعض في الفناء والبعض الآخر في البهو، وأن ترتحي أطراف كل رجل، تماماً كما يجلس الآن إيروس هناك بجانب باب الفناء، مطأطئاً رأسه أشبه برجل سَكَّير، ولا يستطيع أن ينتصب فوق قدميه، أو أن يذهب إلى أي مكان يرغب في الذهاب إليه؛ إذ ارتحت أطرافه.»

## بينيلوبى تستعيد ذكرى كلمات أوديسىوس يوم رحيله من الوطن

هكذا كان يتحدث كلُّ منها إلى الآخر، ولكن يوروماخوس خاطب بينيلوبى، بقوله: «يا ابنة إيكاريوس، أي بينيلوبى الحكيم، لو رأك جميع الآخرين في شتى أنحاء أرجوس الإياسيونية Iasian Argos، لأصبح هنا مغازلون أكثر يُولمون في ساحاتك من الغد فصاعداً؛ لأنك تُبُذِّين سائر النساء، فتنَّة وقواماً، وفي حكمة القلب الكائن بصدرك.» عندئذٍ أحبته بينيلوبى الحكيم، قائلة: «أيا يوروماخوس، لقد حطم الخالدون روعتي كلها، سواء في الجمال أو في القد، في اليوم الذي رحل فيه الأرجوسيون إلى إليوس، وذهب معهم زوجي أوديسىوس؛ فلو أتي وأشرفَ على حياتي هذه فقط، لصارت شهرتي أعظم وأجمل. ولكنني الآن في حزن، وكثيرة هي الهموم التي حطَّها على أحد الآلهة. حقاً، إنه عندما رحل وغادر وطنه، أمسك بيدي اليمنى من الرسخ، وقال:

«يا زوجتي، لستُ أعتقد أن الآخرين المُدرَّعين تماماً سيعودون جميعاً من طروادة سالحين آمنين؛ لأن الطرواديين، كما يقول الناس، قومُ حرب، ماهرون في قذف الرمح، وجذب القوس، وقيادة الجياد السريعة، التي تُقرَّر بسرعةٍ نتيجة صراع الحرب المتعادلة؛ وعلى ذلك لستُ أدرى ما إذا كان الرب سيعيني، أم سوف أعزل هناك في أرض طروادة. ومن ثمَّ أشرف على كل شيء هنا. وتدَّركِي أبي وأمي في الساحات بنفس الطريقة التي تَرَعَّيْهُما بها الآن، أو ربما أكثر، في أثناء غيابي، حتى إذا ما رأيت ابني رجلاً قد طرَّت لحيته، تزوجي من تشائين واتركي منزلك.»

هكذا تكلَّم زوجي، والآن قد حدث كل ذلك. سيأتي الليل عندما يكون الزواج المقيت من حظي أنا الملعونة، التي سلبها زوس سعادتها. وحل الحزن المريض في داخلي في قلبي وروحى؛ إذ إنكم تسلكون طريقاً لم يسلكه أي واحدٍ من المغازلين بلكم، أولئك الذين يتوقون إلى مغازلة سيدةٍ كريمة، وابنة رجلٍ ثري، فيتافسون فيما بينهم من أجلها، وهم يُخضرون من تلقاء أنفسهم ماشيةً وأغناماً كثيرة، ليُولم عليها أصدقاء العروس، ويفُدُّمون إليها هدايا مجيدة، ولكنهم لا يأكلون أموال شخصٍ آخر فيما بينهم بالباطل.»

هكذا تكلَّمت، وسرُّ أوديسىوس العظيم البالغ التحمل؛ لأنها سحبَت منهم هدايا، وخدَّعَت أرواحهم بمعسول الألفاظ، بينما كانت تُضمر في نفسها أموراً أخرى.

## المغازلون يُحِضِّرون الهدايا لبيينيلوبى

ثم تحدَّثَ إِلَيْهَا أَنْتِينُوسْ بْنُ يُوبَايْثِيسْ، ثَانِيَة، فَقَالَ:

«يَا ابْنَةِ إِيكَارِيُوسْ، يَا بِيِنِيلُوبِي الْحَكِيمَةِ، أَمَا الْهَدَىِا، فَلَوْ أَزْمَعْ أَيْ رَجُلٍ مِنَ الْأَخْيَيْنِ أَنْ يُحِضِّرَهَا إِلَى هَذَا، فَيُجِبُ أَنْ تَقْبِلَهَا؛ لَأَنَّهُ لَا يَلِيقُ أَنْ تَرْفُضَ هَدِيَّةً. أَمَا نَحْنُ فَلَنْ نَذْهَبَ إِلَى بَلَادِنَا وَلَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَنْزَوِّجَيْ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي تَعْتَبِرِنَّهُ خَيْرَ الْأَخْيَيْنِ.»

قَالَ هَذَا أَنْتِينُوسْ، فَسُرُّوا مِنْ كَلْمَتِهِ، وَبَعْثَ كُلَّ رَجُلٍ رَسُولًا لِيُحِضِّرَ هَدَىِا، فَأَحْضَرَ أَنْتِينُوسْ ثُوبًا فَضَفَاضًا جَمِيلًا، مُطَرَّزًا كَثِيرَ الْوَشْيِ، ذَا مَشَابِكَ مِنَ الْذَّهَبِ، تَبَلُّغُ فِي مَجْمُوعِهَا اثْنَيْ عَشَرَ مَشَبِكًا، مُثْبَتَةً بِخَطَاطِيفَ مَعْقُوفَةٍ. وَأَحْضَرَ آخَرَ فِي الْحَالِ إِلَى يُورُومَاخُوسْ سَلْسَلَةً مِنَ الْذَّهَبِ، مَصْنُوعَةً بِمَهَارَةٍ، مُرَصَّعَةً بِفَصُوْصِ مِنَ الْكَهْرَمَانِ، تَتَلَاقُّ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ. كَمَا أَحْضَرَ خَدَمَ يُورُودَامَاسْ، إِلَيْهِ زَوْجًا مِنَ الْأَقْرَاطِ، بِثَلَاثَةٍ فَصُوْصِ عَلَى شَكْلِ عَنْقُودٍ،<sup>٦</sup> وَيَنْعَكِسُ مِنْهَا بِرِيقٍ لِلَّاءٍ. وَأَحْضَرَ خَادِمَ السِّيدِ بِاِيِسَانِدِرِ Peisander، اِبْنَ بُولُوكَتُورِ Polyctor، إِلَى دَاخْلِ الْمَنْزَلِ، قَلَادَةً، بِهَا دُرَّةٌ فَائِقَةُ الرَّوْعَةِ. وَهَكُذا أَحْضَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَخْيَيْنِ هَدِيَّةً جَمِيلَةً، وَأَحْضَرَ غَيْرَهُ أُخْرَى. أَمَا السِّيَدَةِ الْجَمِيلَةِ، فَصَعِدَتْ إِلَى مَقْصُورَتِهَا الْعُلَى. وَحَمَلَتْ لَهَا الْوَصِيفَتَانِ الْهَدَىِا الرَّائِعَةَ.

وَأَمَّا الْمَغَازِلُونَ فَشَرَّعُوا فِي الرَّقْصِ وَالْغَنَاءِ وَالْمَرْحِ، وَطَرِبُوا، وَانْتَظَرُوا مَجِيءَ الْمَسَاءِ. وَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَرْحَمِهِمْ خَيْمَ فَوْقَهُمِ الْمَسَاءِ الدَّامِسِ. وَفِي الْحَالِ أَوْقَدُوا ثَلَاثَةَ مَوَاقِدَ فِي السَّاحَةِ لِتَضِيءَ لَهُمْ، وَوَضَعُوا حَوْلَهَا حَطَبًا جَافَّا، مَضَتْ عَلَيْهِ مَدَّهُ طَوِيلَةٌ مِنْذَ أَنْ قُطِعَ وَتَصَلَّبَ، وَشُقَّ بِالْفَنْوِسِ حَدِيثًا، وَوُضِعَتْ الْمَشَاعِلُ فِي مَوَاضِعِ الشَّقْوَقِ؛ وَأَخْدَتْ وَصِيفَاتِ أُودِيُسِيُوسْ، الْثَّابِتِ الْقَلْبِ، يَتَنَاوِبُنَّ إِشْعَالَ النَّارِ. بَعْدَ ذَلِكَ تَكَلَّمُ أُودِيُسِيُوسُ، الْمُنْهَدِرُ مِنْ زَوْسِ وَالْكَثِيرِ الْحِيلِ، مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِهِ وَسَطِ الْعَذَارِيِّ، فَقَالَ:

«يَا خَادِمَاتِ أُودِيُسِيُوسْ، الَّذِي رَحَلَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ، اِنْصَرَفَ إِلَى الْحَجَرَاتِ حِيثُ تَمْكُثُ مَلِيكَتُنَّ الْمَجَّلَةِ، وَأَغْزَلَنَ الْقَطْنَ بِجَوَارِهَا، وَأَدْخَلَنَ السَّرُورَ عَلَى قَلْبِهَا، وَأَنْتَنَ جَالِسَاتِ فِي مَقْصُورَتِهَا، أَوْ مَشَطَنَ الصَّوْفَ بِأَيْدِيْكَنَ، وَأَنَا أَتَوَلَُّ إِشْعَالَ النَّارِ لِجَمِيعِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ؛

<sup>٦</sup> قد يكون المقصود بهذا المعنى «موضوعة» بجانب بعضها، وينعكس عليها وهج خشب الصنوبر المحترق في الوطيس، فيعطي بريقاً.

لأنهم إذا أرادوا الانتظار حتى مطلع الفجر الجميل العرش، فلن يُباروني بأية حال من الأحوال. إنني امرأٌ أستطيع أن أتحمّل كثيراً.»

### ميلانثو الخادمة تسب الشحاذ أوديسسيوس

ما إن قال هذا، حتى انفجرت الخادمات يضحكن، وراحت كل واحدةٍ منهن تنظر إلى الأخرى، وأنحت عليه ميلانثو Melantho الجميلة الوجنتين، بعبارات التحبير، ميلانثو، التي أنجبها دوليوس Dolius<sup>7</sup>، وربتها بينيلوبى واعتنت برعايتها كما لو كانت ابنتها، وأعطاها كثيراً من الدُّمى لتسُرّ قلبها. غير أنها بالرغم من ذلك لم تكن تشعر في قلبها بأي رثاء لحال بينيلوبى، بل كانت تهيم بحب يوروماخوس، وتحرّق شوقاً إلى الاضطجاع معه، فوجّهت بعد ذلك إلى أوديسسيوس عبارات السب، فقالت:

«أيها الغريب الحقير، ما أنت سوى رجلٍ مأغوفون، لا تريدين أن تذهب إلى حَدَّ لبيتِ عَنْدِهِ، أو إلى مسكنِ عام لتنام فيهِ، بل تتَسَكَّعُ هنا باستمرار، ولا تخجل من وجودك بين حشد السادة العديدين، غير هَيَابٍ في قلبكِ ولا خائفاً. حَقًّا، إن الخمر قد سيطرت على ذهنِكِ، وإلا فإن عقلكَ هكذا دائِماً، حتى إنكَ تَهْذِي بهذا الهراء. أخرجت عن طوركَ لأنكَ غلَبْتَ ذلك المسؤول إيروس؟ حذار، خشية أن يأتيكَ الآن من هو أفضَلُ من إيروس فيضرُبُكَ بقبضتهِ الثقيلة على أمِ رأسكِ، فُيُضْرِبُكَ بالدماء، ويُطْرُدُكَ من المنزل.»

عندئِذ نظر إليها أوديسسيوس بغضٍّ مُقطِّباً حاجبيه، وقال لها «سرعان ما سأذهب إلى هناك، أيتها العديمة الحياة، وأُخْبِرُ تيليماخوس؛ حيث إنكَ تتكلّمين بهذه الواقحة، كي يُمْزِّقُ في الحال جسدي إرباً إرباً.»

ما إن قال هذا حتى تفرّقت النساء، وهربن خلال البهُو، وارتخت أطراف كل واحدةٍ منهن تحتها ذعراً؛ لأنهن اعتقدن أنه جادٌ في قوله. أما أوديسسيوس فوقف بجوار المأقد المشتعلة لِمِدَّهُم بالضوء، ويلقي نظرةً على جميع الرجال، ولكن قلبه في داخله كان يفْكِرُ في أمورٍ أخرى؛ أمور لم تكن لتذهب دون إتمامٍ أو تنفيذ.

٧ عبدُ أمين وبستانى لبينيلوبى زوجة أوديسسيوس، أعطاه لها والدها يوم زفافها. وهو الذي رَحَّب بأوديسسيوس عند عودته ووقف بجانبه مسلحاً ليُقاتل أقارب طالبي الزواج من بينيلوبى في الوقت الذي هاجموا فيه أوديسسيوس.

## يوروماخوس يسخر من الشحاذ أوديسيوس

ولكن أثينا ما كانت لتسمح للمغازلين بالإحجام عن الاعتداء المرير بحالٍ ما، كي يحزَّ الألمُ في قلب أوديسيوس بن لايرتيس، إلى ما هو أعمق؛ ومن ثمَّ بدأ يوروماخوس بن بولوبوس، يتكلَّم ساخراً من أوديسيوس، ليُضِّحِّك زملاءه، فقال:

«أصغوا إلىَّ، يا مغازلي الملة المجيدة، حتىَّ أخبركم بما يُحِدِّثني به قلبي الكائن في صدري. لم يأتِ هذا الرجل إلىَّ قصر أوديسيوس بدون إرادة الآلهة؛ فعلَّ أية حال إنَّ وميض المشاعل ليَنبعُ منه — من رأسه — إذ ليس به أيَّ شعر، ولا أثر لشَّعره.»<sup>٨</sup> ما إنْ أدلَّ بهذه العبارة حتىَّ استدعي أوديسيوس، سالَّب المدن، وقال له: «أيها الغريب، أُشَارِّع عقلك في أنْ تشتغل مقابل أجر، لو أَحْقَتُ بخدمتي في حقلٍ بعيد — إنَّ أَجْرَك سِيَكُون حَتَّىَ لَكَ — جَمْعَ الْأَحْجَارِ لِلْحَوَائِطِ، وَغَرْسَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ؟ ولسوف أُمْدُكُ هنالك بالطعام طوال العام كله، وأُكْسُوكُ لِبَاسًا وَنَعَالًا لِقَدْمَيِكِ، ولكن ما دمت قد تعلَّمَتَ أَعْمَالَ الشَّرِّ فَقْطَ، فلن تهتمُّ بِأَنْ تَشْغُلَ نَفْسَكَ بِالْعَمَلِ، بل بِالْحَرَّيِّ قد عَوَّلْتَ عَلَى التَّسْكُّعِ خَلَالِ الْبَلْدَانِ، كي تستطِيعَ الْحَصُولَ عَلَى مَا يُسْدِّدُ نَهَمَ بِطْنَكَ الشَّرِّهِ».»

## أوديسيوس يتهم يوروماخوس بالوقاحة والضعف

عندئِذٍ أجا به أوديسيوس العديد الحيل، قائلًا: «أَيُّ يوروماخوس، أَتَمْنِي لَوْ تَبَارِيَتُ مَعَكَ فِي الْعَمَلِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ، عَنْدَمَا يَطْوِلُ النَّهَارُ، وَقَتْ حَصْدِ الْأَعْشَابِ، فَأَمْسِكْ أَنَا فِي يَدِي بِمَنْجِلٍ مَعْقُوفٍ وَأَنْتَ بِمَثْلِهِ، وَتَكُونُ الْأَعْشَابُ كَثِيرَةً حَتَّى يَمْكُنُنَا أَنْ نَخْتَبَ مَقْدَرَتِنَا عَلَى الْعَمَلِ، صَائِمِينَ إِلَى سَاعَةٍ مَتَّاخِرَةٍ مِنَ الْمَسَاءِ. أَوْ أَتَمْنِي أَيْضًا أَنْ يَكُونَ هنالك تُورَانٌ لِتَقْوِدَهُمَا — خَيْرُ مَا هنالك مِنَ الثَّيْرَانِ، ضَخْمَانٌ قَدْ لَفَحَتْهُمَا الشَّمْسُ، وَقَدْ عُلَفَّ كَلَاهُمَا جِيدًا بِالْأَعْشَابِ، مِنْ نَفْسِ السَّنِ وَنَفْسِ الْقُوَّةِ لِيَحْمِلَا النَّيْرِ، لَا يَتَعْبَانُ مِنْ بَذَلِ الْجَهَدِ — وَأَنْ يَكُونَ هنالك حَقْلٌ مَسَاخِتَهُ أَرْبَعَةُ أَفْدَنَةٍ، وَنَعْمَلُ عَلَى شَقِّ التَّرْبَةِ أَمَامَ الْمَحَرَّاثِ؛ عَنْدَئِذٍ كُنْتَ تَرَى، مَا إِذَا كُنْتُ أَسْتَطِعُ أَنْ أَشْقِ أَخْدُوَّا مَسْتَقِيمًا إِلَى نَهَايَةِ الْحَقْلِ أَوْ لَا أَسْتَطِعُ. أَوْ أَتَمْنِي مِنْ

<sup>٨</sup> أفسر هذه الفقرة الصعبية على أنَّ معناها: «في هذا الرجل شيءٌ ما مقدس؛ لأنَّ شعاعاً يُشرق منه». وهذه الفكرة على كل حال، سرعان ما تحولَت إلى دعابة. وصار الشعاع وهو وميض المشاعل فقط المنعكَس على رأس الغريب الأصلع.

جديد أن ابن كرونوس يجب علينا الحرب من حيث يستطيع في يومنا هذا، ويكون لي ترس ورمحان وخوذة كلها من البرونز، تناسب تماماً صدغي، إذن لرأيتنى بين محاربي القيادة، وما كنت، لتعيرني ببطني هذا. أما أنت فوق غاية الواقحة، وقلبك قاسٍ، ولا شك في أنك تعتقد في قراره نفسك أنك أمرٌ على شيءٍ من العظمة والقوة؛ لأنك تختلط بحفنة من الرجال الضعفاء. ولو رجع أوديسيوس فقط، وعاد إلى وطنه، لأثبتت هذه الأبواب في الحال، رغم أنها مفتوحة على مصاريعها، أنها ضيقة جداً أمامك لتهرب خارج المدخل.»

يورو ماخوس يقذف أوديسوس يمقد عصافير في خطئه

عندما قال هذا، زاد غيظ يوروما خوس في قلبه، ونظر إليه شُرّاً من تحت حاجبيه، وخطبه بكلمات محنحة.<sup>٩</sup> قائلاً:

«أيها النذل، لأصيبنك بالشر في الحال، طلما أنت تُثرثِر بهذه الطريقة، غير خائفٍ في قلبك. لا شك أن الخمر قد لعبت بِلُكِ، أو أن عقلك هكذا دائمًا، تَهْذِي بِتلك الخرافات. هل خرحتَ عن طوركَ وركبتَ رأسكَ لأنك غلبتَ ذلك المسؤول إبروس؟»

قال هذا وأمسك مقعد قدمين وقدفه نحوه، ولكن أوديسيوس جلس على الأرض عند ركبتي أمفينوموس الآتي من دوليخيوم، خوفاً من يوروماخوس، فأصاب المبعد ساقياً في يده اليمني، فسقط منه إبريق الخمر على الأرض محدثاً رنيتاً. وتأوه الساقي، وسقط إلى الخلف فوق الثرى؛ عندئذ سادت الضوضاء بين المغازلين في شتى أنحاء الساحة الظلية، وهكذا كان أحدهم ينظر إلى حاره، ويقول له:

«ليت هذا الغريب هلك في مكان آخر أثناء تجواله أو أنه لم يأت إلى هنا قط، إذن لما جلب علينا كل هذه الضوضاء. أما الآن فنحن نتشاجر من أجل أبناء السبيل، ولن تكون هناك بعدها لوليمتنا الفاخرة، ما دامت تسود أمور أنسوا».»

تيليماخوس ينادى المغازلين الانصراف إلى بيوتهم للراحة

عند ذلك تحدث تيليماخوس القوي العتيق وسطهم، فقال: «أيها السادة الغربيون الأطوار، إنكم لعنتون، ولا تُنذرون بعد الآن أنكم قد أكلتم وشربتم، لا شك أن أحد الآلهة يُشربكم

٩ أى: حماسة.

إلى هذا؛ فما دمتم قد أولتمُ جيداً، فاذهبو إلى بيوتكم واستريحوا، إذا ما طاب لأرواحكم أن تستريح. ومع ذلك فإنني لا أطرد أحداً إلى الخارج.»

هكذا تكلّم، فعُضوا على شفاههم جميعاً، وتعجّبوا من أن تيليماخوس، يتحدث بهذه الجرأة. غير أن أمفينوموس تكلّم، وحاطبهم — وهو ابن الأمير النبيل نيسوس بن أريتياس — فقال:

«أصدقائي، لا يجدر بأي رجلٍ إذا ما أراد أن يُجيب بحكمةٍ على ما قيل، أن يتهوّر ويردّ بعباراتٍ عدائية. لا تسبّوا هذا الغريب بعد الآن، ولا أَيّ خادمٍ ممن في بيت أوديسيوس المقدس. كلا، هيا، دعوا الساقي يصب نقطاً كسكيبةٍ في الكؤوس، حتى نتمكن من صب السكيبات، ثم ننصرف إلى بيوتنا لنأخذ راحتنا. أما هذا الغريب، فلنترُّه في ساحات أوديسيوس ليهتمّ بأمره تيليماخوس؛ لأنّه قد جاء إلى داره.»

هكذا قال، فسرّ الجميع من قوله. بعد ذلك خلط السيد موليوس *Mulius*، الآتي من دوليخيوم، رسول وخادم أمفينوموس، طاساً من الخمر، ووزّع على الجميع، ذاهباً إلى كل واحد بدوره، وقدّموا سكيباتٍ للآلهة المباركة، فشربوا من الخمر التي كالعسل حلاوة. وبعد أن انتهوا من السكيبات وشربوا حتى شبعوا، انصرف كل رجلٍ منهم إلى منزله، ليستريح.



## الأنشودة التاسعة عشرة

### أوديسيوس يرسم لتيليماخوس خطة مقتل المغازلين

وهكذا ترك أوديسيوس العظيم في الساحة وحده، يُدبر مقتل المغازلين بمساعدة أثينا، وفي الحال تكلم بعباراتٍ حماسيةٍ، فقال لتيليماخوس:

«أي تيليماخوس، يجب أن تنقل جميع أسلحة الحرب إلى الداخل بعيداً، وعندما يفتقده المغازلون ويسألونك عنها، يجب أن تخدعهم بكلماتٍ رقيقة، فتقول: لقد وضعتها بعيداً عن الدخان، طالما أنها لم تُعد كما تركها أوديسيوس العجوز عندما رحل إلى طروادة، بل غدت ملطخةً كلها؛ إذ قد وصل إليها لهيب النار. وزيادةً على ذلك فإن خوفاً عظيماً قد وضعه أحد الآلهة في قلبي؛ لأنني أخشى، عندما تلهبكم الخمر، أن تُقيموا شجراً فيما بينكم، فيجرح بعضكم البعض الآخر، فتُعكروا صفو وليتملكم وصفو مغازلتكم. لأن الحديد يجذب المرء إليه من تلقاء نفسه.»

### يوروكليا تستجيب لنداء تيليماخوس

هكذا تكلم، فأنصت تيليماخوس إلى قول أبيه العزيز، ثم نادى المربية يوروكليا، وقال لها: «أيتها المربية: إنني أمرك بأن تجيئي الآن، احبسي النساء في حجراتهن، ريثما أضع أسلحة أبي في حجرة الخزين، الأسلحة العظيمة التي بإهمالها جميعاً قد علاها الدخان في الساحة منذ أن رحل أبي، وأنا طفلٌ عند ذاك. وإنني أعتزم الآن أن أضعها بعيداً، في مكانٍ لا يصل إليها لهب النار.»

<sup>١</sup> الترجمة الحرافية: بكلماتٍ مجنة.

<sup>٢</sup> الترجمة الحرافية: فتجلبو العار على وليتملكم وعلى المغازلين.



عَرَفَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ هَذِهِ الْعَلَمَةَ، عَنْدَمَا أَمْسَكَتِ سَاقَهُ فِي رَاحَتِي يَدِيهَا، بِاللِّمْسِ.

بعد ذلك أجبته المربية العزيزة يورووكليا، قائلةً: «نعم، يا ولدي، أتمنى أن تُفْكِرْ دائمًا في الاهتمام بأمر المنزل وحراسة كل ثروته. ولكن تعال، من ذا الذي يذهب ويحضر سراجًا ويحمله لك، ما دمت لم تسمح للفتيات، اللواتي كان في استطاعتهن إعطاء النور، بالذهب  
أمامك؟»

فأجابها تيليماخوس الحكيم، بقوله: «هذا الغريب هنا؛ لأنني لن أسمح لأحد بالكسل، كل من يلمس مكيالًا من الدقيق،<sup>٣</sup> حتى ولو كان قادمًا من بعيد.»

<sup>٣</sup> حوالي ٥ فترات، وكان هذا هو جرأة العبد، في اليوم، من القمح أو من الدقيق.



## أوديسيوس وتيليماخوس يُخفيان أسلحة الحرب المعلقة

قال هذا، بيد أنها لم ترَدَ على قوله،<sup>٤</sup> وإنما أغلقت أبواب الساحة الراحبة. بعدئذ نهض كلّاهما، أوديسيوس وابنه المجيد، وشرعا ينقلان إلى الداخل الخوذات والتروس والدروع المرصّعة والرماح المدببة الأسئنة، وأمامهما بالاس أثينا، تحمل مشعلاً عسجديّاً، يتبثق منه ضوءٌ ساطع في غاية الروعة. بعد ذلك تحدّث تيليماخوس فجأةً إلى أبيه، وقال:

«أبٌتاه، حقاً إن هذه لأعجوبةٌ عظيمة، تلك التي تراها عيناي؛ لا شك أن جدران البيت وأخشابه الرائعة<sup>٥</sup> والكتل التي من خشب الحور، والأعمدة البالغة الارتفاع، تُرسل سناءً يتلألق في عينيٍّ كما لو كانت تتوجّج بلهب النار المتأجّة. لا ريب أن هنا أحد الآلهة، أحد أولئك الذين يحتلّون السماء الفسيحة.»

فردَّ عليه أوديسيوس الكثير الحيل، بعد ذلك، بقوله: «صه، أبِّيَّد عنكَ هذه الفكرة. ولا تسأل أيَّ سؤال. هذا، كما أقول لك، هو طريق الآلهة التي تحتلّ أوليمبُوس. ولكن يجب

<sup>٤</sup> الترجمة الحرافية: بيد أن كلمتها يُبقيت غير مجنحة.

<sup>٥</sup> المعنى هنا غامض ولكن أرسطو فسّرَه بأنه «المسافات بين الأعمدة»، بينما فسّرَه آخرون على أنه «المسافات بين الكتل».

أن تذهب الآن وتستريح وسأبقى أنا هنا، كي أثير عقول الفتيات وأمك، التي بالبكاء سوف تسألني عن كل شيءٍ على حدة.»

### تيليماخوس يذهب لينام وبينيلوبى تخرج من مقصورتها

ما إن قال هذا، حتى انصرف تيليماخوس عبر الساحة على ضوء المشاعل المستعمرة لكي يذهب إلى حجرته لينام؛ حيث كان من عادته السابقة أن ينام، متى يداعبه النوم اللذين، فرقد هناك منتظرًا ضوء الفجر. أما أوديسسيوس العظيم فبقي في البهو، يُدبر بمعونة أثينا مقتل المغازلين.

بعد ذلك خرجت بينيلوبى الحكيمة من مقصورتها كأنها أرتيميس أو أفروديتى الذهبية، ومن أجلها وضعوا بجانب النار، في المكان الذي اعتادت الجلوس فيه، كرسيًا مرصصًا بزخارف العاج والفضة، كان قد صنعه قديماً إكماليوس Icmalius الصانع، ووضعوا أسفله كرسيًّا للقدمين، كان جزءاً من الكرسي، وفوقه فروة من الصوف واعتادوا وضعها عليه، فجلست بينيلوبى الحكيمة فوق هذا، وخرجت العذرارات الناصعات السواعد من بهو السيدات، فأنشأ هؤلاء في رفع الطعام الوفير، والمناضد والكؤوس التي كان يشرب منها السادة، وألقينَ رماد الماقد فوق الأرض، ووضعنَ في الماقد أخشاباً جديدة بكمية وفيرة، كي تُعطي النور والدفء.

### أوديسسيوس يُحدّر ميلانثو من المستقبل

بيد أن ميلانثو بدأت مرةً ثانية تسخر من أوديسسيوس، فقالت: «أيها الغريب، أسفوف تظل وباءً علينا طوال الليل، تتجول خلال المنزل، وتتجسس على النساء؟ كلا، اخرج، أيها الوضيع، واكتفِ بعشائك، وإلا ضربت في الحال بمشعل، وعندئذٍ تخرج.»

قطب أوديسسيوس الكثير الحيل ما بين حاجبيه، ونظر إليها بغضب، وقال: «أيتها السيدة الطيبة، لم، بربك، تهاجميني هكذا بقلب حانق؟ لأنني قذرُ وأرتدي ملابس مُهلهلةً على جسمي، وأستجدي في طرقات المدينة؟ هذا لأن الحاجة تضطربني إلى ذلك، فهكذا هم الشحاذون وأبناء السبيل. لقد مرت بي أيامٍ كنتُ أحيا في قصرٍ ملكي وسط الرجال، فكنتُ رجلاً ثرياً في منزل ثري، وكثيراً ما أخرجتُ الصدقات لأبناء السبيل، مهما كانوا، ومهما كانت الحاجات التي جاءوا من أجلها. وكان لي عبيدٍ يفوقون الحصر، وبوفرةٍ كانت عندي

جميع الأشياء الأخرى التي يعيش بها الرجال عيشة الترف ويشتهرون بالثراء. غير أن زوس بن كرونوس، أنهى كل شيء إلى لا شيء؛ فهكذا، كما أعتقد، كانت مسيرة العظمى؛ ومن ثم، حذارك، أيتها المرأة، خشية أن تفتقدي في يوم من الأيام كل المجد الذي تحظين به الآن رائعة وسط الوصيفات؛ وخشية أن تحدق عليك سيدتي مصادفةً وتغضب عليك، أو أن يعود أوديسيوس إلى البيت؛ لأنك لا يزال هناك مجال للأمل. وحتى، لو كان، كما يبدو، قد مات ولن يعود أبداً، فإن هناك الآن ابنه، تليماخوس، الذي بفضل أبوه، لا يغفل عنه لو أن أي واحدةٍ من النساء تفعل بالساحة ما يحلو لها؛ لأنك لم يُعد بعد ذلك الطفل الذي كانه.»

### بينيلوبي تنهي خادمتها

قال هذا، وسمعته بينيلوبي الحكيمه، فنهرت الخادمة، وخطبتها، بقولها: «ثقي أيتها الجريئة العديمة الحياة، أن عملك الطائش ذاك ليس خافياً عني بأية حالٍ من الأحوال، وسوف تُرْيَلِين برأسك بقعته نفسها. إنك تعرفي حق العلم؛ إذ سمعت من شفتي، أنني معتزمه سؤال ذلك الغريب في ساحتني عن زوجي؛ لأنني في غاية الكمد.» بهذا تكلمت أيضاً إلى المربية يورونومي *Eurynome*، وقالت: «أحضرني، يا يورونومي، هنا كرسيًّا وفروةً من الصوف فوقه، كي يجلس الغريب ويحكى قصته ويُصْغِي إلى: لأنني متأنفةٍ إلى سؤاله عن كل شيء.»

### بينيلوبي وأوديسيوس ينخرطان في حوارٍ ممتع

ما إن قالت هذا، حتى أسرعت يورونومي فأحضرت كرسيًّا مصقولاً ووضعته في مكانه، ووضعت فوقه فروة من الصوف. بعد ذلك جلس عليه أوديسيوس العظيم البالغ التحمل، وببدأته بينيلوبي الحكيمه بالكلام، فقالت:

«سأُلْقِي عليك هذا السؤال أولاً، أيها الغريب، من أنت من بين البشر، ومن أين، وأين مدینتك، وأين والدك؟»

عندئذ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، قائلًا: «سيدتي، لا يستطيع أي فرد من البشر على ظهر الأرض الواسعة الفلا أن يتمسّك عليك بخطاً؛ إذ بلغت شهرتك عنان السماء الواسعة الأ姣از، كما تنتشر شهرة ملِكٍ لا غبار على تصرُفاته، يخشى الآلهة في قلبه، ويكون سيداً على رجال عديدين ذوي قوة، ويراعي جانب العدالة، فتنفتح التربة السوداء القمح

والشعيـر، وتـغدو الأشـجار مـثـقلـة بالـثـمار، وـتـظل الأـغـنـام تـلـدـ الحـملـان بـغـيرـ انـقـطـاعـ، وـيـخـرـجـ الـبـحـرـ أـسـمـاـكـ، كـلـ ذـلـكـ مـنـ قـيـادـتـهـ الرـشـيـدـةـ، وـيـلـمـسـ النـاسـ الرـخـاءـ فـيـ عـصـرـهـ، وـمـنـ ثـمـ سـلـيـنـيـ الـآنـ فـيـ مـنـزـلـكـ عـنـ أـيـ شـيـءـ تـرـيـدـيـنـ، إـلـاـ عـنـ جـنـيـ وـوـطـنـيـ، لـتـلـاـ تـرـيـدـيـ قـلـبـيـ آـلـاـمـ عـلـىـ الـآـلـمـ، وـأـنـاـ أـفـكـرـ فـيـ ذـلـكـ؛ لـأـنـيـ رـجـلـ قـاسـيـ كـثـيرـاـ مـنـ الـآـحـزـانـ. وـزـيـادـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فـلـاـ يـلـيقـ بـيـ أـنـ أـجـلـسـ وـأـبـكـيـ وـأـنـتـبـ فـيـ بـيـتـ رـجـلـ آـخـرـ؛ إـذـ لـاـ يـجـدـرـ أـنـ أـظـلـ فـيـ الـغـمـ دـوـنـ انـقـطـاعـ. لـاـ يـعـجـبـنـيـ أـنـ تـغـضـبـ مـنـ إـحـدـيـ خـادـمـاتـكـ أـوـ أـنـتـ نـفـسـكـ، وـتـقـولـ إـنـنـيـ أـسـبـحـ فـيـ الدـمـوعـ لـأـنـ عـقـلـيـ مـثـقـلـ بـالـخـمـرـ.»

فرـدـتـ عـلـيـهـ بـيـنـيـلـوـبـيـ الـحـكـيـمـ بـقـوـلـهـ: «أـيـهـاـ الغـرـيبـ، إـنـ بـهـائـيـ كـلـهـ، سـوـاءـ فـيـ الـجـمـالـ أـوـ فـيـ الـقـدـ، قـدـ حـطـمـهـ الـخـالـدـوـنـ فـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ أـبـرـ فـيـهـ الـأـرـجـوـسـيـوـنـ إـلـىـ إـلـيـوـسـ، وـصـاحـبـهـ زـوـجـيـ، أـوـدـيـسـيـوـسـ؛ فـلـوـ أـنـهـ أـتـىـ فـقـطـ، وـأـشـرـفـ عـلـىـ حـيـاتـيـ هـذـهـ، لـغـدـاـ صـيـتـيـ أـعـظـمـ وـأـعـطـرـ، وـلـكـنـتـيـ الـآنـ مـهـمـوـمـةـ الـفـؤـادـ، خـصـنـيـ أـحـدـ الـآـلـهـةـ بـأـرـزـاءـ عـدـيـدـ؛ لـأـنـ جـمـيعـ الـأـمـرـاءـ الـذـينـ يـسـوـسـوـنـ الـجـزـرـ - دـلـيـخـيـوـسـ وـسـامـيـ وـزـاـكـوـنـثـوـسـ الـكـثـيـرـةـ الـغـابـاتـ - وـأـوـلـئـكـ الـذـينـ يـقـيـمـوـنـ حـولـ إـيـثـاكـاـ الـواـضـحـةـ لـلـعـيـنـ نـفـسـهـاـ، كـلـ هـؤـلـاءـ يـغـازـلـونـنـيـ عـلـىـ كـرـهـ مـنـيـ وـمـضـضـ، وـيـخـرـبـونـ بـيـتـيـ؛ وـلـذـكـ فـإـنـيـ لـأـعـيـرـ أـيـ غـرـيبـ أـوـ مـتـضـرـعـ أـوـ رـسـولـ، ذـلـكـ الـذـيـ مـهـنـتـهـ عـامـةـ، بـلـ أـذـيـبـ قـلـبـيـ دـوـنـ جـدـوـيـ مـنـ فـرـطـ شـوـقـيـ إـلـىـ أـوـدـيـسـيـوـسـ؛ وـمـنـ ثـمـ فـإـنـ أـوـلـئـكـ الـرـجـالـ يـلـحـوـنـ فـيـ طـلـبـ الـزـوـاجـ مـنـيـ، وـإـنـيـ أـرـاـوـغـهـمـ وـأـدـبـرـ لـهـمـ شـتـىـ الـحـيـلـ؛ فـأـوـلـاـ أـوـحـيـ إـلـيـ أـحـدـ الـآـلـهـةـ بـفـكـرـهـ وـضـعـهـ فـيـ قـلـبـيـ وـهـيـ أـنـ أـقـيـمـ نـسـيـجـاـ كـبـيـرـاـ فـيـ سـاحـاتـيـ وـأـنـهـمـكـ فـيـ نـسـيـجـ ثـوـبـ - وـكـانـ النـسـيـجـ مـنـ الـخـيـطـ الـرـائـعـ وـمـتـسـعـاـ جـداـ - وـفـيـ الـحـالـ تـكـلـمـتـ وـسـطـهـمـ، قـائـلـةـ: «أـيـهـاـ الشـبـانـ، الـذـينـ تـغـازـلـونـنـيـ، مـاـ دـامـ أـوـدـيـسـيـوـسـ الـعـظـيمـ قـدـ مـاتـ، فـاـصـبـرـوـاـ، رـغـمـ اـشـتـيـاقـيـ إـلـىـ الـزـوـاجـ، حـتـىـ أـنـتـهـيـ مـنـ نـسـجـ هـذـاـ الـثـوـبـ - وـلـاـ أـوـدـ أـنـ يـسـفـرـ نـسـجـيـ عـنـ لـاـ شـيـءـ - بـلـ أـصـنـعـ كـفـنـاـ لـلـسـيـدـ لـاـبـرـيـتـيـسـ لـلـوـقـتـ الـذـيـ يـسـقـطـ عـلـيـهـ فـيـهـ مـصـيرـ الـمـوـتـ الـحـزـنـ فـيـصـرـعـهـ؛ لـتـلـاـ تـغـضـبـ مـنـ أـيـةـ وـاحـدـةـ مـنـ السـيـدـاتـ الـأـخـيـاتـ، لـوـ أـنـهـ رـقـدـ بـدـونـ كـفـنـ، ذـلـكـ الـذـيـ اـقـتـنـيـ مـمـتـلـكـاتـ هـائـلـةـ.»

هـكـذـاـ قـلـتـ، وـوـافـقـتـ قـلـوبـهـ الـمـتـغـطـرـسـةـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ بـقـيـتـ أـنـسـجـ فـيـ الـمـنـسـوـجـ الـهـائـلـ يـوـمـاـ بـعـدـ يـوـمـ، غـيرـ أـنـيـ كـنـتـ أـحـلـ بـالـلـيـلـ مـاـ نـسـجـتـهـ، بـعـدـ أـنـ أـضـعـ الـمـشـاعـلـ إـلـىـ جـوـارـيـ. وـهـكـذـاـ بـقـيـتـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ دـوـنـ أـنـ يـعـرـفـ الـآـخـيـونـ جـلـيـةـ الـأـمـرـ؛ إـذـ خـدـعـتـهـمـ. بـيـدـ أـنـهـ لـمـ جـاءـتـ السـنـةـ الـرـابـعـةـ، بـمـرـورـ الـفـصـولـ، وـذـبـلـتـ الـشـهـوـرـ، وـتـوـالـتـ الـأـيـامـ الـعـدـيـدـةـ. جـاءـوـاـ بـمـسـاعـدـةـ خـادـمـاتـيـ، أـوـلـئـكـ الـمـلـخـوـقـاتـ الـعـدـيـمـاتـ الـحـيـاءـ وـالـطـائـشـاتـ، وـأـمـسـكـوـنـيـ وـأـنـاـ

أحْلُهُ وعَيْرَوْنِي بِصُوتِ مُرْتَفِعٍ؛ وَعَلَى ذَلِكَ أَنْهَيْتُ النَّسِيجَ ضِدَّ رَغْبَتِي بِالْقُوَّةِ. أَمَّا الْآنَ فَلَسْتُ بِمُمْكِنَةِ الْهَرُوبِ مِنَ الزَّوْاجِ وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُدْبِرَ خَطَّةً بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَضْغَطُ عَلَيَّ وَالْدَّايِ فِي أَنْ أَتَزَوَّجَ، وَأَمَا ابْنِي فَإِنَّهُ يَسْتَشِيطُ غَيْظًا، بَيْنَمَا يَلْتَهُمْ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ أَمْوَالَهُ، وَهُوَ يَرَاقِبُ الْأَمْرَ كَلَهُ؛ إِذْ قَدْ غَدَا الْآنَ رَجْلًا، وَصَارَ فِي مَقْدُورِهِ الْاِضْطِلَاعُ تَمَامًا بِشَيْئُونَ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَمْنَحُهُ الْمَجْدُ زَوْسٌ. وَلَكِنْ خَبَرْنِي عَنْ نَسْبَكَ وَمَنْ أَيْنَ أَنْتَ؛ لَأَنَّكَ لَسْتَ مُنْهَدِرًا مِنْ شَجَرَةِ بُلُوطٍ عَتِيقَةٍ، وَلَا مِنْ حَجَرٍ.»<sup>٦</sup>

### أُودِيُسيُوسُ يَرُوِيُّ الْأَكَانِيْبَ عَنْ نَسْبِهِ

عَنْدَئِذٍ أَجَابَهَا أُودِيُسيُوسُ الْكَثِيرُ الْحِيلِ، قَائِلًا: «يَا زَوْجَةُ أُودِيُسيُوسَ الْمُبَجَّلَةُ، ابْنَ لَايِرْتِيسِ، أَلَا تَكُفُّيَ قَطُّ عَنْ أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْ سَلْسَلَةِ نَسْبِيِّ؟ حَسَنًا، فَلَا خَبْرُنِكَ؛ رَغْمَ أَنِّكَ سَتُسْلِمِنِيَ حَقًا لِأَلَامَ أَكْثَرَ مِنْ تَلْكَ الَّتِي أَفْقَسَيْهَا الْآنَ وَتَسْتَوْلِي عَلَيَّ؛ لَأَنَّ الْأَمْرَ هَكَذَا دَائِئِمًا عَنْدَمَا يَكُونُ الْمَرْءُ بَعِيْدًا عَنْ وَطْنِهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ مَعِيَ الْآنَ، أَتَجَوَّلُ خَلَالَ بَلَادِ النَّاسِ الْعَدِيدَةِ فِي حَزْنٍ عَمِيقٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَسَأُخْبِرُكَ عَمَّا تَسْأَلِينِ وَتَسْتَعْلِمِينِ عَنْهُ. هَذَا بَلْدُ اسْمِهِ كَرِيتُ، فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْقَاتِمِ كَالْخَمْرِ، وَهُوَ أَرْضٌ جَمِيلَةٌ خَصِيبَةٌ، يُحِيطُ بِهَا الْمَاءُ، وَسَكَانُهَا عَدِيدُونَ، لَا يَقْعُونَ تَحْتَ حَصْرٍ، وَبِهَا تَسْعَونَ مَدِينَةً. وَلَا يَتَكَلَّمُونَ جَمِيعًا نَفْسَ الْلِّغَةِ، بَلْ خَلِيلًا مِنَ الْلِّغَاتِ. هَذَا يَقْطَنُ الْأَخْيُونَ، وَهُنَاكَ الْكَرِيتِيُونُ الْشَّجَاعُونَ، وَهُنَاكَ الْكُوْدُونِيُونُ Pelasgians. وَالْدُّورِيُونُ Dorians ذُوو الْرِيَاضِ الْمُتَمَوِّجَةِ، وَالْبِيلَاسِجِيُونُ Cydonians. وَهُنَاكَ وَسْطُ بَلَادِهِمْ مَدِينَةُ كَنُوسُوس Cnosus الْعَظِيمَةُ، الَّتِي حَكَمَ فِيهَا مِينُوسُعَنْدَمَا كَنْتُ سَنَهُ تَسْعُ سَنَوَاتٍ،<sup>٧</sup> وَهُوَ الَّذِي تَحَدَّثَ مَعَ زَوْسِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ وَالَّدُ أَبِيِّ، دِيُوكَالِيُونُ Deucalion الْعَظِيمُ الْقَلْبُ. وَقَدْ أَنْجَبَنِي دِيُوكَالِيُونُ، وَكَذَلِكَ أَنْجَبَ الْأَمِيرَ إِيدُومِينِيُوس Idomeneus. وَقَدْ رَحَلَ إِيدُومِينِيُوسُ فِي سَفَنِهِ ذَوَاتِ الْحَيَازِيْمِ إِلَى إِلَيُوسِ مَعَ أَبْنَاءِ أَتَرِيُوسِ. وَأَمَّا اسْمِيُّ الَّذِي أَشْتَهَرَ بِهِ فَهُوَ أَيْثُونُ Aethon؛ وَكَنْتُ أَنَا أَصْغَرُ مِنْهُ مَوْلَدًا بَيْنَمَا كَانَ هُوَ الْأَكْبَرُ وَالْأَفْضَلُ. هَذَا رَأَيْتُ أُودِيُسيُوسَ وَأَعْطَيْتُهُ هَدِيَّةً؛ إِذْ كَانَتْ

<sup>٦</sup> يَبْدُو أَنَّ الْعِبَارَةَ مُقْتَبَسَةً مِنْ شِعْرٍ شَعْبِيٍّ قَدِيمٍ. وَالْمَعْنَى هُنَا هُوَ: «لَيْسَ لَكَ أَصْلٌ وَاضْجَعْ، كَمَا لَوْ كَنْتَ مُنْهَدِرًا مِنْ شَجَرَةِ بُلُوطٍ أَوْ مِنْ قَطْعَةِ حَجَرٍ. إِنَّ لَكَ أَسْلَافًا مِنَ الْبَشَرِ، فَخَبَرْنِي عَنْهُمْ.»

<sup>٧</sup> يَجْعَلُ الْبَعْضُ الْتَّرْجِمَةَ أَقْلَى دَقَّةً: «تَسْعُ سَنَوَاتٍ» أَوْ «خَلَالَ فَتَرَاتٍ مَدْتَهَا تَسْعُ سَنَوَاتٍ.»

قوة الريح قد جرفته كذلك إلى كريت، وكان يسعى إلى أرض طروادة، فدفعته بعيداً عن طريقه عبر ماليا Malea؛ ومن ثم أرسى سفنه عند أمنيسوس Amnisus، حيث يوجد كهف إيليثيويا Eilithyia، في ميناءٍ وَعْرٍ، ولم ينجُ من العاصفة إلا بِشَق الأنفس. وبعد ذلك قصد المدينة في الحال وسائل عن إيدومينيوس؛ لأنَّه أذاع أنه صديقه، المحبوب والمُجلَّ، ولكنها قد مضى الآن الفجر العاشر أو الحادي عشر منذ أن أبحر إيدومينيوس في سفنه ذوات الحيازيم إلى إليوس، فصَحَّبَهُ إلى المنزل، وقدَّمَتُ له القرى بِتَرْحِيبٍ كريم من الخزين الغزير الذي كان بالمنزل، وإلى بقية رفقائه وأتباعه الذي صحبوه جمِعْتُ وقدَّمَتُ، من الخزين العام، وجبة من الشعير والخمر المستمرة وثِيرَانًا كذبائح، كي تشبع قلوبهم. هناك تلَّكَ الآخيون العظامُ اثْنَي عشر يوماً؛ لأنَّ الريح الشمالية العاتية حَرَّثَتْهُم هناك، ولم تسمح لهم بالوقوف على أقدامِهم فوق اليابسة؛ إذ قد أثارها أحدُ الآلهة الغاضبين. حتى إذا ما أقبل اليوم الثالث عشر هَدَّتْ الريح فأَقْلَعُوا عَبْرَ الْبَحْرِ.»

### بيينيلوبي تبكي وتنتحب من شدة الحزن

هكذا تَكَلَّمَ، وجعل الأكاذيب الكثيرة من روايته تبدو أشبه بالحقيقة، وبينما هي تصغي إلى انهمرت دموعها وذاب وجهها كما يذوب الثلج فوق شوامخ الجبال، الثلج الذي تُذيبه الريح الشرقية عندما تنشره الريح الغربية، وبمجرد أن يذوب تمتلي به مجري الأنهار حتى حافاتها. هكذا ذابت خودها الناعمة وهي تبكي وتنتحب حزناً على زوجها، الذي كان في تلك اللحظة جالساً إلى جوارها. وتحرك قلب أوديسيوس بالشفقة على زوجته الباكية، بيد أن عينيه ظلتا جامدتين بين أ Gefane كما لا كانتا من مادة القرون أو الحديد، وبالخداع أخفى دموعه، فلما انتهت من البكاء ونالت منه قسطاً وافراً دامعاً، تحدَّثَتْ إليه من جديد، فقالت: «الآن حَقّاً، أيها الغريب، قد اعترضتْ أن أختبرك، لأعرف ما إذا كنتَ حقيقةً قد أكرمتَ في ساحاتك زوجي مع رفقائه أشباه الآلهة، كما كنتَ تقول، أم لم تكرمه. خَبِّرني عن نوع الملبس الذي كان يرتديه فوق جسمه، وأي لونٍ من الرجال كان هو نفسه؛ وأخبرني عن الرفاق الذين تَبِعُوه.»

### أوديسيوس يعطي بيينيلوبي علاماتٍ أكيدة عن زوجها

عندئذٍ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، قائلاً: «سيدتي، من العسيرة على المرء أن يُخْبرَك عن هذا بعد أن مضى عليه مثل هذه المدة الطويلة السحرية؛ إذ قد انقضى الآن العام العشرون

منذ أن رحل من هناك، وغادر من بلدي. ومع ذلك فسأُخبركِ بقدرِ ما يُصوّرُه لي عقلي. كان أوديسيوس العظيم يرتدِي عباءً أرجوانية من الصوف، عباءً مزدوجة الثناء، بها دبُّوسٌ مصنوع من الذهب ذو مشبكٍ مزدوج، بعيد الصنعة عجيبها من الأمام، مرسومٌ عليه كلب صيد يُمسِك بمخالبه الأمامية غزالاً أرقط، وأنشَب فيه أنيابه وهو يتلوى. وقد دُهش جميع الناس، كيف، والصورة من الذهب، كان الكلب يُنشَب أنيابه في الغزال ويختفِه، والغزال يُناضل بأقدامه ويُحاول الفرار. كلَّك لاحظتُ أن المدرعة كانت تتَّلَق كلها حول جسمه، كما تتَّلَق قشرة البصلة الجافة، وكانت ناعمةً جدًّا، وتشعُّ بريقاً كбриق الشمس. الحق أن نسوةً كثيرات كن يُحملن فيء متعجبات. وسأُخبرك بشيء آخر. أرجو أن تحفظيه في قلبك. لست أعرف ما إذا كان هذا لباس أوديسيوس في بيته، أم أن أحد زملائه أعطاه إياه عندما ركب ظهر السفينة السريعة، أو ربما أخذه من أحد الأغраб؛ إذ كان أوديسيوس عزيزاً على رجالٍ كثيرين؛ فقلما كان له نظيرٌ بين الآخرين. وأنا، نفسي،<sup>٨</sup> أعطيته سيفاً من البرونز، وعباءةً جميلةً أرجوانية مزدوجة الطيات، ومدرعةً مُوشَّأة الحافة، وشيعته مكرماً فوق ظهر سفينته ذات المقاعد. وزيادةً على ذلك، فقد كان يقوم على خدمته خادمٌ أكبر منه سنًّا، سأُخبرك عنه أيضاً، ومن أي نوعٍ من الرجال كان. لقد كان مستدير الكتفين، أسمُر البشرة. أُجعد الشعر، يُدعى يوروباتيس Eurybates، وكان أوديسيوس يُجلُّه أكثر من سائر الرفاق الآخرين؛ لأنَّه كان يشبهه حكمة.»

### أوديسيوس ينادى بينيلوبى الكف عن البكاء

هكذا قال، فتحرَّكت في قلبها الرغبة في البكاء أكثر من ذي قبل، عندما لاحظت العلامات الأكيدة التي ذكرها لها أوديسيوس. وبعد أن بكَت، ما شاءت أن تبكي، ردَّت عليه بقولها: «الآن، حَقًّا، أيها الغريب، بالرغم من أنك من قبلٍ موضع عطف، فستكون مُعزَّزاً ومُبجَّلاً في ساحتى، لأنني أنا التي أعطيته ذلك الرداء، الذي تصفه هكذا، وقد طويته، وأحضرته من حجرة الخزين، ووضعتُ به الدبُّوس البراق ليكون مبعث غبطةٍ له. أما زوجي فلن أُرْحِب به ثانية، وهو عائد إلى وطنه العزيز وإلى قصره؛ وعلى ذلك لقد كان

<sup>٨</sup> الأصل يقول «أيضاً».

بمصيرٍ شريرٍ أن ذهب أوديسيوس في السفينة الواسعة ليرى إليوس الشريرة، التي لا يجب أن يذَّكرُ الإنسان اسمها إطلاقاً».

فأجابها أوديسيوس الكثير الحيل بقوله: «يا زوجة أوديسيوس بن ليرتيس، المبَّلة، لا تُشَوِّهِي وجهك الفتَّان أكثر من ذلك، ولا تُذَبِّي قلبك كليًّا بالبكاء على زوجك. إنني حَقَّا لا أَلْمُكُ على هذا؛ فهذا طريق كل امرأة أن تبكي عندما تفقد زوجها الشرعي، الذي أَنْجَبَتْ له أطفالاً في حبها، مهما كان شخصاً آخر غير أوديسيوس، الذي كما يقولون، أشَبَهُ بالآلهة. ومع ذلك، يجب أن تَكُنْيَ عن البكاء، وَتُصْغِي إلى كلامي؛ لأنني سأصارحك بالحقيقة الأكيدة، ولن أخفِي شيئاً، كيف أَنْتِي من وقتٍ قريب جَدًّا سمعت عن عودة أوديسيوس. إنه قريب من هنا في أرض الثيسبروتيين الخصبة، حي يُرْزَق، وَيُحْضِرُ معه كنوزاً عديدة نفيسة، بينما كان يستجدي في البلاد، ولكنه فقد رفقاءه المخلصين وسفينته الواسعة فوق صفحة البحر القاتم كالخمر، وهو مسافر من جزيرة ثريناكيا لأن زوس وهيليوس Helius غضباً منه لأن رفقاءه قتلوا أبقار هيليوس؛ وعلى ذلك هلكوا جميعاً في البحر الصاخب، أما هو فتعلَّق بقاع سفينته إلى أن قذفت به الأمواج على الشاطئ، فوق أرض الفياكين، الذين هم أقرباء الآلهة. وبحماسٍ أبدي له هؤلاء كل إجلال، كما لو كان إلهاً، وَقَدَّموا له هدايا عديدة، وكانوا يتوقون هم أنفسهم إلى أن يُوصَلُوه إلى بيته سالماً. نعم، وكان يجب أن يكون أوديسيوس هنا منذ مدةٍ طويلة، إلا أنه وجد بحكمته أن من الخير له أن يجمع ثروة بالتجول عبر الأرض الفسيحة؛ فهكذا حَقَّا كان أوديسيوس يعرف طرقةً كثيرةً مريحةً أكثر من سائر البشر، ولم يكن في مقدور أي إنسان أن يتحداه. هكذا أخبرني فايدون Pheidon، ملك الثيسبروتيين، بالقصة. كذلك، أَفْسَمْ أَمَامِي، وهو يُصْبِبُ السكينيات في ساحاته، أن السفينة أُنْزَلت إلى البحر، وأن الرجال الذين كان عليهم أن يُوصَلُوه إلى وطنه، كانوا على أَهْبة الإبحار. أما أنا، فقد أرسلني أولاً؛ إذ تصادف أن إحدى سفن الثيسبروتيين كانت ذاهبة إلى دوليخيوم، الغنية بالقمح. وأراني جميع الكنوز التي جمعها أوديسيوس، والحق يُقال إنها تكفي لإطعام ذريته من بعده إلى الجيل العاشر؛ إذ كانت الثروة المدخرة له في ساحات الملك غاية في العظمة. ولكن أوديسيوس، هكذا قال الملك، ذهب إلى دودونا ليستمع إلى إرادة زوس من شجرة البلوط الشامخة التي للرب هناك، فيعرف كيف يمكنه أن يعود إلى وطنه بعد ذلك الغياب الطويل، وهل يعود سرًّا أو جهراً.

وعلى ذلك، إنه، كما أَخْبَرَكِ، سالم، وسيأتي حالاً؛ إنه قريب جَدًّا، ولن يمضي وقتٌ طويل وهو بعيد عن أهله وعن وطنه. وزيادةً على ذلك، فسأُقْسِمُ لك قسماً. ليكن زوس

شاهدي الأول، ذلك الرب الذي هو أرفع وأحسن الآلهة، وموقد أوديسيوس النبيل الذي أجيء إليه، أن هذه الأمور التي سأخبرك بها سوف، وایم الحق، تتم كما أخبرك. في خلال هذا الشهر بالذات سيكون أوديسيوس هنا، بمجرد أن يأْفَل القمر القديم ويظهر القمر الجديد.»

### بِينِيلوبي تَأْمِر بِتَكْرِيم الشَّحَادَ الغَرِيب

عندئِنْ أَجَابَتِه بِينِيلوبيِ الْحَكِيمَةَ، فَقَالَتْ: «آه، أَيْهَا الغَرِيبُ، لِيَتْ كَلْمَتُكَ هَذِه تَتَحَقَّقُ؛ عَنْدَنِي سَتَلْقَى مِنِي عَطْفًا بِالْغَلَّا وَهَدَايَا كَثِيرَةً، حَتَّى إِنْ مَنْ يَلْقَاكَ لِيَقُولَ إِنَّكَ مَحْظُوظٌ، وَلَكِنْ قَلْبِي يَحْدُثُنِي بِأَنَّ هَذَا سَيْكُونُ؛ أَنْ أُودِيسِيُوسَ لَنْ يَعُودَ بَعْدَ الْآنِ إِلَى بَيْتِهِ، وَلَنْ تَحْصُلَ أَنْتَ عَلَى مَنْ يُوَصِّلُكَ مِنْ هَذَا إِلَى بَلْدِكَ؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يُوجَدُ بِمَنْزَلِهِ الْآنِ رَجَالٌ سَادَةٌ مَثُلَّمَا كَانَ أُودِيسِيُوسَ وَسْطَ الرِّجَالِ — فَمَمَا لَا رِيبٌ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ هَنَاكَ مَثُلُّمَا كَانَ أُودِيسِيُوسَ وَسْطَ الرِّجَالِ — بِالْغَرِبَاءِ الْأَمْجَادِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَلِيُرْحِبُّوْهُمْ، وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، سَتَغْسِلُ وَصِيفَاتِيِ، أَقْدَامَ الغَرِيبِ، وَيُعِدُّنِي لِهِ فِرَاشَهُ — السَّرِيرُ وَالْعَبَائِاتُ وَالْأَغْطِيَةُ الْلَّامِعَةُ — لَكِي يَبْلُغَ الْفَجْرُ الْذَّهْبِيُ الْعَرْشُ فِي دَفَءِ وَرَاحَةٍ. وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ يَغْسِلُنِي وَيَدْهُنُهُ، حَتَّى يَسْتَطِعَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا إِلَى جَوَارِ تِيلِيمَاخُوسَ أَنْ يَتَنَاهُلُ الطَّعَامُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْبَهْوِ. وَسَيْكُونُ وَبِالْأَلَّ عَلَى أَيِّ رَجَلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَغْيِظَ رُوحَ هَذَا الرَّجَلِ وَيُسْبِّبَ لَهَا الْأَلَمُ؛ فَلَنْ يَقُولَ بِأَيِّ شَيْءٍ هَذَا بَعْدَ ذَلِكَ، مَهْمَا كَانَ مَبْلَغُ غَضْبِهِ عَنِّيَّا؛ لَأَنَّ سَوْفَ تَعْرِفُ عَنِّيَّ، أَيْهَا الغَرِيبُ، مَا إِذَا كُنْتُ أَتَفْوَقُ عَلَى سَائِرِ السَّيَدَاتِ الْأُخْرَيَاتِ فِي الْحَصَافَةِ وَسَدَادِ الرَّأْيِ، إِذَا مَا جَلَسْتَ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ فِي سَاحَاتِيِ، غَيْرَ مَمْشُوطِ الشَّعْرِ وَمَرْتَدِيًّا مَلَبِّسَ حَقِيرَةً. إِنَّمَا الرَّجَالُ أَعْمَارُهُمْ قَصِيرَةٌ، فَإِذَا مَا كَانَ أَحَدُهُمْ صَارَمًا هُوَ نَفْسُهُ، وَكَانَ ذَا قَلْبٍ صَارِمٌ، إِذْنَ لَأَنْزَلَ عَلَيْهِ جَمِيعَ الْبَشَرِ الْمَحْنَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ لَا يَزَالُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ، وَعِنْدَمَا يَمُوتُ يَسْخُرُ مِنْهُ سَائِرُ النَّاسِ، أَمَا إِذَا كَانَ الْمَرْءُ خَالِيًّا مِنَ الْلَّوْمِ وَذَا قَلْبٍ لَا غُبَارٌ عَلَيْهِ، حَمْلُ الْأَغْرَابُ صَيْتَهُ بَعِيدًا بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ، وَقَالَ عَنْهُ الْكَثِيرُونَ إِنَّهُ رَجُلٌ حَقِيقِيٌّ.»

### أُودِيسِيُوسَ يَرْفَضُ ثُمَّ يَقْبِلُ بِشَرْوَطٍ

عندئِنْ أَجَابَهَا أُودِيسِيُوسَ الْكَثِيرَ الْحَيْلَ، قَائِلًا: «يَا زَوْجَةَ أُودِيسِيُوسَ بْنَ لَايِرِتِيسَ، الْمَجَّلَةَ، الْحَقُّ أَنَّ الْعَبَائِاتُ وَالْأَغْطِيَةُ الْلَّامِعَةُ صَارَتْ مَقِيَّةً إِلَى عَيْنِيِّ، مَنْذُ الْيَوْمِ الَّذِي تَرَكْتُ وَرَأَيْ



فيه جبال كريت الجليدية، عندما أبحرت على ظهر سفينتي ذات المجاذيف الطويلة. كلا، إنني سأرُدُّ كما تعودتُ أن أنام في الماضي خلال الليالي المؤرقه؛ فكم من ليالٍ قضيتها مُسْهَدًا على فراش قدر أنتظر الفجر المتألق العرش. نعم، وكذلك حماماتُ الأقدام لا تُدخل السرور إلى قلبي، ولن تلمس أي فتاة قدمي من جميع خادماتك اللواتي في ساحتك، إلا إذا كان هناك سيدة عجوز، مخلصة قاست في قلبها محنًا كثيرة كالتي قاسيتها؛ إذن فلن أمنع مثل هذه السيدة من أن تمس قدمي.»

### بينيابي تأمر يوروكليا بغسل قدمي الغريب

فأجابته ثانيةً ببنيابي الحكيمة، وقالت: «أيها الغريب العزيز، لم يحُدْثُ قَطْ أن رجلاً حازمًا مثلك، من أولئك الغرباء القادمين من بلاد نائية، قد جاء إلى منزلي كضييفٍ مُرحب به أكثر من غيره، وكانت كلماته جميعها حكيمَةً وحصيفةً لكلماتك. عندي سيدةٌ عجوز ذات قلبٍ مدرك في صدرها، قامت بتربيبة زوجي المسكين بكل محبة، وحملته في ذراعيها يوم ولدته أمه. هذه ستغسل قدميك، رغم أن السن قد أضعفها. تعالى الآن، يا يوروكليا الحكيمة، انهضي واغسلي قدميي رجل من نفس عمر سيدك. وللمصادفة، أقدامه تشبه أقدام أوديسيوس، وكذا يداه؛ إذ سرعان ما يشيخ الرجال من جراء الحظ الشّرّير.»

## يوروكليا تستجيب لأمر سيدتها

قالت هذا، فأخذت السيدة العجوز وجهها في يديها وتركت الدموع السواجم تتتساقط، وهي تتحدى وسط النحيب، قائلة:

«ويحيى! الويل لي، يا ولدي، لأنني لا أستطيع أن أعمل شيئاً من أجلك. حقاً إن زوس لييمقتك أكثر من سائر البشر، رغم أن لك قلباً يخاف رب؛ إذ لم يسبق قط أن أحرق أي إنسان، لزوس، الذي يقذف الصاعقة، قطعاً من الفخاذ الدسمة العديدة أو كثيراً من الذبائح المثوية المنتقاة كما فعلت أنت له، مع توسلاتك بأن تبلغ الشيخوخة الناعمة وتُرثي ابنك الجيد، ولكن للعجب، وقد منع عنك أنت وحدك يوم عودتك كلية. هكذا، كما أعتقد، طفقت النسوة يسخن منه أيضاً<sup>٩</sup> في بدل غريب بعيد، عندما جاء إلى منزل رجل مجيد، كما يسخر منك هنا جميع هؤلاء المخلوقات العديمي الحياة؛ فإنك لتحاشى الإهانة منهن الآن، وتتجنب تعنيفاتهن الكثيرة، لم تسمح لهن بأن يغسلن لك قدمايك، أما أنا، التي ليست شيئاً متذمراً، فقد أمرتني، بينيلوبى الحكيمه، ابنة إيكاريوس، بأن أغسل لك قدمايك؛ وعلى ذلك سأغسلهما، إكراماً لخاطر بينيلوبى وحاطرك؛ لأن الأحزان تُثير قلبي في داخلي. والآن، هيا استمع إلى ما سأقوله لك. إن غرباء كثيرين متقلين بالحن قد جاءوا إلى هنا، ولكنني أعلن أنني لم أرَ قط رجلاً من قبل يشبه غيره مثلاً تشبه أنت أوديسيوس، شكلاً وصوتاً، وأقداماً.»

فأجابها أوديسيوس الكثير الحيل، قائلة: «يا سيدتي العجوز، هكذا قال سائر من وقعت عيونهم علينا؛ إذ قرروا أنني وأوديسيوس يُشبه أحدهما الآخر، تمام الشبه، كما لاحظت أنت وقلت.»

## يوروكليا تحكي طرفاً عن طفولة أوديسيوس

هكذا تكلّم، فتناولت السيدة العجوز القدر اللامعة الملوعة بالماء الذي ستغسل منه قدمايه، فسّكبت كميةً وافرة من الماء البارد، وأضافت إليه ماءً دافئاً، ولكن أوديسيوس جلس بعيداً عن الموقد وأسرع فاستدار نحو الظلّام؛ لأنّه أحسَّ في قلبه في الحال إحساساً يُنبئ بما سيحدث، أنها، وهي تلمسه، قد تلاحظ علامة، وتنجلي الحقيقة. وعندئذ اقتربت منه

<sup>٩</sup> خاطبت المربية العجوز أوديسيوس الغائب أولاً، ثم اتجهت بعد ذلك إلى الغريب الماثل أمامها.

وبيدأت تغسل قدمي سيدها، ولكنها في الحال عرفت الجرح الذي من زمِّن بعيد أصابه به خنزيرٌ بري بناية الأبيض، عندما ذهب أوديسيوس إلى بارناسوس<sup>١٠</sup> Parnassus لزيارة أوتولوكوس<sup>١١</sup> Autolycus وأبناء أوتولوكوس، أبي أمه النبيل، الذي كان يفوق سائر الرجال في السرقة وفي حلف اليمين. إنه الإله هيرميس الذي أعطاه بنفسه هذه المهارة، إذ كان من عادته أن يُحرق له ذبائح مقبولة من فخاذ الحملان والجداء؛ ومن ثم صادقه هيرميس بقلب خالص. وذات مرة عندما جاء أوتولوكوس، إلى أرض إيثاكا الخصبة، وجد ابن ابنته طفلاً حديث المولد، وبينما كان يتناول غشاءه؛ وضفت يوروكليا الطفل فوق ركبتيه، وتكلَّمْتْ، وخطَّطْتْ، بقولها:

«أيا أوتولوكوس، أوجد بنفسك الآن اسمًا لتطلّقه على ابنك الذي أنجبته من صليك؛ وثق بأنه قد صلَى من أجله طويلاً.»

عندئِذ أجابها أوتولوكوس، وقال: «إن زوج ابنتي وابنتي، سيعطيانه أي اسم أقوله. وبما أنني قد جئتُ إلى هنا كشخصٍ غاضب من كثيرين، من الرجال والنساء، الذين يعيشون فوق ظهر الأرض المثمرة؛ وعلى ذلك فليكن الاسم الذي نطلّقه على الطفل هو أوديسيوس.<sup>١٢</sup> أما أنا، فعندما يتعرّع الطفل ويبلغ مبالغ الرجال ويصل إلى البيت العظيم لقريبِ أمه في بارناسوس، حيث تُوجَد ممتلكاتي فسوف أمنحه منها وأرسله في طريقه مغبِطًا.»

لذلك جاء أوديسيوس، كي يعطيه أوتولوكوس الهدايا الرائعة، فرَحَّب به أوتولوكوس وأبناء أوتولوكوس وأمسكوا يديه وحَيَّوه بكلماتٍ رقيقة، وأخذت أمفيثيا Amphithea والدة أمه، أوديسيوس في سعاديتها وقبلَتْ رأسه وكلّتا عينيه الجميلتين. أما أوتولوكوس فأمرَّ أبناءه الأمجاد بإعداد الطعام، فلَبِّوا أمره. وفي الحال أحضروا ثوراً، عمره خمس سنوات، وسلَخوه ونظفوه وقطعوا جميع أطرافه. وبعد ذلك قطّعوا تلك الأجزاء بمهارة إلى شرائح، وغرسوا فيها السفافيد، وشَوَّوها ببراعة ووزَّعوا القطع؛ ومن ثمَّ، ظلّوا يُولِمون، طوال اليوم كله حتى مغرب الشمس، ولم ينقص قلوبُهُم شيءٌ من الوليمة العادلة. وعندما غربت الشمس وخيمَ الظلام رقدوا ليستريحوا وأخذوا نعمة النوم.

١٠ جبلٌ مقدس لأبولو وربات الفن، قريب من دلفي.

١١ ابن هيرميس ووالد أنتيلكيا والدة أوديسيوس. ذاع صيته كِلُّ ماهر. كان قادرًا على إخفاء نفسه وبضائعه. وتولَّ إرشاد هرقل في المصارعة.

١٢ أو « طفل الغضب ».»

وما كاد يلوح الفجر الباكر، ذو الأنامل الوردية، حتى خرجوا للصيد، الكلاب وأبناء أوتولوكوس أيضًا، وذهب معهم أوديسيوس العظيم، فتساقوا جبل بارناسوس الشاهق، الذي تكسوه الغابات، وسرعان ما بلغا مغاراته ذات الرياح. كانت الشمس وقتئذ ترسل أشعّتها على الحقول، وهي تبزغ من أوقيانوس<sup>١٣</sup> Oceanus الرقيق الجريان العميق التدفق، عندما وصل الصيادون إلى أحد المرات. وكانت الكلاب في المقدمة، تشم الأثر، ومن خلفها أبناء أوتولوكوس يتتوسّطهم أوديسيوس العظيم، مقتربًا في أعقاب الكلاب مباشرة، يلوح برممه الطويل، وكان هناك يرقبه خنزيرٌ بري يرقد في مكمنٍ كثيف الأحراش لدرجة أن قوة الرياح البليلة لا تستطيع أن تهب خلاله ولا يمكن لأشعة الشمس المتألقة أن تتدفق داخله، وليس في مقدور المطر أن يُشق طريقه إليه؛ إذ كان كثيفًا جدًا، وكان هناك كثيرون من أوراق الشجر المتتساقطة بكمية كبيرة. ارتفع ضجيج أقدام الرجال والكلاب حول الخنزير وهي تهجم في المطاردة، فاندفع هو من مكمنه خارجًا نحوهم بظهرٍ كث الشعر وعيينَ تقدحان نارًا، ثم وقف أمامهم هناك عن كثب؛ عندئذٍ كان أوديسيوس أول من هجم عليه، شاهرًا رمحه الطويل في يده القوية، قاصدًا إصابته، بيد أن الخنزير كان أسرع منه، إذ عاجله بضربيٍ فوق ركبته، منقضاً عليه من الجنب، فأحدث بنابه جرحًا طويلاً في لحمه، ولكنه لم يصل إلى عظم الرجل، ولكن أوديسيوس أصابه بضربيٍ محكمة فوق كتفه اليمني، فمزق طرف الرمح اللامع إلى الداخل تماماً، وسقط الخنزير في التراب يصرخ، وهربت منه روحه. بعد ذلك انهمك أبناء أوتولوكوس الأعزاء بجثة الخنزير، وأما جرح أوديسيوس النبيل الشبيه بالإله فقد ضمدوه ببراعة، وأوقفوا الدم الأسود بتعويذة، ثم أسرعوا في الحال عائدين إلى منزل أبيهم العزيز. ولما عالجه أوتولوكوس وأبناء أوتولوكوس حتى شفي تماماً، وأعطوه هدايا رائعة، أرسلوه بسرعة عائداً إلى وطنه مسروراً، إلى إيثاكا؛ عندئذٍ اغتبط أبوه وأمه المبجلة لعودته، واستعلما منه عن القصة كلها، كيف أُصيب بذلك الجرح؛ فأخبرهما بالحقيقة كاملة، كيف، وهو يصطاد، ضربه خنزيرٌ بري بنابه الأبيض عندما ذهب إلى بارناسوس مع أبناء أوتولوكوس.

<sup>١٣</sup> ابن أورانوس وجيا والد حوريات المحيط، وربات الأنهر. نشأ أوقيانوس من جميع البحار والبحيرات والأنهار والينابيع.

## يوروكليا تتعرف على أوديسيوس من جرح ساقه

عَرَفَتِ السَّيْدَةُ الْعَجُوزُ هَذِهِ الْعَلَمَةُ، عَنْدَمَا أَمْسَكَتِ سَاقَهُ فِي رَاحَتِي يَدِيَهَا، بِاللَّمْسِ، فَتَرَكَتِ  
قَدْمَهُ تَسْقُطُ. وَقَعَتِ السَّاقُ فِي الطَّسْتِ، فَرَنَ الْوَعَاءُ الْبَرْوَنْزِيُّ، وَمَالَ عَلَى الْأَرْضِ، وَانْسَكَبَ  
الْمَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ شَمَلَ رُوحَهَا السُّرُورُ وَالْحَزْنُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاغْرَوْرَقَتِ  
عَيْنَاهَا بِالْدَمْوَعِ وَانْحَبَسَ صَوْتُهَا. وَلَكُنَّهَا أَمْسَكَتْ ذَقْنَ أُودِيسِيُوسَ، وَقَالَتِ  
«حَقًا إِنْكَ أُودِيسِيُوسَ، أَيْهَا الطَّفْلُ الْعَزِيزُ، وَلَمْ أَعْرِفَكَ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَحْسَسْتُ بَدْنِ سَيِّدِي  
كَلَاهِ».»

## أوديسيوس يأمر يوروكليا بالسكتوت

قَالَتِ هَذَا، وَتَطَلَّعَتِ إِلَى بَيْنِيَلَوبِي بَعْيَنَاهَا، تَرِيدُ أَنْ تُظْهِرَ لَهَا أَنْ زَوْجَهَا الْعَزِيزَ بِالْبَيْتِ. غَيْرِ  
أَنْ عَيْنَ بَيْنِيَلَوبِي لَمْ تُسْتَطِعْ أَنْ تَلْتَقِي بِنَظَرِهَا وَلَمْ تَفْهَمْهَا؛ لَأَنْ أَثْنَيَا حَوَّلَتِ تَفْكِيرَهَا إِلَى  
نَاحِيَةٍ أُخْرَى. أَمَّا أُودِيسِيُوسُ، فَتَحْسَسَ حَلْقَ الْمَرْأَةِ، وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ الْيَمْنِيِّ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى  
سَبَبَهَا قَرِيبًا مِنْهُ، وَقَالَ:

«أَمَاهُ، مَلَاهُ تَرْغِيبِنِي في تَحْطِيمِي؟ لَقَدْ رَبِّيَتِنِي بِنَفْسِكَ عَلَى صَدْرِكَ هَذَا، وَالآنَ بَعْدَ أَنْ  
كَابِدُتِ مَتَابِعَ مَحْزَنَةِ جَمَةٍ. قَدْ جَئْتُ فِي السَّنَةِ الْعَشِرِينِ إِلَى وَطَنِي. وَطَلَّمَا أَنْكِ قَدْ عَرَثْتِ  
عَلَيِّ، وَوَضَعَ إِلَهٌ هَذَا فِي قَلْبِكَ، فَسَكَاتُ لَئِلَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ أَيْ شَخِصٌ آخَرُ فِي السَّاحَاتِ؛ لَأَنْ مَا  
سَأَقُولُهُ لَكَ، هُوَ مَا سَيَحْدُثُ فَعَلًا. إِذَا أَخْضَعَ أَحَدُ الْأَلَهَيْنِ الْمَغَازِلِينَ السَّادَةَ إِلَى سِيَطْرَتِي، فَلَنْ  
أُعْتَقِدُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْكَ مُرْبِّيَتِي، عَنْدَمَا أَقْتَلَ الْخَادِمَاتِ الْأُخْرَى فِي سَاحَاتِي..»

## يوروكليا تَعِدُ أوديسيوس بِكَتْمَانِ السَّرِّ

مَا إِنْ قَالَ هَذَا، حَتَّى أَجَابَتِهِ يوروكليا الحكيمَةُ، بِقَوْلِهَا: «أَيْ بْنِي، مَا هَذِهِ الْعَبَارَةُ الَّتِي فَلَتَتِ  
مِنْ بَيْنِ حَاجِزِ أَسْنَانِكَ! إِنَّكَ تَعْرِفُ مَدِي ثَبَاتِ رُوحِي وَعَدَمِ اسْتِسْلَامِي. سَأَكْتُمُ الْأَمْرَ أَشْبَهُهُ  
بِالصَّخْرِ الْجَلْمُودِ أَوِ الْحَدِيدِ. وَسَأُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ آخَرَ يُجِبُ أَنْ تَنْصَعَ فِي قَلْبِكَ. إِذَا أَخْضَعَ لَكَ  
أَحَدُ الْأَلَهَيْنِ السَّادَةِ الْمَغَازِلِينَ، فَهَلْ لِي عَنْدِي أَنْ أَذْكُرَ لَكَ أَسْمَاءَ النِّسَاءِ الْلَّوَاتِي فِي سَاحَاتِكَ،  
وَأَخْبِرَكَ بِأَيْهِنَ لَا يُخْلِصُنَّ لَكَ، وَأَيْهِنَ الْبَرِيَّاتِ؟»

فَأَجَابَهَا أُودِيسِيُوسُ الْكَثِيرُ الْحَيْلِ، قَائِلًا: «يَا أَمَاهُ، مَلَاهُ، بِرِبِّكَ، تُخْبِرِينِي بِهِنَّ؟ لَا  
حَاجَةُ بَكَ إِلَى ذَلِكَ إِطْلَاقًا. سَوْفَ أَتَبَيَّنُهُنَّ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي جَيْدًا، وَسَأَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ.  
كَلَا، احْتَفِظُ بِالْأَمْرِ لِنَفْسِكَ، وَاتَّرْكِ النَّتِيْجَةَ لِلْأَلَهَيْنِ.»

هكذا تكلَّم، وخرجَت السيدة العجوز عَبْر البهو لُتُحْضِر الماء لقدميه؛ إذ انسكب الماء الأول كلَّه. وبعد أن غسلته، ودهنته جيًّا بالزيت، سحب أوديسيوس كرسيه من جديد واقترب أكثر من النار ليُدْفِئ نفسه، وأخفى أثر الجرح بأسماله.

### بينيلوبي تطلب من الغريب تفسيرًا لحلم رأته

كانت بينيلوبي الحكيمَة أول من تكلَّم، فقالت: «أيها الغريب، سأسألُك هذا السؤال البسيط بالإضافة إلى ما سبق؛ لأنَّه سرعان ما ستحين ساعة الراحة اللذِّيَّة، على الأقل لمن يُحْطُّ عليه النوم اللذِّيَّد رغْم يقظته. أما أنا فقد أعطاني ربُّ حزناً يفوق الحد؛ إذ أجد مَسْرَّتي يوماً بعد يوم في الحزن والبكاء، بينما أشرف على أعمالِي المنزليَّة وأعمالِ نسائيَّة في المنزل، حتى إذا ما أُقبل الليل وسيطر النوم على الجميع، استلقيتُ على فراشي، فتترَاحم الهموم الحادة حول قلبي الخافق، وتُقلِّق راحتِي، بينما أبكي. وكما تُغْنِي بصوتها الرخيم ابنة بانداريوس Pandareus،<sup>١٤</sup> عندليب الغابة الخضراء،<sup>١٥</sup> عندما يهُل الربِيع حديثاً، فتُحْطِّ جالسة على أفنان الشجر الكثيف الأوراق، وبأنغامٍ كثيرة متذبذبة تُطلق صوتها العذب منتحبة على صغيرها إيتولوس Itylus<sup>١٦</sup> العزيز، الذي قتلتُه ذات يوم بالسيف عن غير قصد، إيتوليوس، ابن الملك زيثوس Zethus<sup>١٧</sup> هكذا يتَّأرجح قلبي إلى هذا الجانب وذاك في ارتياه، لستُ أدرِّي هل أبقى مع ابني واحتفظ بكل شيء سالماً، ممتلكاتي، وعيدي، ومنزلي الرائع، المرتفع السقف، محترمة فراش زوجي وصوت الشعب، أم أذهب الآن مع من يكون خيراً الآخرين، منْ يُغازِلُونِي في الساحة، ويُقدِّم لي هدايا زواج تفوق الحصر. هذا فضلاً عن

<sup>١٤</sup> ابن لوكاون. وقد كان مفضلاً عند أبوه فوهب المهارة في الرماية بالسهام، فأكسبه هذا امتيازاً عندما حارب ضد الإغريق في طروادة.

<sup>١٥</sup> يفسر آخرون الكلمة على أنها لون الطائر نفسه.

<sup>١٦</sup> تقول الروايات إنه ابن زيثوس وأيدون. حقدت أيدون على «عديلتها» نبوبى لأنها أخْبَت أبناءَ أكثر منها فدَّرَتْ خطة لقتل أماليوس بن نبوبى الأَكْبَر، وهو يُحْطِّ في نومه مع إيتولوس. ولكنَّها أخطأتْ وقتَتْ إيتولوس، فاقتفي زيثوس آثارها، ولكنها تحولت إلى عندليب دائم التحبيب على ابنها.

<sup>١٧</sup> ابن زوس وأنتيوبى وشقيق توعم لأمفيون. وقد اشترك في جميع مخاطر أخيه أمفيون ولكنه لم تكن له براهُتُه الموسيقية. وبعد أن استولى الأخوان على طيبة وحصَّنَاها بالأسوار. كان أمفيون يحرك الأَحْجَار إلى مكانها بأصوات موسيقاه بينما كان يعتمد زيثوس على قوته الشخصية.

أن ابني، عندما كان طفلاً ضعيف الإدراك، لم يسمح لي بالزواج وترك منزل زوجي، أما الآن فقد كبر وبلغ مبالغ الرجال، والعجيب، إنه أيضاً يرجوني في أن أغادر هذه الساحات، وقد غاظه أن الآخرين يلتهمون أمواله على حسابه، ولكن، هيا، اسمع الآن هذا الحلم الذي رأيته، وفسّره لي. لدى بمنزلي عشرون إوزة تعود من الماء وتأكل القمح، فيمتلى قلبي سروراً وأنا أراقبها. بيد أنه خرج من الجبل نسراً ضخ معقوف المنقار وكسر جميع أعناقها وقتلها، فتناثرت ملقةً على أرض الساحة في كومة، بينما صعد هو مرتفعاً إلى السماء اللمعة. أما أنا فبكيتُ وأعولت، بالرغم من كونه حلماً، فاجتمعت النسوة الآخيات الجميلات الغدائر حولي، وأنا مكتئبة حزناً على إوزاتي التي قتلتها النسر، ثم عاد من جديد وحَطَّ على إحدى كتل السقف البارزة، وتَكَلَّم بصوت البشر ومنعني من البكاء، قائلاً:

«ابهجي، يا ابنة إيكاريوس الذايئ الصيت؛ ما هذا بُحْلُم، بل رؤيا صادقة لخَيْر سوف يتحقق أكيداً. إن الإوزات هي المغازلون، وأنا الذي كنتُ فيما مضى نسراً، قد عُدْت الآن ثانيةً كزوجك، الذي سوف يُطْلِق مصيراً قاسياً على جميع المغازلين».»  
 هكذا تَكَلَّم، وحرّرَني النوم اللذيد، ولما تعلّتْ حولي أبصرتُ الإوز في ساحتاي، يلقط القمح بجوار الحوض، الذي تعود أن يأكل منه من قبل.»  
 بعدئذ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، قائلاً: «سيديتي، يستحيل أن يكون في الإمكان إهمال هذا الحلم وتأويله بمعنى آخر، ما دام أوديسيوس نفسه قد أوضح لك حقيقة كيف سيُحْقِّقه؛ لأن هلاك المغازلين أمرٌ جلي، للجميع؛ فلن ينجو واحدٌ منهم من الموت والأقدار.»

### بينيلوبي تكشف للغريب بعض نواياها

فأجابته ثانيةً بينيلوبي الحكيمة، وقالت: «أيها الغريب، الحق أن الأحلام غامضةٌ محيرةٌ وغير واضحة المعنى، ولا تتحقق في جميع الأمور للبشر بأية حال من الأحوال؛ لأن أبواب الأحلام الخيالية اثنان، أحدهما مصنوع من مادة القرون والآخر من العاج، فالأحلام التي تمر خلال الباب المصنوع من العاج المقطوع بالمنشار تخدع الناس، وتتضمن أفالطاً لا سبيل إلى تحقيقها. أما تلك التي تتنطلق عبر البوابة المصنوعة من مادة القرون المصقوله فتتأتي بنتائج صحيحة تتحقق، متى رأها أي فرد من البشر. أما في حالي هذه، فحسب اعتقادي، لم يأت حُلمي الغريب من هناك. وإن كان عندئذٍ موضع ترحيبي وترحيب ابني، ولكنَّ هناك شيئاً آخر سأُخبرك به. وهل لك أن تحفظه في قلبك؟ الآن أيضاً سيأتي

هذا الصباح ذو الاسم الشرير الذي يفصلني عن منزل أوديسيوس؛ لأنني عندئذٍ سأعين للمبارأة تلك الفئوس التي اعتاد أن يضعها في خطٍّ مستقيم في ساحاته، كما لو كانت عوارض سفينة في سبيل البناء، اثننتي عشرة فأسًا في مجموعها، وكان يقف بعيداً ويُطلق سهماً خاللها.<sup>١٨</sup> إذن سأقيم هذه المبارأة اليوم أمام المغاليين؛ ومن يستطيع أن يضع الوتر بسهولة في القوس بيديه، ويُطلق سهماً خالل الفئوس الاثنتي عشرة، فسأذهب معه وأهجر هذا المنزل، منزل حياتي الزوجية، وإنه لبيتٌ في غاية الروعة والجمال وحافل بالرزق، الذي، كما أعتقد، سوف أتذكّره باستمرار حتى في أحلامي.»

بعدئذٍ أجابها أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «يا زوجة أوديسيوس بن ليرتيس، المبجّلة، اليوم سوف تقيمين هذه المبارأة في ساحاتك؛ لأنّه، كما أخبرك، سيكون أوديسيوس الكثير الحيل هنا، قبل أن يتمكّن هؤلاء الرجال، من وضع الوتر في هذه القوس المصوّلة، وإطلاق سهمٍ خالل الحديد.»

### بيتيلوبي تتصرف مع وصيفاتها بغية النوم

فردّت عليه بيتيلوبي الحكمة بعد ذلك، قائلة: «إذا رغبت، أيها الغريب، في أن تجلس هنا في ساحتى، وتُدخل السرور إلى نفسي، فإنّ النوم لن ينسكب إطلاقاً فوق جفني. بيد أنه ليس من المستطاع أبداً أن يستغنى البشر عن النوم باستمرار؛ إذ عين الخالدون وقتاً مناسباً لكل شيء على الأرض، مانحة الغلال. أما أنا فسأذهب حقاً إلى مقصوري العلّيا وأرقد فوق سريري، الذي غدا لي فراش النحيب، أبلغه دائمًا بدموعي، منذ اليوم الذي رحل فيه أوديسيوس ليرى إليوس اللعينة، التي لا يجب على المرء أن يذكّر اسمها على الإطلاق. سأرقد هناك، أما أنت فهل لك أن ترقد هنا في الساحة، ما دمت قد أعددت فراشاً فوق الأرض؟ أو دع الإمامَ يُقمن لك فراشاً.»

<sup>١٨</sup> يجب أن نفهم أولاً، أنه كان يقيم اثنتي عشرة فأسًا في خندقٍ ضحل محفور في الأرض المترفة، في صفٍّ مستقيم واحد، وكان منظرها يوحى بأنّها دعائم قاع السفينة التي في طور البناء، وفضلاً عن ذلك فإنّ الفئوس كانت تُوضع بحيث إن الثقوب الموجودة في رعوسها تكون في خطٍّ مستقيم واحد (مثلاً هذه الفئوس باقٍ فعلًا من العصر الموكيني Mycenaean) وكان القوّاس الماهر هو من يُطلق سهماً يمر خالل جميع تلك الثقوب دون أن يحيط عنها، فكانت تُصف بما يشبه الأنبوية.

ما إن قالت هذا، حتى صَعِدَتْ إلى مقصورتها العليا المتألقة. ولم تذهب بمفردها؛ لأن الخادمات ذهبن معها أيضًا. وبعد أن صَعِدَتْ إلى مقصورتها العليا مع خادماتها، شَرَعَتْ تبكي حزناً على أوديسسيوس، زوجها العزيز إلى أن ألقَتْ أثينا، ذات العينين النجلاويَّن، النوم اللذِّي عَلَى جفَنِيَّها.

## الأنشودة العشرون

### أوديسيوس يستعصي عليه النوم

أما أوديسيوس العظيم فرقد في ساحة البيت الأمامية لينام، فبسط فوق الأرض جلد ثورٍ غير مدبوغ وفوقه كثيرون من فراء الأغنام، التي كان من عادة الآخرين أن يذبحوها، وألقت يورونومي فوقه عباءة، بعد أن رقد. استلقى أوديسيوس هناك ولكن النوم لم يقترب من جفنيه، بل بقي يفكّر شرّاً في قلبه للمغازلين. وخرجت النساء من الساحة، أولئك اللواتي اعتدن من قبل أن يجلسن مع المغازلين، يرفعن عنهم بالضحك والمرح، فتحرّكت الحمية في قلبه داخل صدره، وكثيراً ما تنازع في عقله وقلبه أمران، هل يهجم عليهن ويكيّل الموت لكل واحدة، أم يسمح لهن بالبقاء مع المغازلين الوقحين للمرة الأخيرة، وأخذ قلبه يهرب في داخله. وكما تقف الكلبة على جرائها الغضة، وتهرب عندما ترى إنساناً لا تعرفه، وتتحرّق إلى القتال، هكذا أيضاً هرّ قلبه في باطنه غاضباً من أعمالهن الشريرة؛ ولكنه ضرب صدره، ونهر قلبه، قائلاً:

«تحمّل، يا قلبي، لقد تحمّلت شيئاً أسوأ من هذا في ذلك اليوم الذي التهم فيه الكوكلوبس الذي لا حد لجرأته، زملائي الأشداء، وقد تحمّلت إلى أن أخرجت الحيلة من الكهف الذي ظننت أنك ستلقى فيه حتفك.»

### أوديسيوس يشكو لأنينا همومه

هكذا تكلّم، مؤنّاً قلبه الكائن في صدره، وبقي قلبه مكبولاً في باطنه ليتحمل بثبات، أما هو نفسه فقد رقد يتقلّب على هذا الجانب وذاك. وكما يحرّك المرء كتلة من الدهن والدم أمام نار كبيرة تلتهب في سرعة، إلى هذا الجانب وذاك، وهو يتوق إلى أن يشويها بسرعة، هكذا



وخرج تيليماخوس عَبْر الساحة يُمسِك رمحه في يده، ويتبعه كلبا صَيْد سريعان.

أيضاً راح أوديسوس يتحرك من جنب إلى جنب، يُفَكِّر في عقله كيف يستطيع أن يضع يديه على المغازلين المتبححين، رجل واحد بمفرده ضد جمٍّ غفير كهذا. بعد ذلك هبطت أثينا من السماء واقتربت منه في صورة امرأة، ووقفت بجانب رأسه، وتحدَّثت إليه، قائلة: «لم أنت متيقظُ الآن ثانية، أيها الرجل المنكود الحظ أكثر من سائر النساء؟ ويحك! هنا بيتك، وهنا في داخله زوجتك وابنك، وإنه لرجل، كما أعتقد، كذلك الابن الذي يصلِي كل رجل ليكون له ابنٌ مثله».

فأجابها أوديسوس الكثير الحيل، وقال: «نعم، أيتها الربة، إن كل ما قلته لهو عين الصدق، ولكن قلبي في صدري يُفَكِّر في الكيفية، التي أستطيع بها أن أضع يدي على المغازلين الذين لا يخسون العار، أنا وحدي كما تَرين، بينما هم عُصبة في المنزل دائمًا».



وفضلاً عن هذا، فهناك أمر أشد عناءً يشغل بالي؛ حتى لو تمكنت من قتلهم بإرادة زوس وإرادتك، فكيف أنجو بعدي من الأذى؟ إنني أطلب منك أن تلاحظي هذا.»

### أثينا تجلب النوم الذي على أوليسيوس

بعد ذلك أجابته الربة، أثينا المتألقة العينين، بقولها: «أيها العنيد، كثير من الرجال يضعون ثقتهم حتى في صديقٍ أضعف مني، في رجلٍ من البشر، ليس له من الحكمة مثل حكمتي، أما أنا فربّة، أحرسك في جميع أعمالك حتى النهاية. وإنني لأُخبرك بصرامة، حتى لو اجتمع حولنا خمسون عصبةٍ من الرجال، يريدون قتالنا في معركة، وحتى لو كانت معهم ماشيتهم وكباشهم الضخمة، لأتمكنك أن تدفعهم جميعاً وتقهرهم. كلا، دع النوم يحل عليك الآن. كما أن هناك تعباً في بقائك مستيقظاً طوال الليل كله، ومع ذلك فحتى الآن سوف تخرج من مخاطرك.»

هكذا تكلمت، وسُكّت النوم فوق جفنيه، أما الربة الفاتنة نفسها، فعادت إلى أوليمبوس.

## وصيفة بينيلوبى تُصلى لأرتيميس

وبينما هو نائم ملء جفنيه، يُخْفَف النوم هموم قلبه، ذلك النوم الذي يُرْخِي أطراف البشر، استيقظت زوجته الصادقة القلب، فبكت، وهي جالسة على فراشها الوثير، فلما بكت ما شاء أن تبكي، صلت أجمل سائر السيدات، أولاً لأرتيميس، فقالت:

«أي أرتيميس، أيتها الربة الشديدة البأس، يا ابنة زوس، ليتِ الآن تُثبِّتين سهمك في صدري وَتَسْلِبِينِي حيَاتِي في هذه الساعَة؛ أو أن رِيحاً عاتية تأتي وتحمُّلني من هنا فوق الطرق الداجية، وتقذف بي هناك بعيداً عند مَصَبِّ أوقيانوس المتَدفق الجريان إلى الحلف، كما حدث تماماً في وقت ما إن حملَت الرياح القوية بنات بانداريوس Pandareus.<sup>١</sup> فقد قتلت الآلهة أبوهن، وتُرْكِنَتِي يتيمات في الساحات، فأمْدَثْنَنِي أفروديتِي الجميلة بالجبن، والعسل الحلو، والخمر اللذيدة. وأعْطَثْنَنِي هيري الجمال والحكمة أكثر من سائر النساء، وَمَنْحَثْنَنِي أرتيميس الطاهِرَةَ قَوَاماً، وعَلَمَتْنَنِي أثينا المَهَارَةَ في الأشغال اليديوية. غير أنه بينما كانت أفروديتِي الجميلة صاعدةً إلى أوليمبوس الشاهق لطلب إتمام زواج العذارى السعيد — ذاتِه إلى زوس الذي يقذف الصاعقة، لأنَّه يُعرف كل شيءٍ حقَّ المعرفة، مما فيه سعادة وشقاء البشر — كانت أرواح العاصفة الهوجاء قد خطفَتِ الفتيات وسَلَّمَتْنَنِي إلى الإرينيوس Erinyes المقيتات ليُكُنْ خادماتٍ لهن. ليت أولئك الذين لهم مساكن فوق أوليمبوس يطمسونني كذلك من أمام الأنظار، أو أن أرتيميس ذات الأثواب الجميلة تضرُّبُني، حتى أمر تحت الأرض البغيضة وأوديسيوس في مُخْيَّلِي، بدلاً من أن أُبِهِج قلبِ رجلٍ وضعيف، بأية حالٍ من الأحوال. ومع ذلك فإذا ما بَكَى المرء نهاراً بقلْبٍ مُفْعَمٍ بالقنوط، ثم حَطَّ عليه النوم ليلاً، جَلَبَ هذا معه شرّاً يستطِيع احتماله تماماً — لأنَّ النوم يُنسِي المرء كل شيء، الخير والشر، بمجرد أن يُرْخِي الأَجْفَانَ — بيد أن أحد الأرباب يُرسِلُ إلى أحلاً ما

<sup>١</sup> ابن ميرويس الميلتي من حورية، وروح هارموثوي، ووالد أيدون وكميوي وميروبى. سرق كلباً ذهبياً للحراسة كان يملكه زوس وأعطاه إلى تانتالوس ليحتفظ به، ولكن هيرميس عَثَرَ على الكلب وعوقب تانتالوس. وفي الوقت ذاته هرب بانداريوس مع زوجته وبناته إلى صقلية حيث عاقبه زوس وهو هارموثوي بالموت.

<sup>٢</sup> ربَّات الانتقام. وَيُسَمَّونَ أَيْضًا اليومينيديس. هُنَّ بنات جيا من دماء أورانوس وعددهن ثلاثة، وَيُصَوَّرُنَّ كعذارى مجنحات لهن شُعور من الثعابين، تُحيط بأجسادهن الأفعوانات ويحملن المشاعل والسياط والمناجل.

شريرة أيضًا. كما أن هذه الليلة رقد إلى جاني شخص يشبهه، تمام الشبه، عندما رحل مع الجيش، فسر قلبي، لأنني ظننتُ أنني لم أكن حالة، غير أن الحقيقة تجلَّت في النهاية.»

### أوديسيوس يستيقظ ثم يصل إلى زوس

هكذا تكلَّمتُ، ويسرعةً أقبل الفجر ذو العرش الذهبي وما إن بكت حتى سمع أوديسيوس العظيم صوتها، وتناوبَتِه الأفكار في الحال، وبدا لقلبه أنها تعرُّفه وأنها كانت تقف إلى جانب رأسه. وبعد ذلك حمل العباءة والفراء التي كان يرُقد عليها ووضعها في الساحة فوق كرسي، أما جلد الثُّور فوضعه خارج الأبواب؛ ثم رفع يديه وصلَّى لزوس، قائلاً: «أبْتَاه زوس، إذا كنتم، أيها الآلهة، قد أحضرتموني إلى وطني عَبْر البر والبحر عن طيب خاطر، بعد أن أذقتموني العذاب الشديد، فلتجعلوا أحدًا في الداخل يُحدِّثني بفأل، ولويُظِّهِر زوس علامة في الخارج أيضًا.»

### زوس يُرِعِّد وامرأة تتنبأ

هكذا قال في صلاته، وسمعه زوس المستشار. وفي الحال أرعد من أوليمبوس البرَّاق، من العُلا من داخل السحب، فسر أوديسيوس العظيم. كما أن امرأةً كانت تطحن في طاحونة، داخل المنزل القريب، فنطقت بكلمة نبوءة في المنزل الذي فيه طواحين راعي الشعب. وكان من عادة اثنيني عشرة امرأة أن يُقْمن بآعمالهن عند هذه الطواحين، يصنعن دقيقًا من الشعير والقمح، الذي هو نُخاع البشر. وكانت الآخريات نائمات في ذلك الوقت؛ إذ كُن قد طحنَ قمحهن، أما هي فلم تكن قد انتهت من الطحين لأنها كانت أضعفهن جميعًا. لقد أوقَت طاحونتها الآن، وتبنَّأت بكلمة، فألَّسیدها، فقالت:

«أبِي زوس، أيها السيد على الآلهة والبشر، حَقًا لَقد أرعدتَ عالِيًا من السماء ذات النجوم، ومع ذلك فلا يوجد في أي مكانٍ سُحبٌ ما؛ حَقًا إن هذه العلامة تبديها لامرئ ما. إذن فلتحقق لي الآن أيضًا، أنا التعيسة ما سأطلبُه. ليت المغازلين يقيمون اليوم لآخر مرة ولائمه السارة في ساحات أوديسيوس، أولئك الذين أنهكوا أطرافي بالعمل الشاق، وأنا أطحُن لهم دقيق الشعير، ولبيت عشاء اليوم يكون عشاءهم الأخير.»

هكذا تكلَّمتُ، وسر أوديسيوس العظيم من ذلك الفأل ومن رعد زوس؛ لأنه اعتقد أنه قد نال الانتقام من المذنبين.

## تيليماخوس يسأل يورووكليا عن الغريب

في تلك الأونة اجتمعَت النساء الأخريات في قصر أوديساوس الجميل، وكن يُشعلن ناراً لا تُكُفُ فوق المقد. وينهض تيليماخوس من فراشه، أشبه بالإله، وارتدى ملابسه. وعلق سيفه على كتفه، ولبس صندلَه البديع في قدميه البراقتين؛ وتناول رمحه القوي المدبب بالبرونز الحاد، وذهب ووقف عند العتبة، وتحدث إلى يورووكليا، قائلاً:

«أي مُربِّي العزيزة، هل أكرمت الغريب في منزلك بفراش وطعام، أم هل رقد دون أن يهتم به أحدٌ قط؟ لأن هذه هي عادة أمي، بالرغم من كونها حكيمه؛ تكرم واحداً من البشر بطريقَة عجيبة، وإن كان أرداهُم، بينما ترك أفضَّلَهُم بعيداً دون تكريمه.»

عندئِذ أجابته يورووكليا الحكيمه، بقولها: «لا يجب عليك أن تلومها في هذا الشأن، يا ولدي؛ فلا لوم عليها. لقد جلس هنا وشرب خمراً ما شاء له أن يشرب. وأما من حيث الطعام فقد قال إنه لا يُحس بالجوع؛ إذ سأله، ولكنه أراد أن يرتاح وينام؛ ولذلك أمرت الخادمات بأن يُعِدُّن له فراشة. بيد أنه، كشخِّن بالغ البُؤس واليأس، ما كان ليُنام على فراشٍ وتحت أغطية، بل نام على جلدٍ ثورٍ غير مدبوغ وفراءِ أغنانٍ في الساحة الأمامية، فوضَّعنا فوقه عباءة.»

## تيليماخوس ينطلق إلى مكان الاجتماع

قالت هذا، وخرج تيليماخوس عبر الساحة يمسك رمحه في يده، ويتبعه كلباً صيد سريعان، فانطلق في طريقه إلى مكان الاجتماع لينضم إلى حشد الآخرين الدرعين جيداً، أما السيدة العظيمة، يورووكليا ابنة أوبس<sup>٣</sup>، Ops، ابن بايسينور، peisenor، فنادت وصيفاتها، وقالت لهن:

«هيا، ليكنس بعضكن الساحة باعتناء ويرشّها بالماء، ولتضَّعن أغطية من الأرجوان فوق المقاعد الفاخرة، ولتمسحُّ أخرىاً جميع الأخونة بالإسفنج وتُنْظَفُن طاسات المزج والأقداح المزدوجة الجيدة الصنع، ولتدَّهُبُّ أخرىاً إلى النبع لإحضار الماء بسرعة إلى هنا؛

<sup>٣</sup> ربة إيطالية قديمة للإخصاب والإثمار. وهي عند الإغريق الربة ريا. كانت زوجة ثانورنوس ووالدة جوبير.

فلن يغيب المغازلون طويلاً عن الساحة، بل سيعودون مبكراً جدًّا؛ لأن هذا يوم عيدٍ لجميع البشر.»

ما إن قالت هذا، حتى صدعن بالأمر في الحال وأطعن. وذهبَت عشرون خادمةً منهن إلى نبع الماء المظلم، بينما انهمكتُ أخرىاً هناك في المنزل بمهارة.

### أوديسيوس ويومايوس يتباران الحديث

بعد ذلك دخل خدام الآخرين، الذين شقوا فيما بعد كتلاً من الخشب ببراعة، وعادت النسوة من النبع، ثم جاء راعي الخنازير، يسوق ثلاثة خنازير كانت خيرًا ما في قطيده كله، فتركها تأكل في الأفنيّة الجميلة، أما هو فتحدث إلى أوديسيوس بكلماتٍ رقيقة، فقال:

«أيها الغريب، هل أبدى لك الآخرون إجلالاً أعظم، أم أنهم لم يحترمواك في الساحات كما فعلوا من قبل؟»

فأجابه أوديسيوس الكثير الحيل، وقال: «آه، يا يومايوس، أتمنى أن تنتقم الآلهة لانتهاك الحرمات، الذي يقوم به أولئك الرجال في فجورهم بحمامةٍ شريرة، في منزل رجلٍ آخر، غير مرتدعين».»

### ميلانثيوس يخاطب أوديسيوس بكلمات التحقيق

هكذا أخذ يتحدث كلُّ منها إلى الآخر، فاقترب منها ميلانثيوس راعي المعiz، يقود نجعاتٍ هي خيرٌ ما في القطuan، ليُقيِّم وليمَّا للمغازلين، يتبعه راعيَان، فساق المعiz وربطها تحت الرواق الفسيح، ومخاطب هو نفسه أوديسيوس بكلمات التحقيق، قائلاً:

«أيها الغريب، هل ستبقى حتى الآن وباءً علينا في هذه الساحة، تستجدي أكُف الرجال، ولا تصرف؟ من الجلي، على ما أعتقد، أننا نحن الآثرين لن نفترق إلا بعد أن يكيل كل واحدٍ من الكلمات للأخر؛ فليس تسوُّلُك متزناً قط. كما أن ولائم الآخرين ليست في هذا المكان.»

قال هذا، غير أن أوديسيوس الكثير الحيل لم يرُدَّ عليه، بل هزَّ رأسه في صمت، متنوياً للشر في أعماق قلبه.

### فيليتيوس يتحدث إلى كلٍّ من يومايوس وأوديسيوس

وإلى هذين انضم رجلٌ ثالث، هو فيليتيوس Philoetius قائد البشر، يقود للمغازلين عجلةً بكرًا وناعجاً سمينة. أحضر هذه من البلاد، البحارة، الذين ينقلون الرجال الآخرين،

أيضاً، كل من جاء إليهم، إلى حيث يريدون، فساق الحيوانات وربطها بعنابة تحت الرواق الفسيح، أما هو نفسه فاقترب من راعي الخنازير وسأله، قائلاً:

«من هذا الغريب، يا راعي الخنازير، الذي قدم حديثاً إلى منزلنا؟ من أي الأقوام يُعلن أنه انحدر؟ أين يوجد أهله وحقول وطنه؟ يا له من بائس! ورغم هذا فحقاً إنه ليس به في هيئته أميراً ملكياً. ومع ذلك فإن الآلة تدفع إلى الشقاء رجالاً يتوجّلون إلى جهاتٍ نائية، كلما حاكوا لهم خيوط الإزعاج، حتى ولو كانوا ملوكاً.»

بهذا اقترب من أوديسوس، ومد إليه يده اليمنى مصافحاً، وتحدّث إليه بكلماتٍ مجنة، قائلاً:

«مرحباً بك، أيها السيد الغريب، أتمنى لك حظاً سعيداً في المستقبل، رغم كونك الآن غرضاً للكثير من السهام! أبتاباه زوس، ما من إله آخر أكثر منه أذى، إنك لا تُكِن للبشر أية رحمة عندما أعطيتهم الميلاد بنفسك، بل تدفعهم إلى البوس واللام المبرحة. لقد تصبّبت عرقاً عندما أبصرت هذا الرجل، وأغرورقت عيناي بالدموع إذ تذكّرت أوديسوس؛ لأنّه أيضاً، على ما أعتقد، يلبس مثل هذه الأسمال جائلاً وسط الأقوام، لو أنه حقاً لا يزال على قيد الحياة ويرى ضوء الشمس. أما إذا كان قد مات وفي بيت هاديس، فالوويل لي إذن من أجل أوديسوس الخالي من اللؤم، الذي أقامني راعياً على ماشيته، وأنا في ميعية الصبا، في بلاد الكيفاليينين Cephalenians. وقد نمت لك الماشية وكبرت الآن بصورة تفوق الوصف، ولم يكن في مقدور نسل الماشية العريضة الجبار أن تُعطي زيادة أكثر<sup>٤</sup> للبشر غير الخالدين، ولكن الأغراب يأمرونني بأن أقودها لهم الآن ليأكلوها، غير مكترين بشيءٍ للدين الموجود في هذا المنزل، كما أنّهم لا يخسّون غضب الآلة، لأنّهم يريدون تقسيم ممتلكاتٍ سيدنا، الذي طال غيابه، فيما بينهم. أما عني شخصياً، فإن قلبي الكائن في صدري يظل يفگر في هذا الأمر. إنه شيءٌ شرير جداً، بينما الابن على قيد الحياة، أنّ أنصرف بماشيتي وأذهب بها إلى أرض الأغراب، إلى قومٍ غرباء، بينما هو أكثر سوءاً

<sup>٤</sup> أي الخفي. ويُسمى أيضاً بلوتو. شقيق زوس وبوسايدون وهيري. عندما ترك لزوس مقاليد حكم السماء والأرض، وليبوسايدون حكم المياه بأسمها، كان العالم السفلي من نصيب هاديس؛ لذلك كان يُنظر إليه كإله يحكم عالم الأموات مجرداً من الشفقة نحو سائر المخلوقات.

<sup>٥</sup> أكبر جزر البحر الأيوني لا يفصلها عن إيثاكا غير ممرٌ ضيق.

<sup>٦</sup> تشير الكلمة الإغريقية إلى الغلال الناضجة.

كذلك، أن أبقى هنا وأقاسي المحن في رعي الماشية التي تُعطي الآخرين. حقاً، لقد كان يليق بي أن أهرب من هنا من مدة طويلة، وأنذهب إلى شخص آخر من الملوك الفخورين؛ إذ أصبحت الأمور الآن فوق ما يحتمل المرء، ولكنني بالرغم من ذلك أفكّر في ذلك البائس، لو قُيِّضَ له أن يعود ثانية، ولستُ أدرِي متى يكون هذا، ويشتت المغازلِين القابعين في منزله.».

### الغربي يُدلي بنبوءة عن أوديسيوس

عندئِنْ أجا به أوديسيوس الكثير الحيل، وقال: «أيها الراعي، ما دمت لا تبدو كرجل شرير ولا عديم التفكير، فإبني أرى بنفسي أن لك قلباً مدرّكاً؛ ومن ثم فسأعلن جهراً وأقسم قسماً عظيماً لأُبرهن على صدق قولي. والآن كُن شاهدي يا زوس فوق جميع الآلهة، وهذه المائدة المضيافة، ومِدفأة أوديسيوس النبيل التي جئت إليها، إنه حقاً، مذبحة العُشاق، الذين يحكُمون هنا.».

فأجا به راعي الماشية بقوله: «آه، أيها الغريب، أتمنى أن يُحْقِّقَ ابن كرونوس كلمتك هذه! إذن لعرفت أي نوع من القوة عندي، وكيف تُطْعِيني يدائي.»  
وكذلك صلَّى يوماً يوس بالطريقة عينها لجميع الآلهة أن يعود أوديسيوس الحكيم إلى بيته.

### المغازلون يُدبرون الموت لـ تيليماخوس

هكذا أخذ كلُّ منهم يتحدّث إلى الآخر، أما العُشّاق فكانوا في الوقت نفسه يُدبرون الموت والحتف لـ تيليماخوس، ولكن طائراً جاءهم من على يسارهم، نسرٌ عالي الطيران، يقِبض بمخالبه على يمامَة مرتجفة. وعندئِنْ تكَمَّلْ أمفينوموس وسط حشدَهم، قائلاً: «أصدقائي، لن تسير خطتنا هذه حسب ما نبغي، حتى مقتل تيليماخوس. كلا، دعونا نُفَكِّر في الوليمة.».

ما إن قال أمفينوموس، ذلك، حتى سُرُوا من كلامه وانشرحت صدورهم. بعد ذلك، وقد دخلوا بيت أوديسيوس الشبيه بالإله، وضَعُوا عبایاتهم فوق الكراسي والمكاعد العالية، وشَرَعَ الرجالُ في ذبح الخراف الكبيرة والمعيَّز السميَّة، نعم، والخنازير المسمَّنة،



وعجلة القطيع. وبعد ذلك شَوَّوا الأمعاء وقدَّموها، وخلطوا الخمر في الطاسات، ووزَّع راعي الخنازير الأقداح. وقدَّم لهم فيلويتيوس، قائد البشر، الخبز في سفطِ جميل، وصبَّ لهم ميلانثيوس الخمر. وهكذا مدُّوا أيديهم إلى الطعام الشهي الموضوع مُعدًّا أمامهم.

### تيليماخوس ينتوي الدفاع عن الغريب

أما تيليماخوس، فبفَكِّر صائب، جعل أوديسيوس يجلس داخل البهو المكين البناء بجوار العتبة الصخرية. ووضع له كرسي قدمٍ متواضعاً ونَصِّداً صغيراً. ووضع إلى جواره قطعاً من الأمعاء المشوية، وصب له خمراً في كأسٍ ذهبية، وقال له: «تفضَّل واجلس هنا وسط السادة واشرب خمرك، أما سخرية ولطمات المغازلين فسأرُفعُها عنك، أنا نفسي؛ فليس هذا ملجاً عَامِّا، بل هو بيت أوديسيوس، كسبه من أجلي.

وأما أنتم، أيها المغازلون، فامنعوا عقولكم من السخرية والضربات، لئلا ينشب صراع أو عراك.»

## المغازلون يعجبون من جرأة تيليماخوس

هكذا تكلم، فعُضُوا على شفاههم جميًعاً وعجبوا من تيليماخوس إذ كان يتكلم بجرأة، فتحدث أنتينوس بن يوبابيتوس، في وسطهم، قائلاً:

«رغم أنه يُشق علينا هذا الأمر، أيها الآخيون، فلنقبل كلمة تيليماخوس، ولو أنه يُهدّدنا بجرأة بكلامه؛ لأن زوس بن كرونوس، لم يسمح له، وإلا لأخرسناه قبل الآن في الساحات، مما كان متحدثاً واضح النبرات.»

هكذا قال أنتينوس، بيد أن تيليماخوس لم يُعر كلماته التفاتاً، وفي الوقت نفسه كان الخدم يسوقون خلال المدينة الذبيحة المقدسة المكونة من مائة ثور للآلهة، واحتشد الآخيون الطويلو الشعور معًا تحت كهفٍ ظليل لأبولو، الرب القوّاس.

وما إن شووا اللحم الخارجي وسحبوه من السفافيد، حتى قسموا الأجزاء وأدبوها مأدبةً مجيدة. وإلى جوار أوديسيوس وضع الذين كانوا يخدمون قطعةً مساوية القطع التي أخذوها هم أنفسهم؛ إذ أمر بهذا تيليماخوس، الابن العزيز لأوديسيوس المقدّس.

## كتيسبيوس يحاول الاعتداء على الغريب

بيد أن أثينا لم تكن لتسمح للمغازلين المتغطسين بأية حال من الأحوال أن يُكفوا عن الشغب المريء، حتى يكون الألم عميقاً أكثر وأكثر في قلب أوديسيوس بن ليرتيس، فكان من بين العُشّاق رجلٌ ذو قلبٍ ذُو جبلٍ على التمرد اسمه كتيسبيوس Ctesippus، يسكن في سامي Same ذلك الذي من فرط ثقته بثرائه الواسع، غازل زوجة أوديسيوس، الذي رحل من زمِّن بعيد، فقام يتحدث الآن وسط المغازلين المتغطسين، فقال:

«استمعوا إلى أيها العُشّاق المزهُون، فسأقول لكم شيئاً ما. منذ مدةٍ طويلة تناول الغريب قطعةً مناسبة، كما يتقى؛ لأنَّه ليس حسناً ولا من العدل أن نسلب ضيوف تيليماخوس حقَّهم، مهما كانت شخصية الذي جاء إلى هذا المنزل. هيا، تعالوا، فأننا أيضاً سأمنحه هدية غريبة، لكي يُقدِّم هو بدوره هديةًّا لخادمة الحمام أو لأي فرد آخر من العبيد الموجودين في منزل أوديسيوس الشبيه بالإله.»

ما إن قال هذا، حتى طَوَّح بِيده القوية ظَلْفَ ثُورٍ، أَخْذَهُ مِنِ السُّفْطِ الَّذِي كَانَ مُوْضِعًا فِيهِ، وَلَكِنْ أُودِيُسِيُوسْ تَحَاشَاهُ بِانْحِنَاءٍ سَرِيعَةٍ مِنْ رَأْسِهِ، وَابْتَسَمَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ ابْتِسَامَةٍ فِي غَايَةِ الصِّرَامَةِ وَالْمَرَارَةِ، فَأَصَابَ ظَلْفُ الثُّورِ الْحَائِطَ الْمَكِينَ الْبَنَاءَ. بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّبَ تِيلِيمَاخُوسَ كَتِيسِيُّوسَ، بِقَوْلِهِ:

يَا كَتِيسِيُّوسَ، حَقًا لَقَدْ سَقَطَ هَذَا الشَّيْءُ مِنْ صَالِحِ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِكَ. إِنَّكَ لَمْ تُصِبِّ الْغَرِيبَ؛ لَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ قَدْ اجْتَبَ قَذِيفَتَكَ، وَإِلَّا لَكُنْتُ قَدْ ضَرَبْتُكَ حَقًا بِرَمْحِيِ الْحَادِ فِي وَسْطِ جَسْمِكَ، وَبِدَلًا مِنْ وَلِيمَةِ الزَّوْجِ كَانَ أَبُوكَ قَدْ اشْغَلَ بَوْلِيمَةً جَنَائِزِيَّةً فِي هَذِهِ الْبَلَادِ؛ وَمِنْ ثُمَّ، حَذَارٌ أَنْ تَدْعُ أَحَدًا، فَهَكُذا أَحَذَرُكَ، أَنْ يُظْهِرَ شَجَاعَتَهُ فِي مَنْزِلِي؛ فَهَا أَنَا ذَا الْآنِ أَرَاقِبُ وَأَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ، الْخَيْرَ وَالشَّرِّ، رَغْمَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيمَا مُضِيَ إِلَّا صَبِيًّا. وَمَعَ ذَلِكَ، فَمَا زَلَنَا نَحْتَمِلُ رَؤْيَا هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَيْنَنَا، فَالْخَرَافُ تُذَبَّحُ، وَالْخَمْرُ تُشَرَّبُ، وَالْخِبَزُ يُسْتَهَلُكُ؛ لَأَنَّهُ مِنْ الْعَسِيرِ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَكْبُحَ جَمَاحَ الْكَثِيرِيْنِ. وَمَعَ كُلِّ، فَاسْمَعْ مِنِّي، إِيَاكَ أَنْ تَؤْذِنِي بَعْدَ الْآنِ بِإِضْمَارِكَ الشَّرِّ. أَمَا إِنْدَا كَانَ فِي نِيَّتِكَ حَتَّى الْآنِ أَنْ تَقْتُلَنِي أَنَا نَفْسِي بِالسِّيفِ، فَإِنَّنِي أُرْحِبُ بِهَا أَيْضًا؛ فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ أَنْ أَرَى بِاسْتِمْرَارٍ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمَخْزِيَّةِ؛ فَهُؤُلَاءِ أَغْرَابُ تُسَاءِ مَعَالِمِهِمْ، وَأَوْلَئِكَ رِجَالٌ يَجْرُونَ الْخَادِمَاتِ بِطَرِيقَةٍ مَخْجَلَةٍ، عَبْرِ السَّاحَاتِ الْجَمِيلَةِ».

## أَجِيلَاؤُوسْ يُنَاشِدُ تِيلِيمَاخُوسَ حَتَّى أَمْهَهُ عَلَى الزَّوْجِ

هَكُذا تَكَلُّمُ، وَشَلَّمُهُمْ جَمِيعًا الصَّمْتَ، وَأَخِيرًا تَكَلَّمُ أَجِيلَاؤُوسْ Agelaus، ابْنُ دَامَاسْتُورَ Damastor، فِي وَسْطِهِمْ، فَقَالَ:

«أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ، لَا يُسْتَطِعُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَ عَلَى مَا قِيلَ بِحَقِّ وَعْدٍ وَيَغْضَبُ أَوْ يَرُدُّ بِكَلِمَاتٍ جَافَةً. لَا تَسْيِئُوا الْقَوْلَ لِلْغَرِيبِ أَوْ لِأَيِّ فَرِيدٍ مِنْ عَبِيدِ مَنْزِلِ أُودِيُسِيُوسْ الْمَقْدِسِ. أَمَا أَنَا فَسَأَقُولُ كَلِمَةً رَقِيقَةً لِتِيلِيمَاخُوسَ وَوَالدَّتَهُ، لَعْلَهَا تَحْظَى بِالرَّضْيِ مِنْ عَقْلِيهِمَا. طَالَمَا أَنْ قَلَبِيْكُمَا الْكَاثِنَيْنِ فِي صَدْرِيْكُمَا يَأْمَلَنِ فِي عُودَةِ أُودِيُسِيُوسِ الْحَكِيمِ إِلَى بَيْتِهِ، وَلَا تَتَرَبَّبُ عَلَيْكُمَا فِي كُونِكُمَا انتَظَرْتُمَا، وَأَبْقَيْتُمَا الْمُغَازِلِينَ فِي سَاحَاتِكُمَا؛ إِذَا كَانَ هَذَا أَفْضَلُ إِجْرَاءً، لَوْ أَنْ أُودِيُسِيُوسْ عَادَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَلَكِنْ مِنْ الْجَلِيِّ الْآنِ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ بَعْدَ ذَلِكَ. هُلُمْ، إِذْنَ، وَاجْلِسْ بِجَوَارِ أُمِّكَ وَأَخْبِرْهَا بِأَنَّهُ يَجْبُ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ مَنْ كَانَ خَيْرِ رَجُلٍ، وَمَنْ يُقْدِمُ لَهَا أَكْبَرُ عَدْدٍ مِنِ الْهَدَىِيَا؛ حَتَّى يَمْكُنَكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِكُلِّ مِيرَاثِ آبَائِكَ فِي سَلَامٍ، أَكَلَّ وَشَارِبًا، وَحَتَّى يَمْكُنَهَا هِيَ أَنْ تَدِيرَ مَنْزِلَ رَجُلٍ آخَرِ».

## تيليماخوس لا يعارض زواج بينيلوبى ممن تحبه

عندئٰن أجابه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «كلا، يا أجيلاوس، بحق زوس، وبحق محن أبي، الذي مات أو يتجلو في مكان ما بمناي من إيثاكا، إنني لا أقف في طريق زواج أمي، بل آمرها بأن تتزوج أي رجل تحبه، وأقدم إلى جانب هذا هدايا تفوق الحصر، ولكنني أخجل أن أطربها من الساحة ضد رغبتها وأضغط عليها بالقول. لا سمح الله أن يحدث مثل هذا الأمر.»

## أثينا تُضفي على المغازلين موجة من الضحك الشديد

هكذا تكلم تيليماخوس، وأثارت بالاس أثينا الضحك وسط المغازلين، وغشت على عقولهم، فراحوا يضحكون ملء أشداقهم بشفاه متباude، وتلطخ جميع اللحم الذي أكلوه بالدم،<sup>7</sup> واغرورقت عيونهم بالدموع وشَرَعَت أرواحهم تُولوِّل. وعندئٰن تكلم وسطهم ثيوكلومنوس Theoclymenus الشبيه بالإله، يقول:

«تبأ لكم، أيها الرجال التعساء، ما هذا الشر الذي تعاونه؟ فقد كَفَنَ الليل الداجي رءوسكم ووجوهكم وأرجلكم من تحكم. وقد أشعل صوت النحيب، وسبَحَت خودكم في الدموع، وتضَرَّجَت الحوائط وقتل السقف البديعة بالدماء. وملأت الأشباح المدخل، وعَجَّ القصر بالأشباح المسرعة بالهبوط إلى إيريبوس Erebus<sup>8</sup> تحت جنح الظلام، واختفت الشمس من السماء وخَيَّمَ الضباب الشرير فوق كل شيء.»

هكذا قال، غير أنهم جميعاً سخروا منه مرحين، وتحدث وسطهم يوروماخوس بن بولوبوس، أولاً، فقال:

«ما أعظم جنون ذلك الغريب الذي جاء حدثاً من بعيد! أسرعوا، أيها الفتيا، بحمله خارج الأبواب ليذهب في طريقه إلى مكان الاجتماع، طلما أنه لم يجد الأمر هنا أشبه بالليل.»

<sup>7</sup> الفلان المذكوران هنا القائل أحدهما بأن ذلك حدث بتدخل بالاس أثينا — وذلك الذي رُؤي فيما شاهدَه ثيوكلومنوس في رؤيته التنبؤية — قريباً الشبه من الأهازيج والأزجال الشعبية لكثير من الأقوام التي تُدُلُّ على الموت والهلاك.

<sup>8</sup> ابن خاوس ووالد أبيثر وهيمبرا من أخته نوكس. يُمثل إيريبوس الظلمة وعلى الأخص ظلمة باطن الأرض التي لا يمكن اختراقها؛ ولذلك يُستخدم اسمه عادةً إشارةً إلى العالم السفلي نفسه.

## ثيوكلومينوس يتوجس شرًا مقبلًا

عندئِن أجا به ثيوكلومينوس الشبيه بالإله: «يا يورو ما خوس لست آمرك بحالٍ ما أَن تعطيني مَن يهديني إِلَى الطريقي؛ فليست عيناي وأذناي وقدمائي وعقولي الكائن في صدري سقيمة التكوين بأيَّة حالٍ من الأحوال. سأُنطلق بهذه خارج الأبواب؛ لأنني أرى شرًّا مقبلًا عليكم لا يمكن لأيٍ فردٍ من العُشاق أن ينجو منه أو يتحاشاه، أيٍ واحدٍ منكم جميعاً أيها الموجودون في منزل أوديسيوس الشبيه بالإله وتهينون الرجال، وتدبرون حماقة شريرة.»

## العشاق يسخرون من تيليماخوس وهو لا يبالي

ما إن قال هذا حتى خرج من الساحات الفسيحة وقصد إلى بيرايوس Piraeus، استقبله بقليل رضي. أما سائر العشاق، فنظر بعضهم إلى البعض الآخر، وشرعوا يُثيرون تيليماخوس بالسخرية من ضيوفه. فقال أحد الشبان المتبرجين:

«أيٌ تيليماخوس، ما من أحدٍ أسوأ حظًا في ضيوفه منك؛ إذ أراك تحتفظ بصلوٍ قذرٍ كهذا الرجل الموجود هنا، المتعطش باستمرار إلى الخبز والخمر، مع كونه لا يجيد أعمال السلم ولا أمور الحرب، بل هو عبء ثقيل على الأرض. ومثل ذلك الشخص الآخر الذي وقف يتبنّأ أيضًا. كلا، فلو أصغيت لي، لكان خيراً لك بكثير. دعنا ننذف بأولئك الغرباء على ظهر سفينة ذات مقاعد، ونُرسل بهم إلى الصقليين، حيث تناول عنهم ثمنًا مناسبًا.»

هكذا تكلَّم المغازلون، غير أنه لم يأبه لكلامهم، بل أخذ يراقب أباءه في صمت، في انتظار دائم إلى أن يُمد يديه إلى العُشاق العديمي الحياة.

## بينيلوبى تُنْصِت إلى العشاق وهم يُولِّمون

أما بونيلوبى الحكيمة، ابنة إيكاريوس، فوضعت مقعدها الجميل قبالتهم، وأنصَت إلى كلام كل رجلٍ في الساحة؛ إذ كانوا يُولِّمون وسط المرح والضحك، وليمة لذذة، تُشبع شهوة القلب؛ لأنهم كانوا قد ذبحوا كثيراً من الحيوانات، بيد أنه لم تكن هناك وليمة أَفْخَر من تلك التي سرعان ما سُتُقدِّمها أمامهم ربُّه ورجلٌ قوي؛ إذ كانوا يقتربون أعمالاً مخزية دون أن يثيرهم أحد.

## الأنشودة الحادية والعشرون

### بينيلوبي تُحضر قوس أوديساوس وتعلن شرط الزواج منها

وضَعَتِ الْرَبَّةُ أَثِينَا ذَاتِ الْعَيْنَيْنِ الْبَرَّاقَتِينِ، فِي قَلْبِ بِينِيلُوبِي الْحَكِيمَةِ، ابْنَةِ إِيْكَارِيوسِ، أَنْ تَأْتِي أَمَامَ الْعَشَاقِ فِي سَاحَاتِ أُودِيسِيُوسِ بِالْقَوْسِ وَالْحَدِيدِ الرَّمَادِيِّ، لِتَكُونَ بِمَثَابَةِ مَبَارَةٍ وَبِدَايَةِ الْمَوْتِ، فَصَعَدَتِ السَّلَمُ الْعَالِيُّ إِلَى مَقْصُورَتِهَا، وَأَمْسَكَتِ الْمَفْتَاحَ الْمَقْوَسَ بِيَدِهَا الْقَوِيَّةِ؛ الْمَفْتَاحُ الْبَرْوَنْزِيُّ الْقَوِيُّ، وَكَانَتْ لَهُ يَدُّ مِنَ الْعَاجِ. وَذَهَبَتِ فِي طَرِيقِهَا مَعَ خَادِمَاتِهَا إِلَى حَجَرَةِ الْخَزِينِ، الْبَعِيْدَةِ جَدًا، حِيثُ تُوجَدُ كُنُوزُ سَيِّدِهَا، مِنَ الْبَرْوَنْزِ وَالْذَّهَبِ وَالْحَدِيدِ، الْمَشْغُولَةِ بِتَعْبِ، فَوَجَدَتِ هُنَاكَ الْقَوْسُ الْمَعْقُوفَةُ الظَّهُورُ وَكَنَانَةُ السَّهَامِ. وَكَانَ بِهَا سَهَامٌ كَثِيرٌ، مَحْمَلٌ بِالَّأَلَامِ، وَكَانَتْ هَدِيَّا مِنْ صَدِيقٍ قَدْمَهَا لِأُودِيسِيُوسِ عَنِّدَمَا التَّقَى بِهِ ذَاتُ يَوْمٍ فِي لَاكِيدِيَّمُونَ، هُوَ إِيفِيَّتُوسُ *Iphitus*<sup>١</sup>، ابْنُ يُورُوْتُوسُ *Eurytus*<sup>٢</sup>، ذَلِكَ الرَّجُلُ الشَّبِيْهُ بِالْخَالِدِينِ. وَكَانَ كَلَاهُمَا قَدْ التَّقَى، كُلُّ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ فِي مِيسِينِيِّ *Messene*<sup>٣</sup> فِي مَنْزِلِ

<sup>١</sup> ابن يوروتوس من أويخاليا Oechalia وشقيق إبولي. ورث قوس يوروتوس الشهير وأعطاه لأوديساوس الذي قتل بها المتقدمين للزواج من بينيلوبي. وقد قتل هرقل عندما هاجم البطل يوروتوس بمجرد أن رفض إعطاءه إبولي، أو كما تقول رواية أخرى، عندما كان يبحث إيفيتوس عن بعض الخيول المفقودة جاء إلى هرقل على أنه اللص.

<sup>٢</sup> ملك أويخاليا، ابن مينيلاوس ووالد إبولي وإيفيتوس. عَلَمْ بُورُوْتُوسَ الْقَذْفَ بِالسَّهَمِ تَحْتَ إِشْرَافِ أَبُولُوْ وَصَارَ مِنَ الْمَهَارَةِ بِمَكَانٍ حَتَّى إِنَّهُ تَحْدِي إِلَهَ فِي مَبَارَزَةٍ، فَأَعْصَبَ ذَلِكَ أَبُولُوْ فَأَمَاتَهُ قَبْلَ أَوَانِهِ.



هكذا أيضًا ثُبَّتْ أوديسيوس الوتر بدون عَناءٍ في القوس العظيمة.

أورتيلوخوس Ortilochus الحكيم. وكان أوديسيوس قد ذهب حقيقةً إلى هناك ليُحَصِّل دينًا له عند كافة القوم؛ لأن أهل ميسيني كانوا قد حملوا من إيثاكا في سفنهم ذات المقاعد ثلاثمائة خروفٍ ومعها رعاتها، فرحل أوديسيوس في هذه الرحلة البعيدة ذات يوم طلباً لذلك الذين، ولم يكن وقتئِلاً شاباً فتىً، أرسله أبوه والشيخ الآخرون إلى ذلك المكان القصي. أما إيفيتوس، فقد ذهب يبحث عن أفراسه الاثنتي عشرة الأصيلة التي فقدَها، ومعها بغالٌ

---

<sup>٣</sup> بلد في البيلوبونيسوس.



قوية ترخص، ولكنها جلبت عليه الموت والهلاك بعد ذلك. عندما ذهب إلى ابن زوس القوي القلب، الرجل هرقل،<sup>٤</sup> الذي كان ملماً تمام الإلام بأعمال الجرأة؛<sup>٥</sup> لأن هرقل قتلها، رغم أنه كان ضيفه، في بيته، بتهور، ولم يكتثر لغضب الآلهة أو للمائدة التي بسطها أمامه، بل قتل الرجل بعد ذلك، واحتفظ لنفسه بالأفراس المتنية الحوافر في ساحاته. وكان في أثناء مطالبته بهذه أن التقى إيفيتوس بأوديسيوس، وأعطاه القوس التي اعتاد يوروتوس العظيم فيما مضى أن يحملها، ثم تركها عند موته لابنه في بيته الشاهق. أما أوديسيوس فأعطى إيفيتوس سيفاً بتاراً ورمحاً قوياً، كعربون للصادقة الحبية، ومع ذلك فلم يعرف أحدهما الآخر قط عند المائدة؛ فربما كان ابن زوس قد قتل إيفيتوس بن يوروتوس، قبل ذلك، وهو رجل أشبه بالخلالدين، أعطى أوديسيوس القوس. وما كان أوديسيوس العظيم

<sup>٤</sup> ابن زوس وألكميتا وزوج أمفيتريون الطيبى. لما علمت هيرى بخيانة زوس بدأت. اضطهاداتها في الحال، «أجأت ميلاد الصبي وبعد أن وُلد ببضعة شهور أرسلت ثعبانين إلى مهده ليقتلها، فخنق الطفل الثعبانين بيديه ...

<sup>٥</sup> ويُفسرها آخرون بأنه كان شريكاً في أعمالٍ وحشية.

ليصحب معه تلك القوس إذا ما ذهب إلى الحرب، فوق السفن السوداء، بل يتركها في ساحاته بالمنزل كتذكار من صديقٍ عزيز، وحملها إلى وطنه نفسه.

والآن عندما بلغت السيدة الحسنة حجرة الخزين، واجتازت العتبة البلوطية، التي سوّاها النجار قديماً بمهارة وجعلها مستوية كالخط المستقيم — والتي ثبّتت فوقها أيضاً قوائم الباب، وركبت فيها أبواب مصقوله — أسرعـت في الحال فأرخت سير الملاج<sup>٦</sup> بعد أن حلّـته من المقبض وأدخلـت المفتاح، ودفعـت المزاجـ إلى الوراء بإـحكـامـ. وكما يخـورـ الثـورـ وهو يـرعـيـ فيـ المرـجـ، هـكـذاـ أيـضاـ جـأـرتـ الأـبـوابـ الـبـدـيـعـةـ، عـنـدـمـاـ ضـربـتـ بـالـمـفـتـاحـ، وـانـفـتـحـتـ أـمـامـهـاـ بـسـرـعـةـ. بـعـدـ ذـلـكـ خـطـتـ السـيـدـةـ فـوـقـ المـصـطـبـةـ، الـتـيـ كـانـتـ فـوـقـهـاـ الصـنـادـيقـ الـتـيـ خـزـنـتـ فـيـهـاـ الـلـاـبـسـ الـفـضـيـافـاضـةـ، وـمـدـتـ يـدـهاـ وـتـنـاـولـتـ الـقـوـسـ مـنـ هـنـاكـ مـنـ فـوـقـ الـشـجـبـ وـمـعـهـ جـرـابـهاـ الـلـامـعـ الـذـيـ كـانـ يـحـيـطـ بـهـاـ. ثـمـ جـلـسـتـ هـنـاكـ وـوـضـعـتـ الـجـرـابـ فـوـقـ رـكـبـتـهـاـ وـأـنـتـحـبـتـ عـالـيـاـ، وـهـيـ تـخـرـجـ قـوـسـ زـوـجـهـاـ. وـبـعـدـ أـنـ نـالـتـ كـفـاـيـتـهـاـ مـنـ الـبـكـاءـ الـدـامـعـ، عـادـتـ أـدـرـاجـهـاـ إـلـىـ السـاحـةـ، إـلـىـ جـمـاعـةـ الـمـغـازـلـينـ الـأـمـجـادـ، تـحـمـلـ فـيـ يـدـيـهـاـ الـقـوـسـ الـمـعـقـوـفـةـ الـظـهـرـ وـالـكـنـانـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـحـفـظـ السـهـامـ، وـكـانـ بـهـاـ سـهـامـ عـدـيـدـةـ، مـحـمـلـةـ بـالـلـامـ. وـإـلـىـ جـوارـهـاـ حـمـلـتـ الـوـصـيـفـاتـ صـنـدـوقـاـ، كـانـتـ فـيـهـ كـمـيـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـحـدـيدـ وـالـبـرـونـزـ، عـدـدـ سـيـدـهـاـ الـحـرـبـيـةـ. وـلـمـ وـصـلـتـ الـغـادـةـ الـفـاتـنـةـ الـآنـ إـلـىـ الـمـغـازـلـينـ، وـقـفـتـ بـجـوارـ الـبـابـ بـجـانـبـ الـحـائـطـ الـقـوـيـ الـبـنـيـانـ، تـضـعـ أـمـامـ وـجـهـهـاـ خـمـارـهـاـ الـبـرـاقـ؛ وـوـقـفـتـ إـلـىـ كـلـ جـانـبـ مـنـ جـانـبـيـهـاـ أـمـةـ وـفـيـةـ. وـبـعـدـ ذـلـكـ تـحـدـثـتـ وـسـطـ الـمـغـازـلـينـ، قـائـلـةـ:

«أـصـغـواـ إـلـيـ، أـيـهـاـ الـمـغـازـلـونـ الـمـتـغـطـرـسـونـ، يـاـ مـنـ اـسـتـغـلـلـتـ هـذـاـ الـنـزـلـ لـتـأـكـلـواـ وـتـشـرـبـواـ إـلـىـ الـأـبـدـ بـغـيرـ نـهـاـيـةـ، مـنـذـ أـنـ رـحـلـ عـنـهـ سـيـدـهـ مـنـ زـمـنـ بـعـيدـ، وـلـمـ تـسـتـطـعـواـ أـنـ تـجـدـواـ ذـرـيـعـةـ تـحـجـجـونـ بـهـاـ، سـوـىـ رـغـبـتـكـمـ فـيـ الزـوـاجـ مـنـيـ وـاتـخـانـيـ زـوـجـهـ. هـيـاـ، تـعـالـوـاـ الـآنـ، أـيـهـاـ الـمـغـازـلـونـ؛ إـذـ إـنـ هـذـهـ سـتـكـونـ جـائـزـتـكـمـ. <sup>٧</sup> سـأـضـعـ أـمـامـكـمـ أـكـبـرـ قـوـسـ لـأـوـدـيـسـيـوـسـ الـمـقـدـسـ، وـمـنـ أـمـكـهـ

<sup>٦</sup> كان بداخل الباب من الخلف قضيب أو ملاج مربوط بسير من الجلد. وكان هذا السير يمُر من ثقب الباب، فعندما يغلق الباب من الخارج، كان ذلك السير كأداة تسحب الملاج لتنبعه في مكانه الذي يقفل الباب من الداخل؛ ثم يربط السير إلى خطاف أو مقبض خارج الباب. ولفتح الباب من الخارج كان يُحل السير أولاً، ثم يدفع الملاج بالفتح إلى الخلف، الذي ربما كان يوافق فتحات الملاج تماماً، ومن هذا استعمل المصطلح «بتصويب محكم» أو «بإحكام».

<sup>٧</sup> تعني نفسها، وليس القوس.

أن يُشد وتر القوس بيديه بمنتهى السهولة، ويُطلق سهماً خلال اثنَي عشرة فأساً، ذهبَت معه، وهجرتُ منزل حياتي الزوجية هذا، المنزل البالغ الجمال والحافل بالرزق، الذي، أعتقد، أنتي سوف تذكره دائمًا ولو في أحلامي.»

### أنتينوس يُوبّخ يومايوس ويُشيد بالقوس

ما إن قالت هذا، حتى أمرت يومايوس، راعي الخنازير العظيم، بأن يضع أمام المغازلين القوس وال الحديد الرمادي. ولما انخرط في البكاء، أخذ يومايوس القوس وال الحديد ووضعها، وفي مكان آخر بكى الراعي، عندما أبصر قوس سيده، وعندئٍ وبخَهما أنتينوس، وخطبَهما، قائلاً:

«يا هذان الغبيان الأحمقان، اللذان لا تفكراً إلا في أمور اليوم! أيها التعيسان، لم تذرفان الدموع الآن، وتُزعجان روح السيدة الكائنة في صدرها، تلك التي يُثقلُ الهم قلبها؛ إذ ترى أنها فقدت زوجها العزيز؟ كلا، اجلسا وأولما في صمت، أو اذهبَا بعيداً وانتحبا هناك، واتركا القوس خلفكما هنا كمبارة حاسمة<sup>٨</sup> للمغازلين؛ لأنَّه ليس بالأمر الهين، كما أعتقد، إمكانُ جذب وتر هذه القوس المصقوله؛ فما من رجلٍ هنا بين كافَّة هؤلاء يشبهه أوديسيوس، ولقد أبصرتُه بعيئي رأسي؛ لأنني أتذَّكره، رغم أنني لم أكن وقتذاك إلا طفلاً.»

هكذا تكلَّم، ولكن قلبه في صدره كان يأمل في أن يستطيع شدَّ وتر القوس ويُطلق سهماً خلال الحديد، غير أنه مع ذلك كان أول من ناق طعم سهمٍ من يدي أوديسيوس المجيد، الذي كان وهو جالس وقتئِن في البهو لا يُبْجِله، ويُحَمِّس سائر زملائه.

### تيليماخوس يحاول جذب القوس ثم يتراجع

بعدئِن تكلَّم وسطهم تيليماخوس القوي العتيد، فقال: «ويحيى الآن! لقد جعلني زوس بن كرونوس، عديم الذكاء حقيقة؛ فها هي ذي أمري العزيزة، بكل ما هي عليه من الحكمة، تُعلن أنها ستتبع سيداً آخر، وتهجرُ هذا المنزل، ولكن بالرغم من ذلك أضحك،

<sup>٨</sup> يترجمها آخرون «مروعة» أو «مفزعه».

وأبتهج لغباؤتي. هلموا، إذن، أيها المغازلون، طالما يبدو أن في هذا جائزتكم، سيدة، لا شبيه لها الآن في بلاد الآخرين، لا في بولوس Pylos المقدسة، ولا في أرجوس Argos، ولا في موكيني Mycene<sup>٩</sup>، ولا حتى في إيثاكا نفسها، ولا على ظهر اليابسة القاتمة. كلا، وإنكم أنفسكم تعرفون هذا — فما حاجة بي إذن لإطراء محسن والدتي! هيأ، تعالوا الآن، لا تُحجموا عن هذا الأمر منتحلين الأعذار، ولا تحيدوا طويلاً بعد الآن عن جذب القوس، لكي نرى النتيجة. نعم، وسأحاول أنا شخصياً شد تلك القوس. فلو جذبُ وترها وأطلقتُ سهماً خلال الحديد، فلن يغيبني إذن أن تَهُجْر أمي المبَّالجة هذا المنزل وتذهب مع رجلٍ آخر، طالما ستتركتني هنا قادرًا على استعمال عُدة أبي الحربية العظيمة.».

بهذا ألقى العباية الأرجوانية عن ظهره، وواثب منتصباً، كما خلع سيفه الحاد عن كتفية، ثم بدأ بإقامة الفئوس، بعد أن حفر خندقاً، خندقاً واحداً طويلاً لجميعها، وجعله في خط مستقيم، وشرع يدوس فوق التربة حولها. وتملأك الدهشة من سائر الذين شاهدوه؛ إذ وضعها في ترتيبٍ رائع، رغم أنه لم يسبق أن رأها من قبلٍ إطلاقاً. بعد ذلك ابتعد ووقف عند العتبة، وبدأ يُعِّجم عود القوس. ثلاثة مراتٍ جعلها ترتجف في شوقه إلى جذبها، وثلاث مراتٍ يتخلى عن مجده، رغم أن قلبه كان يتحرق لهفةً إلى جذب وتر القوس وإطلاق سهم خلال الحديد. وأخيراً كاد يُشد الوتر بقوته؛ إذ إنه في المرة الرابعة اعترض على أن يجذب الوتر. لولا أن أوديسيوس هَرَّ رأسه علامَةً على عدم الموافقة وإثنائه عما تحمَّس له. وبعد ذلك تحدَّث إليهم تيليماخوس القوي العتيد من جديد، فقال:

«ويحي، ما أجبتني وأضعفني، حتى في أيامي المقبلة! أم ذلك لأنني لا بد صغيرٌ جدًّا، ولا ثقة لي في قوتي للدفاع عن نفسي ضد رجل، عندما يُثير أحدهم الغضب بدون داعٍ. هلموا، تعالوا الآن، يا من أنتم أقوى مني، حاولوا استعمال القوس، حتى تُنهي المباراة.» ما إن قال هذا حتى تخل عن القوس ووضعها فوق الأرض، وأسندَها إلى الباب المصقول، ذي المفصَّلات، وبالقرب منها أَسَدَ السهم السريع على طرف القوس الجميلة، ثم عاد فجلس على المقدَّد الذي كان قد نَهَض منه.

<sup>٩</sup> مدينة قديمة في أرجوتس، على بعد تسعة أميال من تيرونس Tiryns شُيدَت على ما يُعتقد في العصور القديمة لحماية الطرق التجارية إلى الخليج الكوريثي.

بعد ذلك تكلَّم أنتينوس بن يوبابيسيس وسطهم. فقال: «فلننهض جميعاً، واحداً واحداً، بالترتيب من اليسار إلى اليمين، بادئين من المكان الذي يصب فيه الخمر حاملُ الكأس.»

## لایودیس یعجز عن شد القوس

هكذا قال أنتينوس، فسر الجميع من كلامه، فنهض أولاً لایودیس Leiodes، ابن أوينوبس Oenops، الذي كان عرَّافَهم، وكان يجلس دائمًا بجوار طاس مزج الخمر الجميل في أقصى مكان من الساحة، وكان هو وحده الذي يمْكُّنُ أعمال الحماقة الطائشة، وكان يحتقر سائر المغازلين. لقد كان هذا أول من تناول القوس والسمه السريع وقتذاك، وذهب ووقف فوق العتبة، وأخذ يُحاول بالقوس، بيد أنه لم يستطع تثبيت الوتر فيها؛ فربما أنهك التعب يديه قبل أن يُشد الوتر، فتَعَيَّبت تلك اليدان الرقيقةتان اللتان لم تتَعَباً قط، وعندئِذ تكلَّم وسط المغازلين قائلاً:

«أيها الأصدقاء، لستُ أنا بالشخص الذي يستطيع تثبيت الوتر؛ فليتناول القوس رجلٌ آخر، فستسلب هذه القوسُ أماءَ كثيرين أرواحهم وحياتهم؛ إذ من الأفضل حَقّاً أن يموت المرء، بدلاً من أن يحيا ويفشل في ذلك الذي من أجله نحتشد نحن هنا، منتظرين تَحدُونا الآمال يوماً بعد يوم. والآن، يأمل كثيرٌ من الرجال في قلوبهم ويتَحَرَّقون شوقاً إلى الزواج من بيانيلوبى، زوجة أوديسيوس، غير أنه ما إن يحاول عَجْم عود هذه القوس، ويرى النتيجة، حتى يُفضل أن يغازل سيدةً أخرى من نساء الآخرين ذوات الثياب الجميلة، باعثاً إليها بهدایاه لكي يفوز بها. وبعد ذلك تتزوج بيانيلوبى من ذلك الرجل الذي يُقدِّم لها هدايا أكثر من غيره، ذلك الذي سِيُحَدِّدُهُ القدر سيداً لها.»

## أنتينوس یسخر من لایودیس

هكذا تكلَّم، وتخلى عن القوس، وأسندَها إلى الباب اللامع ذي المفصلات، وإلى جوارها أسند السهم السريع على طَرْفِ القوس الجميلة، ثم ذهب بعد ذلك وجلس على المقدَّم الذي نهض منه. غير أن أنتينوس أَنْبَهَ، وخطابه بقوله: «أي لایودیس، ما هذه العبارة التي أفلَّتَ من بين صَفَّيِ أسنانك، عبارَةٌ مفزعَةٌ ومحزنةٌ. لقد أثارت الغضب في نفسي إذ سمعتها، إذا كانت هذه القوس سوف تسْلُبُ الأماءَ أرواحهم وحياتهم حَقّاً؛ لأنك لم تستطع تثبيت الوتر فيها؛ وعلى ذلك، اسمح لي أن أقول لك إن أَمْكَ المجلة لم تُنْجِبْ بالقوة التي تُؤْهِلَكَ

لجذب القوس وإطلاق السهام، أما غيرك من المغازلين الأمجاد فسرعان ما سُيُثْبِتون الوتر  
فيها.»

### ميلانثيوس يعالج القوس بالنار والدهن

هكذا تَكَلَّمَ، واستدعي إليه ميلانثيوس، راعي الخنازير، وقال له: «هيا، أشعل الآن ناراً في الساحة يا ميلانثيوس، وضع بجوارها مقعداً ضخماً فوقه فروة من الصوف، وأحضر بسرعة كتلة كبيرة من الدهن حتى يمكننا نحن الشبان أن نُدْفِعَ القوس، ونَطْلِيهَا بالدهن، وبذلك نُجْرِب عجم عودها؛ ونُنْهِي المباراة.»

ما إن قال هذا، حتى أسرع ميلانثيوس في الحال فأشعل النار التي لا تَكِلُ ولا تَمْلِ، وأحضرها ووضع بجانبها مقعداً كبيراً فوقه فروة من الصوف، كما أحضر كتلة كبيرة من الدهن كانت بالداخل. فأدَفَأَ بها الشبان القوس وجَرَبُوها، بيد أنهم لم يستطعوا أن يُثْبِتوا فيها الوتر؛ إذ كانت تُعِزِّزُهم القوة أيمَا إعْوازٍ.

### الغريب يطلب من الراعيَين تحديد موقفهما من أوديسيوس

كان أنتينوس لا يزال مُصْرَّاً وكذلك يوروماخوس الشبيه بالإله، اللذان كانا زعيَّمي المغازلين، وكانتا أعظمهما جمِيعاً في الجرأة؛ وعند ذلك خرج كلُّ من الراعي وراعي خنازير أوديسيوس المقدس من الساحة؛ خرجا فخرج وراءهما أوديسيوس نفسه من المنزل، فلما صاروا بعيداً عن الأبواب والساحة، تحدَّثا إليهما، وخطابهما بكلماتٍ رقيقة، قائلاً: «أيها الراعي، وكذلك أنت يا راعي الخنازير، أتسمحان لي بأن أقول لكم شيئاً أَمْ أحفظ به في قرارة نفسي؟ كلا، إن روحِي تأمُّرني بأن أُفضِّي به «أي نوع من الرجال ستكونان في الدفاع عن أوديسيوس، إذا جاء فجأة من مكان ما، وأعاده أحد الآلهة؟ هل تقدِّمان المعونة للمغازلين أم تهُبَّان لنصرة أوديسيوس؟ تَكَلَّما صراحةً كما يأْمِرُكم قلباً كما وروحاً كما».»

عندئِذ أجابه راعي الماشية، وقال: «أبْتَاه زوس، ليتك تُحْقِقَ هذه الأمنية! لتكن مشيئتَكَ أن يعود ذلك الرجل، وأن يُرْشِده إلى طريقه ربُّ ما؛ عندئِذ ستعرف أي لون من القوة أَمْ تملِّكتها، وكيف تطْبِعُني يدَاهي.»

وكذلك تضرَّع يوماً يوْس إلى جميع الآلهة أن يعود أوديسيوس الحكيم إلى بيته.

## الغربي يكشف للراعيَّين حقيقةَ شخصيَّته

فلماً وَتَقَّى تَمَامًا وَتَأَكَّدَ مِنْ وَفَاءِ هَذِينَ، أَجَابَهُمَا وَتَكَلَّمَ إِلَيْهِمَا ثَانِيَةً، بِقَوْلِهِ:

«هَا أَنَا ذَا الآن أَمَّا مَكْمَكَا حَقًا فِي بَيْتِي، أَنَا بِنَفْسِي. بَعْدَ مَشَاقٍ عَدِيدٍ مُحَزِّنَةٍ قَدْ جَئْتُ فِي الْعَامِ الْعَشْرِينَ إِلَى وَطْنِي. وَإِنِّي لَعَلِيٌّ لَعِينٌ مِنْ أَنْكَمَا وَحْدَكُمَا، دُونَ سَائِرِ عَبْدِيِّي، مُشْتَاقًا إِلَى عُودِيِّي، أَمَا الْآخْرُونَ، فَلَمْ أَسْمَعْ مِنْ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَلَةً بِأَنْ أَعُودَ ثَانِيَةً إِلَى مَنْزِلِي؛ وَعَلَى ذَلِكَ سَأَقُولُ لِكُمَا الْحَقِيقَةَ كَمَا سَتَكُونُونَ. إِذَا أَخْضَعَ الرَّبُّ لِي الْمَخَالِزِ الْأَمْجَادَ، أَحْضَرْتُ لَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا زَوْجَةً وَأَعْطَيْتُكُمَا مَمْتَلَكَاتٍ وَمَنْزَلًا مُبْنِيًّا بِالْقَرْبِ مِنْ مَنْزِلِي، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَتَكُونُونَ كَلَّا كَمَا فِي عَيْنِي صَدِيقَيِّي وَأَخْوَيِّي تِيلِي مَخَوْسَ. وَلِزِيادةِ التَّأْكُدِ مِنْ صَدْقَ قَوْلِي، سَأُرِيكُمَا أَيْضًا عَلَمَةً لَا تَخْطُئُ كَيْ تَعْرَفَنِي جَيْدًا وَتَتَأْكُدَا فِي قَلْبِي كُمَا، أَثْرَ الْجَرْحِ الَّذِي أَصَابَنِي بِهِ مِنْ زَمِّنٍ بَعِيدٍ خَنْزِيرُ بَرِي بِنَابِهِ الْأَبْيَضِ، عَنْدَمَا صَعِدْتُ إِلَى بَارِنَاسُوسَ مَعَ أَبْنَاءِ أُوْتُولُوكُوسِ».»

## الراعيَّانْ يُرْجِبَانْ بِأُودِيُّسِيوسِ بِالْأَحْضَانِ وَالْقَبَّلَاتِ

ما إن قال هذا حتى أزاح الأسمال البالية عن أثر الجرح الكبير، فلما رأاه كلامهما، وأبصرها كل شيء تماماً، طوّقاً أوديسيوس الحكيم بسوا عدهما، وبكيا، وقبلاً رأسه وكتفيه في ترحيب محبب. وكذلك قبل أوديسيوس رأسيهما وأيديهما. والآن كاد ضوء الشمس يغيب وهم لا يزالان يبكيان، لولا أن أوديسيوس نفسه، نهرهما بقوله:

«كُفَا الآنَ عَنِ الْبَكَاءِ وَالْعَوْيِلِ، خَشِيَّةً أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُ مَا مِنَ السَّاحَةِ وَبِرَانَا، فَيُطَلِّعُ عَلَى جَلِيةِ الْأَمْرِ أَيْضًا، فَادْخُلَا إِلَى الْمَنْزَلِ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ، وَلَا تَدْخُلَا مَعًا، أَنَا أَوْلًا، ثُمَّ أَنْتُمَا مِنْ بَعْدِي، وَلَتَكُنْ هَذِهِ عَلَمَةً بَيْنَنَا. أَمَا جَمِيعِ الْبَاقِينَ، بَقْدُرِ مَا هَنَالِكَ مِنَ الْمَخَالِزِ الْأَمْجَادِ، فَلَنْ يَتَحَمَّلُوا عَبْءَ الْقَوْسِ وَرَعْدَتَهَا إِذَا مَا أَعْطَيْتَ لِي، وَلَكِنْ هَلْ لَكَ، يَا يُومَيِّوسَ الْعَظِيمِ، أَنْ تَحْمِلَ الْقَوْسَ عَبْرَ السَّاحَاتِ، وَتَضَعُهَا فِي يَدِيِّي، وَتَأْمُرَ النَّسَاءَ بِأَنْ يُغْلِقْنَ أَبْوَابَ سَاحَتِهِنَّ الْمَحْكَمَةِ الْإِلْغَاقِ. وَإِذَا سَمِعْتَ أَيْةً وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَنَّيْنِ الرَّجَالِ أَوْ صَخْبَهُمْ دَاخِلَ حَوَائِطِنَا، فَلَا تَخْرُجْ أَيْةً وَاحِدَةً إِلَى الْخَارِجِ، بَلْ يَبْقَيْنَ حِيثُ هُنْ فِي صَمْتٍ مُنْكَبَّاتٍ عَلَى أَعْمَالِهِنَّ. أَمَا أَنْتُ يَا فِيلُوِيَّتِيوسُ، فَأَفْسِعْ عَلَى كَاهْلَكَ أَنْ تُتَلْقِ بَابَ السَّاحَةِ بِمَزْلَاجٍ، وَتُسْرِعْ بِرْبَطِهِ بِحِيلٍ».»

ما إن قال هذا حتى دخل البيت المنيف، وذهب وجلس فوق المقدَّع الذي كان قد نهض من فوقه، ثم دخل بعد ذلك عبداً أوديسيوس المقدَّس أيضاً.

## يوروماخوس يفشل أيضاً في شد القوس

كان يوروماخوس وقتئذ ممسكاً بالقوس في يده، ويسخنها فوق لهب النار على هذا الجانب وذاك، بيد أنه بالرغم من ذلك لم يستطع تثبيت الوتر فيها، فتأوه في قلبه النبيل، وفي سورة غضبه، خاطبهم قائلاً:

«تبأ لي! الحق أنتي حزينٌ على نفسي وعليكم جميعاً. لا أبكي هكذا بشدة من أجل الزواج بأية حالٍ من الأحوال، رغم اكتئابي؛ لأن هناك سيداتٍ آخريات عديدات من الآخيات، بعضهن في إيثاكا نفسها التي يحيط بها البحر، وبعضهن الآخر في مدنٍ أخرى، وإنما يُبكيوني أننا حقاً أقل قوة من أوديسيوس الشبيه بالإله؛ إذ أرى أنه لن يكون بمقدورنا أن نثبت الوتر في القوس. هذا تعنيف لأولئك الرجال الذين ما زلنا سنسمع عنهم.»



## أنتينوس يهون الامر على يوروماخوس ويرجع شد القوس إلى الغد

بعدئذ أجابه أنتينوس بن يوبايثيس، قائلاً: «لن يكون الأمر هكذا، يا يوروماخوس، وإنك لتعرف هذا من تلقاء نفسك أيضاً؛ فالليوم عيد الرب<sup>١</sup> في شتى أنحاء البلاد، وهو عيد

١. عبد أبواللو، الرب القواص.

قدس. إذن فمن يستطيع أن يَحْنِي قوسًا؟ كلا، ضعها جانباً في هدوء؛ أما القوس، فماذا لو تركناها جمِيًعاً في مكانها كما هي؟ فما من أحد، كما أعتقد، سيأتي إلى ساحة أوديسيوس بن لايروس، ويحملها من مكانها. كلا، تعال، دَعْ حامل الطاس يُصْبِب نقطاً كسكيبة في الكَوْس، حتى يكون في مقدورنا أن نصُب السكائِب، أما القوس المعقودة فضعها جانباً. وإذا ما أصبح الصباح فُرْ ملانتيوس، راعي المعين، أن يُحْضِر من العزات، خِير ما في جميع القطعان، كي نستطيع أن نضع قطع الفِخاذ فوق مذبح أبُولُو، القوَاس المشهور، ثم بعد ذلك تُعْجِمْ عُود تلك القوس، وتنْهِي المباراة...»

هكذا قال أنتينوس، وأدخلت كِلمَتُه السرور عليهم. وبعد ذلك صَبَ الخدم الماء على أيديهم، وملأ الشبان الطاسات حتى حافاتها، وقدَّموا الشراب للجميع، فصَبُوا أولاً بعض نُقْطٍ في الكَوْس لأجل السكيبة. وبعد أن سكبوا السكائِب، وشربوا ما شاء لقلوبهم أن تشرب، تكلم أوديسيوس الواسع الحيلة، وسطهم بضمير خبيث، فقال:

«أَصْغُوا إِلَيَّ، يَا مُغَازِلِي الْمَلْكَةِ الْمَجِيدَةِ، كَيْ أَقُولُ مَا يُوحِي إِلَى الْقَلْبِ الْكَائِنِ فِي صَدْرِي. إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَى يُورُوما خُوسُ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَنْتِينُوسَ الشَّبِيهِ بِالْإِلَهِ؛ إِذْ إِنْ تَلَكَ الْكَلْمَةُ الَّتِي قَالَهَا لَهِيَ عَيْنُ الصَّوَابِ، أَعْنِي أَنْكُمْ تَكُونُونَ إِنَّا عَنْ مَحَاوِلَةِ عَجْمُ عُودِ الْقَوْسِ، وَنَتَرَكُ النَّتِيْجَةَ مَعَ الْأَكْلَهَةِ، وَفِي الصَّبَاحِ يُعْطِي الرَّبُّ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَلَكِنْ هِيَا، أَعْطَوْنِي الْقَوْسَ الْمَصْقُولَةَ، كَيْ أَسْتَطِعَ اخْتِيَارَ يَدِيْ وَقُوَّتِيْ وَسَطْكُمْ، لَأَعْرِفَ مَا إِذَا كَانَتْ قُوَّتِيْ السَّابِقَةَ لَمْ تَنْزِلْ فِي أَطْرَافِ الْغَضَّةِ، أَمْ قَدْ حَطَّمَهَا إِنَّا، تَجْوَالِيْ وَافْتَقَارِيْ إِلَى الطَّعَامِ.»

## أَنْتِينُوسْ يَنْهَرُ الْغَرِيبَ بِكَلَامٍ شَدِيدِ الْقَسْوَةِ

ما إن قال هذا، حتى استشاطوا جمِيًعاً بالغيظ البالغ، خشية أن يكون في مُكْنَتِه تثبيت الوتر في القوس المصقول. ونهَرَ أَنْتِينُوس، بقوله:

«وَيَحْكُ، أَيُّهَا الْغَرِيبُ الْحَقِيرُ؛ فَلَيْسَ عِنْدَكَ ذَرْةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْذَّكَاءِ. أَلْسَتَ قَانِعًا بِأَنْ تُولِمَ فِي جَمِيعِ الْمُتَغَرِّسِينَ دُونَ أَنْ يُزَعِّجَ أَحَدٌ، وَلَا تَفْتَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْوَلِيمَةِ، وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَحْدَيْنَا، بَيْنَمَا لَا يَحْظَى بِسَمَاعِهِ أَيُّ غَرِيبٍ أَوْ شَحَّانٍ آخَرُ؟ إِنَّهَا الْخَمْرُ الَّتِي تَلْعَبُ بِكَ، الْخَمْرُ الَّتِي فِي حَلَوَةِ الْعَسْلِ، الَّتِي تُسْيِءُ إِلَى الْآخَرِينَ أَيْضًا، إِذَا مَا احْتَسَى الْمَرْءُ مِنْهَا جَرْعَاتٍ كَبِيرَةٍ، وَيَشْرُبُ أَكْثَرَ مِنَ الْقَدْرِ الْلَّازِمِ. إِنَّهَا الْخَمْرُ كَذَلِكَ الَّتِي جَعَلَتِ الْقَنْطَوْرَ،

يوروتيون<sup>١١</sup> المجيد، أحمق، في ساحة بايريثوس<sup>١٢</sup> العظيم القلب، عندما ذهب إلى لابياثاي Lapithae،<sup>١٣</sup> فلما لَعِبَتْ الخمر بقلبه، اقترف شرًا في جنونه بمنزل بايريثوس. بعد ذلك غضب الأبطال، ففازوا وأخرجوه بعيدًا من البوابة، بعد أن قطعوا أذنيه وجدعوا منخاريه بالبرونز العديم الرحمة، وبعد أن سخر منه، ذهب في طريقه، يحمل معه لعنة إثمه بسبب حمامة قلبه؛ لذلك فَشِبَ العراك بين القنطاور والبشر، ولكنه أنزل الشر بنفسه أولاً؛ إذ كان مثقلًا بالخمر. هكذا أيضًا أُحذِرَكَ من أَدَى بالغٍ يصيِّبك، إذا استطعْتُ تركيب الوتر في القوس؛ إذ عندئِنْ ستلتقي بيَدِي أي واحِدٍ في بلادنا بغير رحمة، ونُرِسِلُكَ فورًا في سفينَةٍ سوداء إلى الملك إيخيتوس Echetus، الذي يُشَوَّهُ كافية البشر، ذلك الذي لن تُفْلِتَ من بين يديه حيًّا بأية حالٍ من الأحوال. كلا، إذن، فلنلَّزم السكون، ولنَشَرِبْ خمرك، ولا تُصَارِعْ رجالًا يصغرونك سنًا».

### بينيلوبي لا تمانع في أن يُجرب الغريب حظَّه

عندئِنْ قالت بينيلوبي الحكيمة: «يا أنتينوس، ليس من الجميل ولا من العدل أن تسلب ضيوف تيليماخوس حقوقهم، مهما كان ذلك الذي يأتي إلى هذا البيت. ألا تعتقد أنه إذا استطاع هذا الغريب أن يُثْبِتَ الوتر في قوس أوديسيوس العظيم، قادَنِي إلى بيته واتخَذَنِي زوجته؟ كلا، إنه شخصيًّا، كما أعتقد، لا يفَكِّرُ في هذا الأمل في صدره؛ وعلى هذا الاعتبار، لا يجلسن أحدُكُم هنا حزيناً في قلبه على مائدة الطعام؛ فحقًا، إن ذلك لا يليق إطلاقًا».

<sup>١١</sup> القنطور الذي حاول أن يمسك بالعروس في حفلة زواج بايريثوس، فَشِبَ بذلك القتال بين القنطوري واللابياثي.

<sup>١٢</sup> ابن ديا من زوس، مملِك اللابياثي ... لَمَّا تقابل هو وتيسيوس في القتال، أُعْجِبَ كُلُّ منهما بالآخر إعجابًا شديداً حتى إنهم طرحا ما كان بينهما من عداء جانبيًّا وأقساماً يمين الصداقة الأبدية.

<sup>١٣</sup> شعبٌ خرافي في تساليا. وقد شَنَ القنطور ضدَّهم حربًا وهزمُوهُم مُدَعِّينَ أنَّ لهم نصيبيًّا في مملكتهم. ودعا بايريثوس مملِك اللابياثي إبَان وقتِ السلم الذي تلا ذلك، القنطور إلى حفلة زواجه من هيبوداميا. غير أن القنطوري حاولوا خطف العروس وبعض النساء الأخريات وهم سكارى فَشِبَ نزاعٌ خطيرٌ كان النصر فيه حليف اللابياثي.

فأجابها يوروماخوس بن بولوبوس، بقوله: «يا ابنة إيكاريوس، بينيلوبي الحكيمة، ليس هذا لأننا نعتقد أن الرجل سيقول إلى بيته — فإن هذا لا يليق حقاً — بل لأننا نخشى أقاويل الرجال والنساء، لئلا يقول شخصٌ وضيع ما فيما بعد وسط الآخرين: «لا شك أنهم رجال في غاية الضعف، أولئك الذين يغازلون زوجة الرجل النبيل، ولا يستطيعون أن يثبتوا الوتر في قوسه المصقول، ولكن شحاذًا آخر، جاء متوجلاً، أمكّنه أن يرُكِ الوتر في القوس؛ وأحكُم الإصابة وسط الحديد». هكذا سيقول الناس، ويكون لنا توبixa».

### بينيلوبي تُعد الغريب بمكافأة لو نجح

فردت عليه بينيلوبي الحكيمة ثانية، فقالت: «يا بوروماخوس، لا يمكن أن يحظى من يستهلكون أموال أمير ولا يحترمون منزله بسمعة طيبة في البلاد، فلماذا، إذن تجعل من هذا الأمر<sup>١٤</sup> توبixa؟ إن هذا الغريب فارع الطول وقوى البنية، ويقول عن نفسه إنه أَنْجَب أبناً لأَبٍ عظيم. كلا، هيا، أُعْطِه القوس المصقول لنرى؛ لأنني أقول لك بصراحة، ولا بد أن أَنْفَدَ كلامتي، إذا أَمْكَنَه تثبيت الوتر في القوس، ومنَحَه أَبُولُو المجد، فسأكسوه عباءة وجلباباً، من الثياب الجميلة، وأُعْطِيه مزرافاً حاداً يُبعِد به الكلاب والناس، وسيفًا ذا حَدَّين، وأهبه صندلاً يلبسه في قدميه، وأبعث به إلى أي مكان يأْمُر قلبه وروحه أن يذهب إليه».

### تيليماخوس يعلن أنه وحده السيد الموقف

عندئذٍ خاطبها تيليماخوس الحكيم، قائلاً: «أَماه، أَما القوس، فلا أحد من الآخرين له الحق في التحكُّم فيها أكثر مني؛ فأننا الذي أعطيها أو أحرمها من أشياء — كلا، ولا أي فرد من يسيطرون على إيثاكا الصخرية، أو على الجزر تجاه إيليس Elis مرعى الخيول. لا أحد من بين هؤلاء يستطيع أن يمنعني من تنفيذ إرادتي ضد رغبتي، حتى ولو رغبت في أن أعطي هذه القوس في الحال للغريب ليأخذها معه، فهل لك أن تذهب إلى مقصورتك، وتشغلني نفسك بأعمالك الخاصة، المنوال والفرناس، وتأمرني وصيفاتك بأن ينهمنك في أعمالهن؟ فستكون القوس للرجال جميعاً، ولكن قبل أي فردٍ ستكون لي؛ إذ إن لي السيادة في هذا المنزل».

<sup>١٤</sup> أي أن الغريب يُجرب حظه بالقوس.

عجبت بينيلوبي من كلام ابنها، فقفلت راجعة إلى مقصورتها؛ لأنها وضعت في قلبها كلام ابنها الحكيم، فصعدت إلى مقصورتها العليا مع وصفاتها، وبعد ذلك أخذت تبكي أوديسيوس، زوجها العزيز، إلى أن ألت أثينا ذات العينين النجلاويين النوم اللذيد فوق جفنيها.

### راعي الخنازير يحمل القوس إلى الغريب

والآن كان راعي الخنازير العظيم قد تناول القوس المعقودة وحملها، بيد أن كافة المغازلين صاحوا في الساحات، فتحدث إلى أحد الشبان المتعجفين، وخطبه بقوله:

«إلى أين بربك، تحمل القوس المعقودة، يا راعي الخنازير الحقير، أيها الرجل الشارد الفكري؟ سرعان ما ستبتلوك الكلب — وأنت بمفردك وبعيده عن الناس — الكلب التي رببّيتها أنت نفسك، إذا كان أبوابو كريماً معنا، وكذا الآلهة الآخرون الخالدون.»

هكذا كانوا يتكلّمون، فوضع الراعي القوس، وهو يحملها، في نفس ذلك المكان الذي رفعها منه، وقد تملّكه الذعر لأن رجلاً عديدين كانوا يصيحون عالياً في الساحات. بيد أن تيليماخوس صاح من الجانب الآخر يهذّده، فقال:

«احمل القوس، يا أبتياه — سرعان ما سوف تندم إذا ما اهتممت بصياغ هذا الجمع — خشية، أن أجرّك إلى الحقل، ولو أتنني أصغرُ منك، وأترجمك بالحجارة؛ لأنني أفوقك قوة. وكم كنتُ أتمنى أن أتفوق في القوة وشدة البأس على جميع هؤلاء المغازلين الموجودين بمنزلتنا! إذن لأمكنتني أن أطرد الكثريين بسرعةٍ من منزلنا ليذهبوا إلى حال سبيلهم في حالةٍ يُرثى لها؛ لأنهم يُدبرون الشرور.»

ما إن أتمَّ حديثه ذاك، حتى ضحك جميع المغازلين وسخروا منه مرحين، وهكذا خفّوا من حدة غضبهم ضد تيليماخوس. ومع كلٍّ فقد حمل راعي الخنازير القوس عبر الساحة، وتوجه إلى أوديسيوس الحكيم، ووضعها بين يديه. بعد ذلك استدعى الراعي المربية يوروكليا، وقال لها:

«إن تيليماخوس يأمرك، أيتها القافلة يوروكليا، أن تقفلي أبواب الساحة المحكمة بالإغلاق، وإذا سمعت أي واحدٍ من النساء في الداخل تأوهات أو ضجيج الرجال داخل ساحاتنا، فلا تسمحي لهن بالانطلاق إلى الخارج مُسرعات، بل يجب أن يبقين حيث هن في سكونٍ منهمكاتٍ في أعمالهن.»

هكذا قال لها، بيد أنها لم تنطق بكلمة واحدة، وأقفلت أبواب الساحات الرائعة.

## قوة الغريب ومهاراته تُثيران دهشة المغازلين

أما فيلويتيوس فانطلق في سكونٍ خارج المنزل، وأسرع بإغلاق بوابات البناء المُسورة جيداً. وكان هناك وقتئذٍ أسفل الرواق قاعٌ سفينةٌ مقوس، مصنوع من الخشب الفينيقي، فأحكم به إغلاق البوابات، ثم ذهب هو نفسه بعد ذلك إلى الداخل. وجلس فوق المقعد الذي كان قد نهض منه، وثبتَّ بصره على أوديسيوس، وكان وقتئذٍ يحمل القوس في يديه، يُقلّبها في يديه إلى هذا الجانب وذاك ويُعجم عورتها في هذا الاتجاه وذلك، خشية أن تكون الديadan قد أصابت أطرافها، إبان غياب سيدها؛ وعلى ذلك كان كلٌ واحدٌ من المغازلين ينظر إليه ويتحدّث إلى جاره قائلاً:

«حقاً، إن له عيناً فاحصة، كما أنه وغدٌ مَكَار ذلك الذي يُمسِك القوس. ربما كان لديه أمثال هذه الأقواس محفوظة هناك في بيته، أو ربما كان يُزعم أن يصنع واحدة؛ إذ أراه يُقلّبها هكذا في هذا الاتجاه وفي ذاك بين يديه، ذلك المسؤول ذو الأسمال البالية.»

ذلك كان يقول شابٌ آخر من الشبان المتعطّرسين:

«ليت هذا الرجل يجد فائدةً في مثل هذا الإجراء، فيُبرهن على مقدراته في تركيب الوتر بهذه القوس..»

## المغازلون في فزع بينما أوديسيوس وولده في فرح

هكذا كان يقول المغازلون، بيد أن أوديسيوس الواسع الحيلة، ما إن رفع القوس الضخمة وزنها من كل جانب – شأنه شأن الرجل البالغ المهارة في العزف على القيثارة والغناء عندما يشد الوتر بسهولة حول مفتاحٍ جديدٍ ويُثبّت كلاً من طرفٍ وتر أمعاء الخراف المبروم – هكذا أيضاً ثبّت أوديسيوس الوتر بدون عناءٍ في القوس العظيمة، ثم رفعه في يده اليمنى، وعجمَ عُود الوتر، الذي أصدر نغمةً عذبةً عندما لسَه، كما لو كان عصفور الجنة يُغَرِّد. أما المغازلون فاكتَبُوا اكتئاباً بالغاً، وامتُقَعَّت جوهرهم، وأرعدَ زوس عالياً، معلناً لدائه. وعندئذٍ ابتهج قلب أوديسيوس العظيم، الكثير التحمل، من أن ابن كرونوس ذا المشورة الملتوية قد أرسل إليه فلألاً، فال نقط سهماً سريعاً، كان موضوعاً عارياً إلى جواره فوق المائدة، بينما كانت السهام الأخرى مكَسَّةً بداخل الكتامة الواسعة، تلك السهام التي كان على الآخرين أن يتذوّقوا طعمها سريعاً، فتَنَأَّلَ أوديسيوس هذا السهم، ووضعه في سرّة القوس، ومن فوق الكرسي الذي كان يجلس عليه جذب وتر القوس والسهم المشحون.

وتَرَكَ السَّهْم يطير بِإصابةٍ مُحْكَمَة، ولم يخطئ طرف يَدٍ واحدة من أَيْدِي الْفَئَوْس، بل انطلق السَّهْم داخلاً وخرج من النَّهَايَةِ الْأُخْرَى مُحَمَّلاً بِالْبُرُونْز، ثُمَّ تَحَدَّثَ إِلَى تِيلِيمَاخُوس، قَائِلاً:

«أَيُّ تِيلِيمَاخُوس، إِنَّ الْغَرِيبِ الْجَالِسَ فِي سَاحَاتِكَ لَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ الْعَارِ، وَلَمْ أُخْطِي الْهَدْفَ بِأَيَّةٍ حَالٍ، وَلَمْ أَبْذُلْ جَهَادًا طَوِيلًا فِي تَثْبِيتِ الْوَتَرِ فِي الْقَوْسِ؛ وَمَا زَالَتْ قُوَّتِي سَلِيمَةٌ – وَلَيْسَتْ كَمَا يَسْخِرُ مِنِي الْمَغَازِلُونَ. أَمَّا الْآنَ فَقَدْ آتَى إِعْدَادُ الْعَشَاءِ لِلْأَخْيَانِ، بَيْنَمَا لَا يَزَالُ النُّورُ مَوْجُودًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَجْبُ أَنْ تُقْعِدَ مَبَارَأَهُ أُخْرَى بِالْغَنَاءِ وَالْقِيَاثَةِ؛ لَأَنَّ مُثْلَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا يَصْاحِبُ الْوَلِيمَةِ.»

قَالَ هَذَا، وَأَشَارَ بِحَاجَبِيهِ، فَإِذَا بِتِيلِيمَاخُوسِ، الْابْنِ الْعَزِيزِ لِأُوْدِيسيُوسِ الْمَقْدِسِ، يَتَمْنَطِقُ بِسِيفِهِ الْبَتَارِ، وَيُمْسِكُ بِرْمَحِهِ فِي قَبْضَتِهِ، وَيُسْرِعُ بِالْوَقْوفِ إِلَى جَوَارِ الْكَرْسِيِّ بِجَانِبِ أَبِيهِ، مَسْلِحًا بِالْبُرُونْزِ الْبَرَاقِ.

## الأنشودة الثانية والعشرون

### أوديسيوس يُبْتُ الذعر وسط المغازلين

خلع أوديسيوس الكثير الحيل عنه أسماله البالية وقفز إلى عتبة الباب العظيمة ومعه القوس والجعبة مملوقة بالسهام، ونشر السهام السريعة أمام أقدامه تماماً وتحدّث وسط المغازلين، قائلاً:

«يا للعجب! لقد انتهت هذه المبارأة الحاسمة أخيراً. والآن، سأجرب لأعرف<sup>١</sup> ما إذا كنتُ أستطيع إصابة هدف آخر، لم يعتوره أي رجل آخر من قبل، ولتمنعني المجد يا أبولو.» قال هذا وسدّ سهماً مريضاً نحو أنتينوس. وكان هذا الآن على وشك أن يرفع إلى شفتيه كأساً بديعة، كأساً من الذهب ذات مقبضين، وكان يحملها وقتئذ في يده، لكي يحتسي الخمر، ولم يكن الردي يطرأ على مخيلته، فمن من أولئك الرجال الذين كانوا جالسين يتناولون اللحم، كان يتصرّر أن رجلاً واحداً وسط كثيرين، مهما أوتي من القوة، يمكن أن يجلب على نفسه الموت الشرير والحنف الأسود؟ ولكن أوديسيوس سدّ إصابةه، وضربه بسهم في حلقه، وإذا بطرف السهم ينفذ خلال العنق الرقيق تماماً، فترنح إلى جانب، وسقطت الكأس من يده عندما أصابه السهم. وفي الحالة تصاعدت إلى منخرّيه كتل سميكّة من الدم البشري، ولتوه أبعد المائدة عنه بركلة من قدمه، فانتشر كل الطعام فوق الأرض، وتلطّخ الخبز واللحم المشوي. بعد ذلك دب الهرج والمرج بين المغازلين في شتى أنحاء الساحات، وأبصروا الرجل مجنداً، فوثبوا من فوق مقاعدهم العالية، يُهربون في

<sup>١</sup> أو: «سأطلق على هدف آخر».



قدَّفْ أُودِيسِيُّوسْ، الْحَكِيمُ الدَّاهِيَّة، وَجَمَاعَتِه رَمَاحُهُمُ الْحَادَّة.



الساحة مرتاعين ملتعين، يُحملُّون في كل مكانٍ بطولِ الحوائطِ المكينةِ البنيان. بيد أنه لم يكن هناك في أي مكانٍ أي درعٍ أو رمحٍ قويٍ يمكنهم أن يتسلّحوا به، ولكنهم أُمطروا أوديسيوس سيلًا من الشتائم،<sup>٢</sup> قائلين:

«أيها الغريب، إلى حتفك تسعى بالتصويب نحو الرجال؛ فلن تشترك قط ثانيةً في مبارياتٍ أخرى؛ فها هو ذا هلاك الشامل يتحقق الآن. نعم، لأنك قتلت الآن رجلاً يفوق كثيراً سائر الشباب في إيثاكا؛ وعلى ذلك فسوف تنهش جوارح الطير جسمك هنا.»

### أوديسيوس يتوعّد المغازلين بملوت الزؤام

هكذا قال<sup>٣</sup> كلُّ رجل؛ لأنَّه خُيلٌ إلَيْهم أنه حَقّاً لم يقتل الرجل متعمداً، وفي حماقتهم، لم يُدركوا أنَّ حيالَ ال�لاك قد ثُبَّت بإحكامٍ عليهم هم أنفسهم جميعاً. بعدئذ قطَّبْ أوديسيوس الكثيرَ الحيل حاجبيه وبنظرٍ غاضبةً ردَّ عليهم، بقوله:

«أيها الكلاب، لقد حسبتم أنني لن أعود أبداً من بلاد طروادة إلى منزلي؛ لأنني أراكُم قد خرَّبْتُم بيتي، واضطَّجعْتُم مع الوصيفات عَنْوة، وبينما أنا ما زلت على قيد الحياة، رحُّتم تغازلُون زوجتي خلسة، دون خوفٍ من الآلهة الذين يحتلُّون السماء الفسيحة، أو احترامٍ للبشر، الآتين إلى هنا من بعد. والآن، قد ثُبَّتْتُ عليكم جميعاً حيالَ ال�لاك.»

### يوروماخوس يَسْتَرِّ عطف أوديسيوس

ما إن قال هذا، حتى استولى<sup>٤</sup> عليهم جميعاً الخوف الشاحب، فأخذ كل رجلٍ يتطلَّعَ حواليه علَّه يجد مهرباً من الهلاك الشامل، ولكن يوروماخوس وحده ردَّ عليه، قائلاً:

«إذا كنتَ أنتَ أوديسيوس إيثاكا حقيقة، وقد عُدْتَ إلى منزلك ثانية، إذن فهذا الذي تقولُه هو عين كافية ما فعله الآخرين – كثيراً من أعمال الحماقة الطائشة في ساحاتك وكثيراً منها في حقولك. بيد أنَّ الملوم على كلِّ هذا، يرقدُ الآن ميتاً، إنه أنتينوس؛ فهو الذي

<sup>٢</sup> الترجمة الحرافية: سيلًا من الكلمات الغاضبة.

<sup>٣</sup> أو «هكذا خمنَ».

<sup>٤</sup> أو: «أمسك بأطرافهم جميعاً تحتهم». ونفس هذا الغموض يُوجَد في فقراتٍ أخرى.

تسبب في هذه الأعمال، لا بداعي الرغبة في الزواج أو الحاجة إليه، بل لغرض آخر كان يسعى إليه، ولم يتحقق له ابن كرونوس؛ ذلك أنه كان يريد أن ينصب نفسه ملكاً على أرض إيثاكا الأهلة بالسكان، وكان يرغب في أن يكمن لابنك ويقتلها، فها هو ذا الآن ملقي صريعاً، جزاءً وفافاً، ولكن هل لك أن تُبقي على الآخرين الذين هم أتباعك؟ وبعد ذلك سقطت بلاده ونأي لك بتعويضٍ مقابل جميع ما شرب وأكل في ساحاتك، ويُحضر لك كل رجل تعويضاً يوازي قيمة عشرين ثوراً، ويسدد لك بالبرونز والذهب إلى أن يرضي قلبك، ولكن حتى هذا الحين لا يمكن لأي فردٍ أن يلومك على غضبك.»

### أوديسوس يتوعّد المغازلين جميّعاً بالموت

عندئذ نظر إليه أوديسوس الواسع الحيلة نظرة غضبٍ من أسفل حاجبيه، وقال له: «كلا، يا يوروماخوس، حتى ولو أعطيتني كافيةً ما ترك لك آباءك، تعويضاً لي، جميع ما تمتلكه الآن، وتضيف إليه ثروةً أخرى من أي مكانٍ تستطيع الحصول عليها منه، ولا حتى هذا يمكنني أن أُكُفَّ يدي عن القتل إلى أن يدفع المغازلون ثمن جميع اعتداءاتهم كاملاً. وليس أمامكم الآن إلا أن تقاتلوا في قتالٍ سافر، أو تُولوا الأدبار هاربين، إذا استطاع أي رجلٍ أن يتحاشي المنية والحتوف، غير أن كثريين، حسبما أعتقد، لن يهربوا من الهلاك الشامل.».

### يوروماخوس ينادى المغازلين مهاجمة أوديسوس

هكذا تكلَّم، وإذا بركبِهم ترتحي حيث كانوا واقفين، وذابت قلوبهم؛ وتحدث يوروماخوس في وسطهم من جديدٍ مرَّةً أخرى، فقال: «أصدقائي، بما أنكم ترونَ أن هذا الرجل لن يُكُفَّ يديه اللتين لا يمكن قهرهما، وبما أنه يمسك الآن بالقوس المصقول وجعبة السهام، فإنه سيظل يُطلق من العتبة الناعمة إلى أن يصرعنا جميعاً، هلموا بنا، نُفَكِّر في التزال. استلوا سيفكم، وضعوا الموائد أمامكم وقايةً لكم من السهام التي تجلب الموت السريع، ولننفَّضَ عليه جميعاً كتلةً واحدة، عسى أن نستطيع زحزحته من العتبة والبوابة، فينطلق خلال المدينة، وبذا يزول الخطر بسرعة. وهكذا يكون هذا الرجل قد أطلق سريعاً آخر طلاقةً له.».

## يوروماخوس يلقى حتفه

ما إن قال هذا حتى استل سيفه الحاد المصنوع من البرونز، السيف ذا الحدين، وقفز نحو أوديسيوس بصيحة مفزعة، وفي نفس ذلك الوقت كان أوديسيوس العظيم قد أطلق في الفضاء سهماً، فأصابه في صدره بجانب حلة ثديه، وثبت النصل السريع في كبده، فترك يوروماخوس السيف يسقط من يده على الأرض، وإنحنى فوق المائدة مال وسقط، وأوقع على الأرض الطعام والكأس ذات المقبضين، ثم راح يضرب الأرض بحاجبه من فرط عذاب روحه، وصار يرفس بكلتا قدميه ويجهز المقادع، ثم إذا بعثامة من الضباب تغشى عينيه.

## تيليماخوس يقتل أمفينوموس

بعد ذلك انقضَّ أمفينوموس على أوديسيوس المجيد، بسرعة، شاهراً سيفه الحاد، أملأ في أن يخرج أوديسيوس أمامه من الباب، ولكن تيليماخوس كان أسرع منه؛ إذ عاجله بضربيَّة من الخلف برمحة البرونزي الطرف فيما بين كتفيه، ودفعه خلال صدره، فسقط بهَّة، وضرب الأرض بعرض جبينه. أما تيليماخوس فقفز إلى الوراء، تاركاً الرمح الطويل حيث هو، في ظهر أمفينوموس؛ لأنَّه كان يخشى إذا حاول سحب الرمح الطويل، أن يهجم عليه أحد الآخرين، ويطعنه بسيفه، أو يُسدد نحوه ضربة وهو ينحني على الجهة؛ ومن ثمَّ جرى بسرعة نحو أبيه العزيز، وما إن وقف إلى جانبه حتى خاطبه بكلماتٍ حماسيةٍ قائلًا: «سأُحضر لك، يا أباًنا، ترساً ورمَّحَين وخوذةً من البرونز الخالص، تثبت جيداً بالجبين، وبعد أن أعود ثانيةً أسلح نفسي، كما أنني سأعطي عدداً حربياً كذلك لراعي الخنازير ولذلك الراعي؛ لأنَّه من الخير لنا أن نلبس العدد الحربي».»

## تيليماخوس يُحضر ترساً ورمَّحَاً لأوديسيوس

عندئِنْ أجا به أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «أسرع، وأحضرها، بينما لا يزال عندي رماحُ أذود بها عن نفسي، خشية أن يدفعوني من الباب، وأنا هكذا وحدي.»

° في الأصل: مجنحة.

ما إن قال هذا، حتى صد علیه تلیمیا خوس بأمر أبيه العزيز، وانطلق في طريقه إلى حجرة الخزین حيث كانت الأسلحة الجيدة مخزونة، فتناول من هناك أربعة ترسوس وثمانية رماح وأربع خوذاتٍ من البرونز، ذات رياش سميكة من شعر الخيول، وحملها، وبسرعةٍ هرعت إلى أبيه العزيز. وعندئذٍ تمنّطّق هو أولاً بالبرونز حول جسده، وكذلك ليس العبدان حُلَّتَانْ حربيتَانْ جميلاً ثم وقفَ على جانبيه أودیسيوس، ذلك الرجل الحكيم الدهيّة.

## المغازلون يتلقّطون أمام سهام أودیسيوس

أما هو، فطالما كانت لديه سهامٌ يدافع بها عن نفسه؛ فقد استمر يُطلق، ويُجندل المغازلين واحداً بعد آخر في منزله، وراحوا يتلقّطون بكثرة وبسرعة. حتى إذا ما نفدت السهام من الأمير، وهو يُطلق، أُسند القوس إلى قائم باب الساحة المكينة البنيان وتركها مستندَة إلى حائط المدخل المتألّق. أما هو شخصياً، فقد وضع حول كتفيه درعاً ذات أربع طبقات، وليس فوق رأسه العتيد خوذةٌ مكينة الصنع ذات ريشةٍ من شعر الخيول، كانت تهتز بشدة فوق رأسه، كما تناول رمحين متينين، مدبّبين بالبرونز.

## المغازلون في حيرة من أمرهم

ولما كان هناك في الحائط القوي البنيان بابٌ سريٌّ مُعِينٌ مُرتفع، وكان في أعلى منسوب عتبة الساحة المكينة البنيان طريقٌ يؤدي إلى ممر، وكانت تعلقُه أبوابٌ محكمة الإقفال، فقد أمر أودیسيوس راعي الخنازير العظيم بمراقبة هذا الباب الخلفي، متخدناً وقوفته إلى

<sup>٦</sup> يبدو أن هذا كان باباً في أقصى الطرف الداخلي للساحة، ويرتفع عن مستوى أرض الساحة العظيمة؛ ولذا سُمي بالباب المرتفع. وكانوا يصلون إليه بسلّم من عدة درجات. ولم يكن من المستطاع رؤية هذا الباب من المكان الذي كان فيه أودیسيوس. وكان يفتح إلى طريق يوصل إلى ممرٍ لا حاجة هنا إلى وصفه، وكان القصر يضم عدّة أبنية أخرى غير الساحة الرئيسية. ويجوز أنه كان بينها كثيُّر من أمثال هذه المَرَات. ويُفهَم من التعبير الإغريقي الغامض أن الأرض كانت ترتفع قليلاً من الأمام إلى الخلف بينما كانت أرض الساحة فيها مستوية. وبذل يكون أساس الحائط منخفضاً عند العتبة من الأمام ومرتفعاً مع الأرض في الخلف. وهذا يُفهَم من وجود الباب المرتفع الذي يفتح إلى طريقٍ في الخارج مرتفعاً عن أرض الساحة نفسها؛ ولذا كانوا يصلون إليه بسلّم. إذن فلم يكن أساس الحائط مستوىً بل كان يتبع ارتفاع الأرض.

جواره؛ لأنَّه كان هناك طرِيقٌ واحدٌ للوصول إليه؛ عندئِذٍ تكلَّم أجيلاوس وسط المغازلين. وأعلنَ كلِّمته للجميع، فقال:

«أصدقائي، ألا يصعدُ أحدكم إلى الباب السري، ويُخْبر الناس، حتى يمكنَ لِمَنْهُ هذا الإزعاجُ أنْ يزولَ بسرعة؟ وعندئِذٍ يكونَ هذا الرجل قد ضربَ بسرعةٍ ضربَتَهُ الأخيرة.»  
عندئِذٍ ردَّ عليه ميلانثيوس، راعي المعيز، بقوله: «لا يمكنَ هذا يا أجيلاوس، يا ربِّي زوس؛ لأنَّ بَابَ القلعةِ الجميلِ قرِيبٌ جَدًا، كما أنَّ فتحَةَ المَرْ وَعْرَةٍ. إنَّ في مَكْنَةِ رَجُلٍ واحدٍ أنْ يُسْدِّدَ الطَّرِيقَ أَمامَ الجميعِ، إذا كانَ جَرِيَّاً، ولكنَّ تَعَالَ، دَعْنِي أُحْبِرُكَ مِنْ حَجَرِ الْخَزِينَ أَسْلَحَةً تَرْتِدِيهَا؛ لأنَّها في الدَّاخِلِ، كما أَعْتَدَ، فَلَمْ يَضْعِفْهَا أُودِيسِيُوسُ وَابْنُهُ الْمَجِيدُ في أيِّ مَكَانٍ آخرٍ.»

### المغازلون يحصلون على تروس ورماح

ما إنْ قالَ هذا، حتَّى صعدَ ميلانثيوس، راعي المعيز، درجاتِ سُلْمٍ<sup>٧</sup> الساحَةَ إلى مخازنِ أُودِيسِيُوسَ، فأخذَ منها اثْنَيْ عشرَ ترسًا، وعدُّدًا كَبِيرًا منَ الرِّماحِ، وأكْبَرَ عَدْدٍ ممْكِنٍ منَ الْخَوَذَاتِ الْبِرْوَنْزِيَّةِ ذاتِ الْرِّيَاشِ السَّمِيكَةِ مِنْ شَعَرِ الْخَيْوَلِ، وَعَادَ فِي طَرِيقِهِ، وَأَسْرَعَ فَأَحْضَرَهَا وَأَعْطَاهَا لِلْمَغَازِلِينَ؛ عندئِذٍ ارْتَخَتْ رُكْبَتَنَا أُودِيسِيُوسُ وَذَابَ قَلْبَهُ، عَنْدَمَا أَبْصَرَهُمْ مُتَدَدِّرِينَ بِالْحُلُلِ الْحَرَبِيَّةِ وَيُلْوِحُونَ بِرِماحٍ طَوِيلَةٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَبَدَتِ الْمَهْمَةُ شَاقَّةً أَمَامَهُ، فَخَاطَبَ تِيلِيمَاخُوسَ بِكَلِّمَاتٍ حَمَاسِيَّةٍ،<sup>٨</sup> قَائِلًا:

«لا شَكَّ أَنَّ إِحْدَى النِّسَاءِ فِي السَّاحَاتِ تُثْبِرَ ضَدَّنَا مَعْرِكَةً شَرِيرَةً، أَوْ رَبِّما كَانَ هُوَ ميلانثيوس.»

عندئِذٍ أَجَابَهُ تِيلِيمَاخُوسُ الْحَكِيمُ، بِقَوْلِهِ: «إِنِّي أَنَا نَفْسِي الَّذِي أَخْطَأْتُ فِي هَذَا، يَا أَبَتَاهُ، وَلَا يَنْصَبُ اللَّوْمُ عَلَى أَحَدٍ غَيْرِي؛ لَأَنِّي تَرَكْتُ بَابَ حَجَرِ الْخَزِينَ الْمُحَكَّمَ إِلَغْلَاقٍ مَفْتُوحًا، وَكَانَ رَقِيبُهُمْ خَيْرًا مِنِّي. وَالآنَ اذْهَبْ، أَيْهَا الْعَظِيمِ يُومَيُوسُ، وَأَغْلِقْ بَابَ حَجَرِ الْخَزِينِ، وَتَأْكَّدْ مَا إِذَا كَانَتْ هِي إِحْدَى النِّسَاءِ الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا، أَمْ هُوَ ميلانثيوس بْنُ دُولِيُوسُ، كَمَا أَتَوْقَّعَ.»

<sup>٧</sup> انظر الملاحظة السابقة. وُيُفْسَرُ آخرون درجاتِ السُّلْمِ بِأَنَّهَا كَانَتْ فَتَحَاتٍ فِي الْحَائِطِ. وَكَانَ الْبَابُ نَفْسَهِ إِحْدَاهَا يَسْتَطِعُ الْمَرْءُ تَسْلُقُهُ إِلَى فَوْقِهِ، وَلَكِنَّ مَحْقُوقَهُ أَنَّ حَجَرَ الْخَزِينَ كَانَ بِالدُّورِ الْأَرْضِيِّ.

<sup>٨</sup> في الأصل: مجنة.

## أوديسيوس يأمر بحبس ميلانثيوس الخائن

هكذا تحدَّث كل واحدٍ منها إلى الآخر، ولكن ميلانثيوس، راعي المعيز، ذهب ثانيةً إلى حجرة الخزين لكي يُحضر حُلَّةً حربية جميلة، فلمحه راعي الخنازير، وفي الحال تحدَّث إلى أوديسيوس الذي كان قريباً منه، قائلاً:

«يا ابن لايروتيس، المنحدر من زوس، أَيُّ أوديسيوس الواسع الحيلة، ها هو ذا ثانيةً ذلك الشخص الملوّب، الذي كنا نشكُّ فيه نحن أنفسنا، ذاهب إلى حجرة الخزين، فهل لك أن تُخبرني ماذا أفعل حقيقة، أَقْتُلُه، لو أثبَّتْ أَنَّنِي أَفْضَلُ مِنْهُ، أم أَحْضُرُه إِلَيْكَ هنا، كي يلقى هذا الرجل جزاءَ الجرائم العديدة التي اقترفَهَا في مِنْزِلِكَ؟»

فأجابه أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «سُنحتفظُ أَنَا وَتِيلِيماخوس حَقّاً باللغازلين الأَمْجَادَ فِي دَاخِلِ الْبَهْوَ، مَهْمَا بَلَغُوا مِنَ الْقُوَّةِ، أَمَا أَنْتُمَا فَهَلْ لَكُمَا أَنْ تَشْدَدَا وَثَاقَ قَدَمِيَّهُ إِلَى الْخَلْفِ وَنَرَاعِيَّهُ إِلَى أَعْلَى، وَتُلْقِيَا بِهِ فِي حَجَرَةِ الْخَزِينِ، وَتَرْبِطَا خَلْفَ ظَهَرِهِ الْأَوَّلَاهَا؛ وَتَرْبِطَاهُ بِحَبْلٍ مَجْدُولٍ، وَتَرْفَعَاهُ إِلَى فَوْقِ الْعَمُودِ الطَّوِيلِ، إِلَى أَنْ يَصُلَّ إِلَى قَرْبِ الْأَلْوَاحِ السَّقْفِ، كَيْ يَظْلِمْ حَيًّا مَدَّةً طَوِيلَةً، وَيُعَانِي عَذَاباً مَؤْلَماً؟»

ما إن قال هذا، حتى أطاعَ أَمْرَهُ في الْحَالِ، فَانطَلَقَ إِلَى حَجَرَةِ الْخَزِينِ، دُونَ أَنْ يَرَاهُما وقد كان بداخلها. لقد كان في الحقيقة يبحث عن حُلَّةً حربية في أقصى أنحاء حجرة الخزين، فكمَنَ له الاثنان ينتظرانه، واقفَيْنَ عَلَى جَانِبَيِّ قَائِمَيِّ الْبَابِ. وما كاد ميلانثيوس، راعي المعيز، يجتاز عتبة الباب، حاملاً في إحدى يَدِيهِ خوذةً طَبِيعِيَّةً، وفي الأخرى ترساً عَرِيشِيَّاً عتيقاً، مخططاً بالصَّدَأِ — ترس السيد لايروتيس، الذي كان يحمله وهو في ريعان شبابه ولكنه كان الآن متروكاً جانبياً مهملًا، وكانت سيور أحزمته محلولة — عندئذٍ انقضَّا عليه، كلاهما، وأمسكا به، وجذباه من شعره، وألقياه فوق الأرض في هَلْعٍ شَدِيدٍ، وأحْكَما شَدَّ وَثَاقَ قَدَمِيَّهُ بِقَيْوِيِّ عَنِيفَةٍ، رابطَيْنَ إِيَّاهَا بِإِحْكَامٍ وَرَاءَ ظَهَرِهِ، كَمَا أَمْرَهُما ابن لايروتيس، الكثير التحمل، أوديسيوس العظيم، وربطَ جسمَه بِحَبْلٍ مَفْتُولٍ، ورفعَاه عالياً فوق عمودٍ طَوِيلٍ، إِلَى أَنْ أَوْصَلَاهُ إِلَى قَرْبِ الْأَلْوَاحِ السَّقْفِ. وَعَنْدَئِذٍ سَخَرَ مِنْهُ، يُوماً يُوسِ راعي الخنازير، قائلاً:

«الآن حَقّاً، يا ميلانثيوس، ستبقى الليل ببطولة ساهراً، راقداً فوق فراشِ وَثَيرِ، كما يليق بك، ولن يفوتك أن تنتظِرَ مجيءَ الفجر الباكر، الذهبيِّ العرشِ، بمجردِ مجئِهِ من مجازي أوقيانوس، في الوقت الذي اعتدتَ أن تَقُودَ فِيهِ عَنْزَاتِكَ لِلْغَازَلِينِ، لَكِي يُعَدُّوا الوليمة في الساحاتِ».»

## أثينا تظهر لأوديسيوس في صورة مينتور

هكذا تُرك هناك، ممدداً في القيد الأليم، أما الاثنان فارتديا حُلْتَيْهِما الحربيَّتَين، وأغلقا الباب  
اللامع، وذهبوا إلى أوديسيوس، الحكيم الدهاهية، فوقا هناك، يتنفسان بحماس، فكان أولئك  
الواقفون عند العتبة أربعة ليس غير، بينما كان الذين بداخل القاعة كثريين شجاعان.  
وعندئِذ اقتربت منهم أثينا ابنة زوس، في صورة مينتور شكلاً وصوتاً، فرأها أوديسيوس،  
وابتهج، وتكلَّم، قائلاً:

«أبعد الخراب، يا مينتور، وتذكُّرني، يا صديقي العزيز، أنا الذي طالما صادقْتُك؟ إنك  
في نفس عمري.»

هكذا تكلَّم، معتقداً أنها أثينا، مثيرة الجيوش. أما المغازلون في الجانب الآخر فراحوا  
يصيحون في الساحة بصوت مرتفع، وفي البدء زجر أجيلاوس، ابن داماستور Damastor،  
أثينا، قائلاً:

«أي مينتور، لا يخدعنك أوديسيوس بكلامه لتقاتل ضد المغازلين وتساعده هو نفسه؛  
فب بهذه الطريقة، على ما أعتقد، سوف تُثير إرادتنا؛ فبعد أن نقتل هذين الرجلَيْن، الأب  
وابنه، سنقتُلَكَ أنتَ أيضاً معهم، فلو أزمعتَ القيام بمثل هذه الأعمال في الساحات،  
لدفعتَ الثمن برأسك. ومتى جرَّدناك من قوَّتك بحد السيف، أضفنا جميع الممتلكات  
التي في حوزتك داخل الأبواب وفي الحقول إلى ممتلكات أوديسيوس، ولن نسمح لأبنائك أو  
لبناتك بالإقامة في ساحاتك، كما أن زوجتك المخلصة لن تحظى بطيب العيش في مدينة  
إيثاكا.»

## أثينا تلوم أوديسيوس وتثير حميته

هكذا تكلَّم، فأثارت أثينا حماس أوديسيوس، وأغضبت قلبه، ونَهَرْتُه بكلماتٍ مثيرة، قائلةً:  
«أي أوديسيوس، لقد فارقتُك قُوَّتك الثابتة وشجاعتك، اللتان كانتا لك يومَ أن قاتلت  
من أجل هيلين العالية المولدة، ذات الساعدين الناصعِي البياض ملدة تسع سنوات دون  
انقطاع ضد الطرواديين، وقتلتَ عدداً كبيراً من الرجال في صراعٍ مrir، وبمشورتك سقطَتْ  
مدينة بريام<sup>٩</sup> الفسيحة الطرقات، فكيف يحدُثُ الآن، وقد عُدْتَ إلى بيتك وممتلكاتك، أن

<sup>٩</sup> كان بريام (بريموس) ملك طروادة العجوز إبان الحرب الطرواديه.

تنكمش باكيًا بدلاً من أن تقوم بدور الرجال، ضد المغازلين؟ كلا، أيها الصديق، هُل إِلَيْهَا، وَقِفْ بِجَانِبِي وَشَاهِدْ أَعْمَالِي، لَكِي تَعْرِفْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الرَّجُالِ هُوَ مِيَتُورُ بْنُ الْكِيمُوس، وَكِيفَ يَرُدُّ الْجَمِيلَ وَسَطَ الْأَعْدَاءِ.»

هَكُذا تَكَلَّمْتُ، وَلِكُنْهَا لَمْ تَمَنَّهُ قَوْةً شَامِلَةً لِيُحُولَ مُجْرِيَ الْمُرْكَةِ، بَلْ رَغْبَتِ فِي عَجَمٍ عَوْدَ قَوْةً وَجَرَأَةً أُودِيُسيُوسَ وَابْنَهُ الْمُجِيدِ. وَأَمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا هِيَ نَفْسُهَا، فَإِنَّهَا طَارَتْ عَالِيًّا إِلَى سَقْفِ السَّاحَةِ الْمَلْوَءَةِ بِالْدَّخَانِ. وَجَلَسَتْ هُنَاكَ فِي هِيَةِ عَصَفُورِ الْجَنَّةِ، وَرَاحَتْ تُشَاهِدُ الْمُرْكَةَ.

### أَجِيلَاؤُوسْ يَأْمُرُ الْمَغَازِلِينَ بِالْهَجُومِ

عِنْدَئِذٍ حُثَّ الْمَغَازِلُونَ بِوَاسِطَةِ أَجِيلَاؤُوسَ بْنِ دَامَاسْتُورَ، وَبِوَاسِطَةِ يُورُونُومُوسِ- Eeryno-mus، وَأَمْفِيمِيدُونِ Amphimedon، وَدِيمُوبُتُولِيمُوسِ Demoptolemus، وَبِيَاسَانِدَرِ Peisander، ابْنِ بُلُوكَتُورِ Polycitor وَبِبُولُوبُوسِ Polybus الْحَكِيمِ؛ إِذْ كَانَ هُؤُلَاءِ أَعْظَمُ جَرَأَةً مِنْ سَائِرِ الْمَغَازِلِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ وَقَتَذَاكَ يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ أَرْوَاهِهِمْ. أَمَّا الْبَاقِيُونَ فَقَدْ جَنَدُتْهُمُ الْقَوْسُ وَالسَّهَامُ السَّرِيعَةُ السُّقُوطُ فَافْتَرَشُوا الْأَرْضَ. بِيَدِ أَجِيلَاؤُوسِ تَكَلَّمَ وَسَطَهُمْ، وَأَعْلَنَ كَلْمَتَهُ لِلْجَمِيعِ. قَائِلًاً:

«أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءِ، سَوْفَ يُوقَفُ هَذَا الرَّجُلُ يَدِيهِ الَّتِينَ لَا تُقْهِرَانَ أَخِيرًا. تَبَّأَ لَهُ، لَقَدْ انْصَرَفَ عَنْهُ مِيَتُورُ، دُونَ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا غَيْرَ كَلْمَاتِ الْفَخْرِ الْجَوْفَاءِ، وَهَا هُمْ أَوْلَاءِ قَدْ تُرْكُوا وَحْدَهُمْ عَنْدَ الْأَبْوَابِ الْخَارِجِيَّةِ؛ وَعَلَى ذَلِكَ لَا تَقْذِفُوا الْآنَ جَمِيعَ رِمَاحِكُمُ الْطَوِيلَةِ نَحْوَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ هُلُمُوا، أَنْتُمُ الستَّةُ أَوْلَى فَاقْذِفُو عَسْيَ أَنْ يَمْنَحَكُمْ زُوسُ إِصَابَةً أُودِيُسيُوسَ، وَأَنْ تَفْوِزَنَّ نَحْنُ بِالْمَجْدِ. أَمَّا الْبَاقِيُونَ فَلَا أَهْمِيَّةُ لَهُمْ، إِذَا مَا سَقَطَ هَذَا.»

مَا إِنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ، حَتَّى قَذَفُوا جَمِيعًا رِمَاحِهِمْ، كَمَا أَمْرَهُمْ، فِي حَمَاسٍ. بِيَدِ أَثِينَا أَحْبَطَتْ عَمَلَهُمْ، فَأَصَابَ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَائِمًا بِبَابِ السَّاحَةِ الْمَكِينَةِ الْبَنِيَانِ، وَأَصَابَ غَيْرَهُ الْبَابِ الْمَحْكُمُ الْإِغْلَاقِ، أَمَّا الرَّمْحُ الدَّرَدَارِيُّ، الْمُثَقَّلُ بِالْبِرْوَنْزِ، لِرَجُلٍ آخَرَ، فَأَصَابَ الْحَائِطَ. وَبَعْدَ أَنْ تَحَاشَوْا رِمَاحَ الْمَغَازِلِينَ، تَكَلَّمَ أُودِيُسيُوسُ الْعَظِيمُ الْكَثِيرُ التَّحْمُلُ وَسَطَهُمْ أَوْلَى، فَقَالَ: «أَصْدِقَائِيُّ، أَرْجُو الْآنَ أَنْ نَقْذِفَ نَحْنُ رِمَاحِنَا إِلَى عَصَبَةِ الْمَغَازِلِينَ، الَّذِينَ أَبْوَا إِلَّا قَتْلَنَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى آثَامِهِمُ الْسَّابِقَةِ.»

## أوديسيوس وأعوانه يتمنّونها حرباً شعواء

قال هذا، فإذا بهم جميعاً يُطْلِقُون رماحهم الحادة بِإصابةٍ مُحْكَمَة، فأصابوا أوديسيوس ديموبوليموس، وتليميماخوس يورياديسيس Euryades، وراعي الخنازير إلاتوس Elatus، بينما انبرى راعي الماشية فقتل بايساندر، وهكذا ضرب هؤلاء جميعاً الأرض بأسنانهم في لحظة واحدة، فانسحب المغازلون إلى أقصى نقطة داخل الساحة الفسيحة. أما الآخرون فوَّبُوا إلى الأمام وجذبوا رماحهم من جُثُث الموتى.

## أثينا تُخَذِّل المغازلين وتناصر أوديسيوس ورفاقه

بعد ذلك عاد المغازلون فرموا رماحهم الحادة في حماس، وعادت أثينا فجأةً مساعدهم بالفشل، رغم كثرة رماحهم التي قذفوه، فأصابوا رجلاً منهم قائم بباب الساحة القوية البنيان، وأصابوا آخر الباب المحكم بالإغلاق، بينما أصاب الرمح الدرداري، المثقل بالبرونز، لرجل آخر، الجدار، ولكن أمفيميدون أصاب تيليماخوس في رسم يده، ضربةً خادشة، فمرقق البرونز سطح الجلد. أما كتيسبيوس فخذل برمحه الطويل كتف يومايوس أعلى ذراعه، بيد أن الرمح انطلق إلى فوق وسقط على الأرض.

وفي تلك الآونة قذف أوديسيوس، الحكيم الداهية، وجماعته رماحهم الحادة مرةً أخرى وسط حشد المغازلين، ومن جديد جندل أوديسيوس، سالب المدن، ثانيةً يوروداماس، وصرع تيليماخوس أمفيميدون، وأصاب راعي الخنازير يولوبوس، وبعد ذلك أطلق راعي الماشية رمحاً فأصاب كتيسبيوس في صدره، وزها فوقه، قائلاً:

«يا ابن بولوثيرسيس Polythenses، يا محب السباب، إياك بعد الآن أن تملأ شدقتك فخراً، مستسلماً لحماقتك، بل دع الأمر للآلهة، أولئك الذين هم أقوى منك بكثير. هذه جائزة ترحيبك الأخير بأوديسيوس الشبيه بالإله؛ إذ أعطيته ركلةً عندما دار يستجدي الأكف خلال المنزل.»

## أثينا تُبْتُ الذعر في قلوب المغازلين

هكذا تحدّث راعي الماشية الملساء، ولكن أوديسيوس جرح ابن داماستور في قتالٍ قريب بطعنة من رمحه الطويل، وجرح تيليماخوس لايوكريتوس Leiocritus، ابن إيفينور Evenor، بطعنة رمح نجلاء في منطقةٍ حقوية، وغيّب البرونز تماماً في داخله، فسقط

لتُوهُ يضرب الأرض بجبيه كله؛ عندئذ حملت أثينا ترسها، جلَّاب الخراب على البشر، عاليًا من السقف، فدب الذعر في نفوس المغازلين، وأطلقوا العنان لأقدامهم فرارًا خلال الساحات، لأنهم قطعوا من الأبقار انقضَّت عليه الذبابة اللاسعة فدفعته أمامها في فصل الربيع، عندما تُقبل الأيام الطوال. أو أشبه بجوارح الطير ذات المخالب المعقودة والمناقير المقوسة التي تهبط من الجبال وتتنقض على صغار العصافير، الحائمة في السهل، في طيران منخفض تحت السحب، فتنقض عليها الطيور الجارحة وتقتلها، وهي لا تجد أمامها سبيلاً للدفاع أو للفرار، ويبتهدج الناس بمنظر المطاردة؛ هكذا أيضًا كان أولئك الآخرون عندما هجموا على المغازلين وأعملوا فيهم التقتيل ذات الشمال ذات اليمين في شتى أنحاء الساحة. وكان يرتفع من هناك أنينٌ مخيف كلما ضربت الرعوس، وسبحَت الأرض في الدماء.

### لايوديس يتسلل إلى أوديسسيوس أن يرحمه

عندئذ اندفع لايوديس Leiodes إلى الأمام وأمسك بركبتي أوديسسيوس، وراح يتسلل إليه، وكلمه بعباراتٍ رقيقة،<sup>١٠</sup> فقال:

«أتوسل إليك بركبتيك، يا أوديسسيوس، عسى أن تتحترمني وتشفِّق عليّ؛ لأنني أُعلن لكَ أنني لم أتقدم بأيّ قط إلى أيّ من النساء في ساحاتك سواء بكلمة أو بعمل طائش. كلا، بل كنتُ أسعى إلى كبح جماح المغازلين الآخرين، كلما هم أحدهم بإتيان مثل هذه الأعمال. غير أنه لم يكتروا لقولي فيمنعوا أيديهم من الشر، وعلى ذلك لاقوا حتفهم قاسيًا بسبب حماقتهم الطائشة. ومع ذلك فإنني، لستُ إلا عرَّافاً بينهم، لم أقترب إثماً، وسأُقتل مثلهم تماماً. إذن فلا شكر حقيقة في الأيام المقبلة على القيام بصالح الأعمال.»

### أوديسسيوس يقتل لايودوس بلا رحمة

عند ذلك نظر إليه أوديسسيوس الواسع الحيلة بنظرٍ غاضبة من تحت حاجبيه وردد عليه، بقوله: «إذا كنتَ حَقاً عرَّافاً وسط أولئك الرجال، كما تُعلن عن نفسك، فأعتقد، أنك كثيراً

<sup>١٠</sup> في الأصل: مجنة.



ما صليت في الساحات لتُبعِد عنِي نتِيجة العودة السارَّة، وأن تذهب معك زوجتي العزيزة  
وتُنجبَ منك أطفالاً؛ ومن ثم فلن تنجو من الموت المُحزن.»

قال هذا وتناول بيده القوية سيفاً كان ملَّقَ بُقُرْبِه، كان قد تركه أجيلاس يسقط  
من يده إلى الأرض أثناء مصرعه، فهوَ بهذا وضربه فوق عنقه. وبينما كان لا يزال يتكلّم،  
تختبَّط رأسه في الثرى.

### فيميوس يطلب من أوديسيوس أن يرحمه

في تلك الأونة كان ابن تيربيس Terpes، المنشد، لا يزال يبحث عن مهرب من المنية  
السوداء، إنه فيميوس، الذي أرغمه المغازلون على أن يُنْشِد بالقوة وسطهم. فوقف بقى ثارته  
الصافية الألحان في يديه بالقرب من الباب السري، حائراً لا يدرِي ماذا يفعل، أى يُحَفَّ  
من الساحة ويجلس بجانب مذبح زوس العظيم، الحسن البناء، مذبح رب القاعة، حيث  
كان لايرتيس وأوديسيوس قد أحرقا كثيراً من فخاذ الثيران، أم يندفع إلى الأمام ويُمسِك  
برُكْبَتَي أوديسيوس متولساً. وبينما هو في حيرته تلك إذ هدَاه تفكيره إلى وسيلةٍ أَفْضَل،

وهي أن يُمسك ركبتي أوديسيوس بن ليرتيس؛ ومن ثمَّ وضع قيثارته الجوفاء على الأرض بين طاس المزج والمقدح المطحَّم بالفضة، وانطلق هو نفسه فأمسك أوديسيوس من ركبتيه، وشرع يتولَّ إليه، متحدَّثاً إليه بكلماتٍ رقيقة،<sup>١١</sup> قائلاً:

«أتُوسلُ إِلَيْكَ بِرَكْبَتِكِ، يَا أُودِيسِيُوسَ، راجِيًّا أَنْ تَحْتَرَمَنِي وَتَرْحَمَنِي؛ فَلَوْ قُتِلَتِ الْمُنْسِدَ، لَحَلَّ عَلَيْكَ الْأَسْفُ فِيمَا بَعْدُ، أَنَا الَّذِي يُنْسِدُ لِلَّاهِ وَالْبَشَرَ. لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي بِنَفْسِي، وَبِثَّ الْرَّبِّ فِي قَلْبِي جَمِيعَ صَنْوَفِ الْأَغَانِيِّ، وَإِنَّهُ لَجَدِيرٌ بِي أَنْ أُنْسِدَ لَكَ إِنْشَادِي لِأَحَدِ الْأَلَهَ، وَعَلَى ذَلِكَ لَا تَتَنَاهُفَ إِلَى ضَرَبِ عَنْقِي. كَلَا، وَلَسَوْفَ يَكُونُ تِيلِيمَاخُوسُ، ابْنُ الْعَزِيزِ، شَاهِدًا كَذَلِكَ عَلَى هَذَا، كَيْفَ أَنْتِي اعْتَدْتُ الْمُجِيءَ إِلَى مَنْزِلِكَ، لَيْسَ بَدَافِعَ أَيَّةَ رَغْبَةٍ أَوْ إِرَادَةٍ مِّنِي، لَكِي أُغْنِيَ لِلْمَغَازِلِينَ فِي وَلَائِهِمْ، وَلَكُنْهُمْ؛ إِذْ كَانُوا أَقْوَى مِنِي وَأَعْتَى، كَانُوا يَسْوَقُونِي إِلَى هَنَا كَرَهًا».

### تيليماخوس يطلب من أبيه ألا يقتل فيميروس وميدون

هكذا تَكَلَّمَ، وَسَمِعَهُ تِيلِيمَاخُوسُ الْقَوِيُّ الْعَتِيدُ، فَأَسْرَعَ يَقُولُ لِأَبِيهِ الَّذِي كَانَ قَرِيبًا مِّنْهُ: «أَوْقَفْ يَدَكَ، وَلَا تَجْرِحْ هَذَا الرَّجُلُ الْبَرِيءُ بِالسَّيْفِ. نَعَمُ، وَلَنْ نُنْقِذَ كَذَلِكَ الرَّسُولَ، مِيدُونَ، الَّذِي كَانَ يَهْتَمُ بِي دَائِمًا فِي مَنْزِلِنَا، عَنْدَمَا كُنْتُ طَفْلًا، إِلَّا إِذَا كَانَ فِيلِويَتِيُوسُ قَدْ قَتَلَهُ صُدْفَةً، أَوْ رَاعِيَ الْخَنَازِيرِ، أَوْ أَنَّهُ جَاءَ فِي طَرِيقِكَ وَأَنْتَ ثَائِرٌ فِي أَنْحَاءِ الْمَنْزِلِ».

هكذا قال، وَسَمِعَهُ مِيدُونَ، الْحَكِيمُ الْقَلْبُ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مُخْتَبِيًّا تَحْتَ أَحَدِ الْمَقَاعِدِ، يَلْفُ نَفْسِهِ فِي جَلْدِ ثُورٍ، مَسْلُوحٍ حَدِيثًا، مَحَاوِلًا اجْتِنَابَ حَتْفَهُ الْأَسْوَدِ، فَنَهَضَ فِي الْحَالِ مِنْ أَسْفَلِ الْكَرْسِيِّ وَخَلَعَ عَنْهُ جَلْدَ الثُّورِ، وَجَرَى مَسْرَعًا وَأَمْسَكَ بِرَكْبَتِيِّ تِيلِيمَاخُوسَ، وَرَاحَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ، وَخَاطَبَهُ بِعِبَارَةِ رَقِيقَةٍ،<sup>١٢</sup> قَائِلًا:

«أَيُّهَا الصَّدِيقُ، هَا أَنَا ذَا آتَ إِلَيْكَ، كُفْ يَدَكَ، وَاطْلُبْ مِنْ أَبِيكَ أَنْ يَكُفْ يَدَهُ، خَوْفًا مِّنْ أَنْ يَؤْذِنِي بِالْبِرُونْزِ الْحَادِ وَهُوَ فِي عَنْفَوَانِ قُوَّتِهِ غَاضِبًا مِّنَ الْمَغَازِلِينَ، الَّذِينَ بَدَّدُوا مَمْتَكَاتِهِ فِي السَّاحَاتِ، وَفِي حَمَاقَتِهِمْ لَمْ يُظْهِرُوهُ لَكَ فَرْضَ التَّبْجِيلِ إِطْلَاقًا».

<sup>١١</sup> في الأصل: مجنة.

<sup>١٢</sup> في الأصل: بكلماتٍ مجنة.

## أوديسيوس يستجيب لنداء ولده

بيد أن أوديسيوس الكثير الحيل ابتسם، وقال له: «فلتنعم بالآ؛ إذ قد أعتقك وخلصك، كي تعرف في قلبك وتقول لغيرك أيضاً، إن عمل الخير لأفضل بكثير من عمل السوء. وإنما يجب أن تخرج من الساحات وتجلس في الخارج في القاعة بعيداً عن المجزرة، أنت ومنشد الأغاني الكثيرة، إلى أن أنتهي من سائر الأعمال التي يجب أن أقوم بها في المنزل.»

هكذا تكلَّم، فانطلق الاثنان خارجَيْن بعيداً عن الساحة وجلسا بجوار مذبح زوس العظيم، يتطلعان إلى ما حولهما، مُتوقَّعين الموت دائمًا. كما أن أوديسيوس أخذ يتطلع إلى كل شيء في منزله ليرى ما إذا كان لا يزال هناك أي رجل على قيد الحياة، مختبئاً هناك، في محاولة لاجتناب المصير الأسود، غير أنه وجدهم جميعاً صرعى غارقين في الدم والتراب – كافة عصبَتِهم – أشبه بالأسماك التي أمسك بها الصيادون في عيون شبكاتهم من البحر السنحابي ووضَعواها على الشاطئ المنحني، فتظل كلها مُكَوَّمة فوق الرمل، تَوَاقِّة إلى أمواج البحر، وعندئِذ تسلبها الشمس المتألقة حياتها؛ هكذا تماماً كان المغازلون وقتئِذ يرقدون في كُوَّمة بعضهم فوق البعض الآخر، ثم خاطب أوديسيوس الكثير الحيل تيليماخوس، بقوله:

«أي تيليماخوس، اذهب الآن واستدِع لي المربية يوروكليا، كي أُخبرها بما يجول بخاطري.»

## تيليماخوس ينادي يوروكليا

ما إن قال هذا، حتى أطاع تيليماخوس أمر أبيه العزيز، فطرق الباب وقال ليوروكليا: «انهضي وأسرعي إلى هنا، أيتها الزوجة العجوز، يا من عهدت إليك مسؤولية جميع خادماتنا في الساحات. هلْيٌ؛ فإن أبي يناديك، ليُخْبِرُك بشيء..».

هكذا تكلَّم، فلم تُجبه بشيء، بل فتحت أبواب الساحة الفخمة، آتية، وسار تيليماخوس أمامها. وهناك وجدَت أوديسيوس وسط جثث القتلى، المضَّرَّجة كلها بالدماء والملطخة بالأوساخ، أشبه بليثٍ أتى من الضيعة بعد أن أتى على ثورٍ فيها، فغدا صدره وخذاه من الجانبين ملطخة بالدم، ومنظره مفرغاً؛ هكذا كان أوديسيوس أيضاً، ملؤُث القدَّمين واليديَّين من فوق. فلما أبصرت الجثث وبركة الدم الكبيرة، همَّت بإطلاق صيحات الفرح

العالية؛ إذ شاهدَت العمل العظيم الذي قام به، ولكن أوديسيوس منعها وكتب جماح حماسها، فخاطبها بكلماتٍ مجنة،<sup>١٢</sup> قائلاً:

«اغبطي قلبًا، أيتها السيدة العجوز، وإنما تمالكِي نفسك ولا تصيحي عاليًا؛ فليس أمرًا مقدسًا أن تفخري على رجالٍ مجندلين. لقد حظي هؤلاء الرجال بنصيب الآلهة، المطهرين وأعمالهم الطائشة؛ لأنهم لم يعملا حسابًا لأي فرد من البشر فوق ظهر الأرض، سواءً أكان شريراً أم خيراً، مهما كان ذلك الذي يأتي إليهم؛ وعلى هذا جلبو على أنفسهم ميزة شائنة من قُرْط حماقتهم الطائشة. والآن، هيا، أخبريني عن أسماء النساء في الساحات، وأيهن لا تُكِن لي الاحترام. وأيهن بريئات.»

### يوروكليا تُخبر أوديسيوس عن خادمات السوء بالقصر

فأجابته المربية العزيزة يوروكليا، وقالت: «إنن، فلأُخبرنك بالحقيقة كلها يا ولدي. لديك خمسون خادمًا في ساحتك، نساء درَّبناهن على القيام بأعمالهن، من مشط الصوف وحمل جرایة العبيد. من هؤلاء اثنتا عشرة، هن كل من سُرن بأقدامهن في طريق العار، ولم يُبدِين الاحترام لي ولا لبينيلوبى نفسها. ولم يبلغ تيليماخوس مبالغ الرجال إلا حديثاً، ولم تسمح له والدته بالسيطرة على الخادمات. والآن، دعني أصعد إلى المقصورة المتألقة العليا لأحمل النبا إلى زوجتك، التي أُنزل عليها أحد الآلهة نومًا.»

فقال أوديسيوس الكثير الحيل: «لم يأتِ الأوَّلُ لإيقاظها بعدُ، ولكن مري النساء بالجيء إلى هنا، اللواتي قمن فيما مضى بأعمالٍ مخزية.»

هكذا تَكَلَّمَ، وذهبَت السيدة العجوز عَبْر الساحة لتحمل النبا إلى النساء، وتأمُرُهن بالجيء، أما أوديسيوس فاستدعى إليه تيليماخوس والراعي وراعي الخنازير وتحدَّث إليهم بكلماتٍ حماسية، قائلاً:

«ابدءوا الآن بحمل جثث القتلى ومرروا النساء بمساعدتكم، ثم نظفوا المقاعد الجميلة والموائد بالماء والإسفنج المسامي. وبعد ترتيب المنزل كله بنظام، خذوا النساء بعيداً عن الساحة المكينة البنيان إلى مكان بين القبة<sup>١٤</sup> وسور الفناء العظيم، وعندئذ اضربوا أعناقهن

<sup>١٢</sup> أي: حماسية.

<sup>١٤</sup> لا يمكن معرفة معنى الكلمة الإغريقية بالضبط، إلا أنها تعني بناءً يُشبِه القبة داخل الساحة.

هناك بسيوفكم الطويلة، حتى تسلبواهن الحياة جميعاً، وينسّين العِشق الذي تلنه بأمر المغازلين، عندما اضطجعن معهم سراً».

### الخدمات يبكين ويأتمنن بأمر أوديسيوس

هكذا تكلّم وأقبلت النساء مجتمعاتٍ معاً، باكياتٍ بكاءً شديداً ودموعهن تتهمر غزيرة، فبدأن بحمل جثث القتلى بعيداً ووضعنها أسفل رواق الفنان القوي السياج، وأسندن كل جثة في مقابل الأخرى، بينما كان أوديسيوس نفسه يصدر إليهن الأوامر و يجعلهن في العمل، حتى نقلن الجثث بعيداً بالقوه. بعد ذلك طفّقون يُنظفون المقاعد الجميلة العالية والموائد بالماء والإسفنج المسامي. أما تيليماخوس وراعي البقر وراعي الخنازير فشرعوا يكحّتون أرض المنزل المكين البناء، وحملّت النساء الطبقة المكحوتة بعيداً وألقينها خارج الأبواب. وبعد أن ربّوا كل الساحة، ساقوا النساء بعيداً عن الساحة المكينة البناء إلى موضع بين القبة وسور الفنان العظيم، وحبسونهن في مكانٍ ضيق يتعذر الفرار منه بأية حالة من الأحوال. بعدئذ كان تيليماخوس الحكيم أول من تكلّم إلى الآخرين، قائلاً: «فلاسلبنَ هؤلاء النساء حياتهن في ميّةٍ غير نظيفة، هؤلاء اللواتي طالما صبّن التأنيّات على رأسي وعلى أمي، وتمادّين في الاضطجاع مع المغازلين».

### الخدمات الفاسقات يلقين حتفهن

هكذا تكلّم، وربط حبلأ سميّاً لسفينة دكّانه الحيزوم إلى عمودٍ ضخم، وقدف به حول القبة، باسطاً إياه إلى مسافةٍ عالية حتى لا تستطيع إحداهم أن تصل إلى الأرض بأقدامها. وكما يحدث عندما يقع الكروان الطويل الأجنحة أو اليمام في فخٍ أقيم وسط الأحراش، وهو يبحث عن مكانٍ يرقد فيه، ومقوت هو الفراش الذي يُرحب به، هكذا أيضاً رفعت النساء رءوسهن في صف، والتّفت الأشنودات حول أعناقهن جميعاً لكي يلقين ميّةً محزنةً أبلغ الحزن. وبعد ذلك صرن يترنّحن قليلاً بأقدامهن، ولكن ذلك لم يكن لمدةً طويلة. بعد ذلك قادوا ميلانثيّوس عبر الباب والفناء، وجذّعوا منحرّيه وقطّعوا أذنيه بالبرونز العديم الرحمة، وأخرجوا أحشاءه للكلاب لكي تأكلها نيّةً، ثم قطّعوا يديه ورجليه في غضبهم الثائر.

## أوديسيوس يتظاهر من دم القتلى المسفوك

بعد أن أتموا ذلك، غسلوا أيديهم وأقدامهم، وذهبوا إلى المنزل عند أوديسيوس، وكان العمل قد تم، ولكن أوديسيوس تحدث إلى المربية العزيزة يوروكليا، وقال: «أحضرى الكبريت، أيتها السيدة العجوز، لأنظهر من الدنس، وكذلك أحضرى لي ناراً، كي أظهر الساحة، كما أرجو أن تخبرى بينيلوبى بالمجيء إلى هنا مع وصيفاتها، وكذلك تأمرى جميع النساء اللواتى في المنزل بالمجيء أيضاً».

عندئذ أجابته المربية العزيزة يوروكليا، قائلة: «نعم، كل هذا، الذي قلته صواب، يا ولدى، ولكن تعال، دعني أحضر لك عبایة وجلباباً يسترانك، ولا تقف هكذا في الساحات بكتفيك العريضتين مغطاتين بالأسمال؛ وكان هذا مدعاه إلى اللوم». فأجابها أوديسيوس الواسع الحيلة، بقوله: «أولاً وقبل كل شيء أودى لنا ناراً في الساحة.»

هكذا تكلم، ولم تخالف المربية العزيزة يوروكليا أمره، بل أحضرت النار وال الكبريت. أما أوديسيوس فظهر الساحة والمنزل والفناء تماماً.

## نساء القصر يُحطّن أوديسيوس بمظاهر الحب والترحيب

بعد ذلك رجعت السيدة العجوز إلى داخل بيت أوديسيوس الجميل لتحمل النباء إلى النساء وتأمرهن بالمجيء؛ فأقبلن من ساحتهم يحملن المشاعل في أيديهن. لقد اجتمعن حول أوديسيوس واحتضنوه، وأمسكوه وقبّل رأسه وكتفيه ويديه في ترحيب ينم عن الحب، وعندئذ استبد به الشوق العذب للبكاء والنحيب؛ لأنه كان يعرفهن جميعاً في قلبه حق المعرفة.

## الأنشودة الثالثة والعشرون

يوروكليا تَرْفُ إِلَى سِيدَتِهَا بَشْرِي عُودَةُ أُودِيسيُوسْ فَلَا تُصَدِّقُهَا

بعد ذلك صَدَعَتِ السِّيَدةُ الْعَجُوزُ إِلَى الْمَقْصُورَةِ الْعُلِيَا، وَهِيَ تَضَحَّكُ مَلِءً شِدَّقِيَّهَا بِصَوْتٍ مَرْتَفَعٍ، لِتُخْبِرُ سِيدَتِهَا أَنَّ زَوْجَهَا الْعَزِيزَ فِي الْبَيْتِ. كَانَتِ رَكِبَتَاهَا تَتَحرَّكَانِ فِي خَفَّةِ بَيْنِمَا قَدَمَاهَا تَرَحَّفَانِ قَفْرًا مِنْ تَحْتِهِمَا<sup>١</sup> فَوَقَّتَ عَنْ رَأْسِ سِيدَتِهَا، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا، قَائِلَةً: «اسْتِيقْظِي، يَا بَنِيلِيوبِي، يَا طَفْلِي الْعَزِيزَةِ لَكِ تَرِي بِعِينِي رَأْسِكِ ما اشْتَهَيْتِه طَوَالِ أَيَامِكِ. إِنَّ أُودِيسيُوسَ هُنَا، وَقَدْ جَاءَ إِلَى الْمَنْزَلِ، رَغْمَ أَنَّ مَجِيئَهِ مَتَّاَخِرٍ، وَقَدْ قَتَلَ الْمَغَازِلِينَ الْمَغَطَّرِسِينَ الَّذِينَ كَدَّرُوا صَفَوْ دَارِهِ، وَأَكَلُوا أَمْوَالَهِ وَاضْطَهَدُوا أَبْنَهِ».»

فَأَجَابَتِهَا بَنِيلِيوبِي الْحَكِيمَةُ، بِقَوْلِهَا: «أَيُّ مَرْبِيَّتِي الْعَزِيزَةُ، لَقَدْ جَعَلْتِ الْآلَهَةَ مُخْبُولَةً، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَخْبِلُوا مِنْ كَانَ فِي مَنْتَهِيِ الْعُقْلِ، وَيَدْفَعُوا بِسَطَاءِ الْعُقُولِ إِلَى حَسْنِ الْإِدْرَاكِ. إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَفْسَدُوا حَصَافَتِكِ، مَعَ أَنِّكَ قَبْلَ ذَلِكَ كَنِّتِ ذَاتِ عَقْلٍ سَلِيمٍ. مَاذَا دَهَّاكِ لِتَسْخِرِي مِنِّي، وَقَلْبِي مَفْعُمٌ بِالْأَحْزَانِ، فَتَقْصِي عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ الْخَيَالِيَّةِ، وَتَوْقِظِينِي مِنْ نَعَسِيِّي، ذَلِكَ النَّعَسُ الْحَلُوُ الَّذِي أَسْتَوْلَى عَلَيَّ وَأَطْبَقَ جَفْنِي؟ لَأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لِي قَطَّ أَنْ اسْتَسْلِمَتُ لِلْكَرِيِّ الْعَمِيقِ هَكَذَا مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي رَحَلَ فِيهِ أُودِيسيُوسُ لِيَرِي إِلَيْوسَ الْلَّعِينَةِ الَّتِي لَا يَجِبُ أَنْ يَذْكُرَ الرَّءُوْسُ أَسْمَهَا. كَلَا، هِيَا الْآنُ، انْطَلَقِي عَائِدَةً إِلَى سَاحَةِ النَّسَاءِ؛ فَلَوْ كَانَتِ إِحْدَى النَّسَاءِ الْأَخْرِيَّاتِ الْلَّوَاتِي عَنْدِي هِيَ الَّتِي جَاءَتِنِي بِهَذَا النَّبَأِ، وَأَيْقَظَتِنِي مِنْ

<sup>١</sup> يُجَبُ اقْتِبَاسُ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ أَنْ يُصُورُ بِوْضُوحٍ شَوْقَ الرَّبِّيَّةِ الْجَارِفِ وَلَهْفَتِهَا، وَضَعْفَهَا الشَّدِيدُ النَّاتِجُ عَنِ الشِّيَخُوخَةِ.



وألقت ذراعيها حول عنق أوديسسيوس، وقبّلت رأسه.

النوم، لكنْ طردُتها فوراً لتعود أدرجها مكتتبة إلى الساحة، أما أنتِ فإن شيخوختك قد منحتك هذه الفائدة.»

### يوروكليا تُقصُّ على سيدتها أخبار مجزرة المغازلين

عندئِن أجبتها المربية العزيزة يوروكليا، قائلة: «ما أنا بساخرة، يا طفلتي العزيزة، ولكن بالحق إن أوديسسيوس هنا، قد جاء إلى داره، كما أقول لك. إنه ذلك الغريب الذي لم يحترمه الجميع في الساحات، ولكن تيليماخوس كان يعرف منذ مدةٍ طويلة أنه هنا، بيد أنه لذكائه أخفى هدف أبيه، إلى أن ينتقم من شرور الرجال المتعجرفين.»



ما إن قالت هذا، حتى طارت بينيلوبي فرحاً، ووَبَثَتْ من سريرها وطَوَّقَتْ السيدة العجوز بذراعيها وأطلَّت العِنَان لدَمْوعها تسَقَطَتْ من جفَنِيَها، وَتَكَلَّمَتْ، وَخَاطَبَتْها بِكَلَمَاتٍ حِمَاسِيَّةٍ،<sup>٢</sup> قائلةً:

«تعالَى الآن، أَيْتَها المَرْبِيَّةُ الْعَزِيزَةُ، أَتُوَسِّلُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا صَدَقْتِنِي الْقَوْلُ، فَخَبَرْتِنِي إِذَا كَانَ قَدْ جَاءَ حَقًّا إِلَى الْمَنْزَلِ، كَمَا تَقُولِينِ، وَكَيْفَ وَضَعَ يَدِيهِ عَلَى الْمَغَازِلِينِ الْوَقْحِينِ، جَمِيعًا وَهُوَ بِمَفْرِدِهِ كَمَا كَانَ، بَيْنَمَا هُمْ مُتَكَلَّلُونَ مَعًا فِي الْمَنْزَلِ كَمَا كَانُوا دَائِمًا». فَأَجَابَتِها يُورُوكِلِيا المَرْبِيَّةُ الْعَزِيزَةُ، قائلةً «لَمْ أَبْصِرْ شَيْئًا، وَلَمْ أَسْأَلْ سُؤَالًا، وَلَكِنِي سَمِعْتُ فَقْطَ أَنَّاتِ الرِّجَالِ الَّذِينَ قُتُلُوا. أَمَا نَحْنُ النِّسَاءُ، فَقَدْ جَلَسْنَا نَرْتَجَفْ ذُعْرًا فِي أَقْصَى جَزِيرَةِ مَقْصُورَاتِنَا الْمَكِينَةِ الْبَنِيَّانِ، وَكَانَتِ الْأَبْوَابُ الْمَحْكَمَةُ إِلَغْلَاقٍ تَحْبَسُنَا فِي الدَّاخِلِ، إِلَى أَنْ جَاءَتِ السَّاعَةُ الَّتِي اسْتَدْعَانِي فِيهَا إِبْنُ تِيلِيْمَاخُوسُ مِنِ السَّاحَةِ؛ لَأَنْ أَبَاهُ بَعَثَ بِهِ لِيَسْتَدْعِيَنِي. وَعِنْدَئِذٍ شَاهَدْتُ أُودِيْسيُوسَ وَاقِفًا وَسَطَ جَثَثِ الْقَتْلِ، وَكَانُوا وَهُمْ مَمْدُودُونَ مِنْ حَوْلِهِ فَوْقَ الْأَرْضِ الْصَّلِبَةِ يَرْقَدُونَ الْوَاحِدَ فَوْقَ الْآخِرِ، فَكَانَ مَنْظَرًا يَبْعَثُ الدَّفَءَ فِي قَلْبِكَ

<sup>٢</sup> في الأصل: مجنحة.

غبطةً وابتهاجاً. أما الآن فقد جمعت الجثث كلها معاً عند أبواب الفناء، وإن أوديسيوس الآن يُظهر المنزل الجميل بالكبريت، وأشعل ناراً عظيمة، وأرسلني لأناديك. هلمي، تعالى معي، كي يدخل السرور إلى قلبيكما، كليكما؛ لأنكما تحملتما محنًا كثيرة. وها هو ذا يتحقق أخيراً ذلك الذي كنت تتوquin إليه بلهفة. لقد جاء هو نفسه، حياً إلى مدفأته، وقد وجده ووجد ابنه في الساحات. أما بالنسبة لأولئك، المغازلين، الذين افترقوا الشرور في حقه، فقد انتقم منهم، الواحد والجميع في منزله.»

### يوروكليا تؤكّد لبنيلوبى عودة أوديسيوس

بعد ذلك قالت ببنيلوبى الحكيمية: «أي مربىي الزيزة، لا تملئي شدقيك فخرًا وأنت تضحكين هكذا عاليًا. إنِّي تعرفين كيف يُرحب الجميع بروئيتك في الساحات، ولا سيما أنا وولده، المولود منا نحن الاثنين، دون سائر الجميع، ولكن هذه القصة التي تروينها ليست حقيقة، كما تحكينها. كلا، لا بد أن أحذأ ما من الخالدين هو الذي قتل المغازلين الأمجاد غاضبًا من وقاحتهم المحرنة وأعمالهم الشريرة؛ إذ إنهم ما كانوا ليحترموا أي فرد من البشر على ظهر الأرض، سواء أكان صالحًا أم طالحًا، كل من جاء في وسطهم؛ وعلى ذلك لقوا الشر جزاء حماقتهم الطائشة. أما أوديسيوس، ففي مكانٍ ناءٍ فقد عودته إلى أرض آخيا<sup>٢</sup>، وفقد هو نفسه.»

عندئذ أجابتها المربية العزيزة يوروكليا، تقول: «أي طفلتي، ما هذه الكلمة التي أفلتت من بين حاجز أسنانك؛ إذ تقولين إن زوجك، الذي هو الآن هنا، عند مدفأته، لن يعود إطلاقًا؟ إن قلبك لعديم الإيمان دائمًا. كلا، تعالى، سأخبرك بعلامة أكيدة بالإضافة إلى هذا، إنها أثر الجرح الذي أصابه به الخنزير البري منذ أمد بعيد بنابه الأبيض. لقد لاحظت هذه العلامة بينما كنت أغسل قدمي، و كنت أتوق إلى إخبارك بها، أنت أيضًا، ولكنه وضع يده على فمي، وبحكمة قلبه العظيمة، لم يسمح لي بالكلام؛ ومن ثم تَّم تعالي معي، فلأهلكَّ نفسي، إن كنتَ أخدعك، ولكِ أن تقتليني بأشنع ميتةٍ يُرثى لها.»

فردَّت عليها ببنيلوبى الحكيمية، بقولها: «يا مربىي العزيزة، إنه ليصعب عليك أن تُدركي سر مشورة الآلهة الخالدين، مهما كنت عاقلاً طول حياتك. والآن هيأ بنا نذهب إلى ولدي، كي أرى المغازلين قتلى وأرى ذلك الذي قتلَّهم.»

<sup>٢</sup> الساحل الشمالي لشبه جزيرة البيلوبونيسوس.

## تيليماخوس يُعنِّف أمه بأسى الكلمات

ما إن قالت هذا حتى هبطت من مقصورتها العليا وكأن قلبها حيران لا تدري هل تقف بعيداً وتسأل زوجها العزيز، أم تتوجّه إليه، وتمسّك وتُقْبِل رأسه ويديه. بيد أنها ما إن دخلت واجتازت العتبة الحجرية، حتى جلسَت في مواجهة زوجها أوديسيوس في ضوء النار المجاورة للحائط البعيد، ولكنه كان جالساً بجوار عمودٍ طويل، ينظر إلى أسفل، وينتظر ما إذا كانت زوجته النبيلة ستقول له شيئاً، عندما تُبصِرُه عيناهما. غير أنها جلسَت ملترمة الصمت مدةً طويلة، وحَلَّت الدهشة على روحها، وكانت تارةً تُرْكَز عينيها على وجهه تماماً، وتارةً أخرى لا تستطيع التعرُّف عليه؛ لأنَّه كان مرتدِياً أسمالاً حقيرة. وعندئذٍ لامها تيليماخوس، وخطابها قائلاً:

«أَمَاه، أَيْتَهَا الْأُمُّ الْقَاسِيَةُ، ذَاتُ الْقَلْبِ الْمُتَشَبِّثُ، مَا الَّذِي يُوقِفُكَ هَكُنَا بَعِيداً عَنْ أَبِي، وَلَا تَجْلِسِينَ إِلَى جَوَارِهِ وَتَسْأَلِينَهُ مِنْهُ؟ مَا مِنْ سَيِّدَةٍ أُخْرَى قَدْ تَحْجَرَ قَلْبَهَا مُثْكَ، فَتَقْفَ بَعِيداً عَنْ زَوْجَهَا، الَّذِي عَادَ إِلَيْهَا وَإِلَى وَطْنِهِ بَعْدِ غِيَابِ عَشْرِينَ عَامَّاً، مُقَاسِيَ الْمَشَاقِ الْكَثِيرَةِ الْمَحْزَنَةِ! بَيْدَ أَنْ قَلْبَكَ دَائِنَّا أَصْلَبَ مِنَ الصَّخْرِ.»

عندئذٍ أجابته بينيلوبِي الحكيمَةُ، فقالت: «أَيُّ بَنِي، لَقَدْ ضَاعَ الْقَلْبُ الْكَائِنُ فِي صَدْرِي مِنْ شَدَّةِ الْعَجَبِ، وَلَا قَدْرَةٌ لِي عَلَى الْكَلَامِ إِطْلَاقاً، وَلَا أَسْأَلُ سُؤَالاً، أَوْ أَنْظَرُ إِلَيْهِ فِي وَجْهِهِ، وَلَكِنْ إِنَّا كَانَ هُوَ أُودِيسِيُوسُ حَقّاً، وَقَدْ جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ، فَإِنْ كَلَّا مَنْ سِيَعْرُفُ الْآخَرَ يَقِيْنَا؛ لَأَنْ لَدِنَا عَلَامَاتٍ لَا يَعْرُفُهَا سَوْانَا، عَلَامَاتٍ مُخْفِيَةٍ عَنِ الْآخَرِينِ.»

## أوديسيوس يُطِيبُ خاطر تيليماخوس

هَكُنَا تَكَلَّمْتُ، وَابْتَسَمْتُ أُودِيسِيُوسُ الْعَظِيمُ الْكَثِيرُ التَّحْمُلُ، وَخَاطَبَ تِيلِيمَاخُوسَ فِي الْحَالِ بِكَلَمَاتٍ حَمَاسِيَّةٍ،<sup>٤</sup> قَائِلًا:

«أَيُّ تِيلِيمَاخُوسُ، فَلَتَكْفُلَ أَمْكَ بِفَحْصِي فِي السَّاحَاتِ، وَفِي الْحَالِ سَوْفَ تَحْظَى بِمَعْرِفَةٍ أَكْثَرَ تَأْكِيداً. أَمَا الْآنَ فَإِنَّهَا تَحْتَقِرُنِي؛ لَأَنِّي مُلْوَثٌ بِالْأَقْذَارِ، وَأَلْبِسَ عَلَى جَسْمِي ثِيَاباً زَرِيَّةً، وَلَا تَعْرُفُ بَعْدُ بِأَنِّي هُوَ زَوْجُهَا. أَمَا نَحْنُ، فَلَنْفَكِرْ كَيْفَ يُمْكِنُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَتَمَّ عَلَى خَيْرٍ

<sup>٤</sup> في الأصل: مجنحة.

وجه؛ لأنه ما من شخص قتل رجلاً واحداً في بلد، حتى ولو لم يترك ذلك الرجل وراءه ذريةً تأخذ بثأره إلا وذهب ذلك الشخص إلى المنفى، تاركاً أهله ووطنه، فكيف الحال بنا وقد قتنا أولئك الذين كانوا وجوه المدينة وأعيانها، خير شباب إيثاكا. وإنني لأمرك أن تُمْعنَ  
التفكير في هذا الأمر.»

فأجابه تيليماخوس الحكيم، قائلاً: «هذا لكَ يجب أن تفكّر فيه أنت نفسك، يا أباًه العزيز؛ فإن رأيك، كما يقولون، أعظم الآراء سداداً بين البشر، وليس في مُكْنَةِ أيٍ فردٍ من الناس أن يتحدّاك. وأما نحن، فسوف تتبعك في حماس، ولستُ أعتقد أَنَّنا نفتقر إلى الشجاعة، طالما كانت لدينا القوة.»

## أوديسيوس يأمر الجميع يصدع

عندئِـ رد عليه أوديسيوس الواسع الحيلة، بقوله: «إذن فلأخبرنك بما يبدو لي خيراً وسيلة. أولاًً استَحْمُوا، ثم البَسُوا عبایاتکم ومرُوا الوصیفات اللواتی فی الساحات أَن يرتدین خیر ملابسهن. ودع المنشد المقدس يكن قائدنا فی الرقص المفرح بقيثارته الواضحة النبرات فی يده، حتى إذا ما سمع أحد الصوت فی الخارج، سواء أكان عابر طريق أو أحد الذين يسكنون حولنا، ظنَّها ولیمة عرس؛ وعندئِـ لا ينتشر خبر قتل المغازلین فی شتى أنحاء المدينة قبل أن نخرج إلی مزرعتنا الكثيرة الغابات. وهناك تتدبر فيما بعدُ الصالح الذي یُوحِي إلينا به الأوليمبي.»<sup>٠</sup>

هكذا تكلَّم، فصدع الجميع لأمره وأطاعوا قوله. وفي البدء اغتسلوا وارتدوا عباءاتهم، وأعدَّت النسوة أنفسهن، وأمسك المنشد المقدس القيثاراة الجوفاء وأثار فيهم الرغبة في الغناء الشجي والرقص العظيم؛ ومن ثم صدحَت القاعة الكبرى من كل جانب بوقع أقدام الرجال وهم يرقصون والنساء الجميلة الزنار. وهكذا قال أحد الذين سمعوا الضوضاء خارج المنزل:

«ما هذا؟ حَقًّا إن أحداً ما لا بد قد تزوج الملكة التي كان يهيم بِحُبِّها الكثيرون. ما أقساهَا! إنها لا تملك القلب الذي يجعلها تحفظ بالمنزل العظيم الذي هو منزل زوجها المقترب بها، حتى النهاية، إلى أن يعود.»

<sup>٠</sup> أي زوس، رب الأرباب والبشر.

## أوديسيوس يظهر في أبهى صورة أمام ببنيلوبى

هكذا كانوا يقولون، ولكنهم لم يعلموا جلية الأمور. وفي الوقت نفسه غسلت مُدبرة البيت يورونومي أوديسيوس العظيم القلب في منزله، ودهنته بالزيت، وألقت حوله عباءةً جميلةً وجليباً. وسكت أثينا فوق رأسه جمالاً بالغاً، فجعلته يبدو أطول وأقوى للرائين، وجعلت خصلاتٍ من الشعر تتدلى من رأسه مجعدةً أشبه بزهرة الخزامي. وكما يُطعم المرء الفضة بالذهب، ويكون صانعاً ماهراً تدرب على يد هيفايسوس<sup>١</sup> وبالاس أثينا حتى حذق جميع طرق المهنة، فيخرج العمل من يده باهرًا جميلاً، هكذا أيضًا بمثل هذا سكتت الربة جمالاً فوق رأسه وكافية، فخرج من الحمام، في صورة أشبه بالخالدين. وجلس بعدئذ من جديد فوق الكرسي الذي كان قد نهض منه، قبالة زوجته، وتحدث إليها، قائلاً:

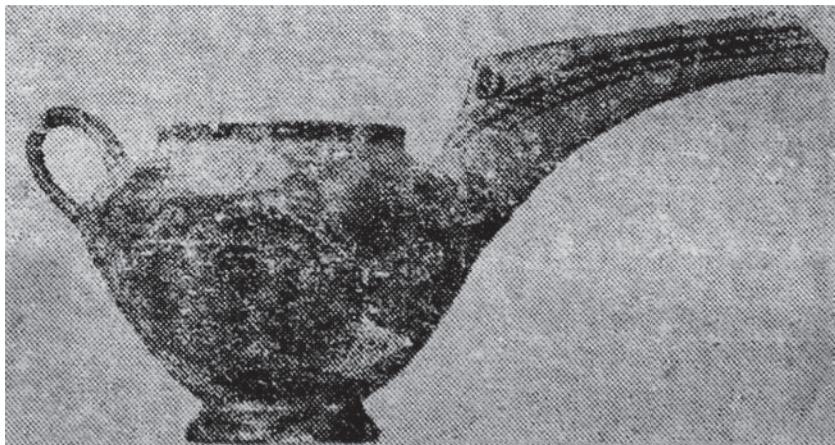
«ما أغرب أطوارك، أيتها السيدة! لقد وهب القاطنون فوق أوليمبوس، دون سائر النساء، قلباً لا تلين قناته؛ فما من امرأةٍ غيرك كانت تُقصى قلبها كما تفعلين، وتقف بعيداً عن زوجها الذي جاء إليها وإلى وطنه في العام العشرين بعد أن كابد الأحوال العديدة المحزنة. كلا، تعالى، أيتها المربية، وابسطي لي فراشاً، كي أستطيع أن أرقد وحدي؛ إذ إن القلب الذي في صدرها حَقاً من الحديد.»

## بنيلوبى تُعجم عود زوجها

عندئذ أجابته ببنيلوبى الحكيمة «بقولها: «أيها السيد الغريب الأطوار، لست متکبرة بأية حال من الأحوال، كما أنتي لا أحترق، ولست بحالٍ ما قد تتملكني الدهشة كثيراً، ولكنني أعرف جيداً حالتك التي كنت عليها عندما رحلت من إيثاكا فوق سفينتك ذات الماجايف الطويلة. ومع ذلك، تعالى، يا يوروكليا، وابسطي له الفراش المكين خارج حجرة الزواج المكينة البناء التي أقامها هو بنفسه، فأحضرني إلى هناك له السرير المتن، وضعني فوقه فرشاً، وفراءً من الصوف وعباءاتٍ وأغطيةً لامعة.»

هكذا تكلمتُ، تُعجم عود زوجها. بيد أن أوديسيوس، في حمأة غضبه، خاطب زوجته الصادقة القلب، فقال: «أيتها السيدة، ما أعظم مراة هذه الكلمة التي تفوهت بها! من ذا الذي أقام سريري في مكانٍ آخر؟ إنه ليتعذر على أيٍ فرد، لم يك بتلك المهارة، إلا إذا

<sup>١</sup> إله النار وحدّاد كبير الآلهة.



كان أحد الآلهة هو الذي يجيء بنفسه ويقيمه بسهولة في مكان آخر. أما البشر فلا يوجد بينهم من الأحياء، مهما كان شاباً وقوياً، من يستطيع أن ينقله من مكانه في سهولة؛ لأن هناك علاماً عظيماً مصنوعة في ذلك السرير الذي كونته؛ إذ إنني أنا الذي صنعته ولا أحد سواي. كانت تنمو بداخل الفناء شجيرة زيتون طويلة الأوراق، وكانت قوية وصلبة، وفي علوها أشيه بالعمود، فبنيت مقصورتي حول هذه، حتى أتمت بناءها، بأحجار مرصوصة متقاربة، وأقمت أعلاها سقفاً متيناً، وزوّدتها بآبواه ذات مفاصل، تغلق بإحكام. بعد ذلك قطعت الأغصان المورقة من شجيرة الزيتون الطويلة الأوراق، وبعد أن قطعت الجذع من فوق الجذور تماماً، صقلته جيداً بفأس وبمهارة، وقوّمته مستقيماً، وهكذا كونت منه قائم السرير، وثبتته كله بالملثقب. وإذا بدأت بهذا صقلت سريري، إلى أن أتمته، وطعّمته بالعسجد واللجنين والعاچ، وبسطت فوقه سيوراً من جلد الثور، تتألق بالأرجوان. وهكذا أعلن لك هذه العلامة، ولكنني لست أعلم، أيتها المرأة، ما إذا كان سريري لايزال قائماً في مكانه أم قطّعه الآن رجلٌ ما من أسفل جذع شجيرة الزيتون.»

### بينيلوبي تعانق أوديسسيوس وتُقدّم عذرها الشديد

ما إن قال هذا، حتى ارتحت ركباتها حيث كانت تجلس، وذاب قلبها؛ إذ كانت تعرف العلامات الأكيدة التي أخبرها بها أوديسسيوس؛ ومن ثم انطلقت تجري نحوه والدموع

تنهمر غزيرةً من مُقلتيها، وألقت ذراعيها حول عنق أوديسيوس، وقبّلت رأسه، وتحدّثت إليه، بقولها:

«لا تكن مغيبطاً مني، يا أوديسيوس؛ لأنك كنت في كل شيء آخر أحكم الرجال دائمًا. إنها الآلهة التي أعطتنا الأحزان، تلك الآلهة التي حقدت علينا أن يبقى كلُّ منا مع الآخر وننتمّ بشبابنا، حتى نصل إلى عتبة الشيخوخة. والآن لا تكن غاضبًا مني لهذا الأمر، ولا تكن مفعماً بالازدراء؛ لأنني عندما رأيتك، أولاً، لم أرحب بك؛ لأن القلب الكائن في صدري كان يتوجس دائمًا خيفة، خشية أن يأتي رجلٌ ما ويخدعني بقوله؛<sup>7</sup> إذ إن هناك كثيرين يُدبرون خطط الشر. كلا، ولا حتى هيلين الأرجوسية، ابنة زوس، كانت لترقد في حب مع رجل من قوم آخرين، لو كانت تعرف أن أبناء الآخرين الحربيين سوف يُحضرونها إلى بيتها الثانية إلى وطنها العزيز. ومع ذلك فإن في حالتها قد حفّزها حقاً أحد الآلهة على أن تقوم بعملٍ مشين، فلم تضع في عقلها حتى تلك الآونة فكرة هذه الحماقة، الحماقة المؤسفة التي كانت سبباً منذ البدء في أن يحل علينا الحزن أيضاً. أما الآن، ما دمت قد أيقنت بالعلمات الظاهرة في سريرنا، التي لم يحدث أن رأها أي بشر سواك وسوسي وعدا خادمة واحدة فقط، هي ابنة أكتور Actor، التي أعطانها أبي منذ أن جئت إلى هنا، إنها هي التي كانت تحافظ على أبواب حجرة عرسنا القوية، وللعجب، أنك تُقْنِع قلبي، الذي لا تلين قناته كما ترى!»

### أوديسيوس يحتضن زوجته وهو يبكي بحرقة

هكذا قالت، ومع ذلك فقد أثارت في قلبه رغبةً أكثر إلى البكاء، فبكى، وهو يحتضن زوجته العزيزة الصادقة القلب بين ذراعيه. وكما يُرحب الرجال الذي يُسبحون ببرؤية اليابسة، أولئك الرجال الذين حطم بوسايدون سفينتهم المحكمة البناء في البحر بعد أن جرفتها الرياح والأمواج الضخمة، وقد فاز قليلاً من البحر السننجابي بالسباحة إلى الشاطئ، وقد جمدت أبدانهم بشدة من ماء البحر الملح، فوطئوا البر بأقدامهم مسرورين ونَجوا من مصيرهم الشري، هكذا أيضاً رَحِبَتْ هي بزوجها، وهي تحدّجه بنظراتها، ولا تستطيع بأية حالٍ من الأحوال أن تُخلي سعادتها الناصعي البياض عن عنقه. وكاد الفجر الوردي

<sup>7</sup> الترجمة الحرفية: بكلماته.

الأنامل يلوح وهما ما زالا يبكيان، لولا أن الربة، أشينا ذات العينين النجلاويين، قد تدبّرت الأمر برأي آخر، فامسكت بالليل الطويل في نهاية مجراه، وشدّت كذلك بالفجر الذهبي العرش عند مجري أوقيانيوس، ولم تسمح له بوضع النّير فوق عنق جياده السريعة الأقدام التي تأتي بالنور إلى البشر، لاميوس Lampus وفايثون Phaethon، وهما المهران اللذان يحملان الفجر.

### أوديسيوس ينشد المتعة والراحة مع بينيلوبي

عندئذٍ تحدّث أوديسيوس الواسع الحيلة إلى زوجته، قائلًا: «أي زوجتي، لم نصل بعد إلى نهاية جميع محاولاتنا، ولكن لا يزال هناك عملٌ لا حد له يجب القيام به فيما بعد، عملٌ طويل وعسير، يجب أن أتمّه حتى نهايته؛ لأن روح تايريسياس Teiresias قد أخبرتني بهذا في اليوم الذي هبطت فيه إلى بيت هاديس لاستفهم عن أمر عودتي وعوده زملائي. والآن، هلّمي بنا، يا زوجتي، لنصل إلى الفراش، حتى إذا ما تمّتعنا الآن بالنّعاس العذب، أمكننا أن نحظى بمنطقة الراحة.»

فأجابته بينيلوبي الحكمة عندئذٍ، بقولها: «سيكون سريرك مُعدًا لك متى شاء قلبك، طالما أن الآلهة قد تسبّبت حقاً في أن تعود إلى منزلك المكين البنيان وإلى وطنك. غير أنه طالما أنك قد فكرت في هذا، ووضع أحد الآلهة هنا في قلبك، تعال، خبرني عن هذه المحاولة؛ إذ أعتقد، أنتي في المستقبل سوف أعلم بها، وإن عرفتها الآن فلن يزيد ذلك الأمر سوءًا بأية حال.»

### أوديسيوس يُخبر بينيلوبي بنبوءة العراف

فأجابها أوديسيوس الكثير الحيل، وقال: «أيتها السيدة الغريبة الأطوار! لم تأمرني الآن بإلتحاح بالغ بأن أخبرك بها؟ ومع ذلك فسأعلّنكها، ولن أخفّي عنك شيئاً. الحق أن قلبك لن يحظى بأي سرورٍ منها، مثلي تماماً إذ لا أحس بأي سرورٍ منها؛ فقد أمرني تايريسياس أن أرحل إلى مدنٍ كثيرة جدًا، حاملاً مجازًا بديعًا في يدي، إلى أن أبلغ بلد قومٍ لا يعرفون

<sup>٨</sup> طببي وهو أشهر المنجمين والعرافين الذاعن الصيت.

شيئاً عن البحر، ولا يأكلون طعاماً ممزوجاً باللح، كلا، ولا يعلمون شيئاً عن السفن ذات الوجنات الأرجوانية، أو عن المجاذيف التي هي للسفن بمثابة الأجنحة. وأخبرني عن هذه العلامات، بمنتهى الوضوح، ولن أخفيفها عنك؛ فعندما يقول لي عابر سبيل آخر، عندما يلتقي بي، إبني أحمل مذراً فوق كتفي القوية، عندئذ، كما أمرني، أغرس مجذاف الأرض، وأقدم تقدماً عظيمة للسيد بوسايدون — كبشَا وثوراً وخنزيرًا بريًّا، قد سافح خنزيرات — ثم أنصرف إلى بيتي وأقدم ذبائح مقدسة من مائة ثور للآلهة الخالدين، الذين يحتلُّون السماء الفسيحة الأجواء، لكل واحدٍ منهم في الترتيب اللائق به. ولسوف يأتي الموت على نفسي بعيداً عن البحر، ميتة في غاية الرقة، سوف تصرعني عندما تقهري الشيخوخة الناعمة، ولسوف يعيش قومي حولي في رخاء. كل هذا، كما قال، سوف أراه يتحقق». عندئذ أجابته بينيلوبي الحكيمة، قائلة: «إذا كان الآلهة ستجلب عليك حقاً شيخوخة أكثر سعادة، إذن فهناك أملٌ في أن تجد مخرجاً من الشر.»

### أوديسوس وبينيلوبي ينامان سوياً

هكذا راحا يتजاذبان أطراف الحديث، وفي الوقت نفسه كانت يورونومي والمربيّة يُعدّان الفراش ذا الأغطية الوثيرة على ضوء المشاعل المستمرة. وبعد أن انتهتا من فرش السرير المكين البناء، عادت المربيّة العجوز إلى مقصورتها لتنام، وقادتها يورونومي، خادمة حجرة النوم، في طريقهما إلى الفراش وهي تحمل مشعلًا في يديها. وبعد أن أوصلتهما إلى مقصورة زواجهما، عادت أدراجها. وبعد ذلك ذهبا مسرورين إلى مكان الفراش الذي كان لهما من قديم الزمان. أما تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير فأوقفوا أقدامهم عن الرقص، وكذلك أوقفوا النساء، واستلقوا ليناموا في أنحاء الساحات الظليلية.

### حديث الغرام بين أوديسوس وبينيلوبي

وبعد أن أخذوا حظهما من نعمة الحب، استمتعوا بالحكايات، فأخذ كلُّ منهما يتحدث إلى الآخر، فأخبرته السيدة الحسناء بكل ما قاسته في الساحات، وهي تنظر إلى حشد أولئك المغازلين المخربين، الذين ذبحوا من أجلها كثيراً من المواشي، من الأبقار والكباش الضخمة، واستهلكوا كميات كبيرة من الخمر أخذوها من الزقاق. أما أوديسوس المولود من زوس فأخذ يُقص عليها كافة المحن التي أنزلها بالناس، وجميع الشدائِد التي كان عليه أن

يتحملها في ألمه، وكان يلُدُّ لها أنْ تُصغي إلى حديثه، ولم يداعب النوم الذي جفَّنَها إلا بعد أن أخبرها بالقصة كاملة.

فبدأ يُخبرها كيف تغلب في البدء على الكيكونيس، ثم كيف وصل إلى بلاد آكلي اللوتس الغنية، وجميع ما فعله الكولوبيس، وكيف جعله يدفع الثمن عن رفقائه الأشداء، الذين ازدرَّهم الكوكلوبيس، دون أن يُبدي نحوهم أية رحمة. ثم كيف جاء إلى أيلولوس Aeolus،<sup>٩</sup> الذي رحَّب به بقلِّ كريم، ثم بعث به في طريقه؛ بيد أن حظه في المجيء إلى وطنه العزيز لم يكن قد حان بعد، كلاماً؛ فلقد لحقَت به الريح العاصفة مِرَّةً أخرى، وحملته بعيداً فوق صفحة اليمِّ المزدحم، وهو يَئُنْ أَنِينَا عالياً عنيفاً. وكيف وصل بعد ذلك إلى تيليبولوس Telepylus حيث الليستر وجونيis Laestrygones،<sup>١٠</sup> الذين حطَّمُوا سفنه وجميع زملائه المدرعين أجود تدريع، ولم ينجُ منهم غير أوديسيوس وحده في سفينته السوداء، ثم أخبرها بعد ذلك عن جميع حيل وأحابيل كيركي، وكيف رحل في سفينته ذات المقاعد إلى بيت هاديس الرطب لاستشارة روح تايريسياس الطبيبي، وأنه قد أبصر جميع رفقائه وأمه التي ولدَتْه ونشَأَتْه، عندما كان طفلاً. وكيف سمع صوت السيرينيس، اللواتي يُغْنِين دون انقطاع، وكيف وصل إلى الصخور المُتجوَّلة وإلى خاروبديس المفزعية وإلى سكولا، التي لم يسبق أن نجا منها أي إنسانٍ قط. ثم كيف قتل رجاله أبقار هيليوس، وكيف ضرب زوس، الذي يرعد عالياً، سفينته السريعة بصاعقةٍ ملتهبة، فهلك جميع رجاله العظام سوياً، بينما نجا هو وحده من المصير المُشَوَّم. وكيف وصل إلى جزيرة أوجوجيا وإلى الحورية كالوبسو، التي احتجَزَتْه هناك في مغاراتها الواسعة، تواقةً إلى أنْ يُصِّبح زوجها، وكيف قامت على خدمته، وقالت إنها ستتجعله خالداً لا تتطرق إليه الشيوخوخة قط طوال أيامه، بيد أنها لم تستطع على الإطلاق أن تُغري قلبه الكائن في صدره. ثم كيف أنه جاء بعد مجهودٍ شاقٍ طويلاً إلى الفياكين، الذين أظهروا له كل احترام، كما لو كان أحد الآلهة، وأنهم أرسلوه في سفينية إلى وطنه العزيز، بعد أن أهدوه خزيناً من البرونز والذهب والثياب. وهكذا كان هذا هو نهاية القصة التي رواها، عندما أقبل عليه النوم الذي يُرْخِي أطراف الرجال، مُحرِّزاً إياه من هموم قلبه.

<sup>٩</sup> ملك الرياح. كان قد تَوَسَّلَ إليه أوديسيوس بلا طائل، بعد أن فتح زملاؤه الحقيقة الجلدية التي كان يحبس فيها الرياح المضادة أثناء نوم أوديسيوس.

<sup>١٠</sup> سلالة بوسايدون، وهم طائفة من العمالقة آكلي اللحوم البشرية.

## أوديسيوس يعطي زوجته تعليماتٍ هامة

في تلك الأونة فَكَرَتِ الربة، أثينا المتألقة العينين، في رأيٍ آخر، فلما أصَرَتْ حُكْمَها وقرَرَتْ بأن قلب أوديسيوس قد نال كفايتها من التمتع بِزوجِه وبالنوم، أطلقت في الحال سَرَاحَ الفجر الذهبي العرش من أوقيانوس ليجلب النور للبشر. وعندئِذ نهض أوديسيوس من فراشه الوثير، وأسلم أمور بيته إلى زوجته، قائلًا:

«أيا زوجتي، الآن وقد نلَّنا كفايتنا من المحن الكثيرة، أنت وأنا، أنت هنا، تبكين على رحلتي إلى الوطن المحفوفة بالمتاعب والأخطار، بينما أنا، قد قيَّدْني زوس والآلهة الآخرون في المأسى بقيودٍ صعبة بعيدًا عن وطني، وقلبي مُفعَم بالشوق إلى العودة. أما الآن وقد صَعِدْنا سوياً إلى فراش رغبتنا، فهل لك أن تهتمُّي بأمر ثروتي في داخل الساحات. أما القطعان التي بَدَّها المغازِلُون الواقحون، فسوف أَحُصُّ بنفسي على كثيرٍ منها كغنائم، كما سوف يُعطيني الآخرون أخرى، إلى أن يملئوا حظائري، ولكنني سأذهب حقًا إلى مَزْرَعَتي الكثيرة الغابات لمشاهدة أبي النبيل، الذي بَخَعَهُ الحزن من أجلي، وإنني لأنصُحُكَ بهذا، رغم ما أنت عليه من حكمة. ما إن تشرق الشمس حتى يطير الخبر في الحال وينتشر معلناً أمر المغازلين الذين قتلُّهم في ساحاتي؛ وعلى ذلك أصعدُك إلى مقصورتك العليا مع وصيفاتك، وامكثي هناك. لا تقاولي أيِّي رجل، ولا تسألي سؤالاً قطًّا.»

## أثينا تُخفي أوديسيوس ورفاقه عن الأنظار

ما إن قال هذا حتى تدثَّر بُحْلَتُه الحربية الجميلة حول كتفيه، وأيقظَتِ تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير، وأمرهم جميعاً بأن يحملوا في أيديهم أسلحة القتال، فلم يخالفوا أمره، بل لَبِسُوا البرونز، وفتحوا الأبواب، وخرجوا، يقودهم أوديسيوس في الطريق. ورغم أن النور كان يملأ الدنيا فوق الأرض، فإنَّ أثينا أخفَّتهم في ليلٍ داجٍ، وبسرعةٍ قادتهم بعيداً عن المدينة.



## الأنشودة الرابعة والعشرون

### هيرميس يقود أرواح المغازلين

في نفس ذلك الوقت نادى هيرميس الكوليني Cylenian Hermes<sup>١</sup> أرواح المغازلين. وكان يحمل عصاً في يديه، تلك العصا الجميلة المصنوعة من الذهب، التي يُنضم بها عيونٌ كافية من يشاء، بينما يُوْقِظُ بها أيضًا آخرين من رقادهم، فكان يُوْقِظُ ويقودُ الأرواح بها، فكانت تتبعه وهي تُتمتِّمُ. وكما يحدث في أقصى فجوةٍ في الكهف العجيب أن تَحُوم الخفافيش مرفرفةً هنا وهناك وهي تطُن، عندما يَسُقطُ أحدها من فوق الصخرة منفصلًا عن السلسلة التي يَتَعلَّقُ بها كل واحدٍ منها بالآخرة، هكذا أيضًا ذَهَبَتْ هذه معه وهي تُتمتِّمُ وقادها هيرميس، المساعد، مجتازًا الطرق الرطبية، فذهبَتْ خلال مجري أوقيانوس، عَبْرَ صخرة ليوكاس Leucas، مجتازة أبواب الشمس وأرض الأحلام، وبسرعة وصلَتْ إلى مرج حقل البروق، حيث تقطن الأرواح، أشباح الناس الذين هلكوا في القتال. وهناك وجدوا روح أخيل<sup>٢</sup> ابن بيليوس، وروح باتروكلوس<sup>٣</sup> وأنطيلوخوس<sup>٤</sup> المنقطع النظير، وأياس<sup>٥</sup>، الذي كان خير جميع الدانين من بعد ابن بيليوس عديم المثيل.

<sup>١</sup> ولد هيرميس في كهفٍ فوق جبل كوليني ولدًا كان يُسمَّى أحيانًا كولينيوس أو هيرميس الكوليني.

<sup>٢</sup> ابن الملك بيليوس. كان أولًى أبطال الحرب الطروادية.

<sup>٣</sup> ابن مينويثيوس. قُتل وهو صبي ابن أمنياداماس عفواً فترك لوكريس وذهب إلى بيليوس في فثيا حيث نشأ مع أخيل فتوَلَّتْ بينهما صداقَةً كانت مضرِّ الأمثال.

<sup>٤</sup> ابن نسطور. استطاع أن يُشَهِّر نفسه في الحرب الطروادية بما أبداه من شجاعة وسرعة ودهاء وجمال.

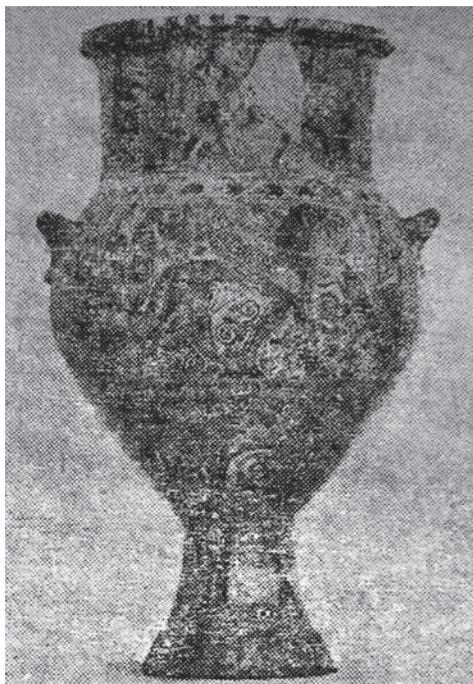
<sup>٥</sup> هو أجاكس، ابن الملك تيالمون، ملك سلاميس، أحد القواد الإغريق الذين حاربوا في طروادة، وكان يلي أخيل في المرتبة. أتى بمعجزات هي آية في الشجاعة والقوة.



لَيْلَيَّكَ، يَا أَبْتَاهَ، هَا أَنَا ذَا أَمَامَكَ، أَنَا بِنَفْسِي.

### أرواح المغازلين تتكلم

وكان هناك زحافم حول روح أخيل، وبالقرب منهم دنت روح أجاممنون بن أتريوس، حزينة، ومن حولها احتشدت أخرىات، أرواح أولئك الذين قُتلوا معه في منزل أيجيسثوس، ولقوها حتفهم. وكانت روح ابن بيليوس هي أول من تكلم وخطابته، بقولها: «يا ابن أتريوس، كما نعتقد أنت من دون سائر الأبطال كنت طوال أيام حياتك عزيزاً لدى زوس، الذي يقذف الصاعقة؛ لأنك كنت سيداً على كثير من الرجال الأشداء في أرض الطرواديين، حيث كابدنا الأهوال نحن الآخرين. بيد أنه حقاً كان للمنية المفرعة أن تنزل



عليك، أنت أيضاً، مبكراً هكذا، تلك المنية التي لا يستطيع أن يفر منها كل ابن أنتي<sup>٦</sup> آه!  
ليتك في خيلاء ذلك المجد الذي كنت له سيداً، قابلت الموت والمصير في بلاد الطرواديين. إذن  
لكان جيش الآخرين كله قد أقام لك رمساً، ولكنك قد كسبت أيضاً، مجدًا عظيمًا في الأيام  
المقبلة يتمتع به ابنك. غير أنه، كما يبدو، قد تقرر الآن أنه يجب عليك أن تفارق الحياة  
بميته هي أعظم ميته يُرثى لها.»

عندئذ أجايته روح ابن أتريوس، بقولها: «يا ابن بيليوس المحظوظ، يا أخيل الشبيه  
بالآلهة، يا من قُتلت في بلاد طروادة بعيداً عن أرجوس، وتجندل حولك آخرون، هم خيرة  
أبناء الطرواديين والآخرين، وهم يتقاتلون من أجل جثتك، بينما كنت أنت راقداً في دائرة  
عميقة من الثرى عتيداً في جبروتك، ناسيًا فروسيتك. أما نحن من جانبنا فكنا نتقاتل طوال

<sup>٦</sup> الترجمة الحرافية: كل من يولد.

اليوم كله، وما كنا لنُكُف عن الصراع، لولا أن زوس قد أوقفنا بعاصفة. غير أنه بعد أن حملناك من ساحة الوجى إلى السفن، أرقدناك فوق نعش، ونظرنا جلدك الجميل بماء الدافئ وبالزيت، وذرف الدانيون من حولك كثيراً من الدموع السخينة، وقطعوا شعورهم. ثم أقبلت والدتك من الخضم بصحبة حوريات البحر الخالدات، عندما بلغها ذلك النباء، فارتقطعت صيحة مدوية عجيبة فوق الخضم العميق، وعندئذ ارتعد الآخيون جميعاً فرائص وأعضاء. وفي تلك الآونة كاد الجميع يقفزون مندفعين نحو السفن الواسعة، لو لم يمنعهم رجلٌ، عاقلٌ على قدرٍ كبيرٍ من الحكمة القديمة، ذلك هو نسطور، الذي ثبت أن مشورته هي الأفضل سداداً عما قبلها. فتحدث إلى حشدهم بنية حسنة، وخطابهم، قائلاً:

«مَكَانُمْ، أَيُّهَا الْأَرْجُوسِيُّونَ؛ لَا تهربوا، يَا مُعْشِرِ شَبَابِ الْأَخِيَّينَ. إِنَّهَا وَالدُّتُّ، هَذِهِ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى هَذَا خَارِجَةً مِنَ الْبَحْرِ بِصَاحْبِةِ حُورِيَّاتِ الْبَحْرِ الْخَالِدَاتِ، لِتَشَاهِدْ وَجْهَ ابْنَاهَا الْمِيتِ.»

هكذا تكلّم، وتوقف الآخيون ذوو الجرأة عن فرارهم. بعد ذلك وقفَتْ حولك بناط عجوز البحر يبكيَن في حزنٍ بالغ، ودُثُرَن كل جسدك في لباسٍ خالد. أما ربات الفن،<sup>7</sup> وهن تسع، فقد قمن بقيادة المثاثة، وبعضهن يرددُ على البعض الآخر بأصواتٍ عذبة. وما كنتَ ل تستطيع أن تبصر أرجوسيّاً واحداً إلا وهو يبكي؛ فقد حرّكتْ ربات الفن الرخيمات الصوت قلوبهم. وهكذا بقينا نبكيك باستمرارٍ لمدة سبعة عشر يوماً ليل نهار، الآلهة الخالدون والبشر، حتى إذا كان اليوم الثامن عشر قدمناك للنار، وذبحنا كثيراً من الكباش السمينة جداً حولك وأبقاها ناعمة. وهكذا أحرقتَ في ملابس الآلهة وفي وفرة من المراهم والعسل الحلو، وسار جمُعٌ غفير من المحاربين الآخين في خليلهم الحرية حول كومة الحطب، بينما كنتَ تتحرق، من المشاة وراكبي العجلات، وتصاعد صخبُ عظيم. بيد أنه عندما وضعتْ نارُ هيافيستوس نهايتك، جمعنا في الصباح عظامك البيضاء، يا أخيل، ووضعناها في خمرٍ غير ممزوجة وفي الدهون. وكانت أمرك قد أحضرتُ وعاءً من الذهب ذا مقبضين، وقالت إنه هدية من ديونيسوس، وأنه من صنع هيافيستوس الدائن الصيت، فوضعنا عظامك البيضاء، يا أخيل المجيد، في ذلك الوعاء، ووضعنا معها نظام باتروكلوس الميت، ابن مينويتنيوس، مختلطةً بها، أما عظام أنتيلوخوس، الذي كنتَ تُبْجِلُه أكثر من

<sup>7</sup> الموسيات .Muses

جميع بقية رفقاءك بعد باتروكلوس الميت، فقد كانت موضوعةً على انفصاله. وكُومنا فوقها مقبرةً هائلةً عظيمة، نحن جماعة الرمّاحين الأقوياء في جيش الآخرين، فوق لسان بارز من الأرض بجوار الهيليسبيونت الفسيح، كي يستطيع جميع الناس الذين يعيشون الآن والذين سيُولدون فيما بعد أن يروها من بعيدٍ من على سطح البحر. أما والدُكَ فطلبت من الآلهة هداياً جميلة، ووضعتها في وسط قوائم هدايا رؤساء الآخرين. وإنك قد شاهدت قبل الآن مبارياتٍ جنائزية لرجالٍ عديدين كانوا محاربين، عندما كان موت ملِك يجعل الشبان أنفسهم يتمنطقون ويدُون المباريات، ولكنك إذا شاهدت ذلك المنظر لعجبٍ في قلبك أشد العجب؛ فما أجمل تلك الجوائز التي قدمتها الربة، ثيتيس<sup>٨</sup> ذات القدمين الفضيتين، هناك تتجيلاً لك، لأنك كنت عزيزاً جداً لدى الآلهة. وهكذا لم تفقد اسمك حتى في موتك، ولكنك سوف تحظى دائمًا بحسن الأحداث بين سائر البشر، يا أخي. أما عن نفسي، فأي فائدةٍ عادت علىَّ من كوني أشعلتُ نار الحرب؟ إذ قد حاك لي زوس ميّةً شنيعة على أيدي أيجيستوس وزوجتي اللعينة.»

هكذا تحدَّث كل واحدٍ منها إلى الآخر، بيد أنَّ الرسول أرجايفونتيس، اقترب، يقود أرواح المغازلين الذين قتلهم أوديسيوس؛ فإذا بهذين الاثنين، وقد اعترَّتُهما الدهشة، ذهبا فوراً نحوهم بمجرد أن رأوه. ولاحظت روح أجاممنون بن أتريوس، ذلك الابن العزيز ليلانوس، أمفيميدون المجيد، الذي كان مُضيّفه، أيام أن كان يقطن في إيثاكا. وعندئذٍ باذرته روح ابن أتريوس بالكلام أولاً، فقالت له:

«هيا أمفيميدون، ماذا دهاكم حتى هبطتم تحت الأرض المظلمة، وكلكم رجالٌ مختارون ومن نفس العمر؟ لا يمكن للمرء أن يختار شيئاً آخر، لو كان للإنسان أن ينتقي خير رجالٍ في المدينة. هل ضربكم بوسايدون وأنتم على ظهور سُفنكم، عندما أثار الرياح العاتية والأمواج الطويلة؟ أم هل أصابكم سوءٌ على بد الأعداء فوق اليابسة، بينما كنتم تسليبونهم ماشيتهم وقطعان أغاثتهم الجميلة، أو بينما كانوا يقاتلون للذود عن مدینتهم ونسائهم؟ أخبرني بما أسائل؛ لأنني أُعلن أنني صديق منزلك. أولاً تذكّر إذ جئت إلى هناك إلى منزلك بصحبة مينيلاوس الشبيه بـإله لاحُث أوديسيوس على الرحيل معنا إلى إليوس فوق ظهور السفن ذات المقاعد؟ لقد استغرقت الرحلة منا شهراً كاملاً لعبور البحر المترامي الأطراف؛ لأنه كان من الصعب علينا أن نضم إلينا أوديسيوس، سلاب المدن.»

<sup>٨</sup> ربة البحر، قامت هيرا بتربيتها وتزوجت بيليوس الذي كان بشرًا، وصارت والدة أخيل العتيق.

عندئِذ أُجابت روح أُفقيميون، بقولها: «يا ابن أُتريوس الأعظم مجدًا، يا ملك البشر، ويا أَجَامِنُون، إِنِّي أَذْكُر كُلَّ هَذِهِ الْأَمْوَرِ، كَمَا تَرَوْيَهَا تَمَامًا، يَا مِنْ هُوَ رَبِّي زُوسُ، وَمِنْ جَانِبِي سَأُصَارِحُكَ القَوْلَ صَادِقًا وَأَقُولُ لَكَ كُلَّ الْحَقِّ، عَنِ الْكِيفِيَّةِ الَّتِي نَزَّلَتْ عَلَيْنَا بِهَا خَاتَمَةُ الْمَوْتِ الشَّرِيرَةِ. لَقَدْ غَازَلَنَا زَوْجَةُ أُودِيسيُوسُ، الَّذِي كَانَ قَدْ رَحَلَ مِنْ زَمِنٍ بَعِيدٍ، وَلَمْ تَرْفَضْ الزَّوْجَ الْبَغِيَّضَ، وَلَمْ تَبْتُّ فِي الْأَمْرِ إِطْلَاقًا، بَلْ دَبَّرَتْ لَنَا الْمَوْتَ وَالْمَصِيرَ الْأَسْوَدَ. كَلَا، كَمَا أَنَّهَا قَدْ حَاكَتْ فِي قَلْبِهَا ذَلِكَ الْأَمْرَ الْخَدَاعِيَّ أَيْضًا؛ لَقَدْ أَقَامَتْ فِي سَاحَاتِهَا مِنْوَالًا هَائِلًا، وَانْهَمَكَتْ فِي النَّسْجِ – لَقَدْ كَانَ النَّسِيجُ مِنَ الْخِيطِ الْبَدِيعِ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الْاَتِسَاعِ – وَعَنْدَئِذِ قَامَتْ فِي الْحَالِ وَتَكَلَّمَتْ وَسْطَنَا، قَائِلَةً:

«أَيَا الشَّبَانَ، عُشَّاقِيَّ، مَا دَامَ أُودِيسيُوسُ الْعَظِيمُ قَدْ مَاتَ، فَاصْبِرُوا، رَغْمَ تَلْهُفِكُمْ عَلَى الزَّوْجِ مِنِّي، إِلَى أَنْ تُؤْتَمْ هَذَا الثَّوْبُ – لَأَنِّي لَا أَبْتَغِي أَنْ يُسْفِرَ نَسْجِي عَنْ لَا شَيْءٍ – إِنَّهُ كَفْنُ السَّيِّدِ لَايِرِتِيسِ لِلْوَقْتِ الَّذِي يَصْرُعُهُ فِيهِ الْمَصِيرُ الْقَاسِيُّ لِلْمَوْتِ الْمُحْزَنِ، خَشِيَّةً أَنْ تَحْقَدْ عَلَيَّ أَيْةٌ سِيَّدَةٌ مِنَ النَّسَاءِ الْأَخْيَاتِ فِي الْبَلَادِ، إِذَا مَا رَقَدْ بَدْوَنَ كَفْنٍ، وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي كَسَبَ مَمْتَلَكَاتِ هَائِلَةً.»

هَكَذَا تَكَلَّمَتْ، فَوَافَقَتْ قُلُوبُنَا الْمُتَجَرِّفَةَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ شَرَعَتْ تَنْسُجُ فِي النَّسِيجِ الْعَظِيمِ يَوْمًا بَعْدِ يَوْمٍ، غَيْرُ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْلُّ بِاللَّيلِ مَا صَنَعَتْهُ، بَعْدَ أَنْ تَضَعَ الْمَشَاعِلَ إِلَى جَوَارِهَا. وَهَكَذَا ظَلَّتْ عَلَى تَلْكَ الْحَالِ مَدَةً ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، جَعَلَتْ فِيهَا الْأَخْيَينَ جَهَلَاءَ بِمَهَارَتِهَا، وَقَدْ خَدَعُوهُمْ. بِيَدِ أَنَّهِ عَنْدَمَا جَاءَ الْعَامُ الرَّابِعُ، بِمَرُورِ الْفَصُولِ، وَبَعْدَ أَنْ خَبَتِ الشَّهُورُ وَجَرَتِ الْأَيَّامُ الْعَدِيدَةُ فِي مَجَراهَا، أَخْبَرَتْنَا إِحْدَى النَّسَاءِ الْلَّوَاتِي كَنَّ عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَأَمْسَكَنَا بِهَا وَهِيَ تَحْلُّ النَّسِيجِ الْرَّائِعِ؛ وَعَلَى ذَلِكَ اضْطُرْتَ إِلَى إِتَّمامِهِ بِالْقُوَّةِ ضِدَّ رَغْبَتِهَا.

وَالآنَ عَنْدَمَا أَرْتَنَا الثَّوْبَ، بَعْدَ أَنْ نَسَجَتِ النَّسِيجُ الْعَظِيمُ وَغَسَّلَتْهُ، فَتَلَلَّاً يَسْطِعُ كَانَهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ؛ عَنْدَئِذٍ أَحْضَرَ أَحَدُ الْأَلَهَيْنِ الْقَسَّاءِ أُودِيسيُوسَ مِنْ مَكَانِ مَا إِلَى حَدُودِ الْبَلَادِ، حِيثُ كَانَ يَقْطَنُ رَاعِي الْخَنَازِيرِ. وَإِلَى هَنَاكَ أَيْضًا ذَهَبَ الْابْنُ الْعَزِيزُ لَأُودِيسيُوسَ الْمَقْدَسِ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنْ بُولُوسِ الرَّمْلِيَّةِ فِي سَفِينَتِهِ السَّوْدَاءِ. وَبَعْدَ أَنْ دَبَّرَ هَذَانِ الْاثْنَيْنِ مِيَّتَةً شَرِيرَةً لِلْمَغَازِلِينَ، تَوَجَّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّهِيرَةِ، وَقَدْ حَضَرَ أُودِيسيُوسُ مَتَّخِرًا حَقًّا، وَلَكِنْ تِيلِيماخُوسُ سَبَقَهُ فِي طَرِيقِهِ. وَجَاءَ رَاعِي الْخَنَازِيرَ بِسَيِّدِهِ، يَرْتَدِي أَسْمَالًا رَثَّةً، فِي صُورَةِ شَحَّاذٍ عَجُوزٍ كَثِيرِ الْهَمُومِ، يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَمِهِ، وَكَانَ الثَّوْبُ الَّذِي يَسْتَرُ بِهِ جَسْمَهُ حَقِيرًا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَيُّ وَاحِدٌ مِنَّا أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ هُوَ، عَنْدَمَا جَاءَ هَكَذَا عَلَى حِينِ غَرَةٍ، كَلَا، وَلَا حَتَّى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا أَكْبَرَ سَنَّاً، بَلْ هَاجَمَنَا بِعَبَارَاتٍ شَرِيرَةٍ وَقَدْفَنَاهُ بَعْدَ أَشْيَاءٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ

تحمَّل بقلْب ثابت إلى فترة من الوقت أن يُرجم ويُشتم في داخل ساحتة. بيد أنه عندما أثارته أخيراً إرادة زوس، الذي يحمل الترس، أخذ جميع الأسلحة الجميلة بمساعدة تيليماخوس ووضعها بعيداً في حجرة الخزين وأغلقها بالمالح، ثم أمر زوجته بدهائه البالغ أن تضع أمام المغازلين قوسه والحديد السننجابي لتكون هناك مبارأة بيننا نحن الرجال المنكودي الطالع وتغدو بداية الموت، فلم يكن في مقدور أي واحدٍ منا أن يُشد وتر القوس القوية. كلا، لقد كنا أضعف بكثير من أن تكون لنا تلك القوة. غير أنه لما وصلت القوس العظيمة في يدي أوديسيوس، صحنَا جميعاً بصوت مرتفع معارضين في إعطائه القوس، مهما تكلم ومهما ألح في الكلام، ولكن تيليماخوس وحده هو الذي حَتَّى على أن يُجرب استعمال القوس، وأمره بأن يأخذها. عند ذلك تناول، أوديسيوس العظيم، الكثير التحمل، القوس في يده، وبغاية السهولة شد الوتر وأطلق سهماً من من الحديد، ثم ذهب ووقف عند العتبة، وأطلق سيلًا من السهام السريعة، متلفتاً حوله بفظاعة، فأصاب الملك أنتينوس. وبعد ذلك أخذ يُسدد سهامه ويتراكم تطير نحو الآخرين بإصابته الحكمة، محملاً بالألام، فشرع الرجال يسقطون بكثرة وفي سرعة. عندئذ عرفنا أن إلهًا ما كان يُعَذِّبهم؛ لأنهم في الحال انقضوا عَبْر الساحات في حماسهم وراحوا يصرعون الرجال ذات اليمين وذات الشمال، وتصاعدت أناهم مخيفة، بينما الرءوس تقطع والأرض كلها تسحب في الدماء. هكذا كان هلاكنا، يا أجاممنون، وحتى الآن لا تزال أجسامنا ملقاةً بإهمال في ساحات أوديسيوس؛ لأن أهلنا الموجودين في منزل كل رجلٍ منا لا يعرفون شيئاً حتى الآن – أهلنا الذين ربما يغسلون الدم الأسود من جراحنا ويدفنون جثتنا بالنحيب؛ لأن هذا هو حق الأموات.»

عندئذ أجابته روح ابن أتريوس، قائلة: «ما أسعدك يا ابن لايرتيس، يا أوديسيوس الواسع الحيلة! الحق أن الزوجة التي فزت بها لتنتصف بكل ما هو رائع، وإنها لرائعة جدًا في الإدراك بينيلوبي المنقطعة النظير، ابنة إيكاريوس؛ لأنها ظلت ذاكرةً أوديسيوس في ولاء، زوجها الذي عُقد له عليها؛ ومن ثم فإن شهرة عفتها لن تبلِّى على الإطلاق، بل سيؤلف الخالدون وسط البشر ساكني الأرض أنشودةً بهيجَةً تُشيد بذكر بينيلوبي الوفية. وعلى نقِصها كانت ابنة تونداريوس <sup>٩</sup> Tyndareus التي حاكت أعمالاً شريرةً وقتلت زوجها

<sup>٩</sup> ابن أوبيلوس ملك إسبرطة والحوية بانيا. طرده أخوه هيبوكون وهرب إلى شيستيوس في أبوليا الذي زوجَه ابنته ليدا. أعاده هرقل فيما بعد إلى عرش إسبرطة فأنجبت له ليدا كاستور وكلوتايمنيسترا، كما أنجبت لزوس بولوكس وهيلينا.

الذي اقتربت به بعقد، ولسوف تكون مقيّةً تلك الأغنية التي ستؤلّف في قصتها وسط البشر، وما أسوأ السمعة التي ستجلبها على جميع النساء، حتى على من كانت منهن خيرة!» هكذا تحدّث كلُّ منها إلى الآخر، وهما واقفان في بيت هاديس تحت أعمق الأرض.

## أوديسيوس يخبر أبياه

أما أوديسيوس وأتباعه فعندما انصرفوا من المدينة، وصلوا بسرعة إلى مزرعة لايريسي斯 الجميلة الجيدة التنسيق، التي كسبها لنفسه في الأيام الخوالي، والتي كَدَ من أجلها كثيراً.<sup>١٠</sup> كان هناك منزله، ومن حَوله الحظائر التي فيها ينام ويأكل ويجلس الخَدَم الذين كانوا عبيده، وكان هذا ما يدخل السرور إلى نفسه. أما في داخل البيت فكانت هناك سيدة صقلية عجوز، كانت تقوم بخدمة الرجل المُسِنِ في عنايةٍ كريمة في ضياعته، بعيداً عن المدينة؛ عندئذٍ خاطب أوديسيوس الخَدَم وبابته، قائلاً:

«هل لكم أن تدخلوا الآن إلى داخل البيت المكين البناء، وتذبحوا في الحال خير الخنازير لأجل العشاء؟ أما أنا فسأخبار أبي، وأرى ما إذا كان سيتبيّنني ويعرفني بالنظر، أم أنه لن يستطيع التعرُّف علىٍ؛ لأنني قد رحلت منذ مدةٍ طويلة جدًا».

ما إن قال هذا حتى أعطى العَبَدَيْن عُدَّته الحرية، فذهبوا بسرعة بعد ذلك إلى داخل المنزل. أما أوديسيوس فاقترب من حقل الكرم باحثاً عن بغيته. ولما هبط إلى مزرعة الفواكه الكبيرة لم يجد دوليسيوس، ولا أي واحد من عبيده أو أبنائه، بل كانوا قد ذهبوا مصادفةً ليجمعوا أحجاراً يقيمون بها سور حقل الكرم، يقودُهم الرجل العجوز. وإنما وجد أبياه بمفرده في حقل الكرم البديع التنسيق، يَحْفِر حول نبته، وكان مشتملاً بعباءٍ قدرة، مرقعةً ورثةً، وقد ربط حول ساقيه درعين مصنوعَيْن من جلود الثيران لتحمياد من الاحتياك، ولبس قفازاً في يديه يدرأ عنه الأشواك وعلى رأسه قبعةً من جلد الماعز، منقوصاً على أحزانه، فلما أبصره أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، منهجاً بالشيخوخة ومثقلًا بالحزن العميق في قلبه، وقف صامتاً تحت شجرة كُمُثْرٍ عالية، وأخذ يذرف العبرات. بعد ذلك فَكَرَ في عقله وقلبه هل يُعْبَلُ والده ويعانقه، ويُخْبره بكل شيء، كيف أنه عاد ووصل أخيراً إلى وطنه،

<sup>١٠</sup> يشير النص إلى كـ العمل الذي حصل به على تلك الأرض، ولكننا قد نفَّكَر كذلك في جواز إعطاء تلك الضياع إلى لايريسيس كنصيبيه من الأسلاب، وفي هذه الحالة يكون المقصود هنا «كـ الحرب».

أم يستعلم منه أولاً، ويختبره في كل شيء. وبينما هو يأخذ ويرد في عقله، هدأ التفكير إلى أن أحسن فكرة، هي أن يختبره أولاً بعبارات التهكم؛ وعلى ذلك انطلق أوديسيوس العظيم نحوه فوراً وهو يُفَكِّر في ذلك الرأي. وكان الرجل حقاً قد أحنى رأسه إلى أسفل، يَحْفِر بنية، فأقبل نحوه ابنه العظيم، وحاطبه بقوله:

«أيها العجوز، لست بحالٍ ما مفتقرًا إلى المهارة الالزمة لرعاية حديقة، كلا؛ فإن عنايتك بالحديقة لحسنة، وليس هناك أي شيءٍ قط، سواءً أكان نبتةً أو شجرةً تين، أو كرمة، كلا، ولا زيتونة، أو كمثري، أو أي عملٍ من أعمال الحدائق في الحقل كله تتقنه الرعاية، ولكنني سأقول لك أمراً آخر، وأرجو أن تكتم غضبك في قلبك. إنك أنت نفسك لا تتمتع بالعناية الحسنة، ولكنك تحمل الشيخوخة المؤللة، ومهمماً كان مظهرك قذراً وثيابك غير مرتبة، وترتدي ملابس حقيرة، فحقاً إن ذلك ليس مردك إلى أي كسلٍ من جانبك لأن سيدك لا يهتم بك، ومع ذلك فإنك لا تبدو بأية حالٍ أشبه بعده حتى إنه لينظر إليك هذه النظرة، لا في الشكل ولا في القوام؛ بل تبدو أشبه بالملك، أشبه بالرجل الذي، إذا ما استحمل وأكل، كان جديراً به أن ينام نوماً رقيقاً؛ لأن هذه الطريقة التي تلقي بالشيوخ، ولكن تعال، خَبِّرني بهذا، واصدُقْنِي القول في صراحة، في خدمة من أنت، ومزدرعة كَرْمَ من هذه التي تقوم برعايتها؟ لأنني أرجو أن تُخبرني بهذا أيضاً والحقيقة، كي أعلم يقيناً، هل هذه البلدة هي إيثاكا حقيقة، تلك التي جئنا إليها الآن، كما أخبرني بذلك رجلٌ هناك، قابلني الآن فقط وأنا في طريقي إلى هنا. لا شك في أنه كان في غاية الذكاء والحرص؛ لأنه أبى أن يُخبرني عن كل شيء، أو أن يُصْغِي حتى إلى قولي عندما سأله عن صديق لي، هل ما زال على قيد الحياة أم أنه قضى نحبه وهو الآن في بيت هاديس؛ لأنني سأقص عليك هذا، وهل لك أن تلتفت وتُصْغِي إلى ذلك؟ ذات مرة استضفتُ في وطني العزيز رجلاً كان قد جاء إلى منزلي، ولم يحدثُ قط أن جاءَ رجلٌ من الأغرب القاطنين في بلادِ نائيةٍ ونزل ضيفاً على منزلي، وكان مُرْحَبًا به أكثر من ذلك الضيف. لقد أعلن لي أنه من حيث سلسلة النسب قد أقبل من إيثاكا، وقال إنه ابن لاريتس، ابن أركايسيوس Arceisius؛ وعلى ذلك صحبته إلى منزلي وأكرمتُ وفاته ورَحِبْتُ به غاية الترحيب وقدَّمتُ له من الخزین الوافر الذي كان بداخل داري، وأعطيته هدايا الصدقة، هدايا تلقي به، فأعطيته من الذهب المصنوع بمهارة سبع تالنتات، وطاسَ مزج كله من الفضة، مزياناً بالزهور، واثنتي عشرة عبادة مفردة الطيَّات، وأكبر عددٍ ممكِن من الأغطية، وأكثر ما في مكتني من الأردية، وعدداً كبيراً من الجلابيب أيضاً، وزيادةً على ذلك أعطينه من النساء الماهرات في الأعمال اليدوية الرائعة، أربع سيداتٍ فاتنات، كان هو نفسه قد اعترض أن يختارهن.»

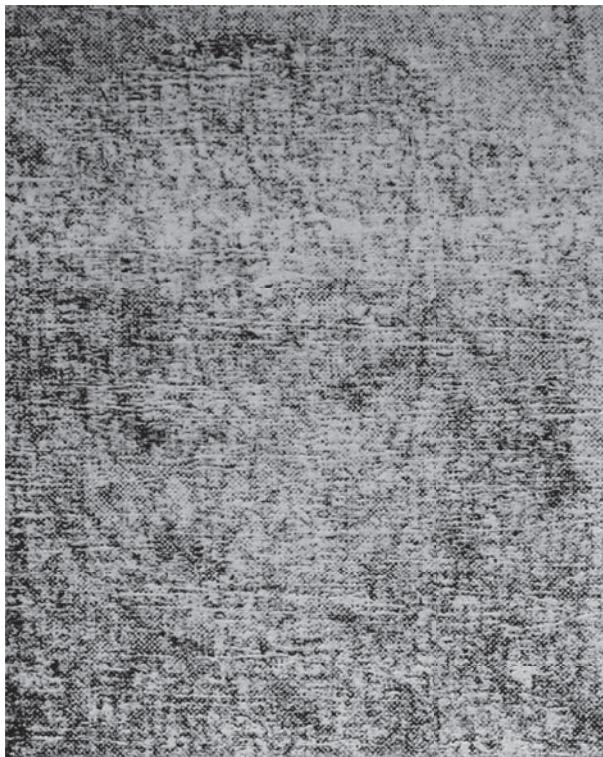
## والد أوديسوس يتحدث عن ابنه بالحزن والأسى

عندئٍ أجابه أبوه، وهو يبكي، فقال: «أيها الغريب، حَقًا إنك قد جئت إلى البلد، الذي تقصده، لكنه الآن في حوزة أناسٍ لا هم إلا ملذاتهم وطَيشهم. ولقد أعطيته تلك الهدايا بغير ما طائل، تلك الهدايا التي تفوقُ الحصر التي قدمتها؛ لأنك إذا لم تَجده بعُدْ حيًّا في بلاد إيثاكا، أكان يستطيع أن يُودعك وأنت راحلٌ بتعويض عظيم من الهدايا والتكريم الحسن؟ لأن هذا واجبٌ لمن كان أسبق بالعمل الكريم، ولكن تعال، خَبِّرنِي عن هذا، وأعلنه لي بالصدق، كم عَامًا مضى على إكرامك وفادة ذلك الضيف، الضيف المنحوس الطالع، أبني — إذ من المؤكد أنه كان يُوجَد مثل هذا الرجل — ابني المن ked الحظ، الذي ربما تكون الأسماك قد ابتلعته في أعماق اليم بعيدًا عن أهله، أو صار نهباً على اليابسة للوحش والطيوار؟ كما أن أمه لم تُعَدَّ للدفن ولم تَبِكه، ولا أبوه أيضًا، نحن اللذين أنجباه، كلا، ولا زوجته، التي غُوزلت بالهدايا الكثيرة،<sup>11</sup> بينيلوبى الحازمة، استطاعت أن تبكي فوق نعش زوجها، عندما نلتقي، وهي تُغمض عينيه في موته، رغم أن هذا واجبٌ للميت. كذلك خَبِّرنِي بهذا أيضًا في صدق، كي أعلم علم اليقين، من أنت من بين الرجال، ومن أين؟ وأين مدینتك وأين والدك؟ وأين ترسو السفينة السريعة التي أحضرتك إلى هنا مع رفقاءك أشباح الآلهة؟ أم أنك جئت كأحد ركَّاب سفينةٍ أخرى، وهل رحلوا بعد أن تركوك فوق اليابسة؟»

عندئٍ أجابه أوديسوس الكثير الحيل، وقال: «إذن سأقول لك كل شيء في صراحة. لقد جئت من أليباس Alybas،<sup>12</sup> حيث أملك منزلاً عظيماً، وإنني ابن أفایداس Apheidas ابن السيد بولوبيمون Polypemon، أما اسمي فهو إبیریتوس Eperitus. بيد أن أحد الآلهة جرفني من سیكانیا Sicano لكي أجيء إلى هنا ضد رغبتي، وإن سفيتني لراسية هناك

<sup>11</sup> يجوز «التي قُدِّم لها صداقٌ باهظ»، ولكن البعض يعتبرها فقط «ضخمة» إذ إن اللفظ الإغريقي لم يُستعمل إلا في هذه الجملة فقط.

<sup>12</sup> جميع أسماء الأعلام هنا خيالية ولكنها ذات معنى هام، فيجوز أن يكون المصود من «أليباس» هو «التجول» أو «الهذيان»، وهذا يشيران إلى تجوالات أوديسوس ومحنة. ومعنى «أفایداس» هو «عديم الرحمة»، ومعنى «بولوبيمون» هو «الواسع الممتلكات»، ومعنى «إبیریتوس» هو «النضال». ومن الجلي أن هذه تُشير إلى معنى اسم «أوديسوس» وهو «رجل الغضب».



على مسافةٍ طويلةٍ من البر المحروث بعيداً عن المدينة. أما بخصوص أوديسيوس، فهذه هي السنة الخامسة منذ أن رحل من هناك، وغادر بلدي، فيا له من رجلٍ مسكون! ومع ذلك فقد كانت له طيور الفأل الحسن، عندما سافر، طيورٌ كانت على يمينه؛ وعلى ذلك سررتُ منها، وأنا أُوَدِّعه ليذهب في طريقه. وانصرف هو متوجهًا، وأمل قلبنا في أن نلتقي فيما بعد كمضيفٍ وضيف، ويعطى أحدنا الآخر هدايا مجيدة.»

### أوديسيوس يُعانق أباه ويربيه عالمة

هكذا تكلَّم، فأحاطت بلايرتيس سحابةً قاتمةً من الحزن، وتناول التراب القاتم بكلتا يديه ونشره فوق رأسه الرمادي بأنينٍ لا يكُف؛ عندئذٍ ثارت ثائرة قلب أوديسيوس، وتصاعدت

في خياشيمه<sup>١٣</sup> غصّةٌ حادة، عندما أبصر أباً العزيز فوْثَب نحوه، وطَوَّفَه بذراعيه، وَقَبَّله، قائلاً:

لَبِّيَكَ، يَا أَبْتَاهُ، هَا أَنَا ذَا أَمَامَكَ، أَنَا بِنَفْسِي، أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي تَسْأَلُ عَنْهُ. لَقَدْ جَئْتُ فِي السَّنَةِ الْعَشْرَيْنِ إِلَى وَطْنِي، وَإِنَّمَا أَرْجُو أَنْ تَكُفُّ عَنِ الْحَزْنِ وَالْعَوْيِلِ الدَّامِعِ؛ لِأَنِّي سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ كُونِي فِي مُسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَى الإِسْرَاعِ. لَقَدْ قَتَلْتُ الْمَغَازِلِينَ فِي سَاحَاتِنَا، وَثَأَرْتُ لِنَفْسِي مِنْ وَقَاتِهِمُ الْمَحْزَنَةَ وَأَعْمَالِهِمُ الْشَّرِيرَةِ».

عندئِذ رد عليه لايرتبس ثانية، فقال: «لو كنت حَقّاً أنت أوديسيوس، ولدي، يا هذا الذي جئت إلى هنا، فأخبرني الآن بعلامةٍ واضحةٍ حتى أكون على يقين».»

فأجابه أوديسيوس الكثير الحيل، بقوله: «هَالَّا أَثْرُ الْجَرْحِ تَرَاهُ بِعِينِيْكَ أَوْلَأَ، أَثْرُ الْجَرْحِ الَّذِي أَصَابَنِي بِهِ خَنْزِيرٌ بَرِي بِنَابِهِ الْأَبِيْضِ فَوْقَ بَارْنَاسُوسِ». عندما ذهبت إلى هناك. لقد كنت أنت الذي أرسلتني إلى هناك، أنت ووالدي المجلة، إلى أوتولوكوس Autolycus والد أمي، كي أحضر الهدايا التي وعد وقل أن يعطيها عندما قدم إلى هنا. وزيادة على ذلك، سأُخْبِرُكَ أَيْضًا عَنْ عَدْدِ الْأَشْجَارِ الَّتِي فِي الْحَدِيقَةِ الْمَحْكَمَةِ التَّنْسِيقِ الَّتِي أُعْطَيْتَنِيْها ذَاتَ يَوْمٍ، عَنْدَمَا تَبَعَّتُ خَلَالِ الْحَدِيقَةِ وَأَخْذَتُ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا وَذَاكَ، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ سَوْيَ طَفْلٍ. لَقَدْ مَرَرْنَا خَلَالَ تَلَكَ الْأَشْجَارِ عَيْنَهَا، فَذَكَرْتَ لِي اسْمَهَا، وَأَخْبَرْتَنِي عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ مِنْهَا. ثَلَاثَ عَشَرَةَ شَجَرَةً كَمُثْرِي أُعْطَيْتَنِيْها، وَعَشْرَ شَجَرَاتٍ تَفَّاحٌ وَأَرْبَعِينَ شَجَرَةً تَينٌ. كَمَا وَعَدْتَنِيْ أَنْ تَهَبَّنِي صَفَوْفًا مِنَ الْكَرْوَمِ أَيْضًا، وَهِيَ كَمَا أَقُولُ، خَمْسُونَ گَرْمَةً، كَانَتْ تَنْضَاجُ عَدَةَ مَرَاتٍ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةً – تَحْمِلُ عَنَاقِيَّةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ – كَلَمَا أَنْزَلْتُهَا مِنْ فَوْقِ فَصُولُ زَوْسِ».»<sup>١٤</sup>

### لايرتبس يُغمى عليه من صدمة اللقاء

هكذا تَكَلَّمَ وَارْتَخَتْ رُكْبَتَا أَبِيهِ فِي مَكَانِهِ حِيثُ كَانْ يَقْفَ، وَذَابَ قَلْبُهُ، عَنْدَمَا عَرَفَ الْأَمَارَاتِ الْأَكِيدَةَ الَّتِي أَخْبَرَهُ بِهَا أوديسيوس، فَأَلْقَى سَاعِيَهُ حَولَ ابْنِهِ الْعَزِيزِ، وَأَمْسَكَ بِهِ أوديسيوس

<sup>١٣</sup> لقد افترض الجميع أن هذه العبارة تشير إلى الشعور الطبيعي الذي يسبق انهمار الدموع، ولكنني أميل إلى اعتبار هذه الجملة دالة على الوجдан بأوسع معانٍ. واقتبس هذا التعبير من تمثّل خياشيم الحصان أو الثور الهائج الغاضب.

<sup>١٤</sup> أي تثقل أخصانها بالثمر فتهبط إلى أسفل.

العظيم الكثير التحمل إذ أغمي عليه، فلما أفاق، وعادت روحه إلى صدره ثانية، تحدث إليه من جديد، وتكلّم، قائلاً:

«أبتاباه، زوس، حقا إنكم ما زلتم أيها الآلهة تُسيطرون على أوليمبوس الشامخ، لو أن المغازلين قد دفعوا بحق ثمن حماقتهم الطائشة. بيد أنه يتكلّماني الآن خوف عجيب في قلبي، خشية أن ينقض علينا هنا في الحال رجال إيثاكا، ويبعثوا الرسل في كل مكان إلى مدن الـكيفاليينين.»

فأجابه أوديسيوس الواسع الحيلة، بقوله: «طب نفساً ولا تشغل قلبك بهذه الأمور. والآن هلم بنا إلى المنزل القريب من مزرعة الكرم، لأنني أرسلتْ تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير إلى هناك، كي يُعدُّوا لنا الوليمة بمنتهى السرعة.»

هكذا كانا يتكلّمان، وذهبا في طريقهما إلى المنزل العظيم، فلما بلغا المنزل الفخم، و جداً تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير يُقطّعون لحمًا في كمياتٍ وفيرة، ويخلطون الخمر الصهباء.

### أثنينا تُضفي جمالاً وقوة على لايرتيس

وفي أثناء تلك الأونة غسلت الخادمة الصقلية لايرتيس الجريء في منزله ودهنته بالزيت، وألقت حول جسمه عبایة بد菊花. وعندئذ اقتربت أثينا وضخمت أطراف راعي الشعب، وجعلته يبدو للناظرين أطول وأقوى مما كان. وبعد ذلك خرج من الحمام، واستولت الدهشة على ابنه العزيز؛ إذ رأه في حضرته أشبه بالآلهة الخالدين. فتكلّم وحاطبه بكلماتٍ حماسية، قائلاً:

«أبتاباه، لا بد أن أحد الآلهة الخالدين قد جعلك أبهى منظراً للرائين في الجمال وفي القوام.»

فردَّ عليه لايرتيس الحكيم، وقال: «لم أتمنَّ، يا أبتاباه زوس، ويا أثينا، ويا أبولو، أن أكون في مثل تلك القوة التي كانت لي عندما استوليتُ على نيريكوس Nericus، القلعة المكينة البنيان فوق شاطئ اليابسة، يوم أن كنتُ سيداً على الـكيفاليينين؛ فب تلك القوة كان يجب أن أقف إلى جانبكَ أمس في منزلنا مرتدياً حُلُّتي الحربية فوق كتفي، وأنزل الضربات بالغازلين. هكذا كان لا بد لي أن أرخي رُكب الكثرين منهم في الساحات، وعندئذ كان لقلبك أن ينعم بالسرور في باطنك.»

## أوديسوس على مائدة العشاء مع أبيه

هكذا تحدث كلُّ منها إلى الآخر، فلما انتهى الآخرون من عملهم، وأعدُّوا الوليمة، جلسوا في ترتيب الكراسي والمقاعد الغالية. وما كادوا يمُدُّون أيديهم إلى الطعام، حتى اقترب دوليروس العجوز، ومعه أبناؤه، وقد أنهكهم العمل في الحقول؛ لأنَّ والدتهم، السيدة العجوز الصقلية، كانت قد خرجت إليهم واستدعتهم، وهي التي تهتم بطعمتهم وتقوم برعايتهم. الرجل العجوز في عناءٍ كريمة، وقد بلغ وقتنٍ من الكبر عتياً، فما إنْ أبصر بأوديسوس، وتبينَوْه في أذهانهم، حتى وقفوا في الساحات مشدوهين عجباً، بيد أنَّ أوديسوس خاطبهم بكلماتٍ رقيقة، فقال:

«تفضل بالجلوس إلى العشاء، أيها الرجل العجوز، وهل لك أن تنسى عجبك تماماً؟ فقد انتظرنا مدةً طويلة في الساحات، رغم تلهُّفنا إلى مد أيدينا إلى الطعام، وبقينا هكذا في انتظار قドومك.»

## دوليروس يُرحب بعودة أوديسوس

هكذا قال، فانطلق دوليروس من فوره يudo نحوه باسطاً يديه، وأمسك بيد أوديسوس وقبَّلها من فوق رسغها، وتحدثَ إليه وخطبه بكلماتٍ حماسية<sup>١٥</sup> فقال:

«أي سيدي العزيز، بما أنك قد عُدْت إلينا، يا من كنا نشتاقك غاية الشوق، وما كان نُفَكَّر في أننا سنراك، والألهة أنفسهم هم الذين جاءوا بك – فمرحباً بك – وإنما لنرحب بقدومك من كل قلوبنا، ونطلب من الآلهة أن تمنحك السعادة، ولكن خُبُرني بهذا بالصدق، كي أعلمك حق العلم. هل تعرف بينيلوبى الحكمة أكيداً أنك قد عُدْت إلى هنا، أم نبعث إليها برسول؟»

عندئذ أجابه أوديسوس الكثير الحيل، قائلاً: «إنها تعرف، أيها الرجل العجوز، ولماذا تشغلك نفسك بهذا الأمر؟»

ما إن قال هذا، حتى جلس الآخر ثانية فوق الكرسي المصقول. وكذلك احتشد أبناء دوليروس حول أوديسوس المجيد ورحبوا به بالكلام، وصافحوه بالأيدي، ثم جلسوا في ترتيب، بجانب أبيهم، دوليروس.

<sup>١٥</sup> في الأصل: مجنة.

## رومور يعلن في المدينة مصير المغازلين الرهيب

وهكذا انهمكوا في طعامهم في الساحات، بيد أنه في نفس ذلك الوقت كان الرسول رومور Rumour، يطوف بسرعة خلال المدينة في جميع أنحائها، يُذيع نباء الميّة الرهيبة ومصير الغازلين، فسمع الناس كلهم بالأمر في الحال، واحتشدوا آتين من كل صوبٍ يبيكون ويولولون أمام قصر أوديسيوس. ومن داخل الساحات أحضر كل واحدٍ منهم من مات له، ودفونهم. أما أولئك القادمون من المدن الأخرى فأرسلوهم كل واحدٍ إلى منزله، واضعين إياهم فوق ظهور سفنٍ سريعة كي يحملهم البحارة، وأما هم أنفسهم فانطلقوا سوياً إلى مكان الاجتماع، محزوني الأفئدة، فلما احتشدوا والتقووا معاً نهض يوبابيثيس وتكلم في وسطهم؛ إذ حل في قلبه حزنٌ ثقيلٌ مُمض من أجل موت ابنه، أنتينوس، أول رجل صرّعه أوديسيوس. فخطب في حشدهم وهو يبكي ابنه، فقال:

«أصدقائي، حقاً لقد حاك ذلك الرجل عملاً وحشياً ضد الآخرين؛ إذ قاد البعض في سُفنه، رجالاً كثيرين وعظاماء، وفقد سُفنه الواسعة، كما فقد رجاله عن بكرة أبيهم، ثم إذا به من جديد يقتل آخرين عند عودته، وهؤلاء أفضل الكييفاليين بمراحل. كلا، هيا بنا إذن، قبل أن يذهب الرجل بسرعة إلى بولوس أو إلى إلليس العظيمة، حيث يسود الإيبيون Epeans، دعونا نخرج إليه؛ حتى لا يكون هذا عاراً يصمنا باستمرار طيلة الأيام المقبلة، فإذا لم ننتقم من قاتلي أبنائنا وإخوتنا، صار هذا عاراً على كل من سمع به من الرجال الموجدين. أما بالنسبة لي فلن أستسيغ الحياة بعد الآن، بل يجدر بي أن أموت في الحال وأُصبح بين الموتى. كلا، هيا بنا نخرج إليهم، لئلا يكونوا أسرع منا، ويعبرُوا البحر.»

## میدون یدلی بشهادة طيبة

هكذا تكلَّم، وهو يبكي، فتَحرَّكَ عاطفة الشفقة من جميع الآخرين. بعد ذلك اقترب منهم ميدون والمنشد المقدَّس آتَيَنَ من ساحات أوديسيوس؛ لأنَّ النوم كان قد حررهما، فاتَّخذا وقفتيهما في الوسط، ودُهِشَ كلُّ رجل؛ عندَئِذٍ تكلَّمَ ميدون، الحكيم القلب، في وسطِهم،  
قاًلاً:

«استمعوا إلىَّ الآن، يا رجال إيثاكا، فالحق أنَّ أوديسيوس لم يَقُم بذلك العمل دون إرادة الآلهة الخالدين. كلا، لقد رأيْتُ أنا نفسي إلَّا خالدًا وقف بجانب أوديسيوس، وكان يُبَدِّلُ في كل شيء أشيء يُمْتَنُون، ولكنه كان أشهى بربٍّ خالد أمام أوديسيوس يُظْهِر تارَة،

مشجعاً إياه، وتارةً أخرى كان يثور عَبَر الساحة، يُطارِد المغازلين، فكانوا يسقطون بكثرة وفي سرعة.»

### هاليثيرسيس يتهم رجال إيثاكا بالجبن

هكذا تَكَلَّم، وعندئِذ استبد بهم جميعاً الخوف الشاحب. وبعد ذلك قام وسطهم السيد العجوز هاليثيرسيس Halitherses، ابن ماستور Mastor؛ إذ كان وحده يرى مقدمًا ومؤخراً فخاطب جمعهم بنية حسنة، فقال:

«أصغوا إلى الآن، يا رجال إيثاكا، واستمعوا إلى الكلمة التي سأقولها. لقد تَمَّت هذه الأعمال بسبب جبنكم أيها الأصدقاء؛ لأنكم أبَيْتُم إطاعة أمري، وأمْرِيْتُم مينتور راعي الشعب، فتوّقفوا أبناءكم عن حماقتهم. لقد اقتربوا عملاً وحشياً في عماهم وإثمهم الشرير، مُبَدِّدين ثروة أمير وغير مُراعين حرمة زوجته؛ إذ اعتقدوا، أنه لن يعود بعد ذاك. إذن فليكن الأمر الآن هكذا؛ فأصغوا إلى، كما أمركم. هُلْمُوا بنا ننصرف، لئلا يجد الكثيْرُ منا أنه قد جلب المصيبة على نفسه.»

### رجال إيثاكا يتسلّحون بقيادة يوبابيثيس

هكذا خاطبهم ولكنهم نهضوا يصيّحون عالياً، أكثر من نصف عددهم، أما الباقيون فقد مكثوا معَا في أماكنهم؛ لأن كلامه لم يُرُق في نفوسهم، وإنما أصغوا إلى كلام يوبابيثيس، فانطلقوا بسرعة نحو أسلحتهم. وبعد أن تدثّروا بالبرونز البراق، احتشدوا سوياً أمام المدينة الفسيحة. وقادهم يوبابيثيس في حماقته؛ إذ كان يفكّر في أن يثار لقتل ابنه، غير أنه لم يكن ليعود هو نفسه، وإنما كان عليه أن يلقى حتفه هناك.

### زوس يَعِد بمساعدة أوديسسيوس حتى النهاية

أما أتينا فتحدّثت إلى زوس بن كرونوس، قائلة: «يا أباانا كلنا، يا ابن كرونوس، يا من تُفُوق كافة الأسياد، خُبُرْنِي، أي هدِّفِي يُخْبِئْه عقلكَ الآن في باطنك. هل تنتوي إشعال نار الحرب الشريرة ووطيس المعركة المفزع. أم ستقيِّم الصداقَة بين الفريقيْن؟»

عندئِذ أجابها زوس، جامع السحب، فقال: «أي طفلي، لم تسأليَنِي وتسِعْلَمِي عن هذا؟ ألم ترسمي بنفسك خطَّة انتقام أوديسسيوس من أولئك الرجال عند مجيئه؟ افعلي

ما يحلو لك، وسأُخبارك بما يليق. الآن وقد انتقم أوديسيوس العظيم من المغازلين. دعيمهم يُقسِّموا قسماً مقدساً، ولتجعليه ملّاً طوال أيامه، وأما نحن من جانبنا فلنُسْبِل عليهم نسيان مقتل أبنائهم وإخوتهم؛ وانشُري الود والوئام بينهم كسابق عهدهم، وأغدقني عليهم الثروة والسلام.»

ما إن قال هذا، حتى نهضت أثينا، التي كانت بالغة الحماس، وانطلقت هابطةً من مرتفعات أوليمبوس.

### أوديسيوس يخرج لمقابلة المتسلحين

وما إن انتهوا من الطعام العسلي المذاق، حتى كان أوديسيوس العظيم الكثير التحمل أول من تكلّم وسط جماعته، قائلاً: «ليذهب أحدكم وينظر ما إذا كانوا يقتربون الآن». هكذا قال، فانطلق أحد أبناء دوليروس، كما أمر، فلما غادر المكان حتى وقف على العتبة، ورأهم جميعاً يقتربون، أسرع في الحال وقال لأوديسيوس في عباراتٍ حماسية: «ها هم أولاء يقتربون. أسرع، هلموا نتسلّح.»

ما إن قال هذا، حتى نهضوا وأعدوا أنفسهم في عددهم الحربي. كان أوديسيوس ورجاله أربعة، وكان أبناء دوليروس ستة، وكان في وسطهم لايروس ودوليروس يرتدان خُلُّتَيْهما الحربيَّتين، رغم أن رأسيهما كانا رماديين، هذان المحاربان القويان. وبعد أن حصّنوا أجسامهم بالبرونز البراق، فتحوا الأبواب وخرجوا، يتقدّمهم أوديسيوس.

### تيليماخوس يُعد أوديسيوس بكل عمل جريء

عندئِنْ اقتربت أثينا ابنة زوس، منهم، في صورة مينتور شكلاً وصوتاً، فسر لرؤيائها أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، وفي الحال كلّ ابنة العزيز، تيليماخوس، قائلاً: «أي تيليماخوس، ستعلم الآن هذا — وقد جئت بنفسك إلى مكان الوغى، حيث يُعَجَّم عود خيرة المحاربين — فلا تجلب العار على منزل آبائك؛ إذ كانت لنا اليد الطُّولى دائمًا في القوة والشجاعة على سائر البشر فوق ظهر الأرض.»

فأجابه تيليماخوس الحكيم، بقوله: «ستجدني، إذا شئت، يا أبي العزيز، في حالي الحاضرة، غير جلّب للعار على منزلك، كما تقول تماماً.»

هكذا قال، وسر لايروس، فتكلّم، قائلاً: «أعظم بهذا اليوم لي! أيتها الآلهة الطيبة، حقاً إن السرور ليغمُر فؤادي؛ فإن ولدي وولد ولدي يتنافسان فيما بينهما على الجرأة.»

## أثينا تظهر وأوديسيوس يهجم على المقاتلين

فاقتربت منه أثينا، ذات العينين النجلاء<sup>١٦</sup>، في تلك الأثناء، وقالت: «يا ابن أركايسيوس، يا أعز سائر أصدقائي، صَلَ للعدراء المتألقة العينين وإلى الأب زوس، وفي الحال ارفع إلى فوق رمحك الطويل، وأطلِّقه».

هكذا تكلَّمتُ بالاس أثينا، ونفثت فيه قوَّةً عظيمة، فصلَّى لايরتيس لابنة زوس العظيم، وفي الحال رفع رمحه الطويل عالياً، وقدف به، فأصاب يوبابيسيس خلال خوذته البرونزية الجانبين، فلم يمنع البرونز مرور الرمح، بل اخترق البرونز الخوذة، فسقط محدداً صوتاً، وجلجلتْ حُلُّهُ الحربية من حوله. بعد ذلك هجم أوديسيوس وابنه المجيد على مقاتلي المقدمة، وأعملوا فيهم الطعن بالسيوف والرماح المدببة الأسنة. وكادا يُفنيانهم جميعاً، ويحرمانهم عودتهم، لولا أن أثينا ابنة زوس، حامل الترس، صاحت بصوَّتٍ جَهُورِيٍّ، وأوقفت الجيش كلَّه؛ إذ قالت:

«كُفُوا، عن الحرب المفجعة، يا رجال إيثاكا، لكي تفترقوا بكل سرعة، دون إراقة دماء».

## السلام يسود أوديسيوس والمحاربين بأمر الآلهة

هكذا تكلَّمتُ أثينا، فاعتراهم خوفُ شاحب. وإذا استبد بهم الذعر، طارت الأسلحة من أيديهم بعد ذلك وسقطت كلها على الأرض، بمجرد أن أرسلت الربة صوتها، فانطلقا متوجهين شطر المدينة. تَوَاقَّين إلى إنقاذ حياتهم.

وعندئِذ صاح أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، بفظاعة، وبعد أن استجمع قواه انقضَّ عليهم كأنه نَسُرٌ على الطيران، وفي تلك اللحظة قذف ابن كرونوس صاعقةً ملتَهبةً، فسقطت أمام ابنة الرب العتيق، أثينا البراقنة العينين، فتكلَّمتُ بعدئِذ أثينا النجلاء العينين تُخاطب أوديسيوس، قائلةً:

«يا ابن لاييرتيس، المنحدر من زوس، يا أوديسيوس الواسع الحيلة، كُفَّ يدك، وأوقف نضال الحرب المتعادلة،<sup>١٦</sup> لئلا يغصب منك ابن كرونوس، زوس، الذي يحمل صوته نائياً». هكذا قالت أثينا فتصدَّع بأمرها، واغتبط في قراره فؤاده. وبعد ذلك عُقد الصلح والسلام الدائم بين الفريقيَّين بواسطة بالاس أثينا ابنة زوس، حامل الترس، وهي في صورة مينتور شكلاً وصوتاً.

<sup>١٦</sup> قد يكون المقصود: «المبيدة».



